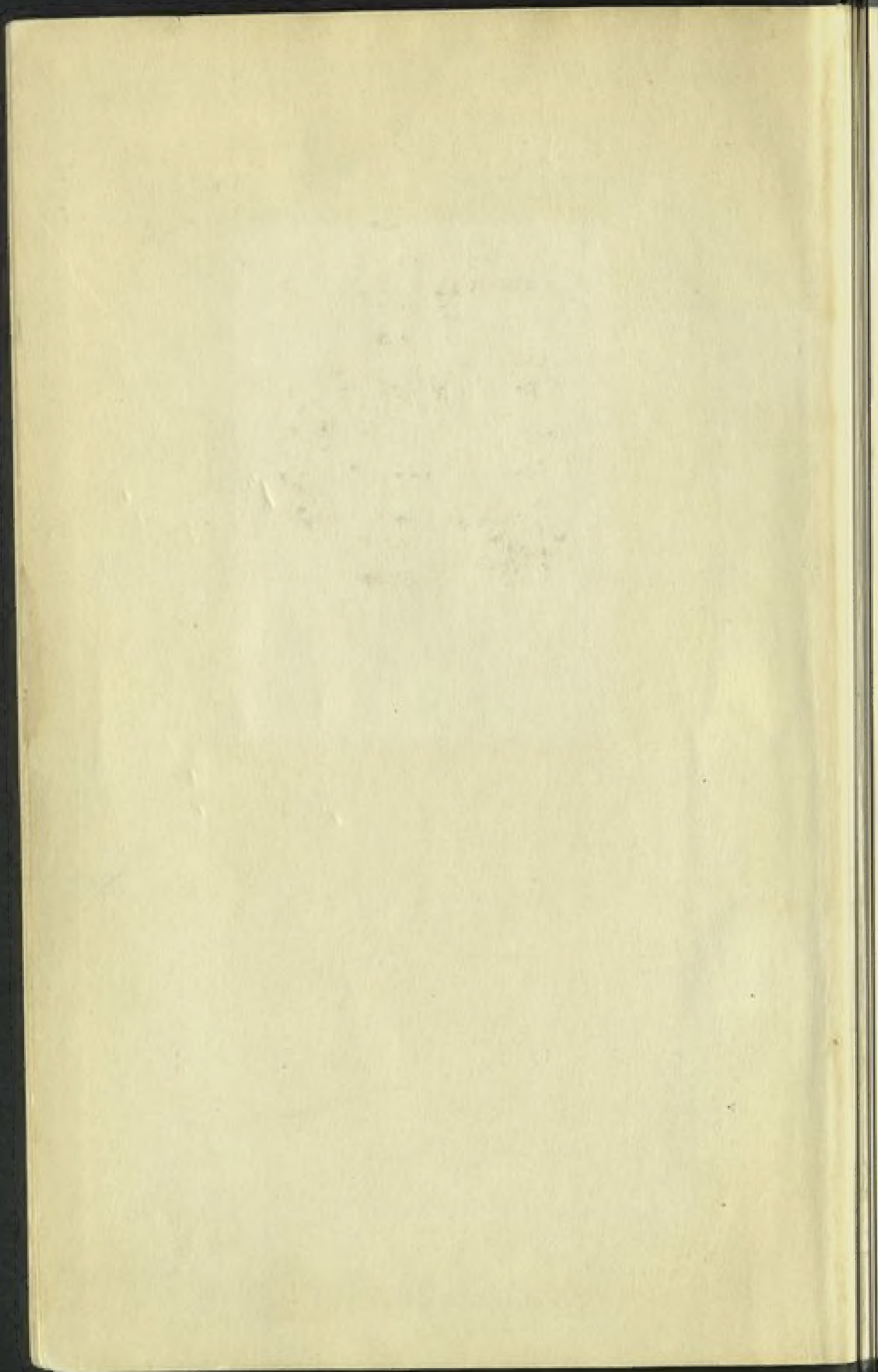


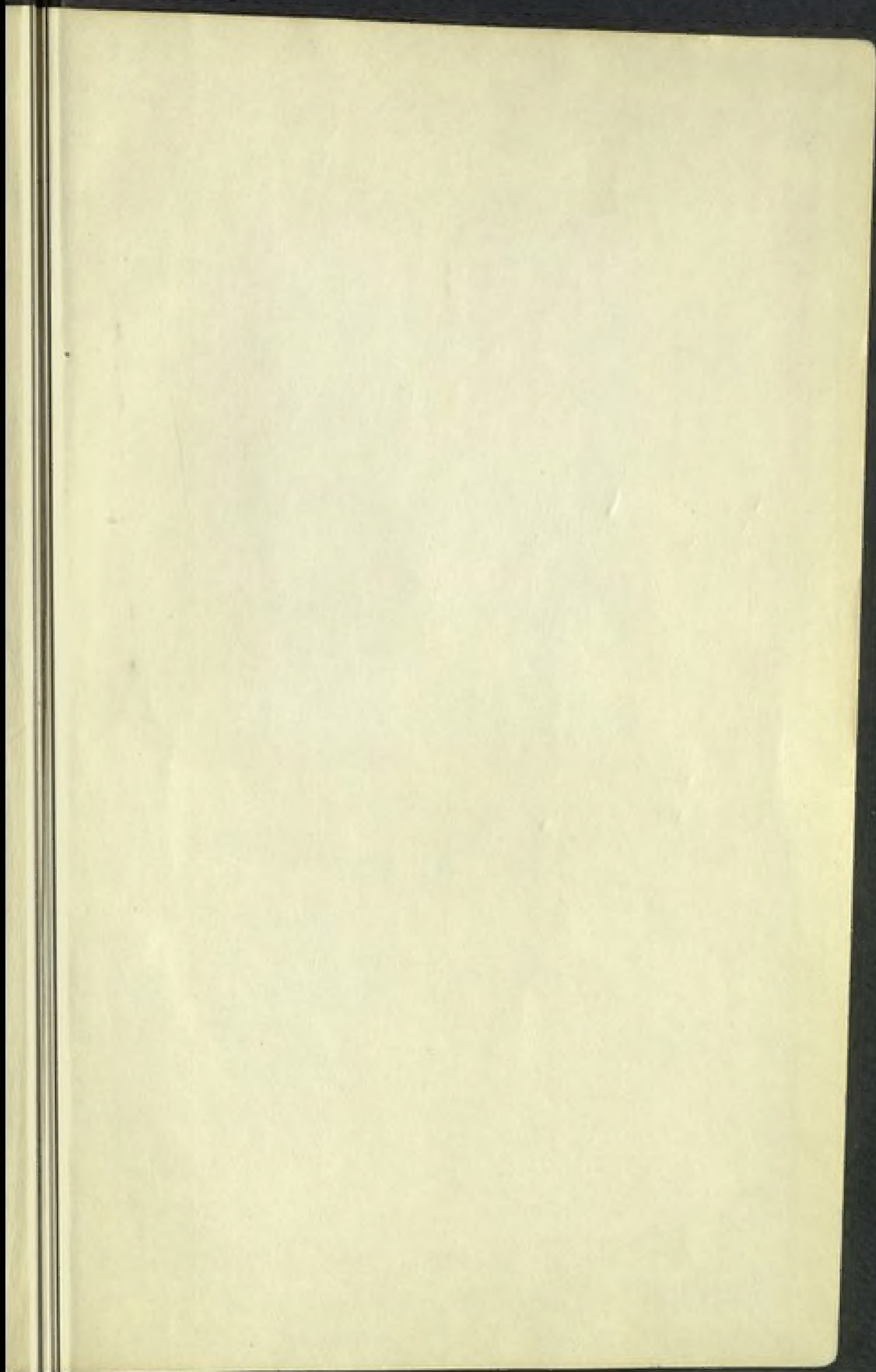


AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT

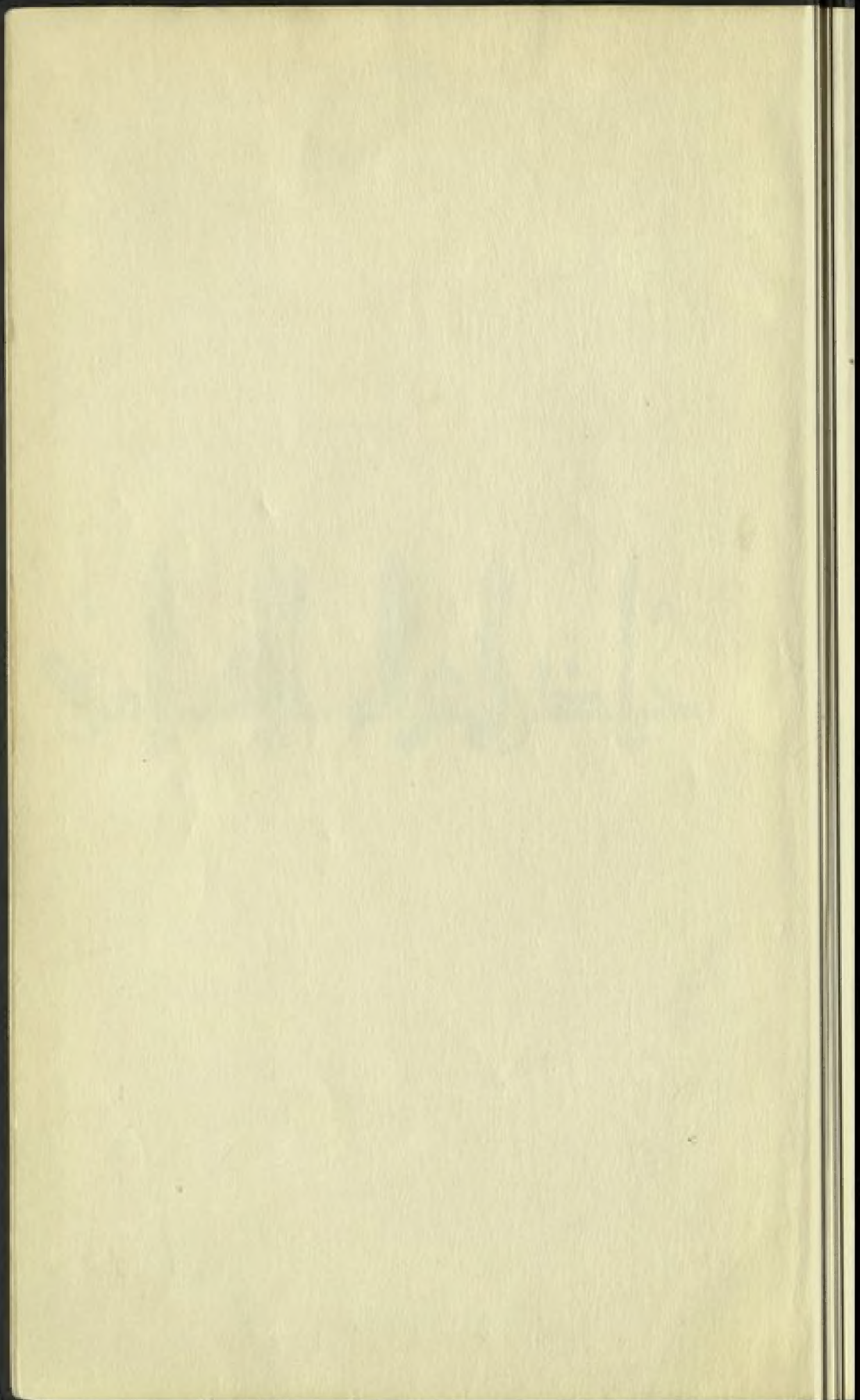




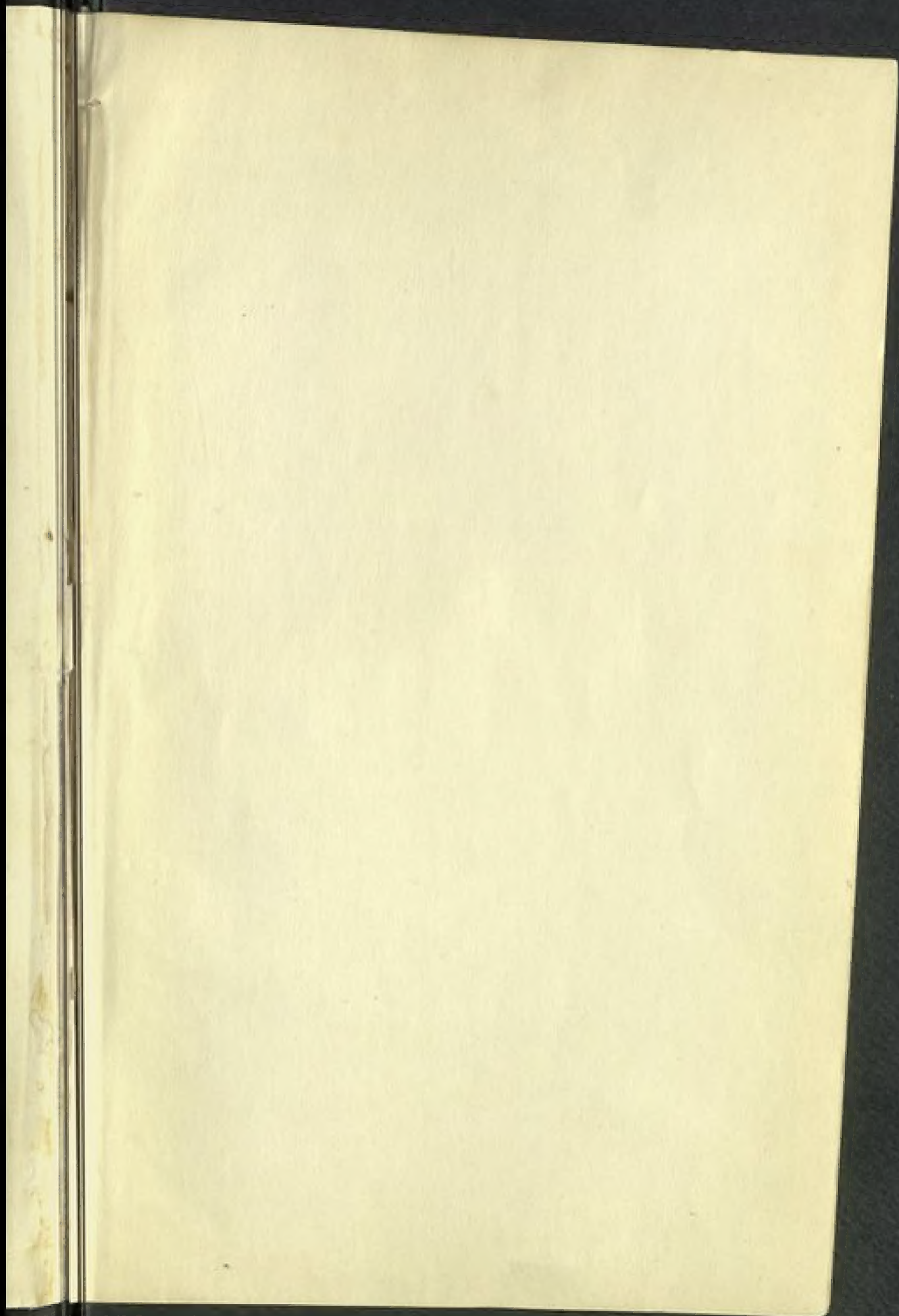














حاشية على



Cal. Feb. 1926







# حَاضِرُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

تأليف

لوثروب ستودارد

الأمريكي

Lothrop Stoddard

297

S867nA

1924

V.1

C.4

وفيه فصولٌ وتعليقاتٌ وحواشٍ مستفيضة  
من دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث  
ومنها

الأمير شيكبارسلان

نقله إلى العربية

عجاج توبخص

الجزء الأول

حقوق الطبع والترجمة محفوظة

القاهرة

١٣٤٣

29194

الْمُطْبَعَةُ السِّيَلَفِيَّةُ - وَمَكْتَبَتُهَا

لصاحبها : محب الدببة للطب وعبد الصالح شنون

كل نسخة يجب أن تكون محتومة بختم العرب

Cal. Feb. 1926



ملتزم نشر هذا الكتاب

بِجَيْدَةٍ تَرِي

صَاحِبُ طَبْعَةِ الْفَارَسِ وَمَكْتَبُهُ بِبَيْتِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« حاضر العالم الاسلامي » كتاب حديث الوضع ، نُقل الى عدة لغات أوروبية وشرقية ، وبعد إخراج طبع غير مرة في الانجليزية ، فذاع في أمريكا وأوربة ذيو عاً عظيماً ما كان مثله لكتاب غيره في بابهِ ، فأحله كثير من الساسة والمنصفين وأهل البحث والعلم الحل الأرفع ، وأقبلوا عليه ، واهتدوا به في الاخطاة الحقّة بكثير من طبائع الاسلام ، والانتقال الاسلامي على اختلافه في آسية وأفريقية قبل الحرب العامة وبَعْدَها ، واتخذوا منه عوناً على تدبر ما بين العالم الاسلامي وبين الدول الغربية المستعمرة من صلات وعلاقات ، حق التدبر . وقد شهد المحققون للعلامة ستودارد الأمريكي ، بصحة القول ، وإصابة العدل والحق في الحكم . ومما قاله ( مجلة المجالات ) الانكليزية عند صدور الكتاب ان صاحبه « ارميا القرن العشرين » (١) .

وقد رأيت في نقل « حاضر العالم الاسلامي » الى العربية خدمة بارّة ، رجوت اذا وقت الى القيام بها أن يتقبلها كل قارئ كريم بقبول حسن . فاستأذنت المؤلف في الترجمة ، فأجابني الى ذلك طيب الخاطر . وأمدني باذن خاص منه ومن شركتي الطبع الامريكية والانكليزية . فاشكر له هذا شكراً كبيراً وبعد الفراغ من ترجمته طلبت من حضرة العربي الكبير ، والسيامي الشرقي

(١) العلامة ستودارد مؤلفات أخرى شهيرة منها :

The Revolt Against Civilization	« الثورة على الحضارة »
The Rising Tide of Colour	« نهضة الشعوب الملونة »
The Racial Realities of Europe	« الحقائق الجنسية في أوربة »
Present-Day Europe : its National States of Mind	« أوربة اليوم : ذهنياتها القومية »

وشير ذلك .

الضليع ، الثقة في الشؤون الإسلامية ، كاتب المعصر صاحب السعادة الأمير  
شكيب أرسلان ، رعاه الله وأطال بقاءه ، أن يتفضل بكتابة مقدمة يُطرز بها  
جيد الكتاب ، فتفضل سعادته ، وهو على أسفار منلاحقة بين الشرق الأدنى  
وأوروبا ، بتلبية الطلب على النحو الذي سيمر بك في المقدمة التالية التي وضعها  
سعادته غير قصر فضله على وشل ما طلبت ، دون فيوض الفصول الممتعة ،  
والتعاليق الجامعة ، التي منها ما هو تحت المتن ، ومنها ما هو وارد مستقلاً مع سبق الإشارة  
إليه . جاء الكتاب بعد ذلك جامعاً للحسنتين : حسنة الوضع للعلامة ستودارد  
الأمريكي الغربي ، وقد بلغ من التوفيق في كتابه علماً وتحقيقاً ، مبلغاً عز على غيره  
من سبق الواضعين . وحسنة المزيد من فرائد الفصول والخواشي والتعاليق ،  
لصاحب السعادة الأمير شكيب ، الحجة السيامي الشرقي ، جزاه الله عما بذله في  
هذا السبيل خير جزاء ونفعنا بعلمه الواسع ، واضطلاعه الجامع . وكان الكتاب  
بأصله مجلداً واحداً فقد بعد المزيد مجلدين كبيرين .

وإني أشكر لحضرة صاحبي المطبعة السلفية العامة ما أنفق من عناية تامة ،  
وجهد دقيق ، في اخراج هذا الكتاب مجلدين ، حتى جاء رافلاً بثوبه هذا .  
والله حسبي وكفي

عجاج نوربرض

القاهرة ٨ رمضان ١٣٤٣  
٢ أبريل ١٩٢٥



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

الحمد لولايته ، والصلاة على نبيه ، والسلام على كل هادٍ الى سويته .  
وبعد ، فإنَّ الاوربيين الذين يغفرون في كل أمر ، ويحتلون كل سر ،  
ويوسعون كل قضية درسا ، ولا يسأمون في اطراف الارض بحثا ولا  
خصما ، يذهبون الى ان في العالم الاسلامي حركة شديدة ، وغاياتها  
عظيمة ، وان آسية وإفريقية ماخضتان بمحادثات خطيرة يكون من  
الجهل تجاهها ، ومن الخرق الاستخفاف بها . ومنهم من يغلو  
في تقدير هذه الحركة وتوسيع دائرتها ، فيرى الاسلام من اقصاه الى  
اقصاه متحسسا للقيام ، والشرق من أوله الى آخره متعقرا للصراع ،  
ويجد العالم القديم كله مستوفزا يريد ان يقتني اثر اليابان ، ليسترد مجدا  
سابقا ، ويستجد عزاً آنفا ، ويشحط عنه كل غريب ، ويكشف كل  
مغير ، وان الشرقيين لاسبغ المسلمين منهم ، يأبون الا استرجاع  
أملاكهم المنصوبة باصبارها ، واحراز حقوقهم المضمومة بحذافيرها .  
كما أن نفرا ناعم بالعكس ، يقولون ان الاسلام جسم متفكك الاجزاء ،  
متقطع الاوصال ، عاجز عن الصراع ، فاقد لأسباب الدفاع ، ينقصه  
العلم ، كما يعوزه السلاح ، لا يبرئ ولا يبري ، ولا يقدر على تودد  
ذات بال ، فن أحق الحق وأسفه السفه ان تقيم أوربا للاسلام وزنا ،

وان تحسب للشرق — حاشا اليابان — حساباً ، وان تمهل الاسلام في استصفاء ما بقي له على الاستقلال ، الى ان تكون عصمت مقادته على الراكب ، وعست فئاته على الغامز ، فالاحزم والاحوط هو مضاء أوربا في سياستها المبذبة على الفتح ، غير مبالية بصخب ولا اعتراض ، ولا متعرجة عن تفجير الدماء في شمع ثورة او منع انتفاض . ولهذا نجد هذه الفئة ممثلة في مطاعمها ، مستمرة في غلوائها ، مطيعة في اختلاس الممالك دواعي أهوائها ، لا تنظر الى العواقب ، ولا تتصرف في أمر قصر في محاذير ولا مراقب . وكان الناس يظنون ان الحرب الكونية بما أتت به من المثالات والعبر ، واجرت من جداول الدماء وسيول العبر ، وزفت من أمواه الحياة ، ونسفت من أركان العمران ، وانقذت من القناطير المقنطرة ، وطبرت من المجاهيد الموقرة ، ووضعت من الاعباء على كاهل البشرية ، وأورثت من الانسراق في كل عضو من اعضاء الهيئة الاجتماعية ، قد تذبذبت رجال الدول الى سير القصد ، ومراعاة الحق ، وإيثار الرفق ، والصدوف عن ترهات الخيف ، والتكلم بغير نغية السيف ، لانه من المقرر ان هذه الكائنة العظمى ، والطامة الكبرى ، كانت لها جملة عوامل أهمها التهافت على الاستعمار ، والتسابق على اقتسام الاقطار ، والظن بأن كل ما هو غير أوربي قائم هو آلة للاستغلال وموضوع للاستثمار . نخاب أيضاً الامل بالانعاز بهذه الحرب التي لم يُر التاريخ لها مثالا ، واخطأت الفراسة بان هذه المصائب والاهوال تلهم سياسة الدول الغربية رشداً واعتدالاً . بل رانت



المطامح على البصائر ، وغلب الجشع على الحسنى ، وطمست الاهواء  
 الابواب . مع انه كان يكفي هؤلاء مثلة مماهدة « قرساي » التي لو  
 كانت مبنية على قاعدة الانصاف لما احتيج اليوم الى لجنة الخبراء ،  
 ولما وقع ما هو واقع وما سيقع من الخصام والمراء ، وما سيفضي يوماً  
 الى حرب ثانية ، ومصائب تالية . وكذلك مماهدة « سقر » التي اضطر  
 واضعوها ان يمزقوها ، بعد تلك الدماء التي اراقوها ، والبلدان التي  
 غادروها خراباً ، وذرعوها اسنة وحراباً . فسمع أنهم رأوا خطأهم  
 صراحية ، ومع ان زرعهم لم يثمر الا شوكاً ، ومع ان العداوة قد  
 لقحت من ذي انف ، وان دواعي الحرب عادت اكثر مما بدأت ،  
 لا يريدون ان ينهوا عن ضلالهم القديم ، ولا ان يربعوا على ظلمهم  
 الجديد ؛ ولا ان ينظروا الى ما عليهم من الديون المجهضة الاحمال ،  
 ولا يفكرون فيما على ظهورهم من امثال الجبال ، وانما يعولون في حماية  
 مطامعهم على النيران المحرقة ، والقنابر المصهقة ، وعلى الحرب الجوية ،  
 باعداد الالوف المؤلفة من الطيارات التي يرونها اخصر طريقاً وأخف  
 مؤونة وأوحى قتلاً . ولا يلاحظون ما في قتل النساء والاطفال من  
 الفظاعة التي لا تليق الا بالمتوحشين الذين يأكل بعضهم لحم بعض ،  
 وما في تدمير المساكن على رؤوس الابرياء والوادعين من مخالفة دعوى  
 الانسانية التي يزعمون أنهم حماها في الارض .

فالعالم الاسلامي الذي لا يزال محور سياستهم قهره واعنائه ،  
 وتجريده من السلاح بكل وسيلة ، والحيلولة بينه وبين الاتحاد والتماصك

بكل حيلة ، احتياطاً من وراء رسفانه في قيوده الحاضرة ، واماناً على  
 ديمومة خنوعه لسلطتهم القاهرة ، لا يصح أن يقال انه بلغ من النهضة  
 الدرجة التي تكفل له حطم سلاسله الثقيلة ، واسترداد ممالكه العربية  
 الطويلة ، واستئناف مماله الحالية ، ومصيره مع العالم الاوربي الى  
 حالة متساوية . ولا أدرك بهذه السنين القلائل من اليقظة ما يكفي  
 لتجديد ما اخلاق من حاله ، واستشن من شأنه ، بل لا يزال وباللأسف  
 الجهل غلباً على أكثر آفاته ، وما برحت المصيبات الجاهلية عاملة عملها  
 في تفكيك عراه وبثرة أجزائه ، كما أن الرعب من سطوة الاجانب  
 الا من رحم ربك ملء الجوانح ، واليأس من استطاعة القيام فاش في  
 الافكار والخواطر . وكأنه الى هذه الحالة بعينها نظر النبي ﷺ حينما  
 قال : **يوشك أن تداعى عليكم الامم من كل جانب تداعى الاكلة على  
 القصاع . قالوا : أو من قلة منا يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا . ولكنكم  
 غناه كغناء السيل يُجعل الوهل في قلوبكم ويُزعج من قلوب  
 أعدائكم ، من حبيكم الدنيا وكرهيتكم الموت** » أو كما قال . نعم صار  
 المسلمون ، الا الأقل منهم الى زمان لا تغني عنهم كثرتهم شيئاً ، بل  
 صارت الفئة القليلة من غيرهم تتحكم في الفئة الكبيرة منهم ، وتخبطهم  
 بكل عصا ، وهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، وراح الاجنبي  
 يفتح بلدانهم بهم ويسلط بعضهم على بعض ، ويقتل هذا بذاك مستفيداً  
 من قتل الاثنين : الذي يقاتله والذي يقاتل معه . واذا سألت أحدهم  
 لماذا اعطاء هذه المقادة كلها واقتحام الموت في سبيل الاجنبي الذي



تقلب عليه ، أجا بك انه انما يساق الى الموت رغماً ، والحال أن الموت  
الذى يخشاه في عصيان الاجنبي ، هو ملاقيه في طاعته ، فهو من خوف  
الموت في الموت ، ومن حذر العذاب في أشد العذاب . فلا بد  
لاستقلال الاسلام ، من زوال هذه الاوهام ، ومن انتشار المعارف  
التي لا تجتمع مع الذل في مكان ، ولا تهرح دون تلك الغاية مصائب  
وُفُوح ، ومصائب وُغُوم ، وليال مظلمة طوال ، ومعارك تشيب لها  
ذوائب الاطفال . وانما الذي يخطي فيه سكارى المرء ونشأوى الساعة  
الحاضرة من الاوربيين ، اعتقادهم انها حالة ستبقى على الدهر ، وان  
ثلاثة وأربعين مليوناً من المسلمين سيلبثون الى الابد رهن اسارهم  
وفرسة استعمارهم ، ووقود نارهم ، واعتبارهم الشرقيين عملةً يسمن  
الغربيون بهزاهم ، ويسعدون بشقائهم ، ويقوون بضعفهم ، ويحيون  
باحتفهم . حقاً لقد تجاوزوا الحد ضاللاً وغروراً ، واستكبروا في أنفسهم  
وعتوا عتوا كبيراً ، وظنوا انهم انما كتبت لهم السيادة خالصة من دون  
الناس وأمنوا جفوات الايام ، واخذوا الطريق على الفلك الدوار فلا يدور  
لهم الا بحسب المرام . كلا هذا منهم خيال زائل ، وروح أرق من شبح  
باطل ، فان يبقى الشرفيون ابد الدهر مدنفه هينة عليهم نفوسهم وان  
يصبروا أكثر مما صبروا على أن يسلي أمورهم من ليس منهم ، ولا بد  
أن يأتي الزمن الذي يصبح كل فيه سيداً في دياره ، مانعاً لدماره ، مساوياً  
في الارض لمن ظن سلطانه سرمداً ، ودوره مؤبداً ، وعمل اليوم عمل  
من لا ينظر ما يكون غداً ، لا سيما المسلم الذي يقرأ كل يوم في قرآنه

ما يجعله بكل جراحة من جوارحه رجلا ولا يرضى له بالاستقلال  
 بدلا ، وينفخ فيه من روح الالفه ما يصور الذل كفرا ، ويلقى في  
 روعه من حب العلم ما يصير الجهل وزرا ، ويحتم عليه من الاخذ  
 بالسياب القوة ما يخيّل الضعف شركا . كلا ان يلبث الشرق لدى دول  
 الاستعمار هو الشحمة الرقعى ، والامم التي لا تملك لانفسها حقما ، ولا  
 تنفض عن أعناقها رقما ، ولا يمكن أن يظل الاوروبي سيد الارض  
 غير مدافع وصاحب الحكم غير مزاحم ، متسلطا على ما في الدنيا من  
 الجهات النفيسة ، مستاثرا بما بين المشرق والمغرب من الجنبات  
 الرئيسة ، فلم يبرح الدهر قلبا ، والدوام محالا ، والتاريخ يركب الامم طبقا  
 عن طبق ، ويلحق من تأخر بمن سبق ، وما من بهشة الا ورائها  
 جهشة ، وقد كذب من طمع في صفو بلا كدر ، وصمود بلا حذر .  
 ومن أعظم الخطأ الظن بأن الشرق لا يُلمَّ على شمت ، وأن آسية  
 وافريقية لن تمضا من عشار وهما ثلثا العالم ، ولقد سار الشرق في مدة  
 وجيزة عفتبات جيادا ، واجتاز أزمات شدادا ، وهو ماض في سيره  
 الى الامام لا سبيل بعد اليوم الى تمويقه ، ولا حاجز يمكن أن يقف  
 في طريقه ، بدسائس تلقى ، ومبالغ سرية تنفق ، وأخلاق تُفسد ، وذمم  
 تُشرى وأشرالك تبث ، وأسيف تُسل . ولا المخلقات في الجلو تقدر على  
 كم الافواه ، ولا الغازات السامة تقوى على إطفاء نور الله ، وما تزيد هذه  
 الوسائل تلك الامم المستضعفة الاشوقا الى الحرية ، ونداء الى الثارات  
 واصراراً على الضغائن ، ومهما يكن من حيل العباد فللكون سنن



هو سائرہ ولله امر هو بالغہ .

وفد كتب كثير من المؤلفين الاوربيين على الحركة الاسلامية بعد الحرب ، فمنهم مخطيء ومنهم مصيب ، ومنهم من خلط قولاسديدا وآخر بعيدا . ومنهم من تكهن بالشر وانذر بالويل . ومنهم من أحسن الظن وهدى الى الطيب من القول . ولا شك في كون خبرة ما ألف في هذا الباب ، ونيلة ما خيض من هذا العباب ، هو الكتاب المسمى « بالعالم الاسلامي الجديد »<sup>(١)</sup> تأليف العلامة الحصيف البليغ المستر ستودارد الاميركي الذي أخرجه كتابا جامعا وشهابا لامعا ، وحصيلة بحث دقيق ، ونتيجة احفاء عميق ، فهو في هذا الموضوع أفضل المؤلفات على التحقيق . توخى صاحبه العدل في الحكم والاعتدال في الوصف والوقوف عند اعتراض الشك ، وأبى القاء الكلام على رؤسايانه وازنا الامور بيزانها غير مقصّر ولا مشطّ ، ولا مفرط ولا مفرط وهو الامد الذي يكتبو دونه جواد غيره من المصنفين ، والغاية التي لا تتاح الا الافذاذ من صيابة الحقّتين . وضعه محرره باللغة الانكليزية ، وترجمه بعضهم الى الفرنسية ورجعوا ترجم الى غيرها من اللغات الاوربية ، ونقله أحد أدباء الترك الى التركية ، ولكن أكثر من أعجب بهذا الكتاب هم أدباء العرب ، فقد تبارى عدة من أفاضلهم في تعريبه خدمة لقومهم

(١) هو بالانكليزية The New World Of Islam وقد رأينا أن ترجمته بـ «عالم العالم الإسلامي» أو «عالم الإسلام الحديث» وأدل على الفرض من العالم الإسلامي الجديد ، أو العالم الإسلامي الحديث ، أو عالم الإسلام الجديد ، أو عالم الإسلام الحديث .  
(المعرب)

ونصحاء ، وانبرت أقلام مرهفة لجلاء عرائسه على منصة هذه اللغة  
 الفصحى ، وانما سبق غيره الى الأتمام ، الشاب الأديب الكاتب الناهض  
 عجاج افندي نوبهض ، فبرزه في حلة من نسيج الضاد تشده بها نطق  
 النطق ، وتقرن بها خلاوة العبارة بلسان الصدق . وكان قد كتب الى  
 في العام الماضي وأنا في أوروبا يلتمس مني تصدير هذا الكتاب بمقدمة  
 تليق بمقامه الخطير ، وتكون في أوله مقدمة وهي في الحقيقة من  
 ورائه ظهير ، وكنت قبل ذلك اطلعت على هذا الكتاب ووقفت على  
 ما فيه من جمال مناج ، وسداد آراء ، وسمت حسن الاحدثة عنه ممن  
 يعرفون الحُر من الخل من القراء ، فرأيت لاضطراره الى الاجال ،  
 وعدم تعرضه لكثير من المسائل الأ على سبيل الإبقاء ومن قبيل  
 الاستشهاد ، يحتاج في بعض المظان الى الإكمال أو الإيضاح . فملت  
 عليه مما أملاه الخاطر للفان حواشي رجوت أن تكون طرازا لخبره ،  
 ونظاما لدرره ، وأوردت فيه من أخبار العالم الاسلامي ما لا يزال  
 مجهولا عند أكثر المسلمين ، ومعظم الشرقيين ، إملة تنامي البلاد  
 وتراخي الإبعاد ، وضرب الدول المستعمرة بالاسداد فكانت طريقتي  
 في هذه التعليقات ترك ما استفاد العلم به وتواتر الخبر عنه ، ولو كان  
 في حد ذاته جللاً ، الى البحث عما خفي شأنه ، وعنى خبره ولو كان  
 أمره قُرُطاً ، فاعتنيت بقدر الطاقة بتحرير المواضيع الغامضة والمسائل  
 الغريبة ، ونحريت أنباء الاصقاع النائية ، دون البلدان القريبة . اذا  
 من فائدة في البحث عن قضايا تساوى الخاص والعام في فهم معناها



وسرد أخبار لم يبق قصري ولا نهي إلا رواها أو علم خواها، فتعاشيت  
في هذه الحواشي التواريخ المشهورة المكررة، والمعلومات التي في كل  
يوم منها خبر في الصحف المنشورة، بغلات بابكار من المواضيع لم تجاها  
الافلام لحداثة عهدا وأخرى من أخبار زوايا من بلاد الاسلام  
عميت أحوالها لا تقطاعها وبعدها، وقد اخترت فيها كلها التلخيص  
اذ لو أدرخى فيها الكتاب عنان القلم لما حوتها اجلاد، ولا وفي بها جلد  
ولا اجتهاد. هذا وان رأينا الذي نمول عليه أولا وآخرأ، ونرجع اليه  
باطنا وظاهرا، ان الشرق أجمع سيتذبذبه من رقده، وينهض من كبوته،  
وانه كما شهد القرن التاسع عشر استقلال أميركا بأسرها، فسوف تشهد  
بقية القرن العشرين استقلال آسية بمرونها وزرّها، وانه لا تعضي  
التمانون سنة الباقية لتمام هذا القرن حتى إلى الاسلام بلاءه، ويبلغ من  
نعمة الاستقلال مراده، ليس هناك كهانة ولا عرافة، ولا هي مقاصد  
تدرك بالرقي أو العيافة، ولكن يُعرف المستقبل من الحاضر، ويدل  
الاول على الآخر. هذا وان نهوض الشرق هو الشرط الاول في سؤدد  
السلام، وراحة الانام، وحقن الدماء الحرام، وحفظ موازنة العالم  
واستواء الانسام. وما دام الغربيون يرون الشرق لجيوشهم مجالا،  
والاستعمار لدول أوربا دليلا تقفوه بيننا وشمالا، فالخروب بين الدول  
قائمة متتامة، إلى قيام الساعة، والاختراعات التي تفتخر بها المدنية  
مصرفة إلى استئصال البشر وناهيك ما في مدنية كهذه من الشناعة،  
وما دامت جمعية الامم مثل العروض بحراً بلا ماء، ما وجدت الا

اتلبس الاعتداء حلة قانونية ، ونسوخ الفتوحات بتغيير الاسماء ،  
لا يطعمها سوى ضعيف عاجز ، ولا تستطيع أن تحكم على قوي متجاوز ،  
فكيف ينطلي الحق بالثرثرة والحق أباج ، وكيف يستقيم الظل والعود  
أعوج ، فلا مندوحة للامم الشرقية عن الاقتداء باليابان في التماس المنفعة ،  
ومضاربة الدول الغربية في ارتياد العلم واقتباس الصنعة ، حتى اذا قرع  
الذنب بالذنب ، ووقع النصل على النصل اقتنع كل بدياره ، وأمسك الجار  
عن هضم جاره ، فان المال السائب هو الذي يعلم الناس الحرام . وان  
الخوان الممدود هو الذي يبعث الاشتهاء الى الطعام . فليحرص  
الشرقيون من كل فريق أن يكونوا أولى قوة مانعة ، وان يوحّدوا  
كلمتهم فيجعلوها كلمة جامعة ، فان بقوتهم خلاص الغرب والشرق ،  
والادالة من الحرب لاسلم ومن الباطل للحق ، بحول الله وكرمه .

شكيب أرسلان

مرسين ٢٥ شباط سنة ١٣٤٣  
٢١ مارس سنة ١٩٢٥



# فهرس الموضوعات

## للجزء الاول

تمهيد للمؤلف

١	مقدمة في نشوء الاسلام وارتقائه وانحطاطه
٣٢	الفصل الاول : في اليقظة الاسلامية
٦٠	الفصل الثاني : في الجامعة الاسلامية
١٦٧	مسلمو الصين ( تعليق )
١٨٥	» مسلمو الجاوى وما جاورها
١٩٦	» مسلمو الروسية في عهد البلاشفة
١٩٩	» السيد جمال الدين الافغاني
٢١٠	» الاسلام والجنود السوداء
٢٤٩	» الاسلام في افريقية
٢٨٦	» مجاري الدعوة الاسلامية في افريقية
٣٢٣	» العرب في الكونغو
٣٢٥	» سلطنة راج
٣٣٠	» شرقي افريقية
٣٣٦	» مسلمو الحبشة
٣٦٦	» الاسلام في ماداغسكر وجزائر القومور
٣٩٣	» الامير محمد بن عبد الكريم زعيم الريف
٤١٠	مسلمو الفلبين

## تمهيد للمؤلف

ان العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ، قد تفلقت فيه عوامل الانقلاب أبعد متقابل ، وانبتت في عروقه فواعل التبدل أوسع مُنبث ، حتى كمل اختباره ونم استعداده ، فراح يجتاز هذا الدور الخطير في التحول ، نوآر القوى الى ملاحده . فإذا ما سرحت ببصرك نحو العالم الاسلامي رقعة رقعة ، من مرا كش حتى الصين ، ومن تركستان الى الكونغو ، رأيت الى ٣٠٠ ، ٤٠٠ ، ٥٠٠ من المسلمين ، قد نارت نفوسهم مشددة الحركة والانفعال ، نازعة الى كل ضرب جديد من ضروب الآراء والافكار ، والمطامح والآمال . وان عقي هذا الانقلاب الشامل اعظيمة جداً ، وستتأثر بنتائجها العميقة أمم الارض جمعاء ، والله الامر من قبل ومن بعد .

على ان العامل الاكبر في هذا الانقلاب هو الحرب العامة . ولكن منشأ ليراه المستقضى اقدم عهداً وأبعد أصلاً ، اذ ان بتورده قد انقبت في تراب العالم الاسلامي قبل الحرب الكبرى بمئة سنة بل أكثر ، ومنذ ذلك الحين درجت هذه البدور تنمو وزيادة الاستعداد والقوة الحيوية ، نحواً مستسر المنهج ، بطيء الحركة في أول العهد ، ثم على التسوالي أوضح سبيلاً وأوسع انتشاراً ، وما زال الانقلاب الاسلامي على مسراه هذا حتى أدركته الحرب العامة التي قد تضعض منها الكيان ، فكانت عامل الثورة فجأة في المعمور الاسلامي ، فطفق ينور ويهتاج منتقلاً من حال الى حال ، مربدة الجوى بقاتم السحب ، لا يسمع فيه السامع الا الفواصف .

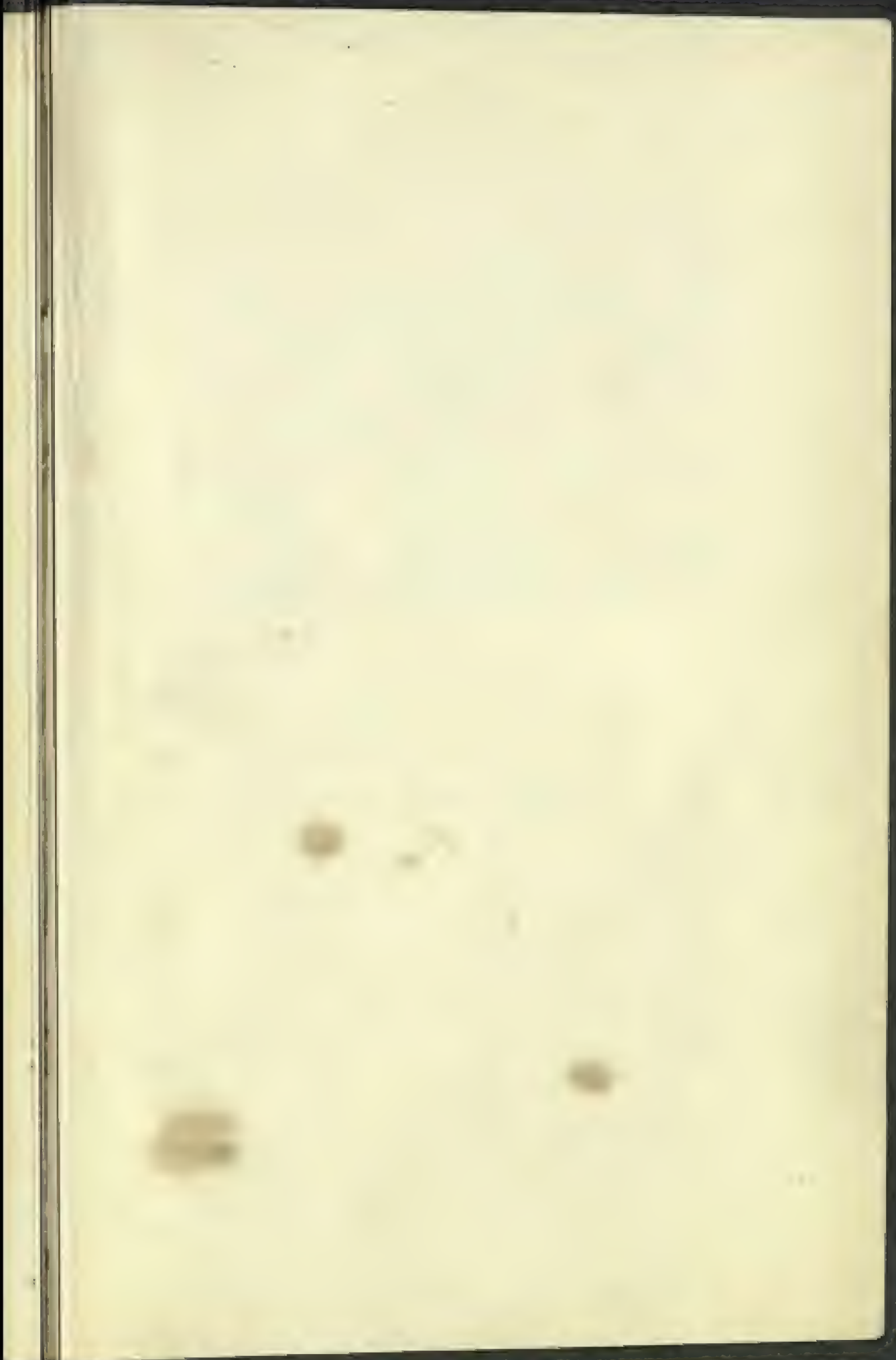
وان وصف هذا الانقلاب العجيب ، ودور التحول العظيم ، وما اليه من مختلف الاسباب والعلل والنتائج ، هو غرضنا الذي قد ابتغيناه من اخراج هذا



الكتاب للناس . وقد كنا في ذلك من الذين يصورون الشيء كاملاً تاماً فأينما على بيان كل صور الانقلاب من دينية ، وتهدية ، وسياسية ، واقتصادية ، واجتماعية وفي كل من هذه تناولنا الكلام على سببها ونكونها ، ونشوتها وترقيتها ، وعمومها وانتشارها ، وصفاتها وحالاتها ، وما فيها من قوة انسياق وعامل . اضع الى هذا اننا لم نفعل ايضاح ما في بعض المواضع من الاختلاف بسبب الاقليم والبيئة ، من حيث اننا قد بسطنا تلك المضارعة العامة والصفة الكلية ، مما هو مصاحب لجميع الحركات على اختلافها مصاحبة دالة على ما هنالك من وحدة متوخاة في هذا الانقلاب الاسلامي .

ان موضوع الكتاب وان كان مخصصاً بالعالم الاسلامي في المقام الأول ، غير انه تناول الكلام على غير المسلمين ، كالعناصر الهندوية ( الهندوس ) في الهند وسواهم استيفاءً لغرض من جميع الوجوه التي لها صلة بالموضوع . لذلك جعلنا الكلام كافياً وافياً في شأن الشرقيين الادنى والاوسط . أما الشرق الاقصى فلم نتناول الكلام في احواله مباشرة ، ولكننا قد اشرنا الى ما هو مشاهد من الشبه والمماثلة بينه وبين العالم الاسلامي في الماجريات العامة اشارة ينبغي للقارىء ان يقيم لها وزناً .

لوتروب ستودارد





# مقدمة

في

نشوء الاسلام وارتقائه وانحطاطه

يَعْنِي الْبَرَّايَا وَيَأْتِي الْوَقْتُ مُخْتَلِفًا  
لِيُخْرِجَ الدَّهْرُ تَارِيخًا مِنَ الرَّقْمِ  
«شيل (في وليم تيل) تعريب الرافعي»

كاد يكون نبأ نشوء الاسلام النبأ الاعجب الذي دون في تاريخ الانسان.  
ظهر الاسلام في أمة كانت من قبل ذلك العهد متضععة الكيان ، وبلاد  
منحطلة الشأف ، فلم يمس على فلهسوره عشرة عقود حتى انتشر في نصف  
الأرض ، ممرقاً ممالك عاليسة الذرى مترامية الأطراف ، وهادماً أديانا قديمة  
كرت عليها الحقب والأجيال ، ومغيراً ما بنفوس الأمم والأقوام ، وبانياً  
عالمًا حديثاً مترام الأطراف — هو عالم الاسلام .

كلما زدنا استقصاءً باحثين في سر تقدم الاسلام وتعاليه : زادنا ذلك  
العجب العجيب بهراً فأرتدنا عنه بأطراف حاسرة . عرفنا أن سائر الأديان  
العظمى انما نشأت ثم أنشأت تسير في سبيلها سيراً بطيئاً ملاقية كل صعب ،  
حتى كان أن قبض الله لسكل دين منها ما أراد له من ملك ناصر وساطان قاهر  
انزعج ذلك الدين ثم أخذ في تأييده والدب عنه حتى رسخت أركانه ومنعت  
جوانبه . بطل النصرانية قسطنطين ، والبوذية «اسوكا» ، والمزدكية قبا كسرو

كفل منهم ملك جبار أيد دينه الذي انتحله بما استطاع من القوة والأيد .  
 إنما ليس الأمر كذلك في الاسلام . الاسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية .  
 تجوب فيها شتى القبائل الرحالة التي لم تكن من قبل رغبة المكنة والمنزلة  
 في التاريخ . فسرطان ماشرع يتدفق وينتشر وتتسع دقته في جهات الارض ،  
 مجتازاً أفدح المطلوب وأصعب العقبات ، دون أن يكون له من الأمم  
 الأخرى عون يذكر ولا أزر مشدود . وعلى شدة هذه المكاره ، فقد نصر  
 الاسلام نصراً عبيناً عجيبة ، إذ لم يكده يبغي على ظهوره أكثر من قرنين ،  
 حتى باتت راية الاسلام خفافة من « البربريس » حتى « حملايا » . ومن  
 صحاري أواسط أسية حتى صحاري أواسط أفريقية .

كان نصر الاسلام هذا النصر الخارق ، عوامل ساعدت عليه ، أكبرها  
 أخلاق العرب ، وماعية تعاليم صاحب الرسالة وشريعته ، والحالة العامة التي  
 كان عليها المشرق المعاصر في ذلك العهد . إن العرب ، وإن كان ماضيهم ما  
 برح منذ عهد متناول في القدم حتى عصر الرسالة ماضياً غير مشرق باهر ،  
 فقد كانوا أمة استودعت فيها قوة عجيبة ، تلك القوة الكامنة التي بدأت  
 منذ نشوء الاسلام تظهر جلية إلى عالم الوجود . فقد ظلت بلاد العرب أجيالاً  
 ملوالة من قبل محمد ، مباءة يشتد فيها زخار القوى الحيوية ، وجيوشان  
 العوامل الروحانية . كيف لا وكان العرب قد غافوا آباءهم وأجدادهم ، يغالوا في  
 الشرك والوثنية ، وانقضى عليهم وهم على هذه الحالة عهد ليس بالقيل حتى  
 استحالت عناصر أممهم من شدة ذلك كله فصاروا تواقين بفعل غرائزهم  
 وأخلاقهم إلى تبديل حالهم وتحسين شأنهم . هكذا كانت حالتهم العقلية  
 والنفسية . حالة الاستعانة الكبرى ، والاقبال العظيم ، والاستعداد  
 الكبير ، لما صاح فريهم نير الاسلام . إن محمد وهو عربي من العرب ، الروح  
 قومه متجسدة ، ونفسهم متجسمة . استطاع محمد ، وهو يشر بالوحدةانية  
 نبشيراً عارياً عن زخارف الطقوس والأباطيل ، أن يستنير حتى الاستنارة من



نفوس العرب الغيرة الدينية ، وهي الغيرة السكائمة متمكنة على الدوام في كل شعب من الشعوب السامية . واذهب العرب لتصرة دعوة ابن عبد الله ، من بعد ما ذهبت من صدوره الاحن الزمنة ، والعداوات الشديدة التي كان من شأنها من قبل الذهاب بجوهرهم وقوتهم . والضم بعضهم الى بعض كالبيداني المرصوع تحت لواء الرسالة في رأسه نور للناس وهدى للعالمين ، أخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم في شبه الجزيرة ، ليقتحوا بلاد الاله الأحد الفرد الصمد .

أجل ، هب الاسلام من شبه الجزيرة هبوب العاصف الزرع ، فلاف في سبيله جواراً روحانياً خالياً . في ذلك العهد كانت كلتا مملكتي فارس وبيزنطية باذيتين للعيان كأنهما اللحاء الجاف فارق عوده لانمو في ولا حياة . وكان الدين في كل من هاتين المملكتين صار ديناً يزرى غايته ويخر منه . اما في فارس فقد كان دين « المزدكية » القديم قد انحط انحطاطاً كبيراً حتى أصبح مجوسية باطلة وصناعة خداعة بين أيدي الموايذة يظنون به الخلق ويضطهدونهم بكل قسوة . فكره الناس ذلك الدين في الباطن كرهاً شديداً ومقتوه مقتاً عظيماً .

واما في القسم الشرقي من المملكة الرومانية ، وهو مملكة بيزنطية فقد ألبس الدين فيها لباساً غير لباسه الأول فاستحال الى الأباطيل الشركية وانتشرت فيه الأوهام والخرعبلات التي كان يقوم بها علماء الدين اليونانيون ذوو العقول الضعيفة والآراء الفاسدة . فعدت النصرانية عبثاً وسخرية . وعلى الجملة فقد كانت البدع والضلالات قد مزقت « المزدكية » الفارسية والنصرانية البيزنطية شراً شراً . وهذرت في كل منها بذور الاضطهادات الحمجية والعداوات الوحشية ، فنمت تلك البذور ثوراً هائلاً . ولا يفر من البال انه كان على رأس كل من بيزنطية وفارس سلطان مستبد قهر . وملك عات أرهق الرعية ارهاقاً لا قبل لأمة باحتمال مثله . فانت كل عاتقة من

عواطف حب الوطن والاخلاص للدولة . زد على جميع ذلك ان هاتين المملكتين كانتا على حال من الضعف شديدة بعيد حرب طاحنة انقضت ايراتها بينهما خرجت كلاهما منها مفتورتاً في عضدها ، منهوكة قواها .

هكذا كانت حالة العالم لما غشيه طوفان الاسلام ، وعلى هذا الاعتبار فان العقبة التي رآها العالم بعيد ذلك كانت مما لا بد منه ولا منتدح عنه . وجميع ما في الامر ان كتاب المملكة الرومانية الشرقية ومتدعة فارس ، كانت من قبل خواضة حرب فتاكة ، لم تقو الاكن على صد حملة الحاملين عليهما من امة الصحراء المتعصبة ، فسقطت امام الفاتحين العرب سقوط التلاشي والاعياء ، فلهذا لم يدافع المغلوبون عن اوطانهم حساً ابطلاً ، بل ان هذه الامم التي كانت حتى الفتح الاسلامي مدقوقة العنق من جانب ملوكها ، قبلت الفاتحين مستسلمة ، فقام عديد ارباب البدع يشعلون فرحاً وسروراً لنجاتهم من نير المضطهدين الممقوتين . ولم يمض سوى اليسير من الزمن حتى كان السواد الاعظم من هذه الامم المغلوبة قد دخل في دين النبي العربي افواجاً ، اشارة له بجذته وسداجته على ذينك الدينين اللذين صارا غاية في الانحطاط والتدني . وقد عرف العرب بدورهم كيف يستدنى الحكم ويوثق السلطان حتى دانت لهم امور الملك واستقرت نقطة دائرتها في ايديهم . فالعرب لم يكونوا قط امة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا ، على الضد من ذلك ، امة موهوبة جليل الاخلاق والسجايا ، توافقة الى ارتشاف المعلوم ، محسنة في اعتبار نعم التهذيب ، تلك النعم التي قد انتهت اليها من الحضارات السالفة . واذ شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج ووحدة المعتقد . كان اختلاط بعضهم ببعض سريعاً ، وعن هذا الاختلاط نشأت حضارة جديدة - الحضارة العربية ، وهي جماع متجدد التهذيب اليوناني والروماني والفارسي ، ذلك الجماع الذي تفتح فيه العرب روحاً جديدة . فنضر وأزهر ، وألقوا بين عناصره ومواده بالعنصرية العربية والروح الاسلامية ، فاتحد



وتماسك بعضه ببعض ، فأشرق وعلا علواً كبيراً . وقد سارت الممالك  
الاسلامية طيلة القرون الثلاثة الأولى من تاريخها ( ٦٥٠ — ١٠٠٠ م ) أحسن  
سير ، فكانت أكثر ممالك الدنيا حضارة ورقياً ، وتقدماً وعمراناً ، مرصعة  
الافطار بجواهر المدن الزاهرة ، والخواضر العامرة ، والمساجد الفخمة ،  
والجامعات العلمية المنظمة ، وفيها مجموع حكمة القدماء ومخترن علومهم ، يشعان  
اشعاعاً باهراً . طيلة هذه القرون الثلاثة ما انفك الشرق الاسلامي يضيء على  
الغرب النصراني نوراً ، ثم غابت كواكبه ، وأفلت أنجمه ، حتى أدركته ليلاليه  
السوداء وأجياله المظلمة .

لم يكد يستهل القرن العاشر حتى تبدت الظواهر الواضحة تدل على  
حينونة العهد الذي أخذت فيه الحضارة العربية في الانحطاط ، وما كانت تلك  
الظواهر لتكذب فيما دلت عليه ، غير أن تلك الحضارة إنما كانت في أوائل  
عهد الانحطاط تهبط دركةً دركةً ، وعلى هذه الحال المستمرة ، وانقضاء  
العصر العربي منذ القرن العاشر ، فقد دامت الحضارة العربية جلدةً تنزع  
حياتها من مغالب الفناء انتزاعاً ، وسابقة للغرب النصراني ، حتى حلول النازلة  
الكبرى التي حلت بساحتها في القرن الثالث عشر . وكانت الاسباب في انحطاط  
الحضارة الاسلامية جهةً ، أشدها أن روح الشقاق القديمة الاصل ، تلك  
الروح التي كانت على الدوام آفة سياسية تنخر في جسم الدولة ، عادت فظهرت  
اذ نشأ التنازع على امارة المؤمنين ، وهذا التنازع قد أفضى الى فتن دموية ،  
وهذه الفتن وما فيها من حوادث الاغتيال وسلب الارواح قد أنتت تلك  
الحرارة التي عرفت في صدر الاسلام ، فقام مقام الابطال الأول ، مثل  
أبي بكر وعمر حاملي لواء الاسلام الأولين ، امرء دنيويون اتخذوا الخلافة  
وسيلة للجور والظلم ، والتباهي بمتاع الدنيا واعراضها . وكانت الخلافة في  
المدينة في الحجاز ، ثم نقلت الى دمشق في سورية ، ثم الى بغداد في العراق .  
أما في الحجاز فلم يكن البغي ولا الاستبداد هناك مستطاعاً ، لأن عرب

الصحراء الاشداء ، أهل الاستقلال والحرية ليس من شأنهم الخضوع لحاكم قاهر ولا الاتقياد لأمر مرهق ، وقد أوصاهم النبي بالحرية والشورى ؛ فقال لهم قولاً مبيناً « إنما المؤمنون أخوة » (١) وقد كانت الخلافة في الحجاز شوروية قائمة على قواعد الاسلام الصحيحة واركانه . فالامة هي التي اختارت أبا بكر وعمر وولت كلا منهما عاينها خليفة ؛ وكلاهما كان ينزل على رأي الامة وحكمها ، وذلك على مقتضى الشريعة التي أوحى الله بها الى نبيه محمد وهي القرآن الكريم وأما في دمشق ؛ ولا سيما في بغداد ؛ فقد تحولت الاحوال وتبدلت الأمور ، ولا يعجز عن ذلك والعرب الصحراء الاقحاح ، الجاري في عروقهم الدم العربي البحت . الدم المنحدر اليهم من أصلاب أبناء الجزيرة ، انما كانوا فئة قليلة في أهواج الناس وطوائف الخلق الذين لا عداد لهم من أهل الشام وفارس وغيرهم من سائر المغلوبين المنتصلين بالاسلام حديثاً ؛ فامتزج دم الغالب بدم المغلوب ؛ وجمع الاسلام بين الاجناس المختلفة والنحل المتنوعة . ولما كانت جميع هذه الشعوب المغلوبة قد سئمت الذل من ملوكها السابقين فعادت بسبب ذلك لا تقوى على احتمال الارهاق والصبر على المحنة . لحدائق مادانت خاضعة معادية للخلفاء المسلمين الذين أخذوا على التوالي يسطعون ويستكفون من هذه الرعايا عمالاً وحاشية ؛ وبالتالي جندياً لحراسة سياج الملك والذبح عن حياض الدولة . وما زال الأمر هكذا حتى عرا الملوك العربي ماعزاه من النوائب ؛ فأخذ كل سلطان العرب ، وقد ولت غرر أيامهم ، يتقلص الى الصحراء ، وأنشأت حكومتهم تنقلب الى مطية من مطايا الاستبداد الشرقي . ولما نقلت الخلافة الى بغداد بقيام دولة بني العباس ( ٧٥٠ م ) ازدادت كلمة الفرس نفوذاً وامتد شأنهم وسلطانهم الى كل زاوية من زوايا الدولة ، وما الظليخة الأعظم هرون (٢)

(١) هذه آية قرآنية وليست حديثاً نبوياً — العرب

(٢) نعم كان هارون الرشيد جباراً سفاكاً للدماء على قسط غيره من ملوك الشرق المستبدين . وقد كان يعطش بالامام الشافعي فتهمه انه يميل الى أولاد علي . كما ان ولده المعتصم أمر بضرب الامام احمد بن حنبل لانكاره القول بخلق القرآن . وكما ان ملك بن ابي اسام دار الحجره ضرب



الرشيد ، بطل «الفليحة وليلة»<sup>(١)</sup> إلا الملك العربي على شاكهة ملوك الفرس  
مثل فيا كسرو وكسرى انوشروان ، خلافاً لكل الخلاف لما كان عليه أبو بكر  
وعمر . وفي بغداد كما في غير هامن سائر حواضر المملكة الإسلامية كانت  
الاستبداد مقوضاً لأركان الدولة إما تقويضاً . فغدا خلفاء النبي وهم على هذه  
الحال طغاة مفسدون ، وألاعيب بين أيدي الخطايا لا يستطيعون القيام بعد  
بعيد من إعلاء السلطان ولا القيادة بزمام من أزمة المملكة الإسلامية

ما انشكت المملكة تهبط وتتقفر حتى تقطعت أوصالها ، وتفككت  
أجزاءها ، وسلبت منها ، فصارت الوحدة السياسية مما لا استطاع دوامه  
لافتقار الدولة إلى قواد محنكين ، ولعمري ذلك المزاج الإسلامي الصافي الجامع  
لسبانيا عرب الصحراء الأول ، وقبيل ظهور الإسلام كان أهل كل مصر من  
المصار التي انتشر فيها فلم اكسرة الفرس وفياصرة الروم ، يزعون مزعماً  
قومياً ويحاولون نهضة وطنية ، فجاء الفتح الإسلامي طامياً ، قاضياً على جميع  
هذه المنازع ، أما الآن ، والمملكة الإسلامية محتضرة في الزرع ، فأني  
استطاع النبي ، مثل ما جني ، به في صدر الإسلام ، استطاع الإسلام أن يجعل  
الملايين من الخلق على اختلاف عناصرهم وأمزجتهم ومعتقداتهم ، يلتحلون  
الرسالة المحمدية ديناً ، ولكنه لم يستطع أن يجعل هذه الملايين إلى صورة  
إسلامية متماثلة البليان ثابتة الصبغة ، فاعترض الأزدراء شجراً ، وساء

في أيام انصور لقوله ليس لشركاء دين . فلذلك هذا هو العمق مع مثل أولئك الائمة المظالم  
مصابيح الإسلام ، الذين اردوا برأيتهم وشرعوا قوانينهم ، وكانوا من العلم والرهمة والتقوى  
بما كان الذي لا ينفي ، لما ذلك بخلاف غيرهم من الامة . والحقيقة ان الخلافة لم تستقم أمرها على  
مراد الشارع الا مدة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ثم طالت بعدهم أن صارت بالارث ملكاً  
عظيماً « ش »

(١) كتاب «الفليحة وليلة» الوارد فيه ذكر هرون الرشيد مراراً عديدة قد ترجم  
إلى أكثر اللغات العربية وله عند الغربيين مقام إني وضع لما حواه من وصف الحياة العربية  
وعادات العرب الصرفة أيام العصر الذهبي في بغداد . ورجال الأدب من الفرنجة على الجلة يمدونه  
ذخراً من علم الأدب الخالد في العالم « للمغرب »

الهم فسادت نتيجته . دعا محمد العرب فلبوا دعوته حقاً ، لأنه إنما اتاهم  
بكتاب وآيات وآراء مما كانت عقولهم وطبائعهم مستعدة بالفطرة لقبوله احسن  
قبول ، وناداهم مستغزياً لغريبتهم وحميتهم ، وهم اخوان نخوة سجيّة وخلفاء ،  
فاستجابوا نداه طائعين . فلما دخلت شعوب مختلفة غير عربية في الاسلام ،  
أخذ كل شعب من هذه الشعوب يفسر بموحى غريزته رسالة النبي ، على ما يلائم  
منارعه الشعبية وميوله التقاليدية الخاصة ، ويوافق روح التهذيب الذي كان  
عليه ، فنتج عن جميع ذلك ان الاسلام الحقيقي الذي شاهدته العالم في أول  
منشأه قد اعوج والتوى . ولنا أجل دليل على هذا ما حدث في بلاد فارس  
حيث استعالت الوجدانية التي نادى بها محمد ، الى مذهب الشيعة ، فبات  
أهل فارس الشيعة على صلوات واهية تكاد لا تربطهم بعالم السنة الاسلامي<sup>(١)</sup> ،  
واستعالت الوجدانية أيضاً عند البربر سكان البلاد المغربية الأفريقية وغيرهم  
الى حال عبادت معها الأولياء ، وحدث مثل هذا عند المسلمين في الهند . على  
ان جميع ذلك لما شدد النبي في تحريمه والنهي عنه نهياً قاطعاً .

وما كفى ما حدث من الاختلافات الدينية ، وما أصاب صورة الرسالة  
النبوية ، حتى عمت البلوى بأن أمي الاسلام يتمزق الوحدة السياسية

(١) يذهب بعضهم الى كون استيلاء العرب على فارس وابتنسهم ملك كسري : معاً كان  
سابقاً من المدلول بين هاتين الامتين منذ اغتياق متناولته ، قد كان من نتائجها ايمان صدور  
العجم على العرب وتربصهم بهم الدوائر حتى أخذوا منهم بثأرهم . ولما كان دين الفرس المجوسية  
قد تلاشى امام الدين العربي المبين . وعجز عن أن يكون منقراً للمقاومة ، انهم الفرس أول  
فرصة شقاق وقعت في الاسلام نفسه وانصروا الفتنة التي وجدوا أكثر العرب ضدّها وهي الشيعة  
ولعبوا دوراً عظيماً في توسيع هذه الفتنة بين العرب من طريق الدين فشقوا احتشيمهم من العرب لما  
كان هؤلاء أذلاء من سلطانهم يدعون أن يقاوموا نفس الاسلام الذي رأوا برهانه اسطفاً من أن  
يكابر ، بل بمقاومة أعدى فتنة التي هي السنة والجماعة والتي كان منها جمهور العرب . فهذا نجد  
الفارسي يكرم العرب ويحتذر كل شيء لهم الا الدين . وزي مبيار الديلمي يقول ( قد جمعت الجند من  
اطرافه : نسب الفرس ودين العرب ) ومع كون الدين الاسلامي يسمع العصبية الاجناس ويقنع فوقها  
اخوة المؤمنين خاصة كانت لا تزال ترى آثار العصبية الفارسية في بلاد العجم بالرغم من مزج الاسلام  
الاجناس . حتى قال صاحب بن عباد . وهو فارسي الاصل خالص العقيدة الاسلامية عند ما جاء احد



والانشقاقات الزمنية . فأول ما حدث من هذا النوع كان في أوائل عهد الدولة  
اذ فر أحد المصطفيين من بني أمية الى الاندلس حيث انشأ في قرطبة خلافة (١)  
منافسة لتلك التي في بغداد ، فأعترف مسلمو الاندلس قاطبة بهذه الخلافة حتى  
وبربرة شمال افريقية . ومن بعد ذلك بعهد أنشئت خلافة أخرى في مصر ؛  
هي الخلافة الفاطمية ، وخلفاؤها متحدرون على ما زعموا من فاطمة بنت  
الرسول . أما الخلفاء العباسيون في بغداد فأبرحوا يهبطون دركات الانحطاط ،  
ويفقدون من دولتهم وسلطانهم حتى صاروا بعد مدة من الزمن عبيداً مطاوعين  
بين أيدي الترك — العنصر الغريب الداخل عليهم .

وقبل ان نشرع في بيان كيفية انتقال الدولة من أيدي العرب المهجباء ،  
ذوي الدم المزيج ، الى أيدي الترك ؛ وخطورة ذلك عظيمة في تاريخ الاسلام ؛  
نؤثر ان نقول كلمة في اسباب انحطاط التهذيب والمدارك العقلية عند العرب ،

الفرس وتلا الاريات التي يغتخرها على العرب وجاوبه عليها بديع الزمان الهمداني : ما رأيت  
رجلاً ينقل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية ينزع اليه . ولما رسخت قدم الاسلام  
في العجم وزال كل عرق للمجوسية منهم عشقوا التشيع عشقاً كان أعظم عوامله كره العرب  
الى ان كاد الانسان يراهم شيعة قبل كل شيء . ومما ينسب الى الفيلسوف الفرساوي رنان : ان  
الفرس هم شيعة أولاد مسلمون ثانياً . ولا شك ان في هذا القول مبالغة وانما يصدق على كثير  
من عامتهم . وهذه الايام الاخيرة نجدهم كما عند غيرهم من الامم الاسلامية فئة تدبر  
بالقومية وتحارب الجامعة الاسلامية . ولكنها لا تزال ضعيفة بالقياس الى السواد الاعظم الذي  
عمدته الاسلام . بل قد زال من بينهم اكثر النقرة التي كانت عندهم لاهل السنة بما هو نتيجة  
انحطاط القوة السياسية الاسلامية باجمعها وشعور العجم بالحاجة الى التضامن مع سائر المسلمين ،  
سنة الله في المستضعفين ولن نحمد لسنة الله تبديلاً (ش)

(١) الحقيقة هي ان عبد الرحمن الاموي الذي مر من وجهه بنو العباس الى الغرب ، ولحق  
بالاندلس واسس ملكاً ودولة مستقلة بهما عن بني العباس واقبله المنصور العباسي بصقر قرش ،  
انصرف في دولته على الامارة ولم يتنافس العباسيين في الخلافة العامة . بل كانت تثلي الخطة في مساجد  
الاندلس باسم خلفاء بغداد امام المنصور من بني أمية الى أيام عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر  
الذي استغل شأنه . واتسع سلطانه واستولى على عدوتي الاندلس وافريقية ، واوغلت جيوشه  
في بلاد الافرنجة . وصار اعظم ملوك زمانه . فهو أول من تلقب من الامويين في الاندلس  
بالخليفة وبايمه مسلمو المغرب بالخلافة (ش)

ذلك الانحطاط الذي رافقه تمزق الوحدة السياسية في جميع الأدوار الأخيرة من العصر العربي .

كان العرب في عصر صاحب الرسالة أمة كريمة الاخلاق ، سليمة الطباع ، نيرة السجيا ، مقادير يركبون كل صعب ، تحركهم روح الرسالة بغاية غاياتها ، وتبعث فيهم عزماً شديداً وغيرة متوقدة . كانوا أشداء العصبية الدينية ، وهي العصبية المعروفة في كل جيل من الاجيال السامية ، وعلى شدة هذه العصبية ، فانهم لم يكونوا فيها على غير هدى ؛ بل كانوا مستبصرين يستنبطون بنور العقل وهدايتهم ، و متمسكين تمسكاً شديداً بمعتقدات دينهم وأركانها وأصولها ؛ غير ان دينهم هذا انما كان ديناً سهلاً الاكتناه والمأخذ ؛ واضحاً جليلاً ؛ كان جوهر تعاليم محمد الوحداوية مع السنة المملومة . فلا اعتقاد كل الاعتقاد بأن لاله الا الله ؛ وبأن محمداً رسوله <sup>(١)</sup> من لدنه كما انزل في القرآن ، والقيام بالفرائض السنوية المعينة ؛ كالصلاة ، والصوم ، والحج ، انما هذا غصب هو جملة الاركان التي تألف منها الاسلام الذي كان عليه العرب يوم أصدوا في الأرض يفتحون العالم الشرقي .

فلاسلام . وهو هذا الدين البين الصريح ما كان ليقيد عقل الغربي ويلقي عليه سجوفاً فوق سجوف . والعربي كان قد ادرك حالاً ثار فيه جوده ، واشتعلت غيرته ، فبات توافاً الى اقتباس العلوم واجتناء ثمراتها ، والتبسط في شؤون الحياة وتوفير أحوالها ، والتكيف على حديث مقتضياتها ، والخروج بها عما الله أزماناً في ذباني الصحراء وكشباتها . لهذا لما نشر العرب فتوحهم ومدوا سلطانهم على الاقطار الأجنبية لم يقصروا نفوسهم على التمتع بالنعم المادية واستلذاذ الترف ورخاء العيش غصب ؛ بل عكفوا جادين على ترقية الفنون والعلوم والآداب وآراء الحضارات القديمة . فنشأ عن جميع هذا الجهد

(١) الرسالة النبوية هي من عند الله . وهي غير الألوهية إذ لم يقل محمد انه اله بنفسه بل كان يشعشع قولاً مثل هذا . فقال انه آخر الانبياء والمرسلين ، أولهم آدم ثم نوح علي آله موسى ثم عيسى ثم محمد خاتم المرسلين كافة .



والترقيات ان أخرج للناس تهذيب عربي سام . فاضاعت العقول وازدهرت  
ازدهاراً كان نحر الحضارة العربية ، وواسطة فلاحتها ، ودرة تاجها . وكان  
ردح من الزمن كانت فيه هذه الحضارة مشرقة الشمس ، يانعة الثمار ، وارفعة  
القلال . فسادت الحرية العقلية ، وابتكرت الآراء والأفكار العلمية ، ووضعت  
القواعد والأصول ، واستتبطلت الأحكام . بيد ان هذا لم يكن من صنيع  
العرب وحدهم ، بل شاركهم فيه كثير ممن كانوا منطلعين مثل دولتهم من  
النصارى واليهود والفرس الذين كانوا في عهد ملوكهم قبل الفتح الاسلامي  
يذوقون الامرين ، ويسامون خسفاً شديداً في سبيل آرائهم ومعتقداتهم  
الدينية التي كانوا يخائفون فيها النصرانية البرزخية والمجوسية الفارسية .

على انه كان لهذا العصر الزاهر حد وقف عنده ، ثم عرا شمس كسوف  
فظلام مطبق ، فظهرت فرق رجعية ، ثا برحت تستقوي وتناهض غيرها  
من الفرق الحرة حتى تغلبت عليها ، ثم أنشأت نسود سيادة شديدة ممتدة .  
وانقضت الايام التي قامت فيها الفرق الحرة المعروفة على العموم بالمعتزلة (١)  
مستمكة بلباب الاسلام وجوهره الصحيح ، وذاهبة الى أن العقل انما هو  
مقياس كل شيء . وقامت الآن الفرق الخلافية المحافظة من بعدها ذاهبة الى  
ان النقل والسنة انما هما مقياس كل شيء . واخذ من على هذا المذهب وفيهم  
كثير من النصارى الذين دخلوا في الاسلام وكانت أمزجتهم ما برحت مشربة  
روح دينهم البرزخي القديم ، يفسرون القرآن الكريم ويؤولونه ، ثم يؤلفون  
بين هذا التفسير والتأويل وبين السنة التي نقلتها الصحابة عن النبي ، وأوغلوا  
في ذلك اغغلاً بعيداً . فنتج عن ذلك أن أصيب الاسلام بمثل ما أصيبت به  
النصرانية في الاجيال المظلمة ، من تلبس الدين عقائد غير عقائده ، ونسبة  
الآراء الدينية الجافة اليه وهو براء منا . فلا غرو اذا اشتد الخلاف واتسعت  
شقته وطال عهده بين الذين اعتصموا بالسنة والنقل فقاوسوا عليهما . وبين

(١) يقصد المؤلف بالمعتزلة جميع الفرق الحرة التي نشأت في الاسلام — «العرب»

الذين جعلوا العقل نفسه مقياساً لكل<sup>(١)</sup> شيء . واذا قد انتهى الحال بالاسلام الى مثل هذا ، فالغلبة الأخيرة انما باتت متوقعة وهي غلبة عقيدة السنة والنقل على العقل . وفي الواقع فان تاريخ السنة والتقاليد<sup>(٢)</sup> في كل بلد من بلاد الشرق انما هو تاريخ السير نحو ادوار الاستبداد وعواقبه المشؤومة . كانت قد تلبدت في سماء الشرق سحب سوداء قاتمة ؛ فلما اشرقت عليها شمس الاسلام الأولى من الصحراء حقبة من الزمن ، مزقتها وبددتها ، وكيف لا تضيع تلك السحب وقد سادت الحرية العقلية والفكرية ، غير انه بعد انقضاء هذا الدور دور النور والحرية ، عادت الغباوة والمقائد والأوهام تملأ فضاء الشرق وتستولي على عقول ابنائه . ومما ساعد على ذلك استحالة الخلافة الاسلامية من الشورى السياسية الصحيحة الى الاستبداد فالاستبداد .

فلما رسخ الاستبداد في الدولة ، وجاوز افاقها بعيداً ، أخذت آثار ذلك تبدو جلية في موضع موضع ، والاستبداد بطبيعته هو عدو الحرية وقائلها ايما وجدت ، سواء أكانت حرية العقل والفكر أم حرية العمل . وكان بعض الخلفاء من بني أمية في دمشق ، وقد استهوهم مذهب المعتزلة في بدء الأمر ، يوسعون في حرية الفكر ويرتاحون اليها ، ولكن لما أخذت روح المعتزلة تظهر بمظاهر السياسة ، اجفلوا منها ايما اجفالا واضمروا لها القضاء عليها ،

(١) لاشك في ان الكثيرين من علماء السنة غالوا في التقليد والحفاظ على النقل . ولكن عمالاً شبهة فيه أن مرجع الايمان عند الجميع هو العقل ، وهو مشرق الدين . ومناطق اليقين . وبدونه لا يقوم اسلام . ولا يستد ايمان . والقرآن العظيم من اوله الى آخره يشاهد بالعقل ، ويحكم الى العقل ، ويهيب بالحق الى التأمل والنظر ، وقد رأينا كثيرين من الائمة مثل حجة الاسلام الغزالي وغيره ممن ليسوا بمعتزلة يقولون اذا تعارض العقل والنقل أول النقل حتى يطابق العقل

(٢) ان لقائد السنة والنقل والتقاليد عوامل وراثية عنصرية ، ومكانية اقليمية . والبيئة والوراثة تأثير شديد في نشوء الانسان ونحوه في الشرق على الخصوص . وليس هنا موضع الايمان على بيان هذه العوامل . انما يمكن مريد الاطلاع أن يقف على ذلك حتى الوقوف في مؤلفات العلامة ( أليسورث ) هنتنغتون . ( Prof. Huntington )



فالمعتزلة حقاً لم تقصر أمرها على الآراء الفلسفية لحسب بل تخطت ذلك فأنشأت  
ترفع عقيرتها منادية بالرجوع الى حكم مشي حكم الخلفاء الراشدين ، يوم كان  
أمير المؤمنين ينتخب للامارة انتخاباً ولا يرثها وراثته وهو منقاد لرأي الأمة  
ونازل على حكمها وشوراها . وقام الخوارج وهم من قلب شبه الجيرة ومن  
أشد العرب عصبية يؤيدون تراثهم من حرية الصحراء ويذودون عنه وينادون  
بتوسيع نطاقه ، غير معترفين بسلطة الخليفة ، ولا مبايعين بهيبة أمير المؤمنين <sup>(١)</sup>  
وذاهين في السلطة الى أبعد من الحكم الجمهوري نفسه

فنشأ عن ذلك ان الخلفاء أخذوا يستندون اتباع الفرق المحافظة ويقرّبونهم  
منهم ، ويعتضدون بهم ، ويقصون عنهم الفرق الحرة كالمعتزلة ويشددون

(١) أول من خرج على الإمام علي في الامامة من حيث هي ، قائلين لاحكم الله ولا  
لرؤم لنصب الخليفة ، هم الفرقة التي قالت سيدنا علياً رضي الله عنه ، ومن هناك بدأ تاريخ  
الخوارج الذين لعبوا دوراً عظيماً في الاسلام وكانوا فرقاً متعددة ، يختلف بعضها عن بعض  
ببيادى معلومة . ولما خال النزاع بين علي ومعاوية عن الخلافة ، نهش من هؤلاء الخوارج  
من قالوا قد تبادت هذه الفتنة التي تجرت جداول من الدماء بين المسلمين وما السبب فيها سوى  
علي ومعاوية . ثم هناك عمرو بن العاص الذي هو من موقدى نارها ، فقتل هؤلاء الثلاثة ولخرج  
الاسلام منهم . فأتدب لذلك منهم ثلاثة قصدوا اغتيال الثلاثة أمام معاوية فنجوا بكونه يوم اريد  
قتله لم يأت الى المسجد فصلاة وبعد ذلك جعل لنفسه مقصورة ليكون بمنجاة من المكيدة .  
واما عمرو قاتله على القاتل رجل اسمه خارجة قتل خارجة خطأ بدلاً عنه . واما أمير المؤمنين  
فاصابه القاتل وقدعت به العصبية كما هو معلوم وقال الشاعر :

ولبئها اذ قدت محرراً بخارجة قدت علياً بين شامت من البشر

وفان قد رست روح الفوضوية في الخوارج الى ان صاروا يغتالون الملوك وارباب السلطة  
مفادين بانفسهم متباعين بشيائهم متفرقين الاجر على عملهم حتى قال بعضهم في عهد الرحمن بن  
ملجم قاتل علي كرم الله وجهه :

هذه در المرادي الذي اغترمت بدنه مهجة شر الخائن انسانا

باضرية من مرید ما أراد بها الالبيلغ من ذي العرش رضوانا

ولا احب هذا القول الا من شدة ولهم بتأهضة السلطة ، ولجود غلوهم في انكار  
الامامة التي كان علي مثالها ، والا فقل ان وجد في التاريخ البشري مثل علي بن أبي طالب في  
كل صفاته ، وكثرة فضائله ، وعلو مزايده ، ومن كان يقدر ان يقول في علي شيئاً فانت ترى  
ان هذه النزاع الفوضوية وروح مطالبية السلطة التي تراها في الغرب الاوربي اليوم قد عرفها  
الشرق ايضاً

(ش)

عليها التكبر ، ويستعينون بالمشايخين لهم من العرب الهجناء ويشدون بهم  
أزرهم ، يؤثرينهم على العرب الصرخاء من شبه الجزيرة ، حتى باتت الحكومة  
في الدولة العباسية حكومة دينية مستبدة ، فرسخت عقائد الدين مليسة لباس  
التقاليد وقررت حدودها ، واضطهد اتباع مذاهب المعتزلة وقتلوا تقتيلاً . وما  
كاد يكون القرن الثاني عشر من التاريخ المسيحي حتى اعمت كل معالم الحضارة  
العربية ، وقوّضت أركانها ، وجف كل عنصر من عناصر الحياة فيها ، وقضي  
على كل فكر مبتكر ، ورأي مبتدع . وعاد لا يسمع صوت من أصوات المعتزلة ،  
ولا يرى لأحد منهم أثر ، وهجع العقل الاسلامي هجعته الطويلة ، وما زال  
منرفاً فيها حتى استفاق اليوم استفاقته الكبرى مذعوراً .

في أوائل القرن الحادي عشر م . تجسم انحطاط الحضارة العربية تجسماً  
تاماً . وبعد ان اختفت الروح العربية الأولى التي هبت من الصحراء هبوبها  
المعجيب ، أخذ العرب الهجناء يرون ملكهم السياسي يذهب من أيديهم الى  
أيدي غيرهم من الدخلاء ، وكان هؤلاء الدخلاء الوارثون للدولة العربية هم  
الترك . والترك هم العرق الغربي من الجبل الطوراني ، جيل القبائل الرحالة التي  
كانت منذ عهد لا يعرف أوله تجوب انجاد أواسط آسية وشرقها ، ولما كان  
العرب يفتحون فارس ، تماكت قوادهم وجنودهم بالترك الرحالة ، وهؤلاء  
عهدئذ يعوجون المناور محاولين جواز حدود فارس الشمالية الشرقية ، غير ان  
العرب وهم في امان سلطانهم ، ويخشع غالب قطين الارض لذكر خلعهم ،  
ما كانوا ليرهبوا الترك أو يحسبوا لهم حساباً ، بل رأوا في الترك قمعاً لهم ،  
والترك قوم عرفوا بالجفاء والقسوة ، لا يحسنون شيئاً أكثر من طاعة آمرهم  
والقتال كالمجانين ، فلهذا ما كان الخلفاء لينفروا منهم في أول الأمر بل أخذوا  
يستأجرون منهم جنوداً من الطراز الأول لا عزاز الجيش والذود عن دمار  
الدولة ، ويستكثرون منهم بطانة وحرساً .

قلنا ان العرب ما كانوا ليرهبوا الترك في أول الأمر ، ولكن لما وهن



عظم الخلافة وذهبت ربحها تحولت الحال فأنت غير مآل ، اذ تمكن الترك المستأجرون من الحلول في كل موضع قوي من مواضع الدولة ، ولا سيما في الجيش العربي ، فأنشأوا يتصرفون تصرف السيد الأمر والحاكم المطاع ، ففتحوا أبواب التخوم العربية الشرقية ، ومهدوا السبيل تمهيداً لآبناء جنسهم ، فأخذ هؤلاء يتدفقون كالموج وعلى رؤوس طوائفهم قواد أمراء ، وطفقوا يعيشون في البلاد احراراً أنى شاءوا ، ويقيمون حيث طاب لهم المقام ، ويجوسون خلال الديار ، ويسلبون وينهبون ، ويفجمون ويفتكرون .

ولما شرع الترك يدخلون في الدولة كانوا يقبلون سريعاً على الدخول في الاسلام أيضاً ، بيد أن الاسلام لم يدمث من جنائهم ولم يقوّم من أودهم كثيراً ، ومتى ما جئنا نعتبر شأن هؤلاء الترك الدخلاء يجب علينا ان نفرق بينهم وبين الترك العثمانيين المعاصرين ، سكان القسطنطينية وآسية الصغرى . فان الترك العثمانيين اليوم ، انما يجري في عروقهم دم مزيج ، بعضه أوروبي وبعضه الآخر اسيوي غربي ، ويخالط مزاجهم عنصر غربي ، وعنصر شرقي عربي ، فهم والحالة هذه ، يختلفون اختلافاً كبيراً ، تهذيباً وخلقاً ، عن آبائهم واجدادهم الأولين <sup>(١)</sup> وعلى هذا كله فان العثمانيين المتأخرين ما برحت فيهم السيم الطورانية الخشنة التي يتميز بها ترك قفقاسيا المعروفين بالتركان عن سواهم من الترك المقيمين في غربي آسية

(١) هذه نظرية الفيلسوف الكبير من علماء الترك العثمانيين الذين درجوا وقد وافقهم عليها كثير من ابناء الترك المعاصرين مثل عبد الحق حامد بك الملقب بالاديب الاعظم ، وسابك نقيب بك واخيه قاضي عالي . وجناب شهاب الدين بك ، وجلال توري بك ، والشاعر محمد تقي كافي واور باشا المؤرخ ( هو غير أور باشا ناظر الخربة وهذا أيضا ممن يقول بهذه النظرية ) واسماعيل حن بك الديار بكري ، واسماعيل حن بك الازميري ، ورضا توفيق الفراسوف ، ومنهم علي كان الذي قتله السكاليون في ازميد لحبائنه وجم غفير من كتابهم ومفكرهم ووزرائهم وشيوخهم ، وهي ان الأتراك العثمانيين وان كانوا من الترك اصلاً ومعتداً فقد أصبحوا باختلاط دمهم بسائر الامم التي ساكنوها من قرون في غربي آسية وجنوبي اوريا من فرس وعرب وكرد وجركس وكرج وروم وارمن وبلغار وارناووط وبشناق الخ . امّة قائمة بذاتها قد ابتعدت كثيراً عن

فكيف كان التركي القديم بطباعه وسجاياه ترى : انما كان في المقام الأول جندياً مجرباً ومقاتلاً بأسلاً : وهو لم يكن في ذلك العهد ذاك الفكر ثاقب وعقل مبتكر : بل كان فيه شيء من حب الاطلاع والاستشفاف : فلم يقتبس غير القليل من الآراء العسكرية في شؤون القتال : فالطاعة العمياء ثم الطاعة العمياء وقتال الاستبسال بحسب : هما جميع ما كان عليه التركي يوم تقدم ليتناول قيادة الاسلام من الخليقة العربي الضعضع الواهن العظم .

الترك الاصليين ولا سيما من المغول الذين يقال لهم ياجوج وماجوج ، والذين قد اشتهروا بفتح المنظر وغلظ الطبع وكرم الحضارة والشغف بسكك السمل وتخريب الديار وتصف الممران ، مما اتفق المؤرخون شرقاً وغرباً على انه دائم . حال كون الاترك العثمانيين قد عرفوا بصياحة الوجوه وكرم الاخلاق ومهارة الطباع وحب المدنية واجمع بين شدة البأس ورقة الشمايل ويزيدون على ذلك ان الثقافة التركية العثمانية والادب التركي العثماني ( وهم يسمون ذلك بالحرث ) هما خاصان بآراء آل عثمان لانهما مقتبسان من الآداب العربية والفارسية . لأن لغة العرب ولغة الفرس كانتا لغتي العلم والشر عند الاترك منذ هاجروا الى غربي آسية . فذلك قبل لغة الدولة اللغة العثمانية لاقتراها كثير من لغة اترك لواسط آسية . ولكونها لانشبه في شيء لغة المغول . هذه اللغة وان كانت لا تبرا من الترك المسلمين سكان التركستان الروسي والتركستان الصيني وشمال فارس ، فهي تبرا من المغول وتلقن تاريخهم وتقول انهم هم كانوا سبب بوار الشرق والحطاط الاسلام . وانهم هم الذين نسفوا عمران البلاد التركية خراسان وما وراء النهر والبلاد الفارسية والبلاد العربية . فهلكوا المسلمين ودمروا العواصم الكبرى . ولم تقم للشرق بعد مصيبتهم قائمة . وبعض هذه اللغة مثل انور باشا المار الذكر يزعم انه لا يوجد اذن صلة نسب بين الترك العثمانيين والمغول ويعيل الى ان الترك هم اصلا من الجنس الابيض الا ادى : وانما اختلطوا بسبب اخوار بنجلوس الاصفرانغولي \* وقد وصف بعض مؤرخي الترك احوال جنكيز وهولاكو وقومهما بشكل ما وصفها به مؤرخو العرب والفرس والافرنج والروس \* لا بل لف لهذا العهد رجل اسمه طاهر المولوي كتاباً خاصاً بظائع جنكيز وهولاكو وفتنهما \* وقال ليس للترك ان ينفخوا بشكل هؤلاء المسلمين في الارض الممتلئة بالمسلمين الذين كانوا على الحطاط للشرق عن الغرب \* واعظم بلاء وقع على الاسلام \* واذا اراد الاترك السلبون ان يراجموا صحيفة احسابهم فراجعوا تاريخ آل طوكون ومصر وتاريخ السلاجقة وآل زكي الانكبي والدولة العثمانية . وقال جلال نوري صاحب التصانيف الاجتماعية الجديدة : الترك العثمانيون هم مسلمون اولاً وترك ثانياً .

وهناك فئة ثانية تدعى الفئة الطورانية \* تحالف الفئة الاولى في كل هذه النظريات واشهر دعايتها نياكوك الب \* واحمد اغايف \* ويوسف آقشورا القذان قدما من الروسية \* وجلال سامر \* وبجي كمال \* وحمد الله مسيحي رئيس وفاق « ترك بوردي » ومحمد امين بك الشاعر



حقاً ، ما دعى الاسلام وسائر العالم معاً ، مثل هذه الداهية ، وما نزل  
بالخسارة العربية مثل هذه النازلة ، وكفى الاسلام انه كان لحكم أمة متعجبة

التي ، وكثير من الأدباء والمفكرين واكثر الطلبة والنش ، الجهد ، هؤلاء يسمون ان الترك  
هم من اقدم امم البسيطة واعرقها مجداً واسبقها الى الحضارة ، وانهم هم الجنس المفضل واحد  
في الاصل ويؤمن ان يهودوا واحداً ويسمون ذلك الجامعة الطورانية ، ولم يقتصروا فيها على  
الترك الذين في سيبيريا وتركستان الروس وتركستان الصين وفارس والقوقاز والاماطول  
والرومي ، بل مبدأهم مد هذه الرابطة الى المشرق في الصين والى افوار والسلافيين في اوربا  
وكل من يقال انه ينسب الى اصل طوراني ، وهم يتولون بخلاف ما يقول الاولون ، فهم ترك اولاً  
ومسلمون ثانياً ، وشعارهم عدم الدين واحل الجامعة الاسلامية الا اذا كانت خادمة لقوة  
القومية الطورانية ، فتكون عندئذ السلطة لاحقة ، وعند غلاكثير من هذه الفئة في الطورانية  
حتى قالوا : نحن اترك فكيفنا طوران ، وهم يتنولون بدافع ميكانيكي ، ويعجبون بتوحشات  
المثول ولا ينكرون شيئاً من اعمالهم ، وينظرون الانبياء للاسماءات في وصف الواقع الميكانيكية  
ليطمئنونهم على الاعجاب بها ويرفوا مستوى قوسهم بزعمهم ، وقد حالت صديقي ودعيتي في  
مجلس الامة محمد امين بك الشاعر الى ، وهو من احسنهم اخلاقاً وعلم لا يبلغ بهم روع العرق  
الطوراني ان يشأ العرب وينسب لهم العداوة ، كما هو شأن كثير من رفاقه ، بل ممن سمعت لهم  
خضب في الجاس يتوه فيها بفضل العرب ، قلت له : كل شيء فهمته وانكم طورانيون والله  
ينبغي لكل امة ان تملك جامعها القومية وتحييها في صدور ابناءها وان ذلك لا ينال في الاسلام  
لان الجامعة الطورانية لا تعتبر ان الترك مسلمون تنوي الاسلام ولا توهمه ولكن الذي لم اهمه  
الى اليوم هو افتخاركم دائماً بميكانيكا مع عرته وتسميه وما جرى من قوسه من نسب العمران  
واكتساح البساط ، فقال لي : ، فتخريبه الشكوك تشكيلة العسكرية كانت في غاية الانظام  
« تشكيلات عسكرية » هي مكمل ليدى « وما جرى الى المثل من العبث والفاخرة فلا يزيد  
على ما جرى في الحرب العامة من التخريب الذي انقضت الدواعي الحربية ، افلا ترى ما فعل  
الالمان في شمالي فرنسا مع اهلهم ارقى لنا « شدة » ، هذه هي نظريتهم من جهة « اشهرج  
المثول من العرب والفساد في الارض ، وليس هذا هو كل تبرير الفرق بين تخريبات المثل  
وتخريبات الالمان في شمالي فرنسا

وقد امتد الخلاف بين هذين الفئتين في الترك الى مواضع آخر من أهمها مشكلة الزبوع  
الى الامة التركية القديمة ، وعلى رأيهم « نصيرية » كلمة التركية الحاضرة من الالفاظ العربية  
والفارسية ، والاعتراض منها بالفاظ تركية « كلمة بعدم استعمالها بين الأتراك العثمانيين مع ان  
استعمال العربي ، الذي هو مما يضمف القومية الطورانية ، وعلى فرض ان هناك معنى لا توجد  
بازائها كلمات تركية صرفة فيمكن الأخذ من العربي والفارسي على شرط ترك هذا المستعار  
من ترك الفئتين « وقد دارت على هذه المسئلة الجري مباحثات ومناقشات طويلة « ولا تزال  
دائرة ، وحزب التصدي هذا هو كلاً لا يخلي هو الحزب الطوراني « كما ان حزب العربي والفارسي

مخالفة جافة جاسية ، لم يكن الرقي مستطاباً في مثل دولتها <sup>١١</sup> ، فبات ضرباً  
من ضروب المستحيل . أجل ، لا ينكر ان الاسلام قد اعتز بقوة حربية ،  
كبيرة جديدة ، ولكن قد سئ ، التصرف بهذه القوة حتى جنت على الاسلام  
جنايات هائلة ، وجرحته جروحاً كبيرة فبات نزيفاً يتقهقر سريعاً ، وأول عمل  
قام به الترك الزاحفون هو اكتساحهم آسية الصغرى ، واستيلائهم على

هو الحرب الاسلامي ، واستعملوا في الاستانة لفظي تركي « اسلامي » للدلالة  
على هذين الحربين

وهذه الحرب الاسلامي في مناهضة تصفية هو اولاً ان القساق التركي وان كانت فيهم وفرة  
أسباب الامور القذية والعلل الحركات البديية ، فهو اسان فقير في الامور الثقافية ، قبل الاندماج  
المؤدية للعلل الجردة ، ان تمكنه ان يتي بخليعة امة في حال البداوة وخوار السلطنة فلا يتمكن  
الوقت باحتياج المزاوية ودولة نظمية ، فلا بد له والحق في هضم من الاستعارة من لغة  
العرب والتوكؤ على لغة الفرس ، لا جيل اكمل مانع من تلك الخيبة ، لاني ان الادب التركي  
الذي نشأ ونما وحرث فيه الكتب النبعة ، وقصد الاتصال بالبيئة ، وصار أدباً معسوداً ،  
وجال في ميدان فحول من لا كتب ونوايح من الشعراء هم متأخر امة الترك اعداء هو عدو  
الادب الفاتح من الفارسي والعربي والذي صار أدباً قذراً يذمه ، فيحسن ان يفر اسلوبه  
ويزيل ديباجته ، ويحرم للناس حظوة ويبدل عنه الى ادب تركي تحت راسع الى لغة ليس  
فيها شيء من الاستعداد لتكوين ادب عالم دويجة الرقي فلا ادب انساني الحضارة ، وعلى فرس  
الحال له تيسر ذلك اعلا يلزم حجب مناقلة لتأسيس ادب جديد ، لا يكون استعمال العربي  
والفرسي هو ما يضعف القومية التركية والحال ان قصد الترك الجدد هو انشاء شعنتها في الفوس  
فالحرب الاسلامي هذا لا يحد الادب العثماني هذا حالاً دون نمو الحركة التركية بين يده تقوية  
التركية من العربية والفارسية ، هذا كونه اذن لها ولويد في مجلسها ، ادع الأتراك من الجبهة  
السياسية لأنه بركة الواجبات التي تربط العرب والفرس وسائر المسلمين بالامة التركية بما يزيد ما  
قوة ومنه ان كان هذا الحرب لا يزال مستور في السياسة هو الانشاء الاسلامي ونزى الاسلام  
عوى كل شيء ، ولقد كان نور باشا ناصر التركية يقول اذا كان الترك لا اكتشاف من يهابين به ،  
فليس ذلك لكوننا آتراكاً منهم بل لكوننا مسلمين فحسب .

(ش)

(١) كما ان المؤلف وغيره من كتاب الامر لجة يحملون الخطاط الاسلام نتيجة استيلاء آتراك  
عليه ، كقولهم بعض الأتراك الجدد يحملون سب الخطاط تركياً هو صحتها الاسلامية ، وعلى  
الاعمص صحتها الاسلامية للعربية ، ويقولون اذا وجب أن سني مسلمين وجب ان نخرج من  
اسلامنا وديانتنا العربية ، وعلى هذا بدأوا في هذه الايام بقرأة الخطب في صدارات الجمع بالتركية .  
والله الا ان في مقام تفيد مزاعم هذه الفئة

(ش)



بيت المقدس في أواخر القرن الحادي عشر م<sup>(١)</sup> . غير أن جانباً من آسية الصغرى ما برح حتى اليوم قسماً من العالم النصراني . ولما أخذ سيل الفتح العربي يتدفق في القرن السابع م من شبه الجزيرة ، فما يزال يطمو على سورية حتى بلغ جبال طوروس . فصدمه الروم هناك . إذ استجملت الامبراطورية الرومانية الشرقية من قراها ما استجملت واستطاعت أن توقف الفتح العربي عند حد . عند تلك الجبال ، على غناء وتمب شديدين . اما الآن فاجتاز الترك الحدود البيزنطية ودوخوا آسية الصغرى تدويجاً ، وأخذوا يهددون القسطنطينية وهي الحصن الشرقي الحرس للصرانية<sup>(٢)</sup> . وكانت بيت المقدس في أيدي المسلمين منذ الفتح العربي ( ٦٣٧ م ) وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز حرمة الأماكن المقدسة النصرانية ايماناً رعية<sup>(٣)</sup> . وقد سار خلفاؤه من بعده على آثاره . فلا ذنبقوا على النصارى ولا نالوا بساعة بلواكف الحاج الوافدين كل عام الى بيت المقدس من كل فج من الحاج العالم النصراني . بيد ان الترك بعد فتحهم البلاد لم يحروا على ما جرى عليه العرب من قبلهم . فالتزموا كما كانوا لا يرون لذة في غير السلب وكرد غير المسلمين ، أخذوا يستلبون الأماكن المقدسة . وقتلون حرمة النصارى . ويهولون دون الحج . فبات مستحيلاً

فكانت آسية الصغرى والاستيلاء على بيت المقدس ممكناً ، انما زلزال زلزل

(١) اكتمل ذلك تسيرة الصغرى بعد انتصارهم على الجيش البيزنطي ، ففتحوه سيطراً في معركة منكرت في سنة ١٠٧١ م . واحتلوا القسطنطينية الساموقيون على بيت المقدس سنة ١٠٧٦ .

(٢) وقد كان العرب يسمونها القسطنطينية منذ ازلت . والمنشبه أبو أيوب الانصاري في صلواته . وعنه معروف في بلاد الشام أبو يوسف . وليس لهذا العرب جميعاً (ش) .

(٣) لما وجد المسلمون انفسهم يطمعون في انفسهم وطلبوا في مملكتهم المقدسة . ولما كان في كبرية الزيادة جاء وقت الصلاة فابتلى على بعض فساد البطريرك صفر بن يوسف الى مكان يدي به . فالتحق الكنيسة فقال له : لا يأتي المسلمين يسيقون في بلادهم . غير ينعون بالكنيسة ويخرجون من الكنيسة وعلى في مكان يري فيه يلعب فيها بعد . (ش) .

الصاعقة على النصرانية ، فقامت لهذا الخطب وقعدت ، وطلعت اوروة تميد  
من اقصادها الى اقصادها مشتعلة بغضباً دينياً ومحتدمة غضباً وحنقاً ، وقام ألوف  
مؤلفة مثل بطرس الناسك يلهبون الصدور ناراً دينية ويحفزون على حماية بيت  
المقدس وقبر المسيح ، حتى جن الغرب النصراني جنونه الكبير ، والتهبت  
أنفيرة الدينية في كل جوارحة من جوارحه وعرق من عروقه ، وغشى التعصب  
على ابصاره ، فهب يبعث البعوت الصليبية ، والحفاظ على الحرارة دراكاً ، لقتال  
الشرق الاسلامي في سبيل الصليب

فداهية الترك ، وغازلة الخروب المقدسة الصليبية ، كانتا شر طعنة طعن  
بها صدر العالم ، وسبباً دائماً في سوء العلاقات بين الشرق والغرب <sup>(١)</sup> . ففي  
سنة ١٠٠٠ م . كانت العلاقات النصرانية الاسلامية أخذت تستقيم وتسير  
سيراً متبهماً بالكف عن العداء ، ومبشراً بازدياد تحسن الحال وخير المصير .  
وكانت الاحقاد التي نارت على أثر تنفق الاسلام ، على حال الثلاثي  
والاضمحلال ، وظهر عهدئذ ان الحدود الجغرافية بين عالم الاسلام وعالم النصرانية  
كادت تستقر ، فليس أي التريقين يطمع بعد في الخروج على الآخر ، ولم  
يبق ثمة أمر من أمور النزاع شأنه خطير وكبير غير الاندلس ، حيث كان  
هناك مصطدم الاسلام والنصرانية المصطدم الأخير ، بل على كل كانت  
الاندلس اذ ذاك قد باتت تعد حيداً فاصلاً بين العالمين ، وعلى الجملة فقد  
كانت علام ازدياد الوئام والطمأنينة بين الاسلام والنصرانية متجلية واضحة ،  
وناحية منحن حميداً ، فاز قدّر لهذه الحال ان تستمر وتستمر بحيث يسكن  
كل عالم الى أخيه ، لسكانت أقت بنعمة من النعم الكبيرة الباقية على الحضارة  
والانسانية . فالعالم الاسلامي كان ما برح حتى ذلك الأوان سابقاً لاوربة  
الغربية سابقاً بمرسداً ، وفاتحاً عليها علماً وتهذيباً ، بيد ان الحضارة العربية  
كان قد أخذ الكمد والسكاف يبه وان عليها ، في الحين الذي ملقت فيه نفس  
الغرب النصراني تحيوش ، ونهمته تشدد ، للاغلات من ربح جوده ، والخروج  
(١) لم تكن أوروبا في وقت من الاوقات التي تصبأ من التفرقة التي كان ينادي بها ذلك (١)



من ظلمته وبربريته • فأي خير كان أعظم من ذلك الخير الذي كان يرجى من الود الوليد الذي ظهر في القرن الحادي عشر م • بين الشرق والغرب فيما لو قبض له الفؤ أمدأ بعيداً ؟ بل ترى أي نفع كان أجل من تقارض العالمين بهما البعض العون واقتسام السراء والضراء ؟

أجل ، لو كان ذلك لكان به نجاة كبيرة ، ولكانت الحضارة العربية الاندلسية ، وفيها علوم اليونان والرومان ، قد اعتظت نهضتنا من مرقدتها قبل استيقاظها بعهد طويل ، ولكانت روح الغرب التي تمشت في جوارحه في الاجيال الوسطى ، تلك الروح الجبارة ، هبت فتداولت الشرق وتغلغلنا في احشائه متغلغلها في الغرب ، فتجبت الحضارة الاسلامية من متخبطها ومتمثرها في ذلك الحلك الداجي الذي ذال عهده

غير انه ما كان ذلك ليكون • فقد اختفى العربي الدمث الخلق ، اللين العريكة ، وجاء من بعده التركي المتعصب الخشن القاسي ، فعاد الاسلام يشب ويهتاج ، ولكن شتان بين اهتياجه الأول بالأمس ، واهتياجه اليوم ، أما بالأمس فقد كانت تحرك العرب روح الرسالة وفضائلها ومثلها العليا ، وأما اليوم فما يحرك الترك انما هو روح الطمع والفتك وحافز الاستيلاء والغصب • ومن ذلك الحين بدأ العراك يشتد ، ونارده تنقد بين الدولة التركية ، والحضارة الغربية التي كان نشوءها مرجوئاً لها عهدئذ ، ودام هذا العراك قرناً • وما كانت الحروب الصليبية سوى رد الفارة على الترك الذين أخذوا منذ ذلك العهد يوالون غاراتهم على النصرانية برهة ستائة سنة ، حتى صدموا الصدمة الكبرى عند اسوار « قينا » سنة ١٢٨٣ م <sup>(١)</sup> وقد كان من الطبيعي أن

(١) ما زلنا نؤكد ان الاوربيين في عهد الحروب الصليبية وفيما بعدها يترون لم يكونوا قل من الترك تعصباً ولا جهلاً وان تاريخهم في الحروب الصليبية وما جرى منهم عند فتح القدس آمن ذبح ٧٠ الف مسلم في المسجد الأقصى حتى سبحت الجبل الى سدورها في الماء • ومن استعصاهم شأفة المسلمين من الاندلس ، وصقلية وجنوبي فرنسا وسردانية • مع انهم كانوا محصورين في هذه البلدان بالملايين تاريخ شاهد بصفحة ما قبل ، فقد عن الاوربيون كل اراد الاسلام

تأصل العداء ، واستحكمت الشفاعة ، واستقر التمصب بين الاسلام والنصرانية ، مما ما برحت جرائمه حية ، وسوم نماره نامية حتى الآن . وهذا النضال الذي تنفوا انباءه في صحف الاخبار اليوم ، النضال القائم بين مصداقي كمال ومقاتلة الوثنيين ، وبين اليونان في آسية الصغرى ، انا هو حلقة من سلسلة حروب بين الاسلام والنصرانية ، حلقتها الاولى كانت في فلسطين بين الترك والصليبيين منذ ثمانمائة سنة ، وحلقتها الأخيرة الى اليوم هي هذه الحرب بين الترك واليونان في اشوار الاناضول واثباتها .

في أوروبا ولم يرضوا ان يبقى فيها مسلم واحد . حل كون الترك الذين بقوا منهم بادرة في ثمت ولا ينهم ملايين من المسيحيين من جميع الاجناس كانوا يندرون في لوفت عبيدنا الذين انما هم أو ان يحملوهم على الجلاء ، كفضل ملك اسبانية وفرنسا بالعرب . وقد يقال ان الذي منع ذلك من حل النصارى الذين كانوا تحت سلطانهم على الاسلام أو الجلاء هو الشرع الحمدي الذي يمنع الاكراه في الدين ويرضى من المهاد بالجزية . وقالوا ان السلطان سلك هذا في سنة ١٨٣٠ لثمة من بقا المسلمين من الارولم والبلدات والارمن وغيرهم في المدن العالية ، واجت ابراهيم ، وقيل ان السلطان سلك مرة يترش في ذلك شيخ الاسلام . وقول : ليس لنا عليهم الا الجزية . والجواب قد يكون ذلك . وانبت ان الاسلام هو الذي هذب الاراك وحل بينهم وبين طرد المسيحيين من ديارهم ، فلماذا ياتت شمري في يذهب الانجيلي الشريف القوام أوروبا ولم يبنم اليها كسند السادس واساقفة الكنيسة في اسبانية . ولدت خردنا هذه والشك ابراهيم . وشبههم من الملك المشهورين بالكنيسة من نصب ديوك الفينش واركانك تلك عفاط في العرب واليهود ممن على على ديانة سر الى ان يسلوهم باجمعهم عن ذلك ففقدوا في اوطانهم العرب زهاء ٨٢٠ سنة . مع ان الانجيلي كما لا يخفى لا يدين شيئا من هذه الافعال بل يرمي الناس بحب الاعداء فكيف ثلثت مع شريعة الانجيل التي هذا مبلغ وادائها وتساخها فسية تحرق الناس بالنار لاجل عقائدهم . . . . .

لا يريد أن نعزو الى هذا المذلف العنصرين أو التمصب فيما بيننا نتيجة لعل الترك الى انهم يكونون من لوفت المؤلفين الاوربيين اصلاً وتحريراً . ولكن ثمة امور لا يزال الاوروبي مهملها الى من انفصلت وحرية فكره طاملا دنيا أو هو لما يشتهه من علم كونه وكما هو شواهد من طلبة هو غير طلبة الآخرين . لا يقدر ان ينظر الى عيوب قوم واثام بل يجله بالدين التي شق بها عورات غيبهم من الاقوام . فقد جرت لنا مباحثات طويلة مع كثير من علماء الاخرية في موضوع التسامح وعنده . فكنا نراهم يعتقدون انه لا يوجد في الدنيا اقل تسامحا وسجاجة من أصل الشرق فانا ذكرناهم بما فعلوه بعرب الاندلس قالوا : ذلك امر آخر . والى الآن لانهم لم يذا هو شيء آخر . وبعضهم يقول هذه حوادث جرت في القرون الوسطى . فانا سلكنا



وليس من غرضنا في هذا الكتاب ان نبحث في تاريخ الحروب التي قامت  
بين الترك والصيرانية ، انما ما يجب حفظه في البال ان تلك الحروب ظلت الى  
اليوم عداً مزمناً ، وملة دائمة بين الشرق والغرب

اما الشرق الاسلامي فقد قدّر له بعدان دارت الأيام بحضارته العربية ،  
وحذا عنقه للثير التركي الثقيل ، ان يلاقي فوق ذلك احوالاً أشد وأفدح ،  
منهالة عليه كغيرها من الجبل الطوراني ، ففي أواخر القرن الثاني عشر هبت  
العروق الشرقية من الجبل الطوراني ، ملثمة ملثمة حول بعضها بعضاً ،  
مكونة وحدة دامت مدة ، وعلى رأسها زعيم جبار عات هو جنكيز خان .  
انفذ هذا الطاغية « الطاغية الذي لا يغلب » لقباً له ، وطلق زحف ذاهباً العالم  
نهباً . فاكسح في أول أمره الصين الشمالية وأزل بها هولاً شديداً ، ثم اتجه  
غرباً ، زاحفاً مدمراً ، وناهباً مخرباً ، فرأى العالم من بلائه ما لم ير مثله من عات  
قبله . هذا هو النهوض الذي نهضه المغول في ذلك العهد ، وهذا اسمهم ما برح  
حتى اليوم اذا ماجرى على الألسنة ، وجفت له القلوب واقتضرت منه الابدان .

زحف جنكيز خان بكتاب من الجند لا تخصي ، مستصحباً مهرة المهندسين  
الصينيين لاسنع البارود في تخريب المدن والحصون فكان وفارساته سيلاً جارفاً

بكونها جرت في القرون الوسطى فذا يقولون في المرات والظائع التي جرت من الجانب الايش  
الاوربي في هذا العصر نفسه سواء في القرن التاسع عشر أو القرن العشرين مما فعلوه في مستعمراتهم  
بالبرقية أو على وشاى افريقية والكونغو والسودان المصري وما فعلوه في الهند وغربها من  
السرقة على ما كان معروفه منهم في اوروبا في ذلك الوقت بالبرقية بل بما أوقته بعضهم ببعض في  
الحرب العدة . . . . . هذا هو لم يقع في القرون الوسطى ، ولا في الجاهلية الاوربية بل جري في  
عصر طور وحو هذا المشرق وناحية الشمال الاوربي ، نعم لا نعلم كيف اذاع ذلك الاومن  
يكون ذلك نوحاً وبنو نوح ، السجف بالادب النسوة والنو مشية والعميرة ، وتكون القباية ،  
هذا ذبح القباية من ارضه على واستباحوا جرمهم أو الارواح مسلمي قري الانصون . لم  
تجد شيئاً من تلك القباية ولا هازلك العمرة ولا عسر عنها بشيء قبل انها حواش مرسنة أو  
سأبريت لا تفسد منها حرب أو مفارقة بالمثل لا عما أنت سبقتة ويوجه كل الامتياز في قنطريها  
من قبول النساء عليها . هذه التي نعرض عابدها عليه جواباً سيدياً ولكن ليس  
وصاحب هذا الكتاب بالذي يتعمد تعمية الخفاقي

ونارا آتكة ، وأعظم بلاء حل بالبشرية . لم تكن غاية المغول الفتح  
والاستيطان ، حتى لا الغنم ولا الاستلاب حسب ، بل هراقة الدماء ، وتغليب  
الأرواح ، ودرس البلاد وملاشاة العمران . فذبخوا الشعوب تذبيحاً ودكوا  
المدن دكاً بحيث لم تنج بلاد حل فيها المغول من الهول ، وكان شأنهم في قطر  
شأنهم في سائر الأقطار .

ومات جنكيز خان بعد بضع سنوات من زحفه هذا ، فقام خلفاؤه من  
بعده وانتهجوا نهجه في الزحف وتعميم التاركة . فالمغول حقاً طعنوا الاسلام  
والنصرانية معا طعنة خارقة ، اذ حاق بافطار شرقي أوربة مثل ما حاق بغيرها  
من الأقطار الآسيوية ، وتلك آثار الهول المغولي في روسية ما برحت شاهدة  
على بربرية المغول وهجيتهم . غير أن الهول الذي نزل بالعالم الاسلامي  
كان أشد منه في العالم النصراني ، فالمغول بزحفهم على روسية لم يجاوزوا نهم  
بولندة قط ، فنجبت بذلك أوربة الغربية ، لكن ما أريد لأوربة الغربية من  
النجاة لم يرد ذلك الجانب من العالم الاسلامي . ان المعاصرة المغولية بمهوبها من  
الشمال الشرقي في آسية استطاعت أن تطبق العالم طراً ، من الهند حتى مصر ،  
مقتلعة جارقة كل شيء في سبيلها . وقد كانت فارس ، وهي اذ ذاك ما برحت  
منهب الكتائب التركية ، تحارل النجاة بخضارتها الوليدة فذهبها الجوارف  
المغولية غاشية ماحقة ، فتلاشت قوة فارس وتضعف كيانها أيتها القمم ،  
مم تقدم المغول نحو العراق ليعطوا بغداد ، مدينة الحضارة والتهديب ،  
نصيبها من الهول . وكانت بغداد عهدئذ قد ذهب الكثير الزاهر من عزها  
ومجدها . فذوت خضارتها من بعد هرون الرشيد ، وتذكر الدهر لذلك المايون  
من السكان . بيد ان بغداد ، على كل هذا ، كانت ما برحت مدينة عظيمة  
من أمات المدن الكبرى . فيها كرمي الخلافة ومركز الحضارة العربية ،  
فاقم عليها المغول سنة ١٢٥٨ م . وأعملوا فيها أيدي التخريب والتدمير  
فذهبوا أهلها تذبيحاً . وكادوا يحرقونها محواً من على وجه الأرض . على أن



هذا لم يكن جميع البلاء . كانت بغداد عاصمة العراق ، وكانت ما برحت في العراق سدود الري العجيبة من بحر التاريخ <sup>(١)</sup> . تمثل مهارة بنائها الأولين وقدرتهم ، وتقي البلاد من مهاب أناسير الصحراء . فكانت العراق على الدوام وفيها هذه السدود الكبرى جنة الأرض دهرى العالم . وقد تم قب الفتح كون الكثار في البلاد دوراً بعد دور ونصراً بعد نصير فكان من شأن كل فتح أن يبقى على هذه السدود ، لا ين يعظم شأنها وشأن بنائها ، ويعتبر كل الاعتبار قدر نعمها وخيرها للبلاد . فلما غشي المغول العراق سرعان ما توضعوا هذه السدود تقوياً بحيث لم يبقوا منها حجراً على آخر . فمضت أقدم حضارة عرفها العالم ، وخرب مهد التمدب البشري ومحيث آثار أعمال جدت في سبيلها البشرية طيلة ثمانية آلاف سنة على الأقل ، نضوت العراق خواءها هذا المشهود حتى اليوم ، وباتت مرتدية حلة من الجفاف المحرق ومنشأ لا وثقة الحى المنتشرة متى ما كان فيضان ، يسكن قراها الحقيرة أقوام من الفلاحين ، ويجوب رحابها رحالة من البدو ، يرثون ماشيتهم أرضاً كانت من قبل منابت الحضارة والتهدب .

فإننا نأله التي حلت ببغداد إنما كانت خربة قاضية على الحضارة العربية ولا سيما في الشرق . وكانت هذه الحضارة قد أصيبت ، من قبل نازلة المغول ، بضربة أخرى في الغرب وهي نازلة الاندلس العربية . وهو جز ذلك أن الاسلام بعد انتشاره في جميع افريقية الشمالية ، جاز البحر وطبق اسبانية من أقصاها الى أقصاها ، تنفقت فيها أعلامه وأشرقت شمسها وازدهرت الحضارة العربية الاسلامية الاندلسية ازدهاراً كاد لا يرى مثله في أي قطر آخر من الأقطار الاسلامية الشرقية . وكانت قرطبة عاصمة الاندلس . وفيها كرسى الخلافة الغربية . فبلغت هذه العاصمة من العظمة والمجد مبلغاً كبيراً ، حتى لعلمها

(١) يوجد في العراق نهر دجلة منسوبة الى الرشيد . حدثنا بعض منسوبي الاساق الذين زاروا تلك البلاد أيام الحرب أنها مما تدعى الحكومات الحديثة عن القيام بعمل مثله في العمق والطول والعرض

كانت تفوق بغداد عينا رقياً وحضارة . وقد عاش ملك العرب في الاندلس قروناً عديدة ملكاً زاهراً آمناً والعرب حاصرون للنصارى في السكور الجبلية الشمالية من البلاد . فلما بدأ سلطان العرب يضعف ويونى ، وقوتهم تهين ، أخذ النصارى يدفعون المسلمين جنوباً مستردين منهم البلاد كورة فـ كورة . وكانت معركة « لاندادي طولوزة » سنة ١٢١٣ م انحطت فيها شوكة العرب ، وفيت في عضدهم فتناً كبيراً . ثم من بعد ذلك صارت تتوالى انتصارات النصارى على غير عياء حتى سقطت قرطبة في أيدي المستردين من نصارى اسبانية المتعصبين ، فبادر هؤلاء الى استكمال شأفة الحضارة العربية الاندلسية ، على نحو ما كان يقوم به المغول عندئذ في الشرق . فذهبت الاندلس من أيدي المسلمين ، فلم يبق لهم من جميع ذلك الملك الذي كان زاهراً سوى رقعة صغيرة واقعة في الشرف الجنوبي من البلاد وهي غرناطة ، التي بقيت في حوزة المسلمين حتى استكشف كولمبوس اماركة ، ثم بعيد ذلك طردوا منها ، فاختفت على الأثر معالم الحضارة العربية في الغرب .

وكان الشرق الاسلامي مازال يشقى وتتوالى عليه فتنع المغول وأهوالهم وأماننا الآن آخر داهية من دوايحهم . وهي زحف تيمورلنك في أوائل القرن الخامس عشر م . ففي هذا العهد كان المغول الأول الغربيون قد صاروا مسلمين ، غير أن الاسلام لم يذهب بالكثير من وحشيتهم وبربريتهم واقتنى تيمورلنك آثار جنكيزخان في تذيبخ الخلائق وتدمير البلاد ، فأكالت نفسه تغتبط بشيء الغتباط بما ينظر الاهرام من حجاجم البشر . وأي هرم أكبر من ذلك الذي شيده تيمورلنك من سبعين الف حججة بعد تحريمه مدينة أصفهان في بلاد فارس وانتفى عهد المغول الخائل في الشرق الاسلامي ، ثم جاء الترك بدورهم زاحفين .

الترك العثمانيون هم من أصل القبائل التركية العديدة التي جاءت آسية الصغرى من بعد سقوط المملكة الرومانية البيزنطية . وغالب الفضل في



تشبيد الجند الذي شيدوه وعزهم الذي بنوه انما غائد الى عديد سلاطينهم الذين كانت لهم الغلبة على سائر القبائل الجاورة ، فاستطاعوا بذلك ان يوحدوا جميع القوي التركية العظيمة ، ثم طغقت فتوحاتهم تمتد شرقاً وغرباً ، وفي سنة ١٤٥٣ م . ذك اترك صرح الامبراطورية البيزنطية ذكاً ، وفتحوا القسطنطينية ، وخلال قرن تال فتحوا الشرق الاسلامي من فارس حتى مراكش<sup>(١)</sup> ، ودوخوا شبه جزيرة البلقان من اقصادها الى اقصادها ، وتغلغلوا في احشاء هنغارية<sup>(٢)</sup> حتى بلغوا اسوار « فينة » . واستطاع الترك العثمانيون ما لم يستطعه ابناء عمهم المنول من قبلهم ، فبنوا مملكة متينة الاركان . غير ان ملكهم هذا كان فيه جاف وبربرية وذلك انما لبعدهم عن روح التهذيب والتعريف ، فانهم لم يبرعوا في شيء براعتهم في فنون القتال ، بل كانوا فيها من أشهر الأمم واشدها قوة وبأساً ومراساً ، ولما كانوا في اثن عمدهم وسلاطنتهم كانت خيالتهم ورجالتهم من أفضل طراز الجيوش التي شهدها العالم ، فارغبوا بها أوروبا رغباً شديداً .

وفي هذا العهد كانت أوروبا قد بدأت تستيقظ وتسير سير التقدم الصحيح ، ونشئ حضارة متدرجة مدارج الرقي والنبات ، وبينما كان الشرق الاسلامي يئن من الاهوال المنولية والفتوح التركية . كان الغرب النصراني يشعل مصابيح النهضة ، ويعد اسباب استكشاف اماركة وطريق الهند ، ذلك الاستكشاف الخباير الشأن . العظيم النتائج مما لا يخفى على أحد . ومما يزيد خطورة هي الحلة التي كانت عليها أوروبا في ذلك العهد ، فانه لما كان كولمبوس وفاسكادي غاما يقومان بأسفارهما البحرية قبيل ختام القرن الخامس عشر ، كانت الحضارة الغربية محاصرة في نطاق ضيق لا تجوز دائرته القسم الغربي من أوروبا الوسطى .

(١) استولت الدولة العثمانية على جميع شمالي افريقية من بونو السويس الذي صار اليوم تابعة الى آخر حدود ولاية وهران من المغرب الاوسط والسكر المغرب الاقصى التي في حوزة اصحابه (ش)  
(٢) بقيت بلاد الجبار في حوزتهم ١٥٠ سنة وفيها حوادث عديدة من بينهم الى يومنا هذا ونور بعض الجهاديين (ش)

وهي اذ ذاك في أكره يوم من أيام نضالها وجلادها مع البربرية الطورانية . كانت روسية تمزقها سنابك خيول النتر المغول <sup>(١)</sup> وكان الترك ، وهم يملكون بشوكتهم الحربية يغيرون منتصرين من الجنوب الشرقي مهددين قلب أوروبا شر تهديد <sup>(٢)</sup> . هكذا كانت البربرية الطورانية مطبقة أسية وشمال أفريقيا وشرقي أوروبا يوم كانت الحضارة الغربية وهي طفلة في المهد تستقبل حكم القضاء النازل إمامها وأمامها . وعلى الجملة فقد كانت الحضارة الغربية تنازع في بيل بقلها أشد منازعة ، مولية ظهرها السور العظيم - سور الاوقيانوس . فلذلك لا نكاد نستطيع ان نتصور حق التصور كيف واجه اجدادنا الاوقيانوس ، وشرعوا يمحرون عبايه في تلك الالة الظلماء والفترة العصبية من الاجيال الوسطى . لا جرم ، كانت أوروبا في تلك الحقبة انما تذود عن بقلها بجميع ما كان فيها من قرة وبأس ، وترد عنها غاشية البربرية الاسيوية ، وما هي الا لالة وضحاها ، فاذا بليل الخطر الاسيوي وقد انجلى ، وبالاوقيانوس بات الطريق آمن ، فصارت أوروبا من بعد ذلك سيدة البحار ، ثم سيدة العالم بأسره .

قضى الامر ودارت الاقدار بالشرق والغرب أعظم دورة عرفها الانسان . فبعد ان ركبت أوروبا متن البحار ، صارت تستهزئ بجسارة آسية وعتاتها .

(١) كانت الروسية هذه التي صارت فيما بعد اعظم دول الارض تدفع الجزية للمغول ولوكها يذهبون صاغرين الى حضره ملوك المغول لاجل تقبلهم . وقد أوغل المغول بعد اسامهم في بلاد الروسية الى الغرب حتي وصلوا الى بولوليا وليتوانيا . ولا يزال الى يومنا هذا يقيم عشرة قرية في ليتوانيا اعلمها مسلمون يلقون بضمة عصر الف سنة . وأكثر منهم ياق في بولونيا . وقد سألت بعض ادبياتهم عن اصلهم فقالوا انهم من بقايا العارات المغولية (ش)  
(٢) لما نزلت بحرية الترك في طولون ونيس نجدة لفرنسيس الاول ملك فرنسا الذي دخل في ذمة سايان القاتولي . امسك اهل تلك البلاد عن قرع ابراس كذا تسهم اشرافا للترك . وبقيت القوة البحرية المنيابة اعظم قوة في البحر المتوسط . متصرفه بزملم هذا البحر وأوروبا . فتردد منها فرقا الى واقعة ليبانت في زمان - ايام الثاني . وهي الواقعة التي اجتمعت فيها اساطيل البصراية على الاسطول العثماني فدمرته ولم ينج منه الا القليل مع أنه كان أقوى منها باجها . فان التفسير متوقفا له لا لها (ش)



وكانت من قبل برزخ ترى النصر عليهم أبعد منالاً من الجوزاء . ثم أخذت موارد الثروة تفيض على أوروبا من وراء البحار ، فاتقد نشاط التجارة واشتعلت قوتها . ولا يعجب من ذلك وأوروبا قد كشفت القناع عن ابتكار بلدان فأخذت تستورد منها خيرات لا تباد لها ، غذاء طيباً لحياتها وصناعاتها ؛ فباتت والشرق شتاناً ما هما . فاي موارد كانت للشرق الاسلامي الحروب المهشم ، ازاء اماركة الجنوبية والشمالية وجزائر الهند ؛ هكذا دب الحياة ديبها الهائل في الحضارة الغربية ، فانتفضت وهبت من مرفدها ، وأخذت تخطو الى الأمام خطوات الجباورة ، محطمة أغلال احيائها الوسطى تحطياً ، وقابضة على طلائع العلوم ، جادة نحو العصور الحديثة

وعلى كل هذا ، فقد ظل الشرق الاسلامي جامداً ساكناً ، ملتزماً بخلفان الحضارة العربية التي طال على خوائها الأمد ، ومنسكماً في دحجور الظلام ؛ ولم يكن ذلك جميع شقاء حتى تضعضعت قوته الحربية وبلغت حد التلاشي ، فوهن عظم الترك بعد الشدة ، واستغرقوا في انحطاطهم ، فصاروا لا يستطيعون مجاراة أوروبا اختراعاً وارتقاء ، ولا تحسين فن من فنون القتال . وقد كرت حقب كان الغرب فيها يقاتل بعضها بعضاً قتالاً عنيفاً فلم يستطع الحملة على الشرق ، فعات منزلة اسم العثمانيين علواً كبيراً ، بيد انه لما اغار الترك على اسوار « قينة » سنة ١٦٨٣ م . فردوا على اعقابهم خاسرين ، ايقنت أوروبا حينئذ ان هناك انما كان منقلب قوة المملكة العثمانية ، فأخذت العثمانيين يعثر ونجمهم يأفل . ومنذ ذلك الحين شرع الغرب يكر على المملكة العثمانية السكرة بعد الأخرى ، متناشاً منها ما استطاع ؛ ولو لم تؤرث نار الحسد بين بعض الدول الغربية بعضاً : فتطمع كل دولة فيما طمعت فيه غيرها ، أعني لو لم تختلف هذه الدول في اقتسام الغنيمة ، لمزقت الامبراطورية العثمانية شرمزق ، منذ عهد عهيد .

ثم توالى الأيام على العالم الاسلامي وهو عاجع لا يستطيع ، حتى كان

القرن التاسع عشر ، فتحمل في مهبه مستقلاً ومثلاً الغرب ، وفي خلال القرن الثامن عشر كانت الدول الغربية تحمل على جوانب العالم الاسلامي ، وتخضع لها الاقطار ، في شرقي أوروبا وجزائر الهند ، واما جل العالم الاسلامي ومعظمه ، من مراکش حتى أواسط اسية ، فقد ترك وشأنه ، فما كان يستبر قدر هذه الفترة السانحة ، بل ظل مستغرفاً في مجتمعه ، مستهزئاً « بكفرة » أوروبا ، راضياً مسلماً ان شقاءه انما بعيشة من الله ، لا يقيم لقي أوروبا وزناً ولا يحسب لمستبطلاتها حساباً (١) .

هكذا كانت حالة العالم الاسلامي لما استيقظ استيقاظه في مطلع القرن التاسع عشر فاذا بأوروبا تقف بازائه مخنونة بنورتها الصناعية ، مدججة باساحة العلم الحديث وعجائب الاختراع ، وبين يديها الغاشمتين الطبيعة مسخرة مفضوحة اسرارها وآلات حربية جهنمية لم يحلم احد من البشر بخلقها من قبل .

فكانت النتيجة المتوقعة لما شرعت حملات أوروبا تغشى الشرق الاسلامي ، أخذت اقطاره تسقط الواحد تلو الآخر في ايدي الحاملين عليه ، فلم يمض غير اليسير من الزمن حتى كانت دول أوروبا الكبرى قد اقتسمت جميع العالم الاسلامي ، فاستولت بريطانيا على الهند ومصر ، وعبرت روسية القوقاز وبسطت سلطانها على أواسط اسية ، وفتحت فرنسا شمالي أفريقيا ، وقامت سائر الدول الأوروبية غير الكبرى واستولت بدورها على الاقطار الصغيرة الباقية من الغنيمية الاسلامية ، وما زالت الحالة هكذا ، حتى جاءت الحرب الكونية العظمى ، فكانت شاهداً على آخر دور من أدوار اذلال الشرق الغرب . ولما وضعت شروط المعاهدات بعيد ان وضعت الحرب العامة اوزارها ، قضي على كيان الدولة العثمانية ، فلم تبق من بعد ذلك دولة اسلامية

(١) نعم كانوا يملكون نحو اطمهم الذي هو نتيجة كسبهم وفساد أخلاقهم بكونه قدراً مقدوراً لا حرية فيه اعتذاراً عما هم فيه من الهوان والذلة وسوء الإدارة (ش)



مستقلة استقلالاً صحيحاً ، فتم إخضاع العالم الاسلامي - ولكن على القرطاس !!  
اجل ، تم ذلك على القرطاس حسب ، والسبب في ذلك انه لما ظهرت  
سيطرة الغرب على الشرق هذا المظهر القاهر ، لسرعان ما هبت عليها عواصف  
شديدة عجيبة لم يسمع بمثلا من قبل . كان الشرق الاسلامي طيلة هذه  
المئات من السنين التي كرت عليه وهو حان عنقه للغرب ، تتطور قواه الباطنية  
تطوراً عظيماً وينفعل بعضها ببعض انفعالاً كبيراً ، حتى آن الأوان فانفجر  
البركان فكان منفجره هائلاً .

وهذا المد ، مد بحر المطامع الغربية الطامية ، قد غالى في ايلام الشرق  
مغالة شديدة ، فتحرك الشرق الجامد الساكن أخيراً !! ودار الشرق الاسلامي  
حول نفسه فرأى تامة حاله وما هو حاله بساحته . فآخذت نفسه تحيى  
وتضطرب ، وشاعره تهتاج وتنبعث ، وقواه تثور ثوراناً عجباً بلغ أقصى  
أعماقه ، واستيقظت روح الاسلام في كل رفعة من رفاق العالم الاسلامي ،  
فهب الـ ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ من اتباع النبي محمد (١) ، من مراکش حتى الصين ،  
ومن تركستان حتى الكونغو ، هبوب العاصفة الزعزع لا يعرف مستقرها .  
فدح الزناد في صحراء شبه الجزيرة ، مهد الاسلام ، ثم أخذ الشرر يتطاير  
الى كل جانب من جوانب العالم الاسلامي ، اذ في الصحراء هذه نشأت الدعوة  
الوهابية في مطلع القرن التاسع عشر ، وهي دعوة الاصلاح الاسلامي ، ثم كان

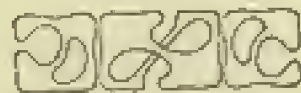
(١) المسلمون اليوم عددهم يزيد على ٣٠٠ مليون . والسبب في كون صاحب هذا  
الكتاب منهم ٢٥٠ مليوناً هو متابعتهم لغيره من المؤلفين الاوربيين الذين لا يزالون  
يحسبون المسلمين اليوم على معدل احصاءات حيرت منذ عشرات من السنين ، مع أن عدد المسلمين  
ازداد بهذه الالثناء كثيراً فالعلامة ناسن الالماني كان يحزر مسلمي أفريقية وحدهم بنحو ٧٦  
مليوناً ، وهذا منذ ٣٠ سنة ثم كشميدون من الجغرافيين لا يزالون يحصون مسلمي الجاوى  
وسومطرة ٢٥ مليوناً والخال أنهم ٣٥ مليوناً وكذلك مسلمو الصين هم من ١٠ الى ٢٠ مليوناً  
ومسلمو الروسية هم ٣٥ مليوناً وكثيراً ما يحصونهم ٢٠ مليوناً وهم جراً . (ش)

من أمرها ان ترقى واتسعت حتى بلغت في نطاقها دور النهضة الاسلامية ،  
ثم عرفت بالتالي بالجامعة الاسلامية .

ولم تكن عوامل هذه التبدلات والتحويلات في العالم الاسلامي مقصورة  
على تلك العوامل الداخلية المنبعثة عنه فحسب ، بل ان هناك عوامل وآراء  
وعقائد ومذاهب سياسية واجتماعية ما انفكت تتدفق من الغرب على الشرق ،  
وجميعها يبت في الشرق الاسلامي روح الاستيقاظ والثوران ، من ذلك عقائد  
الحكومة النيابية ، والمصيبة الجنسية ، والعلوم العملية ، وحقوق العمال ،  
حتى وأكثر من ذلك كحقوق المرأة ، والاشتراكية والبلشفية .

فتوران العالم الاسلامي هذا الثوران ، وشدة النضيق الاوروبي الضارب  
فيه ومن حوله على غير انقطاع ولا حد ، يزيدان في هيجانه فيشعلان فيه  
روح الحركة والعمل . ان الحرب الكونية العظمى قد أتت بعجائب عظيمة ،  
وأرت ما لم يرَ من قبل ، فأنشأ الاسلام عييد واضطرب ، ويتمخض تمخضاً  
شديداً منتقلا من حال حاضر الى آخر مقبل ، ومجتازاً دوراً غابته تجدد عالم  
اسلامي حديث .

ولبيان كيفية هذا الانتقال والتجديد اللذين سترى ثمارهما في عالم اسلام  
المستقبل قد وضعنا هذا الكتاب .





## الفصل الاول

في

البقعة الاسلامية

في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ ، ومن التدني والانحطاط أعظم دركة ؛ فارتدت جوه وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعه ورجا من ارجائه ، وانتشر فيه فساد الاخلاق والآداب ؛ وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي ؛ واستغرقت الأمم الاسلامية في اتباع الاهواء والشهوات ؛ وماتت الفضيلة في الناس ؛ وساد الجهل والنفقات قبسات العلم الضئيلة ؛ واقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واعتيال ؛ فليس يرى في العالم الاسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الناشئين كسلطان تركية وأواخر ملوك المغول في الهند ؛ يحكون حكماً واهناً فاشي القوة متلاشي الصبغة ؛ وقام كثير من الولاة والأمرأ يخرجون على الدولة التي هم في حكمها وينشئون حكومات مستقلة ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها ؛ فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون اخضاع من في حكمهم من الرعماء هنا وهناك ؛ فكثر السلب والنهب ؛ وفقد الأمن ؛ وصارت السماء تطار ظلماتاً وجوراً ؛ وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون

الرعايا ارهاقاً فوق ارهاق . فغلت الأيدي : وقعدت عن طلب الرزق ، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين : وبارت التجارة بواراً شديداً : وأهملت الزراعة ايما اهمال .

وأما الدين فقد غشيت غاشية سوداء : فأبست الوجدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية : وختل المساجد من أرباب السلوات وكثر عديد الادعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان الى مكان يحملون في أعناقهم التماسم والتعاويذ والسبحات : ويوهمون الناس بالبساطل والشبهات ويرغبونهم في الحج الى قبور الأولياء : ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور : وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان : وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء . ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الاسلام : فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي على من استطاعه ضرباً من المستهزات : وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار : فلو عاد صاحب الرسالة الى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الاسلام : لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين : كما يلعب المرتدون وعبد الأوثان<sup>(١)</sup>

وفيما العالم الاسلامي مستغرق في هجمته ومدحج في ظلمته : اذا بصوت قد يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة : مهد الاسلام : يوقف المؤمنين ويدعوهم الى الاصلاح والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم : فكان الصارخ هذا الصوت انما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت : واندلعت ألسنتها الى كل زاوية من زوايا العالم

(١) لو أن قسوماً قريباً من فلاسفة الاسلام : أو مؤرخاً عبقرياً بصيراً بجميع أمراض الاجتماعية : أراد تشخيص حاله في هذه الفرون الأخيرة ، ما أمكنه أن يصيب الختر وأن يطبق المنصل تطابق هذا الكاتب الأميركي ستودارد . (ش)



الاسلامى . ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة  
المجد الاسلامي القديم والعز التقليد ؛ فتبدت تبشير صبح الاصلاح ثم بدأت  
اليقظة الكبرى في عالم الاسلام .

ولد محمد بن عبد الوهاب في نجد الواقعة في قلب الصحراء العربية ؛ حوالي  
سنة ١٧٠٠م وكانت نجد في ذلك العصر على انحطاط العالم الاسلامي وتدليه ؛  
أنقى البلدان اسلاماً وأطهر الأقطار ديناً . وقد عرفنا فيما أسلفنا من الكلام  
كيف كانت تثقل الخلافة من دور الشورى الى دور الاستبداد الشرقي وكيف  
أخذ على أثر ذلك العرب الاحرار أباة الضيم يعودون أدراجهم الى الصحراء  
حيث امتنعوا بحريتهم في حرز بلادهم وموطنهم ؛ وصعدوا عنهم كل حامل  
عليهم . فلا خليفة ولا سلطان غرر بنفسه يوماً لاختراق تلك الصحاري  
الرملية المحرقة والتوغل في فيافيها المهلكة حيث الموت الكريه كامن على  
الدوام لكل طامع غريب دخيل . فالعرب هناك لم يعرفوا قط حاكماً عليهم ؛  
بل ذابهم دوماً الحل والترحال وارتداد المنتجعات في مختلف الواحات في قلب  
الصحراء . وفي هذا الحصن المنيع استطاع العرب منذ القديم الاحتفاظ بفضائلهم  
الدينية لا يشوبها شائبة ؛ ورايتهم السياسية لا ينفع سيف بنيانها ربح . أما  
البدو الرحل فالزعامة فيهم لشييوخهم الذين يتولون القيام على أحكامهم وتدير  
شؤونهم . وأما الحضر في الواحات فالزعامة فيهم على الغالب لشيوخ الأسر  
العليا منزلة ومكانة ؛ بيد أن مبلغ ما في أيدي هؤلاء الشيوخ من السلطة  
المطاعة حق الطاعة ؛ إنما هي سلطة صورية واهنة ؛ لا تقوى على الدوام على  
الوقوف في وجه تيار العادات القومية والعرف . وجل ما استطاع الترك اخضاعه  
من بلاد العرب هو أنهم بسطوا شيئاً من سلطانهم على الاماكن المقدسة الحجازية  
وساحل البحر الأحمر . أما نجد ؛ البلاد الداخلية ؛ فقد ظلت حرة مستقلة .  
وما برح عرب الصحراء فيها يغالون في الاحتفاظ بما يتحدر اليهم من آباؤهم  
واجدادهم من فضائل الدين ووحدة السياسة وعروة الجامعة ؛ فذلك ما تفكروا

قط ينعمون على العالم الاسلامي سقوطه فيما نبت الرسالة عنه وهم يزيدون  
استمساكاً بالاسلام على اصله وجوهره ولبابه ؛ وذلك حقاً مما يلائم طبائعهم  
ويتفق مع امزجتهم .

هكذا كانت حالة نجد لما ولد فيها ابن عبد الوهاب . واذ كان منذ أول شأنه  
شديد الميل الى الاطلاع والتفقه في الدين ، لسرعان ما اشتهر ذكره وذاع  
اسمه ، فعرف بعلمه وافر قوامه على التقوى . فخرج الى مكة في أوائل عمره  
ويطلب العلم في المدينة المنورة ، وساح الى كثير من البلاد المجاورة حتى فارس  
ثم عاد الى نجد مشتعلاً غضباً دينياً لما رآه بأمر عينه من سوء حالة الاسلام ،  
فصحت عزيمته على القيام بدعوة الاصلاح . فقضى سنين عديدة راحلاً من  
بلاد الى بلاد في شبه الجزيرة . فبشر بالدعوة ، موقظاً النفوس ، حتى  
استطاع بعد جهاد طويل أن يجعل محمداً ابن السعود ، وهو أكبر أمراء نجد  
واعلى زعمائها كعباً وشأناً ، يقبل الدعوة ويدخل فيها ، فاكسب ابن عبد الوهاب  
بذلك مكانة أدبية عالية ومنزلة اجتماعية رفيعة وقوة حربية لا يستهان بها ،  
فاستفاد من ذلك استفادة جلية قد مكنته من بلوغ غايته وادراك غرضه .  
فتكونت على التوالي وحدة دينية سياسية في جميع الصحراء العربية شبيهة  
بتلك الوحدة التي أنشأها صاحب الرسالة ، وفي الواقع فإن المنهج الذي نهجه  
ابن عبد الوهاب ليس به شياً كبيراً ذاك الذي نهجه الخلفاء الراشدون كإبي بكر  
وعمر . ولما مات سنة ١٧٨٧ خلفه ابن السعود فكان خير خليفة للمصلح  
الاسلامي الكبير ، واقتفى الوهابيون آثار خلافة الراشدين ، وعلى ما كان  
في يد ابن السعود من القوى الحربية العظيمة ، فإن ذلك ما كان ليصرفه عن  
أن يكون على الدوام نازلاً على رأي الجماعة ومشوراهاء فلم يتمتعن بحرية  
أتباعه وبنى قومه ، وكانت حكومته على عنفها مكينة عادلة فانقطع التعدي  
وأمن الناس السرفات وانتشر الامن وسادت الطمأنينة والراحة . وعكف على

العلم  
عن

ليقول  
فيه

فكر

د

قوة

أهل

أبد

و

تد

على

أمر

و

ض

ال

من

فأ

به

يج

و



العلم والتهديب ، فكان في كل واحدة مدرسة ، وفي كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين

وبعد أن اخضع ابن السعود نجداً ، ونم له الامر في كاملها ، أخذ يستعد ليقوم بعمل أكبر الا وهو اخضاع جميع العالم الاسلامي . ونشر الاصلاح فيه . فجعل نصب عينه في المقام الاول تحرير الاماكن المقدسة الحجازية . فكرر على الحجاز في صدر القرن التاسع عشر بمقاتلته الشجعان المشتعلين بغيرة « دينية » . وكان له ما أراد من الاستيلاء على الاماكن المقدسة ، فلم تستطع قوة الوقوف في وجه الوهابيين وهم يحملون على الترك ، والترك في نظرهم أهل الارتداد والجحود ، ومغتصبو الخلافة اغتصاباً ، وحقها أن تكون أبداً في العرب . وبينما كان ابن السعود سنة ١٨١٤ يمد العدة لفتح سورية وحمته متينة ، كان يحيل الى العالم منه ان الوهابيين متدفقون على الشرق تدفقاً ، وصانعون ما شاء الله من الاصلاح في الاسلام .

غير أن ذلك ما قدر ليكون . فلما أيقن سلطان تركية انه لا يستطيع القضاء على الوهابيين استصرخ بطلا من مشاهير الابطال ، وهو محمد علي ، واستكفاه امر القضاء عليهم . وكانت هذا المقدم الالباني سيد مصر واميرها ، وواقعاً حق الوقوف على قدرة اورية وشدة بأسها وتفوقها ، فدعا اليه ضباطاً من أهل الغرب فنظموا له جيشاً قوياً ، ودربوه تدريباً على الطراز الغربي ، وجهزوه بمعدات الاسلحة الغربية . وكان غالب هذا الجيش مؤلفاً من المقاتلة الألبانيين الأشداء ، فمهرعان ما اجاب محمد علي نداء السلطان ، فأيقن حينئذ ان الوهابيين على شدة غيرتهم الدينية وحماستهم لن يستطيعوا بعد الوقوف في وجه البنادق والمدافع الاوروبية يطلق عيارها جنود مجربون . وما هي الا مدة قصيرة حتى استردت الاماكن المقدسة الحجازية ، ورد الوهابيون على اعقابهم فانقلبوا الى الصحراء ، فأخفت الامبراطورية

الوهابية الوليدة للحال اختفاء السراب ، وأرخي الستار على الدور السياسي الوهابي (١)

بيد ان خاتمة هذا الدور السياسي كانت فاتحة الدور الديني ، فقد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيها نار الغيرة الدينية ، ومنبثق نور تنبعث منه الاشعة الوهابية الى كل ناحية من نواحي الارض ، وما فتى الوهابيون منذ قضي على قوتهم السياسية يثثون روح الحركة الدينية في مئات الألوف من الحجيج الوافدين كل عام الى مكة والمدينة من كل قطر من أقطار العالم الاسلامي ، فيقتبس هؤلاء نارا وهابية ثم يعودون الى أوطانهم يشعلون بها ما استطاعوا اشعاله في سبيل الاصلاح . وهكذا قد استطاع الوهابيون ان يبدروا بذورا تلاها الاختار الشديد للثورة الدينية في كل فج اسلامي ، حتى بلغت دعوتهم الدينية أقصى المعمور فقام في شمالي الهند الزعيم الوهابي المغالي السيد احمد (٢) مستنفر أمسلي بنجاب وأنشأ دولة وهابية . فكان هذا الزعيم يعد عدته لفتح سائر شمالي الهند خالت منيته بينه وبين ذلك ، واضمحلت الدولة الوهابية الهندية سنة ١٨٣٠ غير انه لما جاء الانكليز يفتحون البلاد عانوا الأمرين من بقايا النار الوهابية الكامنة في الرماد ، وظلت هذه النار مخبوءة الى ما شاء الله فكانت عاملا من عوامل « الثورة الهندية » ، ثم استطار من شررها ما تناول افغانستان وسائر القبائل الهندية عند الحدود الشمالية الغربية فاشعلها ايما اشعال . وفي تلك الغضون قام السيد محمد بن السنوسي في الجزائر وآتى مكة ورضع أفابيق الوهابية فيها ، ثم أخذ يجاهد في سبيل انشاء الطريقة الدينية المعروفة باسمه تمهيدا للجماعة الاسلامية . وفي ذلك الأوان أيضا

(١) اقرأ ما يأتي في الدعوة الوهابية ومركزها :

الاسلام بالقرن التاسع عشر (Paris 1888) A Le Chatelier. l'Islam au XIX<sup>e</sup> siècle  
معتقد الوهابية

A. Chodzko "Le d'isme des Wahabis" Journal Asiatique

(٢) هو غير « السر السيد احمد » من عليكره السليم الهندي الممدود من رجال منتصف القرن التاسع عشر



نشأت الدعوة البائية (البهائية) في بلاد فارس، وهذه الدعوة وإن كانت بتعاليمها بعيدة عن تعاليم الوهابية، غير أنها بلا مشاحة حاملة روحاً كروح الوهابية كأنها منعكس لها.

وخلال جيل ثلاثت اعتدت الدعوة الوهابية بأفقتها ومضطربها اتساعاً كبيراً، وتطورت تطوراً عظيماً حتى صارت تعرف باليقظة الإسلامية، ثم اتسعت دعوة اليقظة الإسلامية بأفقتها أيضاً حتى تعددت متجهاتها ومناحيها، وأهم هذه المتجهات إنما هي الدعوة الكبرى المعروفة بالجامعة الإسلامية. وإننا سنفرد قسماً مخصوصاً في غير موضع من هذا الكتاب للكلام على هذه الدعوة الكبرى نبين فيه سيرها وخطورتها السياسية؛ مكتفين الآن بالكلام على سائر وجهات اليقظة الإسلامية ومبلغ مكائنها الدينية والتهديبية<sup>(١)</sup>

فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة اصلاحية خالصة بحجة. غرضها اصلاح الخلق، ونسخ الشبهات؛ وإبطال الأوهام؛ ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الاسلام الوسطى؛ ودحض البدع وعبادة الأولياء؛ وعلى الجملة هي الرجوع الى الاسلام والأخذ به على أوله وأصله؛ ولبابه وجوهره؛ أي إنما الاستمسك بالوحدانية التي أوحى الله بها الى صاحب الرسالة؛ صافية ساذجة؛ والاهتداء والالتزام بالقرآن المنزل مجرداً؛ وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الاسلام. ويتقضى ذلك الاعتصام كل الاعتصام بأركان الدين وفروعه وقواعد الآداب؛ كالصلاة والصوم وغير ذلك؛ والكون على السذاجة التامة في أحوال المعيشة؛ وتحريم

(١) لا يتكر أن الوهابية هي نهضة في الاسلام عظيمة ممتدة في أكثر بلاد العرب وفي الهند. والفاقمون بها الوتعب شديد، وربما أفرطوا في مبادئهم وغلوا في عقائدهم شأن جميع المذاهب التي لا يقف اتباعها عند الحد الذي وضعه اصحابها، ولكن تقرر أنها حركة انابة الى العقيدة الحق وهدى السلف الصالح واقتفاء أثر الرسول (ص) والصعابة \* ونسب الحرافات والبدع، وحظر الاستغاثة بغير الله، ومنع التسبح بالقبور \* والتعبد عند مقامات الاولياء. ولذلك يسمونها عقيدة السلف. ويلقب الوهابيون أنفسهم سلفيين. وأكثر اعتقادهم في الاجتهاد على الامام احمد بن حنبل \* والامام ابن تيمية. وتليده ابن قيم الجوزية. (ش)

اتخاذ الملابس الحريرية ؛ والتأنيق سيف في الأطعمة ؛ وشرب الخمر والقهوة ؛  
والأفيون والتبغ ؛ وغير ذلك مما بعضه من اسباب السرف وبعضه الآخر  
من المضار المفسدة لسلامة العقل ؛ وليس هذا جميع ما في الأمر ؛ بل عد  
الوهابيون المباني الدينية المزخرفة من نواهي الاسلام ؛ فهدموا قبعة قبر  
الرسول في المدينة المنورة ؛ وخربوا ما دún المساجد ؛ فهم على انغالهم في  
الاعتصام بالفروض الدينية وقواعد الآداب ؛ كانوا على ضعف شديد في  
المدارك وبمسد في التعصب . فلذلك كان من حسن حظ الاسلام انهم باءوا  
ببحران ملغظتهم السياسية ؛ فقصرُوا مساعيهم ودعوتهم على التمايم الدينية  
الأدبية فحسب .

وقام على أثر ذلك عدد من النقدة ؛ اتخذوا الوهابية دليلاً لكلامهم وقالوا  
انما الاسلام بجوهره وطبائعه غير قابل للتكيف على حسب مقتضيات العصور  
ومماشاة أحوال الترقى والتبدل ؛ وليس إنفاً لتطورات الأزمنة وتغيرات  
الأيام ؛ بيد أن تقدم هذا الفاسد باطل ولا مسوغ له . إذ قد قاتهم ان الدور  
الأول لكل اصلاح ديني انما هو الرجوع الى حالة أصل ذلك الدين المراد  
اصلاحه ؛ والاستمسك به على حاله الأولى استمسكاً لا يحتمل نقد ناقد  
ولا اتهام منهم . فلمصلحة الدين لا يرى سبيلاً للقيام بالاصلاح وبلوغ الغاية،  
الا بنسخ جميع البدع والاوهام اللاصقة بالدين، دون اعتبار صفاتها وماهيتها.  
ليعتبرن العاقل اللبيب انه لما بدأ الاصلاح البروتسنتي عندنا انما كان مبدأه  
على هذه الطريقة ، فقد نبذ المتعصبة المتشددة من البروتسنت المعروفين  
« بالمتطهرين » المصلح الكبير « أراسيموس »<sup>(١)</sup> واتهموه بالباطل، وشددوا  
عليه التكبر ، متعامين قائلين ان الحركة الاصلاحية انما هي افتراء على الدين  
الصحيح ، ولا شأن لها سوى ابدالها « البسايا » المعصوم بالتوراة المعصومة

(١) هو سيدريوس اراسيموس ( ١٤٦٧ — ١٥٣٦ م ) أحد الابطال الثلاثة في  
الاصلاح الانكليزي على عهد آل تودور . وزميله يوحنا كوكف ( ١٤٦٦ — ١٥١٩ م )  
ونوما مور ( ١٤٧٨ — ١٥٣٦ م ) — ( المغرب ) .



وأخذت اليقظة الاسلامية تنتشر انتشاراً مزداداً ، ومباذياً التجدد والاصلاح الحقيقي تنمو نمواً مطرداً . وكان مما لا شك فيه وأمره طبيعي أن عادت الحرية العقاية الى الظهور شيئاً فشيئاً ، فلم يجهد المصلحون المسلمون في أوائل القرن التاسع عشر كثيراً حتى ادركوا المعتزلة ، فاستكشفوا دقائقها وتفخوها فيها نسمة روحية فصارت الى الحياة . وقد سبق لنا فأتينا على وصف النزاع الذي قام مشتملاً بين أرباب مذهب النقل والسنة والتقليد من جانب ، وأرباب مذهب العقل أعني المعتزلة من جانب آخر في أوائل عهد الاسلام ، فكانت الغلبة لاتباع المذهب الاول ، فاختفت المعتزلة واحت آثارها احماءً حتى عادت فظهرت اليوم الى الوجود بظهور المصلحين الأحرار ، الذين ما فتئوا يؤيدون مذاهبهم وآراءهم الاصلاحية ببراهين أولئك الجهابذة السابقين من المعتزلة ، وبأحاديث وآيات من الكتاب . فمن ذلك استشهادهم على قبول الاصلاح في الاسلام بما هو مأثور عن صاحب الرسالة من قوله : « ما أخبركم به عن الله فخذوه ، وما أخبركم به من عند نفسي فاتقوا أنا بشر مثلكم أصيب وأخطئ » وقوله أيضاً : « أنتم في زمن من عمل بعشر ما علم به هلك ، وسيأتي زمن من عمل فيه بعشر ما علم به نجا <sup>(١)</sup> »

وقبل ان نشرع في الكلام على آراء هؤلاء المصلحين المسلمين وما قاموا به من الاعمال في سبيل الاصلاح ، يجدر بنا ان نبحث بحث المحصن الخبير سيف نفوذ النقدة الغربيين ، القائلين ان الاسلام بطبيعته غير قابل للاصلاح ، وبما هيته غير مستعد لايلاف روح المصور المارقية بترقي الحضارة والعلوم ، اذ لم ينفرد الجدليون النصاري <sup>(٢)</sup> وحدهم

(١) مشكاة المصابيح جلد ١ صفحة ٤٦ و ٤٧

(٢) اقرأ كتب النفس المرسل س . م . م . دويسر Rev S.M. Zwemer الآتية : —

« بلاد العرب أو مهد الاسلام » (Edimbourg 1900) Arabia, The Cadle of Islam

« مفندات الاسلام » Reproach of Islam. London 1915

« العالم الاسلامي اليوم » The Mohammedan World of To-day

وهي مجموعة محاضرات وخطب ثابت في مجمع المردن التي أُنشئت في القاهرة سنة ١٩٠٦

في هذه النقود وما يدور حولها أخذاً ورداً (١) بل شاركهم في.

(١) اشهر زويسر هذا بعداوة الاسلام \* وحرر كتباً افترى فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ماشاء واودع فيها من التدليس ومن الزور ومن قلب الحقائق ومن كل ما ينفر الطباع من الاسلام ما حقه ان يكون سمة غار باقية على الدهر في جبهة التبشير بكتاب شريف كالانجيل هو اعلى من ان يتوصل التوصل الي نشره بالكذب والافتراء . ولقد اطلعت له مؤخراً على كتاب عنوانه « الاسلام . ماضيه . حاضره . ومستقبله » فيه معلومات كثيرة عن مساعي المبشرين في افطار الاسلام كلها قطراً قطراً \* وعن درجة نجاح تلك المساعي وحيوطها ، مما هو حري بالاطلاع بل بانتيابه العلماء والفكرين من اهل الاسلام لمقاومة دسائس تلك الحملات المثبتة في جميع تلك الافطار ، تحت اشكال متنوعة ، منها رسالات دينية \* ومنها بيانات جغرافية ، واكثرها مستشفيات ومصاح وملاحىء للفقراء . وزويسر هذا من رايه في طريقة التبشير عدم مجادلة المسلمين بالبراهين العقلية — حيث يعلم ان قلعهم نمة منيعة — بل الدخول عليهم من الجهة القلبية باستجلاب عواطفهم ، واستمالة اهوائهم ، وتمريض اجسامهم ، ومؤاساة فقراتهم ، وبالاختصار استئثار امراضهم وعقلمهم وكروبيهم وخصاصاتهم ، ولا يتكر ان هذا الرأي هو رأي بحرب خبير ساح في جزيرة العرب وفي كثير من بلاد الاسلام وعلم ما يوزو الاسلام من وسائل التلميم والتتمريض . وما عليه المسلمون من اهل هذه الجهات بالرغم من كثرة الاوقف التي يأكلها نظارها ، والمعاهد الخيرية التي درس معظمها ، وصارت آراهم عين . وقد استوفى زويسر تاريخ التبشير وسيره في البلاد الاسلامية من مشرقها الى مغربها وحمد الله على نجاح الرسالات الدينية المسيحية في كثير من الاصقاع لاسيما في بلاد الجاوى ، حيث معدل من يتصرفون كل سنة من المسلمين هو ٥٠٠ نسبة \* وقد بلغ مجموع المنصرين يزعمه في الجاوى نحو ١٨ ألفاً \* وزعم ان الهند ايضا شاهدت من نجاح هذه الرسالات شيئاً كثيراً ، وان ٢٠٠ مبشر بطوفون اليوم في شمالي الهند هم من منتصرة الاسلام . ومع كون زويسر هو برتسانتياً قعاً ( اصل نسبه من نورماندية بفرنسا ولما طردوا البرتسانت من فرنسا في زمان لويس الرابع عشر ارتحل سلفه الى هولانده ثم الى اميركا ) فهو لا يفرق بين احد من رسله ، وهو يغضب بساعي الرسالات الارثوذكسية الروسية بين النتر ، ومجاهيد البعثات الكاثوليكية في افريقية \* ويدعو النصرانية كلها الى توحيد العمل وشن الفارة على الاسلام من كل جهة \* ويحث على اغتنام فرصة الضعف العظيم الذي حل بالاسلام على اثر الحرب العامة \* وانسيار قوته السياسية ، لاجل جوب افطاره ، والجوس خلال دياره \* وتأسيس مراكز التبشير في الممالك الاسلامية التي كان دخول المبشرين اليها ممنوعاً . ويقول ان اول خطوة جرت لاجل توحيد الاعمال واشراك الحركات بعضها مع بعض هي المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٠٦ واجتمع فيه ٦٢ مبشراً ونحوهم من المدهون بالنيابة عن تسع وعشرين جمعية من اوربا واميركا ، غايتها كلها تبشير المسلمين ووضع هذا المؤتمر اوزاره عن نداء عام الى العالم المسيحي باجمله لاستجلاب نظر اهتمامه الى هذه المهمة العظمي وهي حمل المسلمين على الانجيل ( مع انهم يعتقدون بالانجيل بدون حاجة الى عناء زويسر وامثاله ) وعقب هذا المؤتمر مؤتمرات آخران احدهما في « لوكناو » بالهند والثاني في « ادنيسبورغ » بالنكفزة .



ذلك غيرهم في ابناء الفرنجة كاتباع مذهب العقلية وفيهم « رينان »

ويقرع زويسر الحكومات المسيحية على تقصيرها من اجل ملاحظات سياسية في عقد رسالات التبشير \* ويقعد مناحة عظيمة على ترك انكثرة ولاية « كافرستان » ( شرقي افغانستان ) لعبد الرحمن خان امير الافغان حتى يموت البها احد قواده غلام حيدر فحمل اهل تلك الولاية على الاسلام فاسلموا قاذية . ويقول ان اهالي مقاطعة كيلان في بلوچستان لبسوا مسدلين الابالاسم فالبدار البدار الي تصيرهم قبل ان يصيروا مسلمين متعصبين . . . وفي جزيرة بورنيو من البحر المحيط لايزال جبل اسمهم « الدايكس » على الوثنية ولكن يحيط بهم المسلمون فتجب المباداة الى منع دخول الاسلام بينهم قبل قوات الفرسة لئلا تنظم النصبة .

والطاعة الكبرى عند زويسر هي في اواسط افريقية \* فانه يدوب لهما على انتشار الاسلام في تلك الارض بهذه السرعة الغربية \* ويتأوه على كونه في السودان كفه لا يوجد اكثر من عشرين مبشراً \* وينقل بعض شواهد من مجلة التبشير العالمي ( Missionary Review of The World ) بتاريخ ١٩٠٦ تم بتاريخ ١٩٠٧ معناها انه في سنة ١٨٩٨ كان عدد المسلمين قبلا جداً في اده ( Adah ) على النيجر وانه في سنة ١٩٠٦ كان يوجد منهم في كل مكان الى ابو ( Abi ) وانه اذا بقيت الخصال على ذلك المتوالي فلا يرجى ان تبقى قرية وثنية على طول ( النيجر ) الى سنة ١٩١٠ ( قال طاك الآن ونحن في سنة ١٩٢٤ ) وبالأجمال يقول ان نحو ٥٠ مليوناً في اواسط افريقية واطرافها قد اسلموا بالرغم من مساعي التبشرين الذين لم يرفوا من ابن توكلي الكتف .

وتشكك عن مجاميع الجمعيات التبشيرية في عدن \* والشيخ عثمان منذ سنة ١٨٨٧ . وفي بغداد والبصرة والبحرين ومسقط منذ سنة ١٨٨٩ . ولكن فيما يظهر لم تحصل الجمعيات في البلاد العربية هذه على شيء من النجاح الذي صادفته في الهند والبنجاب وبلاد الخاوي . ويقول ان بعثة اسبوعية احتلت بخاري وخوقند وكاشغر وباركاند ولا يوجد بعثة برونسانية غيرها في آسية الوسطى ولكن بعثة الروس الارثوذكسية قامت باعمال جليلة بين مسلمي الروسية .

ويقول ان الجمعيات التبشيرية لا تزال غير قائمة بواجباتها فيما يتصل بمسلمي بلاد العرب الداخلية والقوقاس وجنوبي فارس و تركستان و افغانستان و بلوچستان والصين و جزر الفلبين . ويشكو من الشكوي من كون بلاد الافغان لا تزال بكراً لم تطأها قدم مبشر \* وان الافغان يمنعون التبشرين من دخول ارضهم \* الا انه يتي عنه بان حكومة افغانستان لابد ان تسمح للتبشرين بالدخول \* ويقول ان الجمعية البرسيبتيرية الاميركية قد هيأت برنامجاً لذلك وستجعل مشهد علي ( شمالي افغانستان ) مركزاً للحركات ( الذي تعلمه ان افغانستان مصممة ان لا تدع بعثة دينية اجنبية تدخل ارضها ) .

ومما يروى انه في مؤتمر « ادنبروغ » قدم أحد الاعضاء الذين جاؤوا الصين تقريراً يتضمن البرنامج اللازم لشرع تبشير مسلمي الصين الذين هم منتشرون في ١٥ ولاية من أصل ١٨ من هذه المملكة العظيمة .

وهو يرجو ان ثمرات التبشير في الصين المتبعة ستكون أعظم منها فيما مضى ، ولا يتكران تبشير السود هو عقبة كادله نظراً لبيض الزوج المجلس الابيض الاوربي على اطلاقه \*

وانضمامهم في وجهه \* ولكنه يوجب على أوروبا اجتياز هذه العقدة وعدم المبالاة بالصعوبات التي تلقاها من جانب السود ، وان تعلم ان هذه الفرصة اذا ضاعت فلانعود أبداً \* فينبغي أن تكون هزيمة الاسلام في الحرب العامة استمراراً للكنيسة المسيحية ( هكذا بالحرف ) وينتقد طريقة بعض الحكومات المسيحية التي - أحياناً بدول روية - تصلح ادارة الاسلام الدينية ونظام اوقاف المسلمين \* مع أن هذه الاوقاف جسيمة دائمة ، يمكن بها عمارة المساجد وتسهيل العبادة وتعزيز قوة الاسلام الدينية \* وقد شوهد كيف زادت سكة حديد الحجاز عدد زوار المدينة \* وكيف زادت خطوط الغرامواي زيارة كربلا \* وصارت شركة كوك تفرغ أغنياء المسلمين الى مكة . وأما من جهة التعليم فإذا اتبعت الحكومات الأوروبية برامج التعليم التي هي جارية عليه في السودان والنيجر ( يظهران الظروف فاضت عليها بالترخيص بحصة من التعليم الديني ) . وفي كلية غوردون في الخرطوم فإن هذه الخطة هي مما تزيد الحواجز بين الاسلام والتضاربية . . . ثم يقول أما المدارس العليا التي تأسست لمكافحة الصادقين من المسلمين (أي الصادقين للحكومات الأوروبية ) فلمعري أكثر الاحيان لم تكن تلك الصداقة حقيقية بل هي مداهنة منهم : ولا يكون لتلك المكاثرات غرة سوى زيادة تمسك المسلمين بسلامهم بل احتقارهم لسانتهم الأوروبية الذين يرونهم قد أصبحوا يذميصون لهم ( من رأي زويسر إذا أن الحكومات الأوروبية يجب أن تستخدم دماء من تلي عليهم من المسلمين وأموالهم ومجاهديهم وتحذر من أن تراعى خواطرهم بشيء يشعرون منه انها تقيم لهم وزناً ) .

وأخيراً يقول ان الاسلام قد تلاشت قوته ، وانهارت دعائمه ، وسقطت مكانته الاولى ، ومشت سكة الاجنبي في حقله ، فلا تناسب زيادة قهره واعنائه والظهور بظهور الدنياة به لثلا بحرك ذلك من عصبية أهله \* وبشر من نخوتهم \* وبؤجج من نيران احتقارهم \* فبنهضوا وينوروا للمقاومة \* بل يلزمنا أن نأخذهم بالوداعة والملاطفة وبذرف الدموع لاجل ان نسلب سخطهم صدورهم \* وننتكس من حرث ذلك الحقل الذي صار مباحاً أمامنا . . . على أنه لا يؤخذ من ذلك أنه يجب سلوك مسلك الضعف مع الاسلام والمبدول الى التهييب \* إذ لا يعقل انه اذا دعى الانسان الى بيت لم يبق له ابواب ولا نوافذ ان يضيق وقته في احتشام اصحاب ذلك البيت ومعاملتهم برفقة الادب والكياسة . . . انه يشتم سوق الحيلة بحكمة ومهارة ولكن يشتم سوقها بشدة . . . ويجب ان الكنيسة تعي جميع قواها من الشرق الى الغرب \* ومن الشمال الى الجنوب \* تحت راية مؤسساها وتشن هذه الفارة على الاسلام الى ان تصل الى غايتها الخ . هذا مما قطنناه من كلام زويسر مع تلطيف كثير من العبارات وحذف كثير منها .

ولكن نجواب المستر زويسر وامثاله ممن فيهم من هو مقتنع بصله مبتغ وجه الله في جهده \* انه ان كان المقصود دعوة الاسلام الى الانجيل فالمسلمون يؤمنون بالانجيل الشريف ورسالة المسيح صلوات الله عليه وسالمة وان كانت الدعوة هي الانجيل في الظاهر والسيطرة الأوروبية في الباطن فهذا حلم من احلام المبشرين \* إذ لا بد للاسلام ان يستعص على هذه الدعوة . ويقف في وجهها سداً متيناً . وان كان مقصد هؤلاء المبشرين هو خلاص النفوس والاشفاق من هوى في النار الخاطئة \* والعياذ بالله . فالاولي بهم أن يذهبوا الى الوثنيين الذين هم أكثر من المسلمين عدداً في الدنيا ، واحوج الى الارشاد \* بل ان يهدوا الملايين المعينة من انفس المسيحيين الذين أبعدوا الذين ظهروا ودأبوا بالتعطيل والاحمال واخذوا يحاربون الكنيسة . فبلى الانسان أن



الفرنسي<sup>(١)</sup> ، وتفر من أعظم الرجال الذين تقلدوا مناصب الأحكام العالية في العالم الاسلامي نظير اللورد كرومر<sup>(٢)</sup> واضرابه . أما هذا الأخير فقد أوجز رأيه بقوله : « الاسلام غير قابل للاصلاح ، أعني ان الاسلام مجدداً مصلحاً إنما هو غيره حاضراً ، بل هو شيء آخر »

وعلى هذا فيجب علينا أن نتدبر حتى التدبر أقوال هؤلاء النقدة لوقوفهم أكثر من غيرهم على شؤون الاسلام ، ولأن منهم من عرف المسلمين سيئاً ديارهم عهداً طويلاً . على انه بعد اقامة الوزن لهذا كله لا يتردد الباحث المقارن في تاريخ الأديان ، ولا سيما في آراء المصلحين المسلمين الحديثاء ، وما استنطاعوا القيام به من الاصلاح من القرن الماضي ، ان يدحض جميع هذه التهمات ادخاضاً ، وبجبه أربابها بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة جيباً .

يجب الا يغرب عن البال ان الاسلام في يومه هذا إنما يجتاز دوراً كذلك الدور الذي قد اجتازته النصرانية في أوائل عهد الاصلاح في القرن الخامس عشر . فالدوران حقاً متشابهان من حيث سيادة عقيدة النقل والتقاليد على عقيدة العقل سيادة مطلقة ، ومن حيث العداء المنتشر للحرية الفكرية والعلوم الطبيعية الصحيحة ، لا ينكر أن الواقف على كتب الشريعة الاسلامية والتاريخ الاسلامي للألف الأخير ، يبدوله على الجملة أن الاسلام لم يتفق كل الاتفاق مع الحضارة الحديثة : والتقدم المصري ، ولكن نقول أفلم تكن النصرانية على مثل هذه الحالة عينها في صدر القرن الخامس عشر ؟ فن يقارن بين الشريعتين الاسلامية والنصرانية من جميع وجوههما ، ير أن روح الأولى اليوم ، وروح الاخرى بالامس ؛ إنما هي روح واحدة . فلننظر في شيء من بدر بيته قبل أن يمد يده لتدبير بيت جاره . أما المسلمون فلا حاجة اليه يبرهم لأنهم يعبدون الاله الحق ولا يشركون به احداً . ولأن شريعتهم ملأى بالفضائل والآداب ومكارم الاخلاق واقامة ميزان العدل حتى مع العدو ونحث على العلم والانسانية والحضارة واغاة المهور وحب الغريب . وعند اللزوم تذرف الدموع أيضاً على البائسين .

(ش)

(١) كتابه « الاسلام والعلم » Paris 1883 Reman, l'Islamisme et la Science

(٢) كتابه مصر الحديثة London 1908 Cromer Modern Egypt, Vol 2

هذا ؛ وهو تحريم الربا في الشريعة الاسلامية تحريماً لو أُبيح لكان من شأنه القضاء على التجارة والصناعة باعتبار معنييهما اليوم . وقد كان من أمر غالب هؤلاء النقدة أن يذكروا غير مرة تحريم الربا هذا ادليلاً على جهود في الاسلام جهود يمسك به عن مجاراة الحضارة العصرية . بيد انه يجب الا ينسب عن البال ان الشريعة النصرانية قد حرمت الربا أيضاً تحريماً لا يوصف . وقد كانت متشددة في ذلك ما استطاعت ، فكانت نتيجة الأمر أن اليهود انبروا للبيدان وظلوا قروناً عديدة محتازين التجارة الأوروبية وجناة ثمراتها ؛ لا يشاركهم في ذلك مشارك ولا يزاوهم مزاوهم . وحدث أن « المبردين » أقدموا حيناً على التدخين بعض التدخين ؛ فعدوا هراطقة النصارى وكفرتهم ؛ واتهموا بارتكاب النواهي ؛ واضطهدوا شر اضطهاد . ولننظر في شيء آخر يزداد الأمر تحقّقاً وانجلاءً . يقول متعصبية النقدة ان الاسلام يجافي الخبرة الفكرية ، وينكر استكناه الحقائق العلمية الطبيعية . فلمع الحق لو شاء الاسلام أن يحتج على النصرانية وردّها اليها افراءها ؛ أكان لديه حجة " آدمغ وبرهان " أقطع مما هو مدون في صحف التاريخ النصراني أن « غاليلو » المشهور قد جلد وعذب ؛ وأذيق الهول أشكالا ، منذ أقل من ثمانئة سنة <sup>(١)</sup> . بحضرة المجلس « البابوي » ، ايرتد عن تعظيمه وهراطقته التي جاهر بها يومئذ ان الأرض تدور حول الشمس ؟

أطبق بنا بعد جميع هذا أن نتعالمى عما قاله محمد في شأن العلم ؛ وان ننكر تكريمه له كل التكريم ؛ وهذه كلماته البليغة ما زالت شاهداً على ذلك خالداً ، وهالك بعضها : —

« اطلبوا الحكمة ولو في الصين »

« اطلبوا العلم من المهد الى اللحد »

« كلمة حكمة خير من مئة صلاة تقيمها »



« يوزن مداد الحسنة بدم الشهيد يوم القيامة »

« العلماء ورثة الأنبياء »

« ما خلق الله شيئاً أفضل من العقل ، خلق الله العقل وقال له أقبل فأقبل  
ثم قاله له أدبر فأدبر ، فقال وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحسن منك ، فبك  
أحاسب وبك أعطي وبك أمنع »

فهذه الأحاديث وكثير غيرها إنما هي برهان على أن الأحرار من المصلحين  
المسلمين يؤيدون اصلاحهم الحرّ بالنصوص الدينية المناسبة لكل عصر ،  
والصالحة لمقتضيات كل دور . ولست أعني بهذا أن دور هذا الإصلاح في عالم  
الاسلام ؛ بحق كونه دوراً اصلاحياً حراً ، سائراً سير التقدم والترقي ، فهو  
لا محالة مدرك غاية الظفر وبالغ محجة النجاح التام . فالتاريخ إنما يحوى بين  
دفتيه كثيراً من أخبار الأمم التي فشلت بعد جهد وحبطت عقب نصب .  
وقد علمنا فيما تقدم من الكلام كيف نشأت المعتزلة الحرة في أوائل الاسلام ،  
وكيف ذوت خفت فذهبت ريحها . بيد أن الحقيقة الكبرى التي ينبغي بناها  
التاريخ ، وليس باستطاعة أحد انكارها ، انه متى ما حان مبرقات اليقظة الحقيقية  
في أمة ؛ وأنشأت العصبية الجنسية تدب في عروق أبناء تلك الأمة دينياً  
مستمراً ؛ أصلح الدين لا محالة ، وتفرض عنه غبار التقليد اللصوق به ؛ وحرّر  
من عهد رسفانه ؛ وحمل حملاً يلائم روح اليقظة ؛ وأخذ به أخذاً متفقاً مع  
متجه النهضة . فهل من أمة من أمم الأرض يقظت يوماً هذه اليقظة فهبت  
فسارت في سبيل العلى ثابتة الخطى رابطة الجأش ؛ فكان الدين حجر عثرة أو  
علة فشل لها ؛ اللهم لا . قد تبلغ تلك الأمة فترة تقف فيها مذلة صعباً من  
الصعاب ، أو حائلة أربة من الأرب ، أو مزيجة عقبة قائمة في السبيل . ثم ما  
زال مستحثة ركابها ومعملة المهامير في مطيها ، حتى تبلغ الغاية وتطفئ نيرة  
الجهاد يانعة . وعلى ذلك فليعلم أنه ليس من الممكن بعد أن العالم الاسلامي  
يؤنى عزمه فيتقاعس عن السير الدراك مادامت روحه نائرة وعزمه متفدأ ؛ وهو

فوق ذلك كله يزداد مساساً مع الحضارة الغربية ، واقبالاً عليها وأخذاً عنها .  
ان العالم الاسلامي لن يستطيع بعد اليوم البقاء على عزله كما كان فيما مضى ،  
حتى ولو شاء هذا ، اذ جميع ما فيه اليوم انما يبرهن على انقلاب شديد وانفعال  
عميق وتطور من حال الى حال . يقول النقدة مثل اللورد كرومر ان الاسلام  
منقحاً ليس الاسلام حاضراً ، بل شيئاً آخر ، أليس هذا ترى العجب كل  
العجب ؟ فلماذا لا يظل الاسلام إسلاماً ؟ إذا شاء المسلمون أن يظلوا الى ما  
شاء الله مسلمين ، وان يظل دينهم دينهم ، وان يستنبطوا ابدآ بروح الرسالة  
المحمدية ، أنكرنا عليهم اسمهم كأنه شيء يجب أن لا يكون ؟ هذه النصرانية  
الحديثة تختلف اختلافاً بعيداً عما كانت عليه في الأجيال الوسطى ، وأكثرها  
اليوم بيان أكثرها بالأمس ، وهناك تناف واسع الشقة وتباين شديد بين  
بعض الكنائس والبعض الآخر ، ناهيك بهما من تناف وتباين بعيدي المضطرب  
والغور ، وعلى هذا كله فجميع الطوائف النصرانية ما برحت تدعى نصرانية ،  
فبالله علام هذا التعامي في حق الاسلام ؟

وقد حان لنا الآن بعد الذي تقدم أن نبسط الكلام على قادة الاصلاح  
من المسلمين ، مدققين النظر في ذلك بتجرد عن الهوى بحيث يجب أن تكون  
أحكامنا مبنية على ما قاله هؤلاء المصلحون القادة من الأقوال وما قاموا به  
من الأعمال ، وليس على ما هو مدون عنهم في بطون الكتب والتواريخ التي  
ذهب واصفوها فيها مذهب الغرض ، فقد قال أحد المصلحين المسلمين وهو  
جزائري <sup>(١)</sup> قولاً سديداً : — « لانقاس حضارة أمة بما في كتبها الدينية من  
السطور والعبارات ، بل بما تقوم به تلك الأمة من الأعمال . »

أنشأ المسلمون الأحرار المتأخرون مذهبهم الحر على الأسس التي وضعتها  
المعتزلة منذ ما يقرب من ألف سنة خلت . ومن تدبر تاريخ الاسلام حق  
التدبر ، أيقن كل الايقان ان الاسلام لم يخل يوماً في جميع ماضيه حتى في أشد



عصوده حليماً من بعض المصالحين الأحرار ذوي القول النيرة والمدارك الثاقبة والهم الصادقة الذين انما كانوا يتوالون الحقبة بعد الحقبة، فيصرخون في المسلمين صرخات الإصلاح الشديدة، ويرفعون علماً من اعلام الهدى والارشاد، واليك مثالا من هذا، فقد كتب الغراني المشهور، وهو من رجال القرن السادس عشر: « ليس يبرز على الله عز وجل أن يكشف لبيادة الخاضعين في المستقبل، ألم يكشف مثله لغيرهم فيما مضى من العصور، وإن ينزل من نعمة الروحانية على مستحقها من الحكماء في كل دور، النعم التي تفيض نوراً على أبصارهم وبصائرهم فتهديهم سواء السبيل »

فهذه الصرخات التي تواتت والمصاييح التي أوقدت في فترات مختلفة طيلة جميع الاجيال التي كرت على الاسلام من بعد انحداره عن الأوج، قد كان من شأنها ان تمهد السبيل لبعض التمهيد للمصالحين المتأخرين، اذ لم ينتصف القرن التاسع عشر، حتى كان قد قام في كل بلد من بلدان المسلمين في رقعة الاسلام عدد من رواد الإصلاح ودعائه ينهون ويوظفون، ويحضون ويستحثون، بيد ان هؤلاء كانوا نزرأ في بدء عهد الإصلاح الحديث، فلانوا في سبيل ذلك مثل ما لاقى غيرهم من الذين ساروا سيرهم، اذهب رجال الدين<sup>(١)</sup> وسواد السذج يرمون المصالحين بالمروق من الاسلام، فكان من طبيعة الامر ظهور النزاع والمصادمة بين المسلمين في سبيل الإصلاح. وقد كانت الهند أول رقعة اسلامية رفعت فيها اعلام الإصلاح، فقام فيها عصابة من المصالحين، ذوي عزم شديد وعلى رأسهم « السر » السيد احمد خان،

(١) كره صاحب الرسالة ان يعين وظائف دينية يتولى القيام بها رجال مخصوصون، فلا سلام من حيث الاصل لم تنم كتب الشريعة من من المسلمين يتولى القيام بالوظيفة الدينية، على حد ما هو الامر في النصرانية واليهودية والبرهمية وغيرها. فأبى مسلم كان يستطيع ان يقوم في المصالحين اماماً، بيد انه على نوال الايام نشأت طائفة من القوم العارفين بالاصول الشرعية والفقه الاسلامي ودرجت تتولى المناصب الدينية حتى عرفت بالاساس رجال الدين، ثم نشأت طوائف اخرى كطائفة « الدراويش » واشغلتها على ان الاسلام لم يكن يعرف شيئاً من هذا في اول عهده.

وانبروا يجاهدون في سبيل الدعوة الكبرى للاصلاح الحر، فأنفوا الجمعيات ونشروا الكتب والصحف، وانشأوا الكلية العلمية الاسلامية في عاكره واما « السر » السيد احمد خان فهو خير مثال من المصلحين الأحرار المتأخرين، وكان مذهبه مذهب المحافظين المتمسكين بفضائل الدين، فيكي حالة الاسلام، وأعظم شقاء المسلمين، منقداً غيرة وهابية. وكان يعتبر قدر الحضارة الغربية، ويحض أبناء قومه على ورود منهاها، وأخذ الصالح منها. فقد كتب سنة ١٨٦٧ في هذا الشأن يقول: « يجب علينا أن ندرس الكتب العلمية الغربية، وان كان مؤلفوها ليسوا بمسلمين، وكان فيها ما يخالف القرآن الكريم، وأن نأخذ إخذة العرب في أوائل عهد ملكهم، فانهم لما شرعوا ينشئون حضارتهم الكبرى لم يترددوا البتة في دراسة كتب فيثاغورس وكتب غيره من فلاسفة اليونان »

ثم أخذت دعوة الاصلاح الحر تنمو نمواً سريعاً في الهند وتزداد قوة ورسوخاً، وقام فيها من القادة المشهورين عدد كبير أعزوا شأنها اعزازاً كبيراً مثل مولوي شيراغ علي، والسيد أمير علي العبقريين اللذين اشتهرا في العالم كله بما أخرجاه للناس من الكتب القيمة الباحثة في شؤون الاسلام وروحه، وقد كتبها هذه الكتب <sup>(١)</sup> باللغة الانكليزية الفصحى فذاعت ذيوماً قل أن يعرف له مثيل، وهذان البطيلان وغيرهما أمثالهما في الهند لقبوا بقومهم « بالمعتزلة الجديدة »، وشرعوا يجاهدون جهاد المصلحين العظماء في سبيل الاصلاح ذائدين عن حياضه ومؤيديه بكل حجة دامغة وبرهان قاطع، ومنادين بوجوب استعصاء الشريعة الاسلامية واستدراار خيرها واستثمار الاوفى منها لمقتضيات العصر، لأن لا سبيل لتجديد الاسلام التجدد الصحيح الباقى غير هذا السبيل، وقد كتب أحد هؤلاء القادة العظام وهو السيد « خدا

(١) امل غير ما كتب السيد أمير علي كتابه « روح الاسلام » ( لندن ١٨٩١ )



يخشى « في بعض كتبه يقول : « ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبغض شيئاً بغضه للشرائع والقوانين الجامدة التي تقيد العقل فتقوده صاغراً أعمى . ليس القرآن الكريم الا كتاب هدى للمؤمنين ، وليس عثرة في سبيل ترقى المجتمع والآداب والشرائع والقوانين والمدارك العقلية » . ثم جاء على كلام نعى فيه حالة الاسلام منه : « لعمري ان هذا الاسلام اليوم ليس هو الاسلام الذي أتى به صاحب الرسالة ، بل انت الاسلام الذي جاء به النبي ليري من هذه السلاسل المؤلفة من حلقات الوفاائف والمناصب الدينية <sup>(١)</sup> ، وعار عن هذا التعصب القاتل والجهل الشديد ، والأوهام والباطيل الكفرية » . ثم أنهى كلامه قائلاً : « هل الاسلام عدو للترقي والتقدم ترى ؟ اني لا أعوذ بالله من قائل ام : فنى وضع الاسلام في البوتقة وأخرج منه ما علق به من جميع هذه الأباطيل الخداعة ، كان ذلك الدين الساذج الحلو المساغ . فالاسلام على أصله ووصفه إنما هو ركنان لا ثالث لهما : توحيد الله تعالى . والايمان بأن محمداً هو رسول الله ، وما عدا ذلك ليس من الاسلام »

وفي ذلك العهد كانت دعوة الإصلاح الحرق قد طفقت تنتشر في كل قطر من

(١) كنت مرة في المدينة المنورة فتشاهدت فيها شيخ الحرم النبوي ( وكان يومئذ زبور بك مدير المشاهير في الاستانة سابقاً ) وبعض خدمة الحرم في ساعة مخصوصة بعد العصر يدخلون الحجرة الشريفة لا يقبلون الدعوى والقيام ببعض الخدمات المرسومة ، وقبل دخولهم يمسحون جميعهم وشاماً أيض شاماً ، وكانهم يريدون بذلك زيادة التعظيم والتوقير ، فذكرني ذلك بالوشعة التي هي من التبرع نفسه بإبائها بعض رجال الأديان الأخرى التي فيها ما ليس في الاسلام من الرب الدينية والدوجات الكنسية ، وذلك عندما يدخلون الى معابدهم . وهم لا يلامون على ذلك لأن خدمة الدين طيبة مخصوصة عندهم بخلاف الاسلام . وصادف ان كنت هناك السيد أبو بكر عثمان من عظماء الهند احد أعضاء مجلس الهند الاعلى وهو ليس ممن يحسن التركية ولا العربية لا يعرف من اللسان الاسلامية الا القارصى ، وجميع تحصيله كان في الكثرة ، ولكنه كان يفهم روح الاسلام جيداً . فغاه وكاشفني بما وقع في نفسه من انكار هذه العادة ، ولكن : « لا تبين منى من قبلكم شيئاً بشير وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لخلدوه » حديث شريف .

الآفطار الاسلامية . فهب المصاحون الاحرار في كل بلاد يشرون بالدعوة ويجهدون في سبيلها بحمد قوي وعزم أكيد . فقد ظهر الاحرار في تركيا وكانوا القابضين على أزمة الدولة خلال غالب المدة بين حرب القرم والعهد الحميدي <sup>(١)</sup> ، ومديري شؤون المملكة وساسة أمورها . وقام في احرار الترك عظماء مثل الوزيرين رشيد باشا <sup>(٢)</sup> ومدحت باشا . المجاهدين الكبارين في سبيل تحرير الدولة العثمانية من رقة ذلها ، وقائدها نحو التجدد والترقي . وغلى الدعوة للاحرار في تركيا يغالبون الاحوال مغالبة ويعانون من الاستبداد الحميدي ما لم يمان مثله غيرهم ، فقتلوا قتيلاً ، وأهبطوا جرف الارض وقاع البوسفور ، ونقوا وعذبوا ، حتى كانت ثورة سنة ١٩٠٨ فذهبت عاصمتها بصرح الاستبداد وقوضت أركانها تقويضاً ، فبرزت « تركيا الفتاة » الى الوجود . وفي مصر كان لواء الاصلاح خفافاً بحمله أبطال عظماء مثل الشيخ محمد عبده ، مصلح جامعة الأزهر ، وصديق الثور كروم الحليم <sup>(٣)</sup> . وفي سائر

(١) ١٨٥٦ الى ١٨٧٨

(٢) مصطفى رشيد باشا انظم رجل الدولة العثمانية في القرن الماضي . تولى العداوة في زمان السلطان محمود الى زمان السلطان عبد الحميد . ونجح له تلامذة في السياسة لم تعرف الدولة انظم منهم امين على باشا المشهور . وانه فؤاد باشا الذي ليس بأقل شهرة منه . ومنهم مدحت باشا ابو القانون الاساسي أو الحكم الشوروي الذي يقال له عنه الترك « مشروطيت » (ش) (٣) استاذاً فريد عصره . ووحيد عصره . حجة الاسلام الشيخ محمد عبده . أكرم الله مناد . تعرف اليه محور هذه الحوائث في عهد القاب . ايام كان هو منفياً في بيروت على أثر الحادثة العراقية وذلك سنة ١٨٨٦ . ولازمته . واخذت منه واستفدت منه بقدر ماوسع مشور خاطري . واستفدت من بحر سكمته ما لم يكن ان يملك قصور عارضي . ووحدت فيه الفضالة التي كانت انتمها . والبرقة التي كانت انعت عنها ولا ابعدها . ورأيت في فهمه القيمة الاسلامية الشكلى الوحيد الذي يرجى ان يخلص الاسلام بعد ان آل الى هذه الحال . وان يقرن عظمه بعد ان فنى ضلالتهم المتوال ان عثرت لانتقال . وما زلت بعد ان عاد الى وطنه مصر الى ان ادركته الوفاة رحمه الله اهذه حبلى للسكينة . وأقف على رأيه في اكثر الامور جزئياً وكلياً . واستظلم منه ضلع الاحوال . وهو يت الى ملايته الى غيبي من سوانح فكره . وذوات





مبلغاً عظيماً ، ووغل فيهم تيارها موغلاً كبيراً ، فاقبلوا على كل شيء غربي .  
 أغنا كان أم سميناً ، وولوا ظهورهم جميع ماضيهم بحيث صاروا لا يحفلون بمفخرة ،  
 من مفاخر تاريخهم ولا يبالون بذكرى من ذكريات سالف أيامهم ، ففي كل  
 من البلاد الاسلامية المترفية ، ولا سيما في البلاد التي مازالت منذ عهد طويل  
 في حكم الغرب كالمند ومصر والجزائر ، عدد من ابناء المسلمين الذين طالبوا العلوم  
 في الغرب ونشأوا نشأة الغربيين أخلاقاً وتهذيباً ، فباتوا لا يكثر ثون لشأن  
 من شؤون الدين الذي ولدوا فيه ، ولا يهابون المصارحة بالتعطيل والاحاد ،  
 فتلاشت في نفوسهم حرارة الاسلام وذهبت منهم عصبية الايمان ، وقد  
 وصف استاعيل حامد الجزائري حال مثل هؤلاء من ابناء قومه بقوله : « كان  
 الاحاد الغربي مبالغ كبير من التأثير في جمهور ليس بالقليل من مسلمي الجزائر  
 الذين وان كانوا ما برحوا مسلمين في الظاهر ، فهم يحفلون حد ما وصلت اليه  
 روحهم الدينية من التلاشي . ان هؤلاء لا يشكرون الاسلام دينهم ومعتقدهم ،  
 غير أنهم قد أضحوا من فتور الفيرة الدينية في نفوسهم بحيث غدوا لا يبالون  
 البتة بنشره في الناس وبالدعوة اليه في غير المسلمين . فالاسلام عندهم انما  
 مقصور على من يأتي من بعدهم من الاولاد والاحفاد خصب ، وليس يتناول  
 أحداً سواهم من الخلق أجمعين . فالخلق ان الاسلام لبراء مما هم فاعلون ،  
 وليس ذلك هو الحرية الفكرية ، على ما يزعمون ، بل انما هو الفتور  
 فالتلاشي <sup>(١)</sup> »

وانه لمن الغرابة بمكان أن نرى فريقاً آخر من المسلمين يختلفون عن الفريق  
 الذي تقدم ذكره اختلافاً بعيداً وفي ذلك من التناقض والتباين ما يقضي  
 بالمعجب الشديد ، فان أتباع هذا الفريق الآخر هم من الناشئة الاسلامية ،  
 متشبعون آراء التلو الغربي كالاحاد والاشتراكية والبلشفية وغيرها ، وغلوهم

(١) كتاب استاعيل حامد « المسلمون الفرنسيون في شمال افريقية »

Les Musulmans Français du Nord de l'Afrique - Paris 1906



هذا لا يقل عن مبلغ ما هم عليه من التعصب الديني الكثير ، وهم يسمعون  
جهدهم لمقد عروة اتحاد بينهم وبين فريق الرجعيين ، حتى اذا ما عقدت هذه  
العروة ، وكانت محكمة موثقة ، وتألفت منها تلك القوة الكبرى ، كانت  
نتيجتها الهاب صدور المسلمين كرهاً ومقتاً للغرب . ولما كان هؤلاء الغلاة  
يعدون نفوسهم في كل بلاد هم فيها ، انهم انما قادة سواد الأمة بحق ، لذلك  
تراهم أبداً نهجاً أشد النهم في الظهور الى عالم السياسة والقيام على شؤونها كما  
يتسنى لهم بلوغ الغرض من ذلك سيطرة الغرب المنتشرة في الشرق الاسلامي  
دكاً . فهم والحالة هذه من غلاة الوطنيين لا يألون في السعي وراء تحقيق  
غايتهم ، ولا سيما بأشد الوسائل الرجعية في سبيل الجامعة الاسلامية ، وقد  
وأينا غير مرة كيف يجده هذا الفريق المالح في استئثار الروح الاسلامية  
وهياج النعرة القومية ، فقد كتب السيد بخش يصف رجلاً من هذا الفريق  
بقوله : « اني أعرف سيداً مسلماً ، يعرف من أين تؤكل الكتف ، موفق الحال  
كبير النجاح ، انما في يديه اداة يستعين بها على عمله ، ولولاها لما حاز شيئاً  
مما هو حائز عليه من هذا التوفيق والنجاح ، وما تلك الاداة الا الدين . »  
فهو يبلغ في الغرور في بني قومه ومظهر الملم المتمسك بشعائر الاسلام  
المتشدد فيها ، وكثيراً ما يقوم في الجموع خطيباً مرشداً حاضاً . كثيراً ما  
انه على ما اعتقد في نفسي اشتد في نفسه دلي آراء في الاسلام وصاحب  
الرسالة مما ينبو عن سماع مثله سمع ( قولاً ) ولم ينطق بمثله لسان ( غيب ) »  
وانما سبب الكلام في فصلي « الجامعة المصرية » و « المعصية الجنسية »  
من هذا الكتاب على بيان أعمال هذا الفريق ، بيد ان ما يجب الاشارة اليه في  
هذا الموضوع اشارة مخصوصة ، انما هو التباين في المنهج والوسائل لتحقيق  
الاصلاح العام في العالم الاسلامي . بين هذا الفريق ، وبين المصالحين الخاصين  
الصادقين الذين أتينا على ذكرهم من قبل . ناهيك به من تباين صار بهند  
الاصلاح ، فغلاة الوطنيين ، والضرر الذي ينتاب الاصلاح انما ناشئ من

جانبيهم ، دأبهم استشارة الروح الدينية في قلوب سواد الأمة ، وحمل هذا السواد على مقت كل شيء ، غربي يروونه في بلادهم ، وعداء الغرب في كل أمر سوى ما يؤول الى ترقية القوى العسكرية الاسلامية ، وفي هذه القطعة المختلقة من مقال لاحد عقلاء رجال « تركية الفتاة »<sup>(١)</sup> يخاطب اوروبا ، مثال بين على هذا :-

« أجل ، الدين الاسلامي لم يبرح ولن يبرح على عداء حضارتكم وتقدمكم . فانتمو يا جبابذة الغرب الى النصراني ، سواء أ ربيعاً كان أم وضيماً دينياً ، فانه مجرد كونه نصرانياً ، ليس له عندنا منزلة ولو حققت مهما حققت من منازل الانسانية . وهذه مقالتنا لكم سبحة واضحة : ان من ضل سبيله فانكر وحدانية الله الواحد الأحد ، واتخذ له من دون الله ارباباً ، فقد ضرب بالبله والخيال ، فان ربنا صانعه كان ذلك منا احتقاراً لدينتنا وانكاراً لبارئ السكائنات . وعلى ذلك فالتخذ الفأ غير الله والجاحد الوحدانية ، المستحق للعنة الابدية . وليس ذلك جميع الامر بل ان اقدس عمل يقوم به المؤمن هو قتاله لهذا المنكر الجاحد ، حتى يحمده على الدخول في الاسلام ، أو يستأصل شأفته من على وجه الارض . هذا ما يأمرنا به الهنا الواحد الذي لا آله الا هو . نحن لا نعرف في هذا العالم سوى المؤمنين أو الكفار . أما نحن المؤمنين : فتصل صلوات المحبة والاحسان والاخوة بعضها ببعض ، وأما أنتم الكفار ، فاننا لكم مقاتلون ومبغضون ومقاتلون . وشركم انما الذي يقول بوجود الله من حيث يستقده مولادته من البشر . فما أشد هذا الضلال ، وما أبعث شقة الخلف بيننا وبينكم ! ان وجود مثل هؤلاء الكفار منكم بين ظهرائنا لآفة في كياننا ، ولا غرابة فتمتدكم انما هو غرض من دين التوحيد ، ومعاشرتكم ليست مما تتعارف به ومعاملتكم عذاب لنفوسنا .

« وعلى هذا كله ، فاننا نقبذكم بهذا من حيث تدرس انتمكم السياسية

(١) آتبه الشيخ عبد الحق في جريدته الشريف بالنا د مشروطة آت سنة ١٩٢١



والعسكرية ، فكأنكم والحالة هذه تدفعون إلينا أسلحتكم لنقاتلكم بها ففشتد  
قوة بارائكم وفعلكم شوكة ، فوق ما تجود به علينا العناية الأزلية من العون  
عليكم في عصر أشعلتم فيه نار غيرتنا الدنيوية وهجتم فيها ذكرى شهدائنا  
وابطالنا المسلمين الذين استشهدوا في سبيل الدين . فنحن جميعاً على اختلاف  
مذاهبنا ومناهجنا متحدون على مقتكم وكرهكم ؛ وبعد هذا كله أيقودكم  
إلى الظن أنما تصرون نحو حضارتكم يا أبناء الفرنجة ؛ تعود بالله من  
ذلك ومنكم .

ولا شك في أن مثل هذا المقال يلقى في جمهور المسلمين وسوادهم آذاناً  
صاغية وقلوباً واعية<sup>(١)</sup> . وفي هذا الموضع ينبغي ألا يذهب عن البال أن  
المسلمين الأحرار مابرحوا الألفين عدداً ، وإن كانت قوتهم متوالية الازدياد  
والاستعداد ، إذ يحرقهم السواد الجاهل من الأمة ، السواد المجتازون اليوم  
ديراً من أشد أدوار التلخص والانتقال والخروج من الظلمة إلى النور ، أضف  
إلى هذا أن من أظهر صفات السواد أعجابهم بشأن بلادهم فيرونها خير البلدان  
وجبة الدنيا بالأمراء ، ويمدون كل بلاد سواها مستحقة المنع والازدياد ؛  
وإن أعترف المسلمون الذين على هذا الطراز بسلطان الغرب وتوقفه على الشرق  
فما يفعلون ذلك على غلر في القاب واحتدام الحفيظة — لذا تراهم يكرهون  
كل شيء جديد ، ويستعملون غيظاً وتأملاً من جراء ما يشعرون به وروية  
حوهم من شدة خنات السيطرة الغربية . وعلى الجملة فإن هذا السواد الجاهل  
هم من أبدي قادة الجامعة الإسلامية وغلاة الوطنية ، يتصرفون بهم كيفما  
شاءوا تصرف الخراف في صنع الطينة بين يديه .

فلاسلام اليوم تتجاذبه قوتان : قوة المسلمين الأحرار ، وقوة الغلاة  
الرجعيين . أما الأولى فيها مناهج الآمال في الفوز بالإصلاح على ما تقتضيه

(١) في هذا المقال لم يذكر ليحيى على أحمد ، ولكن الغلاة لا تحلو منهم لمة ولا اتباع

سنة سير العمران والترقي ، ولها من الزمن اكبر عون ونصير ما دام العالم الاسلامي لا حيدة له عن قبول مؤثرات الحضارة الغربية ، لا بل مادامت هذه الحضارة ثابتة الاركان بعيدة عن الانهيار والانقراض ، وعلى كل حال فالتوقع ان الذين سيرفعون علم الظفر والغلبة بالتالي انما هم المصلحون الاحرار ، ولكن من يستطيع الرجم بالغيب والكشف عن مخبات المستقبل لينبئنا ما لعله ناشئ في السبيل من عقبات وما يقوم به الرجعيون الغلاة من وضع العثرات ، وصفوة القول ، فلا ادوار الاصلاح في عالم الاسلام اليوم ، ولا العلاقات بين الشرق والغرب بمعزل عن الاخطار الحاملة آجنة البلايا ، تلك الاخطار التي سنأتي على بيان أدلتها في الفصول التالية من هذا الكتاب .

بقي علينا ان نذكر الحقيقة الكبرى التي يجب الاتقنل ، وهي أن في كل قطر من اقطار العالم الاسلامي جمهوراً من المصلحين الاحرار يزدادون عدداً ويشدون قوة وينضم الى لوائهم رجال من سائر الاحرار الخبراء الراسخين علماء باسرار نهضات الامم وتقدمها ، والى جانب هذا الفريق فريق المحافظين ، وجميعهم ، وقد رأوا حالة الاسلام والمسلمين ، انما يعانون عصياً متحدة متماسكة الاطراف في سبيل الاصلاح العام في المعمور الاسلامي ، منتهجين المناهج القويمة والسبل السديدة ، شاعرين حقاً بأن الفترة الحسيرة وعالمين ان الدور دور انتقل شديد وحاسبين فوق جميع هذا ان جهادهم هذا الجهاد هو من أشد الاعمال نبالة والمقاصد مفخرة والواجبات شرفاً . أما ما يتوقع من التطور في الشريعة الاسلامية وفوائدها آراء هذا الاصلاح ، فليس من شأننا البحث فيه في هذا المقام ، انما التار يخ يشبها انه متى ما انتضت سنة النشوء اصلاحاً ، وأعدت اسبابه وشلاه ، واجازته دوراً اختتمت فيه عناصره ، كان ذلك الاصلاح واقعاً ولا تبدل لسنة العمران البشري .

ومما لا مرأ فيه ان روح الاصلاح ، على اختلاف مظاهرها وصورها ، قد تنافلت في الاسلام ودرت فيه ديباً هائلاً وفشت في كل عرق من عروقه .



حركته فتتحرك ، فإخذ ينفعنا انفعالا عظيما . فعالم الاسلام اليوم هو غير .  
 منذ عشرة عقود . قد استطاعت الوهابية التي ظهرت منذ أكثر من مئتي سنة  
 ان توقف الاسلام فاستيقظ مذعورا ، فكانت تلك المصيبة الدينية الا الضم في  
 النار أو الفريسة تحت خنايت باطيل النار ، أضف الى هذا أن روح الحرية  
 والحركة ، والمؤثرات الغربية في زائد انتشار وإنبثاث في كل رقعة من الرقاع  
 الاسلاميه ؛ وان كانت المخاوف والمخذورات تقرأ في جبهة المستقبل ؛ ففي  
 جبهة المستقبل أيضا تقرأ الآمال الحسان .



## الفصل الثاني

في

الجامعة الاسلامية

الرقطة الاسلامية : شأن كل انقلاب عظيم : نشأت نشوءاً ملتبساً فاشتبه  
 بعض متجهاتها ببعض اشتباهاً كبيراً . ولا عيب فذلك انما هو من طبيعة كل  
 دور من ادوار الرقطة والذبة والموار الانتقال والنحول . فقد بدأت الرقطة  
 الاسلامية بالدعوة الوهابية الدينية اصلاحية . ثم أخذت تجمار ادواراً عديدة  
 متشعبة الناحي وأحراراً متناقضة الصفات . وقد سبق لنا فسطنا الكلام في  
 الفصل السابق من هذا الكتاب على متجه الاسلام اليوم ومسيره ومنتجده  
 في سبيل الاصلاح المترفي على حسب ما تقتضيه طبيعة الشؤ . وأوضحنا ان  
 روح الاصلاح ما فتئت تدب في كل عرق من عروق العالم الاسلامي ديباً  
 طبيعياً هائلاً . فتدفعه الى الامم دفعاً متواصل . ولم تغفل مبالغ ما لحضارة  
 الغربية من التأثير في ذلك . وقتنا فوق جميع هذا ان المصلحين الاحرار  
 الذين تضاف بهم الآمال في احراز القوة والغلبة . ما برحوا الا يمين تدداء . بينما  
 سواد المسلمين ما انفكوا يفتكسون ممزقين حجب الجهل . ويستيقظون من  
 همومهم استيقاظ المذعور . بقودة قادة يختلفون كل الاختلاف عن المصلحين  
 الاحرار . قادة هم أميل الى ركوب خطط العنف والمساكنة . منهم الى التهاج  
 مناهج الرفق والمواصلة . يثرون بحفظ العرب والاعراض عن الاخذ عنه .  
 الى مقاومته وايفار الصدور عليه . بيد ان هذا التيار الذي يشده ويوقد ناره  
 هؤلاء القادة وأهلهم . وشأنه شأن كل تيار مرافق لحال الانقلاب . مصاحب  
 لدور الانتقال . لم يستقر على قرار . ولا عرف لافقه حد . ولا وضع محبره  
 ولا بان متجهه . بل انما كان بعد . وهو على اختلاف صفاته ومتقلباته لا يخرج عن



وقوعه في مضطرب « الجامعة الإسلامية » و « العصبية الجذبية » . وهما نحن  
باسطون الكلام على :

### الجامعة الإسلامية

الجامعة الإسلامية بمعناها الشامل ومفهومها العام انما هي الشعور بالوحدة العامة  
والعروة الوثقى لا انقسام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الاسلامي . وهي  
قديمة باسما ومفشأها منذ عهد صاحب الرسالة : أي منذ شرع الرسول بجاهد  
فائف من حوله المهاجرون والانصار معتصبين معه بمصبة الاسلام لقتال  
المشركين . وقد ادرك محمد ( ص ) خطورة الجامعة وعلو منزلتها في المسلمين  
حق الادراك . وعلم كل العالم ما لها من عظم الشأن وجلال المقام في قلوب  
المؤمنين : فغرس غريبتها بيديه في نفوسهم : فتمت وتغلغلت ، وامتدت  
جذورها وبسقت اغصانها وفروعها وبنعت ثمارها . فقد كر عليها أكثر من  
ثلاثة عشر قرناً ، فما اوهن كروور هذه القرون من الجامعة الاسلامية جانباً  
ولا ضعف لها كياناً ، بل كلما تقادم عليها العهد وتناسخ الملوك ازدادت الجامعة  
شدة وقوة ومناعة واعتزازاً . حقاً ان الجامعة اليوم بين المسلم والمسلم لا أقوى  
منها بين النصراني والنصراني . ولا ينكر ان المسلمين يتقاتلون بعضهم مع بعض  
قحالا شديداً ، بيد ان هذا الجدل ليس له من الشأن أكثر مما لاحقر نزاع ينشأ  
بين افراد الاسرة الواحدة : المشتبكة الارحام : اذ لا حقد في الاسلام  
فعند الشدائد تذهب الاحقاد من بين المسلمين : فيصطلحون على الامر الذي  
فيه يختلفون ويتألبون جوعاً متراسة متماسكة لقتال العدو المهاجم ورد الخطر  
الداهم . ومن أحب ان يقف حق الوقوف على ما أراده الاسلام من فرض  
الجامعة وغايتها فلينظر الى حال المسلمين اليوم والى تيار هذا التعاطف والتشاكى  
يعلم سر الجامعة ومكانتها في نفوس المسلمين . وفي الواقع ليس من دين في الدنيا  
جامع لا بنائه بعضهم مع بعض موحد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة العامة

والاستمسك بعروتها كدين الاسلام . ان المسلمين قد افتتحوها بلاداً عديدة ورقاها كبيرة في الارض منتزعة منها النصرانية والبرهمية (١) (٢) واستأصلوا

(١) لم تستقر الفتوحات الاسلامية بعد ان رجعت في الهند استقراراً لزم حدوده . بل جاوزت الهند الى جزيرتي جاوي وصومطرة العظيمتين . فغطت الاسلام دين البرهمية فيه . وجعل اهل الجزيرتين قاطبة مسلمين .

(٢) افتتح العرب المسلمون الهند وجانباً من الهند في صدر الاسلام . ثم اكمل الفتح محمود بن سبكتكين الغازي الشهير . ورسخت قدم الاسلام في الهند من بعده . ثم استولى الاسلام على كل الهند بدون استثناء . ودانت له جميع ملوك الهندوس . يقال لم يبق خارجاً عن طاعة الاسلام في الهند سوى مملكة يقال لها ( اودبور ) لها ملك يقال له ( مهرانا ) وهو لقب اكبر من مهراجا . وسبب تفرده بهذا اللقب انه هو الوحيد من ملوك الهند قاطبة الذي لم يخضع لمظنة الاسلام . ولذلك هو الى يومنا هذا يتقدم في الاحتفالات الرسمية جميع نظرائه . لما من جهة عدد النفوس فلا يزال الهندوس هم ثلاثة ارباع الاعالي والمسلمون الربع . وهذا الرديع يبلغ ٧٣ مليون نسمة . والمسلمون في نحو ثلث . يزيد عددهم سنة عن سنة كما يتضح من الاحصاءات الانكليزية .

وبمناسبة الهند هذه تذكر منجزات تلك البلاد العظيمة ليكون للقاري تصور عام بها : فهي ثلاثة اقسام : القسم الاول هو المستقل تماماً . وهو عبارة عن مملكتين في الشمال ( نيپال ) و ( بوتان ) . واهل نيپال خمسة ملايين كلهم هندوس . واهل بوتان مليون واحد هندوس أيضاً فيهم قليل من المسلمين . وقام امة محاربة مشهورة بالشجاعة . واشهر عساكر الهند الانكليزية هم من أبناء هاتين المملكتين . يتطوعون في الجندية نظراً لفقر بلادهم . ووعورة اراضيهم . والانكليز هناك وكيل منهم لا يكاد يكون له نفوذ

ثم القسم الثاني وهو الذي تحت حماية انكلترة . وهو يدفع خراجاً سنوياً لها . وملوكه وامراءه مضطرون ان يحضروا حفلة تتويج ملك انكلترة اميراطوراً على الهند . وعدد هذا القسم ٧٠ مليوناً . أي سكانه مع سكان القسم المستقل لا يزيدون على ربع الامبراطورية الهندية وبقية الهند تسيرها الحكومة الانكليزية مباشرة كسائر املاكها

فالامارات التي هي تحت الحماية هي مايلي : ( حيدر آباد الذي ) اهلها ١٣ مليوناً . اكثر من نصفهم هندوس ولكن ساططها مسلم يقال له ( النظام ) . وفيها وزير مقرب من قبل الانكليز لكن نفوذه على المملكة محدود . وهناك جيش عدده ٣٠ ألفاً اكثره عرب من ( حفر موت ) . ولحيدر آباد نوعان من الجنود : الاول يستقل به سلطان البلاد . والثاني مرصود للاشتراك في حماية المملكة الهندية كلها وهذا قواده من الانكليز . والمهرج الذي تدفعه حيدر آباد لانكلترة زعيم . واستقلالها الداخلي يكاد يكون تاماً



ثم ( ميسور ) وهي أرقى مملكة في الهند وأهلها مختلطون مسلمون وهندوس + والمالك  
يقال له مهرانجا - هندوسي وفيها مجلس ندوة

ثم ( كشمير ) وعدد أهلها ثلاثة ملايين أكثرهم مسلمون ، ولكن المهرانجا هندوسي .  
وهي في شمالي الهند كما أن ميسور في الجنوب

ثم ( ترافتكور ) وأهلها أربعة ملايين أكثرهم هندوس ومعهم مسلمون ، ولهم مجلس  
ندوة \* ولهم مهرانجا هندوسي

ثم ( برود ) عدد أهلها مليونان هندوس ، ولها مهرانجا هندوسي وهي مملكة راقية غنية  
وفيها مسلمون

ثم ( غواليار ) وأهلها مسلمون وهندوس ولكن المهرانجا هندوسي ، وعدد  
أهلها مليونان ونصف مليون \* ومكانها في وسط الهند ، وهي معدودة من البلاد الراقية ، وعندها  
جيش منظم

ثم ( ايندور ) وهي في قلب الهند أيضاً ، وأهلها مليونان هندوس ، وملكهم منهم  
ثم ( أودبور ) التي مر ذكر سلطانها أنه يتقدم جميع ملوك الهندوس وهي في وسط  
الهند أيضاً .

ثم ( رامبور ) وهي إمارة إسلامية + عدد أهلها نصف مليون أو يزيدون ، عليهم ملك  
مسلم يقال له التواب

ثم ( جهور ) وهي نصف مليون أيضاً ، وأهلها مسلمون ولهم تواب  
ثم ( بيوال ) وأهلها مسلمون عددهم مليون \* ولهم ملكة يقال لها الرئيسة ، كانت مرة واحدة  
بالعلامة المجتهد المؤلف الشهير ذي التصانيف العديدة المشتهرة باللغة العربية السيد صديق حسن  
خان جادر رحمه الله

ثم ( بيالور ) في شمالي الهند ، عدد أهلها مليون وهم مسلمون ولهم تواب مسلم أيضاً  
ثم ( جهور وجودبور وآلور ويكانير وجسمار وكوتا ) وكلها إمارات هندوسية ، وتونك  
وأهلها مسلمون . وريفا وبانالا وأنها وجين وكيرلا بور . وسكانها مختلطون مسلمون وهندوس  
وأما القسم الثالث الذي تليه الكثيرة مباشرة فعدد سكانه ٢٢٠ مليوناً وأهم بلادها ( البنغال )  
و ( البنجاب ) و ( أغرا ) وولايات ( مدراس ) و ( بيبلي )

ولقد أثرنا ذكر تقاسيم الهند هذه ، ولو بصورة مجملة - لأن المآري قلما يجدها في  
الكتب العربية . ثم لأننا أحببنا أن نذكر نسبة عدد مسلمي الهند إلى عدد الهندوس . وأن  
نبين أماكنهم من الهند

\*\*\*

ولما كان المؤلف أشار في حاشية كتابه إلى أمر الإسلام من الهند إلى جزائر الأندلس  
واسبلاطه على جزيرتي جازر وسومطرة العظمتين وأبنا من الضروري أن نقول كلمة في هذا  
الموضوع وهي :

ان الاسلام بدأ ينتشر في هاتيك الجزائر في اواسط القرن الثامن للهجرة أو القرن الرابع عشر للميلاد وفي بلدة « غريزك » من بلاد سورابا من الجاوى قبر مولانا مكث ابراهيم احد كبري المجاهدين الذين سبقوا الى نشر الدعوة الاسلامية في تلك الجزر القاصية . ووفته وفت في ١٢ ربيع الاول سنة ٨٢٢ الموافق ٩ ابريل سنة ١٤١٩ . وكذلك في بلدة « بازه » قبر ( الامير محمد بن عبد القادر ) من درية ( الخليفة المستنصر العباسي ) توفي في ٢٣ رجب سنة ٨٢٢ الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٤١٩ . وما زال الاسلام يتناب في هاتيك الاقطار حتى بلغ عدد المسلمين فيها ٣٥ مليوناً أي نحو نصف عدد مسلمي الهند وهم في الغلة على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه

وهذا الاحصاء هو الاحصاء الرسمي الهولاندي منذ نحو ٦٥ سنة \* فلا بد ان يكون عدد المسلمين ازداد اليوم على ما مضى في ذلك التاريخ . ولقد انتشرت ( شبه العالم الاسلامي ) الفرنسية في سنة ١٩١١ اربع محاضرات على سياسة هولانده الاسلامية للسلامة المستعرق الهولاندي ( ستوك هورغرومجه ) منشأ نظرية المستعمرات الهولاندية في المناطق الاسلامية والعربية وهو من الافذاذ الذين وقفوا على احوال الاسلام محوماً وبلاد الجاوى خصوصاً واقام بتلك الدار ١٧ سنة قسماً فيها امورها علناً \* وبقيت له دخل مكنة والمدينة في موسم الحج متكرراً فهو الذي يحقق في تلك المحاضرات ان عدد المسلمين الحاضرين في جزائر الاوفريوس لسلطة هولانده هو ٣٥ مليون نسمة . وغاية فحماً بعض احصاء بعضهم مسلمي تلك الجزائر بدشرين مليوناً كما رأيت مرة في إحدى الجملات العربية المطبوعة بمصر

وكان هؤلاء المسلمين ذلك سلاطين وامراء مستغلون فازالت هولانده تطلب على ولسه بعد واحد منهم حتى اخضعهم لسلطانها تماماً . وكان استعمارها بقية استقلالهم في المضاع توافع كمو عند دلتوت سلطان آتش الذي دخل تحت حية هولانده سنة ١٩٠٣

ولقد كان انتشار الاسلام في تلك الديار - بحسب تحقيقات العلامة هورغرومجه - بواسطة تجار مسلمين حارثوا فيها من الهند منتقنين آثار تجار الهندوس الذين كانوا يرددون الى تلك البلاد ويطلبون أهلاً بطابع مدنيهم البرهية : بناء الاسلام واستألفهم اليه وما زال يتقدم فيهم حتى غلب على جميعهم تقريباً بكل ذلك بطرق سلمية ، وبدون أدنى قهر ولا عنف منها الا ما حصل من أهالي شرق جاوه الذين غلبوا بعض مجاورهم بالقوة فمن جاوه امتد الاسلام الى سومطرة وإلى قسم من بورنيو وسيايب والجزر التي الى الشرق . وأين بطوطه الرحالة الشهير امتدح ذلك سوطره في القرن الرابع عشر بأنه جاهد في الكفار .

ولم يزل الاسلام ينتشر في البقاع الباقية على الوثنية حتى احتج كثير من الهولانديين على تساهل الحكومة الهولاندية في ذلك وكيف أنها تسمح للاسلام باكتساب هذه البقاع . واكثر من صخب لذلك هي جمعيات التبشير الممهودة \* ولكن المستعرق هورغرومجه يفصل هذه المسئلة بالكلام الآتي مترجماً عن محاضراته السابغة ذكرها :

« يجب على الحكومة ان تحذر من وضع كثير من المأمورين الوطنيين الذين يدينون بالاسلام في البلدان التي اهلها وثليون . اشلاء تكون قد ساعدت على نشر الاسلام بدون قصد منها .



وعندما اخطور قد وقع فيه الاثان انفسهم في المستعمرات الالمانية بشرقي افريقية . ولكن الخطر  
عندنا اعظم لان المأورين الوطنيين من أهل الجاوى هم في الغالب من المتحدين والطلعين على  
اصولنا الادارية . وليس عندهم تعصب مضط في الدين ، فلا يسهل الاستغناء عنهم . وقد  
تقبل الحكومة الى استخدامهم . فلا يشكر الله مع قتلى الزمن يؤثر وجود هؤلاء المأورين  
المسلمين في مسألة نشر عقيدتهم بين الوطنيين كما يؤثر جيران التجار المسلمين فيها بينهم . ولعمري  
لا يمكن منع هؤلاء التجار ان يجولوا في تلك الديار بحجة انهم يدعون الى الاسلام اذ يكون  
ذلك محلاً محالاً للمد . ولكن يجب تدبر الامر واستعمال الحكمة فيه بحيث لا نكون نحن قد  
ساعدنا بانفسنا على اسلام غير المسلمين .

فانت ترى أيها القارىء ان السلامة هور غرونجيه - الذي هو محدود في الاقايين نصيباً  
والذي من اول محاضراته الى آخرها يلقه حكومته الى خطر الانقياد الى طاب جميعات  
التبشير المسيحية من جهة الضغط على حرية الاسلام الدينية - هو نفسه يخدر نفس تلك الحكومة  
من استكفاء المأورين المسلمين مدة طويلة في بلاد الوطنيين . ولو لم يكن عندهم تعصب  
مفرط . لثلا يؤثر ذلك على عقائد الوطنيين فيشرح الله صدورهم للاسلام . وبعبارة اخرى ان  
مصلحة هولاءه . - واوروبا كلها - تقضى بتجميع بقاء الالهال ووطنين على ان يصيروا مسلمين .  
هذا ظاهر لا يقبل اثنى جدال . قول ياترى يجهل الاوربي ان نفس الانسان من عبادة الصنم  
الى عبادة الواحد الاحد هو اول بالانسانية واجدر بان يكون هدف مساعي الامم المتشددة ؟  
كلا . لا يجهل الاوربي ذلك ولكنه يعلم جيداً لاسيا المستشرق العظيم الذي هو مثل هور غرونجيه  
ان الاسلام لا يجتمع مع الفل في قلب واحد . كما جاء في العروة الوثقى بقلم جمال الدين الافغاني  
ومحمد عبده . وان الشريعة القرآنية قد ضمنت لمجتمعها كل شروط الحرية وانتظمت له جميع اسباب  
الاستقلال . بحيث لا يقدر ان يتحكم في رقبته اجنبياً الا اذا مرق من أحكام تلك الشريعة .  
فلذلك لا يجتمع حب الاستعمار الاوربي والميل الى الاسلام في قلب واحد لان المستعمرين يملكون  
ماوراء الالكة ولذلك أهم شيء تناضيه الدول المستعمرة الحرب هو نشر الدعوة الدينية وحفظ  
الشريعة الاسلامية . والاخذ بمزامم الاسلام . وان كان بعض عقائدهم مثل هور غرونجيه ينسج  
باعتلاء الحرية الدينية وينهى عن التعرض للمسلمين في عقائدهم فذلك إنما هو من خوفهم  
الثورة والانتفاض ووقوع الدول المستعمرة في المقيم المنة من جراء هذا الامر . ترى مثل  
هذا الامر ينصحون بالاستبدال وعدم مصادمة المسلمين في نفسائهم من باب اختيار أحف  
الضربين لا غير ومع ذلك فلا يطلقون هذه الحرية على ارسائل بل يمحنون الخطر لها رقبياً  
والاحتياط والتمسك . وبالجملة فيجهدون بان تكون مفاهيمهم للاسلام في الامور السياسية عقلية  
لاضراء فيها . واما في الامور الدينية فيجعلونها خفية لا بجاهرة فيها بحيث لا تدعو الى الاضطراب  
ولا تبعث على الانتفاض

هذه هي سياسة الغلاء من المستعمرين . فلما سياسة التهوين فهي معلومة لاجلحة الى  
الكلام عليها لا تعرف لمسلم حقاً ولا حرية وقد اعترف العلامة هور غرونجيه بأن مزايا هولاءه  
مما لا تجميعات التبشير تحت الحكومة ان تحمل ماضي الجاوى دلى النصرانية فيمن الخطر العظيم  
من ممالاة جميعات التبشير على مساعيها هذه في تصير المسلمين ووطنين في مزاعم بعض النواب

في السدود الهولندية كون اسلام أكثر أهل الجاوي والجزائر النيرلاندية لا يزال اسدياً فلا بأس بمعاملتهم بغير ما يعامل به المسلمون وقال : ان هذا القول هو في منتهى الخفاة وأنه يجب على كل وطني هولندي بهمه مستقبل ومنه أن يردم بنائاً ويحذر الحكومة من سوء عواقبه . وهو يلجأ الى كون المخطط يورث الانتحار . وان حكومة هولاندا كما أنها متهمة عند جميعات التصير بالتسامح مع المسلمين فهي متهمة لدى المسلمين باضطهاد الاسلام فلا يجوز أن تؤيد بعلمها حجة من يرمونها بذلك .

ومن رأي هذا السلامة ان الحكومة الهولندية تخطي . اذا أقامت عقبات في طريق الحج لا سيما أن مسلمي الجاوي وسومطرة هم أشد المسلمين محافظة على هذا الركن من أركان الدين وان تعصيب الحج عليهم لا يأتي هولاندا بغير إثارة الجواطر وخلق الافكار . وهو يرد على بعض النواب الهولنديين الذين يستسلمون الى الخيالات من أمر الحج ويقولون أنفسهم قد أحسنوا صنماً في حل الحكومة على منع الحج أو تعصيب سبيله . ويقول : ان على الحكومة الهولندية ان تترك سبيلها وسطاً فلا تحت على فريضة اسلامية ولا تمنع عنها . ولها قد أحسن صنماً في الطريقة التي انتهتها في فريضة الزكاة فقد أعلنت أنها تعتبرها من قبيل الصدقة الاختيارية فلا تحمل عليها حداً بالقوة ولا تمنعها بالقوة .

وأما من جهة القضاء فهو يذهب الى عدم سن قوانين مأخوذة من الشريعة الاسلامية كما خطر ببال بعضهم بل ينبغي حل المسلمين على القانون الهولندي الا ما تعلق بالاحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والميراث فهذه يجوز أن تفصل بحسب شريعتهم . وعرضه من ذلك عدم تقوية هذه الشريعة التي يحول تطبيقها بأسرها دون الصيغة الاوربية التي ينبغي أن تكون مجاهد هولاندا معروفة الى نشرها تدريجاً . فان هور غونجه يقول : ان سلامة المستعمرات الهولندية متوقفة على نشر المدنية الغربية والثقافة الهولندية في مسلمي تلك الجزائر الى أن يصيروا في هذا الباب كالهولنديين أنفسهم فيكون هولنديون في الشرق كما يكون هولنديون في الغرب ولا يرى ذلك مستحيلاً ولا يعجز الاتحاد في الدين شرطاً في الاتحاد الوطنية بل يقول : انه كما لم يمنع اختلاف الهولنديين البروتستانت مع الهولنديين الكاثوليك والهولنديين اليهود ثم مع الملاحدة والمطلة من الهولنديين أن يكونوا جميعاً أمة هولندية فلا يمنع اختلافهم في الدين مع مسلمي الجاوي وسومطرة أن يكون هؤلاء في يوم من الأيام وطنيين هولنديين وذلك بحمل هؤلاء المسلمين على الثقافة الهولندية التي تشتب في نفوسهم على أثر الدين . وهو يشي في جميع آرائه على هذه النظرية . وكأنه يعلم ان مهاجرة المسلمين من جهة العقيدة رأساً أمر عظيم لا يأتي بأدنى فائدة . ولا يعود على هولاندا الا بالضرر . فلا يألو جهداً في تحدير قومه من سلوك ذلك المسلك الصعب . ويشير الى صيغ الامة الجاوية بالصيغة الهولندية من طريق العلم والتربية .

اما حيث نجد هور غونجه متشدداً الى الدرجة القصوى فهو في السياسة الدولية فانه يذهب جهراً بدون أدنى محالة الى قطع كل علاقة سياسية بين الجاويين وسائر الحكومات الاسلامية . لأنه يقول ان الخفاة ليست عبارة عن باعوية لاشأن لها في السياسة بل هي وثائق سياسية من اراد الاعتصام بها من المسلمين لم تمكنه طاعة حكومة مسيحية .



وهو يتأسف من كون مسلمي تلك الجزائر منفلدون في ديارهم وعاديتهم وآدابهم مسلمي مصر وحضرموت وجزيرة العرب " عاكفين على مطالعة التأليف التي تحرر في البلاد العربية " وانه الى اليوم لم يوجد عاطفا جارية قومية تتابع هذه النزعة الدينية العربية

يظهر من هنا اتفاق الاوربيين على بث روح القومية بين امة الاسلام املا بتشجيعها الجامعة الاسلامية . فاننا قد رأينا اثر هذه السياسة في مواضع كثيرة من بلاد الاسلام فكان الاوربيين يرون خطر القومية الخف جدا من خطر تلك الجامعة — ولذلك هو يرى ان لا هوادة مع المسلمين الجاويين فيما لو أرادوا ان يتضامنوا في السياسة مع سائر مسلمي المعمور وانه يجب منع قنصل تركيا الذين يتولون هناك بصفة وكلاء دولة الخلافة من اية مداخله كانت مع الاهالي . واغرب من هذا انه ينصح بمنع الاشتراك في الاعانات لسكة حديد الجزائر وعدم الباحة اية اعانة كانت لرحى المراكم الثمانية أو لأراملي حنود الأتراك وإيتامهم — يقيم التكبر على ذلك بكل نصريح وينسى ما في ذلك من مخالفة مبادئ الانسانية — ويحث حكومته على منع ذكر السفاح الثنائي في خطبة الجمعة وعلى مراقبة التعليم الديني حتى لا يقع فيه شيء من الدعوة الى اتحاد الاسلام — وكأنه يريد ان ينعصر في انواعه وأحكام الصلاة وذكر تواضع الصوم مثلا — ويطلب حذف باب الجهاد من الشريعة وبالاختصار فهو مع ما أنصف به من الاعتدال يريد ان يجعل كل تضامن اسلامي مع المسلمين التسامحين لحوالته " وان يسخ من التعليم الاسلامي كل ما فيه رائحة الدفاع عن الامة . وفي هاتين النقطتين لا يرعى في المقام خبيلا ...

ثم ان هناك مشكلة مهمة يقال لها مشكلة الحضارة . وهذه تكرث الحكومة الهولندية اكثر من كل مشكلة — وانها في الجاوي لأنهم معلوم كون اهل حضرموت من أقوم اهل الارض على الاسفار " وان قرر بلادهم مع مضاع عزيتهم بحملاتهم على جوب الأفق . واكثر ما ينفثرون في جزائر الجاوي والبحر المحيط " فكانت الحكومة الهولندية تحسب لهم حسابا كبيرا ولشدها بضيق صدرها بجهريتهم الى تلك البلاد خشية أن ينشروا الدعوة الاسلامية أو ينهبوا الاهالي السذج الى الامور التي تولا الحضارة ربما لا يفتخرون اليها . فإذالت تضم الجوامع امام زوهم في تلك الديار وتراقب حركاتهم وسكناتهم . وهي تحتاج لذلك بكونهم في الاكثر أفاقيين لا يأتون الى الجاوي بشيء من رموس الاموال وانهم هم يتمتعون غير المسلمين من دخول بلادهم حضرموت فلا يحق لهم اذا ان بطالوا بدخول بلاد هولانده . لأن جزائر الجاوي وسومطره وبورنيو وملققاتها هي ملك هولانده وهي أولى من الاهالي ببلادهم . . . — وبناء على ذلك فقد ضوئى الحضارة وغيرهم من العرب في قضية المهاجرة الى المستعمرات الهولندية أو النيرلاندية كما يقولون ولكن لم تحل الحال من كون كثيرين من الحضارة تمكنوا من الدخول واوطنوا تلك الديار وصاروا من اهليها " فترتب على ذلك ان الحكومة الهولندية التي هي من الاصل غير مرتاحة الى وجودهم بين مسلمي الجاوي لكيلا تسطو مصافهم على سداجة هؤلاء ويوظفهم من شغلهم التي هي دوة الحلب الاستعماري قد جعلت تضيق عليهم في عسوداتهم وروحهم وتنقص عليهم عيشهم وتمثل ما شامت لتجدهم على ترك تلك الديار

فلاستاد هور غرونجه يتكلم على هذه المسئلة بما يلي تعريه :

شأفة المجوسية (١) وعلى امتداد هذه الفتوحات واتساع آفاقها : فلم يسمع قط ان شعباً قليلاً كان أو كثيراً استحل الاسلام ديناً ثم ارتد عنه . قد حدث أن أجلي المساهون عن بعض البلاد التي كانوا قد فتحوها وشيدوا فيها ملكاً ودولة كالاندلس غير ان اجلاءهم عن مثل هذه البلاد ليس بالسائق اعتباراً جعل بعض المسلمين يرتدون عن الاسلام (٢)

« ان عدم قبولنا الحضارة من الاسل لم يكن مخالفاً للعقل وكانت له اسباب يمكن أن يبنى عليها . فلم تنبئ له الحكومة . وسهلت لهؤلاء بالدخول على شروط يسهل عليهم القيام بها . لكنها بعد ان سمحت لهم بالاقامة جعلت تراقب حركاتهم بصورة لا تطلق . وربما كان لسياسة المأمورين الذين تختلف انظار بعضهم عن بعض في الشدة وعدمها مدخل في تشديد هذا الخناق على الحضارة بحيث اصبح العربي هناك لا يملك شيئاً من الامان على حاله واستقباله . فاضطر بعض ذوي الشأن من هؤلاء العرب الى رفع ادمهم الى الخلافة ( تركيا ) وملأوا الجرائد الاسلامية بشكاويهم حتى يتمكنوا من تنفيس الخناق الذي هم فيه وتعاطوا تجارتهم ومرفقهم بدون تلك القيود الثقيلة التي هي حجر شدة في سبلها . ولكن مما لا ريب فيه ان تلك الشكايات فيها مبالغة كبيرة »

ومن شاء التوسع في هذا الموضوع ومعرفة ما هي عليه حالة اسلام الجاوى وما هي سياسة هولانده هناك وكيفية نظرها الى مستقبل تلك المستعمرات \* اذ كانت كل دولة مستعمرة لاسيما شي . مثل الاسيايا من مستعمراتها والامان الأبدى عليها \* فعليه مطالعة مجموع المحاضرات التي القاها هذا الاستاذ والي تجدد في آخرها جملة لا بأس بنقلها وهي :

« ان الاسلام والتصرانية يمكنهما الاجتماع واحتمال احدهما الاخرى في ممارسة الحياة الوطنية على شرط ان يمكن دفع فكرة الاتحاد الاسلامي . ولقد رأينا مقدار مساعدة الاحوال لنا في تحقيق مشروع ادخال المسلمين الجاويين في الامة الهولندية بدون اثاره المسئلة الدينية . ولعمري ان كثيرين منا يمكنهم أن يأخذوا دروساً من التسهيل الديني عن اولئك الاهالي » وكفى بهذا شهادته (ش)

(١) ما برحت طائفة قليلة من عبدة النار في الهند ومركز استيطانها في بومباي . وهي البقية الباقية من ابناء الديانة المزدكية الذين فروا من فارس حين طمو سيول التتوح العربية في القرن السابع (٢) كان المؤلف يريد أن يقول ان المسلمين لا يرتدون عن دينهم من القسوم وبطائق اختيارهم والا فها تبت تلويحاً ان مثل الوف من مسلمي الاندلس قد تنصروا وان كثيرين من الاسياياول اليوم لاسيما سكان جنوبي اسبانية هم من سلالة العرب وتجدهم يحفظون انسابهم ومنهم من عندهم شجرات النسب ومنهم من يدلي بقري الى بعض المسلمين في افرقية . ونحمرير ذلك انه لما غلب فرديناند وايزابلا على آخر مملكة اسلامية في اسبانية وهي دولة بني الاحمر من سلالة الخزررج واستوليا على شرناطة سنة ١٤٩٢ فقد امع المسلمين معاينة ليس هنا محل



ان الوحدة الاسلامية انما هي قائمة على ركنتين هما اساسها ولا ثالث لها : الحج الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، والخلافة . وقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب وهم في هذا الموضوع ، فهم مابرحوا يخالون الخلافة ، لا الحج ، العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يتشارك المسلمون ميولا وعواطف تشاركاً مؤدياً الى اعتزاز الوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها . على ان هذا لمن الوهم الصرف فالأمر حقاً على الضد منه . ان محمداً (ص) قد فرض الحج على من استطاعه فرضاً مقدساً ولذلك ما زالت

ذكرها تضمن لهم حقوقاً كثيرة ومن الجلة حريتهم الدينية العامة وفصل أمورهم الشخصية لدى قضائهم وغير ذلك من الشروط التي أضاعها غردونايد وامراته على أمل تسهيل الفتح وتقصير أجل المقاومة ولها نوايا باطناً تقضي منذ امضيها — كما جرى هذه المرة في معاهدات الخلفاء أثناء الحرب العامة مع ملك الخيزار أضوعها مؤقتاً على نية نقضها فيما بعد — فلم ينس على تسليم غرناطة عدة اشهر حتى ذهبت تلك المعاهدة كأن لم تكن أو كما قال صاحب نفع الطبيب « نقضها الطاغية عروة عروة » وتأسس ديوان التنقيش الشهير مؤلفاً من الاساقفة وأمر من البابا وصار يسيطر على عقائد الناس فعمل المسلمين واليهود على النصرانية أو ينجسوا عن البلاد فجلا أكثر المسلمين الى مراکش ونونس والجزائر ووصل منهم أناس الى مصر والشرق وجلا أكثر اليهود الى مملكة ابن عمال فأقاموا بالقسطنطينية وسلاطك وأزمير وهم فيها الى يومنا هذا لغتهم الاسبانيولية وبني عدد كبير من عوامهم فراق أوطانهم فظاهروا بالنصرانية تحلياً من الجلاء ولكنهم بقوا على عقائدهم سرّاً فصار ديوان التنقيش يعمل عمله فيهم وارثك تلك الفظائع التي يخططها له التاريخ وقتل وصاب وأحرق بالتارك كما هو مشهور . ومع هذا بقي أكثر المسلمين نحو ٢٠٠ سنة وهم يحفظون ديانتهم سرّاً ويظهرون بالكثلك وقد يزداد عليهم الضغط فيجب أنون الى الثورة ولا سيما في جبال البشيرات التي اعتصموا بها ثمها لجرت بينهم وبين الاسبانيول وقائع عديدة الى ان انتهى امرهم في زمان قبليب الثاني في أوائل القرن السابع عشر بجلاء البقية الباقية منهم الى افريقية . على انه مما لا شك فيه ان كثيرين من الآباء أجبروا على تعلم أولادهم الديانة المسيحية منذ المدة قشاً هؤلاء مسيحيين ويطول الزمن صاروا اسبانيولا وهؤلاء هم الذين اليوم ينتسبون الى العرب تدل على ذلك خلقتهم وسجنتهم وأسماؤهم وأما كتبهم . ودينا يقال ان مسلمي الاندلس أنفسهم لم يكن أصلهم كله عربا بل أسلم في الفتح العربي اسبانيول كثيرون وهذا جائز وهو ما كان يدعيه ديوان التنقيش ويجعله مبرراً لاعماله وان كان تاريخ المدينة انكرها ولقد اعتادت الديانة هذا المد والجزر في الحكومات والديانات فبذا لو خنت حدة هذا التباغض بين الناس من جراء الفوارق الدينية لاسيما بين ارباب المذاهب التي تدعو جميعها الى عبادة الخلاق ومكارم الاخلاق (ش)

مكة المكرمة حتى اليوم مجتمعاً مجتمعاً فيه كل عام أكثر من مئة الف حاج وافدين من كل رقعة من رقع العالم الاسلامي ، وهناك امام الكعبة المقدسة في مكة المكرمة يتعارف المسلمون على اختلاف الألسنة والأجناس ، ويتبايئون العواطف الدينية ، ويتباحثون في الشؤون الاسلامية ، ثم ينقلبون الى أوطانهم نائلين لقب « الحاج » ، لقباً يعرف صاحبه بالتقوى فيجعله اخوانه المسلمون ويعلمون منزلته بينهم ما دام حياً .

فالمقاصد والأغراض السياسية التي ينالها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل انما هي معلومة لا تحتاج الى كبير ايضاح . بل يكفي ان تقول ان الحج انما هو المؤتمر الاسلامي السنوي العام ، فيه تتباحث الوفود الاسلامية والنواب المسلمون الطارئون من أقطار المعمور الاسلامي كافة في مصالح الاسلام ، وفيه يقوم هؤلاء بوضع الخطط ورسم الطرائق للدفاع عن بيضة الاسلام والذب عن حياض المسلمين ، ونشر الدعوة في سبيل الرسالة . وفي هذا المؤتمر العظيم ، كانت قلوب قادة اليقظة الاسلامية وابطلها ، كعبد الوهاب ، ومحمد ابن السنوسي ، وجمال الدين الافغاني ، تشعر بحالة الواجب الاسلامي المقدس ، وتتقد من خطورة المشهد وروع المحفل غيرة على الاسلام والمسلمين أما الخلافة فقد كان لها حقاً شأن تاريخي عظيم ، ولا سيما في أوائل عهدها . وقد بسطنا الكلام في موضع سابق على ما كان ينتابها من الخطوب وما أفضت اليه في النهاية ، اذ اطلقى سراجها الوهاج فانقلبت الى صورة وهمية بعد أن نزل هول المفعول ببغداد ، ثم ما برحت هكذا حتى جاء السلاطين الترك فاتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة ، فاعترف عالم السنة الاسلامي لهم بهذه الخلافة<sup>(١)</sup> الاسمية . بيد ان سلاطين الترك في القسطنطينية ، وما كانوا ليحرزوا من المسكنة الدينية في العالم الاسلامي مثل ما أحرزه من قبلهم الخلفاء الراشدون وأكابر خلفاء بني العباس في بغداد .

(١) لم يعترف الشيعة في فارس بخليفة من خلفاء السنة . واعتاد اهل البلاد الفروية في شمالي أفريقيا ان يعترفوا بسلاطينهم الاشراف بالسيادة الروحية .



اضف الى هذا أن العرب ما انفكوا ينظرون الى الخلفاء الترك شراً  
ويعدونهم المعتصمين للخلافة اغتصاباً <sup>(١)</sup> وقد جهد السلطان عبد الحميد جهداً  
كبيراً لحياء عظمة الخلافة الدينية واسترداد ما كان لها من الجلالة والهيبة  
والخطورة في العالم الاسلامي ، فنال ما ناله ليس بسبب من أسباب الخلافة من  
حيث الاعتبار الديني ، بل بسبب الشعور العام الذي ظهر واشتعل في صدور  
المسلمين لانشاء الجامعة الاسلامية الكبرى . لهذا كان عظماء قادة الجامعة  
الاسلامية الحديثة على قسمين : فمنهم من اعترف بالسلطان عبد الحميد خليفة  
على المسلمين ، ومنهم من ناصبه العداء كالسنوسي <sup>(٢)</sup> . هذه حقيقة غابت عن  
عقول كثير من ساسة أوربة ، حتى وجلوا من عبد الحميد فحسبوه في الاسلام  
كالبابا في النصرانية . وما زلنا نرى حتى اليوم أكثر ساسة الغرب يهيمنون

(١) ان الخلافة لم تستم شروطها الصحيحة الا في الخلفاء الراشدين \* وبعد ذلك فالخلافة  
لم تكن الا ملكاً عضواً قد يوجد فيه المستبد العادل والسيد الفاضل \* وما انتادت الامة الى  
هذا الملك العضوض الخالف لشروط الخلافة \* سواء كان من العرب أو من الترك \* الاخشية  
الفتنة في الداخل والاعتماد على الخوذة من الخارج . (ش)

(٢) كون السنوسي ناصب السلطان العداء هو خبر من الاخبار تنافت على تصديقه كثير  
من الاوربيين من جنهم مؤلف هذا الكتاب . والحقيقة ان سيدي محمد بن علي السنوسي  
وولده المهدي وجميع السادة السنوسية كانوا مواليين للسلطان ومؤيدين للدولة العثمانية باعتبار  
انها ملجأ للاسلام ، وبأن السلطان هو أكبر ملوك المسلمين . ولا يني النصر مقرب شاعر الحضرة  
السنوسية قصيدة يمدح بها سيدي المهدي من جملة ابياتها :-

ولا بد ان تأتي حروش بركة	فتغشي غواشها العيون الغواشيا
قبائل من سام وحلم تجتمع	وما جمعت الا الاسود الضواوريا
زوية اهل الجعد من يات حبهم	ير الذر في تادي زوية باديا

زوية هي القبيلة التي تقطن واحة الكفرة وهي بمثابة الحرس الخاص للسادة السنوسية ثم يقول :

وكم بدوي في الدلائف نوقه	يبول على الاعقاب أشمت حافيا
تلافه في وادي الضلالة هالوياً	فاصبح نجماً في الهدايا طالباً

ثم يقول :

وتولوا انتظار الاذن من سيد الوري	وسلطتنا الغازي لا يصبح غازيا
----------------------------------	------------------------------

أي لا بد من أن يتروضع في المدة ولا فتور في العزيمة وانما هو انتظار الاذن من  
السلطان الاعظم . (ش)

في ذلك فيقالون الجامعة الاسلامية انما كان مستقرها ومنبعها الخلافة ،  
 ويزى أيضاً غالب حملة الأقاليم يفيضون في الكلام فيما اذا استبقيت الخلافة  
 في السلطان التركي على ظلمه ، أو نقلت الى شريف مكة ، أو قضي عليها القضاء  
 الأخير ، وأي هذه الوسائل تكون خيراً لطيف جناحي الجامعة الاسلامية .  
 ان هذا وإيم الحق لغاية ما يرتكب من الخطل . لا ينكر أن الخلافة ما برحت  
 رفيعة المسكاة في عيون المسلمين بلا ريب ؛ غير ان قادة الجامعة الاسلامية  
 الحديثة ، ذوي العقول الثاقبة والذكاء المتوقد ؛ ما فتئوا منذ عهد بعيد يحددون  
 في سبيل الجامعة الاسلامية في نطاق أوسع وأفق أبعد ، وقد أيقنوا كل الايقان  
 ان القوة الكبرى التي تستمد بها الجامعة الاسلامية اليوم ليست من مركز  
 الخلافة ، ولكن من بيت الله الحرام ، حيث الحجاج اذ يأترون كل عام مؤمراً  
 عظيماً ؛ ومن انشاء الطارق الدينية المؤدية الى الجامعة الاسلامية كالطريقة التي  
 انشأها السنوسي ؛ ونحن شارعون في الكلام عليها (١) في موضع قريب .  
 من شأننا الآن أن نتتبع الأدوار المختلفة التي اجتازتها « الجامعة  
 الاسلامية » الحديثة مبتدئين في الكلام على الدور الأول الذي ظهرت  
 فيه للعالم ظهوراً يائماً ، وهو دور الدعوة الوهابية . انشأ عبد الوهاب حكومته  
 على أساس الشورى كذلك الشورى التي اشتهرت في عهد الخلفاء الراشدين .  
 ولما تم لسعود خليفة عبد الوهاب الاستيلاء على الأماكن المقدسة في الحجاز ،  
 خال استيلاءه هذا الخطوة الأولى في سبيل فتح العالم الاسلامي قاطبة ، فتبعاً  
 اصلاحياً دينياً تتلود الوحدة السياسية العامة بين جميع الممالك الاسلامية .

(٢) اقرأ السرو . مور - كتابه : « نشوء الخلافة ونداعيا وسقوطها » ايدنبرغ ١٩١٥

Sir W. Muir, "The Caliphate" Its Rise, Decline and Fall.

وهو غير ما كتب في شأن الخلافة .

والسر مارك سايكس - كتابه : « تراث الخليفة » لندن ١٩١٥

Sir Mark Sykes "The Caliph's Last Heritage"

و « وفد الخلافة الهندي » وهو رسالة نشرت تحت لجة « الشؤون الأجنبية »

"The Indian Khilafat Delegation", "Foreign affairs"

Special supplement



لكن لما سقطت الوهابية دون مبتغاها العظيم ، أخذ الاضطراب السياسي على أثر ذلك يشتد في العالم الاسلامي اشتداداً واسع المضطرب ، وقد سبق لنا فتكلمنا على ما حدث في شمالي الهند وافغانستان ، مما كان في الواقع متبعاً عن الروح الوهابية ، وبعد باعتبار الحقيقة والغاية نعيًا على الممالك الاسلامية انحطاطها السياسي ، وعلى الحكام والأمرء المسلمين فقدانهم الهيبة والسلطان . فلهذا لم يكن الوجل من الغرب أو العداء له الباعث كل الباعث على انتشار الاضطراب الاسلامي في أول عهده ، لأن أوربة لم تكن حتى ذلك العهد قد حاولت فتحاً كبيراً في العالم الاسلامي ، سوى استخلاصها بعض الاصقاع من تركية الأوربية وجزائر الهند ، وأما هول الفتوح العظمى فلم يكن قد ظهر بعد ، غير ان اشباحه كانت تقرب شيئاً فشيئاً . وما كاد ينتصف القرن التاسع عشر حتى تبدلت الحال تبدلاً تاماً ، ففتح الفرنسي الجزائر ، واستولت روسيا على عبر القوقاس ، وبسطت انكلترا نفوذها على الهند من أقصاها الى أقصاها ، جميع هذا مما جعل قادة المسلمين الحكماء في كل صقع يوفنون كل الايقان اذا الاسلام انما يحيق به خطر عظيم ، وبلاء شامل ، من جراء انتشار سيطرة الغرب عليه ، وفي هذه الغضون أخذت الجامعة الاسلامية تسير في تيار غايته مقاومة الغرب وصدده وعداؤه ، وهي ما برحت تسير هذا المسير حتى اليوم . وقد كانت المقاومة في بادئ الامر في موضع موضع ، وغير منظمة تنظيمياً مرتبطة الوسائل كل الارتباط ، فهب أبطال من المسلمين مثل عبد القادر في الجزائر (١)

(١) ليس هنا محل سرد تاريخ المغرب الأوسط من أوله الى آخره ، وانما نذكر بتلخيص الامير عبد القادر الحسي الجزائري سبب استيلاء فرنسا على الجزائر وأوليات ذلك ومصارفه ، تمهيداً للدور الذي قام به هذا المجاهد الكبير في الديار المغربية فنقول :

لا يخفى انه عندما استولت فرنسا على الجزائر كان هذا القطر من جملة أجزاء السلطنة العثمانية التي افتتحتها منذ سنة ١٥١٦ وأجلت الاسبانول عن أكثر مدته البحرية التي كانوا احتلوها وامتدوا الى ما وراءها . وكان القائم بهذا الفتح هو عروج الرئيس البحري التركي ، ثم اخوه خير الدين الملقب ببربروس ، أي ذي النجدة الحمراء ، الذي وصلت القوة البحرية الاسلامية في أيامه الى أوجها الاعلى بحيث أصبحت هي سيدة البحر المتوسط بلا مرأ ، ونصابت أمامها

جميع أساطيل النصرانية . وكان مركز خير الدين هو مدينة الجزائر ، وقد مد منها جناح سلطته باسم السلطان العثماني على سواحلها ودواخلها ، فصارت تلمسان وما إليها ، وقسطنطينية وما يتبعها ، داخلة تحت الحكم العثماني . وقد توالى بعد خير الدين الولاة من قبل الدولة على تلك البلاد يتولون أمورها على شكل إدارة داخلية مستقلة أشبه بإدارة تونس ومصر . وكان هؤلاء الولاة في شغل دائم ونصب مقيم من مكافحة الدول المسيحية في البحر المتوسط . ورد غاراتها المتوالية على سواحل المغرب . ولما كان أساس نزول خير الدين بهانيك الديار هو القوة البحرية فقد بنيت تلك الولاية مركز قوة بحرية عظيمة مدة ثلاثة قرون ، استفحل فيه شأنها طيلة القرن السابع عشر وادرك أمرها الهزال والضعف في القرن الذي بعده . وكانت الدولة العثمانية تتوفاً دائماً في حروبها على أسطول الجزائر ، وتجعله ردماً للأسطول العثماني في كل موقف خطير ، إلى أن انقلب أسطول الجزائر من الجهاد إلى اللصوص ، ومن الدفاع الشريف عن حوزة الاسلام إلى الاعتداء على الناس والسبي والنهب والاسترقاق ، مما لم يزل يتبادى ولا تنجس فيه الوسائل حتى ضاق بذلك ذرع دول النصرانية ، وآل الأمر إلى تولي أحدهم ( فرنسا ) كبحر اسقاط تلك القوة واستئصالها من شأنها . والاستيلاء على العرش الذي درجت منه . فقد صارت لصوصية البحر ، أو القرصنة ، في أواخر القرن السادس عشر مورد رزق وواسطة كسب الحكومة لجزائر ولاهيا . وأصبح هؤلاء يؤلفون الشركات ويبنون السفن ويجهزون بالعدد اللازمة . ويبتشرونها في البحر تفزوا ونعت ، فتأخذ السفن غصبا وتنهب البضائع التي فيها . وتسطو على ركابها فتسوقهم أسارى من رجال ونساء وأطفال وتبيع بعد ذلك الاموال والارواح في اسواق الجزائر ، فتأخذ الحكومة من ذلك نصيبا معلوماً وينقسم الباقي على اصحاب السفن والبحرية . وإذا كان الاسير من اسرة ذات ثروة أو وجاعة فتعم الغنبة إذ كان أقارب الاسرى وحكوماتهم الميوصة وبعض رهبانيات النصارى يفتكون الاسرى بمبالغ طائلة . واستمرت هذه الحال دهرآ حتى عيل صير الدول الأوروبية لاسيما فرنسا وانكلترا وخرت الجزائر بالدافع سنة ١٦٥٩ سنة ١٦٦١ وتكرر ذلك سنة ١٦٨٢ و١٦٨٣ ثم سنة ١٦٨٦ إلى أن تمكنت دولتا انكلترا وفرنسا من صيانة سفائنها من اعتداء قرصان الجزائر وصارت تجول في البحار بدون معارضة . أما الدول التي من الدرجة الثانية مثل السويد وهولاندة والدانمرك وناپولي الخ ، فكانت مضطرة أن تدفع لحكومة الجزائر جزية سنوية تشتري بها حرية سبر سفائنها . وكانت دولة أوستريا والمجر معقاة بوصاة خاصة من الباب العالي . وما زال الأمر كذلك حتى أيام نابليون ، فانتبه قرصان الجزائر فرصة الحروب التي اشتعلت يومئذ في كل أوروبا وضاعفوا عيبتهم في البحر المتوسط ، فارتفع العويل من كل جهة . ولما تقرر الصلح قروت الدول في ( أكس لاشابل ) منع الجزائريين بتاتاً من التعرض لأي سفينة ، فلم يسموا لأحد كلاماً فأطلق الانجليز مدافعهم على الجزائر انتقاماً

وفي سنة ١٨٣٧ حصلت متافرة بين حسين داي والى الجزائر ودفال فنصل فرنسا قد بدد الهامي إلى القنصل وضربه بالرובה ، فعصرت فرنسا سواحل الجزائر واغتنبتها فرصة لفتح تلك البلاد ، فاحتلت الجزائر في ٥ ايلول سنة ١٨٣٠ . وكان ذلك لعهد الملك كارلوس العاشر ، وكان مراد الفرنسي في الاول الاحتفاظ ببعض المدن البحرية وتقرير نظام لإدارة البلاد الداخلية



بالاتفاق مع الدول ، تم انقلب الافكار ، وتألقت لجنة اسمها « اللجنة الافريقية » لهذا كره فيها اذا كان الاول ترك الجزائر تحت شروط معلومة ، فناديا من السكف الباهظة التي يقتضيها فتح القطر الجزائري ، أو الاستمرار على سياسة الفتح والاحتلال الى النهاية . مثله شبيه جدا بمثلة سورية اليوم بين الحزب الذي يرى تركها لاهلها خوف التورط في حروب مستفحلة لما مع العرب أو مع الترك أو مع غيرهم ، والحزب الذي يرى التمسك بسورية والسيطرة عليها لاجل نفوذ كلة فرنسا في المشرق مهما كلف ذلك من الماشق . وفي سنة ١٨٣٤ رجح رأي الاستيلاء ، وقعين حاكم عام للجزائر ، ولكن بقى الرئيس مترددين في قضية الزحف الى الداخل ، وجعلوا يدخلون المدن تدريجاً ، فاستولوا على وهران ومستغانم وعنابة وبجاية . وسنة ١ٸ٣٦ فصدوا قسطنطينة \* وكان فيها احد بك فجزمهم . فاعدوا حملة ثانية في السنة التالية ففتحوها وامتدوا من هناك الى الصحراء . وفي سنة ١٨٤٤ كانوا في يسكرة

اما في الجهة الغربية فان المقاومة كانت أطول أمداً ، وأصعب مراساً ، وذلك أن الاهالي اختاروا لهم اميراً قاتلوا تحت لوائه وهذا الامير كان رجلاً من أعظم الرجال وهو عبد القادر ابن محيي الدين الحسي . اصل سلطهم من المغرب الأقصى ومن آل البيت فيما يقال . هاجروا من هناك الى نواحي وهران ، واشتهر منهم رجال بالورع واقتدت بهم الناس ولا سيما السيد مصطفى بن محمد المختار . والسيد محيي الدين والد المترجم . وهت ولادة المترجم سنة ١٢٢٣ الموافقة لسنة ١٨٠٨ ونشأ في مهذ العلم والتقوى . واعتنى بالحصول جد الاعتناء ، حتى تفوق بالادب والفقه والتوحيد والحكمة العقلية ، وكان مع ذلك لا يهمل المتأنفة بالصلاح وركوب الخيل بحيث نسخ من جهة عالماً فاصلاً ، ومن جهة ثانية تقفاً فارساً . فجمع بين السيف والقلم . وفي سنة ١٨٢٧ وقت مشاهدته بين والده السيد محيي الدين وبين بك حاكم وهران التركي ، فانتهى الامر بجلاء السيد محيي الدين عن وطنه ، فأزمع الرحلة الى المشرق وفتح البيت الحرام وكان معه ولده عبد القادر . وبعد سنتين من غيابهما عادا الى وطنهما ، فكانت بعد ذلك الحرب بين اترك الجزائر والفرنسيين فيقال ان عبد القادر مع والده من الانضمام الى حسن بك حاكم وهران فسلم الحساكم البلدة الى الفرنسيين ، ودارت رحى القتال بين الحامية الفرنسية وبين الاهالي ، فتولى قيادة هؤلاء السيد محيي الدين ، وظهر في أثناء هذه الحرب من بسالة عبد القادر واقدامه ورباطة جأشه واصالة رأيه ، ما جمع له محاب القلوب وعقد به آمال الناس . ولما أراد اهالي تلك البلاد سبابة السيد محيي الدين أميراً عليهم ، اعتذر بملوسته ، وأشار عليهم بولده عبد القادر في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٨٣٢ فبويج بالامارة ، وفيلد بالسلطنة أولاً ، فتعاشى فيها مراعاة لسلطان فاس ، واكتفى بالامارة . ونس هذه المباينة منشور في كتاب « عقد الاحياد في الصاغات الجياد » تأليف اكبر أولاده الامير محمد باشا . فجعل عبد القادر عاصمته مدينة المسكر ، ورتب جنوده وباشر القتال \* ولم يكن قتاله قاصراً على جهاد الفرنسيين فحسب \* بل اضطر ان يقاتل حشاده ورفقاه من أهل البلاد أنفسهم ، فقام بجميع ذلك أحسن قيام \* حتى دانت له كل عمالة وهران تقريباً ، وفي ٢٦ شباط سنة ١٨٣٤ التقت بينه وبين الفرنسيين المعاهدة المروفة « بمعاهدة دميشل » التي بها تعترف فرنسا لعبد القادر بجميع العمالة الوهرانية خلا مدينة وهران وآرزوا ومستغانم ، وكان له الحق

توجب هذه المعاهدة ان يعين معتدين ( فاضل ) في وهران والجزائر وبستانم وغيرها ، وان يستورد الاسلحة من أي جهة أراد . فظم شأن عبد القادر وتأثير سلطانه . وصار الامير الشرعي لجميع أهالي الجهات الغربية من المغرب الاوسط . ثم مد رواق ملكه على البلاد التي لم تكن داخلة في ضمن حدوده ، مثل مبدية ومليانة ، ورتب فيها المسالخ بالرغم من احتياج حاكم الجزائر العام . ولما كان الحسد والشائسة مما اقبل امراض المسلمين . بحيث لا تنقل عليهم سلطة الغرب كما تنقل ساطة اخيهم ، ناز على الامير فيلنا الدوائر والزمانة وانضمنا الى فرنسا فطلب تسليم رؤسائهم اليه قاضي الجزائر « ترزول » ذلك فبرز عبد القادر الى القتال وانتصر على الفرنسيين في يوم القفطع ( ٢٦ نوز ١٨٣٥ ) ثارت فرنسا جيشاً كثيفاً استولى على عاصمتهم مكنر تحت قيادة المارشال « كاوزل » . وكانت بغية من الأتراك لآزال في قلعة تلمسان فاوشوه من الوداء . فانهزم هزيمة ثانية في حرب مع الجزائر الفرنسي « بوجو » ولكنه بقي ثابت العزم متوفر القوة . وتمكن بعدها السياسي ان اصططح مع الفرنسيين على شروط تضمن له احسن مما صنته معاهدة ( ديمشك ) وذلك في « معاهدة » التفنة ( ٣٠ ايار ١٨٣٧ ) التي اعترفت فرنسا له فيها بجميع عماله وهران وقسم كبير من عمالة الجزائر . فلما انتهى المعام بينه وبين فرنسا شرع بقوى سلطته على البلاد التي ادخلت حديثاً تحت حكمه . ورتب مسالخ في لاغوات وميجانة وزيبان وخضع له أهل هاتيك الاطراف ، ما عدا المراتب محمد التجاني الذي أبى الاعتراف بامارته . فرجع عبد القادر بنفسه الى ( قصر عين ماضي ) وحضره وبعد حصار خمسة اشهر افتتجه مع أنه حصن منيع لم يتمكن الأتراك طول مدة حكمهم في الجزائر أن يدخلوه ثم رتب عبد القادر جيشاً منتظماً على قطع جيوش الدول ، وقسمه الى مشاة وفرسان ومدفعية ، واستجاد لتسلبه وتدريبه صباطاً من الجيش التونسي ومن الجند التركي الذي بطرابلس ومن الفارين من الجيش الفرنسي . ومن لهذا الجيش نظاماً يتعلق بأكله وملبسه ورواتبه ومدة التعلم وشروط الترفي فيه ونيل الاوسمة وغير ذلك . وجعل دوائره لادخار الخبوب واتاير للاقوات ومعامل للسلاح ، ورسم القلاع ولم يتفل عن شيء مما يلزم لتأسيس الحكومات الشرعية ولما كانت معاهدات الدول الاستعمارية مع أهالي الاقطار التي تضع نصباعينها الاستيلاء عليها هي في الغالب محاطة استراحة بين الحلة والحلة . ومنازل استجباب بين مراحل الحرب لاغير بحيث لا يتي توفر القوة لانعدام عذراً في نقص تلك المعاهدات التي لم يبرمها منذ البداية الا على نية التفتت ، وكانت في الواقع مصدقة لقوله تعالى في هؤلاء « وما وجدنا لآكثرهم من عهد » شرعت فرنسا بالتعامل من جهة تفسير بعض فقرات معاهدة التفنة ، وازادت التفتي منها ، حتى كود الامير يتقاضى العدل بها فلتشبت الحرب بين الفريقين . لآذ فرنسا كانت اعدت عديها والامير ابت نفسه القبول مما حاوله اياه المعاهدة ، فزعف المارشال « قال » و « الدوق دومال » من جهة ، واغارت عساكر الامير على متيجة من جهة اخرى . ونادى الامير بالجهاد وذلك في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ فاستمرت الحرب من ذلك التاريخ الى سنة ١٨٤٣ بدون انقطاع . وقام فيها الامير عبد القادر مقامه المجهود الذي طبق ذكره الآفاق . واذا كان عدم تكافؤ القوتين للقبائين آل أخيراً الى سقوط اكثر حصونه واستيلاء العدو على اكثر مدنه ، مثل تاغدمت والمسكر وتازة ووادي الشيف . فانكفاً الى الغرب ، فرجع العدو الى تلمسان ونواحي ندرومة واحتلها



فتحول الأمير إلى الجنوب وبعثه أيضاً كبس ( الدوق دومال ) محله ( مايسيه ) الأتراك بالقراركاه .  
وعلم أكثرها فنت هذا الحادث في عضده وخسذه أكثر اقصاره . ففر إلى المغرب وسعى في  
حل سلطان المغرب على اصلاء الفرنسيين الحرب . فمكثت بين جيش المغرب والجيش الفرنسي  
« واقعة ايسلي » ( ١٢ أغسطس ١٨٤٤ )

ولما كان المغاربة لا يتكفون من آلات القتال ما يملكه الفرنسيون انتصر الجنرال « بوجو » على  
الجيش المغربي . وكانت بوارج فرنسا ضربت بالمدافع تفري طليعه ومقادير فضيقت فرنسا  
على سلطنة المغرب من البر والبحر . وأجبرت السلطان مولاي عبد الرحمن صاحب المغرب على  
عقد الصلح ( ١٠ ايلول ١٨٤٤ ) بالشروط التي تطلبها . وأولها منح عبد القادر من تجاوز  
حدود الجزائر . طلبت هذا نحو سنتين متربصاً منتظراً تحرره من العدو ليهتليها . فلما لاحظ له  
في ثورة سنة ١٨٤٦ اقتضى على بلاد الجزائر ثانية وأوجب في الغارة حتى بلغ بلاد البر  
السياسة عند الفرنسيين ( كايي ) . وأعاد الأمر كما بدأ . إلا أن قوة عبد القادر كانت هذه  
التي قد تناقصت . وقدم الفرنسيون في الجزائر قد رسخت . فلم تستمر غارته وأحاطت به  
الجيش من كل جهة . فأسرع الاوبة إلى الحدود المراكشية فغادرت فرنسا فتقاضي مولاي  
عبد الرحمن تسليبه . وما زالت تلج في ذلك حتى ساق عليه السلطان قوة عظيمة . فلما رأى  
نفسه بين قرين وإن اخوانه المسلمين قد صاروا عليه البأ مع الفرنسيين اشتد به الغضب  
وسلم نفسه إلى الفرنسيين على يد « الجنرال لا مورييسار » ( ٢٣ كانون الأول ١٨٤٧ ) .  
ووقع الاتفاق على أن يخرج بمائته من الجزائر ذاهباً إلى الاسكندرية أو عنكا

وعلى رواية أخرى وهي التي مال إليها صاحب « تاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى »  
لما يش الأمير عبد القادر من الفوز على الفرنسيين بقوته الخاصة ، حدثته نفسه بقلب سلطنة  
المغرب . والجلوس على عرش فارس . فأوجس السلطان عبد الرحمن خيفة من دسائسه .  
وأرسل تلك القوة لطاردته وخضد شوكته . قبل أن يستعصى أمره . ولذلك صاحب الاستقصا  
بعد أن أتى أولاً على جهاده وعلو عهده . عاد فرمائه أخيراً بسوء النية والفساد في الأرض .  
وهو في كلتا الحالتين لم يلقه بالأمير بل « بالخادم عبد القادر بن محي الدين »

فأخذ الأمير إلى حوّلون حيث كان المراد تسفيره إلى الش في بحسب العهد الذي انعقد . إلا  
أنه في تلك الأيام حصلت في فرنسا ثورة سنة ١٨٤٨ وسقط الملك لويس فيليب فاعتلت  
الحكومة المؤقتة في اطلاق سراحه وأبنته في بلادها أسيراً إلى سنة ١٨٥٢ إذ بشره لويس  
نابليون بنفسه أنه تقرر انقلاء سبيله . فذهب إلى الاسكندرية ثم أقام ببرصا . وسنة ١٨٥٥  
استأذن في الذهاب إلى الشام بمرقة الحكومة الفرنسية فأذنت الدولة العلية له بذلك . ولما  
حصلت في دمشق الحادثة المؤلمة المسماة بمحاذنة سنة السبعين التي كان منشأها من رجاج  
القوم . اعتم الأمير عبد القادر بوقاية السبعين وأخذ منهم عسكراً وافراً . وإن لم يكن هو  
الشرف بذلك بل شاركه في هذه البزة كثير من أعيان دمشق مثل محمود أفندي حزة . وبني  
العالم . وبني المهاني وغيرهم . فاستحق بهذا الفعل الجليل تمام الجميع وجماعته الأوسمة مع  
عبارات الشكر من فرنسا وأكثر الدول الأوروبية . وقضى بقية حياته في مناصرة العلماء واسماء  
الحريات . وكان كل يوم يقوم الفجر وبسلي الصبح في مسجد قريب من داره في صلاة الصلوة .

لا يختلف عن ذلك الا لمرض . وكان يشهد القيل ويمارس في رمضان الرياضة على طريقة الصوفية وما زال مثالا لغيره والتقوى والأخلاق الفاضلة الى ان توفي رحمه الله سنة ١٨٨٣ قد دفن بمقام الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي في الصالحية . وترك من الولد الامراء محمد باشا ، ومحيي الدين باشا ، والهاشمي ، وابراهيم ، وأحمد ، وعبد الله ، وعلي ، وعبد الرزاق ، وعبد الملك ، فالامير محمد باشا وشقيقه محيي الدين انتقلا الى الاسنانة وجعلتهما الدولة في مجلس الأعيان الى ان توفيا وكان الثاني منهما شاعراً أدبياً ، علي الهمة ، وذهب سنة ١٨٧٠ بدون علم أبيه الى الجزائر ليترأس الثورة القبلية التي اشتعلت يومئذ فلما بلغ الخبر أيام أعلن سخطه عليه لأن الأمير بعد أن أعطى عهده لفرنسا حفظ على قوله الى المات . وأما الهاشمي فن ولد الأمير خالد الذي هو علي رأس الحركة الوطنية الحاضرة في الجزائر وأما الأمير عبد الله فهو في قيد الحياة بدمشق . وأما الأمير علي فقد كان مبغوثاً عن الشام منذ سنة ١٩١٤ في مجلس الأمانة بالاستانة . وكان محرر هذه السطور قد انتخب عن حوران أيضاً وسفرنا يومئذ الى دار السادة معاً ، فلما افتتح المجلس وصارت المذاكرة في انتخاب الرئيس وتواب الرئيس وكانت العادة ان يكون الرئيس الاول تركيا والرئيس الثاني من أبناء العرب ، استشارني طلعت بك حينئذ ، وكنت العضو العربي الوحيد في القلم العمومي لمجلس الأمانة ، وطالعت هو الرئيس ، فاتفقنا على دعوة المبعوثين لانتخاب الأمير علي رئيساً ثانياً ، وهكذا كان ، ولما شبت الحرب العامة أرساته الدولة الى المانية حيث قابل الأمير بطور غيلوم وأمضى مناشير القتي بها الطيارات الألمانية على المراكز المغربية . تحنهم على ترك العسكر الفرنسي ، والانتحاق بالألمان حلفاء الدولة العلية ، فأخذ الفرنسي حذرهم من مفعول هذه المناشير ، وصاروا يؤخرون المغاربة الى الوراء بعد ان كانوا يضمونهم دائماً في الامام وقوداً للدار . وبعد ان قضى الأمير علي مدة في المانية عاد الى الاستانة ومنها الى سورية ان وجد أخاه الأمير عمر محبوساً مع من حبسهم جمال باشا قائد الجيوش في سورية أثناء الحرب لا ورائي وجدت عليه في قنصلية فرنسا . فنتفخ الى جمال في أخيه فلم يقبل شفاعته ، ونفاه هو أيضاً مع أولاده وسائر اسرة الأمير عبد القادر الي برضا ، ولم يزع حرمة جراد والده ولا خدة الأمير علي في المانية ولا قبل ذلك في حرب طرابلس الغرب ، فاشتد عليه الغم ولم يلبث ان مرض ونقل الى الاستانة وتوفي بهارجه الله . وأما الأمير عمر فكان من جملة الأعيان المشنوقين . وطالما راجعنا في امرهم وطالبنا عنهم العفو أو تحويل جزاء القتل الى الذمى فلا مر يبرده الله ابي جمال باشا الا ازهاق الانفس ، فكانت من الاغصاط الكبرى التي ذافت الدولة العلية مرارة مغبها وسهت طريق الاجاب . ومما اندكره ان جمال باشا سألني عما اذا كنت انكر مملأة الأمير عمر لفرنسا مع انه هو لم يقدر على الانكار . فاجبته لست ممن ينكر ذلك ولكن أرى وجوب الصفع عنه حرمة المرحوم والله الذي لا يخفى ماله من المسكنة في العالم الاسلامي فقال لي جمال بالتركية ( بكاه ) أي وماذا يجيئني من ذلك . وأما الأمير عبد الرزاق فذهب شاباً وكان نادراً في الذكاه وجمال المسورة والسيرة . وآخر أولاد الأمير عبد القادر هو الأمير عبد الملك فضي بضعة عشرة سنة مجاهداً في الحرب بين القبائل النائرة على فرنسا وعلى اسبانية . ولم يزل في تلك الديار ينحدر تارة ويسكن اخرى الى هذه الساعة وكان المرحوم الأمير عبد القادر متفهماً من العلم والادب ، سامي الفكر ، واسع القسم



وشامل في القوقاس<sup>(١)</sup> وغربهما ، يقاتلون الفاتحين الغربيين قتالاً شديداً ، فكان

في التصوف ، لا يكتفي به نظراً حتى يمارسه عملاً ، ولا يحسن إليه شوقاً حتى يعرفه ذوقاً . وله في التصوف كتاب سماه (المواقف) فهو في هذا المشرّب من الافراد الافذاذ وربما لا يوجد نظيره في المتأخرين وله كتاب آخر منيع اسمه ( ذكرى الغافل وتنبيه الجاهل ) في الحكمة والشرعية . وقد ذكر مؤرخو الفرنجة أن ملكه العلمية والدينية كانتا من أكبر أعوانه على تأسيس الحكومة التي أسسها وأنه كان ينال باللسان ما قد يعجز عنه باللسان . ولم يتكروا عليه حفاظه للمهود لكنهم زعموا أنه كان لا يتوقف أن يخفها فيما لو رأى في ذلك مصلحة المندجبة في مصلحة الاسلام . قل في دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية : « كان عادلاً لكن على الطريقة الشرفية » برأ رؤوفاً ، لكن يجوز أن ينقلب سفاكاً للدماء خاسياً إذا رأى ضرورة إقناع الرعب في قلوب الأعداء ، قلنا يظهر أن الافرنج يريدون أن يحفظوا مزية حضور المهدي لدى تبيين الصلحة لأنفسهم دون سواهم ، وكذلك سلك الدماء لأجل لقاء الرعب عند الضرورة . وحيداً فوحصروها في دائرة الضرورة ، بل أعمالهم في غاراتهم الاستعمارية ثم في الحرب العامة الأوروبية قد فضحت أمورهم وأثبتت أنهم يدفكون الدماء في ضرورة وفي غير ضرورة . وليس منهم من يحق له أن يتقدم في هذا الباب رجلاً شهد له جميع أعماله بالوفاء كالأمير عبد القادر . وانتم هلمه الترجمة بشيء من شعر الأمير الذي يدل على علو نفسه :

نساءني أم الدين	وانها	لأعلم من تحت السماء بأحوالي
الاقسالي جنس الفرنسيين	تعلم	أن مملكتهم بين يدي وعسالي
ومن عادة السادات بالخيش	تحتوي	وفي محتوي جيشي ومنع أبطال

( ش )

(١) على الضفة الغربية من بحر الخزر بين ٤٣ و ٤١ من العرض الشمالي بلاد يقال لها طاغستان مساحتها نحو ٦٣٠ ٢٩٧ كيلومتر مربع وعدد نفوسها سبعمائة ألف ، أما إذا انضم إليها جميع بلاد القوقاس الشمالية فيقال أن أهلها يبلغون مليونين إلى ثلاثة . وقد فتح العرب في خلافة هشام بن عبد الملك الطاغستان سنة ١٠٥ للهجرة ووطد آخوه مسألة الحكم العربي في تلك الديار ، وكانوا يتقونها بالدرند ، وكانت لغرا من لغور العرب ومنها انتشر الاسلام في تلك الاقطار ، وكان الاهالي من قبيل وثنيين ونصاري ويهودا . وروى المؤرخون أن أحد ملوك تلك الامة صاحب مملكة خيدان كان يقيم شعائر لثلاث فصول يوم الجمعة مع المسلمين والسبت مع اليهود ، والاحد مع النصاري . وكان في تلك الاقطار عدة ملوك يكون عدة شعوب صغيرة معروفة باسم التركيين ، ولما احتاج الملوك إليهم كان يصغر هؤلاء صاروا مسلمين . ولما كانت غارة تملك ( سنة ١٣٩٥ م ) كان أشهر شعوب الطاغستان قبيلتين احدهما القابتي . والآخر القومق وبما كان لهم غازي قومي ، وكان حكم القابتي الذي يلي الدرند في يد السلطان جوقتايش شرف الدين اليزدي ، وكان ملك القومق يسمى بالشامكال أشبه بأغلب كسرى لفارس وفرعون مصر . وكان هؤلاء من أشد انصار الاسلام واحبهم في بدعوتهم . وفي سنة ١٥٧٨ استولى على هاتيك المقام الترك المنيون . ولكن لم تقا

ذلك القتال على استمراره أشبه بمبضع يزيد العالم الاسلامي جروحاً فيزداد تألماً وصراحاً ، بيد ان قتلاً مثل هذا ما كانت الغلبة فيه لا بطل المسلمين ،

فيها منهم . واكثر اشراف الطاغستان يدعون انهم من اصل عربي وان آبائهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك واحياناً يخلطون معه ابا مسلم ويجعلون قبره في مدينة غزاق ويقولون انه هو باني الجامع الاول في بلاد القفق . وقد صادفت في الروسية بعض اشراف الطاغستان فقالوا لي ان اصلهم من العرب يوم فتحوا الدربند وهم يتخرون بذلك . واشتهر من ملوك القبايق السلطان احمد خان المتوفى سنة ٩٩٦ هجرية أي ١٥٨٧ مسيحية وهو الذي يقال انه بنى مدينة « الخالص » لانه كان يجتمع فيها شيوخ الامة ويتفاوضون في الامور العامة . وفي سنة ١٦٤٠ انفصلت فرقة من القبايق وانجحت الاراضي الواقعة جنوبي الطاغستان وامرت عليها حبيب خان ، فجعل مركز امارته ساليان وكوبا . ومن هذا الفرع ظهر في القرن الثامن عشر فتح علي خان أمير كوبا والدربند .

وقد طمع الروس في الاستيلاء على الطاغستان منذ أواخر القرن السادس للمسيح فلم يفلحوا وهزمهم أولاد الشامكال وخرجوهم من بلدسولاك التي كانوا احتلوها ، ثم سنة ١٦٠٤ كروا ثانية على الطاغستان وقصدوا بلدة طاركو فم يفوزوا بطائل .

وكان الشامكال قد خضع لآل عثمان ، ونجمه أمير تاجازان . والامير الآخر الملقب بالمعصمي ، فلما زحف الشاه عباس سلطان المعجم على هذه البلاد سنة ١٦٠٦ انحاز اليه المعصمي رسم خن وبقي الشامكال متمسكاً بالعثمانيين الا ان رسم خان انحاز اخيراً الى هؤلاء فغالبه الشامكال الى سلطان المعجم ولما ضعف امر الدولة الصفوية في فارس تارت اعدى الطاغستان وتبذت طاعة الفرس ، واستقل ميركاي خان بأمره القوق . ثم تحالف هو والامير الملقب بالمعصمي ، والمدرس اداج داود ، من كان مطاعاً بين العامة واستولوا على شامكي ثم أرسلوا الى استانبول يطلبون من الدولة أن ترسل اليهم خديع الولاية وتعرفهم من رعاياها ، فاستجبت بطرس الاكبر صاحب الروسية بأن ثلاثمائة تاجر روسي قد فتحوا يوم فتح شامكي وساق جيشاً استولى على الدربند وسائر سواحل الخزر الفريسية ( ١٧٢٢ ) الا ان قدر شاه صاحب فارس غزا هذه البلاد واسترجع أكثرها من أيدي الروس ( ١٧٣٥ ) وزحف تتر القزيم التابعون للدولة العثمانية على الطاغستان في تلك الاثناء فغلبوا ، وبقي الحكيم هناك المعجم لكن المدركة القارسية بعد نادر شاه تضعضع امرها ، فتقلص ظاهها عن الطاغستان ، وزحف الروس ثانية فاجتاحوا البلاد سنة ١٧٧٥ وفي سنة ١٧٨٤ خضع لهم الشامكال مرتضى علي وبعد ذلك استولوا على القوقاس ، فتسكنت قدمهم في الطاغستان . ولما استولى آل قاجار ( الامراء المالكة الآن في ايران ) على فارس أحبوا أن يمددوا حقوق فارس على الطاغستان فاشتعلت الحرب بينهم وبين الروس ولم تنته الاسنة ١٨٠٦ اذ هاز الروس بالاستيلاء على هذا القطر . وسنة ١٨١٣ نزل لهم المعجم عن كل حق لهم فيه .

ولما تكفى الترك من جهة والفرس من جهة عن الطاغستان ، عقد امراء البلاد محادثة فيما بينهم على مناهضة الروس فاشتدك الدبال بين الفريقين ، ونجحت الروسية كفاً عظيماً ، الى



وذلك لو هن قوائم بعد جهاد كبير طويل العهد ، ولعدم تناولهم مدداً ونصراً يستعينون بهما على المضي في القتال

ان تمكنت من تدويل البلاد فالت لقب العصبي من امراء قزاق ( ١٨١٩ ) ولقب المصوم امير تباواران ( ١٨٢٨ ) وجعلت لدى الامراء الباقين ضباطاً روسيين بأخذون على أيديهم ، واستسلموا جميعاً للحكومة الروسية ، فثار الشعب على الروس وعلى الامراء ، وتولى كبر الثورة علماءهم وشيوخ الطريقة القشتيدية المنتشرة هناك ، وكانهم سبقوا سائر المسلمين الى معرفة كون ضررهم هو من امراءهم الذين أكثرهم يديمون حقوق الامة بلقب ملك أو امير ، وتبوء كرسي أو سرور ، ورفع علم كاذب ، ولتد غارغة ، باعطاء اوسمة ومراتب ، فثاروا منذ ذلك الوقت على الامراء وعلى الروسية حاميتهم ، وطلبوا ان تكون المعاملات وفقاً لاصول الشريعة لا للعادات القديمة الباقية من جاعلية اولئك الاقوام ، وكان زعيم تلك الحركة غازي محمد الذي يلقبه الروس بقاضي ملا ، وكان من العلماء المتبحرين في العلوم العربية ، وله تأليف في وجوب بند تلك العادات القديمة المخالفة للشرع اسمه « قلعة البرهان على ارتداد عرفاء طاعستان »

وفي ٢٩ تشرين الاول سنة ١٨٣٢ بعد جهاد طويل احبط بغازي محمد في قرية جيسري ، واستشهد في معصية القتال رحمه الله ، فخلقه حزة بك الذي استشهد أيضاً رحمه الله بقرب غزاق بعد ذلك بستين سنة فتولى زعامة الثورة الشيخ شامل أفندي المقصود بهذه الترجمة . وهو على نمط الامير عبد القادر الجزائري ، خرج من المشيخة الى الامارة ، وتناول السيف من طريق القلم ، ولم يكن الشيخ شامل في سعة علم سلفيه ولكنه كان احسن منهم ادارة للاموار ، وبصيرة بالخروب ، فتمرد عن ساق الجهاد والتف ذلك الشعب الأثني من حوله ، فذب عن حوض ملته نحو ٣٥ سنة ظفر فيها بالروس في وقائع عديدة ، والى الرعب في قلوبهم ، وجلاهم عن جميع البلاد الا بعض مواقع تبتوا فيها في الناحية الجنوبية . وكانت اعظم الدورات التي والاهم عليهم هي في سنتي ١٨٤٣ و ١٨٤٤ حيث افتتحت جميع الحصون التي كانت لهم في الجبال ، وغنم منهم ٣٥ مدفعاً واعناداً حربية وموئناً وافردوا ، واحل عدداً كبيراً من الاسرى ، فجردت الروسية بمظمة مدسكها وسلطانها جيوشاً جرارة ونادت هي بالجهاد في طاعستان . ونظم شعراء الروس النصائد في وصف تلك الحروب ، وما زالت توالى الرخوف حتى تمكنت من البلاد ، ولكن بقي الشيخ شامل عشر سنوات يلوذها القتال في الجبال الغربية من الجبال ولم يسر هذا المجاهد العظيم له ومن الا في ٦ ايلول سنة ١٨٥٩ فعد الروس على أثر تسليمه الى اعداء ساطة الامراء ليشكروا بهم من خسد شوكة العلماء الذين لم تكن المقاومة الا هم ومنهم . ولكن لما استتب لهم الامر بواسطة هؤلاء الامراء عاثوا فظلموهم هم أيضاً كما هي العادة بأن هذه الدول تبدأ اولاً بالتمسك بقوة الامير الوطني في اغراضها ، وتصريفه في حاجاتها ، حتى اذا قضتها كلها رجعت اليه ونفذته نيفاً المصدا ، وذهب يفرح من التمدد في استرقاقها اليها واعتماد عليها ، وفي عام ١٨٦٢ استأنصت الحكومة الروسية جميع ما كان بقي من جراتهم الامارة الاهلية وانزلت اولئك الامراء حتى من كراسيهم الوهمية ، وبقي الامر كذلك الى سنة ١٨٧٧ ان نشبت الحرب بين الروسية والمغالية فثار طاعستانيون وامتدوا قلعة النومي ، ورفع اشراف

وما انفكت روح العداء للغرب تهبج وتشتد ، حتى بات العالم الاسلامي قاطبة يغلي غليان المرجل على النار ، فشبت في الجزائر الثورة المعروفة بثورة البيوتات التي كانت مألوفة من قبل اعلام الثورة ، واستعانوا لقب المصمبي ، ولقب المعصوم \* ولكن لما دارت الدائرة على الدولة العثمانية في تلك الحرب \* تمكن الروس من فتح الثورة بدون عناء كبير

ولما انحلت الحكومة الروسية القيصرية ، وقامت الحكومة البولشيفيكية سنة ١٩١٧ عليها واعلنت استقلال الامم المهضومة ، وخسرت الشعوب التي كان القياصرة الروس قد اغضبوها بمجد السيف بين ان تبقى منضمة الى الروسية الاصلية ، او تنفصل عنها ، كان اهالي بلاد القوقاس اجمعين من اعلانوا استقلالهم التام ، فتألفت جمهورية في كرجستان ، واخرى في الطاغستان \* والثالثة في آذربيجان ، والرابعة في ارستان ، وازدفت كل من الجمهوريات الاربع وفودها الى الاستانة لمفاوضة الاتراك والالمان في الاعتراف بهذه الجمهوريات الاربع ، وصار الحديث في ارتباطها بعضها ببعض بشكل حثيث ، وكان الوفد الطاغستاني الحركسي مؤلفاً من عبد المجيد بك \* وعلي بك \* وحيد بك يلمت الذي كان ناظر الخارجية الطاغستانية . وماضت مدة قصيرة حتى داخل الكرج الدولة الالمانية وطلبوا حاجتها فاعترفت لهم بالاستقلال دول غيرهم وحدث ذلك خلافاً بين الاتراك والالمان لان تركيا تقاضت حليفها المانيا الاعتراف باستقلال الجمهوريات الثلاث الباقية حتى ان طلعت باشا الصدر الاعظم يومئذ سمي لدى المانيا في معرفة استقلال جمهورية ارمغان الارمنية التي كانت تتقرب من الدولة العلية . وكان رجال الدولة يريدون مساعدتها اصلاح ذات البين بينهم وبين الارمن فتقدم انور باشا الى هذا المعجز ان ذهب الى برلين واتكلم في هذا الموضوع واقنع نظارة الخارجية الالمانية بلزوم المساواة بين جمهوريات القوقاس كلها \* والالم يكن مناس من الاختلاف . وكفى الوفد الطاغستاني أيضاً أن أنهم يقصدهم نوعاً لا لهم حسبوا أن الترك قد يصرفون معظم عنايتهم في مساعدة جمهورية آذربيجان التركية فقط فبذلت في تلك الايام جهدي مع نظارة الخارجية في برلين في تهديد الخلاف . وكان أكثر الكلام مع فون روزنبرج الذي كان مديراً للاُمور الشرقية ، وهو هو اليوم بينا أحرر هذه الاسطر ناظر الخارجية الالمانية . ولم يلبث أن حضر الى برلين طلعت باشا والسكونت براندتورف صغير المانيا في الاستانة ، واشتركنا في حل هذه المسائل جيداً وتم الاتفاق لولا أن الحرب في الجبهة المقدونية جاءت تمام يكن في الحسبان . وظلت باناريا الحديثة . وابتدت نهاية الحرب فوقف كل شيء من جهة المانيا وتركيا . واحل الانكليز القوقاس . وعطف القوقاسيون عامة آناهم بالاشكارة انما تعترف باستقلالهم وتوطد لهم سكونهم . لاسيما انما كانت تعطف على الطاغستانيين قديما انهم مغلوبتهم الطويلة فروس فكان الامر بالمكس لا بعصرت اشكارة جهودها في من هذه البولشيفيك واعادة الحكم الامبراطوري على اصله ، وامدت الجنرال ديكين عدو هؤلاء بانان والسلاح . فما بدأ الجنرال بالحرب مع البولشيفيك حتى غزا الطاغستان وحاول القضاء على استقلالهم فجرت بين الفريقين الوقائع الدامية ، وما زالت الى ان القضي امره يمكنه واستتب الامر لبولشيفيين انفسهم ، فجرد هؤلاء جيوشاً على جمهوريات القوقاس الاربع .



« السكايل » (١) سنة ١٨٧١ ، وهب رجال الدين المعروفون بالأولياء في كل

قديسوا على أزميتها والحقوق بحكومة موسكو خلافا لوعدهم الأول ، ونار اهالى الطاغستان عليهم قنصلت الحكومة اليوانشية على الثوار وقبضت على بعضهم والقتلهم في السجن ، وشرد قسم من رؤساء الحكومة المستقلة ، ومنهم عبد الحميد بك وصديقنا حيدر بك بأمانت الى اوربا ، حيث يواصلون مساعيهم لاجل قضيتهم القومية الى يومنا هذا .

وبلاد الطاغستان متعددة اللغات فمنها لغة الآقار ، ولغة القومى ، ولغة القايغاق ، ولغة الدارغا ، ولغة تابازاران ومنهم من يشكم بلغة فارسية ، وفي الدردنيد والسواحل يتكلمون بالتركية الاذرية أي الجفطاي ، وهي أرقى جدأ من اللغات السابقة الذكر ، ولكن لسان العلم في جبال الطاغستان هو اللسان الدربي ، وهو اللسان الذي يتكلم به اعيان تلك الامة ، وقد صادفت سنة ١٩١٩ الوفد الطاغستاني الجركسي في « يرن » قاعدة سويسرة ولزمتهم مكاتبات الى رؤساء بلادهم ، فكلفني حيدر بك بأمانت بتحريرها لهم بالعربية الفصحى . وكثير من علماء طاغستان معدودون من علماء العربية .

قد حرر تاريخ الطاغستان كثير من مؤرخي الاممك والروس والفرنسيين المذكورة اسماؤهم في دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية ، ولصديقنا الاستاذ عزيز بك مكين ناموس السفارة التركية الحالية بموسكو واحد فضلاء الامة الجركسية ، رسالة باللغة الفرنسية وافية باخبار تلك الامة . ولجوزا حسن افندي ابن الحاج عبد الله افندي الاقدري الطاغستاني تاريخ باللغة الاذرية اسمه « كتاب آثار طاغستان » طبع في طار سيج سنة ١٨٩٥ ولم يسمح الروس بنشره الا سنة ١٩٠٢ بعد رفع المراجعة عن المطبوعات . ومحرر هذا التاريخ كان ممن اشترك بثورة ١٨٧٧ وقام الروس مدة مديدة .

وقد عرفت في المدينة الثورة قبل الحرب العامة باشهر كامل فاشا حفيد المرحوم الشيخ شامل ، وانقضت بيننا الصلحة لما رأيت من حسن اخلاقه ، ولما نشبت الحرب الكبرى استعنته الدولة الى الاسنانة وكانت له مواقف في خدمتها تليق بمن كان حفيدا لذلك الجد الامجد . (ش)

(١) بعد اخذ الامير عبدالقادر أسيرا وانقضاء معاهدة الصلح بين فرنسا والمغرب (١٨٤٥) تحددت الحدود بين الجزائر ومراكش ، وعلت كلمة فرنسا في القطر الجزائري ، فأخذت المراكش الفرنسية تقدم الى جهات الصحراء وتبني وبها الخفاف وتؤسس المساح توطيدا لقدمها في البلاد ، فتأثر بقال له ابو زيان في واحات زيان من الصحراء ، فكان نصيب ثورته النشل فتار زعيم آخر اسمه الشريف محمد بن عبد الله فسيقت عليه المراكش الفرنسية فافتتحت مدينة لغوات وزحف الى ورقلة ( ١٨٥٤ ) وفر الشريف شريدا .

وكانت البلاد المشاة ( كازيلي ) أمي القبائلية ، الدائرة الى قبائل البربر التي تسكنها ، لا تزال مستعصية على الفرنسيين ، شائخة بانغها لا تعطي القادة ، فوالى هؤلاء عنها الزخوف بقيادة « الجنرال بوجو » و « الجنرال سانت آرنو » و « الجنرال راندون » لما زلوا ينادونها القتال ومع اوجوتها من سنة ١٨٤٤ الى سنة ١٨٥٧ والدماء جارية من الفريقين حتى خضعت تلك القبائل في وادي الساحل ووادي سبوا ، والجزء أو بقية الذي استمر في تلك الحرب

وبقيت قبائل الجرجورة مدة حافظة لستقلالها ، الى أن اذعننت هي أيضاً ولكن على شرط حفظ  
 تشكيلاتها الادارية وعاداتها وعرفها ، فولت فرنسا على بلاد القبائل رؤساء مسلمين يرأب عليهم  
 ضباط فرانسيس بجانبهم ، وجهات اقلماً عربية في تلك الادارات ، وسمعت للقبائل بالمحافظة  
 على عاداتهم واوضاعهم مما هو سنة الدول الاستعمارية في الاقوام التي تبلى منها مدة الباس  
 وصعوبة المراس ، الى ان تكون تمكنت منها بطول عرس الحكم وازالة ما بقي من أسباب  
 المقاومة ، فتعدل حينئذ الى اجراء الاحكام الاستعمارية على وجهها الاكمل ، ولكن الثورات  
 في الجزائر لم تكن انتهت لذلك العهد بل كان على فرنسا ان تخمد ثورات اخرى ، كما انطلقت  
 نار احدها اشتدت اخرى . في عام ١٨٥٩ كانت ثورة بني سنان على حدود المغرب الأقصى ،  
 فكففت فرنسا حملة عسكرية . وفي جنوبي وهران كانت ثورة اولاد سيدي الشيخ التي استمرت  
 ثلاث سنوات متتالية . واضطر بها الجنرال د فليمن ، الى ثقب الثوار الى وادي الجير من  
 عمل المغرب ، ولم تسكن هذه الفترة الا سنة ١٨٦٧ . ولكن لما اكتملت فرنسا في الحرب  
 مع ألمانيا سنة ١٨٧١ كانت الثورة الكبرى اذ لاحت للفرصة للجزائريين ورأوا القصد سانحاً  
 بتار المقراني قائد ميجاته ، وضافوه على الحركة مرابط بقال له الشيخ الحداد مع ولده سي عزيز  
 ومعهم اتباع الطريقة الرحمانية ، فاشتدت الفتنة في جميع القبائل ، وامتدت الى بعض أعمال  
 قسنطينة وانصبت ببعض عمل الجزائر ، ولكن العمالة الوهرانية في تلك الآونة بقيت ساكنة  
 لم تشارك سائر اخوانها ، أما الثائرون فلما طمأنوا بجميع الحصون الفرنسية التي في بلاد القبائل  
 وخرّبوا قرية د بالسترو ، وكانوا يستولون على منيعة ، تجردت فرنسا جيوشاً جواردة عقدت  
 عليها الاميرال د غويديون ، لشهرتها بالصرامة والفضاء ، فدارت وحى القتال ونشبت هناك ٣١٠  
 واقعة انتهت اخيراً بسبب التفوق الفرنسي في فن الحرب ووفرة اعتدائها بتحمود تار الثورة  
 وسقط المقراني قتيلاً في وادي سنلات ، فخلعه في الزعامة اخوه ابو مزراق ، فازال هذا بكمال  
 حتى وقع اسيراً فجعل يقال له الرويات في ٣ كانون الثاني سنة ١٨٧٣ وكان ذلك ختام للثورة  
 فاقبضت فرنسا من القبائل الولا بان امت لهم استقلالهم الاداري ، ثانياً بان اقتصدت من اراضيهم  
 ٥٥٣ الف هكتار ( الهكتار ١٠ آلاف متر مربع ) سلمتها الى المستعمرين الفرنسيين الذين  
 يقال لهم « البكولون » ، ثالثاً بان ضربت عليهم غرامة حربية فادحة بحماهم دائماً اراؤهم تحت  
 اوقار الديون ، ومن بعد هذه الثورة لم يحصل من مقاومات الجزائريين ما يستحق الذكر الا  
 ثورة أبي عمارة سنة ١٨٨١ ، ومن ثمة ساد السكون في ذلك القطر وانقطع الامل من القيام  
 بالسيف ، لاسيما بعد ان لحق القطر التونسي ثم القطر التركي بالقطر الجزائري وصارت كلها  
 مستعمرة واحدة يقبها الفرنسيين بالفرقة الفرنسية . الا ان الحرب الدائمة انشأت روحاً جديدة  
 في ر الجزائر لم تكن موجودة من قبل ، وهي ان الجزائريين قدموا لفرنسا جزراً لسيوف  
 ووقوداً لتسكرات الدارية اكثر من ٢٠٠ الف مقاتل في الحرب العادة قتل منهم نحو ٦٢ الفا  
 كانوا غداة لفرنسا بارواهم ، وكان الفرنسيون يوم نشوب الحرب الدائمة واحتياجهم الى مدد  
 المستعمرات قد بالنوا في التماهي للاماني ، وتبطلوا جلود الثمور باصواف النعاج ، وطافوا على  
 الجزائريين يقولون انما هو وطن واعد ندافع عنه جيئة حتى اذا نزلت بنا ترعوه قسماً حذوقه  
 بالاولاد بدون تمييز لفرنساوي عن جزائري ، ولا لمسيحي عن مسلم ، وان ادارت الجزائر بعد



الحرب ستكون شكلاً آخر لا يشبه شيئاً مما كان إلى ذلك الحين ، وإن المسدين يستمتعون بجميع الحقوق التي تتمتع بها الأمم المستقلة ، إلى غير ذلك من المواعيد التي كانت فرنسا وسائر دول الحلفاء تودعها جزافاً على الأمم المهتزمة ، ترغيباً لها في القتال إلى جانب الحلفاء ، مما يعرفه عرب آسية أكثر من سواهم ، وكيف لا وهم الذين وعدهم الحلفاء بأنهم إذا انحازوا إلى صفهم في الحرب العامة اعادوا لهم السلطنة العربية بمخاطيرها ، والحلاصة مواعيد بدون حساب يقدحها أناس كانت تجول في محاجرهم دموع التماسيح ، وهم يقولون هلموا أيها الاقوام إلى القتال في جانب الحلفاء لنصرة الحق على الباطل ، وانفروا خفاً وثقالاً لمكافئة هذه الأمة الألمانية الفاشية التي تريد استعباد الأمم ، حال كون مقصد الحلفاء من هذه الحرب هو دفع سلطة القوي عن الضعيف ، وإثناء كل أمة فسطحاً من حق الاستقلال . فما زالت هذه المواعيد تزدل ، وتلك الألفاظ تتكرر وتعدل ، حتى استوحى للحلفاء النصر وانتهت الحرب ، وقضى الأمر ، فقلب الحلفاء لتلك الأمم ظهر الحزن ، وتناسوا جميع تلك الوعود ، ونكثوا بعماسة هاتيك اليهود ، وادرك أولئك الاقوام الذين بذلوا ارواحهم في سبيل نصرتهم ان هذه النصره إنما كانت عليهم لا لهم ، وأنهم إنما اعانوا على انفسهم ، وشاركوا في تخريب بيوتهم بأيديهم . ومن جهة هذه الأمم اهل الجزائر ، فثاروا خواطرهم وغلقت قلوبهم وتجزؤوا فرنسا ما سبق من وعودها ، وذكروها بالانتيب والسئين الف قبيل الذين ذمبوا منهم في سبيلها ، فبعد اقتيالا والتي اعطتهم فرنسا حق الانتخاب بمعنى أن تقبل اصواتهم في الانتخابات البلدية ، وكذلك حق الترقى في الدرجات العسكرية ، بعد ان كانت لهم دائرة معينة لا يتجاوزونها مهما بلغ من نصيب خدمتهم . وكذلك تساووا مع المستعمرين في الاموال الاميرية ، بعد ان كان هؤلاء يدفعون مالا والجزائريون يدفعون أمثاله عن الارض الواحدة . وكل هذه الحقوق الجديدة ليست شيئاً مما كان الفرنسيس يمنونهم اياه اثناء الحرب ، وما هي الا تلك بعض حقائق من تلك السلسلة الطويلة التي هم راسفون بها منذ نحو قرن . فلهذا قادوا يناصريون الفرنسيس الحرب المنوية التي بدأت تتجلى في الانتخابات والاحتجاجات ، واخذت تمتد بينهم الحركة الفكرية النازعة الى الاستقلال ، واتهم حزب الشيوعيين في فرنسا فرصة القنوط والفضب القديين استولوا عليهم ، فبنوا فيهم الدعوة الاشتراكية الشيوعية : فتلقاها كثير من عمالهم وسعاليكهم ورجال من المتولين منهم ، ولارغبة فيها بذاتها بل فيما يصاحبها من تخفيف السطة الحاكمة والوطاة الاستعمارية . ولقد كان الفرنسيس يظنون ان الواسطة الوحيدة لنزع فكرة الاستقلال من رؤوس الوطنيين ، وامانة روح المقاومة ، هي ملاءمة التعليم الاسلامي ، وطمس معالم الشريعة التي يظنونها هي وحدها موقفاً للحيية الاحلية ، ومنزلة التماس من الحكم الاجنبي ، فلهذا كانت سياستهم في الجزائر من الاول الى الآخر سياسة تساهل ديني في الظاهر ، مع التعامل في الباطن ، فأنهم منعوا ليس الفرنسي فقط ، بل الابطالي والاسبانيولي ، بل اليهودي والمالطي ، بحقوق ليسمحوا بها للجزائري السلم . وجعلوا المدين هم الطبقة الدنيا في السياسة والادارة والاجتماع وكل شيء . وقصروا امتاعهم بالحقوق ، التي يتمتع بها كل الخلق من سواهم ، على نخسهم بالفسية الفرنسية ، وثبوتهم القانون الفرنسي الذي يعادم الشريعة في كثير من الاحوال

الشخصية ، بحيث لا يقدر المسلم ان يقبل العمل به الا بعد ان يزل عن اسلامه . وجعلوا كثيراً من التمتع بالعلم والاعطية والمكافآت موقوفة على التمسك . ولم يرق الجبرال يوسف رتبة جبرال الاعلى على هذا الشرط . ومنه ساقطين طلب احد النواب الاحرار في البازيان في باريز الغلاء القانون الذي تمنح بموجبيه في الجزائر الجبايات العفارية الاوربي وقبهودي والجزائري الذي يرضى ان يتصرف . وهو قانون سنه الحكومة الفرنسية منذ نحو ثلاثين سنة لا غير . أي على عهد الجمهورية التي تزعم ان الاديان عندها سواء ، وقد أجب ممثل الحكومة يومئذ موافقاً على استهجان هذا القانون ، ومعلن أن الحكومة الغامضة لا سبيل لها للتفادي الذي اتفاده المسلمون في هذه الحرب ، ولكن است على ثقة من كونهم قرئوا القول بالفضل اذ طلقوا ولم يفعلوا ، ولم يجتريه الفرنسيين بهذه الوسائل الرسمية لتزويد المسلمين في الاستمساك بحرية شريعته . بل ضحكوا الجبال للبعث الدينية ، وعضدوا « الكردنيل لافيغري » في برسليه الماتيين بالمرساتين اليسرى ، والتعطوا كثيراً من اطفال الفقراء من المسلمين وأبائهم . ونشأوهم في المدارس الدينية ، وقد جعلني الانتدار في احدى مدن ايطالية بقيادة الف في الجيش الايطالي كان يرغب الي أن أرسله الى احدى الحكومات الاسلامية لاجل الخدمة فيها ، فسأله عن سبب هذا الخلق ، هاجبني انه مسلم مغربي . وكانت سخلاًه تدل على ذلك ، فقلت له وكيف صار ضابطاً في الجيش الايطالي ، فقال لي انه ثوى في احدى تلك المدارس على أن يجتهد في الاسلام ، ويتجسس باحدى الخبائات الثلاث الكاثوليكية : الفرنسية ، والاطالنية ، والاسبانيولية . فهو يومئذ اختار الايطالية ولكنه اليوم يعني الرجوع الى أصله . وبالجملة فانه وان كانت الحكومة الفرنسية غير دينية في بلادها الاصلية ، فهي في الخارج سائرة على قول محمد : « عداوة الدين ليست من بضائع التصدير » . وهذا مرجعه الى سببين أحدهما انها تعتقد ان الدعوة الدينية قد تكون عضداً للحركة الاستعمارية ، ومن هذا الباب كان يجذب فرنسا بضع الجزويت في سوريا ، مع ان الجمهورية تناسب هؤلاء العداوة في فرنسا . والثاني ان اكثر النفوذ في المستعمرات انما هو لقوة العسكرية ، واكثر أمراء الجيش يخدمهم من الحزب الكاثوليكي . وما لا ينبغي ان ننساه ان الفرنسيين قدبوا كثيراً من مساعدي الاسلام في الجزائر كنائس . بلجامع النشاور في نفس مدينة الجزائر هذه موه وشوا محلة كنيسة ، والمسجد المسما مسجد « ميز و مورتو » حولوا كنيسة ، وكثير من الجوامع حولوها كنائس عسكرية وانباراً ، وكان في مدينة الجزائر يوم فتحها ١٧٦٦ مسجداً وزاوية فلم يبق منها الا ٤ فقط . وأما الاوقف وما استولوا عليه منها فذلك طرحه طويل ، لا يسعه هذا المكان ، وقد تقرأ في التأليف الرسمية عن حالة الجزائر ما يجنبك لك انه وان كان لا أثر للمساواة بين الاوربيين والمسلمين في الادارة ، ولا في القضاء ، ولا في الهيئة الاجتماعية ، فهناك شيء من الاعتناء بحالة المسلمين ، ومن الناطق في رفاهيتهم وسعادتهم ، ولكن اذا سألت هؤلاء أو قرأت مؤلفات الاحرار من الفرنسيين القدماء تعلم من الحقائق ما يسوء كل ذي وجدان سليم ، وفي العام الماضي ذهب المير « فاريك كوتوريه » احد النواب الشيوعيين في البازيان . وساح مدة طويلة في الجزائر ومونس فادر في جريدته « الاومانية » مقالات متعمدة عن درجة اعتظام أولئك الاعيان لا يبقى معها أدنى مجال للمكابرة . وحديثك ان سماعة الف ولد من أولاد الجزائريين



لا يجدون مكتباً يتعلمون فيه القراءة ، من أسلمهم سنة آلاف في نفس مدينة الجزائر ، فكيف  
يقال إن الحكومة تعني بهم .

وقد لجأ الفرنسيون الى وسيلة أخرى لتسكين قدم استيلائهم في المغرب ، وهو زرع الخلاف  
بين العرب والبربر ، وإقناع البربر بكون أصلهم من سلالة أوردية ، وإن لغتهم غير عربية ، فلا  
ينبغي أن يتعلموا العربي . ومما لا يكتفه بعضهم أن على فرنسا قصر اللغة العربية ضمن حدود  
معلومة ، وحمل جميع من أصلهم بربر على اللغة البربرية ، وهذا يتنافى دعواهم ، من كونهم إنما  
يتوخون في الاستعمار نشر المدنية ، لأنه مما لا مشاحة فيه أن البربرية لا تصلح للمدنية بخلاف  
اللغة العربية التي تعد في الدرجة الأولى من لغات الأرض شرقاً وغرباً ، وإنما هناك سبب آخر  
ثابت منه يشاهد واحد :

قلد فيكتور يوكه الفرنسي في كتابه المسمى (مراكش) *Le Maroc par Victor Piquet*  
الذي ظهر سنة ١٨١٨ ما يأتي تعريبه :

« إن البربر كل منهم مجوس وثليون ويهود ، وفي صدر النصرانية قبلوا الدين المسيحي  
لكنهم لم يودعوا عند ما تمكنوا من الاستقلال . ثم دأبوا بالإسلام الذي ببساطة قواعده يستعمل  
العمل ويرسج في جميع الأمم التي تدن به » .

ثم يقول : « إن البربر أسلموا إسلاماً لا يزال مشوباً بأحوال وأوضاع خاصة بهم »

ثم يقول : « إن العالم الاخصائي في أمور البربر المسبو (دوت) الذي جال بين قبائل البربر  
نوه بعد أن سجدوا لهذا الشعب البربري . وقال إن به مناطق أمان في شمال إفريقيا » .

ثم يقول : « أنه شعب يظهر عليه الميل من نفسه الى المدنية الفرنسية . لذلك يجب علينا قبل  
كل شيء أن لا نعتبره أكثر مما هو . ولأجل يلزم هذه الغاية يجب أن يحمل البربر على الثقافة  
الفرنسية ، ولا يشكوا بالفرنساوي قبل وصول الثقافة العربية والاندلس العربية اليهم . وعلى  
هذا الشكل نحقق لأديب - أكثر مما هو مظهرون - خيالنا العظيم بمراكش فرنسية » .

ثم يقول في صفحة ٢-٣ من كتابه :

« وفي النية تأسيس مكاتب فرنسية بربرية في الجبال التي لم تستعرب من بلاد البربر . وهذا  
نصور حسن جداً لكننا لم نود الحظ قد تأخرنا في إنفاذه . فإذا كانت بلاد القبائل من الجزائر  
ليس فيها إلا بعض أقوام من البربر ، فإن قسماً عظيماً من أهل المغرب الأقصى لا يعرفون العربية  
أو يتكلمون باللغتين البربرية والعربية ، وليس لنا أدنى مصلحة أن نشر بينهم اللغة العربية - لغة  
الجامعة الإسلامية - بل بالعكس » .

ولنا من يقول إن جميع المفكرين من الفرنسيين هم على هذا الرأي من مباحبة اللغة  
العربية والشريعة الإسلامية بالوسائل الممكنة ، كلا فإن لغة منهم تخرج الى الأخيرة الثامنة ، وإنه  
دائماً عن حقوق الأهالي ، وتحتفظ عنهم تلك الوسائل الاستعمارية ، ولكن مع الأسف لا تزال  
هذه اللغة هي اللغة النائية ولا تزال الدولة لا زالت ، وإن ترى أنه مع كل مداعي الفرنسيين  
في مباحبة العربية والشريعة لم يقدروا أن يبنوا الحركة الوطنية التي تنقوي يوماً ويوماً في  
الجزائر ، مع أن أكثر الفاتحين بها هم من حصلوا جميع علومهم باللغة الفرنسية . (ش)

بلاد من بلاد افريقية الشمالية <sup>(١)</sup> يستشيرون المسلمين ويستنفرونهم للحرب والجهاد ، ومن هذا النوع كانت ثورة المهدي في السودان المصري <sup>(٢)</sup> ،

(١) ورد في دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية ان في الجزائر بحسب تحقيقات «دوبون» و«كوبولاني» *Depont et Coppolani* ٢٣ طريقة صوفية ، لها ١٨٩٩ ٢٩٥ مريداً ، وعليها ٧٠٠٠ شيخاً و ٦٠٠٠ مقلداً واتباعاً ، وعندها ٩٤٩ زاوية ، وتأتي من الاخوان كل سنة ما يقدر بسبعة ملايين . واعظم هذه الطرق هي الطريقة الرحمانية مؤسسها سيدي محمد بن عبد الرحمن بوكيران واتباعها ١٥٦ الف رجل و ١٣ الف امرأة ، وهي منتشرة في جميع قطر المغرب الاوسط . ثم الشيعانية وشيخها بقم يزأوة عين ماضي واتباعها ٢٦ الفاً وأكثرهم في جنوبي وهران ونواحي الصحراء . ثم القادرية وهم ٢٤ الفاً . ثم الطيبية وهم ٢٢ الفاً زعيمهم الشريف الوزاني بالمغرب الأقصى . ثم الشيعية أولاد سيدي الشيخ وهم ١٠ آلاف ، ثم الدرقلوية وهم ٩ آلاف رجل مشهورة هذه الطريقة بالتمصب والشدّة بحيث أنها اشتركت بجميع الثورات التي ثارت على الأتراك ثم على الفرنسيين . ثم العارفة وهم ستة آلاف ثم العيسوية وهم ٣٥٠٠ . ثم الحنظلية شعبة من الشاذلية نحو ٤٠٠٠ بجهات قسطنطينة . ثم الزاوية ثلاثة آلاف ثم الزروافية ٣٧٠٠ . ثم السنوسية وهما ألف تابع فقط . وهناك طرق أخرى قليلة الاتباع . ولشايخ الطرق والمرابطين نفوذ عظيم ومكانة لا تساويها مكانة في الجزائر عند جميع الأهالي لاسيما البربر . وان الطلبة والندوسين والمتقين والقضاة وأئمة المساجد لا يكادون يكونون شيئاً بالقياس الى المرابطين ومشايخ الطرق . (ش)

(٢) انفتحت الاديان السماوية الثلاثة على ظهور واحد في آخر الزمان . قال يهود لايزالون منتظرين المسيح الذي يحدد ملكهم قبيل انقراض الدنيا . والنصارى يرون في عيسى عليه السلام المسيح الذي بشرت به الانبياء ويقولون رجوعه في آخر الوقت لا بأية الدجال الذي يفي به . يوحنا . والمسلمون أيضاً عندهم المهدي الذي يظهر قبل قيام الساعة ليلاً الارض قسماً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . و يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما منته لا تقوم الساعة حتى يخرج من ذرئتي رجل اسمه كاسمي يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً ويظهر الاسلام على الدين كله . وبعضهم قال ان المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان هو عيسى عليه السلام . وبعضهم قال بل هو علي بن أبي طالب . والشعبة الامامية يقولون انه محمد الحجة بن الحسن العسكري ، ابن علي النبي . ابن محمد التقي ، ابن علي الرضا ، ابن موسى الكاظم ، ابن جعفر الصادق ، ابن محمد الباقر ، ابن علي السجاد زين العابدين ، ابن الامام الحسن السبط ، ابن سيده الامام علي رضي الله عنه وعنهم جميعاً ، وان محمد الحجة هذا دخل مع ابيه صغيراً سردياً بالحلة من ارض العراق واختفى فهم ينظرونه الى الآن . فلما القلتشدي في صبيح الاعشى : ويقال لهم في كل ليلة يقفون عند باب السرداب بفتحة مشهودة مزججة من الغروب الى مغيب الشفق ، ينادون أبها الامام فذكر الظلم ، وظهر الجور ، فخرج اليها . وروى باقوت لهم فانوا في قاشان من بلاد الهند يركبون كل صباح الى لغاته ، وذلك في اواخر القرن الخامس للهجرة . وروى ابن بطوطة انه لما مر بالحلة رأى مسجداً مسدوداً على بابها سجن من الحرير ، وان كان يأتي كل يوم مائة



وهي الثورة التي دامت طويلاً وفشت في عضد الانكيز فتاً كبيراً ، وأزلت بهم خسائر فادحة ، وما خمدت ناراها حتى قبض « لككشنر » الاستيلاء على

رجل متلدين الملاح فيصلون العصر ، ثم يذهبون الى قائد البلد ، فيعطونهم بقعة ملبسة مرسومة ببطون من ماء ، وهم يطبلون ، ويذمرون ، حتى اذا انتهوا الى باب ذلك المسجد نادوا : يا امام الزمان اخرج فان الظلم قد ظهر ، والفساد قد كثر .. الخ

والفرقة الكيمانية يجهلون المهدي محمداً بن الخليفة ( أحد أولاد سيدنا علي ) وينظرونه ويقولون انه لم يمت ، وانه مختبئ في جبل رضوى ، بين المدينة وينبع . وكان عند ملوك الصفوية في العجم عادة ، وهي اسراج رأسين من الخيل ممدتين دائماً في القصر لاستقبال المهدي ، وعين المنتظر يجلسها كل ساعة . وهذا يشبه محل بعض اليهوديين من الافرنج الذين يقبضون بالقدس منتظرين مجيئ السيد المسيح يوم الدينونة . روى هوارث *Howarth* القرافي ساوي صاحب تاريخ العرب المطبوع سنة ١٩١٣ ان انكيزياً ورد بيت المقدس وأقام بالوادي الذي يقال انه سكنه في الدينونة ، وشرع كل صباح يفرغ الطبل منتظراً المسيح . وسمعت ان امرأة « انكيزية فيما اطلق » جاءت القدس وكانت تفلي الشاي كل يوم لاجل ان تقدمه للسيد المسيح ساعة وصوله . ومدة لامرئين الشاعر الفرنسي العظيم في رحلته بجبل لبنان انه زار في قرية جون السيدة لستيرستاثوب ابنة اخي بيت *St. Louis* الوزير الانكليزي الشهير فرأى عندها مرداً مسرجاً دائماً ليكون ركوبة للسيد المسيح المنتظر وصوله .

وقد استخدم فضيلة المهدي كثير من الدول الاسلامية لترويج دعواتها والدولة العثمانية عند ما ظهرت بثونس ادعت ان عبده الله مؤسسها هو المهدي . ومحمد بن تومرت لما قام بمصودة في المغرب قام بالدعوة الى المهدي ، وبها تأسست دولة الموحدين بني عبد المؤمن . وقام في أيام الدولة المرينية بقاس رحن اسمه التوزري أصله من توزر من تونس ودعى الى المهدي وامتدح رباط عشرين اسمه (ماداً) بالسوس الأقصى . واعصوب حوله رؤساء صنهاجة فقتله المصائدة . وكذلك ظهر رجل آخر اسمه العباس بين سنة ٦٩٠ و ٧٠٠ هجرية في نواحي الريف من الغرب وقال انه المهدي وثار معه جماعة فقتل وانتهى امره . وظهر في السنيغال سنة ١٨٢٨ مبلادية رجل ادعى انه المهدي وحدث ثورة ثم انكسر وهربت رعاياه . ولما احتل الفرنسيين مصرأ في زمان يونانوت فاتهم بين دمنهور ورشيد رجل مغربي من طرابلس ادعى انه المهدي وما زال يقاتلهم حتى قتل .

ويعد ثورة احمد بن ابي منصور ظهر في السودان رجل اسمه محمد احمد ادعى انه المهدي وقال ان والده كان يسمى عبدالله وأمه كانت تسمى آمنة ، وكان له اخوان اكبر منه يدعىان الدفن في النيل الايمن ، فارسلهم بمحصل العلم في نواحي الخرطوم ، ولما بلغ الخامسة والعشرين من سنه انتظم الى الميادين في احمد السكوف ، وظهر من ورعه وزهده ، فاجتمعت به الناس فاتبعته قبيلة البقارة وهي قبيلة عظيمة عربية الاصل من جبهة نغبرية . وقالت انه هو المهدي . وأعلن هو ذلك سنة ١٣٠٠ هجرية . وكان رؤوف باشا والي السودان المصري ارسل ٢٠٠ جندي

الخرطوم ، و ذلك قبيل ختام القرن التاسع عشر . وانتجرت في افغانستان  
بركان حقد وعداء للغرب عظيم <sup>(١)</sup> ، فتناولت حممه مسلمي الهند فألهبت

لبعض عليه ، فقامت جماعة محمد احمد جيماً ، وانحاز هذا الى جبل هناك وانتف حول السودان  
فجرت الحكومة المصرية جيشاً تحت قيادة جيفر باشا الباقري فهاجمه نحو ١٥ ألف سوداني  
وابادوه ولم ينج من المصريين سوى ١٢٠ رجلاً . فدخل المهدي الأبيض سنة ١٨٨٢ في ١٧  
كانون الثاني وجعلها كرسى حكمه . فجرت الحكومة المصرية جيشاً آخر بقيادة هيكس باشا فاباده  
السودانيون أيضاً وأخيراً ابادوا قوة غوردون باشا في الخرطوم ، واستولوا على السودان كله .  
وبعد موت المهدي خلفه التمايحي أحد زعماء قبيلة البقارة ، واستفعل امره فاشار الانكليز على  
مصر ، والاشارة هنا دأب الامر ، ان تتخلي عن السودان وتتركه وشأنه ، ولم يكن ذلك الا  
توطئة لتوجههم هم السودان ، فانهم ما لبثوا ان جردوا جيشاً من المصريين بقوده منباط انكليز  
رئيسهم الجبل الى كشتير واستفتحوا السودان برجال مصر ومال مصر ، وغادوا يقولون للمصريين  
ان السودان مشترك بيننا وبينكم ، والخليفة ان لاحق لهم بهذه الشركة ، لان السودان كله  
لمصر ولا تستغنى عنه مصر طرفه عين فضلاً عن كون هذه الشركة هي اسببه ، لان كل شيء في  
السودان هو في يد انكليز ، ومن ولي امر السودان فقد أخذ بمخلف مصر ، لانك هذه معه ان  
تصعد تنأ ، ولذلك مسألة السودان هذه هي العقدة الكبرى المعقدة الواقعة في وجه حل المسئلة  
المصرية بين انكليز ومصر ، واذا تحت مصر عن السودان فقد تخلف عن نفسها . (ش)

(١) هذا موقف عظيم من أعظم مواقف الاسلام في العالم ، ومعتزك شهر من أجل مقاماته  
فيما حدث ، فضلاً عما تقدم ، ولعمري لو لم يبق الاسلام في الدنيا عرق بنفس ، رأيت عرقه  
بين سكان جبال الألبا والهندكوش نابضاً ، وعزمه هناك ناعضاً ، الا وانه من هناك غزا القامح  
العربي محمد بن القاسم في صدر الاسلام الهند ، وفيه السنة (٧١٢ م. ١٢ هـ) ووصل الى حدود المائتان  
ومن تلك الجبال انحدرت تلك الجواهر الكبرى اسكان الاسلام ، وحامي المعارف والعلوم في  
عصره ، السلطان محمود بن بيككتكين الخنوي التركي ، في اوائل القرن الحادي عشر للهجرة ،  
ودوخ الهند من افصاها الى افصاها ، وتأثير عظه رجوات (ملوك) لاهور ومانبال ودهلي ،  
واجير ، وقنوج ، وغناليور ، وكالنجار ، واودهي ، حزمة واحدة ، ووقف العالم البراهمي  
بازاء العالم الاسلامي ، واصطفت الاقربان ، وانتصب البزبان ، فبال الله فبال الاسلامي من  
المال البراهمي في واقعة ، بالنداء ، وبنزق شمل الراجونات كل ممزق ، وفتح محمود شمع  
ودعلي ، واقام ولاد من قبله في لاهور ، وجعل راجا قنوج من اتباعه ، واكمل توطيد ملكه  
في جميع البنجاب ، وغزا كالنجار تلك المدينة الموصوفة بنعمتها ، فالتفاد له ملك تلك الديار صاغرين  
وفصد كوجرات وحطم القسم الاعظم المعروف بدومنت ، وفتح بهاضية ذلك الفتح الذي تحدثت  
به الركب ، وكتب فيه تلك الرسالة الطنانة شيخ الكتاب ابو الفضل بدع الزمان ، فقال انه  
« الفتح الذي تضاهت اعاده النوح » ، وانت سابه الدلائل والروح ، الخ وذكر عن الهند  
وعجاليها وعظمة الخلائق التي فيها ، ما عرف بقدر تلك المتوحات التي انشأها الله للاسلام على يد



صدورهم الهائبا ، فهبوا يشقون عصا الطاعة على الانكليز الذين ما استطاعوا

أبين الدولة وبين الله ( هو لقب السلطان محمود الغزنوي ) . قال المسيو رينه غروسه *Reinhart Gross* صاحب تاريخ آسية الذي ظهر سنة ١٩٢٢ في ثلاثة مجلدات ممتصا من روايات اكارا حقيين ، وذلك في بحث الهند لعهد الاسلام ، ما يأتي تعريبه :

« ان محمود أقام بصليلية اسلامية ( يمتون بذلك سلسلة حروب اشبه بحرب الصليب ) استمرت الى القرن الثامن عشر وكانت كسار الصليبيات ، جامعة بين دوح الدعوة الدينية ، وروح الطمع في السحت ، وان محموداً بقيت صورته العالية مشرفة على ثمانية قرون ملأته بالتوسعات ، لان الحماد الذي كان هو لول ابطاله ، لم يبلغ حد النهاية الا في بحر العصر الحديث بعد ان عرفت ارض الترابية من جبال حلايا الى سواحل كوروماندل ، اسم الله تعالى ودانت لسلطين الترك المغوليين . واقتى ان محمود بن سبكتكين التركي ، محمد الغوري الافغاني ، الذي استولى على سلطنة آل سبكتكين وغزا ملهم الهند ، وشنت في واقعة « نانسوار » الثلاثمائة الف فارس ، والثلاثة آلاف فيل التي حشدتها لقتله ملوك الهند ، واغتنم دلهي ، وقنوج ، وميرات ، وآفرا ، وضمها الى مملكة ( ١١٩٤ ميلادية ) وانهم عمده مملوكه آبيك التركي الذي فتح بنارس ، وضرب الجزيرة على ملوك كاهلپور ، ومالفا ، واغتنم كوجرات ، وكالنجار ، وضم الى املاكه بوندلكناد ، ثم التفت بخيار الافغاني ، الذي اغتنم مغللا ، والبنغال ، وازال الدولة البوذية من تلك الاقطار فكان عمل هؤلاء الفاتحين مقدمة لسلطنة اسلامية عظمى قاعدتها دلهي وقد بسطت جناحها على الهند بحدافيرها ، واستبقت من القرن العاشر للمسيح الى اوائل القرن التاسع عشر اذ هزمت وعجزت وانقرضت على ايدي الانكليز كما هو معلوم . وليس المراد هنا تاريخ الدول الاسلامية التي تعاقبت من ذلك الوقت على الهند ، ولكن المراد هو ذكر العلاقة الشديدة التي بين اسلام الهند وبلاد الافغان التي منها انحدر الفاتحون المسلمون سواء كانوا من العرب ، أو من العجم ، أو من الترك ، أو من الافغان ، واثبت ان تلك الجيوش كانت ولم تزال على ما يملوها من التلويح مستوقدة حاسة ، ومشرعية ، وموطن فتوة ، وسمعة غروسة ، ولبك ملخص تاريخ علاقتها مع الانكليز منذ وضعوا ايديهم على الهند الى يومنا هذا . »

قال المسيو نومارشان *Nomarschan* أحد ضباط الجيش الفرنسي ومن اعضاء الاكاديمية العسكرية في كتابه « حرب الانكليز مع الافغان » الذي ظهر سنة ١٨٧٩ ما يأتي تعريبه ملخصاً :

« ان مبدأ علاقة الكثرة مع افغانستان كان في القرن التاسع عشر ، وذلك عند ما ارسل البريطانيون الاول « الجنرال غاردان » لمفاوضة المعجم في عقد محالفه بينها وبين فرنسا ، لاجل دفع الهند طابع الانكليز ذلك اسرعوا بارسال وفد الى كابول ليتخذوا من الافغان ردها ضد المعجم ، وكان يومئذ في كابول أمير عليه لقب شاه مثل شاه الفرس حصلت عليه ثورة ، واستولى على الملك الحو الصدير الاعظم الذي كان عند ذلك « شاه وفر اخو الشاه الافغاني الى الهند ، ملتجئاً الى الانكليز مستمداً صبرتهم لاسترداد مملكته ، كما ان أمير الافغان الجديد ، وهو المسيو دوست محمد خان ، عقد حلفاً مع الروس فكان عمله هذا كافياً لتجريد حملة انكليزية على افغانستان ١٨٣٩ . »

## تسكين العاصفة الا بعد شق الانفس وركوب الهول . وحدث مثل هذا في

وكان قد سبق الحجة الى كآول الساع الانكليزي المشهور برنس *Burnes* ليقاوم فيها سائس  
العدايل فيكونش الروسي فلما رجع برنس الى الهند اقنع « القورد اوكلانده » بوجود الزحف  
واعادة البناء القديم شجاع الملك ، ولكن ما أعيد البناء المذكور حتى وجد الانكليز حاجة ماسة  
الى تعزيزه بجيش عظيم ، لما كان قد انتشر في البلاد من الفوضى ، وظهر من عدوان الاهالي  
للانكليز . وفي سنة ١٨٤١ شبت نار الثورة في كآول ، وقتل فيها القائد البريطاني ، وعدد  
من ضباط الانكليز ، ثم اضطر القائد الانكليزي ، بالنظر الى تخرج موقه ، الى طلب الامان  
على نفسه وعلى جنده ، على ان يخرج من البلاد بدون توقف لا يلوي على شيء ، وهكذا  
خرج في اشد زهرير الشتاء ، وكان ما كان من المنفعة المشهورة التي استأصل فيها الاقنانيون  
١٦ الف أو ١٧ الف جندي انكليزي ليس منهم سوى ٤ الى ٥ الاف مقاتل ، وذلك في  
كآين نصوبه قم في « خورد كآول » قم بنج - سوى القليل العسكري « يريدون » *do it* .  
الذي فر الى جبال آيلد ايعير قومه بالخدمة العظمى ، ثم ان اخذوا قندوا وحصروا جبال آيلد  
التي كانت فيها حامية انكليزية ، فقتلهم زهاء شهرين الى ان زحف « الجبال بولوك » من  
اخذها فاقندها . ثم بعد عدة زحف الانكليز بحمة عظيمة على كآول واسفوا قلاعها ، ودلوا الملك  
وأخذوا بأثرهم نحو سبق ( قال ) : وقد اردنا الاشارة الى هاتين الحثيلتين اللتين تقدمتا للانكليز  
في افغانان لما هما من العلاقة بالحرب الحاضرة ، التي حرب سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٨٠ )  
كما انه لا يخلو من الفائدة معرفة ما يعترض جيشاً اوروبياً يريد التوغل في تلك الديار من العقبات  
الصعاب وما يستتبع النظر من كون كتائب الساكر الاقنانية التي كان الانكليز قد كتبوها  
واستخدموها وظنوها اسبغت من جهة جيشهم قد انقلبت عليهم وكانت اشد اعدائهم وطأ في  
تلك الحرب ، انتهى .

نقول ما استأصل جيش اوروبي قوة وطنية في آية او افرقية ، وخطر هناك مؤرخ اوروبي  
ان يذكر ما هناك من الاعذار المشروعة ، والاسباب المفعولة ، التي قضت بالطائفة الاوروبية على  
الوطنيين ، مع ما بين الفريئين من التناقضات في الامتداد الخيرية ، والاختراعات الدينية ، والمعرفة  
بعلم التعبية ، واسول القتال ، فذا الامح الله والمنة بالمكن قضى فيها بقية الوطني على الاوروبي  
اسرع المؤرخون الاوروبيون الى ثوبه تلك الدرة بالتماس الاسباب الخفية ، والتعذر الاعذار  
المتنوعة ، التي لا تكاد تخلو منها عزيمة ، وذلك حرصاً على اعزف الاوروبي ان يحسه نفسه ،  
وعلى السكة الافريقية ان تتزعزع في نظر الوطنيين . فاليونيس الانكليزي في خورد كآول وهو  
١٧ الفاً قد أمني عن تكره آية ، سواء كان كلمة مقاتلين ام كان بمضه مقاتلا والآحر حادلا  
للمجيرة . والانكليز قد نعلموا من تلك الوانمة ان ينظروا الى الافغان بغير العين التي ينظرون  
بها الى جيرانهم المهنود وعرفوا ان الافغان لا يثام على النار ، ولا يقبل ان يثام الاجنبي وطنه  
ولا يواظف المدو على استنقل بلاده ، كما حصل من كثير من امراء المسلمين الذين كان الواحد  
منهم يسمى بيت يدي القوة الاجنبية ، ويدللي انها مناكب قومه ، طمعاً في ان تلبسه  
باجاً موهوماً ، أو تركبه عرشاً اسبياً ، كلا . ان الافغان عند تول احتكاكهم بالانكليز اعموا  
بالعلم هؤلاء لهم ليسوا من طينة غريهم من جيرانهم ، وان المنافة فيما بين امراءهم على الملك



أواسط آسية حيث ظهرت « الطريقة النقشبندية الدينية » فأخذت تمتد

لا تصل الى حد الاعتراف بالاستقلال ، والمناخ بامور الملك ، وان الوفاء بالعهد عندهم لا يبلغ درجة تواطؤ الرجل مع الاجني على قومه ، ومقاتلة الجندي الاتقاني حثيا افغانيا آخر يذب عن حوض وطنه ، بسبب كون الاول بأخذ جريئة من ذلك الاجني ، كما فعل كثير من سلاطين الاسلام ورؤسائه واجناده ، واغترروا بالنعمة الزائلة والجازمة الموقفة التي لم تثبت ان الفتح بكاهم دما ، واكاهم انعلمهم تدماء ، بعد انقضاء الوطر ، واستتباب الامر للعالم الغريب ، مما لا تحصى ولا تعد أمائله ، سواء في آسية أو في افريقية . ونقول مع الاسف ان الاسلام لما ييل نهائيا من هذا المرض ، وانه وان كان ورد في أثره الشريف انه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فقرأ اليوم يلدغ من جحر واحد مائة مرة ولا يتوب . وقد رأينا ان أكثر فتوحات أوروبا في بلاد المسلمين والفرنجيين عموما إنما اتسقت لها على أيدي المسلمين والشرقيين ، فأوروبا اعتادت ان تستعين عليهم بهم وان تقرب الاغ بالاغ وان تفرع النبع بالنبع ، وان تجرد على الاقطار التي تنوي استعمارها جنودا من اهالي المستعمرات ، تحاطهم بنزر من جنود اوروبية ، وتضع على رأسهم قوادا اوروبين ، وتدل بذلك منها ، وفي حرب افغانستان هذه ، وفي التي تليها ، قد استعملت من اجناد الهند ورجالها ورجالها ، ومن العساكر المتقدمة من ملوكها واوليائها ، حتى من نفس ملوك الاسلام في الهند ، ما لا حاجة الى اعداد هنا ، كما انه في ثورة الهند الكبرى سنة ١٨٥٧ وهي التي اشدت انكسارها فيها ان تخسر الهند بأسرها ، يعترف المؤرخ المتقدم ذكره وغيره انه لم يكن بقي في جميع الهند سوى ١٠ آلاف جندي انكليزي لحفظ ١٨ مليوناً ( عدد سكان الهند في ذلك الوقت ) يردفها الولاء واحد من متطوعة البنجاب ، وانه في تلك الازمة ظهرت مهادنة التورانس باستغلال بعض الرعاه لكتيب جنود من الاهالي ، اجتمع منهم فيما بعد فياق جرار ، كان هو السبب في حفظ انكسار لا في بنجاب فقط بل لجميع الهند . فالتورانس هم الذين في الحقيقة فتحوا انفسهم بانفسهم لحساب انكسار أولا وآخرا ، وقد حاولت هذه الدولة ان تجري على هذه الطريقة في افغانستان فلم تنسج لها لا أولا ولا آخر ، ولو كان الافغان مثل التورانس أو البلوچ أو غيرهم من الامم التي عاقت في الحياتل الادوية لسكانت افغانستان اليوم ولاية من ولايات الهند ، أو امارة يديرها بالاسم أمير من اهالي والحكم الحقيقي فيها لمؤثر القيم أو المعتمد أو المعبد كما يسمونه ، ولم يكن في عرض البلاد وطرها ندبة واحدة تبقى بها افغاني ذل اليهودية ، بل الشعب كان يومئذ كله اعزل عظم الاطوار ، والقوة العسكرية التي تكون عنده يومئذ مهادنة عن طاعة انكليزية ، مؤلفا من بريطانيين وهنود وافغان يخدمون في بلادهم على بلادهم ، بدراهم معدودات . هكذا كان شأن الافغان لو اتبعوا خطة غيرهم من الامم الشرقية الضعفة ، أو لو اقتدوا بتواني « ايسا كل » و « تالك » و « تولا » و « خال » خطأ ، السج خوجه محمود وغيرهم من امراء الهند الذين كانت لهم اليد الطولى في قمع الثورة الهندية الكبرى . بل نجد المسيو لومارشان يقول في الصفحة ٢٨٩ من المجلد الاول من تاريخه « ان القوية الدورانية التي هي ثلث الافغان ومنها الاميرة المالكة عندهم من الاعزاز بسلامتهم وقومهم ما يجعلهم مؤثرين لاي أمير كان مهما كان سيء السيرة ، على الحكيم الاجني »

وتنتشر شرفاً حتى بلغت الاقطار الصينية فتار مسلمو الصين ثورتهم الكبرى

ولم يكونوا يأمنون على سقوط الامير وتشريده مع عثرته على شرط ان يكون لهم الخيار فيما بعد في اختيار حكامهم »

ثم تعود الى ذكر غزاة الانكيز في بلاد الافغان فنقول : ورد في دائرة المعارف الاسلامية المخررة بالفرنسية بقلم السيو هوتيه *Houtier* ورفقه خلاصة تاريخ الافغان مستخلصة من نحو مائة معصف بالبرية والدارسية والانكليزية والفرنسية والالمانية ومن جملة ما فيها ان الانكيز بعد ان دخلوا بلاد الافغان للاخذ بنار جيشهم سنة ١٨٤٢ وحاولوا اجلاس الشام شجاع الملك على عرش تلك المملكة ، رأوا ما هناك من صعوبة التراس ، وتصدروا البقاء ، وهجم على شجاع الملك من قتله ، فازمع الانكيز الخروج من تلك البلاد ، وأخذوا معهم فتح جنك ابن الشام القتل ، ثم عمدوا الى مصالحة دوست محمد خان الذي علموا انه هو الملك الوحيد الذي يمكنه ان يسيطر زمام الافغان ، فانقصد الصلح بين الفريقين على شرط ان الانكيز يجتزمون حدود الافغان ، وانصرف دوست محمد خان الى تحصين بلاده ، واسترد بلخ ، وكولم وقندز ، وبخشان . ولما اشتعلت الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ التزم الحياء ، ولم يهتسب تلك المرة لغزاة الانكيز . ومات دوست محمد سنة ١٨٦٣ فتار الخلاف بين اولاده وتقاتلوا مدة طويلة ، والانكيز ينظرون اليهم من بعيد معتزلين الخلاف كله لعلهم انهم لو اقتربوا افادتهم فيه لتعرضوا لحسار لا تحصى كاتي عرفوها من قبل ، وان كان آلى الامر الى اتحاد الافغان كلهم يدأ عليهم ، فلم يزالوا مذبذبين الى ان استوسق الامر لشير علي خان احد اولاد دوست محمد خان ، واطلق احد ابناء الانكيز كلمة « عزلة رئيسية » على خطة الحكومة البريطانية يومئذ وسارت مثلاً . فلما اجتمع الافغان على طاعة شير علي اتفق معه اللورد نورانس أولاً ثم خلفه اللورد ماير ، فأيد اتفاق سلفه على شروط معلومة ، وأوطأ انه لا يدخل عسكري انكليزي واحد بلاد الافغان لاجل اطفاء ثورة أو تدويج قبيلة عاصية ( هذا خلاف طلب الذين تواتروا مع الانكيز على ان يدخل هؤلاء بلادهم ويخمدوا لهم الثورات ويخضعون لهم المصاة ثم بعد استتباب الطاعة يحلون عن البلاد بزعمهم ) راته لا يرسل ضابط انكليزي معتمداً في مدينة من مدن الافغان ، وانه لا يكون للامير راتب معين من انكثرة مشاعرة ولا مساندة . وقد توارث اولاد دوست محمد خان هذه الفكرة الشديدة من رؤية الاجني في بلادهم من والدهم الذي كان يقول اللورد نورانس سنة ١٨٥٦ ما يأتي : « ان كنتم تريدون ان تبقى اصحاباً فلا تكرهوني على قبول ضباط انكيز في بلادى »

ويقول المؤرخ لوماردان السابق الذكر انه قد بقيت العلاقات بين الانكيز وشير علي سائرة على هذه الوثيرة الى ان دخل الروس خيوة سنة ١٨٧٢ فراع ذلك شير علي خان ، واقفد من قبله من يسر غور الحكومة الهندية من اللورد نورانس في الاعتداء الى بلاده ، فوردته الجواب بقول رأي نحوه ان جرى عليه اعتداء بدون حق من جهة الروس . ولكن الشروط التي وضعت لاجل الترام تلك النتيجة لم تكن لترضيه . قلنا : ان صاحب تاريخ حرب الانكيز : لافغان اعمل ذكر هذه الشروط عمداً لانه من اول هذا التاريخ الى آخره مؤيد



اسيرة انكثرة ، الا انه بالبداية يدرك القارىء ان الشروط التي وضعها الانكليز ولم تعجب شير  
 علي في حال احتياجه اليهم لا بد ان تكون مرة للذائق علي أمير بهمه ان تبقى مملكته بأكملها  
 لا تظلمها قدم اجني ، ولا ذلك ان أول شرط منها كان إقامة مسيطرين انكليز في افغانستان ،  
 ووضع حاميات انكليزية في بعض المواقع الاستراتيجية وربما يكونون اقترحوا عليه قبول الحماية  
 البريطانية ، ليصبح كاحد نوابي الهند أو نظام حيدر آباد ، فحينئذ انهم يستفيدون من فرصة  
 ازمنة هذه البسط حماية لا تزال تحمىهم أنفسهم بها . ولكن لننظر الآن ماذا فعل شير علي  
 خان . يقول لوماردان انه لما ورد جواب الانكليز نفي وامتنع وصارت علاقته مع الانكليز  
 في خور مستمر ، وابتدأ السباح بالمرور لضابط انكليزي ارادوا انقلبه الى حيدر شاه  
 افغانستان للتحقق من حالة الحدود ، وكذلك لم يأذن شير دوغلاس فورست Douglas Forsyth  
 المائد من كاشغر الى الهند . ورفض قبول مبلغ من الفود كان الانكليز يشعرون اليه به  
 وبكس ذلك كانت علاقته ودبة مع الحاكم الروسي في تركستان . ووقع هذا الجفاء في اواخر أيام  
 الورد نورنبوك ، فلما جاء الورد ليتون خلفا لنورنبوك بذل الجهد الماسطاع لأليف ذائبين  
 مع شير علي ، واقترح عليه ارسال جري من قبل انكثرة هو السير بلي Pelly ليفاوضه في  
 قبول في رعايته ومراضيه ، فاقب شير علي قبول هذا المقترح ، واقترح هو ارسال معتمد الى  
 بشاور للمفاوضة في النقاط الواقعة الخلاف عليها ، وهي تدخل انكثرة بينه وبين ابنة يعقوب  
 خان ( كان ثار عليه وأخذت انكثرة تحميه ) وخطتها في مسألة حدود سجنان ، بين افغانستان  
 والمعجم ، وارسال حاكم الهند هدايا رأساً الى أحد امراء الافغان ، مع انه تابع لمملكتة شير  
 علي ، ورفض انكثرة رأي التحالف معه والاعتراف بتولية هذه ابنة عبد الله خان الى غير  
 ذلك . فرفضت انكثرة هذه المفاوضات في بشاور ، لكنها لم تحب شير علي الى مطالبه وانكثرت  
 عن كل منها بسبب ، فلم يسفر ذلك المؤتمر عن ادنى طائل . ثم ان هناك مسألة القبائل الافغانية  
 العانية للهند كان هذه القبائل باجمعا تتعرف برئاسة الامير ، وليس منها واحدة خلا  
 قبائل البلوج التي الى الجنوب تفر سلطان انكثرة عليها أو ترضى بأختارها وطاعة قدم انكليزي  
 لارضها . وان جميع ما عند الانكليز من المملوكات من هذه القبائل أو عن منازلها لم يتيسر  
 لهم الا بواسطة الجرافيين والمخططين الذين كانوا تابعين للجيش أثناء الحملات المتديدة التي حلها  
 الانكليز على تلك الديار ، ومن الغريب أنه مع شدة شجرة هذه الاقوام على بكارة بلادهم ،  
 وحرصهم أن لا تظلمها قدم انكليزي يخدمهم يحملون من بلدة الى بلدة في الهند ويشجعون من  
 يريدون في أسواقها ، ويخدمون جنوداً في الجيش البريطاني ، ولجند منهم عند الانكليز عمالا  
 ومأورين ينتقدون الرواتب الموزنة . فلا يبالى الانسان اذا قل انه لا يكاد يخلو الا في  
 الجباب من ضابط أو من ضابط متعدد من أبناء هذه القبائل ، وتري منهم ضباط في  
 معررس ومعي وحيدو آباد . وبالرغم من كل هذه الاسباب التي كان ينبغي ان تحصل الفجوة  
 بينهم وبين الانكليز شديدة ، فلا بد من الاعتراف بأن هذه الحالة منذ استولى الانكليز على  
 البنجاب وجاؤوا تلك القبائل لم تتغير تغيراً . فلما ان الوطني في أكثر البلدان الامم وجمع  
 ذلك ، غودا المستعمرين انهم متى قبلوا رعايتهم وانفقوا رواتبهم جازهم في جميع مقاصدهم  
 تبعوهم في كل مراتبهم ، حتى فيما هو على الضد من مصلحة قوتهم ، وفيما ليس استقلال

وطبهم ، وأكثرتا سقطت البلدان المستعمرة تحت السلطة الاوربية انما كان على أيدي ماجوريين من انفس الاهالي ، يدعون أوطانهم بخسائس الخطام ، وقليل المتاع ، ولهذا تجد المؤرخين الاوربيين نظير قوماء ان هذا يقضون العجب من صنيع هذه القبائل الافغانية المعادة لاهند كيف أنها مع شدة اختلاطها بالانكليز رارتفاقها بأموالهم ووظائفهم ، لم توافي الانكليز على بلادها ، ولم تمكن لها في أرضها كما صنع كثير من غيرها ، فهؤلاء قد خالفوا العادة الجارية من غيرهم ، وهذا الامر يدهش الاوربيين كثيراً . يقول هذا المؤرخ ان القبائل البلوچية هي على خلاف ذلك قلها ادارة السدة كانت دائماً أوفى واهناً من ادارة البنجاب . أما القبائل التي بين جبل ماهايون وجبل بوزدار فلها نحو خمس عشرة قبيلة ، منها ثلاث عشرة سالت الدماء غزواً بينا وبين الانكليز ، وساق عليها هؤلاء لا أقل من ٣٠ حجة ( هذا الى عام ١٨٧٩ فأنك به جرى من الحملات منه ٤٥ سنة الى اليوم ) فن هذه القبائل قبيلة المجادون يسكنون المتعذر الجنوبي من جبل ماهايون وقوتها تقوم بنحو ٥٠٠٠ مقاتل ، وكانوا اذا شتوا الغارات على الاراضي الهندية اكتفى الانكليز بحصرهم ، وسنة ١٨٦٣ جردت عليهم حجة بقيادة السير فيلد فما عادت العساكر ادرلجها الا طاراهم الى الثورة . ثم قبيلة البوشارقال وهم من شجع اعداء الانكليز دقت الحرب بينهم وبين الانكليز سنة ١٨٦٣ فحضر الانكليز في مصارعهم ٩٠٠ رجل بما يلو من مر كقاتلهم . وبسدهم قبيلة السراقي الذين ساق عليهم الانكليز حجة سنة ١٨٤٩ ويقدر مجموع هاتين القبلتين بنحو ٢٥ ألف مقاتل . ثم قبيلة الراينراي وفد غزاهم الانكليز مرتين سنة ١٨٥٢ وعددهم ٣٠٠٠ مقاتل . ثم قبيلة عثمان كين ( معنى كيل فصيلة أو دوط ) وعددها ١٠ آلاف رجل اشدت وطأتهم على الانكليز ، حتى جردوا عليهم ثلاث حملات الواحدة عام ١٨٤٩ بقيادة الكولونل براينفورد ، والثانية عام ١٨٥٢ بقيادة السير كواين كامبل ، والثالثة سنة ١٨٦٦ بقيادة الجنرال دونسفورد . ثم اتى الجنوب من هؤلاء قبيلة الشاهوند الكبيرة وهي تقدر ان تحشد ٢٠ ألف مقاتل ، وقد تلجها الانكليز سنة ١٨٥٠ و ١٨٥٢ ثم بعد ذلك بسنتين تجددت الفتنة بينهم وبين احد اخفادها سنة ١٨٦٤ نشبت بين الفريقين معركة في سهل شوبكودور وجميع هذه القبائل تنزل شمال مغربي خيبر الشير بالخيال التي تتاخم الهند الانكليزية ، ويوجد الى الجهة الغربية قبائل اخرى لا تقل عن هذه شدة بأس ، وصوبية مراس ، مثل الباجوري والشينغاري وغيرها . ولكن مرادة الكلام على القبائل التي يجاورها انخوم الهند كانت الحروب متواصلة بينها وبين الانكليز . فبين مغربي خيبر وكوروو منازل قبيلة الافريدي التي تعد ٢٥ ألف محارب ، وهي على ما يظن اهم قبائل التحو . وقد قارزت مع الانكليز مراراً عديدة ، وسافوا عليها زحوا سنة ١٨٥٠ و ١٨٥٣ و ١٨٥٥ واخيراً سنة ١٨٧٧ بقيادة الجنرال كابس والجنرال روس

وكذلك قبيلة الميرنازي التي يحجز نحو ٥٠٠٠ محارب قارزت مع الانكليز سنة ١٨٥١ و ١٨٥٥ و ١٨٦٩ وقبيلة التوري وهي تعادل الاولى في العدد غزاهم الانكليز عام ١٨٥٦

ثم الى الجنوب من هذه تحب قبيلة الاوراكراي من ١٥ الى ٢٠ ألف مقاتل حل عليها الانكليز



سنة ١٨٥٥ و ١٨٦٨ و ١٨٦٩ بقيادة شامبرلين وجوس وكايس . وبين مضيق كوروم وغومول ، تسكن قبيلة اللافاري قاطنا الجنرال كايس عام ١٨٧٢ ، ثم قبيلة الوزيري الشهيرة التي زحف عليها الانكليز سنة ١٨٥٢ بقيادة نيكولسون وسنة ١٨٥٩ بقيادة السير نيل شامبرلين ، وسنة ١٨٦٩ بقيادة كايس لردعها عن الغارات والمخاطبات على حدود الهند .

وعلى جانبي غومول تسكن قبيلة المحسود وزيري التي طالتا افلقت راحة النجوم الهندية ثم قبائل البورداد ، والكازداني ، والشهوراني ، التي هي دائما في جدال مع الجنود الانكليزية ولكن الى الجنوب من هذه قبائل أخرى كانت دائما في وثام تلم مع الانكليز مثل الكثران ، والكوزام ، والاغاري ، والنغورشي ، والماري ، واليوغي ، ويقولون انهم ان سبب هذه المسألة هو حب هذه القبائل للمال وابثارة على ما سواه ، فلانكليز طالجوهم بالمواد الذي رأوه الاتجع فيهم . انتهى

ومما لا يجوز ان ننسأ ان الاحصاءات التي أوردها هذا المؤرخ عن عدد هذه القبائل انما هي عن الوقت الذي كان فيه عدد سكان الهند ١٩٠ مليوناً بدلاً من ٣٢٠ مليوناً اليوم فلاجل صحة الحساب ينبغي إضافة ٣٥ في المائة على الاقل الى الاعداد التي أوردها ، كما انه قد وقعت منذ ٤٠ سنة معارك كثيرة بين البريطانيين وهذه القبائل من بعد الوقائع التي ذكرها ، واليك شامداً ما جرى مع الافريدي :

ورد في دائرة المعارف الاسلامية الآفة الذكر ان الافريدي هم عدة أفخاذ وهم الآدم كيل ، الذين منهم الجافاكي الجاورون مضيق كوهات وقبيلة خاني ثم الآكاكل المستند منازلهم من آكور الى بارام . ثم الكوكي كيل والكبير كيل والرافا كيل ، والمالكدين كيل ، والكاهم كيل ، والسيام . ويقال هؤلاء الافريدي الجيبريون ، يتجمعون في الصيف الميادين في ناحية تيرام . وينزلون في الشتاء الى السهول ، وهؤلاء الجيبريون محدودون في أشد القبائل عتواً وتوحشاً ، وأصعبهم مفادة ، ولا يزالون يشنون الغارات على السهول ولا سيما الرافا كيل الذين هم أفبعهم سيرة . وكانوا الى تاريخ سنة ١٨٩٧ يتباهون دائماً بأن أرضهم لم تظأها قدم فاتح ، ولكنهم في تلك السنة نفسها رأوا المياكر الانكليزية الهندية نجوس خلال ديارهم كلها ( ينبغي ان يعرف ان محرد هذا الفصل من دائرة المعارف هو انكليزي )

ثم يقول انهم كانوا يتقدمون مباح من المال لاجل ان يتركوا المضائق مفتوحة قسالة ، وبعد ان استلحقت الانكثرة بلاد يتاور لم تتعرض لاستغلالهم ، وبقيت لؤدي اليهم هذه الاعطيات لاجل حرية المرور ، ولكن مضيق كوهات كان اكثر الاحيان مسدوداً بسبب المنازعات التي بينهم بحيث ان الانكليز عجزوا الجافاكي منهم في شرقي ممر كوهات سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ ولكن لم تطل مدة الاحتلال ( لا بد ان يكونوا لقوا منهم هذاباً واصباً ، لأن عدم اطالة الاحتلال لا سيما في نقطة كهذه لا تنطبق على عادة الانكليز ) ثم انه في سنة ١٨٩٧ أعلن أحد المشايخ الجهاد في بلاد الشينفاري ، فقتل الصريح بالافريدي والمحمود ، وهاجم انشارون قلعة لاندني كوتال وانتصرها ، وكذلك دخلوا دتوة المواقع العسكرية التي في اجنوبي بلاد الاورا نراي ، جرد الانكليز جيشاً بقيادة السير لوكرت ، فاصطدت معارك دامية ، وأصيب الجيش بخسائر ثقيلة ، ولكن جميع زوايا الديار قد جوست ، وجميع القضايل المأهبة

قد اقتبس منها ، وبعد موقف طويل في الحجة الميدان ، عاد الجيش الى سهول بارا . ثم جردت حجة ثانية الى اودية خيبر وبارا ، وبعد ذلك اطاع الافريدي كافة وصاروا ينتظمون في جيش الحدود ، ولكن سنة ١٩٠٨ عاد الزاككيل الى عيشتهم المعتاد فسيق عليهم جيش الى اودية بارا وبارا ونكل بهم

ثم ورد في دائرة المعارف انه بموجب المعاهدة المتعقبة سنة ١٨٩٣ بين انكلترة والامير عبد الرحمن خان ، تخلى الامير عن بلاد الافريدي وسنة ١٨٩٧ ارسل هؤلاء وفوداً الى كابول يستصرونه على الانكباب فلم يلب ندامهم . انتهى

فيظهر ان حالة هذه القبائل ومرودها على الميث والاخلال براحة الحدود الانكليزية ، منذ استولى الانكليز على الهند ، ولا سيما على البنجاب وديار بشاور كانت تدعو الحكومة البريطانية الى التعرض بامير الامنك لتنازله حرباً تكون عاقبتها اعترافه لها بالسلطة على منازل هذه القبائل لتتمكن بذلك من الاخذ بتواشيها . وهكذا حصل فان الانكليز حشدوا جيشاً عظيماً عام ١٨٧٨ وقموا بتجهيزات لا يقدر عليها غيرهم ، وقطوع معهم كثير من أمراء الهند ومن انزقة من القبائل التي في شمالي البنجاب ، ومن أمة السيك الهندية المشهورة بالبطالة والتي لا تقل في شدة البأس عن قبائل الينان السابقة الذكر وزحفوا بسدد وعدد تضمن لهم نجاح الحركة ، فبعد وقت قصير دخلوا كابول بقيادة اللورد دورنس ، وفر شير علي خان الى مزار شريف في القسم التركي من مملكته حيث مات سنة ١٨٧٩ وكان شير علي قد غضب على ولده يعقوب خان لقوامته له ، وحاربه في هرات ، فلم يقدر عليه ، فمهله ريثاً سرف جنوده ، وأظهر له المنو عملاً سلف ، فاستدعاه الى حضرته وأمنه ، فلما قدم اليه القاء في السجن وفي مسجوناً الى ان دخل الجيش البريطاني الهندي كابول فأخرجوه من سجنه ، ونصبوا اميراً وعقدوا معه معاهدة غداً في التي تخلى لهم فيها عن بعض الاراضي بجوار مضيق بولان وادي كورام ، وتهدد بقبول بعثة بريطانية تقيم بعاصمة الافغان فلم تمض على هذه المعاهدة اشهر فلاقى حتى جرت ثورة في هذه العاصمة ، ودبح الاهالي أعضاء هذه البعثة باجمهم ، فعاد اللورد دورنس بجيشه ودخل كابول ثانية ، الا ان الافغان هجروا من خلفه وجاءوا لمصروهم في كابول ، فطغ الانكباب يعقوب خان واشخصوه الى الهند ودأخوا الامير عبد الرحمن خان بن افضل خان بن دوست محمد خان في قبول الامارة . وكان جيش انكليزي في قندهار ، فزحف الى كابول على أن يكون من هناك جلاء جميع الجيوش الانكليزية عن افغانستان ، فلاقاه في الطريق قبيلة احمد كليل واذافوه عقيم القتال فلم يخلص منها الا بشق الانس ، ثم حشد ايوب خان بن شير علي جيشاً في هرات وزحف به الى قندهار فالتقى بعسكر انكليزي فأكسروهم ، فسرع اللورد دورنس الى قندهار وانصطت الحرب مع ايوب خان . وادرك الانكليز بهذه التجربة الثانية انه ما كل حراء تمره وان الاولى اخلاء افغانستان بأسرها فانفقوا مع الامير عبد الرحمن على ان يكون هو الامير وجلاء سريعاً عن البلاد . فادار الامير عبد الرحمن الامور بحكمة سلم له بها اهالي الشرق والغرب ، ولم يتوق بلادهم وأقام العدل وارهف الخد في المفسدين ، ووطد نفوذ الحكومة وأسس معسلاً لاسلح ، واصلح بقدر امكانه تدريب الجيش ، ووسع حدود البلاد من جهة الشرق ، واستولى على ولاية كافرستان



التي هدى الله أهلها على يده إلى الإسلام فسياما نورستان ، وبالاجمال فقد ذاتت ممالك  
الأفغان في زمانه طعم الراحة ، وعرفت معنى الوحدة ، وما زال يسدد أمورهما إلى أن قضى الله  
اليه سنة ١٣١٩ هجرية وفق ١٩٠١ ميلادية . وهو معدود من أفضل ملوك هذا العصر في  
سداده وحكمه ومضاء عزيمته وبلغ أن له تاريخاً مطولاً بالفارسي ذكر فيه ما جريات حياته .  
وخلفه ولده الأمير حبيب الله خان الذي خاطبته الحكومة البريطانية بأن ملكه ، وإن كان لم  
يتمكن من تأسيس علاقات خارجية مع غيرها مما بقي معه استقلال أفغانستان مشوباً بشيء من  
القصر لم يفتك قيده إلا بهمة ولده الأمير الحالي .

ولما نشبت الحرب العامة ضد الأتراك والألمان ان يحدوا الأمير حبيب الله خان إلى حشد  
وسارت بهمة المانية إلى كابول ، خاطبته في ذلك فكان يعتقد أنه لو خاض غمرات هذه الحرب لحق  
على نفسه وعلى وطنه فلم يأت بأي حركة تفيظ الانكيز ، وقد صد عمله هذا مستجساً لأن  
حفظ اليهود أمر محمود ، والنظر في المواقف من أجل المئات . إلا أنه عفا الله عنه ، كان يقدّر  
أن يشوز تلك الفرصة لمخالبة انكثرة بكثير من حقوق الأفغان التي التمسها أثناء ما كانت  
أفغانستان في الضيق وذلك نظير أخذ البلاد التي اجتبتها إياها بدون حق والحجر الذي وضعت  
عليها في الأمور السياسية الخارجية وكتمها من الحصول على نهر بحري تكون حرة فيه بواردها  
وحاشراتها . فاحمل الأمير حبيب الله ذلك ، ومضى في سياسته على مقتضى مكارم الاخلاق  
الفرقة التي تأتي . بحاجة البدو في حالة ضيقه ، لا على مقتضى السياسة الدمية الأوروبية التي  
لا تعرف هذه المكارم بل تعدها من قبيل الخيالات الشعرية ، أو مبادئ الفطرة الأولى التي  
أبست في شيء . من مبادئ المدنية الخاضعة للإنسانية على الحقائق الالهية ، وذلك بخلاف مبادئ  
الأوربيين من كون الشرقيين لا يحترمون سوى القوة ولا يتأخرون عن نقض العهد إذا  
آسوا من عدوهم الضعف . فيرمون للشرقيين بما هو في الحقيقة قاذب الغربيين . ولقد  
ذهبت امانة حبيب الله خان مع انكثرة سدى إذ بعد ان وضعت الحرب العامة أوزارها لم يزل  
من الانكيز أدنى مكافأة على وفائه وكيف ينال جميع المظالم صاروا بعد الحرب غير ما كانوا  
أثناء الحرب ونسوا جهودهم مع كثير من الأمم التي اعترتهم في الحرب اصراً عزيزاً . وفي  
سنة ١٩١٩ وجد حبيب الله خان في مشناه بجلال آباء مقتولا ولم يعرف قتله ، ولا سبب قتله ،  
وتنوعت الأقوال ولم يزل سر هذه الغيلة مجهولاً ، وسعت أن مصطفى الصغير الجاسوس الهندي  
الانكليزي الذي افترس أمره أخيراً في انقرة بعد ان قدمها جاسوساً في ثياب صديق ، قد  
زعم أثناء محاكمته التي آلت إلى قتله أنه هو الذي دبر مؤامرة اغتيال حبيب الله خان بأشارة من  
الانكيز ، ولا اعتقد بصحة ذلك إذ لا يمكن أن دولة عظيمة كدولة انكثرة تقدم على أفعال  
كفذه ليس فيها شيء . لا من حفظ الكرامة ولا من الحكمة ، والانكيز موصوفون بهذين  
الأمرين . فضلاً عن هذا فلم يحوم حبيب الله خان كان الانكيز صديقاً وفيّاً . ولما لم يمتطول  
عده ملكاً برأ حفيّاً ، فلا يعقل أن تكون هذه الضربة منهم بل الإلحاق بالقتل أن يكون قتله وقع  
بؤامرة أناس متحسين تقدموا عليه شدة محافظته على ولاء الانكيز ، واضاعته فرصة الحرب  
العامة التي كان يمكنه في أثناءها أن يسترد كثيراً من حقوق الأفغان المقتضية . وإن الذين  
عرفناهم من رجال الدولة الأفغانية يكذبون زعم مصطفى الصغير ، ويقولون أن هذا لم يكن

بومئذ هتكت ولا الامير اتل في المسكان الذي عينه من جوار كابل ، بل استشهد رحمه الله في جلال آباد . وقد ثبت ان مصطفى الصغير هذا افترى روايات كثيرة في تضاعيف استنطاقه في انقرة ، لا يعلم الانسان مقصده منها ، ومن جعلها اقحام نفسه في حديث هذه المؤامرة . ثم ان الامة الافغانية بعد استشهاد الامير عولت على مياينة جلالة ولده امان الله خان ، مع كون ولي العهد هو نصر الله خان أخاه الاكبر ، فمن حسن الحظ ان عبدول الامة عن ولي العهد الى أخيه لم يحدث شيئاً من القتل ، ولا صحبه شيء . من الكوارث مما يدل على تعقل كل من الاميرين الاخوين اللذين أحدهما لم يهض الى الحساء ، ولا أسرع الى الفتنة لاجل الملك ، والثاني لم يعامل أخاه الا بالحسنى ، ولا جحد الحذر منه على التضييق عليه ، كما كان يفعل الملوك السابقون . فاستتب أمر الدولة الافغانية على أحسن ما يرام ، وانقبت الكفة ، ولكن الامير الجديد لم يستو على عرش كابل حتى أرسل الى الانكليز بمطالب أمته التي منها إعادة الاراضي التي اغتصبوها من ضمن حدود افغانستان الجنوبية ، والتفرغ عن مرفأ بحري تكون الدولة الافغانية فيه مرة ، وحتى تأسس الملاكات الخارجية وأساساً مع سائر الدول مما كان الافغان لا يتنازلون بطلبون به ، فأبى الانكليز التسليم بهذه الشروط وجر ذلك الى زحف الجيش الافغاني ومن ضارفه من قبائل اليوتان السابعة الذكر ، واختراقهم حدود الهند ، ودارت رحى الحرب فكانت -جداً- ، وصادفت خروج بريطانيا العظمى من الحرب الكبرى ومالى الشعب الانكليزي من سفك الدماء وبذل القناطير المغنطرة ، وعلم الانكليز ما امامهم من العقبات في حرب الافغان وانما مستكون أشد عليهم من الحروب السابقة فنجحوا الى السلم ، وعرضوا على الافغان الهدنة ، وذهب محمود توي خان ناظر الامور الخارجية في كابل الى الهند واتفق مع الانكليز على متاوعة السلاح ، وأوقعت اتفاقية وفداً الى عاصمة الافغان للتفاوض على شروط الصلح اتاه كون الجيوش من الطرفين مرابطة على المهود ، فاعقد الصلح في سنة ١٩٢١ على شروط . أولها استقلال الافغان في الامور الخارجية كما كانت مستقلة في الامور الداخلية والثاني حق امرار السلاح من طريق الهند والاتحاد تحديد منطقة متعاضدة من بلاد قبائل البوتان لا تكون ملكاً لا للانكليز ولا للافغان . ولم ينظر شاه افغانستان عقد المعاهدة لتأسيس سفارته لدى الممالك الآسيوية والأوروبية بل قبل الصلح أرسل سفيراً الى طهران ثم سفيراً الى انقره ، وعقد مع الاتراك معاهدة مبنية على السلم والحرب ، ثم معاهدة مع حكومة موسكو ، وأرسل اليها سفيراً هو أول سفرائه في أوروبا ، وهو الناضل البين محمد خان . ثم أوفد الوزير الجليل الجنرال محمد ولي خان بدنة فوق العادة الى أوروبا لتأسيس سفارته في عواصمها فبدأ بفارسوفا عاصمة بولونيا ثم قدم برلين ، ثم ذهب الى رومة ، ثم الى باريس ، ثم الى أميركا ، واتخذ مقامه بواسطون دعاه سفير اتفاقية فيها يلزم حكومة بريطانيا العظمى أن يزور لندن على الدعوة ، ولما جاء الى العاصمة استقبله رجال حكومتها براً وترحباً ، الا أنه رأى وزير المستعمرات يفارضة في بعض المسائل ، فأبى محمد ولي خان الدخول في أدنى مفاوضة مع وزير المستعمرات ، كما سمعت ذلك من فم ، وقال : لاشغل لنا الامع نظارة الخارجية . فاعتذروا له من هذا الخطأ غير المقصود ، وشرعت الخارجية تتفاوض في عقد معاهدة الصلح فاجاب : انما ذلك هو عائد الى الحكومة الافغانية في كابل ، وهي في مذاكرة مستمرة



مع الوفد البريطاني الذي هناك . ولما تم عقد الصلح أرسلت الحكومة الافغانية عبد الهادي خان من أخته نيهام دهبانها سفيراً الى لندن ، كما انهما جعلت غلام صديق خان من أنجب نجبانها أيضاً سفيراً ببرلين ، والامير شير أحمد خان سفيراً في رومة ، ثم عند ما استقال الوزير الخليل الفاضل محمود ترزي خان من نظارة الخارجية التماساً لترويج النفس في أوروبا ، بعد ان التفت مزاجه لكثرة الاشتغال الي طائفة امير سفيراً له في باريس ، وهو ممن قاموا بخدمات جلالت لا يتساءل له تاريخ الافغان . فانتدب الامير نظارة الخارجية محمد ولي خان السابق الذكر . ثم ان من قام بخدمة الحكومة الافغانية في أوروبا محمد ادب خان من أجل أدباء دمشق اذ كان هو الممثل للدولة الافغانية في برلين لاول تأسيس السفارة الى أن تعين مؤخراً مستديراً لها في وطنه الاصلي دمشق . وقد كان لحرر هذه السطور حظ معرفة هؤلاء الاماني باجمعهم ، بعد ما قدم الوفد الافغاني برلين ، احتفلنا بهم في النادي الشرقي الذي برئاسة هذا العاجز ورأينا من ذكائهم وشهامتهم وحديثهم ما صدق لنا التواريخ المأثورة عن جنسهم ، أما الوزير محمد ترزي خان فقد سبقتنا انما معرفته منذ مدة مديدة اذ كان وقع بين والده المرحوم غلام خان وبين المرحوم الامير عبد الرحمن خان نور ادي الى هجرة غلام خان وطنه واقامته بالشام وهناك أسعد الحظ بمعرفته عرساً فكان له محوي طائفة ابوية ، وأهداني مرة تذكاراً نفيساً وهو مديح نظمته بالفارسي في شمائل الحضرة النبوية ، عليها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وكتبه بقلمه بخطه الايق . وكان رحمه الله من صناعات الكتاب والكتاب ، وابطل الحرب والخراب ، وذوق على التسعين . وهو يقوم الفجر ويصلي في الجامع الاموي ، لا يتخلف يوماً واحداً ، وكان معه ولده محمود ترزي خان الذي هو اليوم سفير افغانستان في باريس ، وهو الوطني الذي حرر مدة طويلة جريدة « سراج الاخبار » وجاهد في ترقية ادارة بلاده وتثقيف قومه بالفنون العصرية ، بقلمه البليغ ورأيه الاصيل ، ما لم يوفق الى مثله غيره .

واقعد باشر شاه الافغان الحالي تنظيم ادارة البلاد الملكية ، وتعليم الجيش وتسيارحه على الطرق الحديثة وتوسيع معمل السلاح الذي في كابول ، وأرسل عدداً وافراً من الطلاب للتحصيل في أوروبا ، من جنسهم أولاده واخوته الصغار ، فجعل قسماً منهم في برلين والقسم الآخر في باريس ، وانتدب عدداً من ضباط الاتراك لتدريب الجيش ، وعدداً من الاساتذة والمتخصصين الاوربيين لترقية التعليم والادارة ، واستدعى طائفة من المهندسين لخطيط الطرق الحديدية ، واستخراج المعادن واستثمار خبرات البلاد ، فالمسكة الافغانية سائرة في أيام الامير امان الله خان الشاه الحالي سيراً حثيثاً الى الامام بحيث يحكم العارفون انه لا تمضي ٢٠ سنة على افغانستان ، حتى تصير اعز دولة في آسية الوسطى ، وتعود ركناً للشرق والشرقين . وهي الآن تحتوى على ثلث وتسعة ملايين من السكان . ولما انعقدت المعاهدة بين كابول وموسكو سنة ١٩٢١ كان من جملة شروطها تحييد ولاية كوشكه في الرجوع الى الافغان ، وهي ولاية على حدود تركستان كان الروس انصبوها منذ نحو اربعين سنة ، وصير عبد الرحمن خان على ذلك عشبة ان يشهور في حرب مع دولة عظيمة كروسيا لا طائفة له بها . فبعد استرداد افغانستان هذه الولاية بناهز عددها ١٠ ملايين نسمة . وعلاقات الدولة الافغانية جيدة مع جميع الدول بما لا اثارها متضامنة مع تركيا نظاماً تاماً ، حل الامير ان يصرح لسفير انكثرة عند ما

في «تركستان الصينية» و«بنان»<sup>(١)</sup> واشتملت في جزائر الهند الشرقية الهولندية ناز الثورات المتوالية ، وأشهرها ما عرف «بالحرب الانشية» التي ما برح بعضها متقدماً حتى اليوم .

جميع هذه الثورات التي كانت تشب ممّا في هذا الدور في مواضع

عقد الصلح معه في كابول وإن يخاطب نفس ملك الانكيز ، بأن افغانستان لا يمكنها ان تخضع الود لانكيز ما دامت هذه نصب العدوان لتركيا ملجأ الخلافة الاسلامية . ولمعري انه لا يوجد في العالم الاسلامي فرد فيه قوة من العقل الا وهو يشق التوهم بين انكيز وبين تركيا ، وافغانستان ، ومصر ، وبلاد العرب ، وسائر بلاد الاسلام ، لما لانكيز من المصالح الشاكلة والعلاقات الكثيرة في الشرق ، وما في الائتلاف بين هذين المنصرين من المانع الجارية لها ممّا . ولكن ما دامت انكيز سائرة على الطريقة التي اتبعتها منذ ٤٠ سنة ، وهي السعي في تفكيك اوصال الاسلام ، واباحة حمله من كل جهة ، استحصلاً لشأفة قوته السياسية ، ونفاها لجميع اخطارهم ان يحدونه نفس يادى وقوف في وجه قوة استعمارية ، وما دامت هي آخذة على نفسها القيام بمعظم هذه العداوة ، فإن أعد العداوة بين هاتين القوتين لا يزال طويلاً ، وليس من المرجح ان الانكيز هم الذين سيمحوون في هذه التجارة .

اما القبائل المار ذكرها فقد ازدادت الوقائع بينها وبين الانكيز بعد الحرب العامة ، ولا معنى لشيء واحد حتى تأتي جواب الاخبار بمركبة أو وافدة ، وقد حول الانكيز على قتال هذه القبائل بالطائرات القاذفة من على بالكرات المحشوة ديناميتاً ، وهي طريقة عمدت اليها أوروبا بعد الحرب الكبرى التي ترقى فيها في الطيران الى هذا الحد ، فصار لكل دولة مستعمرة اسراب من هذه الطائرات مرصدة لانذارها للتنكيل بالاقوام التي تنود على السطة الاستعمارية أو تطالب بحق استقلالها ، أو لا تريد ان تطيع الاحكام الجائرة الجارية عليها . ولا ينحصر عمل هذه الطائرات بالفريق النازل أو المعصاة الخارجة ، بل الطريقة المتبعة هي انه عند ما تبدو من ناحية علامة عصيان أو مقاومة ، ترسل الطائرات فوق القرى أو المدن فتقذف عليها احمالاً من الديناميت تنسف الديار ، وتقتل النساء والأطفال ، ولو لم يكن لاحد من اهالي تلك المدن أو القرى ادنى صلة مع النازلين انما هو الارهاب ، والقام الرعب في القلوب ، واجراء المثلات هؤلاء ليخشى اولئك . وقد وجدت دول الاستعمار هذه الطريقة اقرب منالا وأقل نفقة من تجريد المساكن وتعب الثوار الى مكائهم . لانكيز وزارة خاصة بالطيران تنفق سنوياً خمسة ملايين جنيه انكيزي على طائرات الشرق التي هي مرصدة لقبائل البوتان واهل الهند واهل جزيرة العرب والعراق ومصر الخ . كما ان عند فرنسا الوفاة مؤلفة من هذه الطائرات تستخدمها في المغرب وسورية . ومع هذا فكل من هاتين الدولتين تدعي ان استخدام هذه الوسائل الجنيمة وقتل النساء والأطفال انما هو لاجل المدينة . . . . . (ش)

(١) سيأتي ذكر هذه الثورات في بحث الاسلام في الصين (ش)



مختلفة ، عداً للغرب وسعيّاً وراء غاية واحدة ، إنما كان يتقصها التنظيم والتمشية على خطط مقررّة ، وربط حلقاتها المفردة المبعثرة سلسلة واحدة ، وفوق جميع هذا كانت تعوزها القوة المركزية الثابتة للقيام بتدبير الأمور وإنشاء الوسائل الدائمة .

وقد كانت النورة المهديّة من البواعث على شبوب هذه الثورات ، والمهديّة هذه لم تكن معروفة في صدر الإسلام ، وما ورد لها ذكر في القرآن ، غير أنه جاء في الأثر أن الرسول أنبأ أن رجلاً يدعى المهدي سيظهر للناس ليلاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً<sup>(١)</sup> ومنذ عهد بعيد كان ينتظر ظهور هذا المهدي لينصر الإسلام ، ويقتل الكفار ، ويذيل المسلمين السعادة خالدين فيها . على أن المتدبر المستقصي ليعلم أنه قد كان لهذه العقيدة تأثير ظاهر في تاريخ الإسلام ، فقد قام كثيرون في عصور مختلفة يدعون المهديّة فتبعهم عدد كبير ، فلهذا أمر المهديّة في الإسلام يشبه أمر « مسيا » في اليهودية . وقد كان من طبيعة الحال أن المسلمين ، وقد شدّ على أعناقهم خناق السيطرة الغربيّة ، باتوا يملكون نفوسهم بظهور المهدي ، فلما ظهر المهدي ، لم يأت ظهوره بالنتيجة التي تنيل المسلمين السعادة المنتظرة ، فكان مثل المهدي مثل النار هبت في الهشيم وسرعان ما خمدت .

ولما وصلت الحال في العالم الإسلامي إلى هذا الحد ، أدرك قادة الجامعة الإسلامية الحكماء جميع هذا وابتوا يوقنون أن الثورات المحدودة المضطرب تشب في موضع تقوم بها أمة من المسلمين دون الأخرى في قطر من الأقطار لا يمكن أن توهم شيئاً من قوة الغرب ، تلك القوة الحربية المنظمة على أحدث الأصول والفنون . وأدركوا حق الإدراك أنه إذا رام العالم الإسلامي حقاً تحرير نفسه من النير الغربي ، وتخطيم هذه السلاسل الثقيلة التي يرسف

(١) أحسن خلاصة لحديث المهدي وماذا قيل فيه ما تراه في فصل خاص بذلك من مقدمة

ابن خلدون (ش)

فيها منذ عهد بعيد ، وذلك هذه السيطرة المذلة دكا ، وجب عليه ان يعمل عملاً منظماً شاملاً ويسمى شعبياً أكيداً ثابتاً ، جامعاً للوحدة العامة والرابطة الكبرى . وأيقن هؤلاء أيضاً انه لا بد للعالم الاسلامي اذا شاء هذا ، من دراسة علوم الغرب ، واكتناه عظمته وقوته وتقدمه ، ونهج مناهجه ، وسلوك سبله في جميع ما يؤدي الى النهضة الصحيحة القائمة على أسس العلم وأركانها ، فانما هذا هو السبيل الذي لا سبيل الا هو . للافلات من رتبة استعمار الغرب والتحرر من حكم الفرنجة . وفوق جميع هذا أيقن قادة الجامعة الاسلامية ان استقلال العالم الاسلامي عن الغرب النصراني الاستقلال السياسي ، يجب على كل حال ان يسبقه التجدد الروحي العقلي العلمي الادبي ، والتربية النفسانية الصحيحة ، وانه متى صلحت نفوس المسلمين وزكت وطابت واعتزت وباتت تعاف الذل وتأبى الضيم ، سهل اذ ذاك كل عمل في سبيل التحرر والاستقلال .

وعند هذه النقطة من الدائرة ، التفت غاية دعاة الجامعة الاسلامية ، وغاية الاحرار ، اذ أدرك الفريقان كلاهما استفحال الخطب الجلل والشقاء الاكبر في العالم الاسلامي ، وما يعانيه المسلمون من الذل والهوان ، فابتغوا تجدد الروحاني واصلاحه النفسي ، غير انه نشأ الخلاف بينهم في وسائل هذا التجدد والاصلاح وكيفيتهما ، فقال الاحرار ان المسلمين لا مندوحة لهم عن الاخذ عن الغرب ، واقتباس الافكار منه ، واتباع طريقته في جميع ما هو لازم وضروري لبلوغ الغاية العليا . وقال ارباب الجامعة الاسلامية ان الاسلام بذاته لصالح كل الصلاحية لكي يستمد منه جميع ما هو لازم لذلك ، فلمذا ينبغي ان يقصر أمر الاخذ عن الغرب على محاكاة في اقتباس مناهجه العملية ، والاستعانة بوسائله المادية حسب .

وكان مبدأ سير الجامعة الاسلامية السير المنظم على الخطط المقررة ، حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، اذ كان للجامعة أسنان قامت عليهما ، هما



الطرق الدينية الحديثة النظام كالطريقة السنوسية ، والدعوة التي قامت بها فرقة من جلة العظماء وأكابر المفكرين الحكماء ، رأسها السيد جمال الدين الافغاني ، وانما نبسط الكلام على هذين الأسين ، بادئين بالأول منهما :

ان الطرق الدينية في الافطار الاسلامية هي بنت قرون . وجميعها على نوع واحد من حيث انشاء « الروايا » على رأس كل منها وازع يعرف « بالمقدم » ، ذي سلطة كبيرة على سائر اخوان الزاوية . وقد كانت هذه الطرق في عهدها الأول ، قبل انشاء نظام الطرق الحديثة ، منصرفة عن شؤون الدنيا ، الى شؤون الدين والانتقطاع للعبادة ، فكان لكل حلقة من الاخوان رئيس يعرف « بالدرويش » . فلذلك لم يكن لهذه الطرق في دورها الأول شأن سياسي ، ولما كان التباعد والتعادي منتشراً بين كل طريقة وأختها ، فقد بات العمل المشترك لغاية واحدة متعذراً ، حتى ان طرقاً هذه صفاتها ما برحت حتى اليوم كثيرة ، ولكن ليس لها ولن يكون لها شأن سياسي يذكر ما دامت على نظامها القديم .

أما النظام الحديث للطرق الدينية فقد أنشئ حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، وأهم الطرق الحديثة هي الطريقة السنوسية بلا مشاحة ، تلك التي انشأها محمد ابن السنوسي . ولد السيد محمد في محل بالقرب من « مستغانم » حوالي سنة ١٨٠٠ في بيت عربي في المجد الاسلامي والشرف العربي ، وحسبه مجيداً انه متحدر من السلالة النبوية الطاهرة . وقد عرف السيد محمد منذ حداثة بشغفه بالعلم وسلوكه مسلك التقوى ، فدرس العلوم الدينية في جامعة فاس <sup>(١)</sup> ، ثم أخذ يسبح في افطار شمالي افريقية ، داعياً الناس الى الاصلاح الديني ، وبعد ذلك حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة حيث قضى مدة يأخذ عن الاسانذة الوهابيين ، فزاد بذلك علمه فانتقدت روح الاصلاح فيه . فلم يزال مكة حتى وضع خطة ورسم طريقة للقيام بالاصلاح الذي نواه واستعان

(١) يريد جامع القرويين الذي هو في العالم الاسلامي ثاني الازهر (ش)

الله عليه ، ثم عاد الى شمالي افريقية سنة ١٨٤٣ فأقام بطرابلس الغرب ، وابتنى له زاوية على جبل بالقرب من « درنا » عرفت « بالزاوية البيضاء »<sup>(١)</sup> . وقد كان السيد محمد رجلاً شديداً هيبته ، بعيد الهمة ، عظيم الاقتدار على التنظيم والاصلاح ، فقصده الناس أفواجا من كل صقع من الاصقاع الافريقية الشمالية ، بيد انه لم يعمش غير اليسير من الزمن ، حتى باتت الحكومة التركية في طرابلس تخشى أمره وتقوم وتقمع لشأنه ، فساءت العلاقات والشؤون بينه وبينها ، فنقل مقامه الى واحة « جغبوب » الواقعة للجنوب من صحراء ليبيا ، وجعل مقره هناك . ولما توفي سنة ١٨٥٩ كانت الطريقة التي أنشأها قد انتشرت انتشاراً عاماً في معظم الرقعة الافريقية الشمالية .

وخلف « سنوسي المهدي » أباه السيد محمد السنوسي ، فأخذ يجاهد في سبيل اعزاز الرابطة وتقوية الاصلاح . وخير مثال تدرك به الروح السنوسية وتجلى تجلياً بيناً في كيفية صيرورة سنوسي المهدي خليفة لأبيه : فقد كان للسيد محمد ولدان ، المهدي أصغرهما . ولما كانا لم يزالا غلامين أراد والدهما بلاءهما وعجم عودهما ليري أهما أوثق إيماناً وأشد اقداًماً . فدعاهما اليه ذات يوم بحضور جميع أهل الزاوية ، ثم أمرهما بأن يتسلفا نخلة باسقة . فلما بلغا طائها استحلفهما بالله ورسوله الكريم ان يهويا للحال بنفسيهما الى الارض ، فهوي المهدي بنفسه فأدرك الارض سالماً ، ولبت الآخر في عالي النخلة فقال السيد محمد لجميع من كان حوله : « الخلافة من بعدي انما هي لولدي هذا المهدي الذي لم يتردد في تسليم نفسه لمشيئة الله عز وجل » ، واقتفى السنوسي المهدي آثار والده جميع حياته ، فكان حاكماً حكماً عادلاً تقياً ، وعاملاً كبيراً في سبيل الطريقة الدينية السنوسية ، وفي أواخر حياته نقل مقره الى واحة « الجوف » للجنوب من « جغبوب » في صحراء « ليبيا » وتوفي سنة ١٩٠٢ خلفه ابن أخيه أحمد الشريف ، وهو سيد الطريقة ورأسها الحالي وهو ذو اقتدار وكفاية .

(١) تقدم ذكر هذه الزاوية (ش)



وقد انقضت مدة أكثر من ثمانين سنة والطريقة السنوسية تزداد انتشاراً ووثاقة ، وما برح الجهاد في سبيلها على غير انقطاع ، حتى غدت اليوم عاملاً كبيراً في تيار الحركة الإسلامية ، وبات لها اتباع في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي ، فالسنوسيون في بلاد العرب كثير عددهم ، وليس هذا جميع ما في الأمر بل إن الطريقة السنوسية قد كانت عاملاً شديداً التأثير في الحياة الدينية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وما زالت أقطار شمالي أفريقيا من أقصاها إلى أقصاها مستقر السنوسية ومضطربها ، فمن مراکش حتى الصومال ، ترى البلاد مرصعة « بالزوايا » ، وهذه « الزوايا » تستمد قوتها من الزاوية المركزية الكبرى حيث مقام السيد السنوسي في « الجوف »<sup>(١)</sup> الواقعة في قلب صحراء « ليبيا » . ولم يستطع أحد من الغربيين الوصول إلى هذا المكان سوى رجل واحد<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> . وتحيط بالجوف الصحراء ، وعلى بعد عدة فراسخ من الجوف آبار الماء ، وأما طرق الصحراء المؤدية إلى مقر السنوسي ، تلك الطرق المضلة ، فلا يستطيع السير فيها إلا كل خريمت خبير من رجال السنوسي ، أمير البلاد وسيدها المطاع .

فسلطان السنوسي حقاً سلطان كبير . والسبب في ذلك أن لهذه « الزوايا » عظمة وشأناً أكبر مما يبدو للقارئ عند أول وهلة . فعلى رأس كل زاوية « مقدم » ، وفوق المقدم « وكيل » ووظيفته كوظيفة الحاكم المدني ، وكلا

(١) يريد بها زاوية اللتاج في واحة الكفرة التي في قلب الصحراء الكبرى (ش)

(٢) هو المستكشف نختيغال Dr. Nechtigal

(٣) قامت الرحالة الانكليزية روزينا فوربس Rosita Forbes برحلة كبيرة إلى صحراء ليبيا سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ وكان رفيقها السيد احمد بك حسين المصري الرحالة المشهور الذي قام هو لوحده برحلة عظيمة هذه السنة (١٩٢٣) إلى صحراء ليبيا ، ووضعت الرحلة فوربس كتاباً بالانكليزية وصفت فيه رحلتها مؤيدة بالبرهان ومشاهدة العين أن القوة السنوسية في افريقية تقوم لها وتقدم كل دولة مستمرة هناك ووضعت كتابها هذا « اسرار الصحراء » The Secret of the Sahara وقد نشرت صحف مصر في الآونة الاخيرة ان احمد بك حسين أخذ يضع كتاباً فيما رحلته الحديثة التي عاد منها منذ بضعة أسابيع ( المغرب )

« المقدم » و « الوكيل » ذو سلطة كبيرة على أهل الزاوية جميعاً والقبيلة كافة<sup>(١)</sup>. فالامر الذي يصدره أحدهما مقروناً باسم السيد السنوسي ، إنما هو أمر واجب الطاعة على الجميع . وفي الواقع إن وراء الحكومات الغربية الاستعمارية في شالي أفريقية ، من انكليزية وفرنسية وإيطالية ، حكومة سنوسية شديدة المراس قوية الشكيلة ، وهي من عزة الجانب بحيث لا تجسر إحدى هذه الحكومات الاستعمارية المذكورة على مس جانبها في أمر من الامور ، أو احراجها في شأن من الشؤون ، فلذلك سياسة الحذر واللين

(١) الزاوية فيها مقدم هو القيم عليها ، وهو الذي يتولى أمور القبيلة ويفصل الخصومات بينها ، ويبلغ الاوامر الصادرة من السيد السنوسي . ويطلب وكيل الدخل والخروج واليه النظر في زراعة الاراضي وجميع الامور الاقتصادية . ومن عاداتهم ان على كل فرد من افراد القبيلة ان يتبرع بحرقه يوم وحصاد يوم ودراسة يوم في أرض الزاوية ، فذلك يسهل عمران الزاوية بدون نفقة كبيرة . ثم هناك الشيخ الذي يقم الصلاة في مسجد الزاوية ويعلم احداث القبيلة القراءة والكتابة ، ويقيم في القبيلة عقود النكاح ويصلي على الجنازة الخ . والزاوية السنوسية هي الملاهي الوحيدة في الصحراء للمسافرين والتائهين والواردين والشاويين ولا يوجد هناك مساكن مبنية بالحجر غيرها . وقد سمرنا في طريقنا الى جباد طرابلس بحرق شهر من ظاهري اسكندرية عند منتهى الخط الحديدي حيث زاوية سيدي هرون القناري الى موطن الحرب يسهل الفاض امام مدينة بنغازي ، فكننا بعد كل مرحلة ثلاث ساعات أو اصغر نجد زاوية سنوسية ، وهذا عدا زوايا كثيرة ابست مصافحة لداري الساطلي . فان لكل قبيلة زاوية هي مرجعها في الدين والدنيا . واذا تعددت فروع القبيلة كالمبيدات مثلاً ، فكل فخذ منها زاوية ، فذاتة منصور زاوية ، ولعائلة مريزاوية ، ولعائلة جازية زاوية ، وللبنيان زاوية ، وللعواكبة زاوية وعلم جراً . وان القريب أو السابلي أو الفقير المعتر ليزل زاوية من هذه الزوايا فيقيم ما يشاء ويغنيف ما يشاء ولا يسأله أحد من شيء . وأغلب هذه الزوايا مختار لها أجل البقاع وأغصب الارضين ، وفيها الآبار التي لا تنزح من كثرة ماؤها وفي الجبل الاخضر هي بجانب عيون جارية وأنهر صافية ، كزاوية ملرد وزاوية مرطوبه وزاوية أم أوزم يقرب دره وزاوية شحات في مدينة سيرا القديمة الخ . وأما على السنوسية محروا ومروا ، ووجدت الارض اهتزت وريت وأنبثت من كل زوج يجمع . وقل ان مررت زاوية ليس لها بستان أو بساتين فيها من كل أنواع الفواكه والثمار ، وأصناف البقول والخضرة يزيد قيمتها بصادفة الانسان لها في تلك البقاع القاصية عن عمران الخفوفة بالفتوات . وقد قدمت في دفتر عندي يحتوي معلومات كثيرة على برقة اسما بحرق ١٢٠ زاوية سنوسية في تلك الديار وما جاورها الى السودان وليس ذلك العدد هو كل ما عندهم من الزوايا . (ش)



متبعة ازامها على الدوام .

والحكومة السنوسية أيضاً على حذر من الاستطدام باحدى الدول الغربية ، على ان هذه السياسة سياسة التروي الشديد والاحتراز لنقضي بالمعجب العجيب . فما برحت الطريقة السنوسية منذ نصف قرن تقوى وتعلم ، وتمتد وتنتشر ، غير انها ما ركبت يوماً مركباً خشناً ، أو سلكت مسلكاً وعراً فيه شيء من الخطر على كيانها السياسي ، وفي جميع الثورات التي هبت في افطار شمالي افريقية العديدة ، كان السنوسيون المقيمون بنواحي البلاد يشتركون في القتال ويشدون ازر النافرين ، كما حدث في الحرب الايطالية في طرابلس الغرب وفي الحرب العالمية الكبرى ، ولكن الطريقة السنوسية نفسها كانت تجتنب الحرب جهدها ، اجتناباً رسمياً على أتم قدر .

بيد ان موقف السنوسية هذا الموقف من الاحتراز والاجتناب ، ليس متخذاً تجاه الدول النصرانية وحدها ، بل تجاه الدول الاسلامية أيضاً ، اذ ما اتفك السنوسيون طيلة عهد الطريقة يذودون عن حريتهم التامة ، التي هي عندهم أعز شيء لديهم ، فيبدلون جميع ما يستطاع بذله في سبيل صيانتها وحماية سياجها . وعلى ذلك لم تكن العلاقات بين السنوسيين والدولة العثمانية جارية بحري الود والاخلاص ، بل كثيراً ما جهد السلطان عبد الحميد ، وهو في ابان مجده وسطوته ، والبطل الاكبر المجاهد في سبيل الجامعة الاسلامية ، لاستمالة السنوسي اليه وارضائه ، فما استطاع الى ذلك سبيلاً ، بل جميع ما أحياه السنوسي على ذلك هو بعض عبارات تدل على شدة الدهاء . وقد يؤثر عن السنوسي قوله : « الترك والنصارى اني أقاتلهم معاً وأضربهم ضربة واحدة <sup>(١)</sup> » . ولما قام محمد احمد زعيم المهديّة ، بناهض الانكليز في السودان المصرية وينتصر عليهم ، أنفذ رسولا الى السنوسي يطلب منه نصراً في الحرب ، فرفض السنوسي ذلك وأجاب مستهزئاً : « من هو هذا الفقير

المسكين من « دققة » ( يعني محمد احمد ) ألا أستطيع ان أكون المهدي اذا شئت ذلك <sup>(١)</sup> ؟ »

جميع هذا انما يبرهن على ان السنوسي لا ينفخ في غير ضرر ، بل انه البرهان الذي لا بُد على ان السنوسي جاذب جدا غير منقطع في اعداد ما يستطيعه من الوسائل والذرائع الكافية للاصلاح الديني والتهذيب النفساني والخلقي . نقطته التي بنى القيام بها بعد اكتمال العدة التي يجاهد في سبيلها الآن ، انما هي افتتاح جميع البلاد الافريقية ، ثم سائر الاقطار الاسلامية ، ثم جعل العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه مملكة واحدة ، على رأسها خليفة واحد . وهذه المملكة العظمى يرتبط بعضها ببعض بالجامعة الاسلامية الكبرى ، على ان السنوسي لموفق حق الايقان ان تحرر المسلمين التحرر السياسي من رتبة السيطرة الغربية النصرانية ، يجب ان يسبقه انتشار التجدد الروحاني والدعوة الاخلاقية في المسلمين ، فلهذا هو لا يفتأ يجاهد نحو ادراك هذه الغاية بتهذيب اخلاق رعيته وترقيتها ، واثاء نفوسها التربية الصحيحة ، وتنشئتها على الفضائل الاسلامية العليا ، وهو لم يقصر الامر على هذا حسب ، بل يجتهد ايضا جدا اقتصاديا في سبيل تحسين اسباب المعاش وتوفير وسائل الكسب فكثرت فلاحة الواحات الخصبة ، ونمت الزراعة ، واحتفرت الآبار الحديثة وابتنيت الأنزال على طريق القوافل ، وشرع في انشاء وسائل التجارة على نطاق رحب .

جميع هذا يوضح لنا ان الطريقة السنوسية قد بلغت مبلغا من الاعتزاز والمناعة لم يسبق له مثيل من قبل . وهذا هو السبب الذي اقتضى ان تسير السنوسية سير الانتثاد . مزداة القوة مشتدة اليأس ، محترزة على الدوام المجازفة بشيء من قوتها الحربية قبل اكتمال العدة اللازمة وحينونة الأجل المرتقب . وبينما تسير السنوسية على هذا الجهد الشديد ، تراها تنشر المدارس



وتقيم المآوي والأكنان في جميع البلاد الأفريقية الشمالية ، وتعلم الناس طاعة « الوكلاء » و « المقدمين » وفوق جميع هذا ، فإنها قد أنجحت وتغلغلت جنوباً في القارة الأفريقية ، مبشرة بالرسالة المحمدية ، حيث هناك الملايين من الزنج الوثنيين طفقوا يقبلون إيمانهم على الدخول في الإسلام أفواجا<sup>(١)(٢)</sup>

(١) اقرأ الكتب الآتية في شأن السنوسية وغيرها من الطرق الدينية : —

« الطريقة الدينية الإسلامية لسيد محمد بن علي السنوسي » - باريس ١٨٨٤

H. Dacqriès. - *La Confrérie Musulmane de Sidi Mohammed Ben El-Schnoussi* ..

و « الطرق الدينية الإسلامية في الحجاز » - باريس ١٨٩٧

A. Le Châtelier. - *Les Confréries Musulmanes du Hedjaz* ..

و « العصبة القومية الإسلامية » - قسنطينة الجزائر ١٩١٣

A. Sereier. - *Le Nationalisme Musulman* ..

و « السنوسية » ( وهو مقال بقلم أحمد عبد الله وهو من أشياع السنوسية ) ، مجلة ذا فورم

مايو ١٩١٤

« The Semanaseph » ( The Forum )

و « السنوسي وجهادهم » - مجلة ( القرن التاسع عشر ) عدد مارس ( آذار ) ١٩٠٠

T. R. Thersfall. - *Sennusi and His Threatened Holy War*.

و « الخطر الإسلامي » - مجلة ( القرن التاسع عشر وما بعد ) أيلول ( سبتمبر ) ١٩٠٧

H. A. Wilson. - *The Muslim Menace* ..

(٢) سبق ذكر بحمل الدعوة الوهابية ، وإنها إصلاح ديني وإجابة إلى عقيدة السلف الصالح

لولا ما أصابها من الغلو والافراط . أما السنوسية فهي طريقة عمل بالسنة والشرعية بدون شرط

ولا قصور ، مؤسسها سيدي محمد بن علي السنوسي الخطاطي من عيون أعيان القرن الثالث عشر

المهجرة ، أصله من الجزائر من قبيلة شاهر من جهات مستغانم ، جده سيدي عبد الله بن خطاب

أماهري ، وأطاعت لهم على نسب ينسب إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما

ويقول أن عدد أتباع هذا الحزب يبلغ ٧٠ ألف نسمة وأنه ينتمي إليهم وينصوي حولهم نحو

٢٠٠ ألف أكثرهم في ( عمالة ) و ( حوران ) بجوار نهر شاف . رقرأت أن رئيس هذه القبيلة

اليوم هو سيدي أحمد الشارف بن تلولك ( ولا أعلم درجة قرابه من سيدي محمد الشارف

أن تم الصلاة السنوسية وشيخ إحدى زوايا دفن من جهات السلم ) والسيدي أحمد الشارف

هو شيخ الطريقة السنوسية بالخطر الجزائري ، والذي أعلمه أن الحكومة الفرنسية في المغرب

لا تسمح بشر الطريقة السنوسية التي تعدّها خطراً عظيماً على الاستعمار ، وإنها تسمح لائتر

الطرق مع الرقابة اللازمة لها لكنها لا تقبل صرفاً ولا عدلاً من جهة السنوسية التي تعلم من

قوتها ومن مقدراتها العبدية ما تعلم .

السيد محمد بن علي السنوسي قد كان عالماً عادلاً ، كبيراً مجتهداً ، خرج من الجزائر  
 عند ما احتلها الفرنسيون . وظل في بلدان ورج البيت الحرام والتي كثر فيها من جملتهم  
 والد الامريسي المأمم بصير . ويظهر انه رأى القادر الطرابلسي أكثر استعداداً من غيره  
 لقبول دعوته فاشدأ بتأسيس طريقتة في طرابلس وعاونته على ذلك سيدي ابو القاسم العيسوي  
 والد الشيخين الاجاين سيدي احمد البشاري شيخ زاوية السنوسي ببغازي . وصديقنا سيدي  
 عبد العزيز العيسوي الذي اوفده السادة السنوسية ثلاث مرات الى الاسكندرية فيما يمرض فلم من  
 الاشغال لدى الدولة . آخرها في أثناء الحرب العامة . وقد وفق الاسكندرية السنوسي الاعظم الى  
 نشر طريقتة في أكثر بقاع طرابلس وبرقة ، ولا سيما برقة فلما اهلها في الحواضر وقبائلها  
 بقيادة باجمعهم سنوسية مجاهدون وفي كل بلدة زاوية وعند كل قبيلة زاوية . وقد تعددت  
 اخذت القبيلة فكل فخذ منها زاوية ، وكذلك زوايا السنوسي ممتدة الى مصر . فلم زوايا  
 عظيمة في سيوة والواحات الدواخل الى اليوم ، وزواياهم متصلة مطردة من بتغازي الى  
 اسكندرية . وعندهم نحو ١٢٠٠ زاوية في نفس الحجاز لها تبع كثير من قبائل حرب وغيرها  
 وزواياهم كثيرة في السودان واما أشهر زواياهم زاوية جنيوب على مسافة يومين أو ثلاثة  
 من الحدود المصرية الى الغرب وهي بلدة ثمة في عالمها واتساعها وعددها سكانها . وكانت  
 جنيوب واحدة مألوفة بأوي إليها الدخار والعصير ولا تحبس القوافل ان تمر بها من جراء البيت  
 في الحجاز فلما اختارها سيدي محمد بن علي السنوسي مقراً له وبني بها زاوية الكبرى صارت  
 مهداً اماناً ، ومركز عبادة ومثري اوتار ومعلم هداية فدرس بها الاشجار ، ونسق الجنان  
 واستنبت العيون ، وتوسع في البناء ، وأسس مدرسة لتخريج مرادي الطريقة ، اجلس  
 للتدريس فيها جلة العلماء . وكان مركزه بادي ذي بدء في الزاوية البيضاء من الجبل الاخضر  
 على مقربة من شعرات ، وهي قرية مبنية على خربة « سيرة » عاصمة برقة اود سيرة نيك ،  
 فيها بقايا آثار من ايام يونان ومن قبلهم ومن بعدهم ، وموقع سيرة هذه اوشحات على جبل  
 طال مشرقاً اشرافاً قائماً على حلو ثلاثمائة الى اربعمائة متر ومن حذاء هذا الجبل الى البحر  
 مسافة ساعيتين . وهناك مرسى اسمه سوسة ولا يبالغة اذا قيل ان هذا الموقع هو من ابداع ما  
 خلق الله في أرضه ، طوة منظره وحسن هوائه ، وطيب نجمة ، لا سيما وفي أعلاه مقبرة تتبعس  
 منها عين فباضة مياه كالجوب العجينة ، تنحدر من هناك في مثل دلال الى أسفل الجبل حيث  
 نسق البساتين والغياض ، وأما الزاوية البيضاء فليست في شعرات بل في هذمه زاوية أخرى  
 لقبيلة الحامسة ( التي ينتسب اليها عشيرة الخدي الشهير في مرج ابن عامر من ديار فلسطين )  
 يدبرها سيدي محمد ليرد في ولكن الزاوية البيضاء على مسافة ساعة من شعرات الى الجنوب مبنية  
 في وسط غابة من ظيب الجبل الاخضر على مسافة خمس دقائق من مقام سيدي رافع الانصاري  
 أحد الصحابة الذين فتحوا تلك البلاد ، وقد كان سيدي محمد السنوسي بناها وجعلها مقراً ،  
 وقد رأينا رأي اثنين في أثناء جهادي تلك الديار سنة ١٩١١ وبث مرة بتلك الزاوية فاذا  
 هي عبارة عن مدرسة تحيط بصحنها الفرق لاقامة الطلبة وفيها جامع حسن ، وهي اليوم  
 زاوية قبيلة البراعة المشهورة بالشجاعة والتجدة ، وعهدت بشيعة البراعة برئاسة هذه الزاوية  
 لسيدي محمد المامي الغاري من ذرية سيدي عبد السلام بن مشيش المدفون في جهات شعبة



من المغرب الأقصى ، ولكن هذه الزاوية فقدت كثيراً من رونقها بعد تحويل السنوسي عنها إلى  
جنوب ، ويقولون انه كان قد شمر بدنو استيلاء الاجانب على تلك الديار فاختار الانحلال إلى  
الجنوب والاقامة بالصحراء فمصر زاوية جنوب وتوفي بها رضي الله عنه وله فيها ضريح يزوره  
السنوسية من جميع الديار ، وولد له بالزاوية البيضاء سيدي المهدي والدي سيدي ادريس أمير  
برقة الحالي وسيدي الشريف والدي سيدي أحمد الشريف نزل الاناضول لهذا العهد وامام  
الطريقة السنوسية كلها ، ولقد استغفل السنوسي ولده المهدي وأتباعاً بأنه سيكون له شأن عظيم  
وصدقت قرأته فيه فانه اكمل عمل والده ، وبني زاوية جديدة ، وذاع ذكره في الاقطار ،  
وحسبت له دول الاستعمار حساباً كبيراً وحاولت ان تقرب اليه بانواع الوسائل ، واصناف  
الانطاف ، فاعرض عن كل هذه المداخلات ، وعكف على عمله الذي هو بث الدعوة وإيقاظ  
الامة ، وتأسيس الزوايا وربط الاهالي بها ، حتى هل أمره السلطان عبد الحميد قاراد أن  
يكشف حقيقةه ويستطلع طلع حاله ، فأرسل اليه بمقره في جنوب وفداً كان فيه صديقي  
المرحوم صادق بك المؤيد من آل المظفر في دمشق وأحمد حجاب السلطان ، غدتني رحمة الله  
عن تلك الرحلة وعمما القوه في جنوب وان السيد السنوسي لم يكن إلا داعياً مرشداً ، وأنه  
دائماً يدعو الله بتأييد الدولة العثمانية وتوفيق الحضرة السلطانية . ثم ان سيدي المهدي السنوسي  
تحويل من جنوب إلى الكفرة \* وهذه هي واحدة كبيرة تسكنها قبيلة اسمها زاوية في وسط  
الصحراء تبعد مسافة ٢٥ يوماً عن بنغازي إلى الجنوب \* يمر السائر إليها في طريقه على بلدتي  
جلو وأوجلة اللذين هما في أول الصحراء على مسيرة ثمانية أيام من بنغازي فاختلقت الأقوال في  
أسباب ترك السيد السنوسي مركزه الذي فيه قبة المقدس والده ، والمدرسة التي شادها مبشراً  
لأشعة أنوار الشريعة والطريقة ، واختياره الزوايا في الكفرة مكانها من البعد عن العمران ،  
فقال بعضهم انه لما استقرت قدم الاكابر بمصر أجبال السنوسي ووضع نصب عينه الانحلال إلى  
الصحراء \* وانتجاع واحدة تكون أقصى من جنوب مكاناً وأخرى \* وقال آخرون بل  
السنوسي منذ زمن مديد كان يتكهن بوقوع الحرب مع نابولي (الطليان) وان هؤلاء لابد  
في يوم من الأيام ان يغزوا طرابلس وبرقة ، فتخرج يديه اتباع طريقته المقاومة \* وبملم فضائل  
الجهاد \* مما ظهر أثره في حرب ايطالية سنة ١٩١١ ظهوراً أدهش الشرق والغرب ، وأثبت  
أن الطريقة السنوسية هي عبارة عن دولة بل كثير من الدول لا تلك ما تلك الطريقة السنوسية  
من الوسائل الحربية ، وذلك يكونها طريقة حميدة لا تترف سوى العمل بالكتاب والسنة ،  
والاقتداء بسلف هذه الامة \* ومن جهة ما فكر فيه ان يجعل مركزه بعيداً ما أمكن عن  
مطامح انظار الدول الاستعمارية ليحفر له الجو في تجهيز قومه وبث دعوته ، فانفذ هذا المكان  
الفعي من الصحراء في النقطة الوسطى بين ساحل البحر المتوسط والسودان . وقال آخرون  
بل سانه معاملة بعض مأموري الأتراك في الشجري والشفيتب من السلاح وكيس زوايا السنوسية  
في الجبل الأخضر ، وشاع ان الدولة أخذت تشبه في أمره ، وتتوجس خيفة ادخائه الخلافة  
فقصده أن يمتثل إلى الصحراء الكبرى \* ولعل هذه الأسباب جميعها متوفرة في قضية تحويله إلى  
الكفرة بخلاف اليها انه من الكفرة كان قصد القرب من السودان وبث دعوته في تلك الاقطار  
وشرا الاسلام في أواسط القرية من طريق وادي ، وبرنو ، وكتم ، واداموا ، والهاموي ،

وغيرها من أواسط افريقية وغربها مما كان ولا شك فيه للسوسية اليد الطولى ، فضلا عن كون اقلية يواحة الكفرة سببت عمران تلك الواحة وازدياد التماس والفلاحة فيها وترقية عقول أهلها ، فبنى فيها زاوية عظيمة سماها الناج وجعلها مقراً وبنى في أماكن أخرى من تلك الواحة ، وفي واح قريبة منها زوايا أيضاً وأسس عليها في واحات الوجقات التي تقع وراء دارفور الى الشمال ، وأخرى في واحة ون وواحة غرو وزاوية في عين كفاك التي وقعت فيها الحرب بين السنوسية والفرنسيين الذين قصدوها من واداي . وزوايا عديدة عمر بها واحات الصحراء الكبرى وأنس بها وحشيتها ، ونظر غربتها ، وأبغض غفلتها ، وشغل أفكار الدول الاستعمارية من كل جهة ، فانكفرت بحسب حسابها من جهة السودان المصري ، وفرنسا من جهة واداي ومستعمراتها في أواسط افريقية وشمالها وغربها . وإيطاليا كانت تترقب اليه لها ثنال سكوتها فيها كانت تنويه من الغارة على طرابلس . ولم يحل الأمر من كون السلطان عبد الحميد الذي كان لا يهدأ له بال قد أراد أيضاً معرفة مقاصد السنوسية من انقياد ذلك الحبل الناصي . فبلغني أنه أوفد اليه مرة ثانية المرحوم صدق بك المؤيد الى نفس الكفرة فأخذ منه الجواب بأنه لا يقصد سوى خدمة الاسلام . وبث الدعوة لطاعة السلطان . هذا ولم يزل سيدي المهدي السنوسي يبت طريقته ويكمل أعبته ، الى أن مضى الى ربه مدة نحو ٢٠ سنة فخلقه سيدي احمد الشريف ابن أخيه الذي اشتهر أثناء الحرب الطرابلسية وقام فيها المقام المحمود الذي لم يقم أحد ، وتولاه لم يتمكن أنور ولا غيره من أبطال الدفاع عن بر طرابلس أن يصلوا شيئا ، وانصل جهاده من الحرب الطرابلسية الى ما بعدها فلم تحمله له نار الى الحرب العامة . الى أن دخل الانكليز والاطليان في المفاوضات مع ابن عمه سيدي اندريس ابن سيدي المهدي وأقنعوه بالاتفاق معهم على أن يكون هو أميراً على داخل برقة ويكون الحكم لاطليان في مدينتي بنغازي ودونه . ويكون لهم اختلال بعض المراسي فالتفقت الاتفاق على شروط معلومة كانت خلاصتها ما تقدم . ولما رأى سيدي احمد الشريف ذلك وكان الوثام بين أبناء البيت السنوسي من القواعد المقدسة لم يستحسن في بادئ حيلة ابن عمه ولكنه لم يشأ أن يخافه الحبل وصبر على المر ، وأرسل الى المرحوم أنور ناظر الخيرية يومئذ وذلك سنة ١٩١٨ يطلب منه إرسال غواصة ليدخل الى الاسنة فاستقبلها بحاشيته الى ترينته ومنها ركب قطار الحديد الى قينا ومنها جال على الاسنة واستقبل أهلها استقبالاً فخماً ، وأعظم السلطان محمد وحيد الدين قدومه وصادف ذلك بداية جلوس السلطان على عرش آل عثمان ، فاختار السيد المشار اليه لتقديم السيف في الخلة الممتدة لذلك في جامع أبي أيوب الانصاري في الخابج وهو الذي يسميه الاتراك جامع سلطان أيوب . ولما دخل الحلفاء الاسنة أقام بهروسة ثم لما احتلها اليونان تحول منها الى قونية ثم ذهب الى حدود العراق العربي داعياً الى الوحدة الاسلامية . ولم يصل الى هذا اليوم على شرف معرفته شخصياً وان كنت أمت اليه بصداقة أكيدة وكانت المراسلة بيننا متصلة منذ ستين عديدة . أيده الله وأيقاه وتقم هذه الامة على يده . ( ش )

بعد تحرير ما تقدم بشأن السادة السنوسية ، اسف الفدر ، ووفى الدهر ، بعد أن غدر ، بنعيق الامنية التي طالت كشت ثمنها ، وادراك النهاية التي كملت من سنين عديدة أتوا عليها ، وهي مشاهدة الحضرة السنوسية ، واجتلاء تلك الانوار الانسية . بعد أن حال بيننا وبينها



طول السفر وتباعد الاقطار ، واعتلال الاعداء بعد الحرب الكونية أ كثر الديار . فلما كنت في معسكر الجبل الاخضر ، بعين منصور في ظاهر درنة سنة ١٩١٢ كان الاستاذ الاكبر سيدي أحمد الشريف بنجل سيدي محمد الشريف ، بنجل سيدي محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية وخليفة عمه سيدي محمد المهدي رضي الله عنهم جميعاً . لا يزال في واحة الكفرة الواقعة في وسط الصحراء على مسافة ٢٥ يوما الى الجنوب من مدينة بني غازي ، ترد منه الاقادات والأوامر الى الادوار المرابطة في وجه الطليان ( اعالي طرابلس الغرب ) بسون المعسكر دوراً . واصل هذه التسمية والله أعلم أن قبائل العرب تأتي الى الحرب بالناوبة ، كل قبيلة تفرض عليها خدمة كذا من الايام أو من الاسابيع ، أو من الاشهر ، فتقوم بها أو ترسل عدداً معيناً يقوم بها ، ثم تذهب الى مناجمها ويأتي الى محلها قهرها ، وهكذا بالتعاقب الى أن تكون نوبتها ثانية . وهاهنا جراً . فسمي المعسكر الذي تخيم به تلك القبائل دوراً ) وهو يمد في زاوية الناج مركز السادة السنوسية . ثم تقدم السيد من واحة الكفرة الى واحة الجنوب ، ليكون اقرب الى ميدان الحرب . ولتشتد به عزائم المجاهدين . فكان في ذلك الوقت قد وافق سفر هذا الحاجز من الجبل الاخضر ، قاصداً الاستانة لمذاكرة رجال الوزارة الجديدة وهي وزارة عثمان باشا وكامل باشا وحسين حلي باشا ، في أمر طرابلس ومني عزمهم من التساهل فيها مع الطليان كما كان شائماً . فلم يقدم لي التقدير في تلك الاونة ملاقة الاستاذ السنوسي المشار اليه ، وبقيت العلاقات فيما بيننا بالمراسلة . الى أن شبت الحرب الكبرى ، فانقطعت قليلاً ثم استؤنفت ببرد الفواصل التي كان المرحوم الشهيد أنور ينفذها الى سواحل طرابلس .

ولما قدم السيد الى الاستانة العالية بالقوام سنة ١٩١٨ صادف وجودي بالمدينة بمهمة التأليف بين العثمانيين والامان ، فيما شجر بينهم في بلاد القافقاس . فلما وصل السيد الى العاصمة لم يكن انتهى شغلي في برلين ، وما انتهى شغلي هناك الا وقد طلب الباخرة المدة وبدأ الاتياري في أجرف المانية وحفظاتها . فأبرق الى أنور يرفقة رقية بواسطة سفارة الدولة ببرلين يترجاني سرعة الاوبة . فذهبت قاصداً الاستانة من طريق رومانية . وركبت الباخرة من مرسى برايل على الطونة . ومنها الى ميناء كوستنجه . حيث تفتت الباخرة أمراً بعدم دخول البوسفور والانصياع الى اودسا . فذهبت مكرهاً وضاق صدري جداً بهذا التأخير ، والمسافر عليل دواؤه الوصول . ولكن قد يكون الخبر فيها كره الانسان . و نواظرتهم على الغيب لاخترتم الواقع . اذ لو اكلت الباخرة للشقة الى الاستانة . لم يلبث الحلفاء ان قبضوا علي مع رفاقي . وغربوني الى مالطة . فكان في نكوس الباخرة من اكمال الجري الى دار السمادة . وذهابها الى اودسا . وملاقاتي نمة الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاووش . والمرحوم الاستاذ الشيخ صالح النوقي . والاستاذ الشيخ خضر حسين التونسي . ورفاقهم من مصريين ونواصة ، وما علمته منهم من انسلال أنور وطلعت وغيرها من الاستانة ، ماغير وجهتي واعطاني مغزياً بعد ان كنت مشرفاً ، مما سبق تخبره في موضع آخر .

فلما لم يتيسر لي وقتل لواء سيدي أحمد الشريف . وبقيت اكتبه من اوديا الى الاستانة ثم الى الاناضول . فلما يسر الله الاجتماع في هذه الايام الاخيرة ، حدثني هو بنفسه عن امور

كثيرة وحوادث جرت معه ، آثرت ان الحصة لقراء هذا الكتاب ، لكوني سمعتها من فم  
واحسن التاريخ ما اخذ الانسان من فم صاحبه ، واروى الروايات ما استفاد المؤرخ من راس تبعه .  
ذكر في السيد ، حفظه الله ، خلاصة رحلته من طرابلس الى الاسكندرية ، الى الاناضول ،  
الى ان حصل في مرسين التي يقيم بها اليوم . وذلك ان انور كان اتفق اخاه نوري أثناء الحرب  
الكونية الى طرابلس الغرب قائداً عاماً ، وعزز به بعض جنباط واسلحة ونقود ، وأمره باقناع  
السادة السنوسية بمهادنة الطليان ، ومهاجمة الانكليز في مصر ، حال كون سيدي أحمد الشريف  
اعتقد عكس هذه السياسة ، وهو مهادنة الانكليز ومطاردة الطليان . فشرع نوري بغادي  
سيدي أحمد وبراوخته في أمر الزحف صوب مصر ، والسيد ثابت في رفضه . حتى وقع الخلاف  
بينهما . وليس من المظنون أن يكون انور امل فتح مصر بذاك القوة الضاربة . وإنما يظن  
انها كانت سياسة المانية ، المقصود منها تحميل الانكثرة خباثت جديده ، وتحويل جانب من  
قوتها الى جهة السنوسية ، اذ كل ما يتحول من قوة الانكليز نحو الاقوام الاسلامية كان يخفف  
عن الالمان . حتى ان كثيراً من اركان الحرب يذهبون الى ان حملة القرصنة نفسها لم تكن على  
امل كبير بافتتاح الديار المصرية ، وإنما كان هدف الاذن منها تحويل جانب كبير من قوة الانكثرة  
لحماية القرصنة ، التي هي مجرى نفس هذه الدولة . أما سيدي أحمد الشريف ، فلم يكن يعتقد  
بصواب الهجوم على مصر ، اولاً : لأنه كان يريد حصر قوة العرب في مجامعة الطليان ،  
وعدم الاشتغال بغيرهم . ثانياً : انه كان يخشى انها لو هاجم مصر ، ان يقع الفشل في صفوفه .  
لما كان يملأه من مظنة الاستعدادات الانكليزية . فإذا فشلت حملته على مصر ، فترت عزائم  
العرب ، وحسب فأنهم . ثالثاً : انه كان يهمل بقاء الطريق مفتوحة بين مصر والجبل الاخضر ،  
خوفاً على العرب من الجوع ، ويعلم انه لو هاجم مصر ، لشد الانكليز طريق مصر ، ووقع  
العرب في حيص بيص . وكان الجنرال ماكسويل الانكليزي يصانع السيد كثيراً ، وبراسله دائماً ،  
وينتفع به بعض السكتب ، ويؤلف اليه بكل الوسائل ، اتقاء غارة من جهة السنوسية على مصر ،  
كما ان السيد كان يصانع الجنرال ماكسويل ، ويؤمنه من جهة السنوسية ، ويستخدمه في قضاء  
اقرضته ، وكان يستصنع في مصر البسة لتواير الجيش السنوسي ، وغير ذلك من لوازمه ، ولا  
يجد من جهة الانكليز حرجاً . فشكل من الفريقين كان في الواقع يثني الآخر ، ووفقت في يد  
السيد امري الانكليز ، نجوا الى بر طرابلس من بارجة انكسرت عند مالمطة ، فقبضوا من ساحل  
طرابلس الى السيد وهو في السوم ، فالبسهم واكرمهم وعيّنهم هدية الى الجنرال ماكسويل .  
وكان هذا ينفذ اليه من وقت الى آخر بعض كبار جنباطه ، ممن يعرفون سياسة العرب ، ويمرض  
على السيد بحالة الانكثرة ، ويطمعه في مغام كثيرة ، بشرط ان السيد يطرد نوري أخا انور  
من السوم ، ويترك الانراك . فكان السيد يصم اذنه عن هذه الاقتراحات ، ولا يعد الجنرال  
ماكسويل الا بالمسألة طيب . ولكن انور كان يصدر الامر تلو الامر الى اخيه ، بان  
يتمرض بالانكليز ، ويستمدح زناد الحرب بينهم وبين السنوسية ، ويكتب الى السيد ملعاً  
عليه بشدة حقد نوري ، وانه لا يقبل له عذرا في التباطؤ . ولما نكأ السيد من غزو مصر  
وقع الخلاف بينه وبين نوري ، وشرع نوري بتحركات بالانكليز ، يدون معرفة السيد ،  
ويغرب بالقبائل سفائنهم التجارية ، التي كانت تأتي بالبضاعة والارزاق الى السوم . فاحتفظ



السيد من عمله \* وبين له سوء مغبة ذلك \* فلم يأبه لتكلامه وبقي على عمله \* بل كتب الى أخيه في الاسنانة بأن سيدي احمد الشريف لا يريد معاداة الانكليز \* بل انه مملوء لهم سرراً \* وغير ذلك من الاقاويل . ثم ارسل نوري سبعة الى مصر يقولون ان السيد يأبى الزحف الى مصر مدارة للانكليز \* مع انه هو حفر من الاسنانة لاجل اعداد حملة على مصر \* وانفاذها من ايدي الانكليز . فصارت تتوارد من مصر الرسل الى السيد \* تعاتبه على موقفه هذا \* وتبين له ما يحتاج المصريين بحقه من الظنون \* بسبب تخلفه عن الزحف . عند ذلك استدعى السيد نوري وقال له : هوذا انا حاضر للمسير \* فلا تغدر ان تقول ان العائق كان مني \* وانما اذا فشلت هذه الحملة فلا اكون انا المسؤول . وركب السيد وسار بالجيش \* ومعه نوري قائداً اولاً \* وجعفر العسكري قائداً ثانياً (هو جعفر باشا العراقي رئيس نظام بغداد اليوم ومن أهم أجباء الانكليز) وكان عدد كل ما جمعه من الجنود اربعة آلاف . ولما أعس الانكليز بالحركة أخلوا منطقة السوم ثم بقي \* وانكأوا الى الوراء . ولكنهم بعثوا الى السيد ونوري انكم ان تجاوزتم سيدي برآني الى الشرق \* فليس بيننا وبينكم الا الحرب . فتجاوز العرب سيدي برآني \* وما زالوا حتى خيسوا بزواجة ام الرخم غربي مرسى مطروح . وليلة ما كانوا هناك جاء امير الالاي انكليزي بحسن العربية متزيئاً يزي بدوي متجسماً فدخل على نوري وأركان حربه \* فلم يعرفوا حقيقة أمره \* ونظر في القوة التي معه \* فرأها ضئيلة \* وفي خوف القبل أنسل من الخيم \* فأخير قومه بالواقع . فكانت انكثرة جهزت ثلاثين الف مقاتل \* ومعها عدد كبير من المدافع \* وفيها كثير من كواكب القرمزان \* فصدت الى القوة التي مع نوري \* فلم تنف هذه لها \* وتراجع المجاهدون الى الوراء واحتشد منهم الذان في محل يقال له بئر نونس \* فطبع الانكليز في اسرهم \* وساقوا عليهم ١٣ الف مقاتل \* قارادوا ان يحيطوا بهم \* فخابوا \* ونار في وجههم العرب ودمروهم وألقوا بهم خسائر جمة . وكان السيد أحمد الشريف بنفسه في هذه المعركة . فلما ارتد الانكليز الى الوراء رجع بمعايديه هؤلاء الى السوم . وأما الانكليز فقصدوا الباقي من القوة التي تحت قيادة نوري فهزموها \* واخذوا جعفر عسكري اسيراً \* واهلك نوري من ايديهم باعجوبة . ثم سار السيد الى سيوه \* وتقدم الى الواحات الداخلة على مسيرة سبعة أيام من سيوه نحو الفيوم . فجهز الانكليز قوة عظيمة لقتاله \* فاضطر ان يرجع ادراجاً الى سيوه \* فتمقبوه الى سيوه \* فدافع من نفسه في سيوه دفاعاً شديداً \* ودمروهم وخرب عدداً من دباباتهم المصنعة والطرابلسون بسونها بالكهرباء \* جمع كهرباء لتكونها تسير بالقوة الكهربائية . وبعد أن ارتد الانكليز الى الوراء اجاز السيد من سيوه الى الجنوب \* وهي مسيرة ثلاثة أيام وتحصن بها . وكان الانكليز يمد ان قطعوا الامل من سيدي احمد \* شرعوا في مخاطبة ابن عمه سيدي ادريس بن سيدي المهدي في الصلح \* والافتراق بالمارنة على برقة \* والجبل الاخضر بشرط ان يطرد نوري ومن معه من الاتراك \* ويشير الى ابن عمه سيدي احمد الشريف بالخروج من تلك المنطقة \* والبنوه انه ان بقي سيدي احمد في الجنوب فتم يهاجون الجنوب ويستولون عليها . فأرسل سيدي ادريس بالخبر الى سيدي احمد \* فذارق الجنوب مذراً السير الى جالو \* وارجله \* وهي مسيرة ١٢ يوماً من الجنوب \* في صحراء بياب نهام \* لاهتب ولاماء \* وصادف رحيلهم حمارة فيض تكادوا يهلكون من العطش \* ولم يتوقف السيد احمد في جالو وأوجه اتقاء

الحلاف مع ابن عمه سيدي إدريس ، وهو أحرم الناس على الوفاق بين السنوسية ، لاسيما  
 بيت الرئاسة ، الذي هو القدوة لجميعهم . فقصده السيد الغرب ، ونزل بسوكنه من بر طرابلس  
 ومعه ثلاثة آلاف مقاتل . واعصوب حوله السنوسيون الذين بتلك الديار ، مثل بني سيف  
 النصر وغيرهم ، أما سيدي إدريس فلما رأى الضيق الذي وقع فيه العرب بين الانكليز من  
 جهة ، والطلبان من جهة أخرى . والمقصود التي أصابهم على أثره الطرف ، بين الجبل الاخضر  
 ومصر ، جنح الى الصلح ، وعقد مع ايطالية واتكفرت الاتفاق الذي اعترفنا له فيه بأماره بركة  
 والجبل الاخضر ، ونفذ بموجبه ادارة أمورهما ، ما عدا مدينتي بنغازي ودرنة ، ونهضت  
 ايطاليا بدفع الرواتب لجنوده . وهو الاتفاق الذي نقضته ايطاليا منذ نحو سنة ، بعد حكم  
 وزارة الفاشيستي ، وجعلت من بعده الحرب ولما كان شرط هذا الصلح الأصلي هو اخراج  
 نوري والأتراك من هناك ، خرج هؤلاء من برقة الى الغرب لاحقين بمصراطة . وكان استبداد  
 بأمر مصراطة رجل اسمه من غمار الناس اسمه رمضان شقوي ، سادسجاعته وحزبه ومضائه ،  
 وكان في خدمة ايطاليا أولاً ، ثم انتاب عليها ، واستنظس من يدها بمصراطة وما جاورها ، بعد  
 اتوافة الشهيرة المسماة بالفرضائية ، التي انهزم بها الطليان شرهزيمة سنة ١٩١٥ ، وكان مبدأها  
 بين الطليان والسنوسية . فالطليان استنفروا لمعاونتهم رمضان شقوي وقومه ، فزحف بيضة  
 آلاف من رجاله ، فلما وجد السنوسية وهم ألف وخمسمائة مقاتل قد وقفوا في وجه ١٢ ألف  
 مقاتل من الطليان ، واذاقوهم مر الكفاح ، هجم هو على الطليان من الوداء ، وهم على  
 غير انظار ، فلم يتنج من ذلك الجيش الا ايطالي كفه سوى خمسمائة شارد فروا الى جهة البحر ،  
 وغنم العرب جميع اطفال ذلك الجيش . واستخرج العرب بعد هذه الواقعة جميع بر طرابلس ،  
 سوى مدينة طرابلس المحمية بالبوارج الحربية ، واستمر ذلك من سنة ١٩١٥ الى سنة  
 ١٩٢٣ ، اذ جهزت وزارة الفاشيستي جيشاً جراًوا استخرج مصراطة ، ومسلاته ، وثرهونه ،  
 وغريان ، وغيرهما ، ثم كثر العرب عليها واخذوها ، ثم زحف الطليان ثانية واستخرجوها ،  
 والاحوال بين الفريقين لا تزال مداً وحزراً الى هذه الساعة . وقد مثل دوراً عظيماً في  
 هذه الوقائع رمضان شقوي هذا الملقب بالسواحلي ، وجهده في الطليان حتى الجهاد ، ولكنه  
 كان صعب المقادة ، أشوس ، سر المداوة ، وكان يتعصب السنوسية البقاء . فلما قدم عليه نوري  
 منتظاً مما فعله سيدي إدريس ، كفاه برأ وتزجيباً ، وعزز به مركزه ، مما كان يرد على نوري  
 من نظارة الحربية بالاستانة من الاموال والاعتداد ، ودلت كفته بانفسابه الى الدولة . وقبوله  
 نوري قائداً دواً ، وان كانت في الحقيقة الكلمة بقيت لمضاد في الامر والنهي . وقد وفق  
 الله طرابلس في أمر ، وهو انه كان عبد الرحمن بك عزام ، من آل عزام بالحيزة ، ومن شيان  
 مصر بالاضدين \* ( وهو اليوم من اعضاء مجلس النواب المصري ) ذوي الحصافة والنجابة ،  
 يجمع حكمة الشيوخ الى حماسة الشباب ، قد التحق بمجاهدي السلم يوم زحفوا لقتال الانكليز ،  
 شهد الوقائع ثم غرّب مع نوري الى طرابلس ، ولما دخل نوري مصراطة ، كان عبد الرحمن  
 بده النبي ، فصرف كيف يأخذ رمضان بالحسنى ، ولين بفدر الامكان من شدته \* واصلح بينه  
 وبين أهالي ترهونه \* وزايطن \* واورفه \* وغيرها \* وشكروا حكومات متعاقبة ، مركزها  
 مصراطة \* وعلى رأسها نوري باشا . وكان القائم بأمرها عبد الرحمن عزام المؤمناً اليه . ثم لما



استدعى أنور أخاه نوري إلى الاستانة ، وولاه قيادة جيش الفائقس ، استصحب معه إلى الاستانة عبد الرحمن بك عزام ، وقال لي نوري مرة هذه الجلبة ، واستدلت بها على عقله وانصافه : « لولا هذا الشاب ، ما كان يمكنني أن أوفق في طرابلس » .

ثم لما أرسلت الدولة الأمير عثمان فؤاد ، ابن الأمير صلاح الدين ، ابن السلطان مراد ، ابن السلطان عبد المجيد خان ، إلى طرابلس أميراً ، قائداً عاماً عليها ، وكان نوري باشا أرسلت معه عبد الرحمن عزام المصري مستشاراً ومديرأ ، فلما انتهت الحرب الكبرى وانقضت المزاكبة ومن حلة شروطها اخلاء الاتراك طرابلس ، صدرت الإرادة السلطانية إلى الأمير عثمان فؤاد بترك تلك البلاد . فذهب إلى تونس ، وسلم نفسه إلى الفرنسيين ، وهؤلاء سلموه إلى الطليان الذين أخرجوا عنه . ولكن بقيت الحكومة الوطنية في طرابلس على ما كانت عليه ، وهي حكومة حليفة ، مركزها مصراطة ، وعبد الرحمن عزام هو الذي يدير أمورها ، ويرتقى فؤادها . ويؤلف بين الجهات المتأخرة ، حتى يقضى لهم بالاتحاد حفظ استقلالهم . إلا أن شرقة ، مضائق السواحلي ، كانت غالبية عليه ، فقصده مرة قتال أورفلة ، فمظن أهل أورفلة في وجهه الآبار ، وأنشده في معاملش هناك فيها أكثر رجالة ، وقبض فيها أسيراً . ولما أرادوا احتضاره إلى عبد النبي بطير زعيم أورفلة ، قال هذا اليوم : « لا ندعوه يصل إلى حقوقاً من أن يغامق الحياه فاستعصه » . فقموا منه أنه يرجع قتله فقتلوه . وبمدر مضائق المذكور جعل الطرابلسيون رئيساً على حكمهم الوطنية الحليفة أحمد بك المريضي ( تشديد الياء ) وهو زعيم ترهونه ، ولا يزال رئيساً إلى اليوم مقبياً بمسكر المجاهدين حتى في البلاد التي استرحمها الطليان .

ثم تمود إلى سيدي أحمد الشريف . فنقول أنه لما فارق بركة ، تفادياً للخلاف مع ابن عمه الذي صار أميراً على بركة ، غرّب إلى سوكنه كجاسق ، فأرسل إليه رمضان السواحلي أقوة تقاتله ، عليها ضباط من الترك ممن كانوا مع نوري باشا أخى أنور . فالتسبد هزم القوة التي جاءت تقاتله ، وقتل في تلك الواقعة الضابط المدعو برتوتوفس . ولكن اشتدت اللازمة بالسبد لانقطاع المدد عنه من كل الجهات ، فالتكيز أصبحوا أعداءه وشبطوا أملاكه ، وزواياه ، في سجون ولايات الدواخل ، وذلك لانقيادهم إلى الاتراك ومسيره مع نوري لمهاجرة مصر . والأتراك تركوه أيضاً ، لانحياز نوري باشا إلى رمضان السواحلي في مصراطة ، ولتصامه به ، وهذا كان عدواً للسوسية . فوصل الأمر بالسبد وعساكره التي كانت نحو ثلاثة آلاف ، أن اغتدوا بقتلهم الخشائش ، وأن مات منهم خلق كثير جوعاً ، وهو صابر على هذه البلية صبر الكرام . والازمة تزداد به وبأجناده يوماً بيوماً ، وهو لا يقدر أن يمود إلى الجنبوت ، خوفاً من الخصام مع ابن عمه ، وانزله التجرش بالانكيز . ولا يقدر أن يدخل مصراطة والبلاد التي حولها ، لكون رمضان السواحلي وغيره من أعداء السوسية له بالاحاد . قال لي السيد من فقه : « بلغ بي الضيق من هذه الحالة ، وأنا أرى رجالي أمام عيني يموت جوعاً » . ان وصلت إلى درجة اليأس ، وقررت في نفسي الصالح مع الانكيز مستغنياً الله ، وفي تلك الليلة رأيت فيها برى المنام ، استاذني سيدي أحمد الربيعي يقول لي : « قد عرف الاخوان مرادك ، فلم يرضوا لك بما عزم عليه » . فأرجع إلى ما كنت عليه واستأنف العمل . فلما استبقيت من النوم انقلت من تلك الفكرة وحررت إلى أنور كتاباً ، بعثت به ضمن كتاب إلى نوري قائلاً :

له : احذر أن تؤخر ارسال كتابي الى أخيك . فارسل بالكتاب الى الاستانة ، وجاءني من انور الجواب .

وكان السيد قبل ذلك ، بعث اليّ أنا محرر هذه السطور ، بكتاب يشكو لي به من معاملة نوري ، أيام كان في السلوم ، ويبيد لي شيئاً من الثمن على انور ، ولكن لم تقع له فرصة لارساله ، وبقي محفوظاً بذلك الكتاب الى أن جاء الى الاستانة العليا ، وانتهت الحرب ، وشرعت ارساله من أوروبا الى مكانه ببروسه ، فارسل اليّ بذلك الكتاب بيته ، بعد فوات وقته ، كأنه يريد أن يعالمني على تلك المأخريات الماضية ، ولولا كون هذا الرقيم في أودائي التي تركتها في أوروبا ، لكنت أكلت هذه القصة بنفسي . ومن الغريب ، أنني مع كون هذا الكتاب من السيد لم يصلني يومئذ ، فقد قمت تجاه السيد بما لم أكن لأعمل زيادة عليه فيما لو وصلني كتابه إذ كنت بدأت اسم من مية أنور وأثمة الوحشة من سيدي أحمد الشريف ، وأسمع بعض رجال الدائرة السبابة بدائرة التشكيلات ، التابعة للحرية بالجزون السيد ، ويعززون اليه أموراً ، كنت على يقين أنها بهتان محض . مثل كونه يريد الخلافة لنفسه ، ومثل أنه غير مخلص للدولة وما أشبه ذلك . وكان أنور دعاني مرة للاعطار معه في رمضان فقلت له : « إن بعض بطانتك بدأوا يعززون السيد أحمد الشريف ويشجعون منه أراجيف يصعب تصديقها ، وهذا الأمر يحس جانبك أنت ، ولا ينحصر في السنوسية ، لأن أكثر مظهرك كان بهؤلاء الجماعة . فان ظهر بسبب ذلك انهم خائفون ، لاسمح الله ، فتكون أنت المقوم ، ويستبدل الناس بذلك على كونك خائف الرأي . وإن كان عندك شيء ، راعن بمحتم ، فصح لي به لنعلم درجة الخير من الصحة » . قال لي أنور ، وجه الله : « حاشا ، ما يقدر أحد أن يتهم سيدي أحمد الشريف بالحياة ولكن الانكليز كانوا يخدمونه أحياناً » . قلت له : « إن سيدي أحمد الشريف لم يتخضع للانكليز ، وإنما كان يصلانهم كما يصلونوه » . وما تلكا من محاربتهم الاخشية الفشل ، إذ كان يعلم أن القوة التي لديه غير كافية للدخول الى مصر ، ألا ترى كيف أن الانكليز بمجرد زحف الاربعة الآلاف بجامد الى مرسى مطروح ، وموهم ثلاثين ألف مقاتل ، وبالذائع ، والطائرات ، والدبابات ، ولولا لطف الله بهم لوقعوا جميعاً أسرى وأخوك من الجثة . . . » قال لي أنور : « أنا أعطيتهم أوامر بأن يشجبوا المارك الفاصلة » . فقلت له : « يا سبحان الله ! أنت عسكري ، صنعتك الحرب وأدرى مني بهذه الامور ، أفذا حاجم الانسان من هو أقوى منه مراراً ، أعجب له الاختيار في السكر والفر » . « وانتهت هذه المحادثة باقتناع أنور ، وتركه مؤاخذه السيد . ثم أخذت منه الاذن لسيدي صبي العزيز العيسوي ، الذي كان معتمداً لقادة السنوسية في استانبول ، وهو من الفضلاء الاحلاء ، أن يوجهه في نظارة الحرب ، بعد أن بقي محبواً عنه عدة أشهر ، ثم أن يعود الى وطنه بالتواصة . فأذن له وأعطاه معززاً عسكرياً ، وكتبته معه كتاباً الى السيد . وما مضت مدة حتى جاء مكتوب السيد الى أنور ، حسبما تقدم . فانفذ أنور يوسف بك شتران بالفواصة ، ففلاق مع السيد ، وقرر مجيء السيد الى الاستانة بالفواصة ، فركب من مرسى العقيلة من ساحل سرت ، فأصداً ببحر الادرياتيک .

قال لي السيد : « قبل ركوبي الفواصة ، تحدثت مع الضباط الالمان الذين فيها ، وسألتهم



عن خطر ركوبها فقالوا لي : لا يخلو الامر من الخطر . ولكنني ما جليت بذلك لانني كنت رأيت الشافعي سيدي أحمد الربيعي في المنام فقال لي : الشيء الفلاني ستأخذه من « يولا » . في اليوم التالي سألت الضباط هل يوجد محل اسمه يولا ؟ فقالوا لي : نعم ان المرمى الذي سنزل فيه من بلاد النمسا اسمه « يولا » . فاعتقدت اننا بالتو هذا المكان ، بحول الله وقوته . قال لي : « وقد عرضت لنا الملكة ثلاث مرات ، ونحن في البحر : أول مرة صادفنا بونوج العدو فغننا تحت الماء ، ورأيت مراكب العدو يعبون ، بواسطة مرآة يرى الانسان بها من تحت البحر ما هو فوق البحر . وما زلنا متواريين عنهم حتى مضوا . ومرة ثانية اصاب الآلة المحركة تمطيل ، فكنت أرى ضباط النواصة يبحسون ويذهبون ، وهم في حيرة عظيمة ، فلم ينجروني بالحقيقة الا بعد أن اصاحوا الآلة . ومرة ثالثة نام فهم الآلة ، فصادمت النواصة صغرا وكادت تفرق ، ولكن كئنا على مقربة من « يولا » . وقد فصل سيدي أحمد الشريف من مرسى العقيلة ( يضم فنتن فسكون ) بساحل سرت في ٧ ذي القعدة سنة ١٢٣٦ ، ووصل الى « يولا » من ساحل النمسا في بحر الادرياتيك بعد اسبوع من ركوبه وسافر من « يولا » الى فينا ومعه حاشيته ، ويوسف بك شتواني . ولما حصل في فينا أرسل الامبراطور يعني مشاهدة السيد ، فاجاب شتواني معتذراً عن امكان هذه الالقاء قبل أن يذهب السيد الى الاسنانة ويقابل السلطان . ولكن هذا الجواب وقع بدون اطلاع السيد ، ولما اطعم عليه فينا بعد لم يستحسنه اذ رأى أنه كان يلقي مقالة الامبراطور في طاحته لاسبابا انه طاب ذلك . ثم سافروا الى الاسنانة ، فاستقبل في محطة « سركه جي » بمزيد الاجلال والاکرام ، وكان انور باشا في المحطة بنفسه . وأقبل علماء الترك عليه ، وهنأوه بالقدوم ، وتبركوا بمعرفته . وأثرته الدولة بمراري « طوب قيو » مقر السلاطين القديم . وصادف وقتئذ الاحتفال بتقليد السلطان محمد السادس السيف ، في مسجد ابي أيوب الانصاري رضي الله عنه ، الذي يقول له الاتراك : « سلطان أيوب » . وكانت العادة ان الذي يقبل السلطان السيف عند جلوسه ، هو الشاي شيخ الطريقة المولوية وسلالة مولانا جلال الدين الرومي ، قدس الله سره . فأختار السلطان السابق محمد السادس : الاستاذ السنوسي لتقليده سبف السلطنة في ذلك المحفل للشهود ، وأأمم عليه برتبة الوزارة السامية ، وبالنشان المرمع ، ولحقني به كنجراً ، هو وولي العهد الامير عبد المجيد ابن السلطان عبد العزيز خان ، الذي تولى الخلافة بدون سلطنة بعد انتصار الاتراك على اليونان ، وخروج محمد السادس من دار السعادة . ثم خلمته الجمهورية التركية اخيراً وأقصته هو وجميع آل هان من المملكة ، والسلطنة واستقطتهم من النامية التركية .

وكانت الحرب أوشكت أن تنتهي ، وأيقن الاتراك أن الدائرة ستدور عليهم وعلى الالمان فتكلم أنور مع السيد السنوسي ، في لزوم رجوعه بالسرعة الى طرابلس ، وقال له كلاماً يدل على كونه آمالاً في مسلمة أفريقية صارت أكثر منها في سائر العالم الاسلامي . وصرح له أن السلطان نفسه ، يريد أن تعود الى بلدك لتقوى بك هزائم المجاهدين ، ونحن حاضرون أن نقويك بالمال والعتاد والسلاح . وقرر أنور اعطاء السيد (١٢) الف بندقية مع مدتها ، و (١٠) مدافع و (٣٠) رشاشاً و (٢٠٠) الف جنده ، فساله السيد قائلاً : « هلني من

بعض الضباط الطرابلسيين الذين في خدمة الدولة ، انكم تفتونني أقابل ابن عمي سيدي ادريس ،  
 سيكونه اتفق مع الانكليز والاطليان . فقال له أنور : « ماذا الله ان نبغي منك ذلك ،  
 لأننا نعلم انه لم يبق للاسلام في أفريقيا حصن أحسن من هذا البيت السنوسي الكريم ، وانه  
 ان وقع لاسمع الله الشقاق في هذا البيت ، فسد الامر واضلعت القوة السنوسية التي عليها  
 معول الاسلام في أفريقيا . فكن على ثقة بأننا نبغي اتحادكم قول كل شيء ، نصحاً بالاسلام  
 وضماً باستقلاله ، وان معاوناكم انما هي محض حجة على الاسلام ، لأن تركيها من جهتها  
 لم يبق لها أدنى أمل باسترداد طرابلس ، وانكنا لانحب أن نرى اخواننا مسلمي أفريقيا تسة  
 للاجانب . وكان أنور كما هو مشهور عنه ، متسككاً بوحدة الاسلام ، بفار عليه في أي  
 بقعة كانت ، ولا يفرق بين عربي وتركي وهندي الخ ، وطالما اختلفت مع زملائه من أجل  
 هذه السياسة .

وبعد أن أجمع السيد الاوية الى طرابلس ، جاء من قال له ان الفواصة ستؤخذ في ساحل  
 مصرطة ، وهي بيد رمضان السواحلي اليوم ، فلا يجوز أن تأمن جانبها ، فآخذ السيد يفكر  
 في كيفية النزول الى البر بحيث يظاً ساعلاً لا يكون فيه عليه يد لا من الطليان ، ولا من  
 رمضان شقوي . واذ ذاك صارت تتابع الحوادث بسرعة البرق . فتغيرت الوزارة ، وسقط  
 أنور ، وتقدم السيد على تأخره من السفر ، وحاول الانسلاخ من الاستانة الى النمسا ، حتى  
 يركب منها الفواصة قافلاً الى وطنه . فلما أحس محمد السادس وحيد الدين بذلك ، أخذ يداوره  
 من حزمته هذه ، ويقول له : « يتر علينا أن تفارقنا في هذه الآونة الحرجة » . والسيد  
 يظن انه أثناء عقد الهدنة مع تركيا شدد الحلفاء على السلطان في ملاصقة السيد عن البحار  
 الى طرابلس ، حتى اذا دخلوا الاستانة كان السيد في قبضة يدهم . أما أنور فكان السيد  
 يختلف اليه بعد سقوطه فكان يداور السيد في السفر معه الى اوربا ويقول له : « لا يجوز  
 أصلاً بقاؤك في الاستانة والحلفاء على وشك دخولها . » واما الصدر الاعظم ، المشير احمد  
 عزت باشا ، فلما كان السفر بالفواصة محكماً من بحر الادرياتيك ، اشار على السيد بالسفر خفية  
 والحق ببلاد ، وبأن لا يبالي بكلام السلطان . فلما انقضت الماركة ، وصار السفر بالفواصة  
 متقدماً اشار على السيد في الذهاب الى بروسة ، وكان هذا رأي وحيد الدين أيضاً . فتحول  
 السيد من الاستانة الى بروسة ، وقامت الحكومة النمانية بكل ما يلزم له . وكان السلطان  
 يديم السؤال عنه ، وكلما تبين وال لبروسة يثاق الامر بالذهاب الى السيد قبل كل شيء ،  
 والوقوف عند خاطره ، واليادرة الى مراعيه . قال السيد السنوسي من اول يوم قدم فيه الى  
 تركيا الى هذه الساعة ، التي من ر الاترك وحفاوتهم واجلالهم ، سواء من حكومة الاستانة  
 مع قلب وزاراتها ، او من حكومة انقرة في مختلف منصفاتها ، مالم يظراً عليه أدنى تنبير ،  
 ولا اوجب التبريم في قليل ولا كثير . حتى كأن جميع الايام التي قضاها بين اظهرهم يوم واحد ،  
 فكانت الامة التركية البناحل وكيف ارتحل ، تهرع اليه على اختلاف الطبقات ، بدون تكلف  
 ولا نصنع ، ولا انتظار اوامر حكومة ، بل بشعور عام اوجده فيها اتحاد الكلمة على نزاهة  
 هذا الرجل ، ونجده من المآرب الشخصية ، وعزوفه عن حظوظ الدنيا ، وانصراف همه كله  
 الى الذب عن بيضة الاسلام ، بدون غرض سوى مرضاة الله ورسوله ، وحفظ استقلال المسلمين .



فكان كثير من الترك ، والكرد ، والجركس ، والارناؤوط ، بقصدون زيارته لجرد التبرك  
بتقبل يده ، والافتداء بهديه وتلقى واراداته الروحية ونفعاته القدسية ، وكثير منهم اخذوا منه  
الطريقة السنوسية . وكانت مدة مقامه بيروسة ما يقرب من سنتين تأسست خلالها الحكومة  
الانقروية ، فاسئل اليه رئيسها مصطفى كمال باشا يدعووه الى الانحياز الى انقرة ، شدا لعهد  
الاسلام ، وترجيحاً لكفة الجهاد على كفة القعود . وكانت القوى الملية التي مركزها انقرة ،  
هي في الحقيقة آخر ما بقي من قوة الدولة العلية ، فاعمل السيد الروية في هذا الامر ، فرأى  
ان حكومة الاسنانة ، لاسيما في ايام الداماد فريد ، اصبحت كالخلس الملقى ، لا تملك شراً ولا نفعاً ،  
ولا تقدر ان تزدود من حق مسلم ، فضلاً عن كون بقائه في بيروسة مع دنو اليونان منها ،  
يمرض شخصه الوقوع في ايدي الحنفاء . فزعم السيد التحول الى الاناضول ، واول بلدة  
نزل بها اسكني شهر ، حيث واقام مصطفى كمال باشا ومعه رهنه باجمهم ، وتلقوه برّاً وتكريماً ،  
واحتفلوا بمقدمه احتفالا عظيماً . ثم ان بعض الترك ، ممن لاحاجة الي بيان اسماهم ، استظلوا  
رأيه في امر الخلافة ، وادادوه عليها ، واددوا واعادوا في اقناعه بها ، فاعتذر عن ذلك ، وافهمهم  
ان لاسبيل الى قبوله هذا الامر ، لاسباب عددها . فتركوا مراجعته في هذا المشروع ، وبخبروه  
في الاقامة بأي بلد يريد فاختار قونية ، واقام بها عدة اشهر . واثناء اقامته بقونية ثارت تلك  
الثورة على الحكومة الانقروية ، لاسباب ليس هنا موضعها ، فبذل السيد كلته في اخاد  
الثورة ، ونصح الاهالي بطاعة الحكومة الملية ، وصمدلفير يوم الجمعة ، تحت الناس على اجتناب  
الفتنة ، وبصرهم عواقب الشقاق ، بينها العدو آخذ منهم بالحناق ، وبين لهم كيف ان انقرة  
هي ثمال الاسلام ، وثمالة ما بقي في حوزته في هذه الايام ، فلا يجوز لهم والحالة هذه الخروج  
عليها ، ونوهين قوتها ، حتى انه حاثيه كثيرون من أهل قونية في تشيعة لانقرة ، وغضب  
آخرون . ولولا احترامهم لمقامه العظيم ، ونسبه الكريم ، لمسه السق يوم سالت السماء في  
أسواق قونية . ومازال في الوعظ والارشاد ، حتى وصلت المساءير الملية فبددت شمل الثائرين  
وقبضت على مثات منهم وحاصرتهم في ديوان حرب ، وصابت كثيرا منهم ، وكادت تبطش  
بأخاهي شيخ المولوية وسلالة مولانا جلال الدين الروي البكري الصديقي قدس الله سره . فكان  
السيد واسطة خير وشقيماً له ولتبره . فانتقد كثيرين واطف مصائب كثيرة بحسن شهادته ،  
واعاف موانعته في هذه الفتنة التي كسائر الفتن لانصيب الدين ظلموا خاصة . ثم اتدبته  
الحكومة الملية فذهب الى بلاد الاكراد ، لاختاد بعض البعث ، واعمال نموذج الدين في نصيحة  
المشار التي كانت غير راسية . فذهب السيد الى ديار بكر ، واقام بها وبماردين وبادرغا ، مدة  
وفدت فيها عليه زعماء القبائل العربية والكردية الضاربة في حائلك الديار ، وادادوه على  
الاقامة بينهم ، واعلموا له من الطاعة لأمرة والانقياد لكلامه ، ما هو فوق الوصف ، ولكنه  
ابدى لهم استعجلة ذلك عليه ، وكونه مقيدا ببلاد ، لا بد له من الرجوع الى الغرب واتانصح  
لهم في الاتفاق مع الحكومة الملية ومظاهرتها توحيداً لكلمة الاسلام ، واتقاء الفتنة التي انما  
يستفيد منها العدو أثناء حرب لافج لا يدري ما تلذ . وكان يشدد عزائم الناس ، ويحثهم على  
الجهاد . واحدى المرار ينما هو في ماردين ، قال : « ان هه يوم الاعداء سيبدأ بهذين اليومين  
وسيكون نصيبهم الخذلان » فلم يمس يوماً حتى ورد عليه بريقة من الفارزي مصطفى كمال باشا

قائلا له : « ان العدو بدأ بالهجوم نساءك الدماء . فكان ذلك مدعاة لدعشة الغضب الانتركي الذين سمعوا من السيد أن العدو سبهاجم بهذين اليومين وقيموا ذلك بالورق يوم قاله لهم ، فكان الامر طبق ما قال . وكان الغازي في برقيته طلب أيضا من السيد فرامة البخاري الشريف تبركا واستنزالا لتعمر على جيوش الاسلام ، فذهب الى المسجد الجامع بمالدين ، وشرع بالقرعة ، ودارموا عليها الى أن وودت البشارة بكون العدو ارتد خسرأ من وقعة سقاريا . ثم أقام السيد بطرسوس فراراً من برد الاناضول . وفي أنشائها تم الظفر الاخير بالعدو ، وأخرج من كل أقسام تركيا . وجاء مصطفى كمال باشا الى ولاية أطله ، وزار السيد في منزله بطرسوس ، فبالغ السيد في الاحتفال به ، وقدم بعض هدايا نفيسة للسيدة الخاتون حلياته . وبعد ذلك ذهب الى أنقرة لتهنئة الحكومة بظفرها الاخير ، واستقبال الامر وعقد الصلح . وكانت زيارات السيد لآنقرة ثلاث مرّات : أولاها يوم توجه الى بلاد الاكراد بطلب من الحكومة المالية . والثانية أثناء الحرب بعد هزيمة العدو في سقاريا . والثالثة بعد نهاية الحرب وعقد الصلح . وفي هذه المرة الاخيرة كان معه عجيبي باشا السعدون ، أمير المنتفى الذي لم يبارق جيش الدولة وترك وطنه العراق حباً بها ، ومداومة على مبادئه . وقد كان السيد في جميع زياراته لآنقرة باقياً من الغازي ومن هيئة الحكومة جميع ما هو أهل من الاجلال والاكرام . وآخر مقامه كان بمرسين ، التي آثرها على طرسوس ، فنزل بقرية « غريسيان كوي » التي كان يسكنها الاروام قبل المهجرة ، وهي على مسافة نصف ساعة وهو مقبلاً بها بحاشيته الى هذا اليوم .

وكان كولونل ايطالي قد وافى آنقرة آخر مرة من زيارته لها ، واستأذن السيد في ملاقاته ، فأذن له ، فتكلم مع السيد في حق الدماء في طرابلس ، والاتفاق على أساس الصلح . فاجابه السيد بأنه لا يكره الصلح ، على شرط استقلال وطنه الحقيقي . وبعد الاخذ والرد ، أحال السيد أخذ خلاصة الاقتراحات الايطالية الى الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويز . وكان السيد قبل أن رضي بالاخذ والرد مع هذا الكولونل سأله : « أعندك تفويض من حكومتك بالدخول معي في حديث الصلح ؟ » فقال له الكولونل : « كلا » . وأما يمكنني الحصول على التفويض من اليوم الى شهر ؟ » فقال له السيد : « اذا ، بعد الحصول على الاذن من حكومتك » . ففرض بما تريد بيانه الى الاستاذ الشيخ جاويز . وأوعز السيد الى الشيخ جاويز بان يبدع عليه الجواب . فبعد مدة جاءه الشيخ بخلاصة الشروط . فوجدها السيد غير موافقة وقال للشيخ جاويز : « قل لهم لا تقبل أن تكون القوة العسكرية في أيديهم » . ولا أن تكون الشرطة منهم . وكل ما قسمهم معهم فيه هو الامتيازات الاقتصادية . واستنهار البلاد حقاً لهم دون غيرهم من الاجانب . فلما حقوق الملكية فلا تنزل عن شيء منها ، وسلاحاً لا بد أن يبقى في أيدينا ، وعلى غير هذه الشروط فلا سلام ولا كلام ، لأن طرابلس وبرقة ليستا مملكتي لاجود به على العلبان ، بل هما ملك أهلها » . فلما عاد الشيخ الى الطليان بالجواب عادوا أن لا سبيل الى الصلح ، فذاقوا في الجرائد أن غير مفاوضتهم السيد السنوسي بالصلح غير صحيحة . والحال أنه قبل هذه الاذاعة بتليل ، كان ورد الى السيد الخبر من الشيخ جاويز بان الكولونل الايطالي قدّم الى سرّيين لمواجهته ، كما أن هذا الكولونل لما واجه السيد وشافه بأمر الصلح



في أنقره ، أخبر السيد الغازي مصطفى كمال بما جرى فأشار عليه بالصلح ان طالب له ووافقته شروطه .

عند ما قدمت الى الاستانة في أواخر سنة ١٩٢٣ ، وهي أول مرة دخلتها بعد الحرب قررت لأجل الاستجمام من عناء الأشغال وترويح النفس بعد طول النضال ان أسكن بيلا صغير نهياً لي فيه العزلة وتسهل الرياضة ، ويكون دانياً من وطني سورية للملاحظة شتلي الخاس ، وتبعد أملاكي فيها ، فأخترت مرسين ، والقيت مرساة غربي فيها . وكان السيد السنوسي يلته قدومي الى دار السعادة ، فكاتب لي يرغب الي في سرعة الجي . ورحب بي . فلما جئت الى مرسين ذهبت توارياً لزيارته ، فأبى الا أن انزل عنده ، ريثما أكون استأجرت منزلاً في البلدة ، وقد رأيت في هذا السيد السيد بالبيان ، ما كنت أتخيله عنه بالسباع وحق لي والله أن أنشد : —

كانت عيادة الركبان تخبرنا      عن جعفر بن فلاح أطيبي الخبر  
حتى التفتينا فلا والله ما سمعت      اذني بأحسن مما قد رأى بهري

رأيت في السيد جبراً جليلاً ، وسيداً غطريقاً ، واستاذاً كبيراً ، من أنبل من وقع نظري عليهم مدة حياتي بجلالة قدر ، وسراوة حال ورجاحة عقل ، وسجاجة خلق ، وكرم مهزة وسرعة فهم ، وسداد رأي ، وفؤاد حافظ ، مع الوفاق الذي لا نقض من جانبه الوداعة ، والورع الشديد في غير ذلك . ولا سمعة . سمعت أنه لا يرفد في الليل أكثر من ثلاث ساعات ، ويقضي سائر ليله في العبادة والتلاوة ، والتهجد ، ورأيت مراراً تنفج بين يديه السفر الفاخرة الثلاثة بالملك ، فيأكل الضيوف والحاشية ، ويجزي . هو بطعام واحد لا يصيب منه الا قليلاً ، وهكذا هي عادته . وله مجلس كل يوم بين صلاتي الظهر والعصر ، لتناول الشاي الأخضر الذي يؤثره المغاربة . فيأمر بحضور من هناك من الأضياف ورجال المعية ، ويتناول كل منهم ثلاثة افداح شاي ممزوجاً بالتمر . فأما هو فيشاي شرب الشاي لعدم ملائمة لصحته . وقد يتناول فداً من التمتع . ومن عادته أنه يوقد في مجالسه غالباً الطيب ، ويبدسط السيد الى الحديث ، وأكثر احاديثه في قصص رجال الله وأحوالهم ورفائهم ، وسير سلته السيد محمد بن علي بن السنوسي ، والسيد المهدي ، وغيرها من الأولياء والصالحين . واذا تكلم في العلوم قال قولاً سديداً ، سواء في علم الظاهر أو علم الباطن . وهو يذهب الى تعظيم الأولياء ، ويرى فيهم الوسائل بين الله والعبد . ويكرر على الثابتين أن لا وسيلة بين الخلق والمخلوق ، بل يقول ان الأولياء صفات الله عليهم ، ان هم الا وسائل الى الله ، ويقول اذا وقع خلاف في مسألة بين علماء الشريعة وبينيت غامضة ، فالقول فيها ما ينوله علماء الباطن أهم التصوف . وهو شديد الاعتقاد والافتداء بالدين : الأول همه سيدي محمد المهدي الذي لا يرى فوق طيبته أحداً الا سيد الكائنات ، صلى الله عليه وسلم . والثاني استاذهم ومرشدهم سيدي أحمد الرقي ، من أكابر البادة السنوسية ، وأركان هذه الطريقة . ويقول أنه كان علامة بحراً في جميع العلوم . قرأ في فاس وأتمن العلوم بأمرها حتى الفناك والاسطرلاب ، والهندسة ، والرياضيات . وهو يعتمد على كلامه له ، ومن جهة ذلك أنه قبل وفاته ، رحمه الله ، بأيام قال له : دأبناكم جهاد طویل هریش ، فينبغي لك أن تجاهد ولا تتمد ، وان

الجهاد بالهوى بتعزيمكم . وانما لا نجعل لنفسك مركزاً مميّناً تلازمه ، ولا تكن مهاجماً لقاط  
 الحكمة . بل قف دائماً على قدم الدفاع . واياك والصلح ، فإله السيد « أين يكون  
 هذا الجهاد ؟ » وكان ظن أنه يعني حرباً تقع بين السنوسية والفرنسيين في جهة وادي ، لأنه  
 كان القتال مستمراً بين الفرعيتين على عين كوك . فأجابه سيدي احمد الرغبي : « كلا ! هذا  
 جهاد ضد عدو يأتيكم من جهة البحر ، وهو الطليان » . قال له : « وستأتاكم النجدة من  
 استانيول » . فما مضى على وصافه سيدي الرغبي شهران ، حتى نشبت حرب طرابلس وتحقق  
 كل ذلك . فالسيد متمسك بكلام استاذك لا يجرده عنه . وقد لحظت منه صيراً قل أن يوجد في  
 غيره من الرجال وهو زماً شديداً تلوح سبائزه على وجهه ، فيبدا هو في تنوّه من الابدال ، اذا  
 هو في شجاعته من الأبطال ، وقد بانني أنه كان في حرب طرابلس يشهد كثيراً من الوقائع  
 بنفسه ، ويغطي جواده بضع عشرة ساعة على التوالي بدون كلال ، وكثيراً ما كان يظفر  
 بنفسه ولا يقنّدي بالأمراء وقواد الجيوش الذين يتأخرون عن ميدان الحرب مسافة كافية ،  
 أن لا تصل اليهم يد العدو فيها لو وقعت هزيمة . وفي إحدى المرات أوشك أن يقع في أيدي  
 الطليان ، وشاع أنهم أخذوه أسيراً . وقد سأله من تلك الواقعة عنك لي خبرها بتفاصيله ،  
 وهو أنه كان يركب فيلة الطليان بواسطة الجواسيس أن السيد في قلة من المجاهدين ، وغير  
 بعيد عن جيش الطليان ، فمرحوا اليه قوة عدة آلاف ومعها كهربان ( سيارة كهربائية ) خاصة  
 لركوبه . اذ كان اعتقادهم أنه لا يفلت من أيديهم تلك المرة . فبلغ خبر زحفهم ، وكان  
 يمكنه أن ينجح من القناء أو أن يتعرف بنفسه الى جهة يكون فيها تنجده من الخطر ، أو يترك  
 الحرب للمرب تصادهم فلم يفعل ، وقال لي : « خفت اني اضللت النجاة بنفسي ، أصاب المجاهدين  
 الزهول ، فدارت عليهم الدائرة ، فثبت الطليان وهم بضعة آلاف يشتمة مقاتل لاغير ، واستمرت  
 الحرب ، وهدموا المدو ، فلما رأى هؤلاء وفرة من وقع من القتلى والجرحى ، ارتدوا على  
 اعتابهم ، وخلصنا نحن الى جهة واقتنا فيها جوع المجاهدين . » قال لي : « وفي هذه الواقعة  
 جرح الضابط نجيب الحوراني ، الذي كان من أشجع أبطال الحرب الطرابلسية ، كان قائداً  
 ولكنه كان ينام في نفسه في كل واقعة ، فخرج مرتين واستشهد في الثالثة رحمه الله .  
 ولم يحزن السيد على أحد حزنه عليه ، بآهر شجاعته وشديده إخلاصه . وصلى السيد  
 يكتب لي من الجبل الأخضر وأمر الشاه عليه ، وهو اليوم دائم الترحيم عليه . والتمهيد المذكور  
 هو نجيب بك بن الشيخ سيد النبي ، من مشايخ بلاد عجلون ، ترك في بلاد الغرب كراً خالداً .  
 والسيد احمد الشريف سريخ الخاطر ، سيال الفخر ، لا يعمل الكتابة أصلاً . وله عدة  
 كتب منها كتاب كبير أضافني عليه في تاريخ السادة السنوسية ، واخبار الاعيان من مريدتهم  
 والتصاين بهم ، ينوي طبعه ونشره فيكون أحسن كتاب لمعرفة اخبار السنوسيين . وانما  
 يهتم الانسان من مطالعة اخبار سيدي محمد السنوسي ، وولده سيدي المهدي ، ومحادثة  
 سيدي احمد الشريف ، ان طريقتهم طريقة علمية ، تعمل بالكتاب والسنة ، ولا تنكثي  
 بالاذكار والاوراد ، دون القيام بزام الاسلام ، كما كان عليه الصدر الاول . ولذلك وقفوا  
 للجهاد ووقفوا في وجه دولة عظيمة كدولة ايطالية ، منذ ثلاث عشرة سنة ، فولاها كانت سيدة  
 افرابلس وبرقة منذ أول شهر من غارتها عليهما . ويذكر الناس ان الطليان قدروا لتدريج



طرابلس ورقة كلهما مدة خمسة عشر يوماً ، من أول نزولهم . وإن قواداً من الانكليز  
 المتحيزين في حروب المستعمرات واليوادي ، قالوا ان الطالبان افرطوا في التناؤل بظنهم الاستيلاء  
 على برطراس في ١٥ يوماً ، والحقيقة انه قد تأخذ هذه المسئلة منهم ثلاثة أشهر . . . فليحظر  
 الانسان كيف أن للدة التي قدرها اركان الحرب في ايطالية ١٥ يوماً وقدرها اركان الحرب  
 في انكلترا ثلاثة اشهر ، تطاولت ثلاث عشرة سنة كاملة ، والحرب اليوم هي كما كانت في بدايتها .  
 وكل هذا بفضل السادة السنوسية ، ولا سيما هذا السيد العظيم سيدي أحمد الشريف . وكان  
 الاوربيون في عهد السلطان عبد الحميد يشكون الى السلطان حركة السنوسي ، ويتوجسون  
 خيفة من تشكيلاته وحركاته في أعظم عصر للدعوة الاوربية في افريقية ، وطالما ضغطت  
 دول اوروبا على السلطان ، لاجل ان يستدعي سيدي المهدي الى الاسنانة ، ويأمره بالاقامة بها ،  
 ولا يأذن له بالدودة الى وطنه ، ليحتل للاوربيين الخوا في تقديم أواسط افريقية ، وخضد  
 الذوكة الاسلامية في تلك الديار . فكان السلطان يماطل هاتيك الدول ، ويبتدر لهم بصنوف  
 الاعتذار ، بل كان يلاطف السنوسي كثيراً بالهدايا والكتابات ، الى ان اشتد الضغط على السلطان  
 في قضية السنوسي ، فأرسل رجلاً اسمه عصمت بك الى بنغازي ، ومنها الى جنجوب ، بتأمورية  
 سرية ، فبلغ المهدي ما هو عليه السلطان من الارتباك من جهة ضغط الدول عليه في أمر الدعاية  
 السنوسية ، فاجابه السيد المهدي بحسب ما قرأت في التاليف الذي تقدم ذكره ، بكلام لا يتضمن  
 تقيا ولا ايجاباً ، وانما تلا له آيات كريمة في معنى الانكسار على الله . ولكن السيد المهدي لم يمتنع  
 بعدها ان يلقى جنجوب الى واحة الكفرة ، وفي فيها زاوية التاج ، وعمر الكفرة عمارة  
 جميلة جنة في وسط الصحراء . والاقاب ان سبب تحوله من واحة الجنجوب ، القرية من مصر  
 وورقة ، الى واحة الكفرة ، التي هي في أواسط الصحراء الكبرى ، ثم توغله من الكفرة  
 الى ناحية قرواني اختاره الله فيها ، وهي على أبواب السودان هما من اوتياحه الى العزلة ،  
 وميله الى التقافي من مراكز السلطة الرسمية ، والمخرج من مناهل تأخير الدول الاستعمارية ،  
 بحيث انشد مراكز محاطة بالقبائل والقبائل ، مأهولة بأقوام لا يزالون على الفطرة ، فاصبح حراً  
 في بث دعوته لا تصل اليه يد بضبط ، ولا تلو فوق كفته سكة ، وعكف على تهذيب تلك  
 الاقوام ، ونشأهم في طاعة الله . بعد ان كانوا يتسكعون في مهامه الجبل خيدلت به الارض غير  
 الارض ، واغلبت به اخلاق هاتيك الامم انقلاباً حير العقول . ولم يقف في الدعاية الروحية على  
 واحات الصحراء ، واطراف السوادين ، بل بث دعاته في أواسط افريقية . فكان منهم مثل  
 الشيخ محمد بن عبد الله السني ، والشيخ حمود المصاوي ، والسيد طاهر الدخاري . ورحلات  
 آخرون جاؤوا السوادين مبشرين وهادين ، فكان السيد المهدي هو انزلهم الاكبر لجميات  
 البشرين الاوربية ، المنبئة في قارة افريقية كلها ، وعلى يده . وبسبب دعاته الحثيثة اعتدى  
 الاسلام ملايين من الزنوج ، فلهذا جميات البشرين بأسرها تشكو حزنهما ، وبشها من تبحر  
 الاسلام في أواسط افريقية ، مثل بلاد النيجر ، والكونغو ، والكامرون ، وديار بحيرة  
 تشاد ، وتوجهاً أكثر شكواها الى الطريقة السنوسية ، كما طالعنا ذلك في مؤلفات اوروبية عديدة .  
 هذا من جهة القوة الروحية واما من جهة القوة المادية ، فقد كان السيد المهدي يهدي هدي  
 الصحابة والتابعين ، لا يقتنع بالعبادة دون العمل ، ويعلم ان احكام القرآن محتاجة الى السلطان ،

فكان بحث اخوانه ومريديه دائماً على الفراسة ، والرماية ، وبيت فيهم روح الانفة والنشاط ، ويحملهم على الطراد والجلاد ، ويعظم في آهينهم فضيلة الجهاد ، وقد أمر غراس وعظه في مواقع كثيرة ، لاسيما في الحرب الطرابلسية التي أثبت بها السنوسية ان لديهم قوة مادية تضارع قوة الدول الكبرى وتمارح أعظمها جبروتاً وكبراً ، وليست الحرب الطرابلسية وحدها هي التي كانت مظهر بطاش السنوسيين بل سبقت لهم حروب مع الفرنسيين في مملكة كانم ومملكة واداي من السودان استمرت من سنة ١٣١٩ الى سنة ١٣٣٢ هجرية ، وحديثي السيد أحمد الشريف ان عمه المهدي ، كان عنده مخزون بدقية خاصة به ، وكان يتأهدها بالمسح والتنظيف بيده ، لا يرضى ان يمسحها له أحد من أتباعه الممدودين بالثبات ، قصدا وعمدا ليقتدي به الناس ويحتفلوا بأمر الجهاد ، وعدته وعقاده . وكان نهار الجمعة يوما خاصا بالتمرنات الحربية ، من طراد ورماية ، وما أشبه ذلك . فكان يجلس السيد في مرقب عال ، والفرسان تنقسم صفين ، ويبدأ الطراد ، فلا ينتهي الا في آخر النهار . وأحيانا يضعون هدفاً ، وبأخذون بالرماية حتى كنت ترى طلبة العلم والمريدين أكثرهم فرساً ورماة ، لكثرة ما كان يأخذهم بهذا المرن . وكان يجيز الذين يسبقون في الطراد أو يقرطسون في الرمي بجوائز ذات قيمة ، ترغيباً لهم في فضائل الحرب . كما انه كان يوم الخميس من كل أسبوع خصصاً عندهم لشغل بالابدي ، فيتركون في ذلك اليوم الدروس كلها ، ويشتهون بأنواع المهن من بناء ، ونجارة ، وحداثة ، ونساجة ، وصناعة ، وغير ذلك ، لا نجد منهم ذلك اليوم الا طاملا بيده . والسيد المهدي نفسه يعمل بيده لا يفتخر حتى يفيه فيهم روح النشاط للعمل . وكان السيد المهدي ، وأبوه من قبله ، يمتان جد الاهتمام بالزراعة ، والفرس . تستدل على ذلك من الروايات التي شادوها ، والجنان التي نسقوها بجوارها ، فلا نجد زاوية الا لها يسنان أو بساتين ، وكانوا يستجلبون اصناف الاشجار الغريبة الى بلادهم من اقاصي البلدان ، وقد أدخلوا في الكفرة وجنوب زراعات واغراساً لم يكن لأحد هناك عهد بها . وكان بعض الطلبة يلتمسون من السيد محمد السنوسي ان يعلمهم الكيمياء فيقول لهم : « الكيمياء تحت سكة المحراث » . وأحيانا يقول لهم : « الكيمياء هي كد الجبن وعرق الجبين » . وكان يشوق الطلبة والمريدين الى القيام على الحرف والصناعات ، ويقول لهم جلاً لطيب خواطرهم ، وتزيد رغبتهم في حرفهم ، حتى لا يزدروا بها أو يظنوا ان طبقتهم هي أدنى من طبقة العلماء ، فكان يقول لهم : « يكفيكم من الدين حسن النية ، والقيام بالفرائض الشرعية ، وليس غيركم بأفضل منكم » . وأحيانا يدمج نفسه بين أهل الحرف ، ويقول لهم وهو يشغل منهم : « بطن أهل الاوريقات والبيجات انهم يسبقوننا عند الله لا والله ما يسبقوننا » . يريد بأهل الاوريقات العلماء وأهل البيجات العاديين والفقائين . فكأنه يريد ان يقول للمحترفين والصناع لا تظنوا انكم دون العلماء والزهاد مقاماً ، بمجرد كونكم صناعاً وحرفاً ، وكونهم هم علماء وقراء . هكذا ليزيدهم رغبة وشوقاً ، ويصل الناس حرمة الصناعة التي لا مدنية الا بها .

هذه الفرقة فرقة عملية لا تسند على مجرد التلاوة والذكر دون العمل والسير . فهي تجمع بين العمل الفرعي بمخدا فريد ، والتجرد الصوفي الى أقصى درجاته ، وتظام بين الظاهر والباطن ، نظاماً لم يوفق اليه غيرها . ويظهر ان مؤسسي هذه الطريقة السيد محمد بن علي بن السنوسي ،



ولا شيء أدل على هذه النهضة ، الإسلامية الحديثة الكبرى ، من هذه اليقظة الروحانية الدينية التبشيرية ، الناشئة والمنشرة خلال المئة السنة الأخيرة

ووليه السيد المهدي ، والسيد الشريف ، وكبار أئمتهم مثل سيدي أحمد الربيعي ، وسيدي صرمان بن بركة ، وسيدي أحمد التواتي ، وسيدي عبد الرحيم بن أحمد ، وسيدي عبد الله السني ، وسيدي أبي القاسم الميساوي ، وغيرهم كانوا على اخلاق عظيمة ، ومدارك سامية ، تدل عليها أقوالهم وأفعالهم . حدثني سيدي أحمد الشريف أن عمه الأستاذ المهدي كان يقول له : « لا تحقرن أحدا ، لا مسلما ولا نصرانيا ولا يهوديا ولا كافرا ، لأنه يكون في نفسه عند الله أفضل منك . إذ أنت لا تدري ماذا تكون خاتمة . » وبمثل هذه الآداب كانوا يأخذون أولادهم ومريدتهم ، فكان من هؤلاء انطاب وابطال ، يشجل النار بذكرهم . وواسطة مقدمهم اليوم هو السيد أحمد الشريف الذي نحن في ترجمته .

وقد ذرف السيد المشار اليه على الحسين ولكن هيئته لاتدل على وصوله الى هذه السن ، لدورة الشباب في شعره ، وهو رائع المنظر ، يهي الظلمة ، عيل الجسم ، قوي البنية ، لا يمكن ان يراه أحد بدون ان يحله ويحترمه .

بقي علينا شيء لابد من الاشارة اليه وهو ان الذين يقرأون هذه السيرة من الناشئة الجديدة يرون فيها ما لا يوافق مشربهم ، من النول بالولايات والكرامات ، والاعتقاد بالكشف ، وبما فوق الطبيعة ، مما يرونه حديثا ماضيا ، لا يليق بالنزعة المعاصرة التي ينبغي ان تكون مبنية على محض الحقائق الفنية . وقبلما ينظم في أمين هذه الناشئة رجل بنطوي على هذه العنائد ، مهما كان عظيما . بل قصارى ما هناك انهم يحترمونه لحسن نيته وخلص اعتقاده لا غير .

وانني أحب أن أجاب هذه الطبقة التي قد توجب مثل هذا الاعتقاد الى هذا المقام بأن العالم للتمدن لا يزال حتى هذه الساعة منقسم الى فريقين : روحي ومادي ، وان الفريق الروحي هو أكبر جدا وأخصى عددا من الفريق المادي ، بل يوجد في أوروبا وأميركا واليابان عدد لا يحصى من فعول علماء الطبيعة ، ينتقدون بوجود العالم الروحي ، وآخرون يترقبون بأن مشكل الروح لم يحل بعد ولا اكنه سر الروح واتصالها بالجسد أحد . واذا رأينا أناسا مثل فلاماريون الفلكي الشهير وفيكتور هوغو أكبر شعراء الفرنسيين ، وسواهما من صياغة العلماء ، ينتقدون باستحضار الارواح ويشهدون بوقوع الحوادث بينهم وبين السموات ، وهرضا أن جميعات لا تمد ولا تحصى في أوروبا مؤلفة خاصة للمباحث الروحية ، وإثبات الحوادث التي لا تدل الا بوجود شيء وراء المادة ، لم يحق لنا أن ننجب من اعتقاد بعض العظماء بالخوارق والكرامات والمناصب الروحية . واذا علمنا أن رجالا مثل باستور بمكانه من العلم والاكتشافات الكيميائية التي لم يسبق اليها أحد ورجالا مثل غلادستون في الشهرة ، ويتوقد الله من أشد الناس تمسكا بالدين ومن المؤمنين بأن السيد المسيح اله وانسان مائا ، ظهر لنا أن الاتحاد الثام أو الرقش للاعتقاد بكل ما هو خارج عن المادة ، ليسا بشرط في علو درجة العقل ، ولا بدليل على التبحر في العلم . وما أوتيتهم من العلم الا قليلا . (ش)

ولا غرابة في ذلك فقد كان الاسلام على الدوام دين هداية الناس واخراجهم من ظلمات الشرك الى نور التوحيد . هذا التاريخ شاهد حق على ما قام به المبشرون المسلمون في أول عهد الاسلام من الاعمال الجليلة التي لم يقم بمنزلها غيرهم من المبشرين . ولا تنسى ان روح التبشير وانشر الدعوة في سبيل الرسالة لم ترح حية على الدوام ، على الخطا المالك الاسلامية وتدليها . فلذلك ما انتك الاسلام طيلة القرون الوسطى ينتشر في الهند والصين<sup>(١)</sup> ، وبينما كانت الرسالة المحمدية تنتشر في باقي تلك الاصقاع ، كان النرك ينتشرونها ويرفون اعلامها في شبه جزيرة البلقان . وبين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ، كان المبشرون المسلمون يفتحون بلاد غربي افريقية<sup>(٢)</sup> ، وجزائر الهند الهولندية ، وجزائر الفيليبين ، فتجاً دينياً مبدئياً . غير انه في القرن الثامن عشر ، أمضى العالم الاسلامي مرتدياً رداء الخزل ، فغمرت وبردت حرارة المبشرين المسلمين ، وسكنت تلك الروح النائرة الجوابية .

ولبت الاسلام هكذا ، حتى تبشير اليقظة الحديثة ، فمادت تلك الشرارات السكامة في الرماد تستطير ، وما هي الا فترة يسيرة حتى اشتعلت نار التبشير ثانياً ، فأخذ الاسلام يحوز حدوده وينت في كل صقع من اصقاع العالم الاسلامي ما عدا أوروبا . وعند اعتبار شأن انتشار الاسلام هذا الانتشار ، يجب ان نعلم العلم اليقين ان كل مسلم هو بغريته وفطرته مبشر بدينه ، فامر له بين الشعوب غير المسلمة ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، وعلى ذلك ان نشر الرسالة المحمدية لم يقم به رجال التبشير وحدهم ولا قصر الامر عليهم دون سواهم ، هكذا ، بل شاركهم فيه جماعات عديدة من السباح والتجار والحجاج ، على اختلاف الاجناس . ولا يؤخذ من هذا انه لم يقم في المسلمين مبشرون ارتفعوا كؤوس الحما في سبيل الدعوة الاسلامية ، فعدد المبشرين الذين هم

(١) اقرأ التعليق الوارد في آخر هذا الفصل على الاسلام في الصين - « المغرب »

(٢) اقرأ التعليق الوارد في آخر هذا الفصل على الاسلام في افريقية - « المغرب »



على هذا الطراز كثير ، وذلك ظاهر بين في أمر الطرق الدينية مما لا يحتاج الى برهان ، بل أي دليل أقطع من المبشرين السنوسيين ، الحسن الغير ، الذين خرجتهم زوايا الصحراء وهم يعدون بالالوف المؤلفة ، وما اتفكوا بجوبون كل بلاد وثنية مبشرين بالوحدانية ، داعين الى الاسلام . وهذه الاعمال التي قام بها المبشرون المسلمون في غربي افريقية واوسطها خلال القرن التاسع عشر الى اليوم لعجيبه من المعجائب الكبرى ، وقد اعترف عدد كبير من الغربيين بهذا الأمر ، فقد قال أحد الانكليز في هذا الصدد منذ عشرين سنة : « ان الاسلام ليفوز في اواسط افريقية فوزاً عظيماً ، حيث الوثنية تختفي من امامه اختفاء الظلام من فلق الصباح ، وحيث الدعوة النصرانية باتت كأنها خرافة من الخرافات » . وقال مبشر بروستنتي فرنسي : « ما برح الاسلام يسير بالقدمية منذ نشوئه حتى اليوم ، فلم يعثر في سبيله الا القليل ، وما زال يسير في جهات الأرض حتى بلغ قلب افريقية مذلاً اشق المصاعب ومجتازاً أشد المصاعب ، غير واهن العزم . فالاسلام حقاً لا يرهب في سبيله شيئاً ، وهو لا ينظر الى النصرانية ، منازعته الشديدة ، نظرة المقت والازدراء ، فلهذا هو حقيق بالظفر والنصر ، اذ بينما كان النصارى يحملون بفتح افريقية في نومهم ، فتح المسلمون جميع بقاع القارة في يفتفتهم <sup>(١)</sup> »

واما السبيل الذي يسير فيه الاسلام جنوباً في افريقية فهو من الرائع الغريب . منذ عدة سنوات عثرت الحكومة الانكليزية ، على غير ما توقع ، على ان المبشرين المسلمين يخترقون « نياسلندة » دعاة الى الرسالة المحمدية ، وبعد البحث والاستقصاء واذكاء العيون ، وجدت تلك الحكومة ان المبشرين انما هم من عرب زنجبار ، قد بدأوا حملهم هذا منذ سنة ١٩٠٠ ،

(١) الاملاخ على مجاهد التبشير الاسلامي في افريقية اقرأ : —

ج . بونه موري - كتابه « الاسلام والنصرانية في افريقية » ( باريس ١٩٠٦ )  
G. Bonet Maury. " L' Islamisme et le christianisme en Afrique »

وانه بعد مضي عقد من السنين على شروعه في جهاد التبشير ، كانت كل قرية في جنوب « نياسلندة » قد اسلمت وفيها مسجد ومدرسة اسلامية ومعلمون مسلمون . ومع ان هذه الدعوة كانت ، كما هو ظاهر من أمرها ، وسيلة شديدة لتضعف سلطة المستعمرين وسيطرتهم ، فلم تجسر الحكومة الانكليزية على مقاومتها خيفة ازدياد انتشارها في الاقطار الأخرى . ويقول بعض المفكرين الغربيين في هذا العصر ، انه لن يمضي مدة طويلة منذ اليوم حتى يرى الاسلام قد اجتاز « زمباري » وانتشر في جنوب افريقية انتشاراً عاماً ، فيطبق القارة بأسرها .

وليس ظفر الاسلام في افريقية مقصوراً على الوثنية الخشب ، بل على النصرانية الافريقية كذلك ، اذ ترى الآن الذين تنصروا في غرب افريقية على يد المبشرين الفرنجة يتناقضون عدداً تناقضاً فاحشاً ، وذلك لارتداد غالبهم عن النصرانية ودخولهم في الاسلام . زد على ذلك ان النصرانية في الحبشة ، انما باتت في خطر شديد من جراء سيول الاسلام الطامية ، من بعد ما كانت فيما مضى سداً منيعاً في وجه الاسلام . والغريب في هذا كل الغراب ان الأحباش أنفسهم غدوا اليوم يدخلون في الاسلام افواجا متلاحقة ، لا على يد فتوح حربية بل فتوح سلمية دينية . وقد قال أحد الثقات الغربيين حديثاً : « منذ خمسين الى ستين سنة خلت ، كنت ترى قبائل الأحباش العديدة ، لا يكاد يرى فيها مسلم واحد ، أما اليوم فغالب هذه القبائل هم مسلمون مؤمنون بالرسالة المحمدية . »

وربما كان ظفر الاسلام في افريقية اليوم اعظم ظفر لاقام المبشرون المسلمون حديثاً ، بيد ان هذا ليس جميع الظفر الاسلامي بل هناك غيره مثله في سائر انحاء العالم . وقد أتينا في الفصل السابق من هذا الكتاب على ذكر حركة الاحرار السياسية في بلاد التر الروسية ، بحيث بقي علينا الكلام على النهضة الدينية المعجبة التي رافقت تلك اليقظة التنرية . كان التر ما برحوا منذ عهد



بعيد في الحكم الروسي ، وقد جهدت الكنيسة الارثوذكسية الروسية أعظم الجهد لتنصيرهم ، فادركت في بعض المواضع بعض النجاح الذي لا يذكر ، غير انه لما انتشرت البقعة الاسلامية العامة ، ووصل ما وصل منها الى بلاد التتر في أوائل القرن التاسع عشر ، هب التتر للحال يستردون اخوانهم المنتصرين الى الاسلام ، فلم يمس غير اليسير من الزمن حتى عاد جميع هؤلاء فانتحلوا دين الرسالة ، على جميع ما بذلته الكنيسة الارثوذكسية من العناية الاشق ، ولجأت اليه من مختلف الذرائع والوسائل ، لتحول دون ذلك ، فلم تلق شيئاً من النجاح ، بالرغم مما اتخذته الحكومة الروسية من أحكام الجزاء والعقاب ، ووسائل القهر والاكرام <sup>(١)</sup> . على ان المبشرين المسلمين التتر لم يقصروا أمرهم على هذا ، بل شرعوا في نشر الاسلام في القبائل التركية الفنلندية الأمية ، المقيمة في الشمال من بلاد التتر ، غير مباليين بمقاومة حكام الروس لهم ولو لاقوا من وراء ذلك من الهول ما لاقوا .

وكانت النهضة الاسلامية في الصين عجيبة لا مثيل لها ، فيقتضي الحال ان نبسط كلمة في شأنها . كان بلوغ الاسلام الصين منذ عهد بعيد ، على يد التجار العرب وكتائب جنود عربية مرزقة . فصار على توالي الايام يختلط العرب الغريباء بالصينيين تزاوجاً وتعاوناً في أمر المعاش وغير ذلك ، بيد انه على جميع هذه القرون التي كرت حتى اليوم ، لم يرح المسلمون الصينيون يتميزون عن سواهم تميزاً حافضاً لأنسابهم العربية التي يختلفون بها ميولاً واخلاقاً عن عامة الصينيين اختلافاً بعيداً ، وهم أبداً يدعون لنفوسهم مبزة الشرف والعلو على غيرهم من السكان ، اما موطنهم ففي مقاطعات « ينان » الجنوبية وما يليها من المقاطعات الداخلية ، وهناك بلاد مسلمة في الصين غير هذه ، هي بلاد تركستان الشرقية التي فتحها الصين في القرن الثامن عشر ، وأهلها مسلمون

(١) انظر التاليف الوارد في آخر هذا الفصل على المسلمين في بلاد الروسية في عهد

متسللون نسباً من العروق التركية القديمة. وقد ظلّ المسلمون الصينيون جميعاً على اختلاف اجناسهم يعاملون معاملة الحسنى والرفق ، حتى العهد الأخير ، اذ طفقوا يشمخون بانوفهم نفراً وكبرياء ، فأفاق ذلك الحكومة الصينية ، فانقلبت عن الاحسان الى الاساءة اليهم واضطهادهم . لكن لما أخذت اليقظة الاسلامية العامة تجوب آفاق العالم الاسلامي بانتشارها المطبق في القرن التاسع عشر ، فبلغت الصين كما بلغت غيرها ، هب المسلمون الصينيون هبة النعر ، فهاجت فيهم النعرة الدينية الاسلامية ، فأخذوا يوقدون الثورة تلو الاخرى ، حتى كانت الثورة الكبرى المشبوبة نارها سنة ١٨٧٠ في « ينان » وتركستان الشرقية ، فأظهر هؤلاء المسلمون من شدة الاستقبال والمغامرة في القتال ما لم يسمع بمثله من قبل . وقام في تركستان زعيم كبير ، وقائد مجرب ، هو يعقوب بك ، فاستطاع هذا الزعيم المقدام ان يجعل تركستان و « ينان » بلاداً مستقلة استقلالاً محلياً السباج عدة سنوات ، فكان يجذب الى الكثير من رجال الدهن في الغرب عهدئذ ، ان الثوار المتحدون جميعاً اتحاداً منيعاً وثيقاً ، ومنشئون دولة اسلامية ثابتة الاركان في الصين الغربية ، ثم شارعون يفتحون المملكة الصينية رقعة رقعة . وقد اشتهر يعقوب بك اشتهاراً بعيداً ، فذاع اسمه وذكره في جميع العالم الاسلامي . وقد أعجب به السلطان العثماني وعظم بأسه وحسنه ، فأنعم عليه بلقب « أمير المؤمنين » في تلك الديار . وبعد ان طال القتال شديداً عدة سنوات وكثر وقوع المذابح الطائلة ، استطاعت الحكومة الصينية ان تخضع شوكة الثائرين ، ولكن بعد ان جلت خسائر المسلمين في النفوس ، اذ ما برحوا حتى اليوم في قوتهم دون ما كانوا عليه من قبل . واما من حيث حالتهم الروحانية والأدبية فما زالوا يشتملون في نفوسهم على صفات ومزايا من اباة الضيم وغياف الذل ، فلما اشتمل على مثلها سواهم . واما عددهم اليوم فيبلغ أكثر من ١٠,٠٠٠,٠٠٠ . وعلى هذا يجب ألا يند عن البال ان المسلمين في الصين بالغون من الشأن في عالم اسلام الغد مبلغاً عظيماً وصارون



الى شأن كبير .

ولو شدنا التوسع في الكلام على النهضة الاسلامية العامة حتى يتناول جميع فروعها في القرن الماضي ، لاستغرق ذلك الاسفار الضخام ، ففي الهند ما برح الاسلام ينتشر انتشاراً متوالياً ، وكذلك في جزائر الهند الهولندية . اما الدول الغربية الاستعمارية فانها لا تستطيع غير ان تدع هذا الانتشار الاسلامي وشأنه ، دون ان تحاول الوقوف في وجهه أو صد تياره ، والسبب في ذلك ان المسلم اليوم قد ألفت الانتفاع من المستحدثات الغربية كالقطر الحديدية والبريد والمطابع في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، وفي ذلك من المنافع الاقتصادية التي تجتنيها هذه الدول مما لا يخفى على أحد .

واذ بلغنا الى هذا الموضع في الكلام على الأسس الاول للجامعة الاسلامية ، ننقل الكلام على الأسس الآخر ، وهو الدعوة الكبرى التي قام بها جمال الدين الافغاني وقد عرفت به من بعده .

ولد السيد جمال الدين الافغاني في مطلع القرن التاسع عشر في « أسد آباد » بالقرب من همدان في بلاد فارس . وهو أفغاني الأرومة لا فارسي ، يتحدر نسباً ، كما يدل لقب سيادته على هذا ، من العترة النبوية الطاهرة ، ويحجري في عروقه الدم العربي البحت الكريم .

كان جمال الدين سيد النابغين الحكماء ، وأمير الخطباء البلغاء ، وداهية من أعظم الدهاء ، دامغ الحجة ، قاطع البرهان ، ثبت الجنان ، متوقد العزم ، شديد المهابة ، كائن في ناسوته اسرار المغنطيسية . فلهذا كان المتماح الذي نهجه عظيماً . وكانت سيرته كبيرة ، فبلغ من علو المنزلة في المسلمين ما قل أن يبلغ مثله سواه . وكان سائحاً جواً ، طاف العالم الاسلامي قطراً قطراً ، وجال غربي أوروبا بلداً بلداً ، فاكتسب من هذه السياحات الكبرى ، ومن الاطلاع العميق والتبحر الواسع في سير العالم والأمم ، علماً راسخاً ، واكتنه امراً خفية ، واستبطن غوامض كثيرة ، فأعانه ذلك عوناً كبيراً على القيام بمجلائل

الأعمال التي قام بها . وكان جمال الدين يعامل سجيته وطبعه وخلقه ، داعياً مسلماً كبيراً ، فكأنه على وفور استعدادده ومواهبه انما خلقه الله في المسلمين لنشر الدعوة لحسب ، فانقادت له نفوسهم ، وطافت متعاقدة من حوله قلوبهم ، فليس هناك من قطر من الاقطار الاسلامية وطئت أرضه قدما جمال الدين الا وكانت فيه ثورة فكرية اجتماعية ، لا تحب نارها ولا يتبدد أوارها . وكان يختلف عن السنوسي منهاجاً ، فبالانكباب على السياسية وشؤونها ، وذلك على علوم الدين وترقيتها . غير أن السيد جمال الدين الافغاني كان أول مسلم أيقن بخطر السيطرة الغربية المنتشرة في الشرق الاسلامي ، وتمثل عواقبها فيما اذا طال عهدها وامتدت حياتها ، ورسخت في تربة الشرق ، وأدرك شؤم المستقبل وما سينزل بساحة الاسلام والمسلمين من النائية الكبرى ، اذا لبث الشرق الاسلامي على حال مثل حاله التي كان عليها . فهب جمال يضحي نفسه ويفني حياته في سبيل ايقاظ العالم الاسلامي ، وإبذاره بسوء العقبي ، ويدعوه الى اعداد ذرائع الدفاع لساعة يصبح فيها النفير . فلما اشتهر شأن جمال خشيت الحكومات الاستعمارية أمره وحسبت له ألف حساب ، فنفته بحجة أنه هائج المسلمين ، ولم تخف دولة جبالا وتضطهده مثل ما خافته واضطهده الدولة البريطانية ، فسجنته في الهند مدة ، ثم أطلقت سراحه فجاء الى مصر حوالي سنة ١٨٨٠ وكانت له يد في الثورة العرابية التي أوقدت نارها في وجه الغربيين ، فلما احتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ تقوا جبالاً للحال ، فزایل مصر وأندأ يسبح في مختلف البلدان حتى وصل الى القسطنطينية ، فتلقاه عبد الحميد بطل الجامعة الاسلامية بالبرية والكرامه ، وقربه منه ورفع منزلته ، فسحر جمال السلطان الداهية بتوقد ذكائه ونفسه الكبيرة فقلده السلطان رياسه العمل في سبيل الدعوة للجامعة الاسلامية . ويقلب أن ماناله السلطان عبد الحميد من النجاح في سياسته في سبيل الجامعة الاسلامية ، انما كان على يد جمال الدين المتوقد الهمة المشتعل العزم . والتحق جمال الدين



بالرفيق الأعلى سنة ١٨٩٦ شيخاً وعاملاً كبيراً في سبيل النهضة الاسلامية حتى النفس الاخير من أنفاسه .

وهالك ملخص تعاليم جمال الدين : —

« العالم النصراني ، على اختلاف أممه وشعوبه عرقاً وجنسية ، هو عدو مقاوم مناهض للشرق على العموم والاسلام على الخصوص . لجميع الدول النصرانية متحدة معاً على ذلك الممالك الاسلامية ما استطاعت الى ذلك سبيلاً . الروح الصليبية لم تبرح كامنة في صدور النصارى ككون النار في الرماد ، وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة في قلوبهم حتى اليوم ، كما كانت في قلب بطرس الناسك من قبل . فالنصرانية لم يزل التعصب مستقراً في عناصرها ، متغلغلاً في أحداثها ، ومنتشياً في كل عرق من عروقها ، وهي أبداً نافذة الى الاسلام نظرة العداء ، والحقد ، والتعصب الديني الممقوت <sup>(١)</sup> . وحقيقة هذا الامر ونتيجته واقعتان في كثير من الشؤون الخطيرة والمواضع الكبرى ، حيث القوانين والشرائع الدولية لم تعامل فيها الامم الاسلامية مستوية مع الأمم النصرانية .

« تحتل الدول النصرانية اعداءاً لها في كرتها وهجومها وعدوانها على الممالك الاسلامية واذلالها واكراهها ، بقولها ان الممالك الاسلامية هذه انما هي من الانحطاط والتدلي بحيث لا تستطيع أن تكون قوامة على شؤون نفسها بنفسها . وفوق جميع هذا فهذه الدول النصرانية عينها لم تقنأ بعمل هذا من ناحية ، وتندرع بالوف الشرائع من نواح أخرى ، حتى بالحرب والحديد والنار ، للقضاء على كل حركة حاولها المسلمون في بلادهم وديارهم في سبيل الاصلاح والنهضة .

« جميع الشعوب النصرانية مجمعة متفقة على عداء الاسلام ، وروح هذا

(١) اقرأ الفيلبي الخطير الشأن ، الوارد في آخر هذا الفصل رداً على مقالة « الاسلام والجنود السوداء » كتبها روجر لوبون في « مجلة باريس » عدد ابريل ١٩٢٣ - « المغرب »

العداء متمثلة بمجهود جميع هذه الشعوب جهداً خفياً مستتراً متوالياً لسحق الاسلام سحقاً .

« تأخذ النصرانية شوائع كل مسلم وآماله ورغباته التي تجول في صدره ثم تغنلها بصور الهزء والسخرية والعبث والازدراء . فان ما يدعوه الفرنجة عندنا في الشرق تعصباً مذموماً محرماً ، هو عندهم في بلادهم وأوطانهم العصبية الجفسية المباركة والقومية المقدسة ، والوطنية المعبودة ، وان ما يدعونه عندهم في الغرب ابادة النفس ، والشعم ، والشرف الوطني ، والعزة القومية ، يعدونه في الشرق غلواً مكروهاً ، واغترافاً في حب الوطن ضاراً ، ومقتاً وشناً الاجنبي الغربي »<sup>(١)</sup>

« جميع هذا يوضح أن العالم الاسلامي يجب عليه أن يتحد اتحاداً دفاعياً طاماً ، مستمسك الاطراف وثيق العرى ، ليستطيع بذلك الديار عن كيانه ووقاية نفسه من القضاء المقبل ، وللوصول الى هذه الغاية الكبرى انما يجب عليه اكتناء اسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه وقدرته »<sup>(٢)</sup>

هذه دعوة جمال الدين على الايجاز ، التي أفتى حياته في سبيل نشرها بالبلاغة الساحرة والحجج الدامغة ، فكانت كالنيث الجود أصاب التربة الجدياء . ولا عجب أن يكون جمال الدين ذلك الرجل الموقظ الكبير ، وتكون كل نسمة

(١) منقول من مقال بتوقيع « X » موسوم بـ « الجامعة الاسلامية والجامعة التركية » نشر في مجلة « العالم الاسلامي » مارس ١٩١٣ ويقول كاتبه انه قد استفاد من مسلم ثمة كبير المنزلة والشأن .

"X" = Le Pan - Islamisme et la pan - Turquisme - Revue du Monde musulman.

ومن أراد التوسع في الاطلاع على أعمال جمال الدين فليذهب الى كتاب « العصبية الجفسية الاسلامية » لسرفيه .

(٢) اقرأ التعليق الوارد في آخر هذا الفصل على السيد جمال الدين الافغانى حكيم الشرق . ( المغرب )



تفخها في المسلمين عاصفة زرعاً ، وقد بات اعتداء الدول الفرنجية وعدوانها وبنيها منتشراً في كل قطر من أقطار العالم الاسلامي ، فتفاقم الخطب واشتد البلاء . على أن جمالا ما كان يقوم بجميع هذا وحده ، بل كان غيره أيضاً من قادة المسلمين لم يرحلوا منذ منتصف القرن التاسع عشر يبنون الدعوة في سبيل الجامعة الاسلامية ، وأحد هؤلاء الدعاة العظام هو عالي باشا التركي الكبير ، الذي يؤر عنه قوله : « ما يحتاج اليه المسلمون الاحتياج الأشد إنما هو ازدياد النعمة الدينية فيهم ، لا تناقصها فاضمحلالها » . وقد أثر هذا القول عنه ارمينيوس قامبيري ، المستشرق الهنغاري الكبير ، والعلامة المشهور ، وذلك بعيد حرب القريم ، وكان هو قد شهد بنفسه مجلأ من مجالس الجامعة الاسلامية في منزل عالي باشا ، حضره رسل ووفود ونواب من جميع أقطار العالم الاسلامي .

على مثل هذه الاسس بنى السلطان عبد الحميد بناء الجامعة الاسلامية وشيد أركانها ، وأضاف اليها كل مطمع بعيد وغاية جليلة . فعبد الحميد في الواقع دامية من أعظم دهاة العصر الحديث ، وسياسي في منتهى الحداثة ، غير انه على كل هذا كان ذا أطوار خلقية عجيبة تقضي به وسوسه أحياناً الى حد التعم .

فقد اختلط الخطط الكبرى لتحقيق مشروعاته العظمى ، ثم طفق يسعى وراء ذلك بمتنوع الوسائل سعيّاً وان كان قائماً معظمه على شدة الخدق والدهاء فانه لم يخل في بعض المواضع من ضروب العبث وكان ساعطاً مستبدّاً طبعاً وسجية ، فظن السوء بهالة ، مولعاً بأن تكون صفات الشؤوق وعظائمها معلقة على ارادته النافذة . وفوق جميع هذا ، فقد كثر من حوله الوشاة والمداهنون الذين وقفوا على مبروته وعرفوا مشربه ، فعملوا بحسنون له اهواءه ويجارونه مع محض رغباته .

وكان ارتفاعه الى العرش سنة ١٨٧٦ في آن شديد عصب ، فقد كانت

الدولة على ابواب الحرب العثمانية الروسية ، وكانت الحكومة في ايدي عصبة من الساسة يسمون سعي المصلحين في تجديدها على الطراز الحديث ، والنهج بها على المناهج السياسية الدستورية الغربية . فلما أخذ عبد الحميد بأزمة الأمور نقض جميع ذلك نقضاً ، واهتبل ساحة تضعف الدولة عند الخروج من الحرب الروسية ، فالتى مجلس النواب وجعل نفسه السلطان المطلق لانه لو يده يد ، له الأمر والنهي وحده . ولما استوثق له الأمر ، شرع يقوم بسياسة الخاصة التي نحا بها منذ أول الأمر منحى الجامعة الاسلامية .<sup>(١)</sup> فبعد عزمه على أمر لم يعقد عزمه على مثله أحد من اسلافه الاقربين ، وهو التذرع بالخلافة لبلوغ اغراض سياسية عظيمة ، واذا أبان للملا كفة ، انه فوق كونه سلطان الدولة العثمانية ورئيسها السياسي الوحيد ، فهو الخليفة الديني للمسلمين أجمعين ، أخذ يستصرخ الأمم الاسلامية في كل رقعة من رقاع العالم الاسلامي لتمديد العون اليه ، وتشد أزره بالالتفاف من حوله ، قاصداً بذلك قذف الرعب في روع الدول الغربية التي خالها ربما كانت تأتمر فيما بينها وتتشاور ، وتتخذ الوسائل وتقوم بالتدابير ، لالتقاض على المملكة العثمانية . وكان منذ عهد بعيد يدبر أمر نشر الدعوة للجامعة الاسلامية تديراً نائياً المضطرب واسع النطاق ، غالبه بالوسائل الخفية الهائلة . ففقدت القسطنطينية مكة ثانية ، يلوذ بها جميع ذادة الاسلام المشتهرين باعمال المقاومة للدول الغربية ، مثل جمال الدين وانداده<sup>(٢)</sup> ، ومن القسطنطينية صارت توفد الوفود

(١) كان الكاتب الفرنسي الشهور غبريال شارم أول من استشف سياسة عبد الحميد وذايته ومقصده في الدعوة للجامعة الاسلامية ، فجاء بنشر النصول الممتدة في هذا الصدد منذ سنة ١٨٨٦ . وفي سنة ١٨٨٣ وضع كتابه « مستقبل تركيا والجامعة الاسلامية » اودع فيه جميع ما رجم بالغيب .

Gabriel Charms - L'avenir de la Turquie - Le Pan Islamisme .

(٢) جمع السلطان اليه كثيرين من سعي العرب وزعمائهم ، ومشايخ الطرق فيهم ، من الحجاز ، والشام ، والعراق ، والحجاز ، واليمن ، ومصر ، وطرابلس ، وبنس ، والقرب ،



وتنفذ الرسل جماعات دراكا الى جميع الاقطار الاسلامية، حاملة رسالة الخليفة،  
الا وهي رسالة الامل المحقق في النجاة من خطر حكم الفرنجة الكافرين .

وفلت دعوة عبد الحميد للجامعة الاسلامية تسير سيراً متواليامدة تقرب  
من ثلاثين سنة . غير انه لمن الصعب الشديد ان يستطاع تحديد المفعول الذي  
كان لهذه الدعوة الكبرى تحديداً بيناً ، والسبب الاكبر في ذلك هو انه لما  
حدثت ثورة « تركية الفتاة » سنة ١٩٠٨ ، وخلع عبد الحميد توقف مجرى  
الدعوة للجامعة الاسلامية وقرر سيرها في المتجه الذي كانت تسير فيه . زد على  
ذلك ان تركية على عهد عبد الحميد لم تخض غمار حرب بينها وبين دولة غربية  
من الدول الكبرى ، لهذا يتمتع الوقوف وقوفاً صحيحاً على مبلغ ما كانت  
عليه الامم الاسلامية من الاستعداد والاهبة لاجابة تغير الجهاد . على ان  
عبد الحميد قد أفلح حقاً في حمل امراء المسلمين وقادتهم على الاعتراف بسلطته  
الروحانية، فولوا وجوههم شطره وحسبوه قبة آمال العالم الاسلامي، وقدسوا  
مقامه تقديساً ، وغدا العطاء والكبراء يتقاطرون الى فروق من كل فج من  
اخراج العالم الاسلامي لمبايعة الخليفة الاعظم امير المؤمنين وحامي بيضة الاسلام،  
الذي مملكته مملكة حصن الاسلام والمسلمين . ولم يستطع عبد الحميد مع  
كل هذا ان يستميل اليه قائداً كبيراً من قادة العالم الاسلامي أعني به السيد  
السنوسي ، الذي كان يخامر قلبه الريب في مقاصد السلطان واغراضه البعيدة ،

وآخرين من زعماء الأكراد ، وآخرين من زعماء الارمناء ووط ، لا لزوم لسميتهم ، وأقرهم  
في الاستانة ، وأجبر عليهم الأكراد ان كانوا معروف . قال في أثناء الحرب كبير أولاده الامير  
محمد سليم افندي : « فان الارمناء ووط في يد والذي يهدد بهم أوستريا وجميع دول البلقان » كما  
انه كان يهدد بخيلة الأكراد الروسية بمقتلها كلها ، فحسب الآليات الحميدية حساساً . وكان  
يهدد بالمرء الدولة الغربية بأسرها ، فظن هذه الدول أنه بالمرء بخلف لها مشكلات لا تقهر .  
فلا أن أصبحت ، والارمناء ووط قد خرجوا من السطوة بعد قتال شديد معنا . والاكراد بدل  
أن يجاهدوا أمام الدولة في الروس ، صار يلزمنا أن نسوق المسافر لثقلهم حينما عساكرنا  
هي في مواجهة كبرى مع الروس . وأما العرب فبعد أن كانوا عدونا وسلاحنا لأتومة الدول  
الغربية ، انقلبوا حوفاً للدول الغربية علينا . « انتهى » ومراده بذلك انقاذ سياسة تركيا في  
السنين الأخيرة . (ش)

وكذلك كان الاحرار في كل مكان يعرضون عن نصرة السلطان لاستبداده الشديد . وعلى الجلة فانه ليس باليسير أن يتيقن هل كانت الامم الاسلامية متأهبة لتلبية دعوة السلطان عبد الحميد للقيام بالجهاد الاسلامي المقدس ، فيما لو كان دعاها يوماً الى ذلك .

وفوق جميع هذا فقد استطاع عبد الحميد أن ينشر الدعوة في سبيل الجامعة الاسلامية الكبرى في اوسع آفاقها ، ويحيي الشعور بالوحدة العامة والتضامن المستمسك بعضه ببعض ، في جميع الامم الاسلامية ، احياء نشيطاً . ولم يكن يساعده على ذلك كونه خليفة الاسلام لحسب ، بل ما كان يبسطه ويبينه من جميع ما تكنه وتظهره الدول القريبة من انواع العداء ، والمقت للمسلمين والتعامل عليهم . هذا هو السبب الاكبر في أن الدعوة التي انشأها ودبرها عبد الحميد في سبيل الجامعة الاسلامية كان لها من التأثير الشديد في نفوس المسلمين ما برح يزداد ويضمو .

فلما حدثت ثورة تركية الفتاة سنة ١٩٠٨ تبدلت الحال تبدلاً كبيراً في العالم الاسلامي ، فثارت الثورة التركية ثورة ايران ، ثم أخذت شرارات الثورات تبدو فيعقبها الانفجار في كثير من الاقطار الشرقية ، وعلى اثر ذلك شرع يتبدى في وقت قريب في كل قطر اسلامي تيار جديد هائل ، وظواهر اجتماعية لم تعهد من قبل ، كتطلب الحكومات النيابية ، واحياء روح الجفسية والقومية وما أشبه ذلك ، مما رافقه تطور اجتماعي كبير - تطور كانت عناصره منذ أمد بعيد تزداد اختاراً في العالم الاسلامي حتى حان أجل ظهوره فظهر رالماً . واننا سنفصل الكلام على هذا التطور بأنواعه في الفصول التالية من هذا الكتاب ، غير أن ما يجب تدبره بجملا في هذا المقام هو ما كان لهذا التطور الكبير من التأثير في مجرى حركة الجامعة الاسلامية ، فونيت في سيرها بعض الوئى مدة كان فيها الاضطراب السياسي والقلق الاجتماعي ينتشران انتشاراً عاماً في جميع بقاع العالم الاسلامي .



ولم تكن هذه الفترة طويلة . ففي سنة ١٩١٢ عادت الجامعة الإسلامية تستأنف سيرها ومجراها ، وكان الباعث على ذلك هو اشتداد اعتداء الدول الغربية . ففي سنة ١٩١١ أغارت إيطاليا معتدية على طرابلس الغرب الأفريقية التابعة للدولة العثمانية على غير ماعلة سوى الاستعمار . وفي سنة ١٩١٢ تألبت الدول البلقانية النصرانية وأوقدت نار الحرب على تركيا ، فغسرت تركيا في هذه الحرب جميع أملاكها الأوروبية ، فلم يبق من جميع ما كان لها في أوروبا غير القسطنطينية معرضة لخطر الغارات عليها ، ومهددة بتهديد<sup>(١)</sup> . وفي تلك الغزوات اتفقت انكلترا وروسيا على خنق الثورة الفارسية ، وكانت فرنسا على أثر معضلة « اغدير » تحرق الارسم ، فعضت على مرا كس بالنواجذ وأنفذت فيها الخالب ، وهكذا في خلال سنتين توالى الحملات الأوروبية تترى على العالم الإسلامي ، حملات العدوان والاعتداء المحض ، فزفت ما كان باقياً منه حتى ذلك العهد سليماً شرمزق .

فزل ذلك على الامم الإسلامية قاطبة زول الصاعقة يصبم الاذان دويها . فأخذ العالم الإسلامي في المشرق والمغرب يقوم ويقعد مشتعلاً غصياً وحنقاً . فعادت الجامعة الإسلامية الى سابق حالها تجري مجرى سريعاً . وقد تحقق للمسلمين الآن ما كان يذم به على غير انقطاع دعاة الجامعة الإسلامية منذ خمسين سنة - الحرب الصليبية الجديدة لذلك الممالك الإسلامية دكاً . وصدق جميع ما كان يذمه جمال الدين الافغانى ، الحكيم العظيم .

وأخذت نتائج الجامعة الإسلامية تتبدى ، ففي طرابلس الغرب انبرى الترك والعرب يقاتلون جنباً الى جنب بروح عجيبة تبعتها فيهم دعوة الجامعة الإسلامية ، من بعد ما كانوا قبيل ذلك على حال من الازورار والتنافر شديدة فلقى المعتدون الطليان أمامهم مقاتلة مستبشرين ملء صدورهم ضرم من التعصب

(١) عند ما أعلنت الدول البلقانية الاربع الحرب على تركيا ، نشرت بلافا لم يشك قارئه أنه بلاغ ملوك الصليبيين في القرون الوسطى . . . أي إعلان حرب دينية ولم نجد من الاوربيين من أنكر هذا الامر . (ش)

لا يظن ، ضرم يريده العالم الاسلامي وقيداً <sup>(١)</sup> مما حمل ساسة الغرب على الجزع والارتباك شديداً ، فأخذوا يتساءلون في الخطب الكبير ، وفي الذي عساه أن ينفجر انفجاراً عاماً في مشرق العالم الاسلامي ومفرجه . فقال « غريال هانوتو » وهو وزير فرنسي من وزراء الخارجية السابقين : « بالله لماذا وجدت ايطاليا طرابلس غير المحصنة كوكب الزناير الساعة ؟ أفليس لانها لا تحارب تركية وحدها بل العالم الاسلامي أجمع . فاطالية جنت على نفسها وعلينا جناية لا يعلم غير الله عاقبتها ومنتهاتها » . ولم يكن خفق انكسرة وروسية لنورة ايران ، وبحق فرنة لاستقلال مراکش بأقل استشارة للعالم الاسلامي من حرب طرابلس ، فزادت نار الغضب احتداماً .

غير انه لما نشبت الحرب البلقانية ، طفع الكيل وبلغت الروح التراقي ، فبات المسلمون من الصين حتى الكونغو ، يرتقبون أنباء الحرب ونتيجتها ، وقلوبهم على أحر من جمر الغضا ، فلما طهر البرق نياً الكارثة التركية في البلقان أجفل العالم الاسلامي للخطب أيما اجفال ، وبلغت صرخاته عنان السماء . فقال أحد مسلمي الهند في نداء وجهه الي بني قومه : « يوقد ملك اليونان نار حرب صليبية جديدة ، ويستنصر وزراء بريطانية نعصب النصرانية على الاسلام ، ويأتمر وزراء الروسية في بطرسبرج لرفع الصليب وشكه على قبة مسجد « آجيا صوفيا » ، فالיום هم يأترون ويتشاورون في هذا الخطب ، وغداً يفعلون مثل ذلك للاستيلاء على مسجد صمر بن الخطاب - المسجد الأقصى في بيت المقدس .

(١) هند ماكناف في معسكر أنور دين منصور بأعلى درته ، كنا نجد مجاهدين لامن بركة ، ولا من طرابلس تحسب ، بل من تونس ، والجزائر ، والمغرب الأقصى ، ومن السودان ، ومن مصر ، ومن الشام ، ومن بلاد الترك ، وقسم طينا . مجاهداً من بلاد الاقصاب . وذكر السيور جيوليقي في خاطراته التي نشرها مؤخراً ، وكان أيام الحرب الايطالية رئيس لطار ايطالية ، ان انكسرة الحت عليه بالاتفاق كيداً كان مع تركية ، انهاء لهذه الحرب التي انثرت جميع العالم الاسلامي ، حتى وردت على انكسرة الاحتجاجات ليس من الهند فقط ، بل من كل بقاع العالم الاسلامي حتى الصين : (ش)



« أيها المؤمنون الاخوة ! اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . فان الواجب المقدس ليدعو كل مؤمن بالله ورسوله أن ينضم الى أخيه المؤمن تحت لواء الخليفة أمير المؤمنين ، ويجاهد في سبيل الدود عن حياض الاسلام والمسلمين . »

وقال أحد زعماء المسلمين في الهند مخاطباً الدولة البريطانية : « اننا ننادي الحكومة البريطانية بملء أفواهنا أن تقام عن سياستها العدائية لتركبة ، انتقاء لانفجار بركان المئات من ملايين المسلمين ، انفجاراً يجر البلاء عظيماً . » وأعجب ما بدا ، أن أخذ المسلمون بوجهون النداء تلو النداء لغير المسلمين من شعوب آسية ، يدعونها الى التآزر والاتحاد ازاء الغرب المعتدي ، فكان هذا الامر وايم الحق غريباً في بابه لم يسبق له مثيل منذ نشوء الاسلام . فان محمداً ، وقد جاء بالقرآن مصدقاً للتوراة والانجيل ، وقال انه هو خاتم الانبياء والمرسلين ، بعث الله من قبله موسى وعيسى ، أمر المرسلين باحترام النصارى واليهود ومماهم « اهل الكتاب » ، تمييزاً لهم عن عبدة الاوثان . وقد اتبع المسلمون ما أمرهم به نبيهم حتى هذا العهد الاخير ، فاكثروا فقط يوماً مبغضين للنصارى بغضهم للوثنيين من البراهمة والبوذيين والكنفوشيوسيين أهل الشرق الاقصى<sup>(١)</sup> .

(١) ان الاسلام ، هو كما هو معلوم من القرآن الكريم ، يرى النصارى اقرب الناس مودة الى الدين آمنوا ، وان القرآن جاء مؤيداً ، للانجيل والتوراة ، وكان ضلع المسلمين في صدر الاسلام هو مع النصارى بالتحصيص ، يدلل انه لما وقعت الحرب بين الروم والفرس وغلبت الفرس على الروم ، حزن الصحابة يومئذ حزناً شديداً ، فزلت الآية الكريمة « غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين » فلما صدق قوله تعالى يغلب الروم على الفرس بعد بضع سنين ، فرح الصحابة فرحاً شديداً ولم يكن ذلك ليكون الروم اقرب اليهم جنساً من الفرس ، بل الروم والفرس بالنسبة الى العرب على السواء ، بل ليكون الروم اهل كتاب والفرس يومئذ عبدة نار لم يكن الله شرح صدرهم للاسلام . ولما فزا العرب الشام ، اوصى الخليفة ابو بكر الصديق بالنصارى وروايتهم خيراً في خطبة مشهورة ، ولما حضر الخليفة عمر بن الخطاب الى بيت المقدس كان من حسن معاملته للنصارى ما هو مشهور ايضاً في التواريخ . وروى المؤرخون ان الامام عمر زار كنيسة القيامة وبينما هو

بيد ان هذه الحال شرعت تنقلب وتتحول منذ الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ ، اذ ظفرت اليابان ، الدولة الشرقية الوثنية « الكافرة » ، على دولة غربية نصرانية ، ودفت عنقها دفأً ، فهب غالب المسلمين يبتهجون لا انتصار اليابان هذا ، ابتهاجاً ملؤه الفخر الشرقي والحفاصة الاسلامية ، وتغنى كثير من رجال الجامعة الاسلامية ودعائها لوي يتنحل ابطال اليابان الاسلام<sup>(١)</sup> وشرع في تحقيق هذا الامر العظيم ، والنمست وسائل التقرب من اليابان ، ثم أنشئت العلاقات معها ، وأنشئت الصحف العديدة لنشر الدعوة ، واختير المبشرون للقيام بهذا المشروع الاسلامي الكبير ، فأوفد السلطان وفداً الى اليابان على بارجة حربية ، وأخذ العالم الاسلامي بسبب ذلك يلهج بحديث اسلام اليابان ، ويتناقل الانباء في هذا الصدد ، ويتباحث فيه وبجذبه أشد التحصيد . قالت صحيفة مصرية سنة ١٩٠٦ : « ان بريطانيا العظمى ، وفي حكمها ستون مليوناً من المسلمين ، لتخشى كل الخشية أمر اسلام اليابان ، الامر العظيم الذي اذا كان ، تغير على الامر مجرى السياسة الاسلامية العامة

فيها ادركته الملاة فاراد ان يخرج من الكنيسة يصلي فتعلم البطريرك مندرونيوس ال عمل داخل الكنيسة يصلي فيه ، فأبى فالح عليه بالرجاء فاجابه : كلا . يأتي المسلمون يدي فيقولون هنا صلي عمر فيقولون هناك مسجداً في وسط كنيسةكم . وهكذا كان الخليفة الاول والثاني يرفعان حرمان النصارى ، ومنسوب الى سيدنا عمر عهد عهده الى النصارى فيه من البر يوم ما ليس فوقه مزيد . ولكن سياسة أوروبا من أيام الصليبيين الى هذه الساعة ، قد كسرت هذا الصفاء ، وما زالت تكدره حتى بلغ من حق المسلمين اليوم ان صاروا الياء واحداً مع البرامكة في الهند ، واليهوديين في الصين ، لابل القنشرين في اواسط افريقية على الاوربيين . ( ش )

( ١ ) جاء احد امراء الاسرة الحاكمة في اليابان ، في أيام السلطان عبد الحميد الى الاسكندرية ، فبينما هو في الحسبة مع السلطان ، افضاء ذكر الاديان فقال له السلطان : « بلغني انكم تبغون عن دين ، فان كان الخبر صحيحاً ، فانا اوصيكم بالاسلام » . فقال له الامير الياباني : « ليس الخبر كما بلغ جلالكم ، بل نحن متمسكون بديننا » . فـ سمعت ذلك من فم العلامة المرحوم متيف باشا ، ناظر المعارف الشهير في أيام عبد الحميد ، وكان صديقاً حراً ، ثقة في كل ما يرويه ، ومما كان عليه من ثرف الطباع ، لم يكن متظاهراً بالدين . فليسمع ذلك من يزعمون ان اليابان لم تترك في المدينة الا بعد ان خلعت الدين ، وتبذله ظهرياً . ( ش )



تغيراً كلياً هائلاً . » وقال شيخ من شيوخ مسلمي الصين : « إذا شئت اليابان أن تدرك منزلة لم تدرك مثلها دولة فيما مضى ، وأرادت أن ترفع شأن آسية على شأن سائر القارات ، فلا يتم لها ذلك بثة إلا بانتعاشها الاسلام ديناً . » فاستقبلت اليابان وفد المسلمين استقبالا جليلاً ، وأحلت محل الرعاية والأكرام ، بيد أنها لم تكشف عن رغبة في الدخول في دين الرسالة . وكانت النتيجة أن وضع اساس للعلاقات الودية الحبية بين الشعوب المسلمة والشعوب غير المسلمة في آسية . وبما زاد في ذلك التقرب ، فأخذت عرى الولاء تتوثق ، الحرب البلقانية وما نحى فيها ومن حولها من المطامع الاستعمارية الهائلة . ويمكن العلم بحالة شعور المسلمين ومبلغ ما آلت اليه من الاضطراب والاهتياج يومئذ ، بالوقوف على الصرخات الندائية المتوالية التي أخذ المسلمون يوجهونها نحو الهندويين ( الهندوس ) . ومثال من ذلك نداء عظيم الخطر والشأن ، موسوم بـ « رسالة الشرق » . جاء فيه ما يأتي : —

« يا روح الشرق ! : ألا هي من مرقدك وادفعي عن الشرق هذا الطوفان الغربي ، طوفان عدوان التمرنجة وبقيعهم واعتدائهم ! !  
 « ايه ابناء هندستان ! ! كونوا لنا عوناً ونصراً بحكمتمكم ، شدوا أزرنا بحضارتكم وتهذيبكم ، كونوا لنا نصراء بخالد قوتكم ، قوة الهندويين آبائكم واجدادكم . دعوا قوة الارواح السامنة في قم جبال حملايا تنبثق فقد حان لها ، وحق من أوجدها ، الانبثاق ، املاؤا الجو بصلواتكم الي اله الحرب لينصر الحق على القوة الفاشية ، ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ، وارفعوا اصوات دعواتكم في هياكل ربوات آلهتكم ان نهلك جيوش الاعداء المعتدين »  
 فمن تدبر هذا المآل الذي آلت اليه حالة المسلمين ، ولا سيما تقربهم من « الكفرة » ، وتوثيق عرى الولاء بينهم وبينهم ، لا يسهه الا تكبير هذا الامر وتعظيمه ، والتعجب والاستعراب ، ولم يكن هذا التبديل الهائل مقصوراً على مسلمي الهند وحدهم ، بل شمل أيضاً مسلمي الصين . فقد قالت صحيفة

اسلامية من صحف تركستان الصينية ، تدعو الى اتحاد الصينيين قاطبة اتحاداً وطنياً منيعاً للوقوف في وجه الغرب المعتدي ، ما يأتي : « ان اوروبا قد بلغت من الطغيان والجور مبلغاً لا حد له ، فهي لا تنفك تنازعنا على حريتنا التي هي اقدس شيء لدينا ، وأوروبا ثم أوروبا ضاربتنا الضربة القاضية اذا لم يستنصر بعضنا بعضاً ، ونهب معاً في يوم آت هبة المدافعين عن الاوطان دفاع الابطال » . وفي الدور الاول من أدوار الثورة الصينية ، نقض مسلمو الصين عنهم رداء العزلة ، واصطفوا الى جانب ابناء بلادهم البوذيين والكنفوشوسيين يقاتلون معهم مستبشرين ، في سبيل الوطن ، وقد اتى الدكتور « صن - بات - سن » الزعيم الجمهوري الكبير على مسلمي الصين بقوله : « ان الصينيين لن ينسوا أبداً نصر اخوانهم المسلمين لهم في سبيل تأييد نظام البلاد واستقلالها وحريتها (١) » .

فلما نشبت الحرب الكونية العظمى ، كان العالم الاسلامي أجمع ، مضطرباً اضطراباً عميقاً ، ومحتتماً حثقاً على الغرب المعتدي ، وشاعراً بضرورة اتحاده اتحاداً مكيناً ، وساعياً جده السعي لعقد المحالفات بينه وبين غيره من الدول الآسية ، ليتسنى له بذلك القيام بجهاده المنوي في سبيل التحرر من رقة الغرب وريما يرى بعضهم من دواعي الاستغراب ، انه لما دخلت تركيا في معمران الحرب العامة في أواخر سنة ١٩١٤ ، وأعلن السلطان دعوته للجهاد لم يهب على اثر ذلك العالم الاسلامي هبته الكبرى المتوقعة . فلا يجب أن يؤخذ من ذلك أن دعوة السلطان هذه للجهاد المقدس انما كانت صرخة في واد ، أو نقعة في رماد ، كما حملت انباء الخلفاء الغرب على هذا الاعتقاد في ذلك الحين ، فالامر في الواقع كان على الضد مما شاع ، فقد كان الاضطراب هائجاً شديداً أيما شدة في كل بلاد اسلامية في حكم الخلفاء ، ونحن ذاكرون بعضاً من هذه

(١) كان المسلمون في حرب اليوكسر بدأ واحدة ، وظهرت واحدة مع ابناء وطنهم البوذيين وكان لهم عمل كبير في تلك الحرب ، حتى التست الدول من السلطان عبد الحميد ارسال وفد من قبله ينصح مسلمي الصين باسم الخلافة أن يمنحوا الى السلم ، (ش)



البلاد . فصر باتت تغلي فيها عوامل الثورة غليان المرجل على النار ، وصارت على مقربة من الزوبعة الهائلة <sup>(١)</sup> ، فلم تملأ بريطانيا بلاد النيل اجناداً لا عداد لها ، لحدثت في مصر الالهوال . وطرابلس ثارت ثورة عمياء ردت بها الطليان على اعقابهم حتى ساحل البحر ، ويران كانت على وشك الاتحاد مع تركية لو لم يحل دون ذلك تدخل روسية وبريطانية وهيضهما جناحهما ، والهند الشمالية الغربية غدت ميدان قتال عنيف لم تقف رحاه حتى سافت بريطانيا اليه مئتين وخمسين ألفاً من الجنود البريطانية الهندية . وقد اعترفت الحكومة البريطانية اعترافاً رسمياً بأن جميع البلاد في حكم الخلفاء في آسية وأفريقية ، كانت خلال سنة ١٩١٥ قد وقعت من الثورة العامة والبركان الهائل على قيد خطوة .

حقاً لو نطق قادة المسلمين في سائر الاقطار الاسلامية بالكلمة الاخيرة ، لكان بركان العالم الاسلامي قد انفجر وملاً الجو حمى . بيد أن تلك الكلمة لم ينطق بها ، وقام عدد عديد من زعماء المسلمين خارج البلاد العثمانية يستهجنون دخول تركية في الحرب كل الاستهجان ، ويمدون خرقاً في السياسة الرشيدة ، ويبدلون غاية ما في طوفهم لتسكين النفوس الثائرة والخواطر الهاشجة . وقد دل عمل هؤلاء القادة والزعماء على حصافة في الرأي كبيرة . فانهم ايقنوا ان هذه الآونة ليست بالتي توقد فيها نار الحرب العامة في العالم الاسلامي ، ولا بالساخنة التي تغتم للدعاء حي على الجهاد الاكبر لتقويض سيطرة الغرب على الشرق . والسبب في ذلك أن الامم الاسلامية لم تكن قد استوفت جميع الاهدب المادية اللازمة لها بعد ، ولم تحكم عرى التفاهم التام بعضها مع بعض من ناحية ، ولا بينها وبين حليفاتها من الامم الكبرى غير المسلمة من ناحية أخرى . وكانت الصلات المعنوية الادبية في الامم الاسلامية

(١) ثورة دارفور التي قتل فيها علي بر دينار سلطان دارفور كانت من أثر اعلان الجهاد وثورة الصومال أيضاً .  
(ش)

على حال غير مستوفاة الشروط . زد على جميع هذا أن قادة المسلمين انفسهم ادركوا حتى الادراك أن تركية بانت صديعة طبعة بين يدي المانية تنزل على امرها اقبالا وادباراً ، وأن « تركية الفتاة » غدت تدبر دفعة سفينتها عصبية من الجحدة الغربيين ، غالبهم ليس من المسلمين ، أو ليسوا مسلمين الا اسماء ، بل هم من زنادقة اليهود<sup>(١)</sup> . وعلى ذلك لم يكن من رأي عقلاء المسلمين الاصطلاء بشار المانية ، ولا الموافقة على مارسمته من الخطط وأبدته من المطاعم البعيدة للاستيلاء على العالم ، اذ لا طائل للمسلمين في ذلك سوى ابدال أنيار بأنيار ، بل عولوا أن يترك الغرب وشأنه ، يقاتل بعضه بعضاً فيضعضع كيانه وتسلب منته ، ويمن عظمه ، وتنجلي مخبات مقاصده ومكنوناته نحو المستقبل . بينما يهتبل العالم الاسلامي فرصة نزاع الغرب هذا النزاع الشديد ، فيستجمع من قواه ما كان مبغثاً ، ويشدد من بأسه وحوله وقوته ، ويعد العدة ، حتى اذا ما حانت الساعة المرتقبة ، وثب وثبة الاسد المحصور ، فانتصف له من عدو عنيد .

وكان مؤتمر « فرساي » كاشفاً عن مقاصد الدول الغربية ، تلك المقاصد التي كان يتوقع ظهورها دعاء الجامعة الاسلامية . فلما ظهرت واضحة طفقوا بمجدون في سبيل اعداد برنامج العمل اعداداً تاماً لا عيب فيه ، وتوثيق الروابط المعنوية ، واحكام الوحدة الادبية بين الامم الاسلامية ، وفي مؤتمر « فرساي » حسرت الدول الغربية الظافرة اللثام عن جبينها ، وبيدت غاية التبيين انها لا تنزل عن مطمع من مطامعها الاستعمارية ، ولا تروم الرفق ولو أقله بالامم الشرقية ، ولا التقليل من وطأة السيطرة الشديدة الضاربة في

(١) في سلايك طائفة ينال لها « الدعوة » اي العالمون المتنبؤون اصلهم يهود من مهاجري اسبانية الذين خرجوا منها مع حرب الاندلس . وقد اسلموا منذ نحو اربعمائة سنة ، ولكن اسلاماً مشوباً ببعض عقائدهم الاصلية . ولما كانوا المثل اليميد في الحصافة والذكاء ، والقيام على الامور المالية بنوع خاص ، فإن الدور الذي يملونه في الهيئة الاجتماعية التركية ، اعظم جداً مما يستحقه عددهم . وكان اثرهم في حركة الانقلاب التنويري مهماً ، فكان منهم اناس يمدون اركاناً في جمعية الاتحاد والترقي . ( ش )



الشرقيين الأدنى والوسط . فقد قامت هذه الدول المنصورة واقتسمت بعضها مع بعض المملكة العثمانية ، على مقتضى طائفة من المعاهدات السرية التي كانت قد أبرمتها فيما بينها خلال الحرب العامة ، وكانت تلك المعاهدات السرية في الواقع أساساً بني عليه الصلح الذي عقد في مؤتمر فرساي . زد على جميع ذلك ، فقد كانت بريطانية قد أعلنت في أوائل الحرب ان مصر صارت من البلاد البريطانية المحمية ، وقبل انقضاء مؤتمر فرساي ، ظهرت بفترة معاهدة جديدة بين بريطانية والمعجم<sup>(١)</sup> ، من مقتضاها أن هذه البلاد الأخيرة

(١) من الغريب ان فرس عرضت على انكثرة الحلفاء ، والدخول الى جانب الحلفاء في الحرب العامة ، فأبى انكثرة مساعدة فرس هذه . وهذا امر صرح به جريدة الطان ، اسان حال فرنسا أثناء مؤتمر الصلح ببرلين . وأن مصر عرضت نفسها أثناء الحرب العامة ان تقاس في جانب الحلفاء ، بشرط الجلاء الانكليزي عن مصر بعد الحرب ، فأبى انكثرة أيضاً ذلك . وأن الشريف حسين بن علي ، ملك الحجاز اليوم ، كان عرض نفسه لحلفاء انكثرة منذ بدأت الحرب العامة ، فأبى انكثرة محلة يومئذ كما أبى حلفاء مصر والمعجم . وأغرب منه ان تركية نفسها بينما هي في أول الحرب العامة تزدد في الميل الى أي الفريقين المتصارعين ، ويتجاهلها عاملان أحدهما الى الحلفاء ، والآخر الى الالماني ، صرحت لسفراء الحلفاء في الاستانة انها تخشى اذا اعتزلت الحرب من أن ينقض الفريقان عليها ، ويمقدوا الصلح على ظهرها . فقالت لهم لا بد لنا من حلفاء . وعرضت على الحلفاء ان تكون معهم \* بشرط ان تأمن ضرورهم في المستقبل . فأبى الحلفاء قبول حلفاء تركياً لهم \* وكل ما طلبوه منها كان التزام الحياد التام ، وبمخالفة ذلك تنهت الروسية بأن لاتبهم تركية عدة ثلاثين سنة ( ٣٠ ) وتعال تركية بعض مساعدات أخرى ليس لها كبير طاقم . وبدهي ان رفض الحلفاء هذه المساعدات من دول العالم الاسلامي مبني على اساس واحد \* وهو ان الحلفاء لو قبلوا مساعدات الحكومات الاسلامية أثناء الحرب العامة ، لما كان لائماً ان يقسموا فيما بعد الحرب بلاد الاسلام الحقيقية الانقسام الأخير ، كما قالوا ينزفون أثناء الحرب ، وكما فعلوا بعد الحرب . ولو رضوا بدخول تركية معهم في الحلف وقبلوا عضدها لهم في ذلك الوقت ، لما كان يجوز بعد الحرب ان يذ برنامج التقسيم الذي كان مفروضاً بين انكثرة وفرنسا منذ ١٩١٢ ومن جلته قسمة سورية وفلسطين . ولو رضوا بدخول المعجم في الحلف وقبلوا معاونتها ، لما كان يحل ان يجهبوا عليها الاجهز الأخير بعد الحرب كما كانت النية ان يكون ذلك ديداً عليهم الجلاء المعجم ، وهذا ما لا يريدونه . ولو قبلوا اقتراح مصر في الدخول في الحرب الى جانبهم ، لكان عليهم الجلاء عن مصر بعد الحرب على وجه المكافأة ، مع ان المراد بعد الظفر الأخير هو استعاق مصر تماماً لا اعطاؤها حريتها . وكانوا يرون انهم قادرون ان يستخدموا رجال مصر ويرتفعوا باموال مصر بالقوة والفسر ، بدون أدنى منة لاهل مصر ، وبدون تمهيد بالجلاء عن مصر على حد ما طلبه أبو الطيب :

باتت في باطن الامر على الاقل ، ان لم يكن في باطنه وظاهره معاً ، معدودة من البلاد البريطانية المحمية أيضاً . فكان مؤدى هذه النتائج جميعها أن دول الحلفاء قد غلت الشرقين الأدنى والاوسط بأغلال من السيطرة السياسية الثقيلة غير مسبوقة المشيل .

غير ان الأمر وجهاً آخر تقيضاً لما تقدم . ذلك ان قام سياسة الحلفاء خلال الحرب مئات المرات ينشرون التصريحات الرسمية ، ان الغاية الكبرى

من اطلاق اقتحام شيء غلاباً واغصاباً لم ينته سؤالا ولفاظا ان يقول : لكن يتقضى نظريتك هذه ، ان الحلفاء حالفوا سنة ١٩١٥ الشريف حسيناً ، وهذا ملك من ملوك الاسلام . والجواب انهم ما قبلوا التحالف معه بآدى ذي بدء لظنهم انهم يستفنون منه ، ولا يتقدمون معه بمعد يدمهم بعد الظفر من أخذ بلاد العرب . فلما طالت الحرب ، وظهر من تركية ما ظهر من القوة التي لم تخطر لهم على بال ، ورأوا الحرب ستدوم طويلاً ، وتأني على الحرث والنسل وان العالم الاسلامي كله في هيجان عليهم ، عادوا الى قبول تحالف الشريف حسين أملاً بفصل العرب عن الترك ، وبإستئثار جانب من المسلمين ، وبتخفيف حدة كان الحلفاء بدأوا يشعرون بشيئها . ومع هذا كله فقد ملأوا صهودهم للشريف ابنهما ومحمداً ، حتى يتفصوا منها في المستقبل . فقام وضعت الحرب أوزارها حتى ظهر الشريف ولداً العرب ، انه مع كون قسم من العرب حالف الحلفاء بحالمة فتت في ضد الاتراك ، وكانت من جهة أسباب انكسارهم لأسباب عديدة ، فقد حوّل العرب بعد الحرب معاملة الاعلاء ، وتقسمت بلادهم غنائم ، والذي هو باق منها بدون احتلال فلا ، فأنية وضع اليد عليه ضد أول فرصة . وربما كابر بعض الناس في كونه الشريف عرض التحالف من أول الحرب ولم يتقبلوا ذلك منه ولا مجال هنا للمكابرة فاصبح انهم لم يقبلوا التحالف معه حتى احتاجوا ضد العرب وطالت الحرب فأرسلوا اليه بعض مندوبين لمفاوضته فيه من جهتهم الجبال حداد باشا ، وان حداد باشا صرح لنا بهذه الحقيقة التاريخية امام جماعة كثيرين من أعيان السوريين والفلسطينيين . وربما كابر آخرون في كون الحلفاء أبوا بحالمة تركية وطلبوا منها الحياد لاغير في الحرب الدائمة ، والجواب هذا اني بشهد به المشرع مورغانو سفير أميركا في تركية لأول نشوب الحرب . ذكره في خاطراته وقال ان أقصى ما طالب الحلفاء به تركياً هو لزوم الحياد تحسب والحاصل ان الحلفاء طلبوا اثناء الحرب للعامة للمون من كل دولة ، وعرضوا التحالف مع كل حكومة ، حتى أصدر حكومات أميركا ، ولم يكونوا يقبلوا التحالف مع دولة من الدول الاسلامية علماً بما ينوونه الاسلام وجميع حكوماته في المستقبل وفراراً من مكافة دولة اسلامية بالابقاء عليها . فهذا من الحقائق السكية التي ينبغي ان يتفطن لها المسلمون ولا يفسوها عن نظرهم ، وليعلموا ان الدول المستعمرة لا تابل من الاسلام حتى ولا الصداقة ، وانها لا ترضى من المسلمين في جانبهم بذل الارواح والاموال الا مجافاً . (ش)



الوحيدة في هذه الحرب الدموية المخوذة الغار ، إنما هو إنشاء نظام عالمي حديث ، قائم البنيان على مكارم الاخلاق ، والاسس الصحيحة والقواعد الشريفة . كحماية حقوق الامم المستضعفة ، واطلاق الحرية لجميع الشعوب والامم في اختيار حكمها ، وتقرير مصيرها ، وامتلاك مقدراتها . فذاغت هذه التصريحات في الشرق أيما ذبوع ، واختزنتها الامم الشرقية لابل حفظتها عن ظهر قلبها وأخذت ترتلها ترنيلا . فلما وجد الشرق أن الصلح لم يبن على شيء من تلك القواعد والاسس الصحيحة ، ولا على مقتضى مبادئ التصريحات المحفوظة ، بل على المعاهدات المقطوعة بين الدول بعضها مع بعض سرًا وخفاء معاهدات الجشع الاستعماري والحكم والفتح ، لحدثان ما احتدم غضبًا ، يكبر نوازل الجور والبغي ، وبمعظم سوم هذا الخسف والذل ، فأخذت مراحل العداء تشتد غليانًا في كل صقع من أسقاع الشرق ، فاكفهر الجو وفصفت الرعود منذرة بأهول الصواعق . ولم يكن هذا بالحدث المستغرب ، إذ قد سبق للكثير من الخبراء العقلاء الغربيين ، الراسخين علماء بالامور الشرقية ، فأنذروا الدول الغربية المرة تلو المرة قبل انقضاء مؤتمر « قرسابل » بسوء العقبى الواقعة في الشرق ، وبانفجار عظيم لا بد منه ، من هؤلاء المنذرين « ليون كايتاني دوق سرموننته » وهو ثمة من ثقافة الطليان في شؤون العالم الاسلامي ، فقد قال في ربيع سنة ١٩١٩ في جملة حديث له ذكر فيه نتيجة الحرب العامة في الشرق : « ان الحرب السكونية العظمى ، قد هزت شجرة الحضارة الشرقية فاهترت اهتزازاً بلغ أقصى الجذور في التربة ، وبعثت فيها روحاً عجيبية <sup>(١)</sup> . ان الشرق أجمع ، من الصين حتى أقصى سواحل البحر

(١) ومؤخراً حرر العالم الاجتماعي الكبير غوغليانو فريرو Guglielmo Ferrero مقالة في جريدة « الايتوسناسيون » عنوانها « أدوية وآسية » بين فيها ان الحرب العامة أحدثت انقلابات متناقضة ، فباعدت وفرت بين الفرات واليه من المادّة اذا خرجت سلطنة عظيمة ظافرة من حرب من الحروب ازدادت هبتها وانحطت سلطنتها ، عن ذي قبل . والحال انه بعد ان خرجت الزكارة ظافرة من أكبر حرب في الدنيا ، تارت في جهنم افغانستان ، والهند ، ثم مصر وبعد ان كانت تركية اضطربت سنة ١٩١٨ ، طادت فهدت ووددت انكسرت وطيقت

المتوسط ليميد ميداناً عتيقاً . ففي كل رقعة وبلد ترى آثار العداة للغرب مشهوبة  
ففي مراكش الفتنة ، وفي الجزائر الثورة ، وفي طرابلس الغرب عواصف

على اعدائهم . وكذلك الصين بالرغم من الثورة التي تفرق شعبها \* تطلب استرداد البلاد التي  
احتلت منها وعدم من تهي من استقلالها . فآسية تقوم على أوربة على حين هي آخذة تبادي  
أوروية ، وليست تأخذ من أوربا وأميركة أسلحة خشب ، بل مبدئي . وانكارتا تدهمها بها .  
قال : « وسبب ذلك هو التباين الدولة الروسية \* فان أوربا كانت عام ١٩١٤ كتلة متحدة ،  
متينة ، متجانسة ، بالرغم من جميع المناظرات والمناظرات التي كانت فيما بين أجزائها . فقد كانت  
السلطنة الروسية والباطنة الانكليزية متناظرتين في آسية ، ولكن من جهة أخرى ، كانت  
ترى كل واحدة منهما شاذة أزر الأخرى . وكانت أوربة بأجمعها تستفيد من الرعب الذي تلقاه  
الروسية في قلب آسية ، فسقوط السلطنة الروسية كان مبدأ خلاص آسية » وقد أشارت جريدة  
الطائر بتاريخ ٨ حزيران سنة ١٩٢٣ الى مقالة فريرو هذه . وأيدت رأيه من جهة كون التباين  
الروسية هو الذي كان مبدأ تحرير آسية ، وهذا عين ما ورد في مقالة روجر لاجون التي عرناها  
من « مجلة باريز » . وكان أحد الروس اقترح حينئذ سنة ١٩١٩ نشر مقالة في جريدة روسية  
تصدر في برلين فخرنا في ذلك الوقت له مقالة تبين بها الاسباب الداعية الى الاتحاد بين الروس  
والشرقيين ، وتلوم سياسة الروسية الماضية التي كانت عبارة من نهز الشرق وملاشاة الدولة  
العثمانية ، الفاتحة الدول الغربية ، فكان حل الحشائر بالمال والرجال على الروسية ، ومعظم القوائد  
لانكثرة وفرنسا ، لانه من الحق لولا مثل حل الروسية على ظهر العثمانيين وكوتهم أصبحوا  
من عداوة الروس بحالة لا يملكون منها قبضاً ولا بسطاً ، لما كان يمكن فرنسا الاستيلاء على  
الجزائر ، ولا على تونس ، ولا ايطالية دخول طرابلس ، ولا انكثرة احتلال مصر والسودان  
بل كانت الدولة العثمانية بأمنها تابعة الروسية فتدبر على حماية هذه البلدان ، لاسيما في بداية  
الامر فلروسية هي التي كانت سبب سقوط الشرق وواسطة نفسيه بين الدول الاستعمارية ،  
وتحويل الحكومة المصرية الى اليكفة هو الذي يمكن اليوم الشرق من أن ينفس . ولولا دفع  
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض . فهذا الذي كنت أوضعه قبل أن ابدأ الكتاب  
الأوربيون ينهون الي .

ثم ان هناك جملة وردت في كلام العلامة فريرو فيها معنى كبير ينبغي أن نضم النظر فيه جميع  
الشرقيين ألا وهي قوله : « ان الروسية وانكثرة مع تناظرهما وتنافسهما في الشرق كانت كل  
منهما شاذة أزر الأخرى » . ومعنى ذلك أن الروسية كانت تظم أخطار الاتراك ، والفرس ،  
والصينيين ، فيملشاة قوتهم أصبحوا لا يقدرون على افاعة الهند ، والافغان ، والمصريين ،  
والعرب الذين مدت يدها اليهم انكثرة بالبطش والنصب . وكذلك انكثرة باستيلائها على  
هؤلاء قد عطلت منهم كل قوة حربية ، فأصبحوا لا يقدرون أن يؤيدوا الدولة العثمانية ،  
ولا الدولة الفارسية ، ولا تركستان ، ولا الصين بشيء ، فكانت كل من الروسية وانكثرة  
قد شدت اعداءها أزر الأخرى بطبيعة الحال ، وكان بينهما تضامن ، وان لم يكن جرى عليه  
نواخذ من قبل فهو جار بالفعل . ومن الامور التي تؤيد هذا وقوع هذا التضامن بدون نواخذ



الاضطراب والهباج ، وفي مصر وبلاد العرب وليبية وسائر الاقطار الاسلامية الحركات الوطنية القومية الكبرى ، جميعها متماثلة الصفة العامة ، وموحدة الغاية : تماسك العالم الشرقى الاسلامي بعبءه ببعض ، ومناهضته للحضارة الغربية ما استطاع الى ذلك سبيلا .

فكانت هذه السمات كأنها رؤيا صادقة ، فأخذت تتحقق في العالم الاسلامي . غير انه لما كانت الوقائع الاخيرة التي تقوم بها الامم الاسلامية انما تغلب عليها صفات القومية الوطنية فاننا سننسط الكلام عليها في فصل ( العصبية الجنسية ) من هذا الكتاب . وما يجب رعايته حق الرعاية في هذا المقام هو ان العصبية الجنسية الاسلامية والجامعة الاسلامية ، ولو كان ما كان بين بعض وجوهها والبعض الآخر من الاختلافات ، فانها يحملتها

ليس بين أوروبا والروسية النصارية لحسب ، بل بين أوروبا والروسية البولشفية نفسها ، مع شدة العداء التي بين الفريقين .

كان الدول الغربية أثار على البولشفيك الاميرال كولتشاك ، والجنرال دنيكين ، والجنرال يودينش ، والجنرال فرانجل ، والمملكة البولونية ، وحاولت اثاره الارمن ، والكرج ، وكل قوم نرجو منهم النهضة ، لقتال الحكومة البولشفية ، التي ترى فيها الخطر الاكبر على كيان الهيئة الاجتماعية الأوروبية . وقد بذلت اسكندرية وفرنسا في تسليح هذه الاقوام ، وسوقهم على الروسية مثل الملايين ، ولا تزال الى هذه الساعة تترصدها القرم وتربصان بالبولشفيك الدوائر .

لكن قد حدثت هاتان الدوائران كل الحذر ، من أن تحرك على البولشفيك قوة اسلامية . ففرض بعضهم الرأي بالاتفاق مع تركية وتسليحها وسوقها على الروسية من جهة النوفاس ، حيث ينضم الى الترك هناك الكرج والطاغستانيون والنش فلم يقبل الخفاء هذا الرأي أصلاً . ولا راق لهم تسليح المعجم ، ولا الامنان ، ولا بخارى ، ولا خيوة ، ولا فرغانة ، ولا غيرها من تركستان . ولا رمي البولشفيك بهذه النوات كلها وما ذاك الا لانهم يرون الخطر الاسلامي أعظم من الخطر البولشفكي . وما كان الخطر البولشفكي عظيماً . ومن الادلة البارزة على ذلك انه لم يقر المرحوم أنور من البولشفيكين ورح موسكو سنة ١٩٢١ الى بطوم ، ومنها انسل الى بخارى وأثار ثورة تركستان الهائلة التي حشد البولشفيكون فيها في جواررة لقمعها لم يفكر أحد بأوروبا في امداد أنور على البولشفيك ، بل عند ما سقط أنور شهيداً في أوائل أغسطس سنة ١٩٢٢ فرح بمثل الخلفاء ، ولم تخف الجرائم الاسكندرية سرورها . وفي هذا مقلع لمن يرى عنده شيء من الرب في شدة تضامن أوروبا بأزاء الشرق . ( شر )

متحدة متجهة نحو غرض عام واحد : هو القيام في وجه السيطرة الغربية المرهقة ، وتبديدها ونزيقها ، وتحرير الامم الاسلامية من قيود السلطة الاوروبية السياسية . واذ وعينا هذه الختائق وتدبرناها ، فاننا نأني للكلام على حاضر الجامعة الاسلامية وواقعها المشهور :

قد هاج تيار الجامعة الاسلامية هياجاً هائلاً ، وثار ثوراناً عجيبياً ، في هذه الآونة الاخيرة ، والباعث على هذا انما هو الارهاق الغربي ، المتوالي الشدة والزيادة منذ الزمن البعيد . ثم كانت الحرب العظمى فاستثارت من الجامعة الاسلامية مالم يستر من قبل ، ثم ولي الصلح الحرب ، وهو الصلح الذي سبق لنا فأبنا قواعده وأركانه الفاسدة ومادهى العالم الاسلامي بسببه من النوازل والفواجع ، ولا يغرن عن البال ان الجامعة الاسلامية على مختلف حالاتها وتطوراتها ، يجب ألا تعتبر انها حركة سياسية دفاعية محمولة على الغرب رداً لا اعتدائه ودفعاً لجوره فحسب ، بل ان منشأها الاصيل هو المشاعر النفسانية الوجدانية العميقة ، في المسلمين لصيانة الوحدة وتوثيق عرى الجامعة العامة ، تلك الجامعة التي قلنا فيها قبلاً انها بين المسلم والمسلم لا قوى منها حقاً بين النصراني والنصراني . فان عرى هذه الجامعة ليست ديفة فقط ، بل انها بحقيقة المعنى والمراد اجتماعية خلقية تهذيبية . وان القرائن والقواعد التي تتألف منها وتقوم عليها حياة الاسرة الاسلامية ، على مختلف العادات والاقاليم لا تتغير في موضع عنها في موضع آخر في جميع المعمور الاسلامي . قال (السر موريسون) : « ان الحق الذي لا يمارى فيه ان الاسلام اكثر من معتقد ودين . انما هو نظام اجتماعي تام الجهاز ، هو حضارة كاملة النسيج لما فاسفتها وتهذيبها وفنونها . وقد انتضى ما انتضى من العهد الذي ما برح فيه الاسلام والنصرانية على نضال وزراع ، فما عرى وهن جانباً من جوانب الاسلام قط ، بل ما انفك على الدوام يشتد بعضه مع بعض متماسكاً متعاضداً ، حتى صار وحدة جامعة ، نامية نمو الجسم العضوي ، سائراً سيره بفعل نظامه الذاتي المستقر فيه . »



فالمسلمون تربط بعضهم ببعض روابط هذه الحضارة ربطاً وثيقاً لا انفصام له . وباعتبار هذا المعنى ، فإنها الجامعة الاسلامية إنما هي عامة ، قائمة البناء في جميع العالم الاسلامي ، حتى ان المسلمين الاحرار ، على ما يجذبون من الآراء الغربية التي يردون شرعتها ، من حيث لا يرتاحون الى دعوة الجامعة الاسلامية السياسية لتشجيعها على الطرق الرجوعية ، يعتقدون كل الاعتقاد في وجوب الوحدة الاسلامية الشاملة المبنية على أصول الحرية وقواعدها . قال امام حر من أئمة زعماء المسلمين في الهند ، وهو أغا خان ، ما يأتي : « ان هناك جامعة اسلامية حقيقة صريحة ، ينضم الى لوائها الحر كل مسلم مؤمن بخاص ، أعني بذلك الرابطة الروحية الوجدانية ، والوحدة الجامعة بين أتباع صاحب الرسالة الاسلامية . فهذه الوحدة ، الاسلامية الروحية التهذيبية ، يجب أن تتمهد فتنمو أبداً ، لأنها عند أتباع النبي أس الحياة وجوهر النفس . »

فإذا كان هذا شعور المسلمين الاحرار الواقفين حق الوقوف على حضارة الغرب ، وتقدمه ، ورقيه ، وعمرانه ، والقائلين بوجوب الاقتباس منه والخذ عنه ، فما أشد شعور سواد المسلمين ، وهم الجاهلون الرجوعيون المتعصبون ، أضف الى هذا ما هو معروف في طامة المسلمين من الشنأة لاعتداء الغرب وحضارته ، الشنأة التي ليس منشأها في كل موضع سيطرة الغرب السياسية ، بل لجرد الافراط والغلو في التعصب . وقد كان للحوادث السياسية في العالم الاسلامي خلال العقد الاخير تأثير كبير في هذا الافراط والغلو ، فالتهمب التعصب التهايباً بالغاً الحد تدفعه دوافع سياسية خلقية دينية وتجميعه صفة واحدة متماثلة متمكنة في نفس كل مسلم ، قبانت السلم العمامة في المعمور الانساني مهددة من ناحية العالم الاسلامي . هذا هو الواقع ، الذي يجب علينا أن نعترف به ، وألا نخدع نفوسنا فنستصغر شأن هذه الحالة العصبية اليوم وما يحتمل أن ينجم عنها من المخاطر السكبرى في الغد القريب .

وعلى ذلك ليس من اصابة الحقيقة في شيء أن يقال ان تركية قد سبق لها

فدعت المسلمين واستصرختهم الى حرب عامة ، وحاولت جهدها اقتداح زند  
 الجهاد المقدس سنة ١٩١٤ ، نزولاً على أمر المانية ، فلم يكن هناك الابراء المراد  
 فذهب الاقتداح باطلاً ، بل كان دليلاً على ان الجهاد الحقيقي في العالم الاسلامي  
 بات ضرباً من الخيال . ان من حمله الوهم على هذا فهو على خطل شديد . اذ ان  
 الجهاد لممكن أبداً كل الامكان . قال ضابط الماني كان من أركان الحرب في  
 الجيش التركي خلال الحرب العامة قولاً صريحاً وهو : « ان الجهاد الذي أعلنته  
 تركية قد حبط حبوطاً لانه في الواقع لم يكن جهاداً بحقيقة معنى الجهاد عند  
 المسلمين » . وقد سبق لنا فأبنا كيف هب قادة المسلمين خارج تركية فأخذوا  
 يستهجنون دخولها في الحرب . وبسطنا ماذهب اليه هؤلاء القادة من الخطط  
 والأعمال .

فلسلة الاعتداءات الغربية الآخذ بعضها برقاب بعض منذ القديم حتى  
 انتهاء الحرب العامة ، وتقرر الصلح على الاسس والاركان التي ذكرنا صفاتها  
 الفاسدة ، تقرراً كان من شأنه أن بات العالم الاسلامي أجمع خاضعاً خضوع  
 الذل والخنوع للسيطرة الغربية . جميع هذا أشعل قلوب المسلمين ، فهبوا  
 هبوب العاصفة تقتلع كل شيء في سبيلها . أضف الى ما تقدم ان الاله المادية  
 ما برحت زداد وتستوفي . وقد سبق للمستشرق الكبير العلامة ارمينيوس  
 قسباري الخبير حق الخبرة بشؤون العالم الاسلامي ، فأنذر الغرب انذاراً منذ  
 أكثر من عشرين سنة ، قال فيه ان السياسة الاستعمارية النهمه انما هي السبب  
 في نشوء المخاطر العظمى في الشرق ، واليك بعض ما جاء في مقاله الذي نشره  
 سنة ١٨٩٨ : « ان الخطر الباعث على حرب كونية عامة يزداد في الشرق ازدياداً  
 عظيماً على توالي الايام . ولا يغيب عن البال أن روح العداء والمقاومة قد  
 اشتدت ، والصدور وغرت ، والحفاظ انتقدت ، أعني بذلك ان الشعور  
 بالوحدة العامة والجامعة الرابطة قد صار شعوراً طاماً ، نامياً ، منتشراً في جميع  
 الشعوب الاسلامية ، وقد كان من المساعد على ذلك الوسائل الحديثة للنقل



والتواصل ، فباتت الحالة اليوم غيرها منذ عشر سنين الى عشرين سنة .  
 « وليس من المستغرب أن تقدم على تنبيه الصليبيين في أواخر القرن التاسع عشر الى المنزلة العالية التي أدركتها الصحافة الاسلامية اليوم من الخطورة والشأن ، والى عام انتشارها في آسية وأفريقية ، وما لعظائنها البليغات وانذاراتها الموقظات من التأثير الشديد في نفوس قارئها المسلمين . فللصحف الوطنية ، السيارة والدورية ، في تركيا والهند وفارس وأواسط آسية وجاوة ومصر والجزائر مفعول عظيم ، اذ كل ما تفتكر فيه أوروبا وتقرره وتقوم على اتقاذه على ما ينافي المصلحة الاسلامية ، تنتشر انبأؤه في جميع هذه الاقطار بسرعة البرق ، وتحمل القوافل هذه الانباء الى كل جهة شاسعة وصوب صحيق في الرقاع الاسلامية ، حتى الى قلب الصين وخط الاستواء ، حيث يهب المسلمون لتلقي مثل هذه الانباء معظمين مكبرين . فالشرارة التي تستطير من مجمع من مجامعنا ، أو ناد من انديقنا ، أو ولجة من ولائنا ، فما تزال في مستطارها ومسبحها في الفضاء ، حتى تجوب اقاصي العالم الاسلامي فتقع وقوع الرعد القاصف . وما تنشره صحيفة « ترجمان » في القريم مثلاً ، تردده صحيفة « اقدام » في القسطنطينية ، وبرت صداء عظيم في صحيفة « الحوادث الاسلامية » في كلكتا في الهند .

« فالجامعة الاسلامية اليوم مسترخية العرى بعض الاسترخاء ، غير ان اعتداء الغرب على غير انقطاع ، وعنفه المتوالي الذي يزداد اشتداداً على الدوام ، سيحملان على استجماع هذه العرى بعضها الى بعض فتتأسك وترتبط ، فتصير الجامعة الاسلامية كالبنيان المرصوص منيع الاركان ، فيتوقع حينئذ من وراء ذلك حرب طالية مشبوبة في انحاء المعمور لا تبقي ولا تذر . »

منذ نشر قائمباري انذاره هذا حتى اليوم ، ما برح الأمر يتفاقم والنعرة الاسلامية تنور في وجه السيطرة الغربية ، وقد زاد في هذا زيادة كبيرة النهضات القومية ، والحركات الوطنية الاسلامية التي كانت تكاد لا تعرف في

القرن الماضي ، وهي قد أصبحت اليوم على أتم ما يكون من النظام ، والكفاية من أسباب الذبوع والدعاية . ولنا مثال على هذا وهو صحف الدعوة للجامعة الاسلامية وهي التي أشار اليها قديمباري ، فقد تعاظمت تعاظماً غير مسبوق المثل . ففي سنة ١٩٠٠ لم يكن في العالم الاسلامي أكثر من مئتي صحيفة دعوية ، فبلغ هذا العدد سنة ١٩٠٦ حد الخمسة صنف ، وأربى سنة ١٩١٤ على الالف صحيفة ، فالمسلمون يرحبون في بلادهم بأسباب النقل والتواصل مثل البرق والهبر والقطر الحديدية ، وغير ذلك مما يساعد على تطهير الانباء ونقل الاخبار . وكل بلاد من بلاد المسلمين هي على اتصال دائم مع سائر البلدان الاسلامية ، اما توا على يد الرسل ، والسعاة ، والحجيج ، والسياح ، والتجار ، والبرق ، واما على يد الصحف الاسلامية والكتب والنشرات والمجلات . ففي القاهرة ترى صحف بغداد وطهران وبشوار ، وفي البصرة وبومباي ترى صحف القسطنطينية ، وفي المحمرة وكر بلاه وبورت سعيد ترى صحف كلكتا . واما الوسائل الكبرى للدعاية في سبيل الجامعة الاسلامية فهي الطرق الدينية التي سبق لنا الكلام عليها وهي حقاً كالسبل الطامي فانها ما أدركت أمة مسلمة الا استولت على مشاعرها وقلوبها ، وسيرتها سهلة الانقياد الى تعاليمها . وترى دعاة هذه الطرق يقومون بوظائفهم على أساليب عديدة غريبة ، فهم يجوبون الاقطار بألوف الازياء المتكررة نجاراً ووظائراً ومرشدين وعلماء وطلبة واطباء وعملة ومتسولين وفقراء ومساكين ، حتى ومشعوذين ودجالين ، وحيثما وصلوا ترى المسلمين قد تسارعوا لاستقبالهم على الرحب والسعة ، واخفوهم عن عيون رقباء الحكومات الاستعمارية . »

زد على جميع هذا ان ساد اليوم في العالم الاسلامي سيادة عامة ، الاعتقاد الذي يؤيده الاحرار والغلاة والمخافون وسائر الاحزاب معاً ، أن المسلمين اليوم هم في دور النهضة ، والانتقال ، والتجديد ، يستردون مجدهم الاسلامي الفات و يستعيدون عزهم التاييد . قال السر تيودر موريسون : « ليس من مسلم



يعتقد ان الحضارة الاسلامية فانية أو غير متجددة مترقية ، انما يعتقد ان قد عرّتها قهقري قصيرة فحسب فقصر المسلمون أمرهم على التطوح في الاشادة بمجد الجدود ، وتغصبوا في ذلك وغالوا شديداً ، ولكن أمرهم هذا ما كان ليختلف في صفته عن الحال التي كانت سائدة في أوروبا خلال القرون الوسطى ، يوم كان ديمجور الجهل مطبقاً جميع البلاد النصرانية يعتقد المسلم اليوم ان العالم الاسلامي سائر في طريق استئناف الارتقاء ، يأخذ عن الغرب ما يزيد في استحثائه ويبحث فيه عزماً واقداماً ، ونشاطاً ، فتطورت الحياة تطوراً تبديت دلائله في كل قطر اسلامي . » (١)

فاذا كان دعاة الجامعة الاسلامية يجهرون بمثل هذه الآراء ويصرخون تلك الصرخات في مفتح هذا القرن ، وقد جاءت الحرب العامة مصداقاً لما جهروا به السنين الطوال ، فلا جرم ان قويت شوكة الجامعة واتسع لها المجال فاشتدت قوة واندفاعاً . أضف الى هذا ان الغرب قد انقلب بعد الحرب العظمى ضعيف المنّة ، واهن القوة المادية وهنا كبيراً ، ثم جاء الصلح مبنياً على اركانه الباطلة ، وطلق الخلاف ينشب بين الغالبين بعضهم مع بعض نشوباً قوض مكانهم تقويضاً وقضى القضاء الاخير على متراتهم في عيون الشرقيين . وقد كان من شأن النزاع والمشادة بين كل من بريطانية وفرنسة وإيطالية في الشرق ، ان ساعد المسلمين مساعدة جليلة على زيادة تماسكهم وتماسك بعضهم مع بعض ، فاشتد ايقانهم بأدراك المبتغى ثم ان هذا التعادي الذي قام به الحلفاء في الشرق قد سبب اضطراباً سياسياً عظيماً في الغرب ، فبعد التباين واتسعت فرجة الخلاف . قال أحد كتاب الفرنسيين في الآونة الحديثة ينذر أوروبا انذاراً شديداً : « ان العالم الاسلامي بات لا يعترف بمحدود أملاكنا الاستعمارية ، والعامل الذي يريد اعتبار الحقيقة لا يعجب من ذلك أقل عجب

(١) ذكر المؤلف في هذا الموضع كلاماً مقتبساً من كتاب ( نقطة الشعوب الاسلامية في القرن الرابع عشر للهجرة ) مؤلفة يحيى مدني ، اضربنا عن ترجمته — ( العرب )

مادامت الدعوة الكبرى التي نشرها ورفع علمها جبال الدين في المسلمين تسير سيرا دراكاً . »

وأى شيء أدل على هياج الاسلام ، وغلجان مراحل حقه من ذلك الثوران الهائل الذي يقوم به السبعون مليوناً من المسلمين في الهند ، احتجاجاً على تجزئة المملكة العثمانية ، والامر الاخطر ان هذا الثوران الاسلامي ليس مقصوراً على الهند لحسب ، بل انه شامل المعمور الاسلامي ، وعلى ذلك فلم يقال السر تيودر موريسون بانذاره : « لقد حان وايم الحق للامة البريطانية ان تعتبر وتتدبر خطورة ما هو جار في الشرق ، فان العالم الاسلامي اجمع ليعج غضباً ، ويحتدم حنقاً ، من جراء تجزئة تركية . وما هذه اللوامع النارية التي تبدو في كابل والقاهرة الا البرق الذي تنلوه الرعود القواصف فالصواعق المزلزلة . اني قد آقت في الهند أكثر من ثلاثين سنة عرفت في خلالها المسلمين حق المعرفة ، وارى من الواجب علي الآن ان أنذر أمتي البريطانية بشر عقبي هذا الثوران الاسلامي الناشئ عن تجزئة تركية التجزئة المنوية . فان ساسة مؤتمر فرساييل قد غالوا تركية في الاناضول منقطعة عن سائر العالم الاسلامي ، فليس من شعب بغضب لها ، ولا من أمة تغار عليها . فأسوأ هذا الخيال الباطل والوهم القاتل : ! فمن شاء البرهان فلينظر الى هذه الوفود الاسلامية العديدة ، الحالة بين طهرانينا في لندن كأنها اللهب لا يصطلي به . فالمسلمون غاطبة في الهند ، من « بشوار » حتى « أركوت » قائمون قاعدون لما يرونه قد حل بساحة تركية والمسلمين ، حتى باتت النساء المسلمات يمولن احوالاً شديداً ، ويبكين حالة الاسلام بكاء الامهات اطفالهن ، وترى التجار وهم أبعد طبقات الامة من مزاوله الشؤون السياسية يفرون من حوائدتهم ومتاجرهم خفافاً الى حيث ينظمون رفائع الاحتجاج ويطيرونها بالبرق الى انحاء العالم ، وترى الطوائف العديدة من رجال الدين المتقشفين ، المتشددين ، المضروب بهم المثل في شدة انقطاعهم عن جاري الحوادث في العالم ، يخرجون من المساجد



مواكب مواكب ليشاركوا في القيام بالتظاهرات والاحتجاجات .  
وأغرب ما في الحالة ان الاحرار قد أخذوا ينتظمون أكثر فأكثر في  
عداد رجال الجامعة الاسلامية ويؤيدونها بما استطاعوا من القوة والحول ،  
على اعتقادهم بوجوب الأخذ عن الغرب واقتباس الآراء والافكار منه ،  
وذهابهم مذهباً مخالفاً لفلاة الجامعة الاسلامية وارباب الطرق الرجوعية ،  
والحامل كل الحامل لم على ذلك هو اشتداد الضغط والعسف الاوروبي ، فهم  
اراء هذا الخطب الكبير يسمعون في رده بموالاة الاحزاب الأخرى والتحالف  
معه ، ولو الى حين ، مع علمهم ان الاحزاب الوطنية المتفالية واحزاب الجامعة  
الاسلامية اذا اُثارت حرباً عامة باسم الجهاد ، فمن شأن هذه الحرب ان تنجس  
غوراً بعيد المهوى بين الشرق والغرب ، وتقضي على تلك العوالم والمؤثرات  
السارية من هذا الى ذاك ، وهي التي تترى اليوم دابة في كل عرق من عروق  
العالم الاسلامي باعثة فيه القوة والعزم ، ومع علمهم ايضاً ان حرباً كهذه تشمل  
فار التعصب الرجوعية في المعمور الاسلامي ذلك التعصب الذي اذا عاد فاتقد  
أوهن حركة الاصلاح الحديث في الاسلام ابهائاً شديداً فأخرها مدة مديدة .  
ولعل الذي عرف حتى اليوم من ثوران الاسلام لا يعد أكثر من مقدمة  
لما سيحدث في السنين المقبلة . ولنا دليل على هذا ظهور الدعوتين العظيمتين  
للاصلاح الديني في الاسلام اصلاحاً ضارباً الى التعصب ، أما الاولى فهي  
دعوة « الاخوان » التي نشأت منذ نحو عشر سنين في نجد قلب بلاد العرب ،  
وهي الوهابية عينها التي كانت نشأت منذ مئتي سنة خلت ، وهذه الوهابية  
الحديثة ما برحت تلتشر انتشاراً سريعاً حتى طبقت كل نجد ، وعلى رأسها زعيم  
صحراء بلاد العرب الكبير اعني به ابن السعود ، خليفة سعود الذي كان رأس  
الدعوة الوهابية منذ مئة سنة . وأما « الاخوان » الجدد فعلى تعصب شديد  
منقطع النظير ، وخطتهم هي حلم الوهابية القديم من الاصلاح الديني العام في  
العالم الاسلامي . واما الاخرى فهي الدعوة « السلفية » التي نشأت في الهند

منشأ يشابه دعوة « الاخوان » في نجد ، غير انها قد انتشرت في هذه السنين الاخيرة انتشاراً عم كل رقعة اسلامية . وغرضها كغرض الوهابية من حيث الاصلاح المزيج بروح التعصب . وغالب اتباعها من حلققات « الدراويش » . هذه هي الحالة التي مع ما نطوى عليه من مختلف العوامل المبسطة الذكر تنخر نخرًا متغلغلًا في سلم الشرق .

واذ قد بلغنا في الكلام على الجامعة الاسلامية من وجهتيها الدينيه والسياسية الى هذا الحد ، يجدر بنا ان نقول كلمة في الجامعة من حيث وجهتيها التجارية والصناعية ، وذلك ما يعرف بالجامعة الاسلامية الاقتصادية :

ان السبب في انتشار الجامعة الاسلامية الاقتصادية ، هو عوامل الاستنزاف ، واحتياز موارد الثروة في الشرق . فمن قبل خمسين سنة خلت كان العالم الاسلامي يتسكع في « اجياله الوسطي » ، فكانت الشريعة الاسلامية ، وما فيها من تحريم الربا ، مرعية حق الرعاية بحيث لم تكن الحياة الاقتصادية بمعناها الحالي ميسورة ، وما كان هناك من بعض التجارة والصناعة انما كان غالبه في ايدي النصارى واليهود من اهل البلاد . زد على هذا ان الزاحم الغربي جاء فانتهى عزول الحياة الاقتصادية الشرقية زلزالاً هائلاً ، اذ ان فتح اوروبا للعالم الاسلامي الفتح السياسي كان يماشيه الفتح الاقتصادي جنباً الى جنب ، وربما كان هذا الاخير اتم نظاماً وأكمل عدة ، فبات كل صقع شرقي في طوف من البضاعات والحاج البخسة الاثمن ، المنقولة من اوروبا ، ووراء ذلك رؤوس الاموال الغربية متدفقة لا تحصى ، تسرب في البلاد وتنتشر بأخدع الصور وأملق الاساليب ، كالقروض ، والامتيازات التي من شأنها متى ما عقدت ان تكون تمهيداً لاستقرار السيطرة السياسية الغربية .

فنصر اوروبا الذي نالته في فتحها هذا الفتح السياسي الاقتصادي النام كان باعثاً للشرقيين على العداء والمقاومة ، فاستيقظ العالم الاسلامي غضبان فهاهنا ما رآه في دياره من الاسباب والادوات الغربية المأني بها لاستنزافه



واستنفاد خبراته الطبيعية ، فقد حوله ازاء حول الغرب الجبار المعاني فأدرك شقة البعد ، فطلق للحال بحجة في سبيل التحرر الاقتصادي جسده في سبيل التحرر السياسي من ريق الذل والاستعباد . ثم انشأ حكما المسلمين ، وأرباب الدراية فيهم والرأي السديد . يلتصقون الاسباب الغربية الفضلى ، التي من شأنها ان ترقى بالعالم الاسلامي رقياً اقتصادياً جليلاً ، فتمسخت الاساليب والمتاهج الغربية . ونسج على منوالها ، وما كانت تحرر عن الشريعة لتقف سداً في وجه النهضة ولا لتحول دون مجراها .

فنتج عن ذلك تطور عظيم في الحياة الاقتصادية اخذ ينمو ويزداد ، ناهجاً منهمجاً اقتصادياً غريباً . ولكنه حتى اليوم ما برح يجتاز الدور الاول من ادواره ، وهو أظهر وأبين في البلاد التي هي أشد صلة ومماساً بالسيطرة الغربية كالهند ومصر والجزائر . أما متجهه فواحد في كل قطر اسلامي ، وسنفضل الكلام على هذا في فصل التطور الاقتصادي . فما يجب اعتباره في هذا المقام هو تدبر شأن هذا التطور من حيث صلته بالجامعة الاسلامية ومركزه فيها . وهذا الشأن هو عظيم جداً . لأن أوثق وحدة ، وأمتن صلة ، ظهرت في المسلمين حتى اليوم انما هي الوحدة الاقتصادية بلا مرأ . ولا يعزب عن البال ان الروابط الدينية والصلوات الخلقية التهديبية ، التي تجمع بين المسلم والمسلم ، ما انفكت تزيد في تواتر المسلمين وتآزرهم ، وتضامهم وتضامهم في المعمور الاسلامي أمة واحدة بعضها يغار على بعض وجانب يساند آخر . دع ما هو هناك من الاسباب الغربية للنقل والتواصل ، المسهقة على المسلمين القيام بالاسفار الى كل جهة أرادوا ، فازداد بذلك تعارفهم واستمسكت أواصرهم ، فنشأ فيهم نشء جديد ، ابناؤه مقادير ، بعداء الهمة ، اشتداء العزم ، فيهم النجار وأرباب السفن البحرية والاعمال التجارية ، والصارفة ، والممارسة حتى وأرباب المصانع والمعامل ، ممن لم ير امثالهم في المسلمين من قبل بقرن أو نصف قرن خلا . وأبناء هذا النشء الجديد على غاية

من التفاهم والتوافق . تربط بعضهم ببعض الروابط الاسلامية ، ويحملهم التراحيم الغربي المنتشر في بلادهم على شدة التضامن ، فلهم في الواقع من سعة المجال للعمل المنظم والاتحاد الوثيق ما ليس مثله لاساسة المسلمين ، اذ في الافق الاقتصادي يتلاقى الاحرار ودعاة الجامعة الاسلامية والغلاة وسائر الاحزاب الوطنية على أتم وثام . فلا خلاف بينهم في هذا المبدأ ان يفضي بهم الى الانقسام لعدة اتباع احدى السياسات ، كسياسة الثورة أو الجهاد ، انقساماً يحملهم على تهديد أوروبا المسلحة ، أو يؤدي بهم الى المجازفة بالنفوس والدماء والاموال ، بل هم جميعاً في نطاق الجامعة الاقتصادية سواء ، متحدو الكلمة ، يجذون في سبيل الحياة الاقتصادية الاسلامية ، متوخين في ذلك الطرق والاساليب التجارية التي لا يجرأ الغرب ان يحول دونهم ودونها ولا يقف في وجهها .

فما هي غاية الجامعة الاسلامية الاقتصادية ترى ؟ انما هي : ثروة المسلمين للمسلمين ، وثمرات التجارة والصناعة في جميع المعمور الاسلامي هي لم يتمتعون بها وليست لنصارى الغرب يستزفونها . وهي نقض اليد من رؤوس المال الغربية والاستعاضة عنها برؤوس مال اسلامية . وفوق جميع هذا ، هي تحطيم نواجذ أوروبا تلك النواجذ العاضة على موارد الثروة الطبيعية في بلاد المسلمين ، وذلك بعدم تحديد الامتيازات في الارضين والمعادن والغابات وقطر الحديد والجرارك ، المقود التي مادامت خارجة من ايدي العالم الاسلامي فهو يظل حالة على الغرب .

هذه هي اغراض الجامعة الاسلامية الاقتصادية ، وجميعها حديث المنشأ ، وصبيه السيطرة الغربية الشديدة في العالم الاسلامي - السيطرة التي تتكلم عليها في الفصل التالي من هذا الكتاب .



## التعليق على مسلمي الصين

(راجع اشارة رقم (١) في (ص ١٠٢)، و اشارة رقم (١) في (ص ١٣٠)

مسلمو الصين كنهم ليسوا من هذه الدنيا فالملومات عنهم قليلة والروايات بشأنهم متناقضة وإلى هذه الساعة لم يعرف المؤرخون كيف كان وصول الاسلام الى الصين أوصل اليها بحراً من طريق الهند أم وصل براً بطريق تركستان وما وراء النهر كما ان الجغرافيين و علماء الاحصاء الى اليوم لم يتفقوا على عدد المسلمين الصينيين فنهم من يجمعه عشرين مليوناً ومنهم من يجمعه خمسة وعشرين مليوناً ومنهم من يقول ثلاثون ومنهم من يقول اربعون وكثيرون اكثروا القول بان في الصين ٦٠ مليون مسلم ومن هؤلاء بعض علماء من مسلمي الصين جاؤا الى الاستانة ومصر وأكثروا ان المسلمين هناك لا يقلون عن ستين مليوناً وكذلك روى لي مستشار سفارة الصين في برن قاعدة -ويسرة- وبخلافه قال غيرهم فأكثروا أن مسلمي الصين لا يزيدون على عشرة ملايين وأن بمئة أولون Mission d'ollone التي ارسلت بمساعدة نظارة المعارف الفرنسية وجابت بعض اقطار الصين لاتبجده المسلمين يزيدون على خمسة ملايين في جميع بلاد الصين وأن كانت تقول انها لا تقدر ان تحجز بني.

وأما دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية ، فتقول انه لا يمكن الاعتماد على قول وثيق من جهة العدد ولكن بروموهال Brumhual ارسل سؤالاً الى نحو ثمانمائة شخص من اهل الصين بجامع نحو ٢٠٠ جواب من أما كن مختلفة فأستخلص ما يأتي :

ولاية كانسو اقل ما يقدر فيها مليونان من المسلمين ومعظمه ثلاثة ملايين ونصف مليون . والمسلمون في كانسو كثيرون في غربي هذه الولاية ومواليدهم تزيد بالنسبة على مواليد الصينيين ويوجد نواح خلت من الاسلام بعد الثورات التي جرت ففي « ليانغ تشوفو » لم يبق سوى ٧٠ مسلماً . وفي « هسي نينغ فو » يوجد ٢٥٠ ألفاً وفي « لان تشوفو » قاعدة الولاية ٢٥ ألفاً ولهم جوامع عظيمة وربما منهمهم بسبب الثورات الاخيرة من السكنى في داخل المدن فسكنوا في الضواحي وكانت لهم جوامع فيها كما هو الحال في « نينغ هسيا » و « يينغ ليانغ » .

ولاية « ششي » كان فيها قبل الثورات مليون مسلم ولا يظن انه باق فيها اليوم أكثر من خمسمائة ألف . ويوجد في « سنجان فو » سبعة جوامع وفي (تشونج فو) ثلاثة .

ولاية شاني يقال ان فيها ٢٥ ألف مسلم

ولاية (تشينجبي) الاحصاءات تختلف كثيراً فيها ما يجعل مسلمي هذه الولاية ٢٥٠ ألفاً ومنها ما يجعلهم مليوناً وفي باكين من ٣٠ الى اربعين جامعاً ومنها المسجد الاعظم ( بن شيه ) الذي يدرس فيه علي رضا التركي . ويقدر عدد المسلمين فيها بمشيرة آلاف . وفي ارباضها مسلمون كثيرون . كذلك في الشمال من جدار الصين الكبير عدد واخر من المسلمين .

ولاية (شاتوتو) هم فيها من ١٠٠ الى ٢٠٠ ألف نسمة .

ولاية (هونان) هم فيها أكثر من ٢٠٠ ألف نسمة في مدينة (هوي شينغ فو) اربعون ألفاً والقرى المجاورة كلها مسلمة وفي (شنغ شو) عشرة آلاف وأهالي « هوي تين شي » كلهم مسلمون ومساجدهم كثيرة .

ولاية (كيانغ سو) مفلونون ان فيها ٢٥٠ ألف مسلم . وفي « نانغ كينغ » عشرة آلاف لهم ٢٥ جامعا .

ولاية « تشوان » ليس عندنا معلومات واضحة الا عن قسم منها فيه ٥٠ ألف مسلم والمفلونون ان الولاية كلها محوري ٢٥٠ ألفاً . ومركز الاسلام هو في الشمال الغربي من البلاد مثل (سونغ بان تينغ) ونمو الاسلام كثيراً على حدود التبت . وبلدة (كيو شياو) فيها ١٢ اماماً و ١٠٠٠ مفلون اي عالم .

ولاية (كوي تشو) لا يوجد فيها أكثر من ١٠ آلاف مسلم ولهم اربعة مساجد .

ولاية (ينان) يختلف الاحصاء فيها من ١٦٠ ألفا الى مليون . وقد نسقت الثورات من بلاد الاسلام فيها جانباً كبيراً وان مدناً كثيرة صارت قاطعاً مقتصراً . ويقال ان مسلمي ينان يخفون عددهم الحقيقي لاجتناباً لخاوف الحكومة الصينية . ولا يختلف مسلمو ينان عن الصينيين لا في الزي ولا في الفكر ويطن دافيز Davies ان المسلمين في السهول هم اضافة مقاطعة عما هم في الجبال وانهم ثلاثة في المائة أي ثلاثمائة ألف نسمة لا غير . وأما سوليه Soulié فلي مجلة العالم الاسلامي سنة ١٩٠٩ جزرهم من ٨٠٠ ألف الى مليون وكذلك ليثير رود يقول ان في ينان مليوناً من المسلمين وعلى كل حال فحساب ثيرسان Thiersant صاحب كتاب (المحمدية في الصين Le Mohammedisme en Chine) بأن مسلمي ينان هم اربعة ملايين هو بعيد .

ولاية « جوب » ليس فيها أكثر من عشرة الاف وفي (فوشانغ ) ثلاثة مساجد وفي (هانكو) مسجدان .

ولاية (كيانغ سي) هم أكثر قبلاً من ٢٥٠٠

ولاية (آن هوي) فيها اربعون ألفاً ويكثرون في شاليها وفي العاصمة (انكينغ) ستة الاف ومسجدان

ولاية « تشيكبانغ » فيها ٧٥٠٠ فقط . ومدينة (هانغ تشوفو) التي يذكرها جغرافيو العرب وشاهد فيها ابن بطوطة عملة اسلامية عظيمة شنية لم يبق فيها اليوم الا مئتان من المائات ونحو اربعة مساجد .

ولاية (كوانغ تونغ) فيها ٢٥ ألفاً واما خالديو التي يسميها جغرافيو العرب الحفشاء وابن بطوطة يقول لها (سيفي كالان) فلم يبق فيها سوى ١٠ آلاف مسلم وخمسة جوامع .

ولاية (كوانغ سي) فيها من ١٥ الى عشرين ألفاً منهم ثمانية آلاف في العاصمة (كوي لين) وفي هذه المدينة وفي (فوتشو) ستة جوامع .

ولاية (فوكين) فيها ألف مسلم فقط ولهم مساجد في (آموي) وفي (فوتشو) وفي (تشانغ تشوفو) ولا يوجد في آموي أكثر من اربعين الى خمسين مسلماً هم من طبقة مأموري الحكومة .



ولاية منشوريا فيها ٢٠٠ ألف مسلم منهم في مدينة موكدن ١٧ ألفاً.  
ولاية مونغوليا : المسلمون فيها هم في الجنوب واحصاؤهم متعذر.  
أما التركستان الصيني وان لم يدخل هنا فالاحصائيون يجمعون فيه من مليون الى مليونين  
واربعمئة ألف مسلم .

ونتيجة هذه الاحصاءات ان حدها الاصغر هو ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف وان حدها  
الاعظم هو سبعة ملايين واربعمئة ألف . ومن اقرب الغرائب ان لا يفسرين الاوربيين  
يتأقش بعضهم بعضاً في الشهادات في مثل ان بعضهم يذكر وسطاً اسلامياً عظيماً فيه المدارس  
والساجد والاخرين يقولون اننا لم نشاهد من ذلك شيئاً . انتهى بصرف عن الانيسكوييدية  
الاسلامية .

على ان نيرسان صاحب كتاب ( المحدث في الصين ) الواقع في مجلدين يخصص المسلمين ٢٥  
مليوناً في الصين وكذلك الجغرافي الفرنسي الشهير البزك دكلوس يقول في جغرافيته العامة  
مايلي :

ان المسلمين لهم بال كبير في المملكة الصينية وقد حذرهم سكانها بكثافة بعض من مليوناً ولكن  
هذا العدد يظهر ضئيلاً بالنسبة الى اقوال مؤرخين آخرين من الصين ففي ولاية كانسو  
كان المسلمون هم الاكثرية كما انهم كانوا في كثير من نواحي شمالي الصين نحو تلك السكان  
ويجب ان نحسب منهم الدورقان وسائر مسلمي دونغوية وكولجه وتركستان الشرقي لاجل ان  
نعلم اهميتهم ويزاهم الانسان اهل درجة من سائر ابناء وطنهم واعز نفوساً وأصرح نظراً  
وفي ولايات غربي الصين يتفردون السلاح وهم لا يشربون المسكرات ولا التبغ ولا الافيون  
فتجدهم اصح اجساماً من ابناء الملل الاخرى ويوجد بينهم تضامن يحملهم اسعد حالاً وأعظم  
ثروة من غيرهم ويغرضون على جماعتهم ضريبة معلومة نظير العشر من الدخل لاجل انفاقه  
في مصالح الجماعة وهذا في ولايات كانسو وشنسي وفي بلاد بنان عندهم مدارس يتعلمون فيها  
العربية ويفهمون معاني القرآن كما ان الصلاة هي في كل مكان بالعبادة وفي كانسو يوجد مئات  
من الجوامع ثم ان التجارة في الشمال تكاد تكون متحصرة في أيديهم لاسيما تجارة المواشي  
فتجدهم هم الذين يبيعون يا كين وسائر المدن الشمالية الساحلية الخ .

وقد تمت مسألة اسلام الصين دولاً أوربياً كثيراً لانها توجست ولا تزال تتوجس خيفة  
من انتشار الاسلام في الصين الى حد ان يصير هو العاقل على تلك المملكة التي عددها يزيد  
على اربعمئة مليون فاذا قدر الله دخول هذه المئات من الملايين في الاسلام حصل انقلاب في  
وجه العالم .

### الاسلام في الصين

الاسلام قديم الهجرة في بلاد الصين يذكر الصينيون ان اول ظهوره بين ظهرائهم كان  
لعمد السلطان ( تاتسونغ ) وذلك في القرن السابع للمسيح وان اول دخول من المسلمين الى تلك  
البلاد رجل من عصابة الذي يقال له ابن حزة جلا الى الصين بثلاثة آلاف مهاجر ونزلوا في  
( سنجانفو ) وانه جاء على أثرهم مسلمون آخرون من طريق البحر وأقاموا بجبهات يوتان .

ويذكر مؤرخو الصين انه في نواحي سنة ٧٥٨ اقبل على بحر الصين متلصصة من العرب باخذون كل سفينة غصباً فماتوا في تلك البحار وجاسوا خلال الديار واكتسحوا ضواحي كشتون واحتلوا على ما في الاهراء السلطانية التي هناك . وهذه تباشر دخول العرب لتلك البلاد بحسب ماورد في تواريخ الصين .

ولم اجد الى الآن في الكتب التي طالعته من كتب العرب أثراً لنصرة ابن حمزة هذا ولا ما يواظبها وإنما روى السويدي في تاريخه قصة تحكيها من بعض الوجوه نأثرها بالاختصار . وهي ان رجلاً من قريش من ولد هبار بن الاسود \* خرج الى مدينة سيرا ، وكان من ارباب البصرة وفوي الاحوال الحسنة . ثم ركب منها في بعض سراكب بلاد الهند ، ولم يزل من مركب الى مركب ، ومن بلد الى بلد ، الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة ( خاتقو ) ثم دعت منه الى ان يسار الى ديار ملك الصين ، وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان وهي من كبار مدنها فاقام يئلب الملك مدة طويلة يرفع الرقاق ويذكر انه من أهل بيت نبوة العرب ، فامر بعد هذه المدة الطويلة بازاله في بعض المساكن وازاحة اللعة بما يحتاج اليه . وكتب الى الملك المقيم يخاتقو بأمره بالبحث عنه ، ومسالمة التجار وعما يدعيه من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم . فكتب صاحب خاتقو بصحة نسبه ، فاذن له بالوصول اليه ووصله بمال واسع واعاده الى العراق .

ويظهر من كتب العرب ، ان اول صقع عرفوه من بلاد الصين هو كاشغر . وذلك منذ سنة ست وتسعين للهجرة اذ غزاها قتيبة بن مسلم الباهلي في خلافة الوايلد بن عبد الملك الاموي . قال ابن الاثير الجازدي في تاريخه انه سار وحمل مع الناس عيالهم ليضمهم بسرقته فلما عبر النهر استعمل رجلاً على مبر للنهر ليجتمع من يرجع الا بجواز منه ، ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر ، وهي ادنى مدائن الصين ، فتم وسي وأوغل حتى بلغ قريب الصين ، فكتب اليه ملك الصين ان ابست الى رجلاً شريفاً يجبرني صنعكم وعن دينكم . فالتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح فامرهم ببدء حسنة ومتاع حسن من الخبز والوشى وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي فقال لهم اذا دخلتم عليه فاعيدوه اني قد حلفت اني لا أنصرف حتى أحاط بلادهم وأختم ملوكهم وأجي خراجهم . فساروا وطبهم هبيرة فقال لهم ملك الصين قولوا لصاحبكم بنصرف فاني قد عرفت قلة اصحابه والا بعت اليكم من بهلككم . قالوا : كيف يكون قليل الاصحاب من اول غيلة في بلادك وآخرها في منابت الزيتون . وأما نخوتك أيانا بالمثل فان لنا آجالا اذا حضرت فآكرمها القتل لسانا نكرهه ولا نخافه . وقد حلف ان لا يعترف حتى يبطأ أرضكم ويختم ملوككم وتمطوا الجزية . فقال فانا نخرج من يمينه ونبتع تراب أرضنا فبطأه ونبتع اليه بعض ابنائنا فيختمهم ونبتع اليه بحرية برضاها . ثم اجازهم وبت بما ذكر الى قتيبة قليل الجزية وختم الثمان وردهم ووطي التراب . فقال سواد بن عبد الملك السلولي :

لا حيب في الوفد الذين بعثتهم	لصين ان سلكوا طريق المنهج
كسر والجفون على القذى خوف الردى	حاشي الكريم هبيرة بن مشمرج
ادى رسالتك التي استدعيت	فذاك من حش الحيون بمخرج



ووصل الخبر الى قتيبة في هذه الغزاة بموت الوليد ثم قتل قتيبة في السنة نفسها ولا يبعد  
 انه لو بقي حياً لاستأنف الكرة على الصين لما هو مهود من بعدهم في الجهاد . ولا شك ان  
 الاسلام كان قد دخل في البلاد منذ ذلك الوقت وكثرت انبعاثه وما زالوا على نحو وازدياد  
 يلحظ ذلك من تضاعيف الموادث المذكورة في نواحي العرب فقد ذكر ابن الاثير انه في سنة  
 اربع وستين ومائتين ظهر ببلاد الصين انسان لا يعرف جمع عملاً من العامة وأهل القرى  
 وقصد بهم مدينة خانو وحصرها . قال وهي حصينة ولها نهر عظيم وبها طلم كثير من  
 المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم من اهل الصين . هذا في القرن الثالث  
 للهجرة . واما بعد ذلك فترى الاخبار عن مسلمي الصين كثيرة : نقل الامام احمد التافشندي  
 المتوفى سنة ٨٢١ عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندي وكان من السفار وعن جال  
 الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقها وحاس خلاله انه قال ان من عجائب ما رأي في مملكة التان  
 (أي الخان) انه مع كفره في دعائه من المسلمين امة كثيرة وهم عنده مكرمون محرمون  
 ومعنى قتل احد الكفار مسلماً قتل النافل الكافر وأهل بيته ونهبت أموالهم وان قال مسلم كافراً  
 لا يقتل به بل يطلب يديه ودية الكافر عندهم حرام لا يطلب يديه .

ولم يدخل الاسلام بيت الملك في تلك البلاد الا ما قال ببلاد المغول في ذرية جنكيز خان  
 وفي كاشغر . قال ابن خلدون في الجزء الخامس من تاريخه عند ذكر الترك انه كانت لهم دولة  
 ببلاد تركستان وكاشغر وان ملوكهم اسدوا بعد صدر من الملة على بلادهم وملكتهم وكان  
 بينهم وبين بني سامان القاتلين فيها وراء النهر بدولة بني العباس حرب وسلم .  
 قال يحيى بن احمد بن علي النسائي كاتب جلال الدين خوارزم شاه في تاريخ دولته ان  
 مملكة الصين منقسمة من قديم الزمان على تسعة اجزاء كل جزء منها مسيرة شهر ويتولى كل  
 جزء منها ملك يسمى بلقتهم خان ويكون نائباً عن الخان الاعظم وكان جنكيز احد الخانات  
 المذكورين قتلهم جميعاً وصار الملك الاعظم . وفي كتاب ابن فضل الله محكياً عن  
 صاحب علاء الدين عطاء ان دينه ودين قومه كان المجوسية حتى ملكوا الارض واستفحت  
 دولتهم بالعراق والتهال وما وراء الهند فاسلم من ملوكهم من هداه الله للاسلام .

وذكر ابن خلدون في الكلام على ملوك بني جغتاي بتركستان وكاشغر وما وراء  
 النهر انهم كانوا اولاً كلهم على دين المجوسية يمشون عليها بالنواجد فلما صار الملك الى ترماشين  
 منهم اسلم ستة خمس وعشرين وسبعماية وجاهد وأكرم التجار المزددين .

وذكر الملك المؤيد صاحب حماة في تاريخه في خبر الملوك بني دمرش خان وهو من أولاد  
 جنكيز خان انه لما مات دوشى خان ولي مكانه ابنه ناظوخان ثم مات وولي بعده طرطوخان ثم  
 مات فولي بعده ابن أخيه واسمه بركة قاسم على يد شمس الدين الباخوري وكان مقبلاً ببخارى  
 كتب اليه يدعو الى الاسلام قاسم وان بركة هذا عمل الرعدة الى لقاء شمس الدين فلم ياذن له  
 في الدخول حتى تطارح عليه أصحابه وسهلوا الاذن لبركة فدخل وجدد اسلامه وطاهد الشيخ  
 على اظهار الاسلام وان يحمل عليه سائر قومه غلهم واتخذ للساجد والمدارس في بلاده وغرب  
 العلماء والفقهاء ثم ذكر المؤرخون اسلام أربك بن طغرلجاي من سلاطين اسلام تركستان بن  
 هولاكو وخربندا بن ارغو ثم احمد بن هولاكو . وفي مختصر الدول لابن الفرج المايطي

صورة كتاب كتبه الى سلطان مصر في ذلك الوقت جاء فيه : بقوة الله باقبال قلن فرمان  
أحمد . اما بعد فان الله تعالى بسابق عنايته وبنور هدايته قد كان ارشدنا في هوان الصبا  
وربعان الحداثة الى الاقرار برؤيته والاعتراف بوحديته والشهادة لمحمد عليه افضل الصلاة  
والسلام بصديق نبوته ( الى ان يقول ) وانقدنا اقصى الفضائل قطب الدين والاثابك بهاء الدين  
وما من ثقات هذه الدولة القاهرة ليعرفهم طريقنا ويتحقق عندهم ما ينطوي عليه عموم  
المسلمين جيل سقتنا وديننا لهم انا من الله على بصيرة وان الاسلام بحجة ما قبله الخ .

وقال النفثندي ( في صبح الاعشى ) ان أول من أسلم من ملوك هذه المملكة زمانا شيرين  
أسلم وأحسن اسلامه وأخلص وأيد الاسلام وقام به حتى النيام وأمر به أمره وعساكره  
وذكر أيضاً عن يكدار أنه أسلم .

وقد بنى الاسلام في اعقاب الاوينور طائفة جنكيز خان الى يومنا هذا . بقي جغرافية  
الجزء ركولوس ان الاوينور والطائفون سكان بلاد كانتو كانوا قديماً من عبدة الاملا ومن  
الضاطرة غاسلوا وأسلم بهم جميع سكان الشمال والغرب من مملكة جنطوي ثم ازداد عددهم  
بمهاجرة المهاجرين من اعالي التركستان الشرقي ومسلمي المغول الذين بنوا من عهد غرناك  
وبهذا صارت الاقلية للاسلام في هذا القسم من مملكة الصين .

ولما دخل ابن بطوطة الصين على ما ذكر في رحلته كان الاسلام فيها غشياً وافرأ حسب ما  
يفهم من كتابه فهو يقول في الجزء الرابع من رحلته : وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة  
للمسلمين يفرمون فيها بسكنائهم ولهم فيها المساجد لاقامة الجماعات وسواها وهم معظون  
محترمون .

ولما ذكر مدينة زيتون قال : وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان  
والارض وداره في وسطها كمثل مالي بلدة سجلماة في بلادنا وهذا عظمت بلادهم والمسلمون  
ساكنون بمدينة على حدة . ثم قال ضمن تعرفه من صدور تلك البلاد وجاء الي قاضي المسلمين تاج  
الدين الاردوبي وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبد الله الاصفهاني  
وهو من الصنعاء وجاء الي من كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذين  
استندت منهم حين قدمي على الهند وهؤلاء التجار اسكنهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم  
المسلم فرحوا به أشد الفرح وقالوا جاء من أرض الاسلام وله بطون زكوات اموالهم فيعود  
شيئاً كواحد منهم .

وقال عند ذكره مدينة صين كنان ان بعض جهاتها بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع  
والزاوية والسوق ولهم قاضي وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون  
أموال المسلمين كلها راجعة اليه وقاض ينفق بينهم وكان تزولي عند أوجدهم الدين السنجاري وهو  
أحد الفضلاء الاثابر وذوي الاموال الطائفة .

وذكر عند وصوله الى مدينة فنجنفو ان المسلمين فيها يسكنون داخل السور الثالث وانه  
زل عند شيخهم ظهير الدين الفرلاني قال عن الخنساء انها ست مدن كبار وان بالمدينة  
الثانية منها مسكن اليهود والنصارى والترك والثالثة مسكن المسلمين وبها المساجد والاولاد



عنان بن عفان المصري وهم كبار المسلمين فيها زاوية تعرف بالهائية وبها طائفة من الصوفية والمسلمون كثيرون في هذه البلدة .

ولظاهر أن الاسلام ما برح ينتشر في آفاق الصين حتى بلغ عدد أهله عشرات من الملايين . زعم سكانشوف انهم عشرون مليوناً فقط وذهب الاكثرون الى أن عددهم فوق هذا بكثير وأحصاهم صاحب كتاب ( Le Mahométisme en Chine ) المحمدية في الصين ) خمسة وعشرين مليوناً وزعم بعضهم انهم اربعون مليوناً وقال آخرون انهم يربون أيضاً على ذلك وأن السواد الاعظم في ولاية كانسو هو منهم وهناك مدينتا سالار وكينكيابو عطا رجال الطلاب والتفقيين من جميع أقطار الاسلام الصينية . وقد أحصى عدد المساجد في بعض مدن كانسو فبلغ مئاة وهو ما لم يعد الا لعواصم الاسلام الكبرى مثل الاسنائة العالية ودمشق والقاهرة وأن كثيراً من ولايات الصين الشمالية كلها من المسلمين وهم أهل التجارة والسكك والعمل ولذلك تجد حالتهم أجمل وأزكى من حالة بقية الصينيين وكثيراً ما يأخذون أولاد الفقراء من الوثنيين ويربيونهم في حجر الاسلام خصوصاً عند حصول المجامع الشديدة . وقد شددت قضاؤهم عليهم في أداء الزكوات فيجمعونها في صناديق لكل بلد ينفقون منها في شئائهم ويسدون بها عوز محاربيهم فتجد المصدقين منهم قنباين ولهم بعضهم على بعض حنان ورأفة وعقبة فيما بينهم وعلى عدوهم لا توجد في الأمم التي تساكنهم كذلك بسبب تحالفهم الاثيون وأنواع السكرات تجد أجسامهم أحسن من اجسام غيرهم فهم يفوقون جيرانهم الصينيين صورة ومضى ويسمى الصينيون ٥٥ هواي هواي ٥٥ وهذا لقب طائفة الاويفور في الماسي وأما هم فيؤثرون أن يسوا ٥٥ كيا ومن ٥٥ أي أهل الدين عطفاً على ٥٥ أن الدين عند الله الاسلام ٥٥ . ومسلمو بلاد يونان الجنوبية يعرفون باسم ٥٥ بانطى ٥٥ وجميع المسلمين هناك يتميزون عن سائر الاممالي بملابسهم وشواربهم ووحدة ملابسهم ويلوح عليهم من الذمرة والافتة مالا يلوح على سواهم وكلهم من أهل السنة والجماعة والكنتم في افقة فشان الحنفية والشافعية وهم يكرهون جداً الاختلاط بالوثنيين ولا يزوجهونهم وانما يأخذون من بناتهم في الاحايين شراء بالدرهم .

وقد وقعت لمسلمي الصين في هذا القرن مع أهل تلك المملكة حروب نشيب لها الاطفال اذا استقصى خبرها المؤرخ لم تكفه فيها المجلدات وانقصها أن أول ثورة حصلت هناك هي في بلاد يونان بسبب حمة من الفريقين كانوا مسلمون في احد المعادن قاسر القتال عن القلب للمسلمين وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الحق من ولاية الصين مبلغه فاستنفروا اليهم الوثنيين قاطبة ونادوا باستقلال شأنتهم ونفعية آثارهم وذلك في يوم معين من شهر أيار (مايو) أحدشهور سنة ١٨٥٦ فاستنصر المسلمون ذلك قبل وقوعه وأخذوا له أهيتهم وجروا واستلأموا فلما وقعت الواقعة تفرقت الطائفة لجهتهم ولم تزل الحكومة منهم مأرباً إلا في القرى التي مسلموها قليلون . وتكررت الوقائع وصعد الفريقان بعضهم لبعض من أكثر جهات البلاد والمسلمون في غلبة وظهور حتى اقتنعوا عنوة مدينة ٥٥ طالي فو ٥٥ وهي منيعة حصينة من الطراز الاول في حصون الصين وفتحوا منها طريقاً الى برمانيا يسرجون منه اليها الميرة والسلاح ثم استولوا على مدينة ٥٥ يونان فو ٥٥ حاضرة البلاد ومضى على دولتهم هذه وهبوب ريمهم بتلك الارض

ثلاث عشرة سنة والصين لا تزداد أمامهم الا انحلالاً حتى أصبحت أن لا قبل لها بقهرهم بذهب  
السيف فالت الى اعمال الخبيثة : القسائس وجاذبات رحماهم جبال الرشوة ومنتهى الاتعالي وادركت  
عليهم المصائب الوافرة سرّاً ورائهم الاصلح الخطيرة حتى قصبت عرى اتحادهم وحلت بفتنات  
سحرها عقدة جامعهم بل استتالت بعض رؤسائهم الى أن وقفوا في صفها يقاتلون بني ملتهم  
فدسيسي أن تجعل يده ذلك غصبتهم ونشلت رجبهم وان يزرع الصينيون فيهم الانتقام حتى  
يملك منهم ثلاثون ألفاً بعد السيف ويملئ أقوام منهم مملكتهم برمانيا .

أما في شمالي الصين فاستغلل شرر الفتنة سنة ١٨٦٠ وذلك في ٢٢ هوانشيو ٤٤ شرفي  
٢٢ سينكافو ٤٤ وثلاث الدائرة على الصينيين وأنزعهم المسلمون في كل سهل وجبل يقتلون  
ويحبسون ويسكنهم عجزوا عن دخول سينكافو لمباغة أسوارها ثم بعد طيب الثورة في تلك  
البلاد ونادى مادي الاسلام بيا للثورات فاندوا قيامه الرجل الواحد وفر الصينيون والنون  
من أمامهم وانما الى المسلمون لي أنزعهم بشعرهم شلاً ويستصونهم أسراً وغتلا وامتلأت ولايات  
شالي وكالسو عتياً ودماراً والنجا التوتيون الى الكهوف والمقابر وظنوا انها مانتهم فلم  
تكن بمالعتهم واشتمل الحراب على تلك البلاد حتى لم يبق قرية الا خوت على عروشها ولم يذر  
المسلمون الا على المسيحيين ولم يبق طامراً من تلك الجهات الا الامصار الكبيرة بما ادير عليها  
من سياج الاسوار . وقد رعد الدين هلكوا في هذه اللعبة باللايين . وحدث بعض مؤرخي  
الافرنج ان من المسلمين من بلغ منه الخلق أن قتل أولاده وامراته ليثوفرو على الجهاد .  
والحاصل ان هذه الفتنة كانت من اكبر الدين واستمرت خمسة عشرة عاماً كاد ينقطع أمل  
الصين في غناها من استرداد البلاد ولكن لم يلبث الشقاق ان دخل بين المسلمين فادخل عليهم  
الوهن ونشلت مصاعم قطعاً فذلك منهم عساكر الاميراطور واسترجعت الشاسي ثم الكاسو  
ثم عتقل تيان شان وحدث شغل الباقين من النوار في دز وفناريا ولستكنهم لا يزالون الى  
الآن أهل صولة وشوكة وشأنهم على ازدياد وجدهم في صمود ومنهم كثير من الحكام وقواد  
الجيش . وكثير من المؤرخين الاوربيين يظنون أن لهم وحدهم مستقبل السلطان في الصين .  
وقد بعثت الدولة الروسية مرة بعثاً عظيماً جال في الصين وجاب آفاقها واحطم على دخائل امورها  
فسكان من جهة ما قرره تحذير الروسية من مستقبل الاسلام في تلك المملكة لا يهينمو ويتقدم  
واذا أخذ يوماً بزمان الدولة انقلب هيئة الشرق الاقصى انقلاباً عظيماً لأن الصين اسلامية ليست  
كالفين وثانية ( وانتم الاهلون ان كنتم مؤمنين ) (١)



ولقد ذهبت بعثة أولون الروسية لجالت في كثير من بلاد الصين من سنة ١٩٠٦ الى

(١) كان محرر هذه السطور قد نشر مقالات متتابعة في مجلة المنتطف عن الصين وأحوالها  
في سنة ١٩٠١ وعقد فصلاً خاصاً بالاسلام في الصين يفي اعادة نشره من البحث والتعقب  
في كتب ورحلات كثيرة لأنه تمحس تحجيراً جيداً ( وهو هذا الفصل المتقدم ) فلذلك نقلناه  
ههنا من مجلة المنتطف حرة تموز ( يوليو ) سنة ١٩٠١ . ونضيف الى التحقيقات التي جددت  
بعد هذا العهد مثل أقوال بعثة أولون وكلام الاسيكويديده الاسلاميه مع ملاحظتنا عليها .



سنة ١٩٠٩ ونشرت عن مشهوراتها وما اتصلت اليه من المعلومات كتاباً ذكرت في مقدمته ان اصل ارسالها كان من نظارة المعارف لاجل فحص غام عن أحوال الصين . ولكن بعض العلماء استجلبوا نظر النظارة المشار اليها الى موضوع اسلام الصين بنوع خاص . فذلك وجهت منها الى التعقيق عن أحوال المسلمين في الصين ونشرت ذلك الكتاب الذي تضمن خلاصة تدقيقاتها .

وهي ان المسلمين لم يكونوا يؤلفون في كل ولاية وحدة مستقلة قائمة بذاتها وان بين مسلمي الصين مذاهب مختلفة خلافاً لما كان يظنه السياح من قبل وان الطرق الصوفية مبرورة لديهم . وظهر لبنة اولون هذه في آخر ايام سياحتها وجود علاقات مبرية بين مسلمي الصين ومسلمي الشرق الادنى .

وبعد تحرير بنة اولون ما حروته عن مسلمي الصين ظهر كتاب انكليزي اسمه ( الاسلام في الصين ) لساخ اسمه برومهال وذلك في ٢٥ يناير سنة ١٩١١ وهو كتاب نفى صاحبه ١٩ سنة في السياحة في الصين والبحث والتنقيب وأخذ عن نحو ٢٠٠ رجل أمدته بمعلوماتهم . فتهافت على قرائته رجال بنة اولون لعلمهم بمجدون شيئاً لم يحصوه في كتابهم فإذا به يزعمهم لم يكشف شيئاً جديداً فاتهم وإذا هو لا يخرج عن كتاب تيرسان (Thiersant) الفرنسي .

وبحسب تحقيقات بنة اولون كان ظهور الاسلام في ولاية ينان وربما في كل الصين على يد الرجل الملقب « بالسيد الاجل » وهو سيد شريف من آل البيت اسمه شمس الدين عمر دخل في خدمة دولة الصين ونصح لها وكان من أراد الرجال في جميع المزايا فتقدم في الدولة وتولى المناصب المالية وانتهى الامر بأن السلطنة عهدت اليه بولاية ينان فأنشأ الحيز ونشر الامان ووزع العدل وأتى من المآثر ما لا يزال الصينيون يلهجون به الى هذا اليوم وكان دخول الاسلام الى ينان في عهده .

وجاء في تاريخ « كيوسين تانغ شو » انه في صدر الاسلام ورد للصين عسكر عربي عدته ثلاثة آلاف ومن ذلك الوقت دخل الاسلام في الصين ويظن ان هذا الحادث وقع سنة ٧٥٦ م سبجبة .

ويقال ان اصل مجيء المسلمين الى الصين هو لاجل « مساعدة سلطان مخلوع من سلاطين الصين » ومن ذلك الوقت صاروا يخدمون قواداً واجناداً في بلاط السلاطين وبقيت هذه البادة الى عصرنا الحاضر فيجد الانسان غواير تامة من المسلمين يقودها امراء من المسلمين في دولة الصين .

وأما السيد الاجل فقد اظهروا في ينان على تاريخ محدد في سنة ١٦٨٤ يقال فيه ان لما زحف جنكيز خان الى الغرب جاء السيد الاجل عمر بألف فارس وقدم له الطاعة فأكرمه وجعله من بطائه ( ١٢٠٦ - ١٢٢٩ ) ولما آل الامر الى السلطان اوغوناى ( ١٢٣٠ - ١٢٤٢ ) ولما ثلاث ولايات وهي « فونج » و « تشينغ » و « يون ناي » تم استعانة الى بكين وعهد اليه بمنصب عال . ثم لما تولى السلطان تانغو ( ١٢٥١ - ١٢٥٩ ) عهد اليه بادارة ست نظارات بالاشتراك مع ( تا اول هوان ) ثم جعله مديراً عاماً لمقاطعة ( بان كينغ ) فأحسن الادارة جداً فهد اليه بنظارة الاستخبارات . ثم لما زحف السلطان الى بلاد

(تو تشوان) جده نظرا لقيمة العسكرية فقام بها أحسن قيام فلما تولى السلطان قوبلاي أعظم رتبة الوزارة وجعله عضواً في مجلس أمانة السر الأعلى . وكان كلما تقلد عملاً ظهرت فيه فضائله وحاز رضى السلطنة . وسنة ١٢٧٤ تقدم إليه السلطان في أن يقبل ولاية ينان وكانت أحوالها مختلفة وكان أهل ينان شديدي العداوة والجهل فلما ذهب إلى هناك وجد القيادة في يد أمير من بيت السلطنة فخاف هذا منه وأراد أن يجاذبه الجبل إلا أن السيد الاجل بحكمته وحسن سياسته استماله إليه وصيره صديقا . وكانت تلك الولاية في غاية الانحطاط والبلاد خرابا فشر السید الاجل العلم وبنى المدارس واعتنى بتهديب الاخلاق وكذلك وجه همه إلى عمارة الارضين فهدم الطرق وبنى المعابر والجسور والسدود لاجل المياه مما تلاق به خطر التقطع فكانت بعض الانهار تطفئ على الاراضي فتذهب بها زروع الفلاحين فجعل لها حواجز تنقي من ضرر الطغيان . وكانت اراضي اخرى تملش في الصيف من قلة المياه فبنى خزانات وجياضا احتياضا من ورأه العطش . وأزال المنارم والمظالم وأبطل السخرة وشيد ملاجئ والأشياء والمعجزة وخفف المكوس وأحدث الموزجات زراعية بمخذي على متانها وحفر الآبار وأقام الاسواق وأدخل في طاعة الدولة ما لا يعد ولا يحصى من الاقوام . واتناه وجوده في تلك الولاية عمر مساجد الاسلام ولكنه شيد أيضا هياكل لكونفوشيوس ولبوذا . وكانت ولايته تضم عشرين مقاطعة فيحدها من الشرق سونغ ومن الغرب بيرمانيه ومن الشمال التبت ومن الجنوب آنام . وبحسن سياسة السيد الاجل خضع ملوك التونكين وآنام لسلطان الصين .

ومن نوادر حكمته أن ملك لويان ثار على السلطنة ، فصدر الامر إلى السيد الاجل بالرحف اليه فلما سار بالجيش رآه الناس حزينا كثيرا فسألوه عن سبب كآبته فأجاب : لست كثيرا اسكوني ذاهبا إلى الحرب بل لكوني أقصو منكم كثيرا سيهلكون في هذه الملحمة بدون ذنب اقترفوه وانهم سيفتلون وينهبون انما كثيرين مواعدين لا ذنب لهم أيضا . ولما وصل إلى مكان الثورة أرسل إلى الثوار بعرض عليهم التسليم فلبثوا ثلاثة أيام لا يجاوبون فهاج العسكر وطلب القواد الاذن بالهجوم فلم يأذن لهم بل راجع رئيس الثوار في أمر التسليم فأظهر هذا الطاعة لكنه لم يسلم البلدة فوثب رؤساء الجند على البلدة فغضب السيد الاجل واستدعاهم وقال لهم : ان ابن السماء امرني أن اتولى بلاد ينان وأحكم فيها بالعدل والامان لا بالقتل والمعدوان فلا ارضى ان تهاجموا البلد ما دام الناثرون وعدوا بالطاعة فان أبيهم الا سقتك الدماء فتراؤكم القتل . ثم أوثق الضباط الذين أرادوا الهجوم خلافا لأمره . فلما سمع الثوار بما حصل جاءوا وسلموا وسكنت البلاد واطاعت عن بكرة أبيها .

وكان سائر العمال يقتدون بسيرة السيد الاجل ويتباهون باعماله فأمنت السوايل واستراحت لوعية وساد العدل وفاضت الحيرات وعمرت البلاد وصار ينال عيشا لبلاد ينان . أما آثاره في الزراعة فلا تزال بقاءها إلى الآن وإن كثيرا مما بناه من الجسور لا يزال قائما إلى يومنا هذا . وكانت بلاد « تشاوتيان » تطفئ عليها الأنهر فتتحول إلى بحيرة ، فحفر السيد الاجل نهرا حدر إليه تلك المياه كلها فصرفها عن الاراضي التي كان الماء يضرها من قبل . وحفر تروا كثيرة وغلجا لسقيا البقاع المحتاجة إلى الري . وجعل يربد مؤلفا من ٣٦٠ فارسا وحراسا



بقدرهم يسهرون على السجود بحيث اذا حصل قلق في أحدها تسرعت البرد بأخبار الحكومة  
بحمد الحكومة الأهالي ونهضوا لرتق الفتق .

ومات السيد الاجل رحمه الله سنة ١٢٧٩ (مسيحية) فكان له مأتم عم الصين بأسرها  
وبكاه أهل بنان كما يبكي الاولاد أبائهم . وعم الحداد البلاد المجاورة الى بلاد سونغ وتيت  
وغيرها وذبحت القرابين في البلاط السلطاني .

وخلف خمسة أولاد و ١٩ حفيدا فكان خلفه في الامارة ابنه ثم ابن ابنه : نداول أحفاده  
الامارة وكانوا جميعا أعضاءا للسلطنة .

وفي أيام دولة « مينغ » راجع السلطان « تاي تسوكو هوانغ تي » ( ١٣٦٨ - ١٣٩٩ )  
تراجم وزراء الدولة السابقة فلم يجد بينهم في الحكمة والعدل والرفق بالرعية ووفرة آثار  
ال عمران مثل السيد الاجل فأمر بتسجيل سيرته في كتاب خاص بقيد المآثر اسمه « ين تشو »  
وان يدرس هذا الكتاب للطلبة وينشر في المملكة وقد ثبت هذا السلطان لب السيد الاجل  
وهو « الامير الامين المحسن » وأمر ببناء هياكل تدح فيها القرابين عن روحه .

وسنة ١٤٠٥ صدر أمر الحكومة الصينية بتأليف سيرة السيد الاجل بقلم « تشينغ هو »  
ويوجد في بلاد بنان هيككل باسم الامير « هيان بانغ » وهو لقب السيد الاجل عند الصينيين .  
ولا تزال أعقاب السيد الاجل الى اليوم واسرته معروفة منذ ٨٥٠ سنة . وأما أولاده الحية  
فأولهم نصير الدين والصينيون يقولون له « ناسولا تينغ » صار وزيرا للدولة ثم واليا على  
شنتي ثم على بنان ومات سنة ١٢٩٢ والثاني حسن صار قائدا عاما لجيوش « كوانغ تونغ »  
والثالث حسين صار وزيرا للدولة ثم واليا على ولاية « شيانغ مي » ثم واليا وقائدا عاما  
لولاية بنان بعد أخيه نصير الدين والرابع شمس الدين عمر كان مديرا عاما لمقاطعة « كين  
تشانغ » من ولاية شيانغ مي والخامس مسعود والصينيون يقولون له « ماسوهو » وصار  
وزيرا ثم واليا على بنان .

أما أحفاده فاشهرهم « بايان تشنشان » من أولاد نصير الدين صار وزيرا للعدلية ثم واليا  
عاما على بنان بعد عمه الحسين وقد نال الثاب جده كلها وأسرع لتجدة الامبراطور في باكين  
فنال لقب الأمير الآمين المجتهد . وهو الذي رمم المسجد الاعظم في سينغان فو وقال  
لدين الاسلامي من الدولة الصينية اسم « الدين الطاهر الحاق » . ومن أولئك الاعفاد عمر  
والصينيون يقولون له « فوما أول » وكان من وزراء الدولة وصار واليا على « كوانغ تشو »  
ومنهم جعفر كان قائدا عاما لمساكر « كينغ هو » ومنهم حسين صار وزيرا للدولة وخلف  
أخاه بايان تشنشان على ولاية بنان . وشادي صار حاكما في إحدى مقاطعات بنان . وأيوب  
والصينيون يقولون له « ايونغ » وكان مديرا لقم التبريدات في دار القرايين . ويألفشار صار  
وزيرا لقلم الاعلى ولقبه الامبراطور بالجلابي الأكبر . وبرهان وصار حاكما في « يونان سين »  
و « كولي » وكان قائدا عاما لمساكر هولان .

ومن أحفاد أحفاد السيد بعده بسيرة بطون رجل يقال له شاجي والصينيون يقولون له  
« سي هانتي » ادى اليه سلطان الصين مبالغ من التهود في بها مساجد في نانكين وسينغان فو .  
ومن أعيان هذه الأسرة رجل اسمه يوسف يشه وبين السيد الاجل ١٤ بطلا ولد في

بحو سنة ١٦٠٠ والصينيون بسونه ماشيكوتغ وكان طالما فاحسلا ذهب الي ياكين سنة ١٦٦٥ واستشاره الامير اطور في الامور الدينية والعسكرية وصار مدرسا في مدرسة « كوتوكين » وسنة ١٦٨٥ تشر كتابا اسمه « بوصلة الاسلام » ( البوصلة ابرة المغنطيس التي بعثه عليها البحارة ) ومنهم في عصرنا هذا أمير ألاي كن في الجيش الصيني سنة ١٩٠٧ . ومنهم رئيس جامعة مسلمي « ينان فو » وناظر أوقافهم . ورأس هذه الاسرة اليوم هو « ناقتسينغ » امام جامع ماشوكيا .

ويوجد أسر أخرى هاشمية في الصين فان كتابا اسمه « حياة محمد » الفه صيني اسمه « ليوتشيه » فيه مقدمة من قلم رجل ينال له سايو من ذرية الرسول ( ص ) وتاريخ هذا الكتاب سنة ١٧٧٥ .

وسنة ١٤٤٥ كان في مدينة سينفان فو اسرة شريفة نبوية منها حافظ بن كولي محمد بن الشريف بدر الدين بن شمس الدين . والذي يظهر أن الثورات التي قام بها المسلمون في القرن الماضي قد اضرت بهم ووقفت تقدمهم ولولاها كانت لهم الكلمة العليا في حكومة الصين . وقد ظهرت بعثة أولون آثار الفتنة الأخيرة ورأت بعينها الخراب الذي أصاب الديار ولحقت بنفس الذي لحق بالنفوس والامرات وعرفت أن كثيرين من المسلمين لا يزالون تحت المراقبة . وقد آلت بعثة أولون أحد ادباء « لان تشيو » واسمه « فو فو » قيل لها انه اعلم من يوجد بأخبار هذه الثورة فقص لها ما يأتي :

سنة ١٨٦٤ تارت غتة في الشرق والغرب من الصين أحداها « ننان » و « مياداي » لين « و « ماها الوونغ » فالحذا « ننان » فسادا في كانسو واتصل الثاني منهما بشوار كانوا عصوا في جنوبي شني وشمالها فآثار اهالي « تينغ هيا » واهالي « شان هوا » واهالي « مينغ تياولينغ » وهذه هي مدينة في شمالي سور الصين فسافت الحكومة جيوشا على « تينغ هيا » وحاصرتها وقتلت خلفا كثيرا ثم افتتحتها عام ١٨٦٥ بعد حروب طويلة . الا أنه سنة ١٨٦٨ طالت الثورة فاشتملت فسافت الحكومة جيوشا وسفكت دماء كثيرة واستردت كثيرا من المدن العاصية . سنة ١٨٧١ أسرت ماها الوونغ وزعيم آخر اسمه « مانتياو » وصليتهما وهاجت مدن « هونتيو » و « سينغ » و « سونشيو » وأخذت الثورة في جميع بلاد شني و « كانسو » . سنة ١٨٧٤ زحف جيش « ليوكين » تونغ « وجيش « كين شوان » فاصدين الزعيم الديني « باي بن هو » وهاجما « فنان تسي بن » أو « كاشفر » فانهزم الزعيم الى أرض الروس وقتل ملك « كاشفر » وتحددت حدود « سين كيانغ » أي التركستان الصيني من الشمال والجنوب . ونصبت الصين ليوكين تونغ والياً عاما على « كاشفر » انتهى

فظهر من هنا أن ماها الوونغ الثائر المسلم حل كثير الثورة مدة ست سنوات وتولاه لم يتمكن يعقوب بك سلطان « كاشفران » يصل شيئا وان سلطنة « كاشفر » لم تستمر ١٣ سنة الا بفضل ثورة ماها الوونغ المذكور وقد لعب الدور الاعظم في قتال المسلمين الجذال « تونغ فوسيانغ » وهو هو الذي ترأس ثورة « ليوكين » الشهيرة على الاوربيين سنة ١٩٠٠ ولما طلبت دول أوروبا من الصين تسليمه فرأى « كانسو » ونجبا بها . وكانت له قصور شاهقة وارض واسعة ومات سنة ١٩٠٧ واعيدت اليه بعد الموت الألقاب الشريفة التي كانت دولة الصين ترضعها منه اجابة



لطلب الدول وكانوا يظنون في أوروبا هذا الجزال مسلماً وذلك لوجود عساكر كثيرة من المسلمين يلبسون العثماني في جيشه فالتبس عليهم الأمر والحقيقة أن هذا الجزال كان إحدى أعداء الإسلام وأنه من شدة خبته ومكره ضرب بعضهم ببعض وأوقع بأسهم بينهم لاسيما بواسطة القائد المسلم «مقان لينغ» الذي فتك كثيراً بأبناء ملته.

وأما ثورة ينان فاستمرت من سنة ١٨٥٥ إلى ١٨٧٣ وانتهت بالويل على المسلمين. وسبب انكسارهم اختلاف رؤسائهم وعدم تذكركهم قوله تعالى (ولا تازعوا فتفشلوا وتذهب ويحكم) قال الناصر «توفسيو» «تودي» به سلطاناً في «٥٥» نالي «٤٤» ولكن الزعيمين «٥٥» مائوسين «٥٥» و«ماجولونغ» قتلاه وانتصر الحكومة الصين. وكان للناصر ما هو النوع شعبة يقولون أنه قطب الوقت وأن الخطابية انتقلت بعد وفاته إلى خلفائه. وقد خلفه صهره «٥٥» مائاهي «٤٤» وفي سنة ١٩٠٨ كان عمره ٥٥ سنة وعقيدته «٥٥» ما أول هي «٤٤» وكان عمره ثلاثين سنة تبع كلا منهما حزب إلا أن حزب الصهر اعظم. ومركز الصهر «شاكبو» ومركز الحفيد «تاتج كياونشوان» وهذه هي ناحية عظيمة الشأن في اسلام الصين فيها مدرسة كلية لهم في «بينغ لينغ» وهذه الفرقة تلقب سائر المسلمين بالظاهرية. ويقولون في كائو ان الحفقاء الراشدين الاربعة اسدوا كل منهم طريقة فأبو بكر طريقته الخفية يذكرون بصوت منقضى والثانية الجمهورية يذكرون بصوت عال وهي طريقة عمر والثالثة السكبارية أو السكبروية وهي طريقة غيبان لانه كان كبيراً مسناً والرابعة القادرية وهي طريقة علي. والحاصل ان الانقسام الذي يراه السياح الاوروبيون ورواد حكوماتهم بين مسلمي الصين ويقولون له التأويلات بحسب عاداتهم هو عبارة عن فرقة القائلين بالشرعية المحضة بدون نظر إلى التصوف وفرقة القائلين بالتصوف والآخريين بالطرق على أنها لا تنافي الشريعة. فالأوروبيون مثل بيته أولون يرون في ذلك ديانة.

ومن عادة مسلمي الصين ان يشتروا أولاد الوثنيين ويربهم في الاسلام روى ذلك تيرسان صاحب «المدينة في الصين» وغرونارد Grenard وقالت بيته أولون انها لما مرت من هناك كانت في الصين خمسة شديدة فكان الصينيون يسمون أولادهم والمسلمون يشترونهم لان المسلمين يتأسسهم أسير حالاً من الصينيين. وفي ثورة البوكسر قتل الوف من المسيحيين ونهبت أموالهم وبيعت نساؤهم وأولادهم فاشترى مسلمو «بينغ هيا» عدداً منهم وهذا محقق لان مطران مغولية كان يسمي في استردادهم.

وفي شمالي بينغ هيا عاد الاسلام ينمو ويزداد وجميع المسلمين يشعرون بالجلد والصوف وكل نواحية الأنهر لا سيما النهر الأصفر هم مهتم. والمدينة التي على هذا النهر السيام «بلوتاو» شغلها كله في أيديهم. والمدينة السيام «كوكوكونا» أي الزرقاء التي فيها من كل الاجناس يسكنها ٣٠٠٠ أسرة مسلمة. ويقول أولون انه صادف فيها رجلاً مسلماً يعرف بوجود الخليفة في الاستانة لانه كان ذهب إلى باكين وتلاقى مع علي رضا وحسن حافظ ورجع ومعه صورهما وصورة راية الخليفة. قال أولون: علي انه اذا اثبتت هذه الدعوة هناك دخل الاسلام الصيني في طور جديد. ولكن أولون لو انتظر إلى هذه الايام لعرف أن كثيراً من حزب التجدد في الأثران يرون الخلافة ضرراً عليهم ولذلك قد ألغوها وأخرجوها من الاستانة. ولان السلطان عبد الحميد أرسل من الاستانة حسن حافظا وهي رضا فأسس مدرسة في

مسجد نيوكياي كان فيها ١٢٠ طالبا وأقبل المسلمون عليهما لاسكونهما قادمين من قبل خليفة المسلمين لأن هؤلاء في الصين لم يكونوا يعرفون هذا الامر وانما احتفلوا بهما لأنهما أتيا من الآفاق التي ظهر فيها النبي (ص) ولقد بث هذا الداعيان روح الانضمام الى الخلافة ورفعوا العلم الصيني وزاروا بلاد هونان وتشان هواي وكوانغ تونغ اعظم الخواضر الاسلامية واصراي الصين الجرائد الاسلامية منها عثمانية أو تركية ومصرية وروسية وبلغارية ويوجد اليوم جريدة اسلامية في بكين اسمها « تشينغ تشونغ نغاي كولو » أي الجريدة الوطنية.

ول بكين ٢٩ جامعا أكبرها « نيوكياي » ومنها جامع « سينان باي ليو » كان هيكلا وقفيا الى سنة ١٩٠٠ هذا ثارت ثورة البوكسر جعلوه مركزا لهم فلما زحفت جيوش الدول الى بكين خاف الصينيون أن يحرقوه فعرض أحد علماء المسلمين أن يحمله جامعا ويرفعه من الاصنام حتى يظهروا الاوربيون مسجدا الاسلام فلا يتمضوا له فرضى الصينيون بذلك ولما انتهت الحرب أتوه جامعا وهو من اعظم جوامع بكين.

أما بلاد كاشغر فبعد أن حدث فيها الثورة أخذت الدولة الصينية ادارتها بيدها وجعلت في كل من مدينتي الكبار مفوضا امبرطوريا وقائدا عسكريا . فدن غربي كاشغر هي كاشغر وباركند وإنتي حصار وقوتان . وأما مدن شرقى هذا النطر فهي أوش واكسو وكوتشار ويديجك وهالي وطورقان ومار اشار . والجميع إحدى عشر مدينة كل منها يتبعها مدن عديدة فعين لكل منها قاض لفصل قضايا المسلمين ولا بد لكل هؤلاء أن يذهبوا كل سنة مرة الى العاصمة كما انه يأتي كل سنة مفتشون من العاصمة للتحقيق عن أحوال المسلمين .

أما الانيسكوبيدية الاسلامية فتذكر كما ملخصه ان أصل دخول الاسلام في الصين هو لأجل التجارة لأن المسلمين بعد أن قامت دولتهم في بغداد سارت سفنهم من خليج فارس الى الهند والصين وعرفوا فنون الصين من صدر الاسلام كما أنهم من الجهة الاخرى دخلوا الى شمالي الصين بواسطة الترك من زمان جنكيز خان واعقابيه فان جنكيز لم يكن يعبأ بالدين وكان يجمع - واليه من جميع لائل ودخل في جنده كثير من الترك والافغان والباتان واناس من الفرس وفي زمان قوبلاي خان دخل جماعة من الفرس في خدمة دولة الصين وذكر منهم ابن بطوطة الاناس في رحلته وأشار اليهم السائح الايطالي ماركو بولو وكان كل هؤلاء مسلمين فتنشروا الاسلام في الصين . وكان في زمن جنكيز اتصل بخدمة بلاطه رجل من بخاري يدعى انه من آل البيت اسمه السيد لاجل ولهذا الرجل تراجم عديدة ذكرتها الانيسكوبيدية ونقلت منها نفقا وقالت ان ماركو بولو تكلم على ابنه نصير الدين وروى كثيرا من أخباره عن رحلته وأقواله واليه وإلى ابنه هذا تعود ظهور الاسلام في بلاد .

أما حالة المسلمين الاجتماعية فهي كما هي في سائر بلاد الاسلام والعمل انما هو بالشرع الشريف . على أن نبرسان يروي أن مسلمي الصين مضطرون في أمر الزواج أن يتنبدوا بقانون الملكية الصينية ولو خالف الشرع ولا تعلم مبلغ ذلك من الصعقة . ويقول أولون ان الحجاب غير محمود عند نساء المسلمين في الصين بل النساء يخرجن سائرات وهكذا يقول غردنار الا أنه يستثنى من ذلك نساء الاغنياء وفي هونشو يختبئ النساء المسلمات بحجاب أسود



تحت الامين . وعادة وضع القدم في الثالب لتصفيره معروفة عند المسلمين كما عند سائر الصينيين وفي كاتوليكافس بها المسلمون اكثر من سواهم . ويتزوج المسلم بالصينية بل يستحب أن يأخذ غير مسلمة لعل الله ينصرح صدرها للاسلام ولكن لا يحل لمسلمة أن تزوج بغير مسلم . ومع التشديد في منع ذلك يوجد حوادث مستثناة فان الاميراطور « شين لونج » كان مغروراً بالميرة تركية مسلمة . أما اللغة وطهارة العرض فهما محفوظتان عند المسلمين اكثر مما هما عند السائرين .

واحترام الآباء والاجداد معروف عند مسلمي الصين ، وتراهم يحفظون شجرات الانساب كسائر أهل الصين . ولا يوجد عندهم تفاوت في الطبقات الاجتماعية الا ما كان من تعظيم آل البيت وتبجيلهم ولكن مشقة ادعاء النسب النبوي غير فاشية هناك كما في سائر بلاد الاسلام لذلك عدد أصحاب هذه الدعوى قليل وكان منهم الزعيم الثائر ما هو الونج . أما سحنة مسلمي الصين فهي في الثالب كسائر أهل الصين وانما يجهل فيهم الرأى كثيرأ من السحنات العربية والتركية بسبب المهاجرة وبجي الطراء . وعلى كل الاحوال فالسواد الاعظم من مسلمي الصين هم من السلالة الصينية وانتمهم هي لغة الصين وكتابتهم هي كتابة أهل الصين وان كان يوجد في لجة نطقهم مالا يخلو منه مكان من الاختلاف بحيث يعرف الصيني المسلم من الصيني الوثني من لهجته . ولا شك ان اختلاف الدين اوجد بين الصيني المسلم والصيني الوثني تبايناً كبيراً فليدعون برون انفسهم أهلى جيداً من الصينيين وهؤلاء يقبلون المسلمين باسم « هوي هوي » والمسلمون يكرهون هذا القالب ويحبون أن يقال لهم « ياي شان » أى اصحاب العمام البيضاء . ويوجد في الصين جنس من الاسلام هم مباينون لسائر مسلمي الصين وللعبيدين في اللغة والسحنة وهم قوم يقال لهم « السالار » يسكنون على الضفة اليمنى من « هوانغ هو » وما جاوره فهؤلاء يشبهون أتراك كاشغر في الخلقة وانتمهم من التركي الحرف ومذهبهم حنفي ويسرفون الحروف العربية ولا يرفدون البخور ولا يقدمون اعياء سلاطين الصين في جوامعهم وهم يجهرون في الصلاة وقد ظهر بينهم سرمد في نحو سنة ١٧٥٠ اسم « مانينج هسين » أو محمد امين وهو الذي يقدونه الى الآن .

ويمتاز مسلمو الصين على سائر الصينيين بسلو الهمة وقوة الجسم فتجدهم من أجل ذلك مشغوفين بالمخدمة العسكرية وتجد عدداً كبيراً من ضباط الجيش الصيني مسلمين ومنهم كثير في المناصب الدنية الا أنهم في المناصب العسكرية ارفع . وأما المهن فان بعضها يكاد ينحصر فيهم وذلك نظير المكراة وقيادة المواشي ويقال لها « ماغو » فان هذه المهنة هي فيهم خاصة وكذلك حرفة الخانات والاماكن المعدة للمسافرين فهي مما يختص بهم . وبالأجمال تجد الصينيين أقوم من المسلمين على الزراعة وتجد المسلمين أقوم من الصينيين على تربية المواشي . وأهل الصين ينظرون الى المسلمين بعين الحذر ويعتقدون انهم يريدون تأسيس سلطنة ضمن السلطنة ولذلك تجد المسلمين يميلون الى الاديبيين بعض الميل وبحسبوتهم اخواناً بأزاء الصينيين . وان كنت تجد في قواد الجيش الصيني من المسلمين من اشتهروا ببعض الاجانب قالامل فيه هو غطرسة الاجانب الاديبيين لا التمسب الديني . وبما لا ينكر ان مسلمي الصين يلجأون الى جميع الوسائل لاجل زيادة عددهم فيشترون في الخامس مثاث الوف من أولاد

الوثنيين وزيوتهم في الاسلام ويخضعون الى دينهم كثيراً من الصينيات بواسطة الزواج ،  
وضباط الجيش من المسلمين يسمون الى الاسلام كثيراً من جنودهم . وقد أخبر أولون انه  
صادف جاً من الذين اسلموا حديثاً . نعم ان نورات المسلمين الأخيرة وقعت سيرة الاسلام بعض  
الشيء ولكن مما لا نزاع فيه ومما اتفق عليه جميع سباح الهوريين الذين سبوا غرر الصين  
انه لا يبعد مستقبلاً دخول الصين في الاسلام لاسيما بعد ان أعلن الصينيون المجددون سنة  
١٩١٢ كون الماندرين والمفرل والمسلمين والتبتيين والصينيين كلهم متساوين وبذهب بعض  
الاوربيين الى امكان حصول ديانة جديدة يخرج فيها الاسلام بمفيدة كنفرشيوس لاسيما ان في  
العالم الاسلامي حركة دينية ظاهرة تخرج عن النجدة .

أما الحركة الدينية الحاضرة في اسلام الصين فهي عبارة عن أن « ما هو الفونغ » الذي  
تقدم ذكره قام بطريقة خاصة من قواعد الجهر في الصلاة وارتقاء الايدي بدل التنبس  
والاعتقاد بالاولياء وزيارة القبور وتزعم بيعة أولون ان المسلمين الصينيين اتسموا بذلك الى  
قسمين : أصحاب الديانة القديمة ويقال لها « لاوشياو » وأصحاب الديانة الجديدة وتسمى  
« دين شيان » وعقب على ذلك الانسيكوبودية الاسلامية بنوها ان هذه الحلة هي في سائر  
بلاد الاسلام فان هناك من ينسك بالاولياء والاقطاب ويتخذ بتصرفهم في الكون بأذن الله ،  
ومنهم من لا يتخذ بذلك ولا يخرج عن ظاهر الشرع .

ثم ذكرت الانسيكوبودية أن السلطان عبد الحميد ذكر في الاستفادة من مسلمي الصين  
بإيجاد علاقات معهم باسم الخلافة فأرسل الى الصين سنة ١٩٠٠ أحد القواد وهو انور باشا  
(غير انور باشا الشهيد ناظر الحرية) لغته الفاية فأخفق أخفاقاً تاماً . ثم ان الاهونغ (الاهونغ  
عند أهل الصين هو العالم المسلم) واقع هاوزان الياس عبد الرحمن مفتي بكين قدم الى  
الاستانة فالتقى من السلطان ارسال بيعة اسلامية الى الصين فأرسل اثنين هما علي رضا وحافظ  
فأسس مدرسة سنة ١٩٠٧ وجالا في بعض بلاد الاسلام . ولكن الحكومة الصينية قضت  
على المدرسة التركية فالتجأ ذاك التركيان الى سفارة المانية في بكين ووعدت سفارة المانية  
في الاستانة بان تحمل سفارة المانية في الصين على حمايتهما ولكن الحكومة الصينية لم ترد أن  
تسمع كلاماً فاما رأى المرسلان المذكوران أن السلطان تركهما التجأ الى سفارة فرنسا فحتمها  
ثم طأدا الى الاستانة ولا يزال في تركيا الدستورية نية تأسيس سفارة في بكين وهي رجوة  
ليست على ما يظهر قريبة التحقيق (كذا) .

ثم أردفت ذلك بقولها : انه وان كان المستقبل لا يأذن بالنكبات . فيمكن مع ذلك ان يقال  
ان استيلاء الاسلام على الصين وظهوره على سائر اديانها مما شجع لا يفيد المسلمين سوى  
الخراب والخسار . ولكن اذا كان بشاغل حوادث غير منتظرة تحققت آمالهم في هذا الامر  
ولو لمسة موفقة فتكون معيبة على الصين لان الاسلام ليس بدين مدنية والاسلام هو قبل كل  
شيء عدو للمدنية الاخرى حال كون استمداد الصين انما هو لانتهاش هذه . فان كان المسلمون  
يريدون الاشتراك في حركة التجديد الصيني فلا بد من احد امريين : اما أن يتفادوا الى  
الافكار الجديدة ويسموا من دعاة الإصلاح الصينيين الى تجديد مملكة صينية على قاعدة  
القومية الصينية وبذلك يكونون غير مجرمين . واما أن تبني في قلوبهم نيات التسلط على سائر



الصليبيين فبمجرد ظهور هذه النيات بسحبهم الصليبيون سحبا لان المسلمين عددهم قليل جدا في وسط رؤساء الحركة الاصلاحية وان الامة الصليبية تحسن عملا في الحذر من العناصر الاسلامية التي في داخلها وفي منع نمو الاسلام في الصين بشراء اولاد الصليبيين . انتهى بالحرف .

وقد يأخذ القاريه العجب كيف ان دائرة المعارف الاسلامية تصرح بمثل هذه الاقوال التي فيها من التحامل والبطش وسوء النية بحق المسلمين ما لا يمكن الدراء فيه . ولماذا الرسال اساطان عبد الحميد بثته تهديدية الى باكون بمد « دسيسة » وبعثات الدول الاوروبية التي هي مائة الصين والشرق والغرب لا تمد « دسائس » ؟ ولماذا وجود سفارة تركية في باكون بمد جنة حال كون اولى الامم بأن تكون لهم سفارة عند الصين هم الترك نظرا لتجاور الترك مع الصينيين ولوحدة الاصل ثم لماذا يجب على الصين هذا الحذر من الاسلام والاسلاميين ثم وافر من أهلها ولا يجب عليها الحذر من الافرنج الذين ما نشبوا أصابهم في مكان الا انتهى الامر باستيلائهم عليه واستعبادهم لاهله . ولماذا الدين الاسلامي عدو المدنية وقد شهد كثير من أعظم أوروبا ونخبة المستشرقين انه خدم المدنية ؟ وأخيرا لماذا يثار هذا الكاتب على الصليبيين أكثر من غيرهم على أنفسهم فانهم تسامحوا مع المسلمين في تركهم يأخذون اولادهم في التسامح ويربونهم في حجر الاسلام وهذا الكاتب لا يسامح في ذلك .

ولكن من علم ان محرر هذا الفصل من الانسيكلوبيديا الاسلامية الفرنسية هو الاستاذ المستشرق مرتين هارتمان الألماني يطل عليه . قال هذا الاستاذ في حياته في محاربة الاسلام والاجتهاد في اظهار معاييه والتحامل عليه في كل فرصة وهو شبه بلامفس اليسوعي يكون كل منهما مستشرق في مدينة بيروت ووقف عمره على مجادلة الاسلام وأسس في هذه السبيل الدنان لخواه واجتهاده . عرفت هارتمان هذا وأنا طالب في مدرسة الحكمة في بيروت ثم أتجاوز الخامسة عشرة سنة من عمري ثم لقينته بعد ذلك بثلثين وثلاثين سنة في برلين وهو يحرق في مجلة « الشرق الجديد » أثناء الحرب . وكان يتردد الي ولم أكن أعرف حقيقة مشربه ولا طمعت على كتاباته اذ ذاك الا أنه قيل لي مرة ان الاستاذ هارتمان كان من أعداء الأتراك لا يفر عن الظعن فيهم فبا ياله ماذا الان يحمده طريقتهم انرى ذلك من أجل كون الترك حالفوا الألمان ؟ فبحثت عن السبب فسلمت أنه رضى عن الأتراك بمجرد ما علم أن فئة منهم تسير في خطا غير اسلامية ولهذا كان معجبا بمبادئ ضيا كوك ألب وادمثاله . وحدثني المرحوم الشيخ صالح التو اى أنه جرى اجتماع في برلين أثناء الحرب حضره كثير من المسلمين فقام هارتمان وعرف الجهاد عند الاسلام بكيفية تقشعر منها الأبدان فأنبرى له الشيخ صالح وتكلم في حقيقة معنى الجهاد ومنه دعوى هارتمان في الامور التي زعم أن الشرع يحجزها للجهاد فأجاب هارتمان ان ما يقوله الشيخ صالح هو شيء جديد غير ما في الشريعة . فرد عليه الشيخ صالح بقوله بل هذه هي أحكام الشريعة وان هارتمان يحول الشريعة وطالت المشاحة بينهما وقيل بينهما الاستاذ المستشرق ميتنوخ وقال ان حد الجهاد هو ما قاله الشيخ صالح لا ما قاله الشيخ هارتمان .

ومن أغرب شواهد النهور الذي كان عليه هارتمان هذا في احتقار الاسلام أنه في مفاته

عن الصين هذه اشار الى الحديث النبوي الذي نقله المستشرق المجري فولكسيهر وهو :  
 « انركوا الترك ما تركوكم » فترأ به وزعم أنه حديث موضوع يقصد به اضافة العلم الى  
 النبي ( ص ) وتكظيم قدره والحال أنه قد يكون محمد لم يسمع يذكر الترك في حياته . ولولا  
 كون هارتمان قد مات بعد الحرب بقليل وقبل أن اطاعت على جلته هذه لكانت اظهرت له ما  
 فيها من قلة المعرفة وعدم التمييز وفساد الاستشراق وانبت له أنه لا يصح أن يند مستشرقاً من  
 يعتقد أن سيداً من سادات العرب — بصرف النظر عن النبوة — لا يعرف وجود  
 الترك في الدنيا مع أن العرب في الجاهلية كانوا يعرفون الترك والروم كما يعرفون العجم . وكان  
 اسم الترك معروفاً لديهم وادركوا اشعارهم ولم يكن جهل العرب واصلاً الى حد أنهم يجهلون  
 وجود الترك . وانما القول بأنهم كانوا بهذه الجهالة هو عين الجهالة وقلة الفل والفطن بأن محمد بن  
 عبد الله بن عبد المطالب ربما لم يسمع في حياته بوجود امة اسمها الترك هو منتهى الضلالة والضعف  
 ولا يشابهه الا أقوال لامنس اليسوعي التي يأسف من يقرأها على تصدر اناس اعلمهم  
 الفرض الى هذا الحد ليعوي الاستشراق وتصددهم للكتابة عن الشرق والاسلام . وقد صنف  
 المسير دينه Dinet وسليمان بن ابراهيم كتاباً بالفرنسية اسمه « انك في واد واناني واد »  
 اظهر فيه ما في تأليف لامنس من السفاهات والآراء الخيالية التي لا تشين الا صاحبها ولا  
 تنقص الاكاثينها .

هذا ونعود الى موضوع الاسلام في الصين فنقول ان أحد ادباء الصين ورد مصرأ في العام  
 الماضي فنقلت جرائد مصر عنه احاديث عن بلاده من جعلتها في الحكومة الصينية الحاضرة  
 أربعة وزراء مسلمين وهم الجفران محمد كاشونغ ناظر الحرية ثم الجفران محمد شيساتق ناظر الطرق  
 وناظرين آخرين احدهما وزير الزراعة والثاني وزير الامور الدينية الاسلامية الذي هو بمثابة شيخ  
 الاسلام . وقال هذا السائح ان مسلمي الصين متفنون مع حكومة الصين في مبدأ تمرير الرابطة  
 الشرقية . وذكر ان عدد المسلمين في الجيش الصيني هو نحو نصف مليون منهم ٥٠٠ ضابط  
 وأخير عن وجود جريدة اسلامية في الصين اسمها « راية الاسلام » واحة أعلم . (ش)





## مسلمو الجاوى وما جاورها

(راجع ص ٦٤ وما يليها)

سبق لنا ذكر محاضرات المستشرق الهولاندي سنوك هورغرومجه على ادارة الامور في بلاد الجاوى وسائر المستعمرات النيديرلاندية وكيف ينبغي أن تكون مملكة الدولة الهولاندية المسلمين . ولكن البحث عن أحوال الاسلام في هاتيك المستعمرات لم يكن وافياً . وقد اعتنى علماء هولانده جد الاعتناء بتعميق تاريخ الجاوى وجنرايتها نظراً لكونها من ابدع واعنى بلاد الله وكونها من هولانده بمكان الهند من ابتكارة فألفت على تلك الجزر مئات من الكتب والرسائل ونحن لا نتقل هنا سوى ما نلقى بدخول الاسلام فيها وأحوال المسلمين على وجه الاجال .

قالوا ان الذين ادخلوا الاسلام الى تلك الجزر هم العرب وذلك بواسطة التجارة والملاحة فقام نزولهم أولاً بالتغور البحرية والبرامي الشهيرة وأخذوا ينتشرون منها شيئاً فشيئاً الى الداخل وكانوا لا يلون على شيء سوى الاخذ والعطاء ولم يظهر أصلاً انهم قصدوا باديء ذي بدء تأسيس ملك ولا فتح بلدان ولكن عندما صارت الامة الماليزية تناظرهم وتسد عليهم طريقهم للتجارة هؤلاء العرب الملاحون المراهجون الى القوة المسلحة حفظاً لحريتهم ووقاية لرفقهم فكانت مملكة Demak وهي أول فتح عربي في الجاوى .

وكان جنرالهم العرب قد عرفوا من زمن قديم بلاد ماليزية وثبت انه في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر طاف كثير من سباح العرب في سواحل الهند والصين والجزر الماليزية . قال المسيو بيارغونو Pierre Gonnard صاحب كتاب « الاستعمار الهولاندي في الجاوى » ان المدينة الاسلامية في القرن العاشر كانت تلمع بأسطع اشعتها وكان الخليفة يتولى ساطنة قوية سعيدة وكانت من جميع الجوانب تمتد طرق التجارة فينلاق في وسط مملكة الخليفة الشرق والغرب وقد احصيت تلك الطرق بين الغرب والشرق فكانت خطاً الاول من البحر الاخر الى الجاوا وجدة الى الهند الى الصين والاثانية من انطاكية الى بغداد الى الابله الى الهند والثالثة من جهة بحر الخزر الى الشرق والرابعة كانت تبدأ من طنجة في الغرب فتعترق أفريقيا الشمالية الى مصر الى الشام الى بغداد فالبعرة فالاهواز ففارس فسكرمان الى الهند فالهند فالصين والخامسة كانت شمالية تبدأ من المانية فتمر بالروسية الى بلاد ماوراء النهر الى الصين . وكان انتشار قوة الاسلام اقتضى توسع المعلومات الجغرافية فوجه زعماء الاسلام هباتهم الى جوب جميع البلدان التي دخلت في حوزتهم واخذوا يصاب المسيو رينو Reynaud في قوله : ان فتوحات الاسلام الاولى تأت بدون برنامج معين وعلى طريق الاتفاق ولكن كان المسلمون كلما فتحوا فطراً حددوا حدوده وخططوا مسالكه واجتهدوا في معرفة موارد حياته .

ثم قال ان السعودي قد عرف الجاوه وذكر استيلاء الهند على الجانب الغربي منها وأشار الى وفرة الجبال النارية فيها . ومما قاله : انه لا يمكن معرفة حدود سلطنة مهراج الزنج أو الجاوه وجيوشه لا تحصى وينبغي للانسان مسير سابقين حتى يأتي على جميع ممالكه . وفي بلاد

جميع انواع الافاويه والمطور مما لا يوجد عند ملك غيره وبصدر منها الكافور والطيب والقرنفل والصندل الخ وممالك المهرج يحدّها بحر لا آخر له يتصل ببلاد الصين ، انتهى . فكانت الجاوه يومئذ معدودة في ممالك الهند وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر ازدادت الفتوحات وازدادت معارف المسلمين الجغرافية واصبح الارخبيل الماليزي معروفاً ومنذ أوائل القرن الحادي عشر ظهرت روح الدعاية الدينية بشدة عظيمة في الحروب الصليبية واشتدت المصارعة بين جنود الخليفة والبارونية الافرنج ، الى ان قال : انه في القرنين التاليين صارت الدولة ملوك طوائف وانفصلت بعضها عن بعض وتغيرت الطرق التي كانت بين المشرق والمغرب وسافت هذه الاحوال مهاجري العرب الى بحر الهند . وفي القرن الحادي عشر زار ابو الربحان محمد الهند وكثب عنها . وفي العصر الذي يتلوه كان الادريسي في بلاط روجر صاحب صقلية وكان يأخذ من تجار المغرب الذين يرددون على بلرم وهو أول من سمي باسم الماليز واحد الشعوب الساكنة في الجاوى . وذكر ما بين هذه الجزيرة وجزيرة ماداغاسكر من العلاقات ووحدة الجنس . واسكن السوء الظالم كانت معلوماته في الاطلس الجغرافي لا تزال على ما كانت عليه بمعلومات بطليموس فكان يجعل قارة افريقية ممتدة جداً الى الشرق . على ان هذا الاطلس نفسه الذي انبأنا عنه المسير رينو يدل على التبسط العظيم الذي تبسطه العرب في جميع اصقاع الاقيانوس الهندي ونقل ابن سعيد ( ابو الحسن نور الدين علي ) المولود سنة ١٢٧٤ اخباراً كثيرة عن رجل اسمه ابن قاطنة ساح في سواحل افريقية الغربية حتى بلغ الرأس الأبيض وظاف في السواحل الشرقية حتى بلغ سواقه . ونحن نعلم ان السواحل الشرقية هذه كانت دائماً محط رحال العرب وانه كان في اواخر القرن الخامس عشر في ساحل موزامبيق جالية اسلامية جلية حاكفة على اشغال البحر بصيرة جيداً بمهاب الرياح وبجاري الابحار المجاورة وبين ايديها غرط بحرية وآلات متنوعة متعلقة بصناعة الملاحة . واحسن من وصف بلاد الجاوى من هؤلاء الجغرافيين ابو الفدا فمع كون معلوماته ليست في نهاية التحصيل لم يكن احد ابداً عنى ما يقدر عليه في وقته من الاطلاع والتتقيب فقد حج الى مكة ثلاث مرات وعرف الشام والعراق وكان كثير الاختلاط بصاحب الديار المصرية فاطلع على احوال الجاوى والجزر المجاورة لها ونشر كل ما عنده من العلم في عصره من هذه الجزر العجيبة فقال ان الجاوى لها عدة اسماء . وذكر ابن سعيد ان جزائر الرانج اشتهرت بما روى عنها التجار والسياح . واكبرها جزيرة السريرة التي طولها اربعمائة ميل من الشمال الى الجنوب وعرضها مائة وستون ميلاً الخ . ثم يقول ابو الفدا : في جنوبي الافليم الاول جزيرة كبيرة في البحر الاخضر ذكر ابن سعيد ان سلطانها لا يوجد له نظير في ملوك الهند في كثرة الكنوز والذهب والاموال وقاعدة ملكه في الجزيرة الكبرى . وقال المهلبى ان جزيرة السريرة معدودة من الصين الخ .

وبالاختصار فالى هذه استيلاء الاوروبيين على هذه الديار كان الحرب فلم معرفة تامة بها وبغيراتها وبمسالكها وبالبراكين التي فيها وكانوا يعلون ان فيها ممالك عظيمة مثل مملكة المهرج يصنها ابن خرداذبة وابو الفدا بسعة الملك والموال والطول . ولما وصل العرب الى تلك الجزائر لم يفكروا في فتحها بالسيف كما فتحوا آسية الصغرى وافريقية واسبانية لانه لم تكن بأيديهم قوة كافية بازاء هاتيك الممالك وانما كانوا تجراً ومرزوقين منتشرين هناك



ولكن كما قال فان دورج van der Berg صاحب كتاب « حضرموت والمستعمرات العربية في الارخبيل الهندي » : لما كانوا أعلى درجة في المدنية من أهل تلك الاقطار جعلوا لانفسهم مقاماً ممتازاً حفظوه الى يومنا هذا في وسط الشعوب الاسيوية التي انتجعوا بلادها . وهذا المقام العالي الخاص بهم الذي له أسباب خلقية وطبيعية انضمت اليها عوامل اخرى بحاروية ومزايا كسبتهم ايها الاغتراب وطول السفر هي التي كانت الاصل الاصيل في نجاح العرب ولاحهم وتبسطهم من السواحل الى الداخل ونشر طاعتهم وعقائدهم حيث نشروا تجارتهم . اهـ .

قال المؤرخون الاوربيون : لم تكن الدلائل التجارية مهما كثرت وانتشرت لتكفي في نيل العرب هذه السيادة الاجتماعية والادبية على جزائر عظيمة كهذه فياضة الخبرات ذائخة العمران بل كانت معهم قوة أعظم من هذه وهي قوة العقيدة الموحدة التي هي من الجلاء والبساطة بحيث يفهمها الخاص والعام ومالا يشك فيه انها متضمنة فضائل لم تكن في دين من الأديان المعروفة في الجاوي فذلك كانت البراهمية واليودية هما الديانتين السائدتين هناك وهما عبارة عن تعبد متصل لقوى الكون ومجادلة دائمة بين مصدرَي الخير والشر فكان في ذلك من التقييد وسبوة النفوس ما فيه لأن هذه العقائد تسلم بوجود الهين متساويين في القوة بأيديهما ادارة الخلوقات احدهما لنفع والآخر للضرر فكانت تضل الافكار وتفسد قوى النفس البشرية وتساعد على تمدد النحل وتندفع بعضهم الى ناحية براهما والآخرين الى ناحية سيفا أو نشو وتحمل المتعدين على اختيار الآلام وحب العذاب وعدا ذلك فان في هذه الديانات من تفاوت الطبقات ووضع بعض الناس في أعلى عليين وبعضهم في أسفل سافلين ما يحرم المتعدين من كل مساواة حتى في الحضرة الالهية . فالدين الاسلامي أنى أهالي الجاوي بما كانوا يشعرون بالحاجة اليه من المساواة الزامة فضلا عن كون عقيدته صافية واضحة مختصرة سهلة الشرائع تنحصر في الإيمان بالله واحد أوحى شريعته الى الخلق بواسطة واحد من رسله . فخلص الناس بذلك من هذه الثنائية التي تحمل قوتين خالفتين في صراع دائم وتجر الافكار وتفتق الخواطر . فالاله الاسلامي واحد لا شريك له مهيمن على الخلق وجميع الناس أمامه سواء ولديه صلاة الصلوة كصلة الملك فلا درجات ولا طبقات ولا فواصل غير قابلة للوصول بين العباد . وهو أكثر ملازمة لوجود حكومات متحدة قوية ذات مركز واحد مما كان يحسن اليه أهالي الجاوي من زمن طويل وحسبك أن الاسلام كله ينحصر في كتاب واحد هو القرآن فإذا كان البراهمي يعيش بين الأمم الغربية منفرداً لأهم له في التأثير عليهم ولا في حملهم على مشاطرتهم تلك السعادة التي يرى نفسه متمسكاً بها وكان البوذي لا يرى تحقيق نفسه الا في التأمل والتبذل والرهبية فان الأساطير المسلم في أي بلد وجد وقرآنه يمجته بكمته أن يعلم من اختلط بهم ديانة سهلة الفهم سهلة الدخول في العقل من شأنها بث القدوة ومن فضائلها النشاط والعمل والاختلاط مع سائر البشر وزد على ذلك أن المدنية الاسلامية كانت أرقى جدا من مدنية أهل الجاوي وان العرب لما وطئوا هاتيك الشواطئ جاءوا بمعلومات قيمة كانت مجهولة عند الجاويين وأهل الشرق الاقصى مثل علم الهيئة والنفوس والجغرافية والأمراض والاطوال لتعبد الاقاليم وكان فن الملاحة بالغا عند العرب الدرجة العليا من الاعقان وكانوا قوامين على الاسفار خبيرين بأحوال الأمم ويقال انهم

كانوا عرفوا ايرة المنطيس وكانوا ينشئون الجوازي كالاعلام ويقطعون البحار بمزيد الجراءة والاقصاء وكانت لهم خبرة زائدة بالطرق البحرية والمراسي ونشاط الحط والاقلاع حتى كان السباح الاوريون لأول عهد دخولهم الى آسية مفتقرين اليهم ( مثل ابن ماجد الذي كان دليلًا قهرتال ) وقد خلق العربي تاجراً بفطرته خبيراً بالعمليات المالية والحساية وبأساليب الاخذ والمطاء فتعلم الماليزيون من العرب اصول التجارة وطرق البيع والمساومة وطريقة تحديد اثمان الحبوب والبضائع وتأسيس المستودعات التي هي الواسطة بين الزارع والصانع وبين التاجر والمشتري وطريقة السفينة أو الحوالة التي كانت عند العرب كما هي عند الاوريين اليوم .

فلقد اسباب انتشرت في الجاوي عقيدة الاسلام وحضارته ومع شدة تأثيرها كان سيرها بطيئاً في البداية وماضت الجزيرة كلها حتى وحق . كذلك لم يكن نجاحها متساوياً في جميع اقاليم الجزيرة فيوجد فرق بين غربي الجاوي وشرقيها كما قال الدكتور شريبر schreiber لان الاسلام كان أسرع تقدماً في الجهة الغربية بين الجنس المسمى بالسونداني منه بين الجنس الجاواني والى هذا اليوم نجد السوندانيين أشد تمسكاً بدينهم وأعرف به من الجاوانيين الذين في الغالب لا يعرفون القرآن وكذلك ترى النصرانية لم تجد من سهولة الانتشار بين السوندانيين ما وجدت بين الجاوانيين الا أن هذا الفرق نفسه قد بدأ يضمحل اليوم بفسوخ الاسلام في شرقي الجاوي كما هو في غربيها .

ولم تتوفر رعاية العرب في الجاوي على تشييد المباني الدينية الضخمة كما كان شأن البراهمة واللبوذيين بل كان معظمهم في الفتوحات الروحية قايس في الجاوي ماني سائر البلاد الاسلامية من المساجد التي تبهر الانظار بديع الصنعة وفخامة البناء ولكن الجوامع كثيرة العدد ولا يخلو منها بلد وعدد الذين يحجون بيت الله الحرام كل سنة كثير جداً ولقب « حاجي » هو في نهاية الاعتبار .

يقدر المؤرخون تاريخ دخول الاسلام في الجاوي بخمسة قرون تبديء من القرن الثاني عشر الى أن تنتهي باحتلال الهولانديين لبتانجا في القرن السابع عشر . وقد حقق المؤرخ فت ٧٤٢ ان المسلمين لم يقتصروا على فتح الجاوي الأدبي بل نشروا المدينة الجاوانية الى أقصى جزر الارخبيل .

وكانت أعظم سلطنة هناك مملكة « ماجاباهيت » كانت تنضوي تحتها امارات عديدة فلما جاءت الدعوة الاسلامية أخذ أولئك الاسماء والمهرجات بولون وجوهم شطر الاسلام فكان كلما كسب بلداً انتقل الى الذي بجانبه فاستمحق مملكة ماجاباهيت ودخل الى المالاق ثم الى بلاد السوند وأخذ يزدهر عدد المسلمين يوماً فيوماً وكانت نروهم تنمو بنمو عددهم وهم دائماً في علاقات مع تجار العرب الذين كانوا أول مايزلون في سواحل الجاوي الشمالية ومازالوا يتكاثرون هناك حتى اسسوا سلطنة دماك .

وكانت ماجاباهيت هذه أول سلطنة هندية سلطت بملو الاسلام في تلك الديار وكانت واسعة الاطراف تشتمل على الاقسام الجنوبية والشرقية من الجاوي بمحدها من الغرب بلاد جاغاله وغريس ومن الشرق بلاد تنغر ولكن نفوذها كان يمتد الى بلاد « مانارام » والى حدود مملكة « باباجاران » وكانت فيها جواضر عظام مثل مدينة ماجاباهيت ومدينتا « برانبان »



و « مندوب » ولكن الاسلام تمكن منها بسهولة واشتهر في نضرة هناك حسين الدين حليف سلطان هناك في سنة ١٤١٨ من التاريخ الجاوي الموافق ١٤٨٨ من التاريخ المسيحي دخلت سلطنة ماجاباهيت في خبركان . وأعظم سلطنة تأسست للاسلام في الجاوى كانت في قطرمانارام وقد بقيت في شوكتها الى القرن الثامن عشر بدأت تتساقط تحت هجمات الهولانديين .

فالعرب لم يؤسسوا في الحقيقة سلطنة اسلامية جامعة في بلاد الجاوى لانه كان يحول دون اتحاد السلطنة هناك حوائل كثيرة وانما اسسوا هيئة اجتماعية اسلامية مألوفة يمكنها أن تبقى ناجية من فوق الممالك المتداعية الى السقوط فالآن يوجد امة ماليزية محمدية قد وجد الاسلام بين اجزائها واورثها قوة جعلتها تقف في وجه الغرباء الذين حاولوا فك أوصالها ومكنتها تمكيناً في تلك الارض فليس في الجاوى قوة سواها ( عن يار غونو ملخصاً ) .

أما جزيرة الجاوى فهي ممدودة من أرخبيل السوند تنفصل شمالاً عن جزيرة بورنيو ببحر الجاوى وغرباً عن - مومطرة بيوغاز السوند وشرقاً عن إيلي بيوغاز إيلي وامامها من الجنوب الاوقيانوس الهندي وموقعها بين ٥ و ٥٢ ر ٨ و ٤٦ من العرض الجنوبي و ١٢٠ و ٤٠ و ١١٢ من الطول الشرقي طولها ألف كيلو متر من الغرب الى الشرق وعرضها من ١٠٠ الى ١٥٠ كيلو متراً من الشمال الى الجنوب ومساحتها مع « مادوره » مئة وواحد وثلاثون ألفاً وخمسة مئة كيلومتر . فيها جبال كثيرة وبراكين متأججة وجبالها منقطعة بالأشجار وفيها معادن غير مستخرجة وسهولها خصبة تروىها المياه السائلة من الجبال وهوائها حار رطب وأهلها خنة وعشرون مليوناً و ٦٧ ألف نسمة منهم ٢٤ مليوناً و ٧٥ ألف نسمة جاويون و ٥ ألف أوربيون و ٢٥ ألف صينيون و ١٥ ألف عرب وجميع الاهالي الجاويين مسلمون . وتجارة الجاوى تقدر بأكثر من ٥٠٠ مليون وفيها ١٨٠٠ كيلو متر من الخطوط الحديدية وهي مركز المستعمرات النيوزلاندية وطاسمتها بانانيا وبها يقيم الحاكم العام من قبل هولانده ومن مدنها بونيتورغ وهي كرسي الحكومة الصبغي ثم سامارانده وسراكارنه .

ومن جزر الأرخبيل الماليزي بورنيو وهي اكبر جزائره لابل اكبر جزيرة في الارض بعد بحيرة الجديدة . مساحتها سبعة مئة وستة وأربعون ألف كيلو متر مربع وهي من بلاد غط الاستواء والأشجار تغطي جبالها الى أعلى الفتن ومن رؤوس جبالها ما ارتفاعه ٤١٧٥ مترأ وهو في المحل المسمى « كينابالو » في شمالي الجزيرة ومنها في وسط الجزيرة « غونونغ ديا » علوه ٢٢٧٨ مترأ . وتكثر الامطار في هذه الجزيرة فتسيل فيها أنهار كبيرة منها نهر السكابواس والسامباس مما عرضه ١٥٠٠ متر في بعض الاماكن ومنها أنهر أخرى مثل السكاهاجان والبارتو في الجنوب والمهاكام والكاجان في الشرق والبارام والباتانج وجانغ والباتانغ لوبار في الشمال وجداول وانهار صغار لا تحصى . وفي هذه الجزيرة معادن كثيرة وجواهر كريمة ويستخرج منها زيت البترول بكثرة .

والجزيرة منسمة بين انكلترا وهولانده فتعطيها مساحة ٥٥٣٣٠٠ كيلو متر مربع في الشرق والجنوب والغرب هولانده . ومنها ١٩٧٥٠٠ كيلو متر مربع في الشمال لانكلترا . فأما القسم الهولاندي فينقسم الى قسمين : جهة غربي البورنيو وقاعدته « بونتيانك » وجهة الجاوب الشرقي من بورنيو وقاعدته « بانجرماسين » وأما القسم الانكليزي فهو عبارة عن اماره

« سرافاك » وأراضي الشركة الانكليزية في شمالي بورنيو وجزيرة لاوان ومدينة بروناي .  
فأما البلاد التي تحت سلطة هولانده ففيم ممالك « سنامباس » و « ماناباره » و « بونتيانك »  
و « كوجو » و « سيمبانغ » و « ماتان » و « لاندك » و « ناجان » و « ساتو »  
و « سيكادو » و « سنيانغ » و « سيلات » و « سوهيد » و « ساليبو » و « ياسه »  
و « جونج كونج » و « بونوت » وكل مملكة من هذه عليها رئيس يسمى سلطانا أو بانجهاان  
أو بانجيران وهم باجمعهم تابعون لهولانده . وعند كل منهم مجلس مؤلف من امراء الاسرة  
المالكة وأشرف البلاد .

وكان لبورنيو علاقات بالصين من جهة الشمال وبالهند وكثير من ملوك بورنيوهم من أصل  
هندي وفيها هياكل كثيرة للعبادات الهندية . ولم يدخل الاسلام الى بورنيو الا في أواسط  
القرن السادس عشر انتشر من البانانغ الى السوكادانه والماتان . وفي سنة ١٥٩٠ صعد أول  
سلطان مسلم وهو « غيري كوزوما » على عرش سوكادانه وفي أيامه بدأ الاوربيون يتناولون  
الى هانيك الاقطار .

وحفظت ممالك بورنيو استقلالها مدة طويلة فتأخر استيلاء الاجانب عليها من جميع جزائر  
الارخبيل الماليزي فلبت الاوربيون ثلاثة قرون من برتغاليين واسپانيول وهولانديين وانكليز  
يجربون في تلك الديار متجرين ومفاوضين ولا يتعرضون للسياسة . وأول مملكة فقدت  
استقلالها هي بانجارماسين قال الهولانديين اعتدوا عليها في أواسط القرن الثامن عشر . أما  
سوكادانه فبقيت مدة تابعة لمملكة بانتام من الجاوي ثم انفصلت عنها سنة ١٧٢٥ بمعاونة الهالي  
جزيرة « سيلاب » وهم جنس يقال لهم البوغينيزيون انتشروا في السواحل الغربية من بورنيو  
وملك منهم عدة امراء في هذه الجزيرة . وبقيت سوكادانه مستقلة تمام الاستقلال الى سنة ١٧٨٦  
اذ استقطها الهولانديون بالاشتراك مع سلطان بونتيانك ولم يبق لها سوى بلاد الماتان . أما  
سلطنة بونتيانك فأصلها امارة رجل عربي اسمه الشريف عبد الرحمن بن الشريف حسين بن احمد  
القادوري الذي قبره يزور في بلدة منياوه فيقال انه بدأ حياته بالفتارات وغصب السفن الى ان  
غضب عليه ابوه الذي كان صالحاً ورعاً فرحل من منياوه وجاء بمصايفه الى جهة لاندك وكابواس  
وبها فته وتشاطه أسس مركزاً تجارياً لم يزل ينمو ويتقدم حتى صار مدينة هي مدينة بونتيانك  
الحاضرة . سنة ١٧٧٩ نودي به سلطانا واعترفت بسلطنته الشركة الهولاندية للهند الشرقية  
وطأهده ولم يزل الملك في أمثابه الى هذا اليوم ولكن هولانده أخذت على أيديهم ولم تبق  
لهم من الملك سوى الاسم .

وأما سلطنة سانباس التي قائمتها سانباس فقد أسسها ماليزيو جوهور . وسنة ١٦٠٩  
عقدت معاهدة مع الشركة الهولاندية للهند الشرقية . وفي النصف الاول من القرن السابع عشر  
غلب رادين سانباس بن الراجا تنغا أمير « بروناي » على ملك سانباس وطرده وكانت امه من  
بيت ملك سوكادانه متبعة بسانباس . وملك رادين سانباس تحت اسم السلطان محمد صفي الدين  
وهو أول ملوك الاسرة المالكة الى زمننا هذا .

وأما امارة سرافاك التي قاعدتها كوتشبنغ فأصلها ان بحريا انكليزيا اسمه جيمس بروك  
وصل بسفينة تحميه الى بلدة بروناي فوجد الحالة فيها لا تطاق من الظلم والفساد وقد الامن



وتبايع الناس من أموالهم . وكان هناك أمير يقال له مودا حسن فاعتمد على الريان جيمس الانكليزي ونفوس اليه الامور فأصلح الاحوال ووطد الامن وفي سنة ١٨٤٢م اعترف سلطان بروناي بهذا القباط الانكليزي جيمس بالامارة على سرافاك فصار جيمس أميراً واستخدم الوثنيين في مقاومة المسلمين ( ١٨٤٢ ) وأمدته الحكومة الانكليزية ببعض النجيدات في وقائعه مع العرب والماليزيين ولم يدخل في حكومته الا عددا قليلا من الاوربيين وسوى في المعاملة بين الاوربيين والوطنيين ( ياليت حكومته وسائر الحكومات الاوربية تتبدي به في هذه الحظنة ) فسمعت أهالي تلك الامارة وانسمت حدودها وعظم شأنها . سنة ١٨٦٣ مات جيمس فخلفه ابن اخيه كارلس بروك وقد ورث ملكا عريضا يمتد الى حدود نهر لينبانغ ودخلت هذه المملكة تحت حماية بريطانيا العظمى .

واما سلطنة « كوتاي » على الساحل الشرقى من بورنيو فقامدتها « تنغارون » ومبناؤها « سامارينده » فقد كانت تابعة سلطنة موجهابايت الجاوية ثم صارت الى تبعية مملكة بنجارماسين . وفي اثناء القرن التاسع عشر اضطر سلاطين كوتاي الى الاتفاق مع هولاندة على شروط تخل باستقلالهم وتجعل لها هي السيطرة .

أما احصاء نفوس بورنيو فيبلغ مليوناً وسبعمائة ألف نسمة من هذا العدد نحو ستين ألف صيني وبضعة آلاف عربي ونحو ألفي اوروبي فهي غالبية الساكن بالنياس الى مساحتها اذ لا يصيب الكيلو متر المربع فيها اكثر من واحد الى ثلاثة من السكان . وهم من جنس يقال له الداياك يسكنون في الداخل ومن الماليزيين المسلمين الذين يسكنون في الساحل . والداياك هم من اصل ماليزي ولكنهم منعطون في المدينة منعطون في البراري والجبال والسيادة دائماً للمسلمين عليهم . ومعنى اسم واحد من الداياك صار معدوداً من الماليزيين . وأما للسواحل فهي مأهولة بالمسلمين الماليزيين بعضهم من السلالة الماليزية الخالصة وبعضهم مختلطون بالامة البوغينية . ومن جهة ارض كابواس يوجد ماليزيون كثيرون يمتدون الى الداخل وهم هناك يتزوجون من الداياك والناياب على هؤلاء الماليزيين حب التجارة وصيد البحر وقصص الوحوش وليس عندهم ميل الى الزراعة والصناعة ولكن تشكيلاتهم السياسية يسبب وحدة المتبدة الاسلامية هي امن واقوى من غيرها فقد سادوا بها على سائر سكان بورنيو فتجدهم هم الماسكين بأفواه الانهر التي هي طرق المواصلات قابضين على زمام التجارة من كل جهة . ومنهم من يتخلطون في احشاء الجزيرة في طلب محصولات الاراضي الحرجية . مثل السكاوتشوك وغيره فيصلون الى اقصى مساكن الداياك السابق الذكر ويتبعونهم بتأثير الاسلام . وأما السواحل الجنوبية من بورنيو فيسكنها جبل يقال لهم الباجاريزيون وهم ماليزيون مختلطون بدم جاواني لهم في بلاد بنجارماسين هيئة اجتماعية جديدة بالذكور وهم اهل ذكاء واقدام . كذلك على السواحل الشرقية بكثرة الجبل المسمى بالبوغينيزي وهم من اقوام الافوام على التجارة والسعي وفيهم نشاط وهمة غائقة وهم مكالة عظيمة سياسية واقتصادية في هاتيك الارضاء وفي الارخبيل الماليزي جزيرة يقال لها سيلاب Célèbes هي الجزيرة الثالثة في العظمة والمساحة مساحتها ٣٢٢٨ كيلو متر مربع وفيها جبال عالية جداً ارتفاع قممها يبلغ ٣٤٥٠ متراً وارضها كلها جبلية تقل فيها السهول وتكثر فيها البراكين وفيها بحيرات متعددة .

وسيلاب تابعة لدولة هولاندة باجمعها وانما ادارتها مقسومة الى قسمين احدهما ولاية « منادو » ويقعها النصف الشمالي من الجزيرة مع شبه الجزيرة الشرقي والثاني ما في من الجزيرة . ولا يزال في اشباه الجزر الشمالية والجنوبية امارات وطنية مثل « غوغا » و « بونغ » و « لوفو » طرد اسراؤها سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٧ ولم ينتصر لهم احد من الاهالي . وامارات اخرى مثل « تانيت » و « سوبنغ » و « سيدنفرنغ » لا تزال مستقلة في داخلها الى اليوم وكانت جزيرة سيلاب بمجولة اكثر من سائر جزر هذا الارخبيل نزل بها الملايونيون سنة ١٥١٢ والبرتغاليون سنة ١٥٣٢ وفي القرن السادس عشر تغلب ملوك المالكاسار اصحاب دولتي « غوغا » و « تلو » على جنوبي سيلاب وقسم من اوساطها وعلى الجزر الصغيرة من الارخبيل الصوند . وفي زمان الملك « تونيجالو » الذي تولى الامر من سنة ١٥٦٥ الى سنة ١٥٩٠ تقرب « باب الله » ملك « ترناث » وكان مسلماً الى مملكة غوغا وعقد معاهدة مع تونيجالو وأراد أن يحمله على الاسلام ولكن لم يوفق حينئذ الى ما أراد . فلما آل الامر الى ابن تونيجالو شرح ائمة صدره للاسلام على يد رجل ماليزي اسمه « داتوري بانداغ » من بلدة يقال لها « منانغ كابو » من جزيرة سومطرة فسلم ( سنة ١٦٠٣ ) وتلقب بالسلطان علاء الدين واسلم معه وزيره « كارانينغ ما توفيا » وتبعهما سائر الاهالي وانشر الاسلام بين جميع الشعوب العديدة المسماة بالمالكاسار والبوغينيز لا سيما ان مملكة غوغا في ذلك الوقت كانت قد وسعت حدودها وزادت بسنة عزها .

وكان الهولانديون والانكليز والدايمركيون منذ سنة ١٦٠٥ بدأوا يناظرون البرتغاليين في التجارة ويزاحونهم على محاصيل البهارات والثقل في حاصنة المالكاسار . وقد عقد الهولانديون معاهدات تجارية مع اسراء تلك النواحي تضمن لهم امتيازات خاصة بهم ثم لم يخل الامر من وقوع بعض الحلل بهذه المعاهدات فانخذت هولاندة هذا الحلل فورية لمناجزة تلك الحكومات الوطنية القتال وبالاتفاق مع مملكتي بون وترناث زسقت السكاكر الهولاندية في سنة ١٦٦٧ ثم في سنة ١٦٦٩ وقضت اوساط مملكة المالكاسار واجبرت اسراءها على امضاء معاهدة « بانغايا » التي حلت على امضائها فيما بعد جميع ملوك القطر الجنوبي من جزيرة سيلاب وبموجبها اطاعوا دولة هولاندة . وكانت بلاد « ميناهاز » من هذه الجزيرة ذات ملاقات كثيرة مع الاسبانول وكان هؤلاء عندهم مراكز اسسوها منذ القرن السادس عشر فاستعان الميناهازيون بالشركة الهولاندية على الاسبانول واخرجوهم .

اما عدد اهالي سيلاب فيبلغ مليونين وهم من العائلة الماليزية اليوليفيزية وذهب بعضهم الى وجود جنس آخر في داخل الجزيرة اسمه « توالا » وأصق جنس من هؤلاء السكان هم « النوراجا » وهم جيل وثنيون في داخل الجزيرة ومنهم اقوام في شبه الجزيرة الشرقي اختلطوا بالملاييزيين فتكون منهم المالكاسار والبوغينيز . اما جنس الميناهاز فمستقل من أشكائهم ولتقتهم على كونهم ذوي قرنى مع الملاييزيين اهل الفيليبين وفورموز واليابان . واشهر المدن التجارية المالكاسار فيها ١٠٥٩ اوريا و ١٤١ حريا و ٤٦٧٢ صينيا و ٢٠١٧٨ من الاهالي اكثرهم بوغينيزيون . ثم منادو وفيها ٥٠٠ عربي و ٥٧٦ اوريا و ٢٧٨٤ صينيا و ٦٦٦٩ من الاهالي . ثم غورونالو وفيها ٣٢٧ حريا و ١٤٥ اوريا و ١٠٦



صينيون و ٥٢٤٧ من الالهالي . ثم سيجيه واعلها ٣٥٧٨ وفيها ٥١ اوريا و ٢٣ عربيا و ١٠٨ صينيون . ثم يونتان وفيها ١٥٥ اوريا و ١٩٧ صينيا و ٦٥٤٤ من الالهالي و ٣ عرب الخ وعلم جرا . وجنس النوراجا زراع ومنهم قناصون ويسكنون في قرى محصنة لكثرة ما يقع بينهم من الحروب .

وفي البلاد التي تصافى البلاد الالهالية حيث يكثروا البوغينيزيون دخل النوراجا هؤلاء في الاسلام اما النصرانية فتنتشر في الجهة الشمالية .

والتبعان النورامان المسلمان في جزيرة سيلاب هما الماكاسار والبوغينيز . كما يسكنان في الارجام الجنوبية ولكنهما انتشرا اخيراً في جميع سواحل سيلاب وفي اكثر جزر الارخبيل من الشرق الى الغرب وذلك يكون ابناء هذين الشعبين هم من اجراء الناس على البحر ومن اشهرهم على التجارة . والماكاسار هم اصحاب الداية الغربية من شبه الجزيرة الجنوبي داخلة في ذلك مملكة غوفا *Gouva* واما البوغينيز فاتهم اصحاب الجانب الشرقي من شبه الجزيرة . ولما كاسار عدا غوفا مملكة تانيت *Tanait* وارخبيل سالبار *Salabar* الجنوبي . وللبوغينيزين *Buginese* مملك بون *Bone* و *Vadjo* ولوفو *Louvo* وسونينغ *Souping* وما عدا هذه الممالك فيوجد حكومات صفار تابعة للحكومات التي هي اكبر منها . وعلى رأس كل من هذه الممالك ملك أو امير أو ملكة أو اميرة يتقلد أو تتقلد الملك بالارث ولكل من الملك أو الملكة وزير ثم مجلس مؤلف من اعضاء بيت الملك .

وامراء البلاد والاهالي قسمان منهم الاحرار ومنهم الارقاء . وللالهالي عادات ومنازع لا يزولون متمسكين بها بالرغم من انتشار الاسلام بينهم فالتوارث بحسب الشريعة الاسلامية غير جار الا في المدن . والزواج يجري وفقاً لشرع الحمدي لكن عقبات الافراح ونية تقريبا . واما المرأة المتزوجة فلها مقام ممتاز . وقد امتاز الماكاسار والبوغينيز بالنشاط والعمل وحسب الكسب فتراهم ارق اعم تلك الجزر في الامور الاقتصادية وهم يتقنون التجارة والزراعة وتربية المواشي وعندهم صناعات يدوية من النجارة والحداثة وبناء السفن يبالغون بها عند المهارة وكذلك لا يمارسون احد في حرفة الملاحة وصيد الاسماك . ومعدل كثافة السكان من هذين الجبلين بالنسبة الى مساحة الارض هو ٢٧ شخصاً في كل كيلو متر مربع كما في غوفا وفي تانت و ٢٠ شخصاً في بون . واما في الالهالي التي تديرها هولاندة وأساساً هو ٥١ شخصاً في كل كيلو متر مربع . ولهذين الشعبين كثافة وحروف معجزة من أصل هندي . وعندهم كتب وتأليف وآداب لغوية غزيرة ونظم ونثر . ومن جهة الكتب المعروفة عندهم مجموع احكام حقوقية اسمها « راباخ » باللغة الماكاسار و « لانوفا » باللغة البوغينيز . ويوجد مراكز تجارية عظيمة للبوغينيز في جميع الارخبيل كالسواحل الشرقية والغربية من بورنيو وفي ارخبيل ديوف *Diouf* والجزر الصفار من ارخبيل الصومند وفي شرقي جزيرة لونيوك وشمال سومطرة .

أما الميناهازيون فاتهم اليوم نصارى وقد انتشر العلم والتمدن بينهم بواسطة المبشرين وتمت ثروتهم وصارت كثافة السكان منهم بالنسبة الى مساحة الارض بمعدل ٣٨ شخصاً في الكيلومتر المربع ويوجد ناحية حول بحيرة توندانو كثافتهم فيها بمعدل ٨٣ في الكيلومتر .

وأما جزيرة سومطرة فانها من الجزر الماليزية أيضاً وتعد من أعظمها بل من أعظم جزر العالم بفصلها عن بلاد الهند الصينية بوقاز ملقا وعن الجاوى بوقاز الصوند وهي بين ٥٢٩٢ و ١٠٣ و ٤٣ من الطول الشرقي و ٢٨٥ من العرض الشمالي و ٥ و ٥٨ من العرض الجنوبي وطولها ١٧٦٠ كيلو متراً بمرض يختلف من ١٦٠ الى ٤٠٠ كيلو متر ومساحتها ٤٣٠٠٠٠ كيلو متر مربع وفيها سلسلة جبال عالية ارتفاع قمتها ٣٧٠٠ متر و ٣٤٠٠ متر . وفيها أنهار كبيرة تسير فيها السفن وهواؤها حار رطب وفيها معادن الذهب والحديد والنحاس مثل جزيرة بورنيو . وفيها زراعة الارز والحبوب وتكثر فيها الحيوانات كالخيل والبق والجواميس وعدد أهلها ثلاثة ملايين وخمسمائة وسبعون ألفاً منهم من اجناس هندية كالباتا والآلا والكوبر ومنهم ماليزيون ومنهم ماليزيون مختلطون يقال لهم آتشينيون والماليزيون والآتشينيون هم مسلمون وهم أكثر أهالي الجزيرة . وسومطرة تايمة هولاندة منها ما يليه الهولنديون رأساً ومنها امارات تحت الحماية ومنها امارات مستقلة . وأعظم مدنها بالانتايغ وآتشين وبانانغ ومدان الخ .

والمسلمون في الجاوى وسومطرة وبورنيو وسيلاب وسائر المستعمرات الهولندية هم ٣٥ مليوناً ويضمهم بقول ٤٠ مليوناً .

وتنتهي القول بجزائر الفيليبين وهي أرخبيل من الاوقيانوس الماليزي بين ٣٠ و ٢١٤ و ٣٠ من العرض الشمالي و ١١٤ و ٣٠ و ١٢٤ و ١٥ من الطول الشرقي بين بحر الصين غرباً والاقيانوس الباسيفيكي شرقاً وبحر سيلاب وبحر جولو جنوباً . وهذا الارخبيل يتخوي ١٢٠٠ جزيرة أشهرها لوسون LUCON في الشمال وجزر بايوان Babuyan وجزر بيسايا Bissayas في الوسط وجزر كالاميان Calamianes وبالاوان Palawan في الغرب وجزيرة مينداناو Mindanao في الجنوب . وهذه الجزائر جبلية بركانية كثيرة الزلازل وهواؤها حار وزراعتها الارز وقصب السكر والتين والقنب وفيها مواش كثيرة كالخيل والبق والجاموس ومعادنها غير قليلة كالذهب والنحاس والنفط وصادراتها تعدل بنحو ١٥٠ مليوناً والداخل اليها بنحو ١٢٠ مليوناً وفيها نحو ٢٠٠ كيلو متر من الخطوط الحديدية ومساحتها ١٨٢ و ٢٩٦ كيلو متر مربع . وعدد سكانها سبعة ملايين منهم الماليزيون الكاثوليكيون ويقال لهم الزانغال والماليزيون المسلمون ويقال لهم المورو والبولينيزيون وهم وثنيون وفيها زنجوج وفيها نصف مليون من الصينيين ومائتا ألف أوربي . وأعظم حواضرها مانيلا ثم ليما ثم بانانغ ثم باتانغا الخ وقد سميت هذه الجزر بالفيليبين نسبة الى فيليب الثاني ملك اسبانية الذي في أيامه جرى اكتشافها ودان أكثر أهلها بالعمرانية وذلك سنة ١٥٦٨ وبعد ان بقيت هذه الجزر ثلاث من السنين تحت حكم اسبانية ثارت عليها فوضعت الجمهورية الاميركية الكبرى حركتهم فتملصوا عن حكم اسبانية وسكنهم وقموا تحت سلطة الولايات المتحدة فعادوا يتوردون على هذه وأحوالهم لا تزال غير مستقرة .

ويظهر ان الاميركيين أرادوا استيلاء المسلمين من أهل الفيليبين لينتقوا بهم على الكاثوليك فجاء منهم والى سائى الفيليبين الى الامتانة سنة ١٢ سنة والنمس من الحكومة العثمانية ارسال مرشدتين يهذيون مسلمي الفيليبين ويتوردون أفكارهم نظراً لما هم عليه من الجهل



والغياوة ولما كانت الدولة العثمانية وانتشرت تبنى بأمور المسلمين بقدر امكانها ارسلت المشيخة  
الاسلامية أحد مأموريها وهو الفاضل المرحوم وحيه افندي زيد السكيلائي النابلسي وجملة  
اشبه بشيخ اسلام في الفيلبين فذهب الى هناك واستقبله المسلمون بفرح يفوق الوصف وبدأ  
بمهمته وعلمونه الأميركيون عليها الا انه مرض مرضاً قفص عليه بالعودة الى الاسنانة فلما جاء  
قفلت المشيخة راتبه وأبت ان تمنحني بهذا الامر بعد ذلك فاضطر الى السفر ثانية على نفقته  
الخاصة وكان بناؤه كثيراً على حالة الاسلام في الفيلبين وبذكر ما هم عليه من التعمس في عبادة  
ابناء ملتهم لو انجح لهم حظ من التعليم وأخيراً جاءنا نبيه بسبب العلة التي كانت تمنعني منه مع تغير  
الهواء عليه فذهب في شرح شبابه شهيد حبه وعلمه وكن صديقاً حميماً لي فسأله رحمه الله  
عن أحوال المسلمين في تلك الجزائر الثانية فاخبرني بان عددهم هو من مليون الى مليونين  
وان السواد الاعظم منهم في جملة عبياء لا يعرفون من الاسلام سوى كونهم مسلمين ولا  
يكاد يعرف الصلاة منهم الا أفضاء قلائل ممن حجوا بيت الله الحرام . فسي ان ينفض الله من  
المسلمين جمية نحدو حذر الافرنج في التهذيب والارشاد فنرسل الى تلك الديار من يكمل  
مهمة وحيه افندي السكيلائي التي لم تكند تبدأ حتى انتهت لانقطع الامل بذلك ومن يخطط  
من راحة ربه الا الضالون .

( ش )



## التعليق على مسلمي الروسية

في عهد البلاشفة

( راجع اشارة رقم (١) في ص ١٣٣ )

عند ما ذهبت الى موسكو في حزيران أو يونيو عام ١٩٢١ ، لتفحص الاحوال ، من قرب ومعرفة ما اذا كان ممكناً فعلاً انتفاع الشرق من الروسية الحاضرة ، وما هي درجة هذا الانتفاع ، سألت عن احوال المسلمين في الروسية ، وتلاقيت مع بعض ابناء الطاغوتانيين والفازيين ، فاستقصيت منهم عما اريدوا وقيل لي : ان موسكو بضعة عشر الف تترى لهم مسجدان جامعان ، وكذا في بتروغراد كان نحو عشرة آلاف منهم ، ولهم جامع يدعى الجلاء . وكنت في احدى الجمع اذيت الصلاة في احد جامعي موسكو ، حيث يؤتم في الجماعة الشيخ عبد الودود فتاح الدين قاضي المسلمين في موسكو وبتروغراد ، ويقيم في القضاء المسلمون الذين في ولايات « باراسكول » و « نوبر » و « ياقومنه » وبلدتي « اغانو » و « جيبسكي » والاخيرة بلدة معامل ، فيها عملة مسلمون كثيرون . وياولون له هناك « حضرة عبد الودود » ويسمونه المحاسب ، ومعنى المحاسب عندهم ، هو الذي ينظر في الامور الدينية ، ويرجع اليه أئمة المساجد . فالاستاذ عبد الودود فتاح الدين هو المحاسب في جميع البلدان المار ذكرها . ومراجعة المجلس الاسلامي الاعلى الذي بمدينة اوقا . وقد رأيت منه طالما فاضلاً ، مظلماً على الامور ، بصيراً بامور قومه ، وقيل ان تحادثت معه سمعت خطبته في صلاة الجامع ، فالعادة عندهم هي ان يبدأ الخطيب بخطبة بالتركية الفازانية لسان القوم ، يعظهم فيها ويشكهم في اهم الامور التي تناسب الحال ، فاذا انتهى من هذه الخطبة صعد المنبر ، وخطب الخطبة الرسمية بالعربية . لحضرة عبد الودود وقف بمحذاه المنبر وذرع بخطب بالتركية ، وبقي يشكهم اكثر من نصف ساعة ، ومع كون تركية التتر تختلف بعض الاختلاف في الالفاظ وتصريف الافعال عن تركية العثمانيين ، فقد كنت انهم كل ما يقوله تقريباً ، واعجبني جداً وعظه وسقى خطابه ، وطالت اثم مدركون الاحتياجات المصرية ، متفهمون لما يجب ان يتجهوا اليه . ولما انتهى من خطبته بالتركية صعد المنبر اخوه ، وهو مثله من العلماء فخطب بالعربية بالتسجيع على نمط خطباء بلادنا ، ولكن باعراب صحيح ولفظ فصيح لا تفرق عن لفظ خطباء العرب في شيء ، مما حثني على الظن ان هذا الخطيب كان مجاوراً في مكة أو في المدينة مدة طويلة ، حتى امكنه ان يخرج الحروف العربية بخارجها كأحسن اليهود من العرب ، اذ لم أعرف في امة الترك من يقدر على ذلك الا من نشأ منذ صغره في بلاد العرب ، فانه قد يتقن الفارسي والتركي علم التجويد ، ولا يزال معروفاً من لفظه انه تركي ، ولا يرجح عاجزاً عن اخراج الحاء والعين والواو ، مثلاً ، بخارجها الصحيحة الا اذا ربا بين العرب . فلما خطيب جامع موسكو ، فسمعت منه لفظ خطيب عربي ، فدهشت



عند ما عرفت انه لا يعرف بلاد العرب ، وانه انما تعلم التجويد في قازان ، وقد ازدادت دهشاً لما سمعت بعض القراء يقرأون كقراء العرب نعمة ونزلاً ، بدون ان يكون احد منهم جاور في الحرمين ، ولا عرف البلاد العربية . مع ان اخواننا الترك العثمانيين يتعلمون التجويد ويحفظون القرآن ، ويحقون كل ذلك ، ويتقن نفثهم على ما هي عليه .

سألت حضرة عبد الودود بعد الصلاة وقد دعاني الى الشاي في منزله المذواح للمسجد ، عما هم عليه في عهد البولشفيك ، ومما هو الفرق بين الادارة القيصريّة السابقة والادارة الشيوعية الحاضرة ، فأخذ يقرن لي الحقائق والمساويء الا انه قال : « اما من جهة الحرية الدينية فقد صرنا في بحوجة عظيمة ، اذ ان البولشفيين لا يسألون الانسان عن عقيدته ، ولا يعرفون الاكامة » روسي « اباً كان دينه ، وكان الدخول في الاسلام ممنوعاً لهدد الحكومة السابقة اما الآن ، فالحكومة لا تفرض احداً ، وان كثيرين في هاتين السنتين اسلموا على يدي . بل كان اهالي مائة قرية من جوار قازان قد حملتهم الحكومة القيصريّة على التصراية قسراً منذ مائتي سنة وحولت مساجدهم كنائس وارسلت اليهم القسوس ، وكانوا لا يزالون في الباطن مسلمين ، لكن لم يقدروا ان يظهروا اسلامهم الا بعد ان سقطت القيصريّة وجاء البولشفيك ، فدأوا الى الاسلام وادأوا مساجدهم الى اصلها » .

ثم سألت عن تشكيلاتهم التشريعية فقال : ان قازان وسيبيريا وبلاد الاشقر والقرغيز والمدن التي فيها مسلمون من جوار موسكو ، هذه لها مجلس اسلامي اعلى مركزه بمدينة اوفا . وهذا المجلس مؤلف من اربعة قضاة ، برأسهم اثنتي الاعظم ، والمفتي الاعظم اليوم هو العلامة جان بارودي بن محمد بارودي ، وهذا الرجل هو من حقول العلماء وله تصانيف ، وكان اصلح اصولو التدريس الاسلامي في الروسية ، وأبغض المسلمين ، فلماذا نداء القيصري الى سيبريا ، ولم يعد من منقاه الا بعد سقوط القيصريّة ، فانتخب مفتياً أعظم في ايام البولشفيك . أما النضاة الاربعة اليوم فهم ، العلامة رضا الدين بن فخر الدين من المشهورين في البلاغة والتاريخ ، وكشاف الدين ترجماني امام قازان سابقاً ، وصاحب جان الحسيني امام اوفا ، والسيدة عطية بوبيا ، وهي سيده طالة فاضلة قد افتتحت الحكومة البولشفية ادخالها في المجلس الاعلى بقولها : ان النساء هن نصف البشر ، وانه من العدل وجود امرأة فيه للمحافظة على حقوق المملكات ( روى الطبري ان كثيراً من الفقهاء اجازوا قضاء المرأة ) . فهذا هو المجلس الاسلامي الاعلى ، وفيه تدخل جميع المسائل التشريعية ، ويضع هذا المجلس قسماً ناعية ، كل ناعية منها فيها محتسب مثل الاستاذ عبد الودود ، فالخمسون مرجعهم المجلس الاعلى ، والائمة في المساجد مراجعهم المختصون .

وأما تركستان فلها تشكيلات دينية ، ومفت أعظم مركزه طاشقند . وكذلك يوجد مفت أعظم لمسلمي القوقاس ، ومفت لمسلمي القريم .

سألت حضرة عبد الودود عما يقال من عدد مسلمي الروسية كلها فقال لي : « في ولايات قازان ، واورنبورج ، واورفا وتوايها ، مع الباشقرد ٥ ملايين . والقرغيز ٥ ملايين . وقرغيزيا نصف مليون . وولايات تركستان ، طاشقند ، وسمرقند ، وخوقند الخ ١٢ مليوناً . وبخاري مليونان وخمسة مليون واحد . فهذه ٢٥ مليوناً ونصف مليون . فقلت له : وبي

الفوقاني ثلاثة ملايين الى أربعة طافستانيون ، وجرمكس . وثلاثة ملايين في اندريجان  
وكرجستان . ونصف مليون أو أكثر في الشرق . فهذه نحو ٣٣ مليوناً . فوافقتي على هذا  
القول ، وسألت غيره حتى ممن كانوا من أعضاء مجلس الدوما الروسي ، فتأثروا ان عدد مسلمي  
الروسية نحو ٣٥ مليون نسمة .

وفي بولونية نحو ١٥ الف نسمة مسلمون ، يقطنون عدة قرى . وفي مملكة ليتوانية ،  
من ممالك الباطليك المستقلة بعد الحرب نحو ١٠ آلاف نسمة ، لهم بعض قرى ، ومعهم  
مساجد ، ولكنهم لا يعرفون لا العربية ، ولا التركية ، وإنما يتكلمون بالليتوانية والروسية .  
وكان يحسن ان يؤخذ منهم بعض طائفة الى الاسنانة وآخرون الى مصر لاجل تعليمهم العربي  
والتركي . وكان منهم طالب أدب في برلين ، جعلناه عضواً في النادي الشرقي .

( ش )





## السيد جمال الدين الافغاني

حكيم الشرق

( راجع الاشارة رقم ٢ في ص ١٣٨ )

فيلسوف الاسلام ، وعلم الاعلام ، وكوكب الاصلاح ، الذي أطلعه الله في افق الشرق بعد ان اشهد به الظلام ، حجة الشرق الناهضة ، وآية الحق الباهرة ، الذي قال عنه ارنت رنان ، الفيلسوف الفرنسي الشهور بعد ان عرفه : « كنت أتمثل امامي عند ما كنت خاطبه ابن سينا ، أو ابن رشد ، أو واحداً من أساطين الحكمة الشرقيين » . قد بلغ من شهرته ، والهمة يذكره ، والفضاوة بعقيدته ولا سيما بمصر والشام ، وسائر البلاد العربية ، ان ترجمة حاله تكاد تكون احدثة الجميع ، فلا حاجة الى الاطالة بجميع تفاصيلها ، ولا الى الاطالة بقررها وحجوها ، تضاري ما في الامر ان هناك حوادث لم تكتب الى اليوم ، وان الروايات تضاربت في أمرين أحدهما ، هل هو افغاني مولود في افغانستان ، أم فارسي مولود في همدان كما زعم بعضهم ، والثاني ، هل هو فيلسوف الحق أم مسلم ، أم فيلسوف مادي معطل . وعلى الامر الاول نقول : ان كل من عرفوا السيد جمال الدين علموا منه انه من افغانستان ، وانه من سادات كثر الحسينية المشهورين في تلك الديار ، ووالده السيد صفيق وكان مولده في اسد آباد بقرب كثر سنة ١٢٥٤ هجرية وفق ١٨٣٨ ميلادية وكذلك عرف به كثير تلاميذه ، الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، مفتي الديار المصرية ، في صدر رسالة الدهريين تأليف السيد جمال الدين . ولقد بقيت في المدينة المنورة قبل الحرب العامة بأشهر السيد حسيناً أحد ولادة امانيان ، ومن سادات كثر المثار الزهم ، ومن أفاضلهم ، وعلمت منه ان السيد جمال الدين رحمه الله هو منهم ، كما اني سمعت ذلك من جميع رجال الدولة الافغانية وسفرائها ، الذين جهدا بدم الغداير في اوروبا بعد تأسيس سفاراتهم بها ، فلا أعلم كيف تنفي كل هذه الروايات من أهل تلك الديار ، على كون المترجم افغاني الدار علمياً حسينياً ، من أسرة نسبهم كالشمس ، ومنهم في بلاد الافغان أشهر من ان ينوه به ، ويكون في الحقيقة من همدان ومولوداً بها ، ونقول على الثاني : ان الأستاذ الشيخ محمد عبده تعرض الى ادخال هذه الهمزة اكثر من مرة وعرب من الفارسية بمساعدة عارف افندي أبي تراب الافغاني رسالة « النيشريين » أي الطبيعيين التي يرد فيها السيد جمال الدين على الملحدة والمظلة ، وقيم المثيدة الالهية على أساطين المنطق ، والحكمة العقلية ، ويثبت صحة الوحي ، وينتهي الى ايضاح البراهين المحمدية ، كل ذلك بملازمة قل ان اتاح قومه فيلسوف غير ، ولكن بعض الناس — ولا سيما العلماء الخنوية — أبوا أن يروا في الفلاسفة الا ملحدون ومعطلين ، ومن هذا جاء قولهم الداعي : من غنطاني تزندق . ويمثل هذه المبادئ السخيفة والكلمات الخنوية ، أضلوا العوام ، ورضعوا عقائدهم في غصومة دائمة مع الحقائق العلمية ، وجنوا على الاسلام جنابة كبرى ظهر أثرها في الانحطاط السياسي والاجتماعي ، الذي نراه

عليه الان . واذا قام مصلح أو مجدد يتكلم باسم المحكمة والمعلوم العالية ، ويبحث على النظر ، وينهى عن التقليد ، ويدين مضار الجود ، كان أول ما يشرعون اليه زمية بالزندقة ، واتهامه بوهن العقيدة . وقد صادف ذلك هوى في اشد من يملون الى التعطيل فعلا ، فيلغفون ما يسمونه من هذا القبيل بدون تثبيت ، ويسارعون الى اذاعته بين الناس ، لان من أحب شيئاً أحب ان يرى كبار الرجال شركة له فيه ، ولهذا صدر الاستاذ الشيخ محمد عبده رسالة الدهريين ، التي اسلفنا ذكرها ، بمقدمة في ترجمة حال استاذنا السيد جمال الدين قال فيها تعريفاً ما يأتي : « يعملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل ما نراه من اختلاف آراء الناس في امره ، ونضارب أقوالهم في حقيقة حاله ، حتى كأنه قوة روحية غامت في كل ذهن بما يلائمه ، أو حقيقة كلية نزلت في كل عقل بشكل يشاكله ، والرجل على صفاء جوهره ، وذكاء غيره لم يتناولوه وضع الرضامين ، ولا حذر الحرامين الخ » . ثم شرع بترجمته على الوجه الصحيح ، الذي هو أدري به من كل مترجم غيره ، فكانه من خلقة السيد الاستاذ ، وماله به من تمام الخبرة ، ومعه من طول المشورة . فذكر نسيه ، وحسبه ، ومولده ، ونشأه ، ورحلته ، ومذهبه في السياسة ، ومذهبه في الفقه ، وقال في هذا : « انه حقيقي حقيقي مع ميل الى مشرب السادة الصوفية رضي الله عنهم » . وذكر عن مذهبه السياسي انه كان جل اهتمامه ، في أن يرى العبدى الدول الاسلامية ، في صف كبريات الدول الاوربية . وأطال في وصف مواهب المغاربة ، وقدرته العلمية ، الى ان قال : « وبالجملة فلو قلنا ان ما أوتي من الكفاء ، هو أقوى ما قدر لهم الانبياء ، السكتا غير مباليين » . ووصف ثجالة الزاهرة ، وأخلاقه العظيمة ، وحمه العالية ، وشجاعته التي لا تعرف الموت معنى ، وعدم مبالاة بالذبا ، وانتبه الى قوله فيها أتذكر : « وهو جاهر بسبع حمله ماشاء الله ان يسع ، الى ان يدنو أحد ليس دينه ، أو شرفه ، فيقلب الى غضب ، تنفض منه الشهب ، فيبها هو حليم أواب ، اذا ما أريد وثوب » . قلت وسخرى طافة غضبه عند ما أماته الشام ، لعمر الدين ملك العجم ، والصورة الفجيعة التي انتهى بها ذلك الخلاف ، مما سخر به في آخر هذه الترجمة . وقد اتفق أرباب النظر في هذا العصر ، على أن قدوم السيد جمال الدين الافطحي الى مصر كان مبدأ الحركة الفكرية ، التي بدأت في البلاد العربية رسائر الشرق الأدنى ، ولم تحل تنمو الى الان ، لارمية الى تحقيق الشرق بالمعارف التي ساد بها الغرب ، ورفع سيطرة هذا عن ذلك ، واعادة الشرق سيرته الاولى من الرقي . ولم يقرأ السيد جمال الدين على أحد بالأزهر ، ولكنه كانت له حلة خاصة في منزله انظم فيها عدداً من أدباء القطر ، يستفيضون بحر حكيته ويستطرون صوب صوابه ، اشتهر منهم الشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، وابراهيم افندي الافطحي ، والسيد وفا الفتوي ، وسعد باشا زغلول ، الذي قيل لي انه ادرك اخريات أيام السيد بمصر ، ولازمه ثلة من أدباء الشام ، الازابن بمصر مثل أديب اسحاق ، وسليم النفاش ، وسعيد البستاني ، وغيرهم وانفتح مرقدوه وحلة علمه ، يكتبون ويخطبون وينثرون الى اللأ ما التقطوه من فوائده ، وانتظموه من فرائده ، وكان ذلك لساناً طلياً لا عهد له بالناس بادلته ، وأسلوباً راقياً انطقت منذ قرون عديدة نسبة رجاله ، فأحدث في الأمة حركة أنسكار لم تكن من قبله ، ونفع فيها روحاً مبرية ظهر عليها طابع عرفاء ونفلة ، ففتحات هم واستجذبت عزائم ، وهبت قوى



وافاضت قرايح . وقال الشيخ محمد عبده في وصف تلك الحركة ما يأتي تقريباً — لأن نص كلامه ليس بيدي الآن — فاستنارت الابواب ، واستضاءت البصائر ، وانحلت عقل الاوهام من قوائم العقول . الى أن قال انه لم يكن بمصر للكتابة قبل جلال الدين شأن يذكر ، ولم يكن يعرف من الكتاب سوى عبد الله باشا فكري ، وخيري باشا ، ولان علي ضعف فيه ، ولان علي اختصاص فيه ، وبقية من بقي فلما ساجدون في المراسلات الخاصة ، واما مؤلفون في بعض الكتب الادبية الخ . ولم تكن الثورة التي أحدثها السيد جلال الدين في السياسة بأقل منها في العارف ، ولعمري هاتان توائم ، فلما انتشر العلم في مكان الاهتاف بالحرية . وأول أثر ظهر لجلال الدين في ميدان السياسة ، هو الحركة التي هبت في أوائل أيلم الحديوي اسماعيل باشا وآلت الى خلع من الحديوية ، وكان السيد اليد الاول في هذا . ولما جالس توفيق باشا على كرسي مصر شكر لجلال الدين مساعدته ، لكن لم يطل الامر حتى دبت عقارب الساعة في حقه ، وجاء من دس الى الحديوي الجديد أن السيد لن يقف عند هذا الحد ، وقد تحدثت نفسه بثورة ثانية ، وبإقامة حكم جمهوري وما أشبه ذلك ، مما لا يعي تدبيره السامع والمستمع ، فصدر الأمر بجلاء بغني جلال الدين وأخرج الى السويس ، ومنها ذهب الى الهند ، ولم يدخل بعدها مصر . وجرت الحركة العراقية في غايه ، واحتل الانكليز مصر . ومما لامرأه فيه أن المبدأ الوطني ، الذي رأس تلك الحركة كان من زوجه هو ، وان كان مهبط على ذلك الزرع ، من سموم الجهل ونقصان التربية السياسية ، ولقد من الدسائس الاجنبية ماصوع فصرته ، وذهب نمرته ، شأن تلك الدسائس على كل نهضة تحدث في الشرق أو حركة اصلاح تشفق من ورائها الدول أن تتذوق حجب العبادة التي هي أصديق عوامل الاستعمار الا أن ذلك الزرع لم تذهب بزوجه من الارض ، وعاد فأخرج شطاء ، وما زال ينمو حتى استوى على سوقه ، فيجيب جلال الدين لو طاش الى اليوم ، ويقتاط به الذين لا يرحون بمخاطب في الجلاء عن مصر .

وفي سنة ١٨٨٥ ذهب جلال الدين الى أوروبا ، وأول مدينة صعد اليها لندرة ثم تحول منها الى باريس حيث وافاه الشيخ محمد عبده أكبر تلاميذه ، واكمل وعاد علومه ، فأصدر فيها « العروة الوثقى » التي بلغت من ارتباط الشرق وهز اعصاب العالم الاسلامي ، ما لم تبلغه صحيفة سابقة قبلها ، ولا بعدها ، ولكن لم يستفهم الوقت أن يصدر منها الا بضعة عشر عدداً ، فعاد الشيخ محمد عبده الى بيروت حيث كان متفاه على أثر الحادثة العراقية ، وبقى جلال الدين في أوروبا يحول في مدينتها ويتألف أهل العلم فيها الى أن تلاقى بالشاه ناصر الدين صاحب فارس بلغني أنها تصادقا في مديح عاصمة باقرية ، فدعاه الشاه أن يكون بمنية لما شاهده من وفرة علمه وفضله ، وتقدم اليه في القهاتب معه الى طهران ، فلي السيد دعوته ، والكرم الشاه نزله في عاصمة فارس ، وما زال في ملباء عنده ، حتى نفس عليه الحساد منولته هذه لدى الشاه ، ولما كان السيد جلال الدين لا يكتم فكره ، ولا يختاط من قوة نفسه ، أن يجهر بكل ما يحيش به صدره . وكان بعد هذا وذا يجهد في ادارة أحكام المعجم ، ما لا يطبق عليه صبراً أقل منه بكثير ، في الهمة ، وإياه الضيم ، وحملة الوجدان فما هناك برجل نظيره . لم يصعب على أولئك النفسدين ، أن يحكموا الوشاية ، ويوقفوا المداواة بينه وبين الشاه حتى انتهى الأمر باعتقاله وحيله ، ثم بإخراجه منها من فارس الى بغداد ، حيث خاطب المجتهد الكبير ، ميرزا محمد حسن

الشيرازي رأس الشيعة في وقته بكتاب شهير ، عدد فيه مساويء الشاه ، واستيلاء الغته على عقله ، وشرح فيه مضره امتياز شركة النباك ، الذي يقضي باستئثار الاجانب بأهم محصول بلاد المعجم ، فكان هذا النداء ، من أعظم أسباب الفتوى التي اقتلها ذلك الامام بطلان هذا الامتياز ، واضطرت الحكومة الفارسية خوف انتفاض العامة الى الفائه . ولكن السيد جمال الدين لم يشف غلبه بهذه الحركة وحدها ، وأخذ يعاكس الشاه وحكومته بكل وسيلة ، وكان كلما تذكر اهانة الشاه له ، وبين جنتيه تلك النفس المظيعة ، التي لو قلنا ان أنفس الملوك في جنبها تعد أنفس سوقة ، لكتنا غير مغالين . حاج به هائج الانتقام ، وتقصد الأخذ بالنار ، لا سيما أنه كان رأي بيته في إيران ، من آثار الاستبداد والظلم والجائع العسف والفسم وذهاب مصالح الأمة العامة في سبيل أهواء أفراد ، وشهوات آحاد ، ما يمكن في ظلمه فكرة العمل لفتح الشاه من مركزه . وصادف بعد ذلك أنه ذهب الى لندن مرة ثانية ، فخر في مجلة سهاها « ضياء الخافقين » مقالات على احوال فارس تقيم وتقدم ، وكان السلطان عبد الحميد قد دعا السيد جمال الدين الى الاستانة وذلك في سنة ١٨٩٢ ، فجاءها وكانت هذه المرة الثانية لدخوله هذه العاصمة . اذ كان قد عرف الاستانة مرة قبلها في زمن السلطان عبد العزيز . هذا ولما كانت سبقت لحرر هذه السطور منه مراسلات بواسطة استاذنا المرحوم الشيخ محمد عبده ، كان أول من سألت عنهم عند سفري الاول الى أوروبا سنة ١٨٩٢ المذكورة ، هو المرحوم السيد جمال الدين فقيل لي انه قصد الاستانة وأظهر لي التخوف على مصيره في الاستانة هنري روشفورد ، الكاتب الفرنسي الشهير ، الذي عرفته وهو منفي بلندن . وكان روشفورد يحب السيد جمال الدين ومحترمه ، وقد وصفه في كتابه « مذكرات حياتي » بقوله هكذا على أسلوبه الخاص به في الكتابة : « السيد جمال الدين الافغاني من سلالة النبي ، والمعدود هو أيضاً انه أشبه بنبي » ثم قال : « اني شمرت نحو هذا الرجل بعاطفة الحب التي أجدها تربطني بكل داع الى ثورة أو مقاومة لسلطة . »

ولما ورد السيد جمال الدين الاستانة انزله السلطان منزلاً كريماً ، في دار ضيافة خصه بها في نشان طاش ، وأجرى عليه الارزاق الوفرة ، وكان يدخل على السلطان ويصلي صلاة الجمعة معه . ومضت مدة وجال الدين حظي عند أمير المؤمنين ، لا خوف عليه ولا هو يحزن ، وكان الجول لم يسفر عنه وبين السيد أبي الهدى الصيادي قسماً ذلك أهل القصص بحقه الى السلطان ، وانما كانت تلك فترة لا يبعأ بها ، اذ ما هم الاستاذ الصيادي ان وجه عليه جلالة عند مولاه ، واندمج بينهم جمال الدين بالكفر والزندقة ، كما هو ديدن هؤلاء في شأن كل من أرادوا تنقصه من الحكماء . وقد اطلعت على تشرة من جانب السيد أبي الهدى تناول ثلاثة من اعدائه وهم السيد فضل العلوي الحضرمي أمير ظفار ، والشيخ خاfer المدني للطرابلسي شيخ الطريقة الشاذلية ، والسيد جمال الدين الافغاني ، وثلاثتهم كانوا من المقربين الى السلطان ، وكان لكل منهم نصيب وافر من الشتم والوقيعة في هذه الفترة . وحصة السيد جمال الدين كانت تهمة الالحاد وفساد الاعتقاد . ومن مجلة الشواهد على ذلك كونه قال مرة : « أنا أطوف بأشجار البندل طواف الحجيج بالسكينة » . والبندل هي السدود بالتركية وذلك أنه يوجد محل نزعة بظاهر الاستانة قد سد السلاطين العظام فيه أودية بحيث تكونت منها بحيرات لسقي العاصمة ،



وقد أحاطت بتلك البرك غابات ملتفة بديمة ، فناية ما يقال أن جمال الدين عبر عن نزاهة ذلك  
 للسكان بمباركة شمربة ، فاستخرج منها أبو الهدى الحاداً وكفراً . وكان جواسيس السلطان  
 يحصون عليه جميع حرثاته وسكناته ، ليقدموا ذلك إلى السلطان . فذا يروى أنه كان هو وعبد  
 الله تديم الكاتب المصري المشهور في منزله « الكاغذ خانه » ، فصادفوا الجانب الحديوي عباس  
 حلي . وسلم بعضهم على بعض ، وتجادلوا نحو ربع ساعة تحت شجرة هناك . فيقال إن السيد  
 أبا الهدى قدم تقريراً للسلطان بأن جمال الدين وعبد الله تديم تواعدا مع الحديوي على الاجتماع  
 في الكاغذ خانه . وهناك عند الاجتماع أياماً تحت الشجرة . لكن السلطان بحسب قول جمال  
 الدين لم يحفل بهذه الوشاية . ولكن هذا الخلاف مع أبي الهدى لم يزعزع مكانة جمال الدين  
 من السلطان ورأى زاده لديه ذاتي ، وإنما أدى إلى وحشة الحيفة منه ، استمراره في مجالسه  
 التي كانت تقاها الناس دائماً على القدح في شاه المعجم مما حل سفير إيران على رفع الشكوى  
 إلى السلطان . فاستدعى السلطان إليه السيد جمال الدين وقال له : « ان سفير المعجم ترجاني  
 أن أتكلم معك في الكف من الوثيقة في الشام وأما بناء على أمني فيك وعنده بأنك تكف  
 عنه » وقد روى في السيد رحمه الله هذه القصة عند ما رجعت من أوروبا إلى الاستانة في  
 أواخر سنة ١٨٩٢ . فقال لي هكذا بالحرف : « قلت للسلطان ما كنت ناوياً أن أترك شاه  
 المعجم حتى أزله في قبره ، ولكن بعد أن أمر أمير المؤمنين بالكف عنه ، فلا بد من طاعته . »  
 بمثل هذا كان المترجم يخاطب الملوك ولا يبالي عن موقع مثل هذا الكلام منهم ، مع أن أشدهم  
 حذراً ووسواساً كان السلطان عبد الحميد ، فلا عجب أن وقع في نفسه شيء منه . ولكن ليت  
 السيد كف بالفعل عن أذى الشام ، إذ لم يلبث أن عاوده الغضب الذي هو العيب الذي عوذ  
 الله به حسناته العديدة ، والذي جر عليه كثيراً من المصائب ، حتى قال الشيخ محمد عبده في  
 وصفه : « وكثيراً ما عدمت الحجة مارفته الفظة » . في أحد الأيام قدم على جمال الدين  
 رجل من المعجم ، بابي الذهب ، اسمه رضا آقا خان ، صادف أنه وجد مع جمال الدين في حبس واحد  
 في قزوين عندما اعتقله الشام ، فحصلت بينهما محبة أكيدة ثم تفارقا عند ما أخرج جمال الدين من  
 الحبس ونفي إلى بغداد ثم اختل سبيل رضا آقا هذا ، ولما بلغه مجيء السيد إلى الاستانة جاء  
 يزوره فيها ، فسره السيد كثيراً . وكان دائماً يجادته ويتكلمان على شقاء الأمة الإيرانية بسوء إدارة  
 سلطانها ناصر الدين . فقال رضا آقا خان يوماً أنه هو حاضر أن يقدي نفسه لتخليص أمته فقال له  
 جمال الدين : « ان كان كذلك فذهب واقبل » فذهب رضا آقا خان ، وبعد أشهر بينما ناصر الدين  
 شاه في جامع صيد العظيم في طهران إذ دنا منه هذا الرجل وقتله غيلة وقال له : « يدي أز  
 جمال الدين ، أي خذها من يد جمال الدين » ووردت الأخبار إلى الاستانة وتحدث بها الناس  
 كما لا يخفى ، فأبدى السيد جمال الدين مزيد سروره بهذا الخبر وشرع يقول : « قد تحقق  
 الآن أن الأمة الفارسية لم تمت وإنما لم تنظم منها إلا مال ، لأن الأمة التي يقوم من  
 إبنائها من يأخذ بثراها ويقتك بالذاني الذي على رأسها ، لا تكون قد فقدت جراثيم الحياة » .  
 وكلاماً من هذا القبيل كان يردده . ثم لما ورد من مجلة « الإلوسترasiun » التصويرية  
 الفرنسية ، وفيها صورة القاتل رضا آقا خان مصلوباً مطلقاً ، والناس ينظرون من حوله هتف :  
 « علو في الحياة وفي المات » . وقال : انظروا كيف علوه طالباً عليهم حتى يكون ذلك رمزاً

الى انهم كلهم كانوا من دونه . وكان الجواسيس ينقلون الى السلطان كل كلمة يقوه بها السيد ،  
فقر بذلك عبد الحميد في كون قتل الشاه كان بسبب جمال الدين ، وانه ما زال وراء الشاه  
حتى « انزله في قبره » كما قال . ومن الغريب ان الشاه بعد ان خلى سراح جمال الدين ،  
وذهب هذا الى اوربا بلغ الشاه ان المترجم كان يسعى في تدبير مكيدة مع بعض الايرانيين ،  
لخلع الشاه أو لقتله ، فندم جداً على افلاته ، ويقال انه هو الذي بعث الى السلطان عبد الحميد  
يرجو منه استقدام جمال الدين اليه ، ووضعه تحت المراقبة اماناً من شر غوائله ، فاستقدمه  
السلطان بكتاب من فلم أبي الهدى . ولما ورد الاستانة أمر بالمبالغة في بره وإكرامه ،  
لينبهه عن عداوة شاه المعجم ، فكان مع ذلك ما كان ، ولا يمنع حذر من قدر . فلما تحقق  
للسلطان كيفية قتل الشاه غضب غضباً شديداً ، وأمر بتشديد المراقبة على المترجم ، ومنع أي  
أحد من الاختلاط به الا بإرادة سلطانية ، فأصبح السيد في قصره محبوساً ، وكانت الحكومة  
الايرانية شرعت في تحقيق حادثة القتل فثبت لديها أفراد جمال الدين لرحا آقاخان بالاشتراك مع  
شخص فارسي آخر اسمه رحا آقاخان أيضاً ، وشخص بنادقي اسمه الشيخ ابراهيم . فطلبت  
الدولة الايرانية من الباب العالي تسليمها هؤلاء الثلاثة ، فالسلطان عبد الحميد أبى تسليم  
جمال الدين ، ولكن الشخصين الآخرين بلغني انه جرى تسليمهما وقتلا في ايران بحجة  
اشتراكهما بالمؤامرة . ثم ان التحقيق بلغ حده على المترجم حتى أرسل الى فيس موريس  
مستشار سفارة انكثرة بالنس منه ايصاله الى باغرة بخرج بهامس الاستانة ، فحضر فيس موريس  
اليه وتمهد له بما طالب ، واذ ذاك بلغ السلطان الخبر ، فأرسل اليه أحد حجاجه يستكشف  
خاطره باسم الاسلام ان لا يرضى بمس كرامة الخليفة الى هذا الحد ، ولا بالنس حاية اجنية .  
فتأثرت في انته حية الاسلام ، وبعد ان كان زعم حقايقه لسفر قال فيس موريس انه عدل عن  
السفر ، ومهما كان فليكن . ولكن المراقبة عليه كانت لم تزل باقية ، وكل من أراد ان يشاهده  
فلا بد له من اذن خاص . وبعد أشهر من هذه الحادثة ظهر في حنكة مرض السلطان واشتد  
عليه ، فصدرت الارادة السنية بأجراء عملية جراحية يتولها قبور زاده اسكندر باشا ، كبير  
جراحي القصر العاطاني ، وكان هذا مقرباً جداً الى الحضرة السلطانية ، فأجرى له العملية  
فلم تنجح ، وما لبث الا ايأماً ثلاث حتى فاضت روحه رحمه الله وعفا عنه . وهنا تقول الناس  
أشكالا وأثواناً في قضية هذا السرطان وهذه العملية الجراحية ، لقرب عهد المرض بحادثة  
قتل الشاه ، وما كان معروفة من وسوس عبد الحميد . فقيل ان العملية الجراحية لم تفعل على  
الوجه اللازم لها عمداً ، وقيل لم تلحق بالتطهيرات الواجبة لها : بحيث انتهت بموت المريض .  
وحدثني صديقي الكونت لاون أوستورودوف ، المستشرق الالماني ، مترجم كتاب الاحكام  
السلطانية للماوردي ، وحديثه هذا كان لي في هذه الايام الاخيرة في لوزان ( شهر يناير  
سنة ١٩٢٣ ) . ان المترجم كان صديقه فنداه اليه بعد اجراء العملية الجراحية وقال له : ان  
السلطان أبى أن يتولى المعاية الا جراحه الخاص ، وانه هو رأى حاله ازدادت شدة بعد  
العملية ، فخرج منه أن يرسل اليه جراحا فرنسوا ، مستقل الفكر ، طاهر الذمة ، لينظر في  
عقب العملية . فأرسل اليه الدكتور لاردي ، وهو رجل لا يزال حيا وافاقته بجفيف من  
سويسرة ، فوجد ان العملية لم تنجح على وجهها ، ولم تقبها التطهيرات اللازمة ، وان المريض



فقد أشفى بسبب ذلك ، وعاد الى استرودونغ ، وأنبأ بهذا الامر المحزن ، وما مضت أيام حتى طارق جمال الدين الحياة . وقال لي واحد ممن كانوا في خدمة عبد الحميد وقد رويت له هذه القصة : ان قبور زاده اسكندر باشا كان أظهر وأشرف من ان يرتكب مثل تلك الذنعة ، ولكن كان رجل عراقي اسمه جارج طبيب اسنان يتردد كثيراً على جمال الدين ويعاين له اسنانه ، وكانت نظارة الضابطه قد استألت جارج هذا بالدراهم وجملة جاسوساً على المترجم ، فصار له عدواً في تراب سديق . قال لي صاحب هذه الرواية : فاردت مرة أن أمتنع جارجاً من الاختلاط بجمال الدين فاشار اليّ ناظر الضابطه اشارة خفية بأن أتركه ، وفهمت من الاشارة انه يذهب الى هناك ويطلب اسنان السيد يعلم من النظارة ، والسيد لا يعلم بشيء من ذلك ، ويستخلص جارجاً وشق به . قال فلا أعلم ماذا فعل جارج بواسطة طبع وثقة جمال الدين به ، قصارى ما أعلم انه لم تخض عدة أشهر على حادثة الشام ، حتى ظهر السرطان في فك السيد من الداخل ، وأجريت له عملية جراحية فلم تنجح ، وجارج هذا ملازم للمريض . وبعد موته كنا نراه دائماً حزينا ، كثيراً ، كاسف البال ، واجم الوجه ، خزيان ، مما جعلنا نشبهه ان يكون ذا يد في افساد المرح بعد العملية ، أو في توليد المرض نفسه من قبل بواسطة الوسائل ، فلما مات السيد أخذ بعذبه وجداته على حياته هذا الرجل العظيم ، الذي كان وثق به . قال ولا أجزم بكونه هكذا فعل ، ولكنني أجزم بأنه كان جاسوساً على السيد والله من وراء العلم . وكانت وفاته رحمه الله في ٩ آذار سنة ١٨٩٧ وصلي عليه في جامع التشويقية في نشان طاش ، ودفن في مقبرة على مقربة منه . ولي في جريدة الاهرام يومئذ مقالة بين يدي قديم ليست في يدي الآن لمراجعة تاريخها . وكنت لما عدت من اوربا الى الاسنانة سنة ١٨٩٢ ذهبت اليه في نهار وصولي ، فاستقبلني برأ وترحباً وثرمته تلك المدة الى ان اضطررت الى السفر الى وطني سورية ، ففارقتة أسفا وأنا امني نفسي بالعودة الى الاسنانة ، لشاهدته والاستفادة منه . وسألتني مرة عما شاهدته في اوربا وأي نتيجة استخلصتها من حال اولئك القوم ، لانه كان فيلسوفاً تاماً لا يرى الجراثيم الا من خلال الكليات ، فلما أردت ان أبدي له ما بمن لي في هذا الباب ، وكنت يومئذ في أول شباني لم أجوز الثانية والعشرين من العمر ، غلبتني مهابة حكمته وخشيت ان لا أصيب الحز ، فتحوطت لكلامي بخيء من انكار النفس واستكبار ان يكون مثلي ممن يجوز ان يشككم بحضرة مثله ، فقرأتني الانهض وامسك بيدي وهتف قائلاً : « أنا امني أرض الاسلام التي أنتتلك » . فسمع الناس هذه الجلة وما زالوا يذافقونها ، وما اخاله قصد بها الا الجذب بضمي الى الامام ، وجير ما تقم من قوتي المعنوية . وحكيث له مرة ان احدى جرائد اميركا بحثت في موضوع اكتشاف تلك القارة ، فقالت يردى ان العرب غاضوا الاوقيانوس الاطلانتيكي ناشدين البحر الذي وراءه ، وسألت هل عند مؤلفي العرب شيء من هذا الخبر ، فدرت ذلك جريدة الفشرة الاسبوعية في بيروت ، ووافقت السؤال نفسه على علماء العرب وكنت في باريس ، فلما اطلمت على الغضبة ابثت ذلك النداء وراجعت في المكتبة القوطية كتب الشريف الادريسي الجغرافي العربي الشهير ، وقلت من كتابه نزوة المشتاق الى اختراق الآفاق ، خبر الاخوة المغرورين ، الذين ركبوا سفينة من اشبونة وجعلوا فيها كل ما يثرهم من الزاد والماء ، وغاضوا بها بحر القلزمات

الى الغرب حتى وصلوا بعد مسيرة شهر الى جزيرة خالية لم يجدوا بها الا الوحوش ، فركبوا البحر متجهين الى الجنوب ، وبعد نحو شهر أيضا زلوا بجزيرة فيها اناس ومك يحكم عليهم ، فقفلوا من عنده متجهين شرقا ، حتى نفذوا بعد مدة الى مرسى اسفي بالغرب الاقصى . فلما اكلت له الرواية وانني حررتها جوايا على النشرة الاسبوعية ، وقد اثنوا عليها جميع الجرائد العربية ، التفت الي قائلا : « لا اريد ان اسمي المسلمين بكلمة . هؤلاء قوم كلنا قال لهم الانسان : كونوا بنى آدم . اجابوه : ان ابنا قد كانوا كذا وكذا . وعاشوا في خيال ما فعل آباؤهم غير مفكرين بأن ما كان عليه آباؤهم من الرضة ، لا ينفي ما هم عليه اليوم من الخمول والضعف . قال : ان الانسان اذا بنى قصرا مستوفيا جميع شروط البهاء والنية ، ولم يفته فيه شيء من الراحة والفراحة ، فهو يفكر حينئذ بأن يأتي الى قصره بالرياض القلبي النادر من القطر القلبي ، ويكمل زينة قصره بالانية القلابة التي لا يسكنها الا الفيلون ، وان يجعل في حديقة القصر هذه الزهرة العتيقة وتلك الريحانة المنيعة . فلما وهو قصر متداع الى السقوط ، والجسم نازل الى الارض ، والسقوف قد هوت من كل جانب ، وهو لا يقدر على ترميمها ، فهل يحظر بياله ان يأتي لاكمال زينة قصره بهذه الانية ، وتلك الزهرة ، وهاتيك الديباجة ، كلا ، لمصري ان من أعوزته الضروريات ، لا حاجة به الى الكماليات . قال لي : « وأنا لا أقول لك لذا حققت عن قضية جد العرب لاكتشاف اميركا ، ولكنني أقول لك ان الشرقيين قد أصبحوا بهذه المثابة ، وهي كلما أرادوا الاعتذار عما هم فيه من الخمول الحاضر ، قالوا : أفلا نرون كيف كان آباؤنا ؟ نعم قد كان آباؤكم رجالا ، ولكنكم انتم اولاء كما انتم . فلا يلحق بكم أن تنفذكروا مآثر آباؤكم الا ان تنفلقوا قلوبهم . » ولأنه ينظر بهذا الى قول الثالث :

بني كما كانت آوالئنا تبنى وتفعل مثلما فعلوا

وكان من شدة ما يجد من الالم لحال الاسلام ، فخطر له خواطر نادرة في هذا الموضوع ، فقال لي احدي المرار : « قد قسدت اخلاق المسلمين الى حد ان لا أمل بأن يصلحوا ، الا بأن ينشأوا خلقا جديدا ، وحيلا مستأنفا ، نجدا لولم يبق منهم ، الا كل من هو دون الثانية عشرة من العمر ، فعند ذلك يتلقون تربية جديدة تسميهم في طريق السلامة . » وقال لي توبة أخرى : « لم يبق في الاسلام اخلاق ، فهذا محمود سامي ( البارودي الشاعر الكبير ، رئيس النظائر أثناء حرب عراني ) هاهنا في تم نكثت معي ، وهو أفضل من عرفت من المسلمين . » وقال لي أيضا : « ان المسلمين قد سقطت همهم ، ونامت عزائمهم ، وماتت خواطرهم ، وقام شيء واحد فيهم وهو شهواتهم . » وكان يندد هذا التنديد كله لما كان فيه من الوجد لاسترداد الاسلام مجده القديم ، ولما كان يراه من غفلة المسلمين عن اللاحق بأسباب الرقي ومن السبائك العميق الذي أمتنوا فيه ، على حين صاح صائح الجذب بآثار الامم هيا على الفلاح . ومن قرأ بمجوعة العروة الوثقى التي كانت ترجمان أفكاره ، بقلم تلميذه الشيخ محمد عبده رأى انه انما منذ أربعين سنة بما سيؤول اليه حال الاسلام ، وما ستكون معه سياسة الدول المستمرة ، مما تحقق كله فيما بعد ، حتى كأنه كان ينظر الى الحوادث المستقبلية في مرآة . وكان في أطوار حياته ، فباسوفا قايلا ، عالما عاملا ، فلا يقول ما لا يفعل ولا يكتفي من الحكمة بالنظر



دون العمل ، كما هو شاق كثير من العلماء الحفاظين الذين قلوبهم في راد وألفتهم في راد .  
فكان يقطم نفسه عن الشهوات ، ولا يرى من اللذات الا اللذة الدنياه المائيه . وقد حاول  
السلطان عبد الحميد ان يلقى قلبه بالمبال والبين ، ويشغله بزيه الدنيا وراوده على الزواج ،  
فأبى وأعرض ، وقال له : قضيت حياتي مثل الطير على الفصن ، فلا أريد في آخر أيامي أن  
أتملق بمائله . وكنت سامراً مرة عنده وعن هذا الموضوع ، فقال له أحد المستقيين :  
يا مولاي لماذا لا تتأهلون ويكون لكم الذرية الصالحة ؟ فلم يجبه قوله ، ولما انصرف الرجل  
أقبل على السيد وقال « لم تدخل روح الفلسفة في هذه الامة » . وليس مراده بذلك  
الترهيد في الزواج ، وإنما تقرير حقيقة وهي أن الفلسفة لا تأتي بالفصل والذرية ، وان  
الفلسفة قلوبهم في شغل شاغل عن ذلك . وكان ينظر الى المال نظره الى التراب فلا يدخره ،  
ولا يعرف معنى تشييده ، ولا يتناول منه الا ما هو ضروري للحياه . ولما كان في الاستانة ،  
كان عنده قهرمان هو الذي يده الحساب والقبض والصرف ، أما هو فلا يدري من ذلك شيئاً .  
وحاول السلطان ان يعطيه رتبة علييه كرتبة قاضي عسكر مثلاً ، فأبى ان يقبل الرتبة ، وأن  
يلبس كسوتها الزركشة بالنصب . وكذلك رفض قبول الوسام مهما كان طامياً ، فسأته من ذلك  
فقال : أكون كالغزل يحمل على صدره الجلائل ؟ وبالجملة فلم يكن يؤخذ لا رقيه ولا رهبه ،  
أما الرهبه فقد كان واعياً من الدنيا بمخاطيرها عيوقاً عن زينتها مرضاً عن زخرفها ، كما مر بك  
وأما الرهبه فلم يكن يعرف الخوف الى قلبه سيلاً ، وفيها سردنا لك من قصصه ما فيه منقح .  
وعرض حديث اجريت فيه ذكر الشيخ محمد عبده فقلت : انه من الافراد بمصر ، فاجابني :  
« لا يوجد مثله بمصر » . وكان هذا قبل ان صار الاستاذ في منصب افتاء الديار المصرية ،  
ونال تلك الشهرة العظمى .

نحرينا في ترجمة حال هذا الحكيم الكبير ، هذه الدقائق ، لانه مما لامشاحة فيه ، أنه هو  
الموقف الاعظم للشرق ، وأن طريقته - تزداد انتشاراً ، ومبادئه منطبق في يوم من الايام  
الشرق بأجمه ، فيسأل الخلف عن احوال حياته ، ويستقصون عن خواطره ، ويجدون في  
جمع آثاره ، كما نرى الاوربيين اليوم يحرسون جد الحرم ، على اكتشاف أقل شيء يعزى  
الى عظيم من عظمائهم ، سواهم من خبر أو أثر . ومن غريب ضرائب البشر أنهم لا يحرسون  
على آثار عظمائهم في حياتهم ، معارض ما يحرسون عليها بعد مماتهم ، وكانت أسأل مرة مارسل  
كلشين ، وجان لوتيه : وجامعة من رؤساء الاشتراكيين الفرنسيين ، من جويس نابنة  
السوي - ليست في هذا العصر ، فمدد أن حدثوني عنه - اذ قالوا لي : « لم تكن نعدده قدره  
في حياته كما نعدده قدره اليوم . » وأظن الحال كذلك مع ذلك ومع فيكتور هوغو ، ومع  
سينير ، ومع بشارك وجميع الاعاظم . فان أقدارهم تزداد بالوقت ، والولع بآثارهم يتضاعف  
مع تقدم العهد . وهكذا شأننا مع جمال الدين ومحمد عبده ، وغيرهما من كبار المصلحين ، كلما  
تقدم عليهم العهد ، حرص الناس من آثارهم على النقطة النادرة ، والكلمة النادرة ،  
ليكتبوها عنهم بماء الذهب . ولجمال الدين تاريخ الافغان ، ومنازل متفرقة كان هندي منها  
مجموعة ، سطا عليها لمن علم ، وآخر ما نشر له ، رسالة الدهريين التي سبق ذكرها . وبالجملة  
فلم يكن يحفل بوفرة التصانيف ، وإنما كان مؤلف أهم ومصنف ممالك . (ش)

ومن ترجم السيد جمال الدين ، العلامة غولك سيهر المستشرق الشجري المشهور ، شيخ المستشرقين في العلوم الشرعية ، وصاحب التصانيف العديدة ، فقد رأينا له في دائرة المعارف الاسلامية ، المخررة باللغة الفرنسية ترجمة خاصة بالرحوم السيد جمال الدين ، جاء فيها ما نصه :

« السيد محمد بن صقر ، من أعظم رجال الاسلام في القرن التاسع عشر ، كان بحسب رأي برتون فيلسوفاً ، كاتباً ، خطيباً ، صحفياً . وقبل كل شيء ، كان رجلاً سياسياً يرى فيه مريدوه وطنياً كبيراً ، وأعداؤه مبيحاً خطيراً . وقد كان له تأثير عظيم في حركات الحرية ، والمنازع الثورية ، التي جرت في المشرق الأخيرة من هذه السنين ، في الحكومات الاسلامية وكانت حركته ترمي الى تحرير هذه الممالك من السيطرة الاوربية ، وانقاذها من الاستغلال الاجني ، والى ترقية شؤونها الداخلية بتأسيس ادارات حرة . وكذلك كان يفكر في جمع هذه الحكومات بأجمعها ومن جعلها ايران الشيعية ، حول الخلافة الاسلامية ، لتتمكن بذلك الاتحاد من منع التدخل الاوربي في أمورها . لجمال الدين بطله ولسانه ، كان أصدق ممثل لفكرة الجامعة الاسلامية . وأمرته الشريفة تنتمي الى الحسين بن علي بن أبي طالب بواسطة الحدث الشهير الترمذي ، فهو من أجل ذلك يلقب بالسيد . »

ثم يقول انه بعد اكمال تحصيله بكاليل ، ذهب الى الهند ، ثم حج البيت سنة ١٢٧٣ هـ أو ١٨٥٧ وبعد اوبته من الحج ، دخل في خدمة دوست محمد خان أمير الافغان ، ورافقه في حصار هراة ، ولما توفي دوست محمد خان ، دخل في خدمة محمد أعظم الذي استوزره الى أن كان سقوطه واستيلاء شير علي خان على المملكة . فرحل السيد جمال الدين الى الهند ( ١٨٦٩ ) ومنها قدم القاهرة حيث أقام اربعين يوماً ، ومنها قصد الاستانة ، فأقبل عليه وزراءها وعلمائها ، وأجلوا قدره ، وعرفوا فضله ، وعينته الدولة عضواً بمجلس المعارف ، وصار يلقي بعض الدروس في اياصوفيا والاساطان احمد ، ودعي مرة الى الفاء خطبة في دار الفنون على فوائد الصناعة ، فذكر النبوة من جهة الوظائف الاجتماعية ( حقيقة هذه القصة أن السيد يومئذ شبه الاجتماع الانساني بجسم أعضاؤه الصناعات المختلفة ، فشبه الصناعة القلانية باليد ، والقلانية بالرجل ، وهذه العين ، وتلك بالاذن ، ثم قال وأما الرأس المدير لهذا الجسم ، فهو اما النبوة أو الحكومة ، والفرق بينهما أن النبوة وحي الهى منصوب من الخطأ ، وأن الحكومة وضع بشرى قد يخطئ . وقد بصيب . وكان حسن فهمي افندي شيخ الاسلام يومئذ ، قدأ على الافغانى قراراً سابقاً في مجلس المعارف ينال من رزقه ، فاستهز فرصة هذا الخطاب ليقول ، أن الافغانى جعل النبوة من جهة الصناعات ( فأدى ذلك الى أن حسن افندي فهمي شيخ الاسلام وماء بالزندقة ، واضطر الى مفادرة الاستانة قاصداً مصر . فأجبرت الحكومة المصرية عليه معاشاً شهرياً ١٢ ألف غرض بدون أن تمكنه الفاء درس خاص ، وانما كان يقرأ على حلقة من الطلاب في منزله ، واجتمع حوله كثير من العاش الى مناهل العلوم البالية الخ .

وذكر غولك سيهر سائر ما يعرف من أحواله مما حرره الشيخ محمد عبده ، في صدر رسالة الرد على الدهريين ، وما هو بمعنى ترجمتنا له في هذا المامش ، الا أنه يقول انه لما بقي من مصر الى الهند جعلوا العلمته بجيدر آياد الدكان ، وهناك كتب رده على الدهريين وانتم ، قد زعم



وبتفريد سكان بلونت وهو مما لم يذكره غيره من مترجيه ، أن جمال الدين ذهب من الهند إلى أميركا ، وأنه منها جاء إلى لندن سنة ١٨٨٣ .

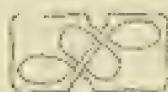
وذكر غولدسيور مناقشة جمال الدين مع رنان ، في أمر قابلية الاسلام للعلم ، فقال ما يأتي بالحرف :

« وقد فتحت له أشهر الجرائد وأعظمها نفوذا أبواب المراسلة ، فتشر فيها مقالات ممتعة ، عظيمة القيمة على السياسة الشرقية ، التي كانت تقارنها انكثرة والروسية ، وعلى أحوال تركيا ومصر ، وعلى معنى حركة المهدي السوداني ، وفي ذلك الوقت جرت بينه وبين أرنست رنان ، المناظرة التي أساسها محاضرة ألفاهارنان في السودان على الاسلام والعلم . فجمال الدين أراد تنفيذ مزاعم رنان بعدم قابلية الاسلام لتوليد العلم ، وذلك في مقالة بجريدة « الدنيا » ترجمت أيضا إلى الألمانية . ثم بعد ذلك بقليل ، نشرت محاضرة رنان ، مصحوبة برد من قلم حسن اخندي حاصم الخ . »

ثم ذكر غولدسيور العروة الوثقى ، وكيف شهدت الحكومة الانكليزية بينهما من أول عدد صدر منها من الدخول إلى مصر والهند . وقال أنه سنة ١٨٨٥ ، بالرغم مما اشتهر به المترجم من مداواة انكثرة ، داخله الانكليز بأشارة المستر بلونت في أمر إيجاد حل لمسألة المهدي السوداني ، ولكن لم يفتقر شيء من ذلك بالعمل . ثم زعم أن الشاه ناصر الدين دخل بالبرق سنة ١٨٨٦ إلى حاضرة ملكه طهران ، وأكرم متواها وبالغ في الاحتفاء به ، ولكن خشية الرقباء حملت جمال الدين على الاستئذان من الشاه والذهاب إلى الروسية ، حيث أقام مدة وصارت له علاقات كثيرة . وأن لقاءه للشاه في منبج كان في المرة الثانية ودعاه هذا إلى الرجوع إلى طهران . وذلك سنة مجي ، الشاه إلى معرض باريس ( ١٨٨٩ ) وذكر غولدسيور أن سبب الفتنة بين جمال الدين والشاه كان المصدر الأعظم ميوزا هي أصغر خان الملقب بأمين السلطان ، نفاسة على جمال الدين بالسكينة التي أحرزها في إيران ، وأن جمال الدين التجأ إلى مقام عبد العظيم الذي هو أشبه بحرم من دخله فهو آمن ، وأقام به سبعة أشهر والناس تتردد عليه ، إلى أن أرسل للشاه كتيبة ٥٠٠ فارس ، لاختراق حرمة الحرم وأخذوا السيد منه عنوة ، وساقوه مكبلا بالحديد إلى خافين ( على حدود العراق ) .

ثم استوفى بقية خبره ، وكيفبة معاكساته لحكومة الشاه ، ثم مجيئه إلى الاستانة ، وموته فيها على الوجه الذي حورناه .

(ش)



# الاسلام والجنود السوداء

لروجر لايون والتعليق عليها

(راجع الاشارة رقم ١ ص ١٣٧ في هذا الجزء واشارة رقم ١ ص ٢٦٦ من الجزء الثاني)

انه مما يجدر بأن يطلع عليه الشرقيون عامة والمسلمون خاصة ، ما يصدر في أوروبا في الاحايين من الكتابات المتعلقة بهم ، والتصانيف الباحثة عن مصيرهم ، والمقالات المصورة لأحوالهم وشؤونهم بلون مخيلات الكتاب الذين حرروها ، الناطقة من هوى الاحزاب التي ينتمي هؤلاء الكتاب اليها ، بحيث يعرف منها الشرقي أو المسلم أو المستضعف المفلوب على أمره أكثر من كان ، ماذا يطبخ له في الخفاء ، وماذا يدس بحقه تحت الستار ، وماذا يدبر عليه بدون علمه مما لا يطلع عليه الا في الندري ، وما هو رام الى ادامة استغلاله ، والاحتياط من وراء اساره ، وتأمين رسفاته الابدي في سلاسل البودية . فمن هذا القبيل ومما توردته مثلاً ، مقالة مشبعة ظهرت مؤخراً في مجلة من أشهر المجلات الفرنسية هي مجلة باريس Revue de Paris في عدد أول أبريل سنة ١٩٢٣ ، الكتاب فرنساوي اسمه روجر لايون Roger Labonne عنوانها « الاسلام والجنود السوداء » كتف فيها النقاب عن جميع ما يتوي بعضهم في حق المسلمين ، الذين تحت نير الافرنجة عامة ونير الفرنسي خاصة ، ونوعى صدم حصر ذلك في الميدان السياسي والاداري ، بل تجاوزته الى الميدان الديني والاجتماعي ، مما لا يجوز التهاون به ولا الاغضاء عنه ولو لأجل المسلم به على الأقل . وقد جرت عادة المضامين والمناحيين ومخدري الاعصاب من الاوربيين ، عند ما يتحدثون انذار بشأن مقالة كهذه أو مصنف من بابها ، أن يكون جوابهم أبدأ بأن هذه هي آراء أفراد ، لا يؤبه لها ولا يثقت بها ، وليست الحكومات المستمرة لتبني لها وزناً ، وتكلمت كلها من هذا النمط . فليحذر الشرقيون وجميع المسلمين من قبول هذه الاقاويل ، والاسترسال الى هذه التوجيهات ، لئلا يتبدوا عاقبة سذاجتهم وحسن ظنهم . ان المادي والآراء التي في المقالة الآتي تمريضها وفي مثلات بل في ألوف من أمثالها الصادرة تباعاً في العالم الاوربي هي عقيدة حزب كبير جداً في أوروبا ، بل يمكننا أن نقول هي عقيدة السواد الاعظم من أهالي الممالك الاستعمارية ، لا يخرج من هذه العقيدة سوى الاحزاب الاشتراكية ، والشيوعية ، وغلاة الراديكال ، ومن نداعة من المال من جمهور الاحزاب الاخرى المتوسطة والمتيامنة ومن يليها ، وذلك ككلم كبير طاهر الوجدان ، أو فيلسوف عامل واسع الفكر صادق الانسانية ، أو سياسي محك راجع العقل يطلب ادراكه هواء ، ويلم ما في هذه الافكار من التهور وما يترتب عليها من الاخطار ، وما يكون لاجرائها بالفعل من سوء العاقبة . وماعدا من ذكرناهم ، فغالب من القوم هو على هذه العقيدة فلا ينبغي أن نخادع أنفسنا ، وأن نتغابي عن الحقيقة لئلا بالتغابي كن يكتم صرحه ، فانه اذا كان فيجاء بالمرء أن ينش غيره ، فأفصح منه أن ينش نفسه . فمن الأمور



التي لا يجوز أن نفش أنفسنا بها ، الذهاب الى كون هذه المبادئ للضارة بالشرق والعالم الاسلامي هي مبادئ للثقة القليلة ، وان تلك الحكومات غير ماضية بموجبها ، والحقيقة ان ليس هناك الا الفرق بين عدو حائل بدمه عقله ، وثراً به رويته ، من المجاهرة بمكنون فكره ، وانفاق خواطر الأمم المستضعفة بصراحة بفته ، وعدو مشهور غلبت عليه حرارة صدره وشدة طامعه ، حتى باح بكل ما يئويه لتأييد عبودية تلك الأمم المقهورة ، لاسبيا المسلمين ، الذين يرونهم أشد خطراً من الجميع بما ينشأ القرآن في روعهم ، من روح العزة ونهوب الموت ابتلاء الحياة الكريمة . وهذا القسم الثاني هو نظير روبر لا يون هذا الذي تأييك بمقاله معرباً بالحرف .

قل :

١

### لمحة على حالة الاسلام الحاضرة

« نجد الناس في فرنسا ينظرون بدون قلق الى التلاقل والى حركات العصيان البادية في العالم الاسلامي ، بل ربما ينظرون اليها مع شيء من الشفقة أو السخرية ببعض عبراتها ، الذين لا يوصفون بخلوص النية ، ولا بكرهون أن تشدد وتمتد عندهم هذه الحركات ، ويستفدون أن مجرد النزول الى الشعوب الاسلامية ، واداء المحافظة على حقوقهم ، مما مما يزعج هذا نحن هذا الخطر الذي يتمدد غيرنا . ثم انهم لا يريدون أن يسموا كلام المشائخين ، الذين تهجس في صدورهم علاقات الانحلال مع التونسيين والجزائريين والمراكشيين ، والدسائس الجارية على الحدود الشرقية من سلطنة الافريقية . بل يقابلون مخاوفهم هذه بتصریحات الانزاع ، الداعية الى الركون والظأئية . ويمتددون على الفشل الذي لقيه اعلان تركيا الجهاد في الحرب العامة بمحاولة المانية . ثم يسلمهم الفرح ، الذي يديه لنا المسلمون من جراء غنظتنا الحاضرة ، ويتخذون بكل سهولة بظاهر التعرفي ، الذي من شأنه كتمان سريرته تحت ستار الادب النض ، والسياسة الزائفة . وينسبون ان الاسلام المبني على قاعدة الخضوع لقوة الغلبة ، تصالحه الصراحة وسياسة الخرم ، اكثر من سياسة التردد والمراساة عن حقوقه . نعم ان السكون الذي نرى رواجه الآن ممتداً على ممالكنا الاسلامية ، قد يصوب الخطأ المثبتة عندنا . لانه على ضد ما هي الحالة في الريف الاسبانيوني ، وبرقة الايطالية ، ومعمر الانكليزية . ولكن النار توشك ان تصل اليها ان كنا لا نريد ان نلقت جهة الشرق الذي منه انبعثت الحرب ، والذي حوادثه الحاضرة ليست الامتدادات لما هو أهم وأطعم .

سنة ١٨٩٧ أثبت كويبولاني وديبونت Cappolani et Dequent في كتابهما على الطرق الدينية الاسلامية ما كان من التأخير لاتتصار الترك في ثديا ، فقلا ان الأمم الاسلامية كلها ماوت طرباً لبشائر النصر الذي أحرزته اجزاء ملتهم . ولكن هذا الغلبان لم يكن يومئذ ذابال . لان أوروبا كانت يومئذ قوية ثابتة متحدة ، وكان المارد الروسي مقبلاً بكلكه التفتيل على جميع العالم الشرقي والاسلامي ، فلم يكن ليحراً أحد من المسلمين على أقل حركة بالرغم من دساتير عبد الحميد ، ومن مظاهرات غيلوم الثاني الولائية للإسلام في الارض المقدسة . أما الآن فقد تغير كل هذا ، فان أوروبا قد ضعفت ، وجرأة المفلطين قد تضاعفت ، والحركة

القومية تحمل عملها في الشعوب ، وموسكو بدلا من ان تكون هي ذات اليد المضاعطة على المسلمين اذا هي التي تعضد هذه الحركة وتظاهر أصحابها على التمس من الغير الاجنبي . ان الاهتمام الذي يراقب به العالم الاسلامي حركات التأثير من مسلمي آسية ، لاجل التخلص من ربة الغرب ، هو ارهاص لا يجوز الاستغفاف به . فان فوز شعب اسلامي على حكومة اوربية لا يخلو أبدأ من رد فعل يمتد الى أقصى البلدان عن مروح الحركة ، فلو رأيت جرائد الاسنانة أيام انكسار الاسبانول في الربف كيف كانت تهال وتكبر ، وتنتشر في صفحاتها الاولى بشائر نصر المراكشيين المسلمين ، وخرائط ميادين الحرب ، اغضيت العجب ، وانك لترى أقل اضطراب يقع في رفة أو تونس أو سورية أو الهند مبالغا فيه أشد المبالغة في الصحف التركية .

مع ذلك سياسة محاسنة الاسلام لا تزال ماضية ، على ما فيها من تضليل الافهام . وفيه التصالح المبني على التجارب ، ولا يبرح بعضهم معتقدين ان لا خطر من هذه السياسة ، وان كان ثمة من خطر فيكون على حيرانا فقط . ولقد اشتدت مجاري الحب والبغض بعد الحرب الى حد ان أصبح الانسان يرى الصواب في عدم اقتحام غمرتها . وبدلا من ان يبين الخطأ للنظيم الذي دل عليه الاختبار الطويل ، يجده يجتزئ بالتمديد الخفيف ، منتظرا ان تأتي الحوادث بما يبرر حرارة تلك الاهواء .

وانا في هذه الدقائق التي يوشك ان يصل اليها اذاها ، نحس بتأثير برلين ، فمناك النادي الشرقي المؤسس سنة ١٩٢٠ ، تحت حماية مجلس برلين البرادي والجنرال لودندورف ، يصدر جريدة لواء الاسلام بالعربي والتركي والفارسي ، التي لل غاية منها بث الدعوة ، وتفسير حوادث اوربا وآسية بالشكل المناسب . ويضاف الى هذه العوامل الناشئة عن حالة الحرب ، عوامل أخرى للهيجان ، هي غير واردة ثراً ، بل هي من فطرة الاسلام نفسه . فقد تكرر مرارا ان ديانة النبي تحتم على أتباعها الاستسلام للقوة ، وانما تجعل القوة خاصة الهية تحجب طاعتها ولو كان صاحبها كافرا ، فالقوة من الله ومن ذا الذي يقدّر ان يتأهض قوة الله .

وان هذا الشرب الخائف للديدن الاوربيين ، الذين يتدفقون بعامل العاطفة ، هو السبب الوحيد فيما يجده من اعتقاد أشد الأمم الاسلامية للفاتح الاجنبي . واكثر ما يحدث من الاغلاط في سياسة هذه الامم ناتج من الجهل بهذه الحقيقة ، ( أي كون الاسلام عبدا للقوة ) ، فالاسلام لا يخضع بقطره الا لسلطة القاهرة . والساطة واللام عند توأمان . وعند ما كانت اوربا متحدة وكان هناك ما يسعون به المجتمع الدولي ، كانت مكانة اوربا فوق أن تنازع ، وكانت الشعوب الاسلامية واحدا بعد واحد تلقى السلاح ، ولم يكن ثمة منها الا بعض حركات عارضة ، ولورات منحصرة ، فسكانت قوة التأثيرين ، من مهدي وزعيم لا تنبسط ولا على جميع القبائل المجاورة . ولما جاءت الحرب الكبرى ، كنت ترى بنجالي لاهور ، وهنود البنغاله ، وكاتبور ، ومصري وادي النيل ، والامراب ، والبرابر ، والمراكشيين ، والامباريه ( جيل من أوائل بلاد السودان ينزلون بين صحراء افريقية من الشمال وأطالي السفينة من الجنوب ) يتجندون تحت رايات دول الحلفاء ، وان مليون ونصف مليون مقاتل من المسلمين ، قاتلوا بمزيد البسالة عساكر خليفة استانبول وقصر برلين . وهذا النفوذ التركي الذي يعدونه



الآن عنصرا ضروريا للنظام والسكون في العالم الاسلامي \* لم يجد له أدنى دور يذكر في الحرب العامة \* ولا استجلب لثلاثين أدنى حليف من المسلمين \* ولا أحدث أدنى مشافة للحلفاء . بل تبارى المشايخ في مراكش والمغرب ، على نشر الفتاوى المضادة لابناء ملتهم من الاثراك . فلما أمضيت مشاركة مودروس ، ووقف جيش العلماء الظافر عند الداتوب ، وجيش الانكباذ عند الفرات . كانت ديار آل عثمان تتوج بالعساكر الاسلامية المقاتلة تحت الوية المظلمة ، وفؤوى شيخ الاسلام ودعوة الجون ترك لم يسمعها أحد . وكان الشرق كما يتوقع احكام أوروبا التي ابطأ صدورها ، وكان موطأ نفسه على الطاعة \* لكن لم يطل الامر حتى اندرقت الجيوش ، وظهر الضعف والتردد في مراتم المظالم . فبادت الحركة الى الشرق وطاشت آمال أهله ، وعرفت ذلك إحدى جرائد انقرة بقولها : « ان أوروبا حل بها الوهن بسبب النزاع » ويد الله أخذت على أيدي الصليبيين الغالبين \* بينما كانوا على وشك الغرق المؤتمن بسببهم \* فمسط الاسلام ، وترعت تركيا ومصر والعراق وأفغانستان والهند الى الثورة \* وعجل في ذلك التحالف مع اليوشيك \* وشمرت الدول الغربية على أثر الحساتر التي أولفنها الحرب بخور القوى ، وبالغاية الى مداخلتها الثارين في أمر الصلح ، وبنج الجميع الى الهوادة . فانتكزة مالت الى الرقق بافغانستان وپارس والعراق . وفرتا أبدت التساهل في كيريكيا . وابطالية ساكت مستك التؤدة في طرابلس الغرب والبانة . فسكنت الأمور وهدأت الاحوال ، ولكن سقط جاد أوروبا في نظر الاسلام ، وتشجع الثائرون . ورأيت هذه الثورات باجمعها مطبوعة على حرار واحد \* فانه يوجد على رأسها دائما بعض مفكرين \* يتحون برمهم المناحي الغربية ، آخذين بعض معلومات قرأوها ، واساءت مضاعف عقولهم مع قلة الخير وشدة الكبر \* ثم من تحتم أمة جاهلة ليست على سوية واحدة ، ذات اخلاق حسنة \* لكنها لا تحسن شيئا غير اظهار احتياجها الى النظام والسلام . على ان لها من بشر نادر مصيبتها ، من المشايخ والمرايطين المستولين على العقول والافئدة .

وفي مصر ازداد عدد المتدينين من اهلها ومحامي ومهندسين وصحفيين \* ممن يريد تحوير بلادهم ، وينظر ان يحل محل الانكباذ الوطنيين \* فتخرج بذلك مركز انتكزة \* ومما لا شك فيه \* ان مبادئ الوطنيين جديدة بالاحترام ، لكننا نراهم لا يريدون ان يعترفوا بفضل الاختلال الانكليزي ، ونجدهم متمسكين بكلمات فارغة غريبة متوقفين عن انتقاد الاحوال الضرورية التي هي بذات التجربة \* ولا متجنبين لخطار التعصب وعداوة الاجانب ، بل يجتهدون في تلقين مبادئهم هذه ذلك الفلاح الذي يرى يبيع قطعه ، ودائمين في اثارته ، على ادارة ذاق بها طعم الراحة والسعادة .

هذا هو تاريخ الحركة المصرية \* وهذا ما يمكن ان يكون غدا سبيل حركة الاستقلال ، في بلدان شهما أكثر من مصر . فان المسئلة الوطنية القومية قد بدأت تنمو وتتقوى عند جميع شعوب الشرق \* لاسيما العرب . ومن المبعث ان نتجاهل ذلك \* ونحن الآن بعد مضي مائة سنة على فتحنا افرقية \* أخذنا ندرك الخطأ الذي ركبناه ، في طريقة مضمت لنا الفتح الحربي والغزو السياسي \* لكنها اعمات الفتح المعنوي الذي كنا نراه من القسم المستعيل . ومن اجمال هذا الفتح المعنوي ، تأتي التعصب كليا اشتد المبعجان في العالم الاسلامي . ففي الجزائر بالرغم

من الصداقة والامانة اللتين أظهرهما الجيش الوطني أثناء الحرب ، كانت نتيجة انتخابات ١٩١٩ مما يجب قتلى الفكر فان السنائة ألف وطني ، الذين آتيناهم حق الانتخاب بموجب أمر ، شاطئ ، رشحوا بأجمعهم كل من عرف بيقض فرنسا ، وكان من جماعة الأمير خالد ( ابن الأمير الهاشمي ابن الأمير عبد القادر ) ، وكذلك الشبان ، الذين حصلوا العلم في مدارسنا وتأنوا تربية أوروبية ، كانوا أشد الناس مناهضة لفرضية تجنيد الوطنيين ، فلما العامة ، فهي باقية بعيدة عما جدد من الجهة المعنوية ، ومنذ خلق العلم الفرنسي فوق سرسبي الجزائر ، تكون بين هذه الأمة وثام لم تعرفه من قبل .

انقد عظم الاغلاط التي ارتكبتها ولاية الامور الذين استعملوا مناليد الجزائر ، بالقتل السهل بعدادات البربر وعرفهم للقديم ، وحلهم طراً على شريعة القرآن . ومن للسومع ، انه كان في ذلك الوقت ٨٠٠ ألف بربري غير مسلمين ولا مستعربين . فالولاية من الفرنسيين مراعاة للشرط الذي وقع عند تسليم الجزائر ، من عدم مس الشعائر الاسلامية ، توجبوا الى حد المبالغة ، الاحلال لكل ما يخالف هذا الشرط ، وظنوا انه صار من واجباتهم حمل البربر على احكام مخالفة لعاداتهم وعرفهم . وبدلاً من ان يجعلوا هذه العادات القديمة الباقية للبربر من عهد الرومان قوانين مرعية نافذة ، حملوا بهم عنها الى احكام الشرع التي بأيدي القضاة والمرابطين ، وهكذا أوجدوا وحدة دينية قومية ، غير فائقو شمالي افريقية منذ ١٢ قرناً ( أي الفاتحون المسلمون ) عن إيجادها . ولقد دخلت الاهواء والمواظف في هذه المسئلة ، فلم يبدأ احتكاكنا بالاسلام ، حتى جعل الاسلام يستفيد من أصحاب المفعول النافذة عندنا ، ومن دماء الدمع والامور القوية ، الذين أخذ بقوتهم ما في حياة اتباع محمد من الكرامة والرصانة ، وما في الصلاة فوق رقاب الرمل ، من السفاضة المبرونة بزعمهم بالوقار والهيبة . وكانوا يستعملون تلك الحركات البسيطة الجارية ، التي تريدنا جلالاً وجلالاً في نظرهم ، هيثة برانس المسلمين أثناء صلاتهم . نعم اشتغل هؤلاء المفتونون بحب العرب بالامور السورية عن الامور المعنوية ، وتناسوا حالة العربي النفسية ، وما عنده من الكرامة لكل مخلوق غير مسلم ، وما هناك من عنيدة القضاء والقدر التي هي عنيدة الجود ، والتي لا تخرج مع الاحتياجات المصرية .

ان هؤلاء المفتونين بالاسلام ، الذين يبرون باقتداره مراعاة ، يذكرون دين الرسول بمزيد الاطراء ( وذكر الكاتب هنا اسم رجل من هذا الفر اسمه دو كاستري De Casteries ) له مؤلف في الاسلام ) سنة ١٨٣٨ ، تحت جريد « الدبا » عن تصوير المسلمين بحجة ان ذلك يقدمهم صيغتهم الحالية ، وان ذلك مخالف للمصاحفة . وفي ايامنا هذه كاتب شهير ( ذكر اسمه وهو السيد آدم P. Adam ) في كتاب اسمه قرطاجنة Carthage ) يلوم على تصوير البنات المسلمات في سان لويس ( في السيفال ) ، بحجة ان الراهبات يغيرن عن ملاييم الوطنبة التي هي البق بين . فالحكام كهذه مستحيلة ، لا تزال تقوي طائفة الميل عند الأمة الفرنسية الى المسلمين ، الذين منهم عدد عظيم في تيجة فرنسا ، ونحوه دون رؤية حبوب الدين الاسلامي ، المستورة بظواهره الشرعية ، فانظرة اسلام ومغرب وحجاز وما أشبه ذلك ، كانت تكون الفاظ صوفية تأخذ باب بعض الناس .

على اننا لانكون هجماً على الاسلام ، ولا نعرضنا لهذه الشعوب الاسلامية في عنائدها



المحرمة اذا كنا ننبه الناس الى اخطار ديانة ، من جهة نتائجها الخرب المقدسة ، وعداوة غير المسلم ، والتوحيد بين الشرع الديني والقانون المدني ، مما يجعل الامتزاج صعباً . وانهيك ان الشرع الاسلامي بمنعه الزواج بين المستعمرين الاوروبيين والنساء المسلمات ، قد وقف سداً دون كل اختلاط بين الفريقين ، مع ان الجنس اللاتيني هو غير الجنس الاتكاو صاكسوني ، فان الجنس الصاكسوني حينما حل بأمريكا وزيelandه الجديدة وأستراليا لاثى العنصر الاصلي هناك ، اما اللاتيني فهو يهوى الامتزاج مع العناصر التي يجدها امامه ، فجيوش ترانجيلوس اللاتيني امتزجت بأقوام الدانوب وتكونت منها أعالي رومانيا المنخفضة ، واما بربر شمالي افريقية الذين هم ذوو قرني مع اللاتين ، فلم يكن بينهم وبين هؤلاء امتزاج أصلاً ، بل نجد الفرق تقنع يوماً قبواً بين الفريقين . كذلك ترى التقدم بطيئاً جداً ، في الأمم الإسلامية التي في شرقي أوروبا وآسية ، لأن فقد حرية البحث يقضى على روح الانتقاد ، ويمرر عقيدة الاستسلام والرضى بأي شيء كان . لا تكون أمة الدين الاسلامي اذا بنا حالة التأخر التي عليها الأمم التي دانت به ، لاسبها اذا تركت وعاشتها . فان الاسلام يمارس التقدم العمري بحواجز قوانينه المدنية والدينية ، وحصول شرائعه الاجتماعية ، وما هناك من الأوامر والنواهي . فلو كان بربر افريقية يتبعون غير دين الاسلام لكان مركزنا هناك أقوى مما هو اليوم ، واذا قررنا هذه الحقيقة فلا يكون مرادنا منها الاقتداء برومة في حملها الأمم المطلوبة على قبول ديانة الفاتحين . ان تلك الآراء الفاسدة المتأثرة بالاسلام ، هي عبارة عن استنتاجات غير صحيحة ، من مقدمات راعية صارت عند البعض حقائق كلية . ومن جهة هذه النتائج الباطلة ، كون المسلم لا يمسأ من دينه . فهذه الفكرة مع خشية دوران التنصب عما هو وهم بحث ، على رجال الحكومة الفرنسية في الجزائر منذ بداية فتح فرنسا لهذا القطر ، على معارضة مداعى جمعيات التبشير الفرنسية ، الرامية الى نصير المسلمين . حتى انهم كانوا يعملون حراًساً على ابواب الكنائس لمنع المسلمين من عشائنها . وكان قديس عربي من سورية دخل الجزائر وصار له نفاذ عظيم بين أبناء بلدته ( أي حرب الجزائر ) فطردته السادة الفرنسية من هناك . وبالجملة فقد حلوا الأتعالى على الخوض لأحكام الفضاة القرآنية ، وثوقف بذلك سير حركة النصير ، التي كانت قد بدأت بين البربر غير المتدينين . ثم لقب محمد بن عبد الراعي جالابرت (Le Pasteur Galabert) في مدينتي القصور وبجاية ، ومداعى السكرديبال لا فيجري في افريقية لاجل التقريب بين الوطنيين والأمة الفاتحة خذراً شديداً وأصبحت تلك المشروعات على شفا السقوط . ولم يفهم بعضهم فوائدها ولا غاياتها الانسانية ، بل كانوا من شدة خوفهم ان تكون حركة دينية ، يضمون المراقيل في وجه هؤلاء المبشرين ، ويظنون في المنع من ، ويصدونهم بجميع عيوب قومهم ، مضافة اليها عيوب الأمة التي دخلوا في دينها فزعموا ان الرجال من المستعمرين هم من طينة السكبين المدمنين ، وان النساء المنعزلات هن من الفانيات المنهشكات ، وغالب عنهم ان الهيئة الاجتماعية الإسلامية مع ما هي عليه من شدة التقصير فيها عيوبها ، وان عيوب المنعزلات كانت تخفى جداً لو كثر سوادهم وصاروا جماعات .

بعد ان مضى قرن على فتح فرنسا لجزائر ، تضاعف عدد الوطنيين فيها واضمحلت المداوة التي كانت بين العرب والبربر . وثرانا لا نقدر ان نعتمد على اقلية غير مسلمة كما يعتمد

الانكاز على التباطؤ بمصر . ولهذا مثيل في مستعمرات هولانده التي صار فيها مركز هذه الدولة حرجا ، فقد كان مسلمو الجاوى وبورنيو وسومطرا لاول فتح هولانده تلك الجزائر ، خمسة ملايين ، فصاروا اليوم ٣٠ مليوناً ، ولم يكن الاسلام ثمة بايديه ذي بدء الا تبع قليل ، فصار الاسلام في هذا الزمان سيد تلك البلاد . وتجد المسلمين هناك تحت إدارة فئة قليلة مستعمرة من ذوي الاطماع ، متحفزين لرؤس وصاية هولانده الابوية . فلما ارغبيل القيليين الذي أهله تصروا ليهب الاسبانبول ، فان مطالبهم الاستقلالية بادية بشكل معقول بخلاف بلاد الاسلام التي تلاقى حركة الرقي فيها ، روح الفوضى والاختلاط التي هي من خصائص الجماعات الاسلامية اذا تركت وشأنها . ان شيان الاسلام في آسية الغربية ، يدعون ان يشبهوا قابليتهم لقرقي قابلية اليابان ، ويدعون انهم يدرون على ما قدر عليه اليابان في الأمور الاجتماعية والاقتصادية ، وينسون ان اليابان لم تكن لرق هذا الرقي المعجيب لو بقيت بعيدة بانفال العقائد القديمة ، وينقلون عن ان التجدد السياسي لا بد ان يسبق التجدد الاجتماعي . ما عدا مدة قصيرة فلاورين في اسانية والملايين في بغداد ، لم يوفق الاسلام في وقت من الاوقات الى تأسيس مدينة خاصة به ، بل جميع احيال امة محمد لم تلتحق مجروداً بأذن لها بتوليد عقول كبيرة . بل ان الخصائص التي اشتهرت بها هي خصائص التدمير ، سواء للمدن التي وجدت امامها ، أو التي حصلت في داخلها . وما دام السيف في يد الاسلام كاد الاسلام قادراً أن يجري اسكاه ، فلما قضت الايام ان تصبح قوة السيف قوة اخرى هي قوة العلم ، سقط الاسلام . واليوم لاجل ان يزحزح نير الغرب عن عنقه ، نراه يدرك قيمة العلم ويندر قدر الثقافة الاوربية ، ولكن أكثر ما يريد أن يأخذ من أوروبا هو صناعة السلاح . ثم اذ علم أن صناعة الادوات الحربية لا تكفي ، عاد يطلب الصناعة المعنوية ، فصار المطبوعات للمسلم شيئاً ذا طبع آخر يستلزم فرق رؤوس غير المؤمنين . وتجد الجرائد الاسلامية تتكاثر بمصر ، وتركيا ، والهند ، والجاوى ، والمستعمرات الانكليزية والفرنسية . وكذلك جرائد اخرى تصدر في الولايات المتحدة ، والبرازيل ، والارنتين ، وحرية سورية وارثوذية . وفي برلين يظهر لواء الاسلام ، وفي باويز ولندن ورومة تصدر جرائد اسلامية جديدة أيضاً ، تبحث في الشؤون الاسلامية . ومنازع هذه الصحف تختلف باختلاف المراكز التي تصدر فيها ، فجرائد الشرق وجرائد اميركا وبرلين تنازع بشدة للهجة وفرط المداء ، وأما جرائد المواضع الاخرى فتزينها بلفظ اللهجة وبراعة الطبع والكلام المعقول ، ولكن الهدف واحد ولو تنوعت الاساليب ، وهذا الهدف هو تفوية روح الشكافل بين الامم الاسلامية ، ونشر الاسلام وتحرير أبنائه وزرع بذور الشفق بين الدول الغربية لاجل تيسير فوز المشرق .

## الاسلام الاسود

قال بينغر Binger : ان درجة حرارة المسلم الاسود هي على قدر ظاهر لونه ، فالمصبية الدينية العميقة التي توجد عند الغفارة والاقوام السامية الاصل ، الساكنة في جهات نهر النيجر



وبخيرة نشاد ، لا تجدوها عند المسلمين من أبناء القوق الاسود ، مثل البامبارة Bambara والسيره Sere و البورو Buro ، الذين عندهم تساهل عجيب في محاربة شعائر دينهم . وما عدا حركات محدودة من آثار دعوة الرافضيين ، ومن استمادات الحاج عمر واحد ، وبين السنيثاليين والنوابي Pulliss ، والسونينكة Ninko ، الذين فيهم شيء من الدم البربري ، لم تصادف في افريقية السوداء حرباً دينية ، ولا مقاومة أصلاً عقيدة الفناء والفرد .

وان عقيدة السنة والجماعة في افريقية الغربية ، محافظة عند الاماني مع عاداتهم القديمة ، ومع الاوضاع القبطية كالعلاسم والرقى . وقد أورد بنفردنلا على ضعف حرارة المسلم الاسود قضية ساموري ، الذي بالرغم من كونه مسلماً دينياً ، أكل بدون تخرج من لحم ثور ذبحه السكر السنيثالي ، على شكل بخلاف الاوامر القرآنية ، فقتل هذه الخفافة قتلًا كبراً عند مسلمي الشمال . ثم ذكر بنفردنلا آخر وهو أنه كان اسود مسيحي يظهر الاسلام أحياناً يستفيد من الرخص المطلة للمسلمين في عيد المولد النبوي أو العيد الكبير .

فهذا الثغور في تماسك الزنجي بدايةً يتمسك بها ياقعي الشدة ، الساميون والتورانيون ، يمدد بعضهم دليلاً على انحطاط عقل الزنجي وقلة قوة التحيز عنده ، والصحيح هو غير ذلك . بل الزنجي رجل حليم ، واسع المشرب ، سهل القياد ، قريب للأخذ ، مع حسن صادق ومتزع عملي ، وميل الى الخير يحذر باجاء ملته من البيض والصفر أن يفتدوا فيه به . وهو يمتاز بعدم التشدد في إقامة شعائر دينه ، وبالنساهل مع أبناء الاديان الاخرى . وقطرته السليمة عنه أن ينظر الى الابيض نظره الى رجل ذائع الى النار ، بل هل يرى الاوربي من الرقى والنفوق ، بحيث لا يصدق أبداً أن مثل هذا الابيض يمكن أن يخطيء ، ولا شك في أنه بحسب ميله للاقتياد والانطباع لو سار به قليل حياء ، لسكان قبيل دين سيده الابيض ، الفانح لبلاده ، بشرط أن هذا الفانح يدهوه لذلك ( ١ ) وأن كنت تراه يدين بالاسلام فهذا لظنه أنه يبال بذلك رغبة ، مع أنه أول به أن يقتصر اذ الاوربي عنده أملي من المسلم ، ومهما كان يرى من حزة المسلم ، فهو يعلم أنها ليست شيئاً بالقياس الى حزة أوربا .

وهل فينبغي أن نعلم أن اسلام السودان هو سطحي قائم بصورة ظاهرة فقط ، ولاجل تعاليل هذه القضية التي لا توجد الاثمة ، زعموا وجود علل اخرى غير ذهنية الزنجي نفسه ، فذكروا تأثير الاقليم والاداءات والبيئات ، وقالوا ان البلاد الشمالية من الكثرة هي غير مساعدة على انتشار الاسلام ، لان طول النهار القرمط وقصر النهار القرمط يحدثان اختلاطاً عظيماً بين الليالي القرمط في فصل الصيف وصلاح العصر فخلطان مع صلاة المغرب وصلاة المساء هناك ، فبسطرق الشك الى قلب المؤمن . ففي واسط افريقية الحالة أيضاً هي مشابهة لتلك الحالة ، فالنهار والشجر السكبار التي يمد بها القرآن المؤمن ، هي في هذه الاصقاع من الكثرة بحيث يصعب هذا الثواب لا قيمة له . فالاسلام لاجل نجاح دعوته محتاج الى صغارى واسعة تتجلى بها عظمة الله تعالى كصغارى آسية الوسطى ، أما في خط الاستواء فالاسلام مركزه القلق ، لأنه يتعصر نمة في الآفاق الضيقة بين الفجوات المظلمة ، حيث يصب على المؤمنين معرفة الذلة ، فيبدلون عن شعائر الدين . على أنه مهما فرضنا كون شعائر الاسلام سليمة في الظاهر تساهل ، هل يوجد لنا مصلحة في تمكينه عند وينتشر بين هذه الاقوام ، لا بل في أن تشرف

به ديناً رسمياً لمن دان به منهم . سيحصل لمعري في غربي افريقية ما قد حصل في الجزائر ، ويعتد الاسلام وينتشر بسببنا (١) ونحت حماية أسلحتنا عند اقوام اشداء لم يزالوا منذ قرون يرفضون الاسلام ، الذي يأتيهم به تجار الرقيق من العرب ويحبطون فتوحاتهم الدينية والعسكرية . ونحن كذا أوغندا في تلك الديار ازداد الاسلام بسطة . وقد أرادوا تأويل ذلك بأسباب عديدة منها ، كون المربة لسان الرسول القرشي هي لسان للتجار الجاثمين بذلك الاقطار ، ومنها ان مبادئ الاسلام تطابق عديدة الاستسلام لاندو التي عليها الزنجي ، ومنها أن هذا يميل الى بساطة الاعتقاد وتبجيزه سذاجة الشعائر ، وقالوا ان ممارسة هذه الشعائر ، سهلة طبيعية ، ثم هناك لذات النعيم التي يحبها هؤلاء الهيج عامل آخر ، ومعلوم انه لاجل ان يكتب المرء مع السعداء ككفيه لفظ كلمة لا اله الا الله ، فانه بها يصير مساماً بدون أن يشعر . وعزّزوا هذه الاقوال بأن عائد الاوربيين تنافى البساطة ، وان شعائرها صعبة ، وان آدابهم كثيرة التجريد ، وفيها تخرج كثير على الذات الحسية ومنع لتعدد الازواج ، وبالجملة فقالوا ان الاسلام وجد ديناً موافقاً للزنجي كما وجد موافقاً للعربي ، ومن العت الاجتهاد في وضع دين آخر محله في تلك الاصناف . فهذه الظنون التي صارت قضايا مسلمة لم توضع موضع الحك والنقد ، ولو عصمت لثبت أن ليس بصحيح كون الاسلام هو العقيدة التي تلائم الاسود الحاليين اكثر من سواها ، فان اقلية مهمة من السنيغاليين قد أمكن تنصيرها . وبلاد الاوغانده صار أهلها كلهم نصاري . أما كون العرب والبربر يأبون كل دين غير الاسلام ، فلنا من القبط والمجيش مثال كاف لاثبات كون الاسلام ليس ذا تأثير عليهم الى ذلك الحد .

ثلاثة أرباع الحبشة وهم جنس آمهاره Amharas ومهمهم أقلية بربرية وزنوج ، لبوا متسكنين بالنصرانية بالرغم من تلاحم أمواج الاسلام في جوانبهم . وأحسن من ذلك ان بلاداً بأسرها مثل هرر كانت أسلمت بعد ثورة الدراويش ، فعادت الى النصرانية بعد ظفر النجاشي منليك بالامير عبد الله سنة ١٨٨٤ . ولقد بقيت الديانة المسيحية والقومية الحبشية متحدين كما هو الشأن في الشرق ، بان الديانة والقومية تسييران معاً ، وحفظتا استقلالهما اكثر من الف سنة . وبينما قبائل بربرية في الجزائر وادم البول Poulis والفواي Poulis ، الذين هم من جنس بربر الحبشة مشفقون هباء منثوراً بسبب عنيتهم الدقيقة ، المعايير الى الكسل والخلول ، رأيت الحبشة بامانتها لدينها ، واقفة في وجه الفتح العربي . وتمكنت المسيحية ان تعيش في وسط هذه الامم الزنجية والبربرية ، وان كانت شعائرها هناك لا تزال منعدمة ، لأنها بمنزلة بمئات يهودية ، وعادات يونانية ، فلاكليروس ( طبخة النسيجين ) له في الحبشة نظام صارم ، وهو تابع للكنيسة الارثوذكسية في الزواج ، وعزوبة الكهنة ، وبخروج القسيس في المراسم الدينية بالاثواب المزركشة بالقصب بين قرع الطبول ونقر الدفوف . فالحبشي بهذه العادات هو بعيد اذاً عن سهولة الشعائر الاسلامية ، وهو يصوم صوم المسلمين الشاق ، واذا بلغ الكبر يترهب في دير . فمن هنا يظهر بطلان قول البعض ان النصرانية شديدة التعقيد ، شاقة التشكيف ، كثيرة المعاني المجردة بالنسبة الى مدارك الزنجي الساذج ، فهي تخالف ظروف حياته وتبطل نظام اجتماعه . ولذلك فالاسود المنصر هو اسود مقلوع من أصله ، حال كون الاسود المسلم هو مسلماً بطبيعته .



فانت ترى أن النصرانية قد رسخت عند الامهارة ، الذين هم من قبيل السيفالبيين والبربر والبويل بدون أن يكونوا مغلوبين من أصلهم ، وقبدها ننو هناك كما ينمو الاسلام ، وعقيدة أوتوخوس ( طاش في القرن الخامس للمسيح وكان يقول ان ليس في المسيح سوى طبيعة الهية ، خلافاً لقول نسطور ، الذي كان يقول ان ليس فيه الا طبيعة بشرية ) وكما حرمت المجامع قول نسطور ، حرم الجمع الخلقيدوني قول أوتوخوس وقرر الطيبتين ، ولكن القبط والخبيشة تابعون لمذهبه ( تنلوى هناك مع الزمان والمكان كالاسلام الذي يناسب الامم الفطرية مثل الامم السوداء . واذا كان عمل البشرين شاقاً في البلاد السودانية والاسلامية ، قائماً هو لكونهم يريدون وضع عقيدة امم راقية جيداً عمل عفاثة اقوام هم في أدنى الدرجات ( تأمل ) ، أما النصرانية ، كما كانت في القرون الاولى ونصرانية الخبيشة الحاضرة ، فشرهما يمكن بسهولة نشر الاسلام ، الذي كان نجاحه بسبب المستوى العقلي الذي عند ناشره ، لا لسبب مبالغى عقائدهم ( تأمل أيضا ) .

لاشك ان الزنجي عند ما يدين بالاسلام يتقدم تقدماً محسوساً ، فبعض ارباب الحيات الذين لا يحبون ان يروا الا الحسن ، يجدون في الاسلام الامتناع عن السكرات ، وشهيق الاخلاق ، وترقية سوي الحياة ، واعداء حال المرأة في الاجتماع ، فيشيرون بالسعي في نشر الاسلام بين امم الفتيش في مناطق خط الاستواء ، وكان من طبيعة هذا العصر ، ان الناس يقدرون قدر المذهب بنسبة درجة نجاحه بدون تأمل فيها بحر اليه من العواقب ، فحمل الزنجي على الاسلام هو من باب الرفع الى اسفل ، وهو من قبيل المداواة بالطلاسم والرق ، مما هو وخيم العاقبة ( تأمل ) . ان اساس الدين الذي يدين به المسلم وتصطبغ به نفسه مهما كان حليماً ، والذي لا يعرف الا ذوو الخطاة والخبيشة الطويلة ، ان هو الا تأمل ثورات مستقبلة ، من مصلحتنا ان لا نتركها تقبل مفعولها . حتى ان هؤلاء المهوسين بالاسلام أنفسهم ، يقفون حيارى احياناً عند ما يرون من الجماعات الاسلامية ، تلك المظالم التي لا تقف عند حد ، وهاتيك الاعتقاد المتأصلة في نفوسهم .

اما البعض الآخر فقد هالهم هذا النزوع الاسلامي الى الثورة ، فاشتدوا طريقتنا في بناء المدارس والؤسسات الاسلامية والترغيب في لغة القرآن ، وأوضحوا عظيم الخطر الناشئ من تضامن الشعوب الاسلامية ، ودهشوا من قضية ارسال معلمين جزائريين لتعليم العقائد الدينية في جنة تمبكتو ( تمبكتو في أول السودان الغربي مشهورة ، اما جنة فهي مدينة بالسودان على مسافة ٣٠٠ كيلو متر الى الجنوب الغربي من تمبكتو ، وعلى ١٦٠ كيلو متراً الى الشمال الشرقي من سينغور وسيكورو ، وأول أوربي دخل جنة هو رجل فرنساوي اسمه ريفيه كاليه سنة ١٨٢٨ ) وهؤلاء النفر يقولون انه لا يكون من باب من كرامة الاسلام ، ولا من السعي في تقض مبادئه ، ولا من حجب الحرية الدينية اذا اتخذنا التعصبات اللازمة بأزاء اخطار الحالة الحاضرة ، لاسيما ان هذه المساعدات التي لا يجبرنا عليها أحد لا تقربنا زلنى الى الأمم الاسلامية ، وانه ليس للحكومة ان تدخل في حياة رعاياها الخاصة ، بل عليها ان تأخذ حذرهما من ديانة ، هي فيها عدا بعض مبادئ نادرة فيها شيء من السماحة ، يمكنك ان تختصرها بهذه الجملة : قاتلوا الكفار واستعبدهم واطرحوهم في الارض ، ( اين وجد هذا ؟ ) .

فبين آراء المذاهب المتشددين وآراء المتوسعين الميالين الى الاسلام ، يوجد مكان لمدل معتدل خازم ، وهو انه لا ينبغي ان يسار على سياسة اسلامية واحدة ، بل على سياسة متعة بالظروف وبالبلدان وبدرجة حرارة الاهل ، فيمكن تسكب طريق قهر الاسلام بدون السعي في تأييده . واذا ابدنا في مستمراتنا سلطة ادارتنا المسكينة ، ويطعننا فوق الطريقة الاسلامية ، كان ذلك خطوة أولى في منع انتشار الاسلام بين الاقوام ، التي لم ترسخ قدمه بينهم . ولكن مادام النافذ الاوربي يرسل القضايا المعقدة ، التي يعجز عن حلها الى القاضي المسلم ، وفي المسائل التي يشاكر فيها الحصان ولا تمكن معرفة الصحيح بينهما ، بحيل القضية على الحين كما في القرآن ، وهي طريقة بسيطة تكفي أولئك القضاة مؤونة التدقيق لتبشئة الحكم . فنكون قد جعلنا للقضاء الشرعي نفوذا ليس من المحكمة في شيء ولا سيما في هذا الوقت . كذلك نتجنب المراقبة الخفية للمشايع والمرابطين الذين بين الزوج المستعدين لقبول الدعوة الى الثورة ، فانه كما قال سنة ١٩٠٥ الحاكم العام جونتي Pouty : زيارات الغرباء القادمين من المشرق بحجة الصدقات مضرة ، اذ هؤلاء يجوبون بلاد السيفال والبول والسوئنيك ، دعاة كثيرا أو قليلا الى الجامعة الاسلامية ، ويضعون اهم شرطه ، ويلبسون محام غصير ، وكلما حدث هيجان اسلامي كانوا هم المشعذين لفراره . والتدبيرين الازعاجي . ولا نفس حج مكة فانه في الاونة الحاضرة ، يؤثر تأثيراً مضراً بين رعايا المسلمين ، ومع هذا ، فالبعض غافلون عن منع حج رعاياهم الى مكة وسما بخدمته هذا السفر من اسباب تشويش افهامهم . لما يستمعون فيه من الأخبار المقلقة عن وقائع البلاد الاسلامية ، فحي آباؤا الى ديارهم عادوا أقل ميلا اليها . فان الحاج يسبح في الحجاز انباء عن جميع العالم لم تطبع في صحيفة والاوربي مصور فيها بشكل ظالم غاصب ( استغفر الله . . . ) لا تخصي سياسته والمسلم مصور بشكل غالب ظافر لا يد ان يأخذ بشره . كما ان الطوائف التي أحرزها بعض الشرقيين تروى هناك بالثبالة والفلو ، ويتفاهلون فيها بمودة الايام ، التي كان فيها العلم الاخير منصوراً خفاً فوق رؤوس الامم المظلمة . وهناك الشعوبون الزعمون بنصرات الفازي ( أي مصطفى كمال ) واهلاكه الكفار كما أهلك المسلمون قريباً يوم بدر . وكل هذه الوقائع تبرز فيها قوتها الخفية الشرقية بشكل رائق رائع ، فيذهب الحاج من مستمراتنا آميناً لنا وبود غير ما ذهب ، بل تثبت نفسه ، ويصير مبتهجا بنصرة ابناء ملته ، وتتوى فيه روح التضامن الاسلامي ، فيفرح بفوز اتباع محمد ، ويتمنى لهم الظفر النهائي . وبعد اياه الى وطنه يستعجل ان لا يلقى الى بعض اهل بلده ولو نجيا ما سمعه في مكة ، وحيث يكون ذلك لقب حاج فلا بد له من الاجتهاد في اثبات أهليته لهذا اللقب ، هذا عدا ما يحمله معه من القصائد والجرائد والجلسيات التي يوزعها على ابناء وطنه . وان كان ممن يعرف الكتابة واصل من تعرف بهم من الحاج مكرراً لهم آيات الكتاب المقدس حول الحجر الاسود .

وينضم الى هذه التأميرات السيئة نفوذ الطرق الصوفية فان دورها مهم ، وربما كان لها القول الفصل فيما لو هبت العاصفة المنهينة دائماً للهوب في حو الاسلام . فان اتباع عبد القادر الجيلاني ولي بغداد المثلون افریقنا ، وهم هؤلاء التيجانية ، الذين كانت لهم اليد الطولى في ثورة السنيتمانيا عند ما قام بها الحاج عمر . ولهم زوايا في يماكو ، وباقولاب ، وسيغو ، وجنه ،



وتبكتو ، ولهم وسيلة مع السنوسي في طرابلس ، فشكل هؤلاء المتحمسين دعاية ثورة وعداوة  
 للأوربيين . لا ينكر أن بعض الطرق قد أقادتنا في الجزائر ومراكش وغربي افريقية ، وكان  
 نفوذ رجالها السلمي موافقاً لنا ، وهؤلاء مثل الشيخ سيديا ، والشيخ سعدو ، والختار الكنتي ،  
 الذين هم في موريتانيا ( غربي مراكش ) وبلاد النيجر . فقد كانوا معنا في فتح تلك البلاد ،  
 ولكن مساعدتهم هذه هي نوع من الأعمال التجارية ، التي يريد أصحابها دائماً إبقاء التوازن  
 لأجل استرداد قائمته . وأما الخطر الأعظم ، فهو خطر الطرق الإسلامية التي مراكزها  
 الأصلية في غير مستعمراتنا ، كبلاد العرب والعراق وطرابلس لأنها خارجة من يد نفوذنا .

هذه على وجه الأجمال العوامل للضررة التي ساطنتنا الافريقية معرضة لها . ولانقضاء ضررها  
 وصف الناس أدوية كثيرة ، منها ، علاج جمع كل الآراء وهو نشر اللغة الفرنسية ، فهو  
 أمر ضروري وهو رأي لوشاتليه Le Chatelier الذي يقول : « يوم لا يبقى المسان العربي  
 هو لغة التجارة في افريقية ، لا يبقى خطر من جهة الاسلام لأن مدارسه تصبح فارغة » . وهذا  
 هو رأي بول برت Paul Bert الفسيولوجي المعروف للناس : « حل المسئلة العربية هو  
 في الكتاب ، وأتمنى أن أرى في كل قرية مغربية معلماً عربياً ومعلماً فرنسياً » . وهو أيضاً  
 رأي الرحالة قائل أمور افريقية علماً بينتر . وهو كفتاك مشرب الكردنيال لافيچري  
 مؤسس جبهات التبشير الذي قال : « لا حاجة بنا الى الدعوة لنفس الدين ، بل الحاجة هي  
 الى التعليم والتخريف »

وإذا نظرنا الى درجة انتشار لغتنا في الشرق بين اولئك الاقوام والأمم المختلفة ، نأسف  
 كيف لم نقدر أن نشرها في مستعمراتنا كما هي منتشرة في الشرق ، وأعرب منه أنه لو كان  
 علمنا انشر في مستعمراتنا بالسهولة التي انتشر بها في السلطنة العثمانية ، لربما كان أناس  
 يحتاجون على ذلك قائلين ، يجب على حكومتنا أن تبقى متعادلة . مع أنهم يرون أن البعثات  
 الفرنسية في البلاد الاسلامية ، التي كالأناضول وكردستان والعراق وفلسطين قد نجحت نجاحاً  
 تاماً بدون إرث أقل فلتى في سلطنة آل عثمان الكرمتة ، الرحبة الصدر ، وقد عصرت همما  
 في تعليم لغتنا للروم والأرمن والكرج واليهود والمسلمين والكانتوليك ، وجميع هذه الاجناس  
 التي جمعتها في عالم ثقافتنا . ولم يثر ذلك في البلاد التركية ، ولا العربية ، ولا الفارسية شيئاً  
 من العصبية التي خيف من آثارها في الجزائر . ثم هذه مصر التي هي تحت الحكم البريطاني ،  
 تعرف لغتنا كما تعرف لغتها العربية . أما الجزائر فأنها تجهل لغتنا تقريبا . ليس مقصدنا بهذا أن  
 نوجد في مستعمراتنا نخبة علماء ومفكرين ، اذ يجوز أن يتبع فيها أدباء راسخون ، وأرباب  
 عقول سامية ، لكن يخشى أن يظهر من هم متعلمون نصف تعلم تكون لهم مظامع ومآرب  
 ( تأمل ) أما المقصد هو وضع لغتنا التي هي عامل مدنيتنا موضع لغة أخرى ، ( أي العربية )  
 هي قاعدتنا ثقافتنا أخرى وفكرنا أخرى . ان فرض معرفة العربي على عمالنا في المستعمرات هو  
 حسن ، لكن اغناؤهم عن العربي بتعليم اللغة الفرنسية كما في الشرق هو أحسن .

### الاسلام عند السيفياليين

تجد السيفيالي في بيته كما هو في تابوره ، مرن الافكار ، بعيداً عن الدين المشهود عند الجزائري والمراكشي ، اعتقاده بالحرافات أكثر من اعتقاده بالدين ، مهمهم الا ما ندر بأمور معيشته أكثر من اهتمامه بالذهب الديني . وترى أنه في جميع مواطن الحرب لم تنقطع لدى السيفياليين دعوة الجامعة الاسلامية ، وقد احتك هؤلاء بالاسلام في البلاد العربية ( اي في سورية ) والاندلس والاسبانية ولم يحدث بذلك عندهم أقل انحراف ، بل بقي السيفيالي بسيطاً ، طيب السريرة أميناً لرؤسائه ، ولم تؤثر به تحريكات شيوخ الدين ، الذين ظلوا أثروا بمساكر المذهب الانكليزية ، وفر هؤلاء على أرضها ، فالسيفياليون لم يفر منهم ولا واحد الى العدو لا في سورية ، ولا في كيريكيا ، ولا في جميع الشرق الأدنى .

ان العرب والثوريين يزددون بالاسود ، وهذا الاسود يتباهى على ذلك بالانفصال عن ديانتهم عند ما يختلط بهم ، وهذا أمر واقع سواء في الشرق أو في شمالي افريقية . وترى السيفياليين في الاسبانية والاندلس لا يدخلون الجوامع ، ولا يخاطبون المشايخ ، ولا المقيمين ، ولا يحملون في حقائبهم أوراقاً مضرة ، ولا بطائق من وارد بلاد الاسلام متضمنة مدائح النازي غالب الكفار . وان العداوة بين الاهالي والسود في شمالي افريقية وان لم تأخذ شكلاً حاداً ، هي السبب السكافل عدم امتداد دعوة سياسية بينهم . وفي نفس السيفيالي لا في الجيش فقط ، لم يمكن التعصب الاسلامي احداث أقل عدوان لفرنسا ، بل بالعكس ، الاسلام في تلك البلاد الى الوراء لا الى الامام .

على انه اذا كانت سداجة هذا الجنس وسلامة عقولهم ، لا تجعلهم لانحلال في جيشنا خوفاً من دعوة الجامعة الاسلامية ، فلا يجوز أن نهمل التحركات اللازمة لانقاذ روح سارية في أماكن اخرى . فالاطباء يعلمون أن أحسن واق من امراض المستعمرات ، هو تعاطي الاسباب المانعة لظهورها ، فكما أن العمال في بلادنا الاسلامية يجب أن يعلموا منازع ديانة الاقوام الذين يولون عليهم ، كذلك القواد الذين دأبهم تعاطي الجنود المسلمين يجب أن يعرفوا القواعد المبني عليها الاسلام ، وماذا يوجد في أدمغة أتباعه . وعلى القائد أو الضابط أن يميز جيداً بين الاسود الذي هو مسلم حقاً ، من الاسود الذي اسلامه سطحي . فينبغي أن نعرف عناصر الاسلام المختلفة في ممالكنا الافريقية ، لنميز بين العناصر الغالبة منها لاثارة ، والتي هي غير قابلة لها . ثم أن نعمل في السيفيالي احصاء تجديد كل مدة للاجناس والاديان ، لنسلم تطورات الاسلام هناك ، والميل الروحية التي عند عساكرنا السيفيالية . ومن المهم أن نعرف ما هو اعتقاد الجزائريين بالسيفياليين ، لان هؤلاء في نظر أولئك ، هم القوة التي وكل اليها توطيد الكينة في شمالي افريقية ، ولا ترى ذلك محدثاً عندهم أدنى غضب ، لأن من طبيعة المسلم أن يطبع دائماً القوة القاهرة ولا يحتق من التدابير المتخذة بحقه ، والجزائري ولو كان يحترق الاسود ، ينظر بدون حقد ، بل بعين الرضى الى ترتيب نواير السيفياليين . وبالأجمال المسلم السيفيالي في سلك الجندية لا يتارس



فرائض دينه . وقد جرت العادة الى اليوم بأن لا يمرض في أمر دينه كصوم رمضان ، والاحتفال بالاعباد ، واقامة الصلوات ، وأن يترك هذا كله لارادته . وكلما قل التمرس له في هذه الامور كان خيراً . وكذلك لحظ انه من العث حله على مراعاة فروض دينه ، أملاً باستئالة المسلمين بهذه الوساطة ، فالمسلم أثناء الخدمة ينهم الضرورات التي تنهه من اداء تلك الفرائض ، وهو يتعجب من اهتمام الاوربي بديانة المسلم اكثر من اهتمامه بديانة نفسه . انه من الواجب اذا ان يراقب من الماسكر الدينية من يفرطون في مراعاة شعائر دينهم ( انظر الى هذه الدعاية . . . ) ولعمري ، أي فرصة أحسن من وجودهم في الخدمة العسكرية لتعلم لغتنا ، انها أحسن من كل المعلمين الذين يريد ينقلوا سالمهم الى غربي أفريقيا . والذي حصل الى اليوم من النجاح في هذا الباب ليس بقابل قاذفاً كان الضباط في الجزائر مضطرين أن يتعلموا لغة جنودهم ، في السودان الضباط يجملون لغة جنودهم ، فمؤلاً مضطرون أن يتعلموا لغة الضباط ثم هناك ضرورة أخرى لتعلم الفرنسي ، وهي جعل الجنود أنفسهم بعضهم لغات بعض لانهم من أصناف والسن مختلفة ، فلاحية لهم أن يتعلموا الالبان الفرنسية .

ومما جرت عليه القيادة ، اجتناب تكتيب الكتاب ، على صورة يكون فيها العنصر الاسلامي غالباً ، فتجد السيفاليين مشتبين بين الجماعات القنصلية والسليبية . وهالك على ذلك مثالا : في مدينة فيليبيل بالجزائر يربط الالاي الخامس عشر السيفالي ، الذي عدده ١٧٠٩ جنود ، فجندييه ٥٤٢ مسلما و ١٣٢ مسيحيا و ١٠٣٣ قنصيا أو غير تابع لمذهب خاص . والتابور ١٣٦ الذي بمدينة الجزائر ، الذي عدده ٤٨٩ جنديا فيه ١٤٥ مسلما و ١٨٢ مسيحيا و ٦٦٤ قنصيا ، فزيادة عدد المسيحيين من يوم الى آخر هو ثمرة مساعي المبحرين والمؤسسات الخيرية . ونجد في بيسكرة ( بالجزائر ) راهبات مستشفى لافيجري يربين صغار السيفاليين . انه الى يومنا هذا لم تدخل حكومتنا بصورة رسمية في قضية تعبير السيفاليين ، ولا تزال مظهره الحيا في هذا الموضوع ، لكن مع ملاحظتنا الوجهة السياسية فقط ، يحق لنا أن نتساءل هل من مصلحة مستقبلنا سوق الجماعات القنصلية الى الاسلام أم الى النصرانية . وعلى كل حال ، فقد دلت التجربة في الجزائر ، على ان المجرى الديني الاسلامي دخل في حكم هذه الفواعل البديهية التاريخية التي يتألفها الخلف عن السلف بدون أدنى تحريف ولا تبديل ، فمساكرنا للسيفاليين ، مع كونهم فرق في بحر جماعات كلهم مسلمون ، لم يبدوا حتى اليوم أقل انجذاب الى الخدمة . ولقد شهدوا مواطن حرية عديدة كان الهياج الاسلامي فيها شديداً ولم نزعزع صداقتهم ، مما هو جدير بكل تقدير ، وهو مما يشاء على الاكثار من تجنيدهم ، وعلى تأمين طرق مكافاتهم المالية ، واعطائهم رواتبهم في أوقاتها .

انه عندما انتصر الترك في ازميز ، أشار الدكتور اسمايل حدي بك أحد كبار الوطنيين المصريين الى المحادثات التي اجريت يومئذ بمصر . والاجتماعات التي تداعت اليها الاهالي على صوت الطبل فقال : « هذا الطبل ، يؤذن بأن أبناء مصر يقدرون أن يحرروا مصرأ ، مثلاً ، حرر اخوانهم الترك بلادهم » .

فان لنا الثقة النامة في شعوبنا العربية البكرية ، ولا امتنع انها تتحرك بما يسوله لها المهبجون في يوم من الايام . ولكن لا شك بأن أمانتهم تكون أمتن ، اذا صارت مبنية على قوة ، لا يمكن الدهوة ، ولا الديانة أن تزعزعا .

## الخلاصة

ان أحد المؤلفين البلجيكيين المدعو المسيو كوليه Collet ، بعد أن أتبع له أن يدقق تدقيقاً صريحاً في حالة تطور الاسلام ، في الهند النيرلاندية ( مستعمرات هولانده ) . ألف كتاباً قال فيه : « ان التفاؤل الى حد التأمل بأنه يمكن احتكار قوة الاسلام الحيوية في سبيل منفعة دولة اوربية هو علم لذيذ ، لكنه غير مبني الا على مطالعات كثيرة من ذوي المقول السطحية » . فهذه الكلمات هي ذات أهمية في هذا الزمن ، الذي يظن فيه بعضهم ان التودد الى الاسلام هو العلاج الافضل . ولقد سبقت ألمانيا الى هذه الفكرة ، لكن لا تصريحات غلبوم الثاني في الارض المقدسة بصداقته للثلاثمائة مليون مسلم ، ولا سياسة برلين التركية ، لم تحدثاً أقل اضطراب في مستعمرات الحلفاء الاسلامية ، ولا انضم شعب اسلامي واحد عدا تركيا الى ألمانيا ، بل جميع البلاد العربية انضمت الى الحلفاء . ثم بعد المشاركة حاولت ايطاليا أن تعلن صداقتها الاسلام ، ووضع الدكتور اريكو انساباتو Enrico Insabato مصفاً في ذلك قائلاً : « ان دولة غير مسلمة ، اذا عرفت أن تنهج خطة ولاء للمسلمين وتعتطف عليهم ، أمكنها أن تصبح صديقة لكل البلاد الاسلامية » فلم تلبث نتيجة هذا التأمل أن ظهرت بالعكس ، اذ بعد أشهر فلال قسر زعماء طرابلس الغرب بحسب أهوائهم القاتلون السج ، الذي جادت به عليهم ايطالية ، وطالبوا بالاستقلال التام ، فعدلت عندئذ ايطالية الى طرق أخرى عبر عنها المسيو اماندولا وزير المستعمرات الايطالية بقوله : « ارجو أن يمد المصافة الى المقاومة ليكون ذلك واسطة لتدويع النظر ، ولكن الحكومة لن تعالهم كذدي قبل » .

وقد سارت في البانية الحوادث سيراً مشابهاً لهذا . ولا تنكر أن مجايد المسيو انساباتو ، يمكنها أن توجد بين أمة أوربية والاسلام ، علاقات حسنة مبنية على حرمة متبادلة ، وعاطفة متقابلة ، لكن هذا يجب أن يكون مبنياً على فكرة نظام ثابت ، وراحة موطدة . وهذا هو رأي المستشرقين الحقيقين ، الذين سبجوا قور أفكار المسلمين بأفانهم سجين طوالاً في بلاد هؤلاء ، تابذين الأفراس الشخصية والحيالات المرسلة بدون تحجتي ، فقد قال أحد هؤلاء : « ان القوة هي وحدها علة بغائنا ، واذا أثبتنا بأقل علامة على نفس قوشنا ، فنتعنا على أنفسنا باب الثورات » . وقال آخر : « نحن المال ، والسلاح ، والمقل ، والعدل ، فاذا خسرنا هذه المستعمرات نكون خسرناها برضانا » . فهؤلاء المحققون الذين استيقظوا نايأ دخال النفس المحمدي في غير الكتب والحسابات ، لا يستحسنون فرح الاسلام الفرنسي في نصرات الأتراك الأخيرة . فان جداول التبرعات التي جرى الاكتتاب بها في الجزائر وقاس ودا فار ( أحد مواني السيفال ) وناماتاف ( مدينة بحرية في ماداغسكار ) لاعانة الترك العالين والأدعية في المساجد بقوزهم ، والتهاني التي وردت على أنقره من ٣٠٠ مليون مسلم ، هذه كلها مدمات لحوادث نالية . وكذلك حال هؤلاء المدققين ، ماشاهدوه من تأثير الوقائع التركية في تونس ، وصفاقس ، والذيروان ، وسوسة ، فقد وردت برقية من المهدية تفيد أن الشعور الذي كان يحصل من تلك المظاهر الخفية ، هو أن الشعب التونسي معجب جداً بشعب قائمب التركي يأخذ حقه عنوة بقوة المدفع ، أي أن التونسيين يطمعون ، بان يأخذوا هذا الحق قريباً



بالواسطة نفسها . ليس عامة الوطنيين هؤلاء الساذجون طيبو السرائر ، المقدرون قدر السعادة التي هم راضون في محبوبتها ، والمارفون فضل الأمان والاطمئنان ، هم الذين نحن منهم على حذر . بل ليس الاسلام نفسه ، الذي عرف أثناء الحرب الدامة أن يبلي نفوس رطابا هؤلاء ، الى أن يحملوا ما يحملوه من الرزايا الفادحة بصير الأبطال ، هو موجب هدم ركوتنا . بل حذرنا إنما هو من تلك الفئة القليلة ، التي عليها مسحة التربة الأوربية ، والنشئة الغربية ، الذين قرأوا ما هضمته عقولهم هضمًا سيثًا ، غلبت عليهم المآرب ، واستفواهم التصيب ، وأحبوا وطنهم ، ولكن أحبوا أكثر منه منافعهم الشخصية . هؤلاء الشبان المسلون لا يقدرون عن فهم مهماجري ، ومهما أمطوا من الحفوق . ومهما أبري منهم من التسامح ، فلا يكون ذلك إلا طريقا لتوقيف الاوربي عند حده ، وأخذهم مكانه .

ففي وجه التضامن الاسلامي ، الذي يزداد كل يوم كلما ازداد نجاح اتباع الاسلام ، نجد الحصن الذي كان الغرب يمتنع به بدأ ينهار ، وعلاقات اوروبا بعضها مع بعض تسوء . فإذا كنا لا نقدر على تلافي هذا النزاع الغربي ، فعلى الأقل يجب علينا في وسط مستمراتنا أن نوجد الجبهة بازاء المهبجين والمناقبين ( أي طلاب الحرية ... ) بتدابير طامة شامة ، ويلزم أن نجمع سربان العدوى الى الجيش ، فإن السكون الحاضر في مملكتنا الأفريقية ، لا يجوز أن يعترف أنظارنا عن مشاهدة الغيوم المنبذة في الشرق .

إن صور ابطال الاسلام ماثلة أسواق مصر وبيوت فلاحي الأرياف ، فهذه حالة روحية ، قد تمرى الى مستمراتنا لا سيما تونس شمالا ، ومماك بحيرة تشاد جنوبا ، وإذا نالت مصر استقلالها صارت مركزاً لتحرير الاسلام .

لا أحد يمكنه أن يتكهن على درجة هذه الحركة ، لكن من راقب الحوادث الجارية نهياً له الاستنتاج بأنه لا يجوز التفاؤل المفرط ، كالأيجوز التناؤم بدون سبب . فالحالة تشهد بالاكتراث وإن لم تكن التهلكة محقة الوقوع ، فعلى أي الاحوال يتعين حفظ القوة العسكرية التي لا يعتبر المسلم شيئاً غيرها . هذا مع الحزم والعدل ، وبسط الأمان ، وتيسير المنافع المادية . « انتهى »

اعتدياً بتعريب هذه المقالة بحرفها حتى لا نترك مجالاً للمكابرة ، ولا مجالاً للمناكرة . وكنا نود لو تركناها كما هي تكفي بنفسها مؤونة الرد عليها ، لولا أن يكون في الشرق لسوء الحظ ، من يثاق كلام كل أوربي تقريرا حقيقة رياضية ، أو قضية مسلمة ، ولولا أنه لا يزال عندنا من حسن الظن في هؤلاء القوم ، ما يجعل التنبه فرسا ، والتعويض حننا . نعم إن افتتان الناشئة من الشرقيين بعدل اوروبا ، وانصافها ، ومما لي نزعها ، قد خف كثيرا بعد الحرب الدامة عند ما تجلت مرائس الحقائق على مناس المذابح ، وقشمت رياح الحوادث غيوم الأوهام ، التي كانت منبذة في الشرق ، من سعة تلك الفضائل وهاتيك الممالي . ولكن مع الأسف نقول ، أنه لم تبرح لهذا المرض عندنا صقائل كافية للضرر ، وبنايا جازية للارتكاس في الخطأ ، والانتكاس في المرض ، فلم نر مندوحة من ادخال ما في هذه المقالة من الأطليل ، واظهار ما فيها من التناقضات ، لا أكثرنا بنفس محررها ، بل يكونها نظرية الاكثريين في قومه وأمثال قومه ، ولو كان بعضهم يكتبها والبعض الآخر يعلنها .

بدأ الكاتب بتخطئة الاوربيين ، الذين يشمت بعضهم ببعض عندما تقوم على فئة منهم ثورة اسلامية ، قائلا ما معناه : ان كل ثورة اسلامية هي خطر على جميع دول أوروبا ، قائل ان فصل البها النار حالا تصالها فيها بعد . فهو من أنصار توحيد الجبهة الاوربية في وجه الاسلام والشرق أجمع . والحال أن هذه المسئلة غير محتاجة في أوروبا الى تنبيه من حضرنه ، بل هي قاعدة أساسية ماشية عليها الدول الاستعمارية ، منذ وجد الاستعمار ، وانتسبت يد الغرب الى الشرق . فانها مهما اختلفت هذه الدول وتناوبت في أوروبا ، تنقف صفا كالفيان المرصوص في وجه الشرقيين ، لا سيما المسلمين منهم . ولو شئنا استقصاء الشواهد والأدلة على ذلك لم نكفنا المجلدات ، فلا نهي أنفسنا بالاستشهاد بتواريخ لا ننتهي وانما نقول اذا طرأ بعض الاوقات عوارض بسيطة تخالف هذه القاعدة الاستعمارية السكابة ، فنكون عوارض جزئية محدودة لأسباب مجبورة لا مناس منها ، وضمن الدائرة التي لا نخل بالتضامن الاوربي العالم في وجه الشرق ، وهو التضامن الذي لا يزال دستور الاستعمار الأعظم . مثلا : لما استطعت فرنسا الحكومة العربية في الشام وطردت الملك فيصل خلافا للمعاهدات التي كانت بين فرنسا وانكلترا ، وبين هاتين الدولتين والغرب ، ارتفع عويل العرب الى السماء ، واشتدت مشاجرتهم لانكلترا ومطالبتهم لها بمنطوق المعاهدات ، وصادف أثناء ذلك ، أن مسئلة العراق أضحت وهر حلها ، فأرسلت انكلترا فيصلا الى العراق قايما بجزء مما نهضت به العرب ، وتوفيرا للمال والرجال على نفسها ، لأنها بقيت تقاتل في العراق مدة سنتين بمائة وعشرين ألف جندي والنار لا تزداد الا اشتعالا . فكان نصيبا لفصل ملكا على العراق مخالفا لقرى فرنسا ، التي قابلت هذا العمل بمقتد اتفاق مع الأتراك بشأن كيليكيا ، وأعادت تلك الولاية الى تركيا بدون أن تستشير في هذا الواقع حلقتها انكلترا . فقد بعضهم هذه السياسة من الجانبين مخالفة لقاعدة التضامن الاوربي الاستعماري ، وليس الأمر كذلك ، فان انكلترا لم يكن ليتمكنها أن تستخف تماما بالأمم التي قطعنها للامة العربية ، والى حد أنها لا تفكر أن ترضي هذه الأمة بشيء ، مع استمرار الحرب في العراق وامكان نشوبها في أماكن أخرى ، ومع ما كان يبدو لها من علامات تقرب العرب الى الترك لا سيما بعد أن خذلت العرب في الشام ، ولم تبد على اسقاط فرنسا للحكومة العربية بدمشق ادنى اعتراض ، فكان ارسالها فيصلا الى العراق نوعا من السكفارة لبعض تلك الميثاق . وكذلك فرنسا أنفقت على كيليكيا نحو مليونين ، وخسرت فيها بضعة عشر ألف جندي ورأت نفسها مع حرج الحالة المالية وانصرافها الى تقاضي المائبة ، التعويضات التي ليس استيفاؤها بالأمر السهل ، عاجزة عن متابعة الاعمال الحربية في كيليكيا . ولحظت من جهة أخرى ان انكلترا تستثمر لحساب تقوضها في الشرق مجاهد فرنسا في قتال الأتراك . فعدلت عن تلك الخططة الاولى وجنعت الى مسألة الترك ، وتركزت لهم ولاية هي في الواقع تركية ، وكان من اصعب الامور على فرنسا ان تقدر على حفظها بدون جيش جرار ، وبذل المليون بعد المليون . فلا الانكليز حاولوا ارضاء العرب في العراق حبا بالعرب ، ولا الفرنسيين حاولوا ارضاء الترك حبا بالترك ، بل التزاما من كل من الفريقين لمصلحته تحت ضغط الحوادث . ومع هذا ، فلم يحدث انفراط كل منهما بسياسة هذه ادنى ثابة في جدار التضامن العام بازاء الشرق ، لانه لا الانكليز ضدوا العرب على فرنسا مع كثرة اناداهم



الدرب للمحافظة على عهودهم المقطوعة للعرب . ولا الفرنسيين أطاوا الأتراك على الانكسار في شيء يذكّر مما ظهر في مؤتمر لوزان ، المتقد أثناء تحرير هذه السطور ، اذ جبهة الحلفاء كانت فيه واحدة من الاول الى الآخر في وجه الترك والعرب والمصريين الخ . وكل ماجرى في اثناء هذا المؤتمر من الاختلافات الاوربية واوها مشكلة الرور ، لم يززع في شيء بناء التضامن الغربي بأزاء الشرق . وبالاختصار فكل مايقم من اختلاف النظر بين الدول الغربية بشأن المسائل الشرقية ، يبقى محصوراً في دائرة ضيقة ، لا يمكن ان يكسب صفة عامة ، وتبقى القاعدة عندهم ، هي ، ان نجاح اي غربي في اي بنية كانت من الشرق هو نجاح للجميع والعكس بالعكس .

اما الذين يثير اليهم روجر لا يون من كونهم يشتمون بحجراتهم ، اي الفئة التي من الرئيس تفرح بمشكلات انكثرة في مستعمراتها الاسلامية ، هؤلاء اكثرهم من الشيوعيين والاشتراكيين وهؤلاء كما تقدم اضداد الاستعمار ، لانهم يقولون ان الاستعمار قضية طائفة على الطبقة المتولة ، وهم لا يريدون ان يستكروا دماءهم في افريقية وآسية ، ويموتوا بحجيات هاتيك الاصناف الثابتة لاجل زيادة ثروة المتولين في بلادهم ، فاعليك ان طبقة العملة تشبه أهالي المستعمرات يكون الغربيين مستضعفين هؤلاء من الخارج ، واولئك من الداخل ، فيبين الغربيين جاذب التضامن الذي بين الضعفاء والمظلومين ، وما هذا هؤلاء ، فيوجد خلافة الحزب الشمالي الذين يحبون الحرية كما لا يخفى ، وجميع هؤلاء لا يصكونون الا كلمة قليلة بالقياس الى بنية الاحزاب ، وان وجد من غيرهم من الفرنسيين من يشتم بالانكسار في مشكلاتهم الاستعمارية اما حسداً أو نفاقاً ، أو على أثر اختلاف دولي اشتد بين الامتين ، فلا يتعدى ذلك بعض كلمات فارغة ، ولا ينشأ عنه شيء بالقليل أبداً ، ولا يدخل أصلاً في برنامج الحكومات السياسي .

بعد أن تقرر وجود هذا التضامن المتين بين جميع الاوربيين في وجه الاسلام والشرق بأسره ، لا عجب أن يكون هناك تضامن بين الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً لا سيما أن بين هؤلاء رابطة دينية ، لا يمكن زوالها غضب روجر لا يون أم رضي . وقد كان يمكن أن تراخي هذه الرابطة الاسلامية بالعدل والاحسان من قبل الدول المستعمرة ، اذ كان لا يوجد شيء تستصاح به قلوب الأعداء مثل العدل ، وكان الانسان كما يقولون اسير الاحسان من أي جهة أتى . فالدول المستعمرة بدل العدل والاحسان ، لم تعرف في مستعمراتها سوى الضغط والظلم ، وامتهان الوطنيين والسكيل لهم بمكيد ، وللاوربيين بمكيد آخر ، والحجبر على حريتهم ، والتصرف بحقوقهم ودمائهم ومرافقهم ، وابترأزهم أراضيهم ، وهذا ما امتازت به فرنسا اكثر من غيرها بدليل نسق استعمارها بالجزائر وتونس مما لا يحتاج الى بيان ، ومن شاء زيادة الوقوف فليقرأ كتاب «تونس الشبيبة» ليعلم ماذا يجري هناك أو فليقرأ بعض كتابات الرئيس أنفسهم ومن جملتها ما كتبه المسيو فالبان كوتوريه Vaillant Couturier أحد أعضاء البرلمان الفرنسي من الحزب الشيوعي \* على أثر سياحة طويلة في الجزائر وتونس أجراها في العام الماضي ونشر خلاصة مشاهداته في جريدة الاومانيتيه ، بل فليتمع النظر في المياديء التي يوصي بها لا يون نفسه والمرء مؤاخذ بأقراره فيعلم درجة الضغط الواقع على اولئك

المساكين ، وبأي نظر تنظر الامة المستعمرة اليهم ، فليست اذا الرابطة الاسلامية وحدها هي التي تجمع قلوب الجزائريين والتوانسة والمراكشيين وغيرهم الى قلوب اهل الاناضول ، هل هناك رابطة المضعفين بعضهم مع بعض ، ورابطة الاخ الذي تحت نير المبودية مع أخيه الذي تمكن من رفع ذلك النير عن عنقه . هذه لعمري روابط طبيعية لا تزول ولا تخف ، لا بالسهر ، ولا بالمراقبة ، ولا بالحجر ، ولا بالحجز ، ولا بمنع القضاء بالاحكام القرآنية كما يشير به لا يون ، ولا بالتعب في تنصير المسلمين كما يريد ، اذ كل هذه التدابير لا يكون لها نتيجة سوى أن تزيد النار اضطرابا . بل الواسطة الوحيدة لالازالة تلك الرابطة لانها لا تزول أبدا . بل لحصرها ضمن حدود لا تضر فيها بمصلحة فرنسا ، هي معرفة فرنسا حقوق الوطنيين المسلمين ، ومعاملتهم على سوي واحد مع الاوربيين وعدم التفرع بأي الوسائل لوضع اليد على أملاكهم ، ونجس استقلالهم كما يستغل الانسان حرته ، وعدم القذف بهم في الثغور والمهاك ، ليكونوا فداء عن ابتاء فرنسا وهم غير مشتمين بشيء من حقوق المساواة مع ابتاء فرنسا ، الى غير ذلك من الشروط التي لو توفرت لمانش الوطنيون المسلمون في دعة وراحة مع الترتيبات ولم يضرروا لهم الحزب . ولما كانوا مرتبطوا معهم برابطة محبة أكيدة بخلاف ما هي الحالة الآن ، اذ الرابطة الوحيدة التي تربط شمالي افريقية بفرنسا هي قوة السلاح ، وهذه كما لا يخفى مهما طال وجودها ، فقد يأتي يوم يحولها الدهر فيه ، فتذهب وتحل محلها قوة اخرى ، والدهر لا يدوم لاحد .

ثم يقول « يسلون بالفرح الذي يبعده لنا المسلمون من جراء خطتنا الحاضرة » فلم نفهم ما هي خطتهم الحاضرة التي تستوجب كل هذا المن على المسلمين ؟ هل هي اذنتهم كليليا الى تركيا ؟ فهذا قد بينا أسبابه ، وان فرنسا لم يمكنها أن تعمل غير ذلك في الآونة الحاضرة . أم اعطاءها حق الانتقابات لمسلمي الجزائر ، وهو ادنى ما يمكن أن يكافأ به قوم قدموا لها نحو ٣٠٠ ألف مقاتل في الحرب العامة ، تلف منهم ٦٢ ألفا . فبدلا من أن نسويهم باليهود أو المالطيين على الأقل ، كان أنهي ما منحهم من الحقوق ان يكونوا ناخبين لاجزاء المجالس البلدية . أم سباحها بزيادة عدد الوطنيين في الندوة التونسية ، لكن بشرط ان لا يكونوا الاغلبية وان لا يكون لهم الحق في التعرض للامور السياسية أبدا . وان لا يمسوا بقي المادي . الاستعمارية الماشية عليها حكومة تونس ؟ أم أخذها السورية التي ثلاثة ارباعها مسلمون نقضا لكل عهد وميثاق ، وتعدى على حقوق الامم وخلافا لتصرحاتها اثناء الحرب ، ثم معاملة سورية بصفة مستعمرة ، واستنزاف أموالها ، والحلل بوحدها ، وإثارة الاحقاد الدينية التي كانت ساكنة فيها منذ زمن طويل ، وحبس مذكراتها ونهباتها لمطالبتهم اياها باستقلال بلادهم ، واعتبار سورية أرضا فرنسية مع الحزق بأهلها بأنهم هم مستقلون ، وانها هي التي انتدبتها جمعية الأمم للرعاية عليهم لترشدهم وتعلمهم كيف يدبرون فيما بعد أنفسهم بأنفسهم . أم الحرب القائمة بينها وبين أهالي مراکش والتي لولا حسن ادارة المارشال ليوني بنفسه ، لكانت غير منعصرة في بعض جهات تلك الساطنة بل كانت طامة للجميع ؟ ما هي خطتهم الحاضرة اذ ، وماذا فيها من هذه الأيادي البيضاء على المسلمين ؟ لما انتصر الاتراك على اليونان لم تزد فرنسا أن تنصير لليونان كما أراد لويد جورج ، لكونها من النزاع مع المانية في شغل



يستغرق كل قوتها ، فالت إلى الصلح ولم تكن في ذلك وحدها ، بل كان رأي الجميع والا تنكيز أنفسهم الذين اسقطوا لويد جورج وضع حد لهذه الحرب في المشرق ، ومع هذا فقد اجد الناس كلهم - الا اليونان فقط - سياسة الدول السلبية وسياسة فرنسا من الجملة ، وأظهر لها مسلمو المغرب الشكر على سداد هذه السياسة ، التي هي كلها في مصلحة نفسها في الواقع ولكن لم تلبث ان تغاضت بدل مسائلها هذه التي لم تكن فيها بالمفردة مطالب اقتصادية ثقيلة على الأتراك ودعاوي خارجة عن العدل والنصف ، ومن جعلتها التحريض على الترك في النزول لها من حق سيادة الدولة العثمانية على سورية .

إذا بماذا نحن فرنسا ونعتقد على المسلمين ؟ حتى يقرع لابون بعض هؤلاء قومه بأنهم كانوا مسرورين من مظاهر الرضى التي أبدعها مسلمو المغرب .

ثم يجدر أبناء جنسه من الاغترار بظاهر الشرقي الذي يخفي الحقد ويبيد الولاء . ولا ننكر أن هذا من الأمور التي يتجاوز بها الشرقيون الحد المقبول ، والتي كانت السبب في كثير من المضار ، لأن الأجنبي من شأنه أن لا يحمل الافراط في السكينة الا عمل الضعف ، وأنه كلما تواضع الانسان أمامه احتقره واستصغر شأنه ، هذا مجرب فيهم الا مآدر . ولكن الشرقيين مفلطرون على الجمالة ، فتراهم يظهرون التردد الى أقوام استولوا على بلدانهم واستبدوهم ، هؤلاء الذين عرفوا جيداً ماذا فعلوا بهم ويسرفون أن سياستهم معهم لا توجب أدنى مودة ، يعتقدون أن هذه الظواهر هي كلها كذب وملقى ورتاء ، وأنه كل من وراءها الحقد والبغضاء اذ لا يعقل أن الانسان يحب من أساء اليه . فليحقر الشرقيون والمسلمون من أن يأنوا بتصادق كلام هذا الرجل ، وليجملوا للجمالة حداً لئلا يتهموا بالرتاء والخداع . فلفند كان من الافراط بهذه الجمالة من النتيجة السيئة في احتلال سورية ، وادعاء أن أهلها هم الذين طلبوا ذلك ما ليس هنا محل بيانه وما طالما نهينا اليه . أما دعواه بأن الاسلام مبني على الخضوع للقوة القاهرة فكذب محض ، واختلاف منه ، قال الاسلام أمر بأوامر ونهي عن نواه لا بد للمسلم أن يجري عليها اذا أراد أن يبقى مسلماً ، مهما وقف في طريقه ولو ذهبت بذلك نفسه . وهذا مبسوط في كتب الشريعة التي يفترى عليها لابون بدون علم ولا حياء ، وليس للمسلم أن يتقي في دينه الا في بعض نقاط لا يكون فيها خطر على وجود الاسلام ، ولو كان المسلم مأموراً بالاستسلام للقوة الغالبة ، لما قاوم الرسول صلى الله عليه وسلم قريشاً وهي أقوى منه ، ولا قاوم الخلفاء الراشدين تلك الأمم كلها ودوغوها وهم لم يكونوا شيئاً يأنقاس الي ما كانت عليه تلك الأمم . كلا ، فالاسلام مبني على العزة وعدم المبالاة بالحياة ولا بالمال في الدب عن شريعة الاسلام ، وان القرآن ملآن بذلك والحديث الشريف مستفيض به ، وما سقط الاسلام الا بعد أن قتر عمل أهله بتلك الآي ، وغلبت عليهم « كراهية الموت وحب الدنيا » . وفقاً للحديث النبوي الذي أنبأهم بالحالة التي وصلوا اليها وبلاسباب الداهية التي حصرها ، وهو حديث « يوشك أن تنداهي عليكم الأمم من كل جانب تنداهي الأسكة على القصاص الخ » .

ثم يقول ان ابتهاج الاسلام بسنة بقور بعض لم يكن من قبل ذا بال ، نظراً لقوة أوربا واتحادها في وجهه بخلاف ما هي اليوم ، والروسية التي كانت أعظم ضاغط على الاسلام صارت

في هذه الاونة تنصره وتشد أزره . والجواب أن تضامن أوروبا كلها على الاسلام ، كاف بدون الروسية ، ولا شك أن الحرب العامة قد استنزفت قوى أوروبا والروسية ، وكرهت الحرب الى السواد الأعظم من العالم فاستفاد الشرقيون كلهم من هذا الضعف بدون نزاع وهبوا للمطالبة باستقلالهم ورفع الانياز عن اعناقهم ، ومن يلومهم على ذلك الا الذين لا وجدان لهم مثل هذا الكتاب والحرب الذي هو منه ، على أنه لو فرض أنها لم تحصل الحرب العامة لما كان الشرقيون راضين بأن يبقوا عبيداً الى الأبد .

أما ابتهاج الاتراك بل المسلمين أجمع بنصرة المراكنيين على الاسبانول فليس فيه شيء من العجب ، فقد كان الاوربيون كلهم منبهجين بانتصار البلقانيين على الاتراك ابتهاجاً ، أنسأهم كل ما ارتكبه البلقان واليونان والصرب من الفظائع في تلك الحرب ، وكان أحلى ما يروى للانكليز يومئذ وقائع الجبل الاسود التي تجلت فيها بسالة ذلك الشعب الصغير الأتبي ، أفلا يحق للمسلمين أن يتنهجوا بنصرة قذبة قليلة من المغاربة ، كلهم قبائل متطوعة ، على دولة عظيمة سافت لهم ٢٠٠ ألف مقاتل ، فاستأصلوا منهم نحو ٣٠ ألفاً وغنموا ١٢٠ ألفاً و ٧٠ ألف بندقية وانتهى الامر بأن عاد الاسبانول كما جاءوا لم يفوزوا بباطل . ان فرنسا وتشد مع بنضها لاسانية والمنافسة بينهما على طنجة وغيرها ، لم يسرها فوز الريفيين ، بل أوجست منه خيفة وعاروت اسبانية بما أمكنها . وان الامير محمد عبد الكريم أرسل وقدأ الى لندن يائس وساطة انكثرة في الصلح ، فلم تقبل انكثرة هذه الوساطة ، مع شدة ادعائها بحجة السلام . فلماذا العمري ؟ الجواب بسيط ، وهو لاجل الشكاغل الاوربي في وجه الاسلام . وكذلك المسلمون يفرحون بنظر الريفيين ، أولاً ، لكونهم اخوانهم في الدين ، ثانياً ، لكونهم فئة قليلة مظلومة ، فلبت فئة كثيرة قوية ظالمة ، طامعة الى استبعاد تلك الفئة القليلة العدد الالابية الضيم .

أما ما ادعاء من كون النادي الشرقي برلين هو من مراكز دعوة الجامعة الاسلامية ، وأنه يصدر جريدة لواء الاسلام لت هذه الدعوة ، فلما كان محرر هذه السطور هو رئيس النادي الشرقي برلين قد نشرنا في بعض الجرائد تنكدياً لدعواه هذه ، ولكون النادي هو تحت حماية مجلس برلين البلدي والجنرال فوندوروف ، كما افترى علينا كذباً وبهتاناً ، وبيناً أن النادي هو محفل اجتهامي ليس له شغل بالسياسة ، تأسس مجتمعا للشرقيين من كل الاجناس والاديان ، فقيه اترك ، وعرب ، وجركس ، وتتر ، وافغان وفرنس ، ومصريون وهنود ، ومثارية ، وفيه مسلمون ، ونصارى ، ويهود ، وراهمة الخ . وأن جريدة لواء الاسلام ليس لها أدنى علاقة بالنادي الشرقي . فاذا كانت كل معلومات لايقون هي من قبيل هذا الخبر فيكون مقصده التيهيج فقط ، لايهام أبناء جلدته وجود حركة اسلامية المانية ، ينوسل بها الى زيادة الضغط على المسلمين .

ثم زعم ان ليست نتائج الحرب العامة هي العامة فقط في هياج المسلمين ، بل هناك عوامل من طبيعة الاسلام نفسه ، لأن الاسلام لا يتخضع بزعمه الا للقوة . فكرر هدياته الاول الذي لم نعلم على أي شيء بناء ، اذ سنة الامم كلها أنها تخضع للقوة وتنتشر عند قوتها ، لم يتخضع الاسلام وحده بذلك ، بل الاسلام والشرق فيها بنابا من كرم الاخلاق ، والمقوعند القدرة



والسجاعة ، وترك الانسان حقه لجرد علو الهمة ، والميل الى المساكين وهذه كلها مناقب يهزأ بها الغرب ولا يفهم لها معنى ، بل يسمون ويقرأون نوادر كثيرة عن الشرقيين لاسيما العرب منهم ، وينقلونها في كتبهم من باب السكرم العريض والابشار على النفس وعنفو الموتور عن قواثر مجرد دخوله بيته ولو كان قاتلاً ابنته فلذة كبد ، وكلم من والد سامع يقتل ولده ووالده سمعت يقتل ولدها لحيي القاتل الى بينهم مستصفاً ، وكلم من تجاوز عن الذود وعن الدية مماً ، قول سمنا أو قرأنا ان قذراً أوريا غفل مثل ذلك مما يقع عند العرب كل يوم تقريباً ، وكلم في الخارج للاسلام من نوادر دفنوا عند القذرة ، قد عرف منها الافرنج شيئاً كثيراً باحتكاكهم مع عرب الاندلس ، وفي أثناء الحرب الصليبية مع صلاح الدين الايوبي الذي كانت سيرته بهم بعد سيرتهم بالاسلام عند دخولهم القدس سبب حار لاجمعي للصليبيين ، ( قتلوا ٧٠ الفا في المسجد الأقصى ولم ينفوا عن النساء ولا الاطفال ، فلما استرد صلاح الدين القدس لم يقتل منهم احداً ) كما أقر بذلك المؤرخون المصنفون من الافرنجة ، لأنها أظهرت ما هناك من سعة الفرق في علو النفس ، ورقة الاحساس ، بين الامم الاسلامية والامم الاوربية . اذ قال بعدهم ان المسلمين لا يخلصون الا القوة القاهرة ، وانهم لا يؤثر بهم حسن المعاملة ولا العدل ، بل العامل الوحيد الذي يؤثر بهم وبكفلى طاقتهم هو ارهاق الحد ، كبرت كلمة تخرج من أفواه هذا السكاتب وأمثاله ، ان يقولون الاكاذب .

والحقيقة هي ان القوة المسلحة هي العامل الوحيد الذي يؤثر بالافرنج ، وأقرب شاهد على ذلك مثل الترك الذي لاحابة لبيانه اذ كل أحد يعرفه ، فقد أصحمت اوربا آذانها عن جميع ما نادوها به من اليهود والمواثيق والتاركات والحقوق الدولية ، الى أن أمتوا قوتهم بالقبلة على اليونان وغيرهم ، فصرقتهم حينئذ بشراً ، ورضيت أن نجالسهم في مؤتمر لوزان ، وأخذت نصالهم وتداريهم . وهناك مثل اليابان التي لم تتغير عندهم دولة متقدمة الا بعد أن قهرت الروس ، وأثبتت قوتها العسكرية . كان أحد كبار الوزراء اليابانيين يحادث علي انطاني باشا سفير تركيا في رومة مؤخراً فقال له : « ان شئتم أنتم الاثراك أن تكونوا متدينين في نظر اوربا ، فاجتهدوا أن تكونوا أقوىاء لاغير . فانا نحن اليابانيين كنا بلقنا بلقنا ، ونجاولنا أمدهم في السلم والصناعة ، وصرفنا نصنع من الامثلة ما يصنع الذي يصنعونه ، ونبيهم بأنهم أرخص من أثمانهم ، ولبنوا يدوننا مع البرابرة . الى أن هجمنا في يوم من الايام على الروسية ، وندفنا لها بوارج بدون ادلائ حرب منا مخالفين بذلك الحقوق الحربية الدولية ، ثم ثابنا الحرب الى أن انتصرنا على الروس نهائياً ، وصرقوا انا نعرف أن نقتل ونهلك وندمر مثلاً يقتل الاوريون ويدمرون ، صرنا عندهم دولة عظيمة وصاروا يدوننا متدينين » . هذا كلام وزير ياباني كان تولى الصدرة في اليابان ، وان شاء الشرقي أن يفهم جيداً ما هي اوربا فلا يستظهر دائماً هذه الامثلة . ويعلم انه انما لم تكن لتوضح كل هذا من شأنهم في تقديس القوة المادية والتمسك على الضعيف والنجيبين القوي ، لو لم يكونوا دائماً يقدفوننا بهذه التهمة عنها ، فقد تكررت منهم هذه السكتات بحق الشرقيين الوفا من الرار . وعند كل مناسبة ، نجدهم يقولون : الشرقيون لا يعرفون الا القوة . الشرقيون لا يفهمون الا بلغة المسيف . الشرقي لا يأتي الا بالارهاب . لانفس انك مخاطب امة شرقية . اعلم انك في الشرق . وما أشبه ذلك ، والحق ان القوة

المطالبة هي مبيود الغريبتن قبل الشرقتن . ثم ذكر انه في الحرب العامة ، انقادت اكثرا لامم  
الاسلامية الى الحلفاء ، وقاتل منها مليون ونصف مليون مقاتل تحت رايتهم ، ولم يباوا اعلان  
الحليفة الجهاد ، وتبارى علماء المغرب في القضا بعدم وجوب الحرب في جانب الاثراك والالمان  
الى غير ذلك .

والجواب عليه ان كان يعني بالامم الاسلامية البامبارة والسنغاليين وامثالهم فهو لاء مساكين  
لا يقدرون على شيء ، ولا يعرفون شيئا ، بل تراهم كالانعام يساقون الى الجزيرة ، ولا يشمرون  
حتى يصل السكين الى أعناقهم ، ولم تترك فرنسا في سبيل ابقائهم في أدنى دركات الجهل والخيولة  
بينهم وبين الشريعة الاسلامية واللغة العربية واسطة الاستخدمتها ، لاجل أن تلعب بهم بالسكر ،  
وتقتاع منهم كل شيء اسمه اراصة ، فهو لاء لا كلام فيهم . أما الجزائريون والنويسيون  
والمراكشيون ، فمع كون الجهل أيضا مخيما على عامتهم ان لم يكن في نسبة السنغاليين قريبا  
منها ، ومع كونه لا يصعب على فرنسا شراء ضماير كثيرين منهم ، فقد طاف عمال الفرنسيين عليهم  
مخطوبون ويبتغون ويبتعدون والحجامع ويحدثون الملاء والرمضاء أثناء الحرب ، وفي كل أحاديثهم  
وخطبهم ، يصرحون بأن هذه الحرب هي حرب تحرير الامم . فكل من قاتل فيها وبذل دمه  
نال بعد الحرب استقلاله ، وكل من تخلف عنها لاحظه من الحرية ، وان هذه النوبة هي نوبة  
الجزائر وتونس لنيل الحكم الذاتي بحيث لا يبقى بينهما وبين فرنسا الا صلة حلف فقط . وان  
الالمان الذين هم أشد اعداء الاسلام ، قد غدعوا تركيا ، بل استمالوا فرقة الجون ترك فقط ،  
وهي الغالبية على الأمر والاخذة على يد السلطان الحليفة ، فأعلنت هذه الفرقة الحرب بدون  
علم الحليفة وبلا علم الامة ، وكذلك الفتوى بالجهاد هي تزوير من فرقة جون ترك ، هذه التي  
هي مأوفة من الاسلام تهين الدين وتجاهر بحدوده (واستشهدوا على ذلك بأشياء) ، وسيكون  
نصيب تركيا فيما لو انتصرت المانية ، السقوط بين ايدي الالمان الذين سيقضون على الاسلام  
القضاء الجبرم بعكس الحلفاء الذين هم أحياء الاسلام ، ولا يريدون بأهل الاخير ( ١ ) فبعد أن  
يتفق النصر للحلفاء ستمنح فرنسا الحكم الذاتي الى جميع مستعمراتها الاسلامية ، وستطلي  
انكسرة مصر استقلالها التام وسيساعد الحلفاء العرب على تأسيس سلطنة عربية ، تتألف من  
سورية وفلسطين والعراق وجزيرة العرب ، وعلى استئناف مجد الخلافة العباسية . وقالوا  
لاهل الهند انهم سينالون الحكم الذاتي بأجمعهم ، وأقسموا لهم جهد أيمانهم انهم ولوا انتصروا  
على تركيا ، فلا ينال تركيا من الحلفاء أدنى سوء ، بل كل ما يريدونه من تركيا هو الانفصال  
عن هذه الدولة الألمانية التي تنوي وضع اليد على تركيا . هذه النصر بجات والتأكيدات  
كررها الحلفاء التوقا من المرات الى اهالي مستعمراتهم الاسلامية . لا سيما الجزائر وتونس  
ومراكش ومصر والهند ، وعلى الامة العربية ، ولبنوا يكررونها الى السنة الرابعة من الحرب  
العامة ، اذ قوي أملهم بالنصر النهائي فبعد ذلك تغيرت نفقتهم ، وبدأت تلك الامم التي انقادت  
لرؤسوسهم تلحظ انها انما وقعت في شرك ، وانما كانت من مخوياتهم في غرور مبيت . ولقد  
أصاب احدى الجمعيات السورية في أمريكا بوصفها الحلفاء أثناء الحرب العامة وهم يشنون الدعوة  
لقضية تحرير الشعوب بزمهم . قتالت في منشور اذاعته بعد الحرب : « نلوا رأيت الحلفاء  
ودموعهم تسيل ، وهم يستقنضون الامم لنصرتهم في هذه الحرب التي لم يتابعوها بزمهم الا



لأجل تحرير الأمم كافة ، وقهر التسلط الألماني الخ ، نعم بقي الخلفاء يثبون ههنا الدعوة ودموعهم تسيل رقة وحنا ( ١ ) إلى أن قضوا وطسروهم ، فغلبوا ظهر الجبن لكل من طعنهم وقاتل في صفوفهم ، وجفت دموعهم إذ ذاك ، وعادوا ذئاباً بعد أن كانوا حملاناً ، وتناسوا كل ما تعدوا به أثناء الحرب بدون أدنى خجل ولا وجل ، فذلك حاجت أحقاد تلك الأمم التي خدعوها بزخرف القول وختلوها بمواعيد ، لم تعد مواعيد عرقوب عندها شيئاً ، وقاموا عليهم من كل جهة ، فنهضت مصر تطالب باستقلالها التام ولم تزل ناهضة ، وحتى أهل الجزائر من خلف المواقيد الفرنسية حقاً دل عليه صليبيهم في انتخابات ١٩١٩ ، التي لم يرشحوا فيها واحداً موالياً لفرنسا - ولا تزال الحركة الوطنية تقوى فيما بينهم بفضل سوء السياسة الاستعمارية لا بدسائس الاناضول ولا بتحريكات الجامعة الإسلامية ، وزدادت ثورة المراكشيين اشتعالاً ، وهي منذ خمس سنين مضت من بعد الحرب العامة لم تسكن يوماً واحداً . وثارت الهند ثورات مختلفة الانواع ، منها بالسلاح كما في شمالي الهند وكثيرة المولاء في القليبار وغيرها ، ومنها بالسياسة كالقوميون الوطني الذي انقعد ممثلاً من جميع شعوب الهند وادبائها ، والاتحاد المسلمين والهندوس ، وكقيام جمية الخلافة ، وكناطلة المتاجر البريطانية بحيث نقصت في الهند نحو ٣٠ في المائة . ثم قام أهل العراق في وجه الانكاز ، الذين كانوا أعلنوا لهم يوم دخولهم بغداد سنة ١٩١٧ ، أنهم لم يأتوا ليلبسوا بلادهم ، بل ليعبدوا اليها الحكم العربي كما كان ، فلما استوسق الظفر لانكثرة حاولت الاستيلاء على العراق والحاقها بالهند ، فثار العراقيون بها مدة سنتين اذافوها فيها عرق القرية ، ولم يضعوا السلاح حتى مكنتهم من تأسيس حكومة عربية ، اشترطوا أن تكون مستقلة استقلالاً تاماً ، ولن يبرحوا حتى يروا استقلالها تاماً . وأما أهل تونس فترك القول لهم ، فقد ورد في كتاب « تونس الشبيبة » المطبوع في باريس سنة ١٩٢٠ في خلاصة الكتاب ما يأتي :

« كانت مفاداة الشعب التونسي بجانب فرنسا ، في الحرب التي اكتسحت العالم للمتمدن ٦٥ ألف مقاتل و ٣٠ ألف قاتل من أمة لا تزيد على مليونين من النفوس ، وقد قتل وجرح من الخسة والسنين ألف مقاتل ٤٥ ألفاً ، وكانت لنا ثمة تامة في الحصول على أمانينا القومية على أثر ظفر الحق ( ١ ) والعدل بين الأمم ، وتنفيذ مبدأ تمثيل الشعوب لمصيرها ، الذي كان أعظم رجال الدول نادوا به ووعدوا به هذه الشعوب أمام الله والناس . فهذه الثقة هي التي حملتنا على القيام بواجب المشاطرة الوجيمة بدون قيد ولا شرط في الحرب العظمى العائدة لخلاصنا فكان ديناً على فرنسا اعطائنا حريتنا من وجهين الأول : الخسائر التي تحملناها من أجلها والثاني ، المواعيد الشبيهة التي قطعها لنا ، فقد نالت الشعوب الصغيرة حتى من التي كانت في صفوف الأعداء حريتها ، أما نحن فقد ادعرت لنا فرنسا لأجل المكافأة على خسائرتنا طريقة من أغرب ما يتصوره العقل ، وذلك بنهضة برنامج استعمار جديد زيادة على القديم ، تمكن به من غصب أملاكنا وهضم حقوقنا ، فقد اعترفت إيطاليا فئة من مسطليك الفرنسيين ومعتريهم ومحاربهم في بلادنا ، وتيسر أسباب معايشهم من مالنا ، وتقديم الأراضي اللازمة لهم من أرضنا ، فها هي قائمة فرنسا للمعري من متابعه خطة هي من سنة ١٨٨١ ، وعلى الخصوص من سنة ١٨٩٢ حتى اليوم مصدر كل عمل تأنيه في تونس ، وبدلاً من أن تمدل عنها ولو

على وجه المكافأة لرواياتنا من أجلها ، تكون النتيجة ، أنها بعد انتهاء حرب الحق والعدل (١) تزداد فيها توسعا وتفتنا الخ » .

لا قطع أن تنقل هنا كل ماورد في « تونس الشهيدة » من الحقائق الرسمية ، التي تثبت الى أي حد وصل الفرنسيين من استعمار تلك البلاد ، واستعباد أولئك البلاد ، وكما تقدم كانت مكافأتهم على الخدمة والاربعين الف رجل الذين قدموهم فداءً لفرنسا ، أن قررت الحكومة الفرنسية إرسال كل المحاربين والدفلة والافاقين الذين في بلادها الى تونس ، واعطاهم أراضي فيها من أملاك الحكومة التونسية وأرقاف التونسيين ، والاتفاق عليهم لمباراة تلك الاراضي بواسطة قرض يمتد باسم تونس ، ويدفع قائضه أهل تونس .

وبالجملـة فإذا شاهد السيو ووجر لايون ومن على شاكلة هيجانا في العالم الاسلامي ، فليبحث عن أسبابه في مظالم الحكومات الاستعمارية ، ونكبتها ، وماهيدها ، وخطبها هذه الشعوب بمسا المسف ، واستشارها بأراضيهم ، وأموالهم ، ووضعهم تحت أقدام المستعمرين حقارة وإهانة ، فالشعوب الاسلامية والشرقية مهما بلغ بها الضيف ظن نفر في يوم من الايام على العبودية للاوربيين ، بلزم أن يرفع الاوريون خيال تأييد هذه العبودية من رؤوسهم . وأما زعمه أنه بعد معاهدة مودروس كان الاسلام بأسره قد استخذى ، وصار منظره أي حكم يصدر من أوروبا ليطيعه ، وإن السبب في كونه رفع رأسه فيها بعد ، واستأنف آماله ، وعاد الى الخاصة ، هو ما رآه من انصراف الجيوش من الشرق ووقوع المنازعات بين الحلفاء ، فهذا كذب محض ، ويحتاج بحث ، ينقضه التاريخ وتكذيبه القبول الرسمية ، فقد وضعت الحرب أوزارها ، ومصر والاستانة والعراق والاناضول والقوقاس وسورية ملأى بجيوش الحلفاء التي لبثت مرابطة في هذه البلدان مدة طويلة . وعند ما أهالي مصر نهضوا لطلب استقلالهم كانت مصر تخرج بالجيش الانكليزي . وإن أهل العراق هموا لمقاومة انكسار غير هيا بين المائة والعشرين الف جندي ، التي ساقها عليهم ، كما أنه لما نهض مصطفى كمال في الاناضول كانت الجيوش الانكليزية في الاستانة والاناضول والقوقاس بعشرات الآلاف ، وكان جيش فرنساوي نحو ٤٥ الفاً في كيكسيا ، وجيش آخر في الاستانة وجوارها ، وكان جيش الارمن في حدود ارضروم ، وبعد ذلك زحف ١٥٠ الف يوناني ، فاطبق الاعداء على الاناضول من كل جهة ، ومع هذا فلم يزد الترك ذلك الا ثباتاً . فكيف يقال أنهم تشجعوا بانصراف الجيوش عنهم . وأما في سورية فبلغ عدد الجيش فرنساوي ٧٠ الف مقاتل ولم يمنع ذلك أهلها من مقاتلة الفرنسيين ، ولا صرفهم الخوف من كثافة الجيوش عن طلب حقهم الذي لا يزالون يطالبون به ، وأما شمالي الهند فلما زحفت غايه القبائل الافغانية وجيش كابول ، أرسد الانكليز لمقاتلتهم ٣٠٠ الف مقاتل ، فكيف يكون المسلمون قد طمعوا ونجروا أو بانصراف الجيوش عن بلدانهم . وكذلك فارس اجبرت الانكليز على الجلاء عن بلادها ، والجيش البريطاني منتشر في أكثر البلاد .

ثم يقول كان أكثر الناس مناهضة لقضية تجنيد الوطنيين ، هم الذين حصلوا العلم في مدارس فرنسا . إذا فالفرق الذي تلقى تربية اسلامية والفرق الذي تلقى تربية أوربية كلاهما واحد في طلب الحرية ، وهذا أمر بدعي ، إذ لا الاسلام يرضى لابتائه بهذا الاعتصام ،



ولا أوربا تحيظه على أمة من أبنائها ، وكلا التعليمين ملتقيان في نقطة الاستقلال وإن النسطة التي معناها أن المسلم لا بد أن يكون تحت حكم أوربي لأجل انتظام سير المدينة التي دياره تنمى منها ، هذه لا يقبلها المسلم العتيق ولا الجديد ، بل لا يقبلها أوربي عنده وجدان سليم ، وما هي إلا أكذوبة خلقت لتسويح الاستعمار واقناع الأحرار من الأوربيين ، الذين يقولون : « ما لنا وهؤلاء القوم نهضم حقوقهم ، ونسحقهم فيهم ، ونذهب فنقاتلهم في عقر دورهم » فيريد حزب الغزو والاستعمار أن يجاوبهم : « إن هذا ليس في شيء من الظلم ، لأن هؤلاء القوم لا يزالون عصاة على المدينة ما داموا مسلمين » . ثم يقول وهو من أغرب ماسع في باب القصة انه « منذ خفي العلم الفرنسي فوق مرسى الجزائر تكون بين هذه الأمة وعالم لم تعرفه من قبل » . وفي محل آخر يندب قصور عمال فرنسا في تأريث نار الشقاق بين العرب والبربر كما كان من قبل . وقلنا سمعنا أن قوما يدعون أنهم في أرقى طبقات المدينة يا سفوف من كونهم لم يحسنوا التفرقة ، ولم يحكموا المداوة بين الأمم التي ساء بختها بسقوطها تحت أيديهم ، ويعلنون أسفهم وندمهم من جراء هذا الإهمال . على أن كلامه هذا هو كذب محض ، فإن عمال فرنسا في الجزائر لم يهملوا وسيلة لشدة المداوة بين العرب والبربر إلا توسطوا بها ، ولكن الذي جمع بين العرب والبربر هو رابطة الاسلام ، ورابطة الظلم المحيط بالفرعيتين . وإذا كان عمال فرنسا منذ أول احتلالهم لسورية أي منذ سنة ١٩١٨ إلى ساعة تحرير هذه السطور ، لم يفتروا يوما واحدا عن تأريث الضغائن الدينية بين المسلمين والنصارى في سورية وبين النصارى والدروز في لبنان ، بعد أن كانت هذه الضغائن والدحول قد سكنت وتلاشت تقريبا ، تتجدد سورية ولبنان اليوم في أسوأ حال من هذه الجهة مما بقوته يد الاحتلال ، التي ظنت انها لا تحمد إلا على بساط شقاق ، ولا تمكن إلا من خلال فتنة . فإذنك بما كان يفعله عمال فرنسا في الجزائر من تحريك الاحن بين العرب والبربر الذين ليسوا في مستوى أهل سورية ، لكن فرنسا لا تسلك يد الاوتاسو باخرى ، فكل ما زرعه مما لها من الشقاق بين ذبك الجبلين في المغرب ذهب بفضل الظلم والفساد والامتنان وسوء الاداة ، التي رخصتها . وهذا شأن كل من حاق بهم خطر عام . وليس بصحيح انه لما دخل الفرنسيون الجزائر كان فيها ٨٠٠ ألف بربري غير مسلمين ، فالاسلام دين البربر قاطبة منذ أكثر من ألف سنة ، واللسان العربي هم يعرفونه جميعا الا ما ندر من جهلائهم . وقد اجتهد عمال فرنسا كثيرا في قتلهم في دينهم ، ووقفوا الى بعض ما قصدهم وذلك بأن ادخلوا عليهم الشكوك في عقائدهم ، فاصبح بعضهم مسطرين أو ملحدين ، ولكن لم يتمكنوا من نقلهم من الاسلام الى النصرانية . ولا يشكر أن كثيرا من الفرنسيين ومن محابهم ايضا ، هم من ذوي الوجدان والاستقامة وارباب العقل والحكمة فنهض عن استنامة طبع وطهارة وجدان ، تأبوا أن يزعموا مسلمي الجزائر في دينهم وإن يتمكنوا بعد المحافظة على حرية الدين الاسلامي ، ومنهم من حسن تدبير ، وبعد ابرار التحجيزوا أن يتعرضوا للجزائريين في عقائدهم وشرعيتهم خوفا من انتفاضهم ، وتناديا من زيادة نفوذهم ، فمؤلاهم هم الذين روجوا لاجل لا يزالون ينددونهم ، ويبيع عملهم ، ويزعم انهم كانوا يمزجون الاسلام ، ويحاولون على تأييده ، وليس الامر كذلك فما من

فرنسوي على وجه الارض عزز الاسلام أو سعى في نشره ، وانما هناك فئتان احدهما ، ترى التمرض للمسلمين في كل شيء حتى في دينهم وأخرى ، ترى ذلك من قبيل القمب بالذار وتتوجس من وراثته الثورات والفن ، فلا تحب ان تمرض الدعوة الدينية ، ولا ان تتبر هذا الساكن ، وان رضيت بشيء من ذلك تنكبت فيه الطرق الرسمية . على ان تميز غير المسلم على المسلم في شرقي افريقية وسائر مستعمرات فرنسا ، ليس مما تمشي فيه فرنسا الضراء . وناهيك انه من نحو جامين فقط ، اقترح أحد نواب السوسيا ليست في البرلمان الفرنسي إلغاء قانون ، بمقتضاه لا تعطى مكافآت مغاربة لدوي الخدمة النصوص الا للمسيحيين واليهود ، ومن ينصر من المسلمين . وهذا قانون ليس بقديم العهد ، بل وضعه مجلس نواب فرنسا سنة ثلاثين سنة ، وقد اجابت الحكومة على اقتراح النائب الاشتراكي بأنه يليق إلغاء هذا القانون بعد الحاسائر الجلية التي تحملها الجزائريون فداه لفرنسا . فانت ترى كذب دعوى هؤلاء ، الذين يزعمون ان الحكومة الفرنسية قصرت في احتشاد الاسلام واهتمامه في الجزائر . نعم هناك فئة قليلة من الفرنسيين ترى هذا الضغط بس التمييز ، ولعمري كل عاقل في الدنيا يحكم لهذه الفئة بالصواب في رأيها .

ثم بقري على الاسلام بقوله انه ما دان به شعب الا تأخر وتقهقر ، وانه مانع ، يتوانيه الدينية من الترقى الاجتماعي . والحال ان الاسلام ليس فيه شيء يمنع الترقى ، ولا يوجد شريعة في الدنيا تقدر العلم وتبلي شأن العرقان وتحمل العلماء تلوا الانبياء كشرية الاسلام ، واذا كانت الامم الاسلامية قد انحط شأنها في القرون الاخيرة لاسباب عديدة من جهلها ، تكالب اوروبا على بلادها ، وتظايرها على استئصال قوتها فلم يكن نفس الاسلام هو باعث الفقري بل كانت لذلك بواعث اخرى لم تحل منها امة ومثال ذلك ان اوروبا بقيت منحلة جاهلة ، متفشرة ، ملفوفة في حنادس الحمجية ، من بعد ما تنصرت بالف سنة . وبلغ من جهلها وانحطاطها ان مائة عربي اقتنحوا قسما من ايطالية وقسما من سويسرة في اوائل القرن العاشر ، واستولوا على أكثر الجبال والمضايق ، وبنوا القلاع والابراج ، وجاذبوا الجبل جميع ملوك تلك الاطراف ولبثوا مالكين هاتيك الحصون والقلاع ، ضارين على أهالي تلك البلاد الذلة والمسكنة نحو قرن تام ، ولم يكن عددهم انما ما نحووا وأكثر ما كثروا ليزيد على الف رجل ، يجتري به هذا الفتح العجيب عن ذكر فتوحات العرب للاندلس والجنوبي فرنسا وجنوبي ايطالية الخ ونهديمهم أهالي جميع الممالك التي احتلوها وغلوا عليها . فكما ان هجبة اوروبا لذلك العهد لم يكن السبب فيها الدين المسيحي ، فانحطاط الاسلام اليوم ليس السبب فيه الشرع الحمدي . وانما هي أدوار تتعاقب ، وثورات تتناوب ، وكل مملكة أو كل مدينة تطرأ عليها أحوال من داخلها ومن خارجها ، فتشقى وتسد ، ثم تعود فتشقى ثانية ، ثم تعود فتسد ثانية وهلم جرا . ولقد سمعت قرطاجنة ثم شفت وكان دينها واحدا ، ولقد حلت رومة في أيام الوثنية ثم سقطت في أيام النصرانية ، فهل كان الدين المسيحي هو السبب في سقوطها ؟ كلا . ثم هذه اسبانية منذ اربع مائة سنة ، كانت اقوى مملكة وازهر مملكة ، وكانت اكتشفت اميرا وصارت في بسطة مستعمراتها نظير انكثرة الحاضرة ، ثم لم تزل ترجع الى الوراء حتى طادت كالمريجون القديم ، وصارت تعجز عن قبائل الريف ، ولما كانت في عتجية عزها كانت نصرانية



والا وصلت الى حالتها بقيت نصرانية . وكان التتر ظالمين على الروس وملوك الروس يؤدون الجزية الى أعقاب تيمورلنك احقاباً متطاولة . ثم أصبح التتر كلهم رعياً الروس ، وصارت الملوك الباقية لهم اتجاهاً وخولا لقبصر الروسيا ، ولما علا التتر كانوا مصادين ولما انحط الروس كانوا نصارى ، والآن تغيرت الاحوال ، وكل باق على دينه . والدولة العثمانية الاسلامية وصلت الى يولونية ، واستولت على البحر ، وحاصرت فينا ، وصارت ملاذاً لفرنسا وناهضت أوروبا باجمعها قروناً عديدة ، وكانت هي مسلمة ، وكانت أوروبا نصرانية أكثر مما هي اليوم . فمن الغيب ان تقول ان الدين المسيحي أو الدين الاسلامي هو سبب تأخر هذه المملكة أو تقدمها وانما التأخر أو التقدم تكون له مقدمات وأسباب تفرقكم فتعمل عملها ، وتعلمك ان اليابان امة شرقية وثنية ، بلغت باجتهادها وصدق عزيمتها ان ضارعت أقوى دولة أوربية لا بل ، قهرت أقوى سلطنة مسيحية وهي الروسية ، فلما كانت لم تزل في دور الانحطاط جاهلة بجهولة ، علقوا ذلك في أوروبا بكونها امة غير أوربية ، وغير مسيحية ، كما يعلون اليوم أسباب تأخر ممالك الاسلام فلما نهضت اليابان نهضتها هذه ، وكذبت فلسفتهم المبينة على الاهواء والمآرب ، لم يقدروا ان يدعوا ان اليابانيين تنصروا حتى أمكنهم ان يتقدموا ، ولولا تنصرهم لما بلغوا هذه الدرجة فرحموا ان اليابانيين وان لم ينصروا فقد تنجحوا ، ولولم ينجحوا لم يصيروا الى هذه الرتبة . وبعضهم لم يجرأ ان يقول ان اليابانيين تنجحوا فقالوا ، ان اليابانيين قاموا بانقلاب اجتماعي في داخل بلادهم حتى رفعوا هذا الرقي . ان هذا لعنري كلام فارغ ، فان كل امة تعتمد على العلم والرفاه ، وتتمم المدارس في بلادها ، وتشتد الانوار من حيث أنت ، يحصل بها انقلاب اجتماعي بطبيعة الحال ، فاليابان نشدت العلم وأخذت ما عند الاوربيين من الممارف والفنون ولكنها بقيت شرقية في كل شيء ، بل بقيت على دينها مذهب سينتو مع مذهب بوذا ، لم تحو عنهما ، ويحطون من يظن ان اليابان بعد ان تلمت وثرفت ، أصبحت بلاد دين أو استغنت بالدين . فان كان من أهلها دهريون ، أو قائلون بالطبيعة ، أو بوجود قوة مبسدة لحسب ، فهو لاء يوجد منهم في كل امة . وبلا اختصار فيمكن الاسلام ان يرقى وفي اليابان وورق أوروبا ويبقى مسلماً ولكن الفئة المستعمرة من الافرنج يريدون ان يلبثوا مشاطين على بلاد الاسلام ، فلا يزالون يشتعلون لديمومة سلطتهم عليها أحاليل ومماذير ، من جعلنا ان الاسلام دين جود أو متار فوضى وخل ، فلا يترك وشأنه ، كما كرر ذلك هذا الرجل هذه مرار كذباً وميناً .

ومن غريب ما رواه ان قيساً هرباً من سورية جاء بلاد الجزائر وصارت له مكانة عند أبناء جلده حرب الجزائر . قالوا الامر من الفرنسيين هناك حرصاً على عدم تنصير المسلمين طردوه من الجزائر ، والذي يظهر لنا ان كانت هذه الحكاية صحيحة ان هذا القيس بسبب كون اخته هي العربية . اراد ان يدخل مع المسلمين في مباحثات ومناظرات دينية ، وربما يكون تجاوز الجدول الى النيل من الاسلام مما أدى الى هيجان الافكار ، ورفع بعض المسلمين التفتية الى أولى الامر ، فخافوا الفتنة وطردوا الكاهن المذكور وبرهنوا بطردهم آياه على عقل وحكمة . ولو أن داعياً مسلماً دخل بين جماعة من النصارى الذين نحت حكم الاسلام ، وطلق بمجادلهم في دينهم ويثير خواطرهم ، وكنت والبا في ذلك المكان لطردته ، وكان في ذلك عين المصاحبة . اما قول هذا الفرنسي ان الكاهن السوري كان عند أبناء جلده حرب الجزائر

فهو غريب ، فان الفرنسيين بعد دخولهم سورية جعلوا العرب غير السوريين والسوريين غير العرب ، واجتهدوا في اثبات كون السوريين هم من سلاسل الاراميين والفينيقيين وانهم ليسوا من العرب ، حال كون السوريين هم في الاغلب من العرب الذين اوطنوا سورية قبل الاسلام وبعده ، والذين هم من اصل فينيقي هم عرب أيضا لثبوت هجرة الفينيقيين من جزيرة العرب والذين هم من سلاسل الاراميين هذا كونهم ساميين ابتداء عن العرب قد ذهب الاكثرون من محققي علم التاريخ في أوروبا ، ان آباءهم الاراميين جاءوا أيضا من جزيرة العرب مهد الامم السامية بأسرها .

ثم ادعى انه لم نقس على الاسلام مدينة تذكر الا مدنة قصيرة أيام الامويين بالاندلس والباسيين في بغداد أي نحو ثمانمائة سنة في الاندلس ، ونحو خمسمائة سنة في بغداد ... فهذه الادوار وأما قصيرة لتعزيز برهانه السافط ، مع انها أحول على كل حال من مدينة أوروبا ، التي لم تبدأ إلا منذ اربعمائة سنة وفي القرون الوسطى كانت كدنية أوروبا اليوم ، وبعد ان اتهم الاسلام بالجور والظلم ، وعدم الفأية قنباة ، زعم انه أخذ اليوم يتوسل الى العلم ، ويجهت في صناعة السلاح ، ولم يقف عند السلاح المادي بل تجاوز الى السلاح المعنوي ، الذي هو العظم والنشر وصارت له جرائم كثيرة في الشرق والغرب قائمة بدعوة اتحاد الاسلام . اذن الاسلام لم يكن جامدا كما يدعي هؤلاء الناس . ثم يتكلم على اسلام السودان وانه مشوب بخرافات قبيحة ويتعامل بذلك خيرا ، وأكثر هؤلاء على هذا الخط من التناؤل بعدم تحققي السودان بالاسلام الحقيني ، فلا أكاد أقرأ لكاتب أو سائح أوروبي كلاما على اسلام الزنوج أو الجاوي أو الصينيين أو غيرهم ممن اسلموا حديثا الا رأيت يجهت في اثبات كون اسلامهم ليس ثلما ، وانه لا تزال عندهم عقائد وثنية أو عادات وثنية . وكأن هؤلاء الاوربيين يصلون انفسهم بذلك من قبل ، اللهم اننا لانسالك دفع القضاء ولكن نسألك القذف فيه . فساداتهم لمذهب بوذا ومذهب سينتو ودين براهما ، بل لمبادئ الضم نفسه ، ليست بدرجة عداوتهم للاسلام ، الذي كله توحيد ونزاهة . واما قوله ان الزنجي لم يسلم الا لينال رفعة ، ولما كان يرى الاوربي اعلى من المسلم فان الاولى ان يتخذ دين الاوربي لنفسه . فتجن لا يدونا أن الاسود الفتيشي يصير نصرانيا كما يدو أكثر الاوربيين صيرة الفتيشي مسلما ، لاننا نعلم ان النصرانية ترقى عقله وخالته ، وترفع سويته الاجتماعية مما كان . ولكن الزنوج الفتيشين بالرغم عن جماعات التبشير التي لا تم ولا تحصى وعن نفوذ أوروبا الذي يكتفها سواء من الدول السكائوليكية او البروتستانتية ، ومن كون الاوربي هو أعلى وأقوى من المسلم ، في نظر الزنوج ، فلا يزال هؤلاء يرجعون الاسلام ، ونحو ٤٠ مليون من هؤلاء دنوا به في القرن الماضي ، وفي هذه المدنة ، بدون بنات ، ولا جماعات ، ولا دول تمضد الجماعات . ولا تذكر ان كثيرين من هؤلاء الزنوج الفتيشين تصرخوا ، وقد احسنوا بذلك صنعا ، لكن هؤلاء فئة قليلة في جانب الذين اسلموا كما يعترف بذلك سياح الاوربيين ، الذين جالوا في افريقية وكتبوا عنها ، وانفس المبشرين والرهبان اللاتين بالزيان البيض وغيرهم ، ممن كتبائهم ملأت الدنيا بهذه القضية . ثم قال : ان البلاد الغارية في الشمال هي غير مساعدة على انتشار الاسلام فيها ، لأن طول النهار المفرط وقصره المفرط ، يحدتان خلا بمواقيت الصلاة ، فيتطرق الشك الى قلب المؤمن .



ال غير ذلك من التهنك والرفاعة مما كنا نحب ان لا نجاربه عليه لسخفه ، ولكن قلنا حيث اننا  
خضنا في هذا الموضوع فلنناوله باطرافه فنقول :

ان احكام الصلاة والصوم جعلت لأغاية البلاد التي فيها النهار نهار والليل ليل ، ولا يضر  
تلك الاحكام بعض أقسام من الكرة هي من النادر الذي لا يعتد به . على ان الفقهاء فرووا  
انه في مثل هذه الاصقاع النادرة ، التي يقول فيها النهار هذا الطول المفرط أو يقصر هذا  
القصر المفرط ، يكون العمل في الصلاة والصوم منبسطاً عليه في أقرب بلد من تلك الجهات ،  
وانحل بذلك الاشكال ، وليس في الاسلام حرج بل هو أوسع واسمح مما يتخيله هؤلاء  
القوم أو مما يريدون ان يخيلوه لابناء جلدتهم ، وان القرآن الكريم ليس بكتاب جغرافية  
ولا قوسوغرافية ، بل كتاب توحيد وتزكية وشهيد نفوس ، وتطهير اخلاق ، ومع هذا  
فلم يرد فيه شيء يخالف قواعد العلم بل وجدت فيه آيات بينات بحار غير المؤمن بالوحي من  
شدة مطابقتها للتحقيقات الحديثة سواء في علم الفلك أو في علم تكوين الارض ، مما كان في  
عهد نزول القرآن مجهولاً ، وذلك مثل آية « أو لم ير الذين كفروا ان السموات والارض  
كانتا سماءاً واحدة فنفقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي » ، تأمل ما في هذه الآية من الانطباع على  
جميع النظريات العلمية الحديثة التي معناها ان الارض والاحرام الفلكية كلها كانت كتلة واحدة  
فانفصل بعضها من بعض ، وكذلك ان الحياة بدأت في المياه . ثم تأمل هذه الآية « وكل في  
فلك يسبحون » التي تثبت انه لا يوجد في الفلك جرم غير منحرك على الاحلاق مع أن  
الفلكيين في عصر القرآن كانوا يقولون بالسيارات والنوابت حتى التجأوا يومئذ عند تفسير هذه  
الآية الى التناويلات والاحتمالات البعيدة ، الى ان تقرر في علم الهيئة الجديد كون الاجرام  
الفلكية باجمعها منحركة ، وصدقت الآية بدون أدنى تأويل . وانظر الى قوله تعالى « من كل  
زوج بهيج » وكيف كرر ذلك مراراً حتى يفهم الانسان ان الخلق كله من حيوان ونبات  
وجاد « مني على الازدواج حتى النبات فيه ذلك ، والجناد فيه القوتان السبية والايحائية مما لم  
يكن شيء منه معلوما في زمن البعثة ، فلم يفهم العلماء بعد مرماه الى أن تكفلت به التحقيقات المصرية .  
وأعمن النظر في قوله « و ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » مما هو اقل  
اللازم لكيفية دوران الأرض مع سكونها الظاهر وتدبر قوله « انه نور السموات والارض  
مثل نوره كشكاة فيها مصباح » الآية التي تشير فيها الى القوة الكهربائية وغير ذلك من  
الآيات التي تدهش الفاري المتعلم ، بما فيها من الحقائق العلمية بشرط أن يكون ذا ملكة  
مربية ، يقدر بها أن يتدبر معنى نور تلك الآيات لا أن يكون أجنبياً عن أدب العربية . وقد  
الف العلامة الفلكي العظيم ، المنقطع النظير في علم الفلك والطبيعة والتقويم المرحوم الفارسي  
احمد مختار باشا كتاباً في تطبيق الآي التراتية على العلوم المصرية ، جمع فيه نحو تسعين آية  
كريمة ، وأوضح ما جمعت من القواعد العلمية بأوجز لفظ وأقصر تعبير يعجز عن مثله البشر ، كما  
أنه شرح هذه النظريات كلها حسبما اتفق عليه علماء المعصر الحاضر ، وأخرج منها وجوه المطابقة  
طامة كالكشمس ، وبلغني ان أحد الضباط الانراك ممن نبغ في علم الفلك والهيئة ، نبوغاً باعراً  
قد ألف كتاباً مهماً جليلاً أجاد فيه الى الدرجة القصوى تطبيق قواعد هذا العلم على القرآن ،  
فصلت بكتابه هذا بعض جمليات التبشير اليهودية ، فأخذوا براودونه في أن يبيهم اياه بشن

جزيل لاجل أن يحرقوه ، ويخفوا من الارض كتاباً فنياً يستدل به على فضل القرآن المجيد ،  
والنطق على العلم . وليس هذا بعيد عن هذه الجمعيات المتهوسة . ولولا كوننا تتعاضد عن  
الناقضات الدينية ، ونكرها ونعتقد ضررها ، وتوجب حرمة الكتب السماوية التي تملك بها  
أديان محترمة كالدين المسيحي وشرعية موسى ، لاوردنا في مقابلة نهكم هذا الرجل بالقرآن أقوال  
العلماء المحققين من أبناء جلدته الفرنسيين ، في ابطال نظريات التوراة من جهة تكوين الارض  
وبدء الخلق ولكننا نؤثر اجتناب كل قول يمس عواطف هذه الملل الكريمة التي نرى أعظم  
خدمة للانسانية ايجاد الوثام بينها وبين الاسلام ، ولكن ان أبى الا المراء نجعله على كلام كبير  
فلكي فرساوي المسيو فلانمايون الشهير ، في خاطراته من صفحة ١٧٠ الى صفحة ١٧٨  
حيث يذكر أنه كان مؤمناً معتقداً ناشئاً نشأه دينة ، وفي كذلك الى الثامنة عشرة من عمره ،  
اذ بدأت تحالجه الشكوك وذكر أسباب هذه الشكوك وأظهر أن أصلها هو عدم الانطباق بين  
الفن والدين ، وأتى هناك على قصة كوبرنيك ، ثم غاييه الفلكيين العظيمين ، والحرم الذي صدر  
بحق الاول ثم الثاني . وان شاء التوسع في ذلك قليلاً كتاب « اختلاف العلم والدين »  
للعلامة دواير الأميركاني وغيره مما لاشأن لنا فيه ، لأننا نحن هنا في مقام سياسي لا يجب أن  
نخرج عنه ولاأنا نكره المناقضات الدينية ، ولنا على رأي التهافت على الكتب السماوية  
بالانتقاد والتخطئة كلها وردت فيها عبارة مخالف قاعدة علمية أو حقيقة فلكية فتندها ،  
فإن هذه الكتب إنما هي الفرض آخر أغروي ، ولا بد من أن ينظر فيها الى طاقة العوام في  
الفهم والآفات الفرض المقصود منها ، فضلاً عما في آيات هاتيك الكتب المقدسة من الكتابات  
والجبارات المألومة في اللغات التي جاءت بها ، فلا بد لقارئها من أن يلحظ هذا الامر .

ثم قال ان الاسلام لم يوجد ليجتد الا في صحاري آسية الواسعة التي تتجلى فيها عظمة الله ،  
ولا يصلح بين الأشجار والشجر الكبار التي تحب الاقنى بينها ضيقاً كما في بلاد خط الاستواء  
حيث تصعب معرفة القبلة . وأيم الله قد وصل هذا الكاتب من الرقاعة ، الى حد أن صار  
الانسان لايشترى الى الجواب على كلامه أصلاً ولقد ثبت أن الاسلام منتشر في خط الاستواء  
أكثر من كل مذهب آخر ، ولكن قد ظهرت ثبته من هذه الملاحظات ، وهي أن يحول  
الحكومة الفرنسية على عدم الاعتراف باسلام السود ، ومعاملتهم كزنج فتيشين تنصرف  
الحكومة بهم كاتشاء في العقيدة كما أنه يوجد في جزيرة ماداغسكر قبائل كثيرة أسلمت بواسطة  
الغاريين على تلك الجزيرة من عرب زنجبار وجزر القمر ، فلم تنشأ الحكومة الفرنسية للسيطرة  
على الجزيرة أن تعرفهم بصفة مسلمين ، بل بقيت تعدمهم وتبين ولا تعتبر مسلمين الا المسلمين  
الغرياء النازلين بالمواني ، وما المقصود من انكارها اسلامهم الا للعرض لهم في عقائدهم وردهم  
عن الاسلام قسراً .

ثم لاجل ترغيب الحكومات الاوربية في تصير الزنج ومنع انتشار الاسلام قال ، ان  
أقلية ذات بال من السنيغال صارت مسيحية ، وان أهالي الاوغانده صاروا كلهم نصارى ،  
فليس الاسلام هو الدين الطبيعي للسود كما يقال دائماً . ونحن نجابه انهم ان كانوا نصارى  
فهو أفضل جدا عند الاسلام من أن يبقوا فتيشين يبدون الوثن أو النار أو مظهر من مظاهر  
الطبيعة فان النصرانية تزلهم من الانسانية وتبث فيهم روح الفضيلة ، وتقتلهم من ذلك



التوحش الذي كانوا فيه . وذلك بخلاف ما يمتنى كثير من الاوربيين ، الذين أعمى الغرض  
 قلوبهم من أن يبقى الزنوج على الوثنية ولا يصيروا مسلمين ، مع أنهم في دوائر ضائقة  
 يعلمون مزايا الاسلام المالية ورغبة أهالي افريقية فيه أكثر من غيرهم . أما قوله ان جميع أهالي  
 الاوغانده صاروا نصارى ففيه مبالغه وهو مثل قوله ان بلاداً بأسرها مثل هرر صار أهلها  
 نصارى . وهناك ماورد من الاوغانده في انسيكلوبيديه المسيو موريس قال Maurice wale  
 ان الترتيبية الجغرافية ومؤلفها من فعول علماء فرنسا ، وهو مفتش المعارف العمومية في  
 المستعمرات أي خبير بأحوالها فهو يقول عن الاوغانده : « أنها فطرت في الشمال الغربي من بحيرة  
 فيكتوريا نيازا ، مساحتها ١٥٠ ألف كيلو متر مربع وأهلها مليون نسمة » قد حصلت فيها  
 قلاقل على أثر موت الملك مئيزا بسبب المظاهرات الدينية بين المسلمين والكاثوليك والبروتستانت ،  
 وقد قلب البروتستانت على الآخرين بعض ضباط الانكباذ لهم \* والاوغانده هي تحت  
 حاية انكبترة \* انتهى . قلنا ان الانكباذ اقتطعوا الاوغانده من أصل السوادن المصري  
 استبعاداً من عند أنفسهم وضموها الى مستعمراتهم ، ولم يرضوا ان يبقوها من جملة السودان  
 المصري ، لان السودان المصري هو بزعمهم تحت حكم مشترك بين انكبترة ومصر فالانكباذ  
 مضطرون ان يقبلوا ولو بالاسم بقاء حصص مصر في حكم السودان المصري ، لكنهم يريدون  
 ان ينفردوا وحدهم بملك الاوغانده ، وقد عززوا البعثات البروتستانية هناك بكل قوتهم ،  
 ولكنهم لم يقدروا أن يستأصلوا الاسلام من تلك الارض . وأما عن هرر فيقول المسيو قال  
 انه قد اقتطعها منك بحاشي الحبشة سنة ١٨٨٧ \* وكانت من سنة ١٨٧٥ ناصية لمصر ، وان  
 أهلها ٣٥ ألف نسمة مسلمون شيعية . أما في دائرة المعارف الاسلامية فيقول ان أهلها ٥٠ ألف  
 نسمة ، منهم الثلث من أهل البلاد الأصليين ، والباقيون من سوماليين وحبش وبنودوسوريين  
 وارمن وروم واوربيين . الى ان يقول ان الاسلام دخل هرر منذ سنة ١٠٠٠ للمسيح \* فهو  
 فيها قديم جداً ، ولا يزال يطراً عليها الناس من جزيرة العرب ومصر ويشتوق دعوة الاسلام من  
 هرر في بلاد غاللا Gallu الوثنية \* وقد نقصت هذه الدعوة قليلا بعد مجيئ الحبش المسيحيين ،  
 لكن مسلمي هرر لا يزالون ممدودين من المفسدين في دينهم ، وقد ذكر المسيو موريه Marie  
 الفرنسي في كتابه تاريخ الحبشة المصنوع سنة ١٩٠٤ \* ان الاميراطور مابيك بعد أن فتح  
 هرر وبدد جميع الأمير عبد الله علي عبد الشكور ، هدم الجامع الأعظم في هرر وأقام محله  
 كنيسة . ولم يقل ان أهل هرر تركوا الاسلام ، ولا أحد قال انهم تركوه .  
 ثم قال انه كان عمل المبشرين شاقاً في البلاد الاسلامية ، فهذا من أجل كونهم يحاولون وضع  
 حديدة امام راقية جداً محل عقائد أقوام هم في أدنى الدرجات . نحن نتمسك القلم عن الرد على  
 هذه الفقرة التي لا تدل على شيء سوى قسوة قلوبهم على حين ان الاسلام يهزأ بهذه اللطائف .  
 على ان لا يكون يحمل نصرانية القرون الأولى ( أي النصرانية التي هي فريضة العهد من السيد  
 المسيح والحواريين ) ايضاً من قبيل الاسلام في ملائحته للمستوى المعنوي المنخفض ، فليأمل  
 الانسان وليتدبر في قسوة هؤلاء الناس حتى على الدين الذي يفتنون اليه ، ويريدون بث  
 دعوته بزعمهم .  
 وبعد ان أشار بالنضيق على التعليم الاسلامي ، ومراقبة من يواظب على صلاته من مسلمي

السيغال ، وبين مضار الحج ، وحرص على جميع هذه التدابير ، التي يعلم منها مبلغ احترام هؤلاء القوم للعربية الدينية ، عاد فأشار بالطرق الثلاثة الى قلع اللغة العربية من شمالي افريقية ، وجعل الفرنسية لغة الاهالي .

ومن الغريب انه استشهد على وجوب هذه الطريقة ، بكلام بول برت الذي يقول ، ان حل المسئلة العربية هو بالكتاتيب ، وانني ان اوى في كل قرية من قري المغرب معداً عربياً ومعلماً فرنسويًا . فكلام بول برت كلام رجل طاقل مجرب لاغيار عليه ، وليس منا من يكره أن يتعلم مسلمو المغرب و افريقية اللغة الفرنسية ، بل نود ذلك من صميم اقتدنا . وأما الذي يمارسه المسلمون بكل قوتهم هو ان تحمل اللغة الفرنسية على اللغة العربية ونصير هي لغتهم النومية ، اذ لا يوجد في الدنيا قوم يرضون بسب لغتهم مهما كانت ، فذا ظنك بالناطقين بالعربية التي يتخبر بها كل منسوب اليها ، ويجعل قمرها حتى الغرياء عنها . وأما استتهاده بانتشار اللغة الفرنسية في الشرق وزعمه أنه قد قلدها الاكراد والترك والدرج والارمن والكرج الخ ، فمع كونه بالغ في دعواه هذه مبالغة عظيمة ، اذ ليس الامر كما يقول ، وان تعلم الفرنسية منحصر في الطبقة الراقية فقط ، فانه لا ينطبق على الفرض الذي يتوخاه ، لأن مقصود هذه اللغة المستعمرة أن تحو اللغة العربية تدريجاً من المغرب ، وتحمل الناشئة الاسلامية منذ الصغر على اللغة الفرنسية توسلاً بذلك الى محو الاسلام ، القائم هناك باللغة العربية . مع ان الامم الشرقية التي يذكر أنها كلها تعلمت اللغة الفرنسية لم تجعل هذه اللغة لسانها القومي ، بل جعلتها مقدمة اللغات الاجنبية التي يناسب تعلمها لغيره ، فذلك لم يحدث من تعلم الفرنسي أدنى محدود مادام تعلماً اختيارياً لا يضر باللغات القومية ، بل يزيد عليها . ولكن متى حاولت فرنسا عمداً وقصداً قلع اللغة العربية رأساً أو تدريجاً ، وقصر المفاصلة على الفرنسية ، قامت عليها القيامة في جميع تلك الاقطار وفي غيرها ، وأظن أن المقلد في فرنسا يدركون استحالة ذلك .

ولقد تقدم في هذه المجلة ما يكفي من مؤونة الرد على سائر كلامه ، الذي تجده كثيراً ما ينقض بعضه بعضاً ، ومن جهة تناقضاته انه بعد كل حملاته الشديدة على الاسلام يقول انهم لا يحذرون في تونس من عامة الأهالي الرافدين في السمادة والامان ( كما هم راتيون أهل سورية الآن . بل أهل سورية لا يزالون أسعد حالاً ، لأن اليد لما تمتد الى غصب أراضيهم وأوقافهم ) ولا يحذرون من الاسلام نفسه ، الذي أعلى نفوس هذه الاقوام ، حتى تحدث ما تحدث من الحسائر الفادحة . فعرف هنا ان الاسلام يعل النفوس ، وينهض بالهمم . قال ولكنهم يحذرون من تلك الطبقة المتعلمة الذين قرأوا أشياء فاسدة مضى عنها قلوبهم . ولمعري ما من امة في الارض قام بتحريرها الا نهباؤها والطبقة المتعلمة منها فلماذا اذا قام الأروام أو البلغار أو الصرب أو الأرمن أو الكرج الخ ، يطلب استقلالهم كانت الطبقة الناهضة منهم محل اعجاب اوربا وثنائها ، وعطفت جميع تلك الدول المتقدمة عليها ، فإذا جاء الدور الى امة مسلمة تطلب تحريرها ، قامت اوربا سداً في وجه مطالبها ولو كانت هي اليوم أرق من هانيك الامم عند ما نهضت للاستقلال ؟ لماذا كل ماذهب قوم من الشرقيين والسلمين لطرح نير العبودية عن أعناقهم وموا بالتمصب والتعنّت ، وكراهية الاوربيين ، وقيل ان ذلك هو من عمل القرآن في قلوبهم ، ومن تحريض رجال الدين . وان كان المطالبون منهم هم من الفئة التي طلبت العلم في اوربا ،



وانصفت بعدم الدين ، قبل انهم طرفة قد قرأت أشياء لم تحسن مضمونها ، هذه الجملة التي لا تزال تجدونها في كلامهم بكثرة وأصيلا ، كلما تكلموا عن امة اسلامية أو شرقية يطالبونها بتحريرها قالوا عنهم هذه الجملة : قرأوا أشياء أساءوا مضمونها .

اجال الكلام انهم غلبوا على هذه المستعمرات واستبدوا هذه الامم ، فيريدون ان يحتاطوا لأجل تأييد سلطانهم عليها بجميع الوسائل ، ولا يفتقون من شيء في سبيل احكام سلاسل هذه المبودية ، طائفتين انهم يحفظونها راسخة في هذه الاسفاد الى الأبد ، فتراهم يفكرون في نهضة الأسباب لاستئصال كل ما يخشون وفوقه في وجه ما ربههم السيئة ، من دين ، ولسان ، وقومية ووطنية وماهم بقادرون على شيء من هذه المكاييد الشيطانية ، التي لا يزيدهم استئصالها الا خبالا . وان كان غم أمل بحسن العلاقات وتمسك الافنة بينهم وبين تلك الامم ، ولا يكون الا بسياسة العدل والمساواة ، واحترام ديانتهم ولغتهم ، والمدول من تلك الأسباب الاستعمارية الحديثة مما هو برنامج احزاب الشمال منهم .

وان كان ظن هؤلاء الجماعة ان نصير السود البدين أو المغاربة ، يؤمنهم أبديا على تلك المستعمرات ، ويكفيهم شر استقلالها مما صرح به بقوله : « لنا في الجزائر كالانكاز بمصر ، اذهم يشدون فيها على اقلية قبطية » . فهذا وهم عريق في البطلان ، لان هؤلاء الامم سواء كانت مسلمة أو نصرانية ستطلب استقلالها وتأخذ وأنت ترى ان احما كثيرة تارت على امم كانت تسودها ، ولم يمنع من ذلك اشتراك السائد والسود في الدين ، ولديك امبراطورية النمسا أعظم شامدا ، وان قيل ان ذلك يكون في اوربا المتقدمة لاني افريقية ، أتبنا لك بمنزل الحبشة مع انكثرة ، ثم مع ايطاليه ، أفتحات الحبشة حكم الطليان لكونهم نصارى وكونها هي نصرانية ؟ كلا . ثم يقول لنا كالانكاز الذين يشكون بمصر على اقلية قبطية . فهذه اموري مكارة في الحسوس ، اذ يكاد أن يكون الانباط بمصر أشد تمسكا باستقلال مصر وبلاد الانكليز عنها من أغص المسلمين ، وأي نوكا نوكاته انكثرة عليهم ؟ وأعجب من هذا أن الزنوج الذين تنصروا في غربي افريقية يكرهون الاوربيين كايكرههم الزنوج المسلمون وتجد القرنين متعاضدين يود بعضهم بحاج بعض ، وقد تلاق بعض المسلمين مع بعض كبار السودانيين النصارى في لندن ممن هم حكام في بلادهم تحت سيطرة الاوربيين ، فوجدتهم يتمنون فوز المسلمين كما يتمنون فوز أنفسهم . وفي العام الماضي تقابلنا في جنيف باثنين من رجال جمهورية ليبيا في غبضة (افريقية الغربية) وكانا من الاوربيين يمثلان ليبيا في جمعية الامم ، فأخبرانا ان هذه الجمهورية التي تأسست سنة ١٨٢٢ لمبيد الذين تحرروا في أميركا ، واعترفت الدول باستقلالها سنة ١٨٤٧ ، يسكنها اليوم مليون ونصف مليون نسمة ، منهم مليون ومائتا الف مسلم ، وثلاثمائة الف مسيحي وبينهم ٥٠٠ اوربي فقط . والمسلمون والمسيحيون هناك يمشون كالأخوة ، ويناديون جميعا على وطنهم . فهذا سيكون مصر افريقية في يوم من الأيام بأزاء المستعمرين ، ولا يقع الا هالي كون أهل افريقية من هذا الدين أو ذاك الدين .

ولنأت بشاهد آخر على نيات الفرنسيين بحق مسلمي مستعمراتهم ، وهو كتاب للتسيو برييه J. Brévié والي بلاد التيجر الفرنسي ، الذي عليه صفة رسمية ولا يمكن احدا أن ان يماري بقوله انه كاتب منفرد برأيه الخاص ولا انه خال من الصبغة الحكومية ، فانظر ماذا

تقول جريدة الاوفر L'ouvro : المروقة لها من الجرائد الحرة ومن حزب الراديكالي في عددها المؤرخ في ٢٢ يولييه سنة ١٩٢٣ . تحت عنوان :

### الجنس الاسود والاسلامية

قد نشر السيد بريغيه حاكم مقاطعة النيجر كتاباً ممتناً ، يشرح فيه المقاومة الناجبة التي تبديها الامم السوداء الاسلام في السنين الاخيرة ، حال كونه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، غلب الاعتقاد بأن جميع الاجناس الزنجية صائرة الى الاسلام لا محالة ، فلا كان مشهودة حركة بالعكس ، وبالرغم من الوعظ والارشاد الذين يقوم بهما المبشرون المسلمون ، نجد الزوج متسكين بفوائد آباءهم وعادات اسلافهم .

فالسيد بريغيه في كتابه المسمى « الاسلامية ضد الطبيعية . في السودان الفرنسي » Islamisme contre Naturalisme au Soudan Français يعترف انه مهما كان من تعدي التبتشين في درجات الحضارة فليس من المستحيل عليهم الترقى والتقدم ضمن دائرة قوميتهم وخارجا عن الاسلام . ففي السنين الاولى من استيلاء فرنسا على غربي افريقية كان عمالنا بسبب معرفتهم المدنية الاسلامية يحيلون الى دماء الاسلام الذين امكنهم هكذا ان يبشوا بكل امان تعاليم هي في الظاهر ارقى من عقائد التبتشين ( تأمل ) اما الان فتتغير الدعوة الاسلامية ، امر لم يبق فيه شك . وان احصاء عدد الناشئة المتعلمة من المسلمين يتناقص في بلاد النيجر ، كما انه لم يتقدم الى الامام في سائر البلدان التي امتد اليها الاسلام من قبل . وقد عزى السيد بريغيه هذا التدهور الاسلامي الى تناقص عدد الزعماء ، والتي تزايد عدد مدارس التي زاحمت مدارس المشايخ المرابطين ، والتي اتفاه تجارة الرقيق التي هي من الاركان الاقتصادية عند تجار المسلمين ، والى الامر بعدم مراعاة قضاء الشرع .

فالآن سياستنا عامة بهذه المبادئ ، وقد توزع بلاغ على مأموري الادارة مصرح فيه تأياني : « يجب التزام الحياء مع الانثياء التام بحيث ان كلاما من غريزتي الاسلام والتبتشية يمكنه ان يترق وينمو في وسطه بدون تسلط هذا على هئبة هذا » .

وقد وجد الانسب حفظ تلك الهيئة الاجتماعية ، التي كان لها في الماضي زعماء تمثل عاداتها ، والتي هي الصورة الحقيقية للزعماء القوق الاسود واجناء تشكيلاتها البلدية المحلية على مبدأ المشيخة ، والعمل بأحكام فضائهم ، الذين كان يضرب بسدسهم المثل حتى يقال في الحكم الذي قد استوفى شروطه : « هذا حكم من أحكام البشارة القديمة » .

والحقيقة ان الفرض هو احياء عادات الزوج القديمة وتغاليدهم الموروثة التي نشأوا عليها ويشول السيد بريغيه : « انه يوجد من ذلك قواعد قضائية كافية لاجل حل المشكلات الاجتماعية وفصل الخصومات الفردية ، وهي من وجوه كثيرة لا نقل متانة عن التبرع الاسلامي . وانه يجب علينا ان نجعل تلك الهيئة الاجتماعية ، التي تولد ان نعمل ، والتي هي متفرقة اشتاتا حول تلك الاصول القديمة . انتهى » .

فليسبح لنا الفلوي ان نأخذ من هذا الكلام النتائج الاتية :

أولاً ، ان كتاب حاكم مقاطعة النيجر الفرنسي ، والمنشور الرسمي الذي أشار بصدوره



الى مأموري الادارة بدلائل دالة واضحة على كون فرنسا قد بدأت تقاوم انتشار الاسلام بنفوذ الحكومة ، وان عبارة وجوب الحياض مع الانتباه لمنع تسلط عقيدة أمة على أخرى ، هو من قبيل التقوية ، فانه ولا في وقت من الاوقات تسلط الاسلام بالقوة في المستعمرات الفرنسية على عقائد الفتيشيين ، كما انه ولا في وقت من الاوقات روج عمال الحكومة الفرنسية في المستعمرات الدعوة الاسلامية \* بل غاية ما هناك ان عمال الادارة الفرنسية لم يكونوا يتناسبون الدعوة الاسلامية العداء ظاهراً ولم يجتهدوا في منع انتشارها كما هم مجتهدون اليوم ، وذلك كان منهم عملاً بمبدأ الحرية الدينية المشهور ، علان لما هالهم تقدم الاسلام بين الزنوج قررنا توقيف نفوسهم ، فالا ، بحجة أنهم لا يسمحون بتسلطه على عقائد الفتيشيين . ونحت هذه الجملة \* منع تسلط عقيدة على أخرى ، ، يملكون ما يشاعون في المشايخ المرابطين من بث دعوة الاسلام بين السودانيين ، وانفال المدارس التي يمكن ان يفتحها المسلمون في قرى الوثنيين ، وغير ذلك من التدابير التي ليس على الفرنسيين فيها من رقيب ولا حسيب هناك ، ولا ينتظر الناري . ان يجدها مكتوبة على الورق وان كانت جارية بالفعل . ولا ذلك ان اغتباط حاكم النيجر بعدم تقدم الاسلام ، في هذه السنوات الاخيرة فيما بين الزنوج ، وتفاوته بحسن المستقبل ، هما من آثار التدابير الحكومية التي اتخذتها فرنسا لمنع انتشار الاسلام ، والتي يشير بها روجر لايون وأمثاله ، لوقف الدعوة الاسلامية في غربي افريقية وأواسطها . ولقد ظهر هنا اثنا كتنا على صواب في قولنا ان آراء روجر لايون لم تكن آراء فرد مستقل بفكره \* بل هي آراء الحزب الاقلب بفرنسا بدليل كتاب المسير بريديه هذا ، والاوامر الرسمية الصادرة في هذا المعنى . ثانياً ، يظهر جيداً من قول الحاكم المذكور ، وكلام جريدة الاوفر ، ان الفرنسيين حولوا على احياء عادات الفتيشيين وعقائدهم ، واجراء الاحكام بموجبها ، ومعلوم انه لم يكن ذلك امعاجاً بها ولا اعتقاداً بانها تشبه الشريعة الاسلامية في شيء \* بل من باب اختيار أهون الشرين عليهم ، فانه لما رأوا دعوة التبشير الاوربي غير ناجحة بين الزنوج كما يرومون ، وانه لا نسبة بين ما يكسبه الاسلام وما تكسبه النعمرانية في افريقية ، بسبب كون الاسود يكره الاوربي فطرة وبشر من تلبده في دينه ، طادوا فرأوا ان يقاء الفتيشيين على عقائدهم الوثنية هو أوفى لمصلحة فرنسا من تدبيرهم بالاسلام ، فوجدوا الاحرز ان يعملوا لتأييد الفتيشية ، ويجعلوا عاداتها وعرفها قوانين جارية معمولاً بها ، ويعترفوا بأفضية الفتيشيين ، وبالجملة فشكل شيء يهون عند الاوربي — الا انقاد الاتدر — بالنسبة الى فوز الاسلام ونجاح دعوته .

ثالثاً . من كلام المسير بريديه يتبين انهم بدأوا بقصر القضاء الشرعي الاسلامي ، لقوله ان من جهة أسباب تنافس النشء الاسلامي ، هو « الامر بعدم مراجعة قضاء الشرع » فانت ترى ما في ذلك من الاخلال بمبدأ الحرية الدينية ، ومن معارضة المسلمين رأساً بامور دينهم ، على حين ان الفرنسيين في الوقت نفسه يريدون احياء أفضية الوثنيين ، ويجعلون اصطلاحاتهم القديمة قوانين واصولاً يرجع اليها في الاحكام . ولا يبعد ان يكونوا قد اجبروا أنفس المسلمين على مراجعة قضاء الوثنيين توهيناً لنفوذ الشريعة الاسلامية ، الذي هو هدفهم المرمي المنجلي وراء كل حركة من حركاتهم وتدابيرهم . وان لم يكونوا اجبروا جميع

المسلمين على ذلك ، فلا بد أن يكونوا ساقوا الى ذلك الزنوج ، الذين أسلموا حديثا ، لانه ظهر ان الحكومة الفرنسية عولت على ان لا تقترف بسلام من يريد أن يدخل في الاسلام من الآن فصاعداً من الأمم السوداء ، وقد أسلمت قبائل كثيرة في ماداغاسكر ، فلم ترض السلطة الفرنسية في تلك الجزيرة ان تحصرها في المسلمين ، ولا أن تصدّها مساهمة برجة من الوجوه ، واحتجت لعلها هذا المخالف لكل حرية دينية ، بأن اسلام تلك القبائل هو خليط بمعتقد وثنية . وربما يكونون اجبروا على التقاضي عند قضاء القبائل الوثنية من كان قد أسلم من هاتيك القبائل بحجة انهم كلهم من أصل واحد ، فأمة « البامبار » هذه المنشرة في السودان الفرنسي ليست باجمها وثنية ، بل منها قسم كبير لاسيما أهل كارتا Kaarta مسلمون . والا فامعنى قول السيو برقية أن من جلة أسباب تناقض الناشئة الاسلامية ، الامر بعدم مراعاة قضاء الشرع الاسلامي ؟

رابعا : قد نوه السيو برقية حاكم النيجر وثابته جريدة الاوفر بحسن قضاء البامبار ، ومثانة اصولهم وأوضاعهم ، وظهر أن الفرنسيين ، يدون ان يجعلوها مساير للاحكام وصرح الحاكم المذكور انها لا تآل عن الشرع الاسلامي مثانة ، وغير ذلك من المزايم التي حلهم عليها مجرد وعنتهم في منع العمل بالشرعية الاسلامية . والحقيقة انه ليس عند البامبار شيء من هذا ، فالبامبار جيل من السودان الفرنسي يحد بلادهم شمالا السودان الذي يسكنه النغارية من كرلودوغو Kulodugu الى تامباكارا Tambakara وجنوبا السينغال الاعلى من مدين Medine الى بافولابه Bafoulabe أي بين ١٢ الى ١٤ من العرض الشمالي و ٦ الى ١٠ من الطول الغربي ( من باريس ) وهم أهم أجيال الجبل الماندي . وقد وصفهم السباح الادريون بالصل والحرس ، والاقتصاد ، أما عاداتهم وأوضاعهم ففطرية ، اذ الاب هو رئيس العرة والمتصرف بها كما يريد ، والاولاد الى سن الرشد ارقاء له ، وهو يزوج بنته بدون علمها كما ان البنت متى تزوجت صارت أمة لبلها ، والطلاق عندهم مباح ، كذلك تعدد الزوجات ، والارت ينتقل من الاخ الى الاخ . وكانوا ينفسون الى طائفت ثلاث ، الاعراف وهم الحاربون ويقال لهم تونيني ومعنى تونيني قوأس ، ثم النلاحون ، ثم العبيد ، أما الان فيرأسهم الأسر الملوكة القديمة مثل بني « كاروالي » و « ديار » و « ماساسي » ويأتي بعدهم طبقة يقال لها « نومو » أي الحدادون ، ثم طبقة يقال لها « غارانقوي » أي صنّاع الجلد ، ثم طبقة السعرة ، ثم الارقاء . وكل غزية من قراهم ، لها زعيم يفصل فيها الخصومات بموجب اصول يتوارثها الخلف عن السلف . وهذه القرى المرتبطة بعضها ببعض ارتباطا واهيا لا تشتهد أواخيه فيما بين البامبار الا عند قتال عدو عام ، كما حصل في حروبهم مع الاسلام . والبامبار لغة اسمها « البامانكا » هي من جلة لغات امة الماندي ، وهي في منتهى الاختصار ، فليس من حالات للاسماء ولا للافعال ، بل هي تلزم حالا واحدة في المفرد والجمع والمذكر والمؤنث والحاضر والماضي والمستقبل . والكتابة عندهم قليلة وانما يستعملون لها الحروف العربية ، وليس لغتهم آداب ، وانما هي اختيار وقصص لا تنتهي الى أيدي من القرنين الاخيرين ، وبعض اقلها يرقصون عليها . وأما ديانتهم فهي وثنية محضة ، وكل طائفة عندهم لها حيوان مبيود اسمه تة Tene لا يقدرون ان يقتلوه . ولا أن يأكلوه ، ولا أن



ينظروا إليه اجلالا له . ويبتعدون ان الاسلاف \* هم حافظون الاخلاق ، لذلك يبتعدون  
 موانعهم في دعايلز بيوتهم ، ويضعون اشارات على مدافنهم كصور وجوه أو أيدى ، ويغدعون  
 عليها القرايين \* ومن قبل كانوا يذبحون الاسرى . وكثيراً ما يسدون أشجاراً يذبحون أمامها  
 الحيوانات قرباناً ، من غنم وكلاب ودببة ، وربما قدموا لها الفواكه والحبوب . وهم يسبحون  
 مثل هذه الاشجار المقدسة بالعلبق . وأما السحرة ، فهم عندهم بمثابة الكهنة يخرجون من  
 طبقة الخدافين . ولهم جميات مربية \* ويشكهنون بالنباتات ويفحصون احشاء الحيوانات التي  
 تقرب يذبحها \* ويطوفون في الليالي بين القرى مرتدين البسة مخفية يفسدون بها الغنم الرعب .  
 وليس للمباراة تاريخ معروف سوى انهم كانوا من جملة الاجيال الثابتة لسلطنة مالي الاسلامية ،  
 ولما سقطت هذه السلطنة أصبحوا مستقلين بانفسهم ، وأسس أحد زعمائهم المسمى « كلاديان  
 كوروياري » على البلاد الواقعة على ضفتي النيجر مملكة واسعة ، وقام من بعده أولاده  
 فتنازعوا فيها بينهم حتى آل الملك الى أحد اسقاده المسمى « بيتو » ، فجمع تحت حكمه جميع  
 بلاد اليمبارة وملك مدة ٣٠ سنة ، وخلفه ابنه توسع ملكه ، ثم جاء ملك اسمه « نفولو »  
 فبسط ملكه حتى حدود تمبكتو . وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر كان منهم ملك  
 اعزة في « سينو » و « مالنسون » و « دودياري » تناوبوا على يومية « كآرتا »  
 وضربوا الجزية على أهل « ماسينا » و « فوتا » ( ١٨٣٠ ) ، وكان لهم امارة أخرى في  
 « الكا آرتا » أسسها في أواسط القرن السابع عشر « ساكالا » بن كلاديان كلروياري \* ثم  
 انتقل الملك من أعقابها الى امارة أخرى صاحبها « سبه ماسا » استمرت في أعقابها الى أواسط  
 القرن التاسع عشر في « نيورو » هذا هو ملخص تاريخ اليمبارة .  
 وفي أواسط القرن التاسع عشر ، ظهر الحاج عمر الشهير ملك « النيكولور » \* فاستولى  
 على الكا آرتا وأزال ملكها ، وزحف الى مملكة سينو \* وكان ملكها قد تحالف مع ملك  
 ماسينا ضد الاسلام \* فسقط كلاهما ودخل الحاج عمر الى سينو في ١٠ مارس سنة ١٨٦١  
 وأقام بكر أولاده ملكاً عليها . ولكن اليمبارة اتفصوا عدة مرار على المسلمين ، وغاز  
 منهم قوم « البليديفو » بالاستقلال ، وقطعوا ما بين سلطنة النيكولور ومملكة سينو ،  
 ودام ذلك النزاع الى سنة ١٨٩١ ، إذ وصلت الجيوش الفرنسية واحتلت البلاد وأزال  
 سلطنة النيكولور الاسلامية . وجاء في دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية ، ان اليمبارة  
 يتلون في السودان الفرنسي ، العنصر المخاصر للاسلام . وقد أبد هذا القول كلام حاكم  
 البحر في كتابه السابق الذكر ، وسياسة الحكومة الفرنسية التي يظهر انها تريد التحي  
 المداوة التي كانت عند هذه الامة للاسلام . ونجمل اليمبارة سداً في وجه المسلمين . فأما  
 الاصول والعادات التي أشار المسيو برفيه الى مماثلتها من تقاليد اليمبارة ، فقد مررتك من  
 بعضها ما نعلم به الخطأها والتخلف عقائد أولئك القوم ، الذين يبدن الحيوان والشجر  
 وما أشبه ذلك ، ولا ينجمل المسيو برفيه من أن يقول : « انها لا تفرق عن الاسلام مثانة  
 وان تعاليم الاسلام هي - في الظاهر - أرفى من تعاليم الفتيشين » . ومنى كان الوالي من ولاية  
 الفرنسيين على تلك الديار ، يبلغ به التعصب ويموت الضمير عند أن يقول مثل هذا القول ،  
 فاذا تأمل من عدله وانصافه بين عاتيك الرعية . . .  
 خامساً ، نحقق هنا جالزغم من نمويه الامر الرسمي الذي يوصي بالمساواة \* أن فرنسا تحوّل هناك

بشؤونها وقوتها ، وكل وسيلة لديها ، أن تمنح انتشار الدعوة الإسلامية ، وفضل ، أن يبنى الزنوج على عبادة الحجر والشجر والكتاب والمر وغير ذلك ، على أن يدينوا بهندة الديانة السامية النقية ، التي هي الاسلام . وهذا المعنى منتهى الفلو في المدوان ، اذ لا يشك أحد في كون المسلمين يريدون أن كان هؤلاء الزنوج يشرح الله صدرهم للاسلام ، أن يدين هؤلاء بالنصرانية ، ويردوا شرعة تهذيبها ، ولا يستمروا على تلك العقائد التي لا تليق بالانسانية . ولقد تذكرنا بهذه القضية قصة رواها المؤرخون ، ونقلها المستشرق الفرنسيون السلامه البارون «كارادوفو» Kara de Vaux في كتابه « ابن سينا » وهو أن الخليفة للأُموي العباسي بينما كان مرة قازياً بلاد الروم ، مر ببلدة حران ، فالتقاء أناس يزعمون أنهم من أتباع المسيح ، قال لهم ، ان كنتم لا ترغبون في الاسلام ، فتصبروا ، أو تهودوا ، واتخذوا ديناً يعرفه الاسلام . فأنت ترى أن المسلمين لا يضيق صدرهم بنصرانية الوثنيين ، ولكن الاوربيين يفضلون كل الحطاط فتبني على كل ممالي الاسلام ، وهم مع هذا يدعون خدمة الانسانية والمدنية . ونحتم هذا المقال بكلام قاله الحاج عبد الله الجزائري تزيل برلين ، في مقالة نشرها في مجلة العالم الاسلامي الألمانية ( التي كان يصورها أثناء الحرب الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويز والاستاذ عبد الملك بك حمزة ) وذلك على « الآباء البيض » الذين أسس وهاجرتهم الكردنيل لا فيجري ، وأرسلهم بطوفون في بلاد الاسلام بأفريقية يزعمون المسلمين ، ويدخلون في كل ناد ويتحكمون بكل عائلة ، ويتوسلون بكل وسيلة لأجل بث دعوتهم بين الناشئة الاسلامية ، متسلحين لذلك بتفوذ الحكومة الفرنسية ، التي هي عضدهم أينما ذهبوا وكيفية انقلبوا . فبعد أن أقام الحاج عبد الله المومنا إليه ، وهو من خيرة رجال العلم والأدب ، والمتكلمين من اللغة الفرنسية في ذكر الفتى التي أحدثها هؤلاء الآباء البيض في وسط الأمر الاسلامية بالقرب ، والعقائد التي تخلطت على أيديهم ، والبهنوق التي انتشرت بواسطتهم ، وكيف أن الحكومة الفرنسية - التي يقولون انها لا تقوم بدعوة دينية - كانت تميز المتصرين على غيرهم ، وتغيبهم أحياناً من العقوبات ، وتستعذبهم بما لا يحسدون منه غيرهم رغيباً لهم ، في أن يصابوا عن دينهم قال ما يأتي : « نحن لا نريد أصلاً بهذا أن نوجه أدنى طعن على الدين الكاثوليكي ، ونحن نعلم أن جميع الأديان جيدة ، وأن كلامها يدعو المتسكين الى الفضيلة وحسن التربية ، ولا نعرض فيها لو كان المسلم يصبأ عن دينه باقتناع وجدانه ، وانما دعوة الآباء البيض لها شكل آخر ، فأنهم يهجمون على الاسلام في كل مكان ويحولون بين الاب وابنه ، والأخ وأخيه ، ويخربون نظام العائلة فيضطرون الاب أن ينكر ولده ، والأخ أن يهجر أخاه ، والمسيحية أن تبرأ من بعض أبنائها . وغالباً يخرج مثل هؤلاء الذين اعتنقهم الآباء البيض مفسدين لا هم من الجياد لا في الاسلام ولا في النصرانية . »

ونحن نرى أن أرواح العنان للآباء البيض في بث الدعوة الدينية بين مسلمي افريقية ، ونحرم فرنسا بهذه المسائل ولو من تحت ستار مما يضرها في سياستها ، ويحرم عليها من المنافع أضاع ما تنوغي وبجه ، فانه لا يبيع الاحقاد ولا يورث الضائيق شيء ، مثل المنازعات الدينية ، التي لا يبالغ قوم جعلوها قطب وحى سياستهم . ( ش )



## الاسلام في افريقية

( راجع اشارة رقم (٢) في ص ١٣٠ و اشارة رقم ١ في ص ١٣١ )

من أعظم الكتب المؤلفة في هذا الموضوع كتاب « الاسلام والنصرانية في افريقية » تأليف السيد بونيه موري L'Islamisme et le Christianisme en Afrique G. Bonet Maury وقد نقل عنه للسفر ستودارد بعض أشياء ، ونحن نلخص منه ما يأتي ، لأنه جمع فأوعى في تاريخ مسابقة الاسلام والنصرانية في القارة الافريقية . قال :

« ان الاسلام انتشر على افريقية الشمالية الغربية ، فتحولت هذه الانظار دار اسلام وغية أو كرهاً ، ولكنه افتتح افريقية الشرقية سلباً . وكان مبدأ ذلك بواسطة تجار العرب والهنود الذين كانوا يقدون على تلك القار زرافات ، فوصلوا الى رأس Guardafui وإلى جنوبي Capricorne . واقتد وجد منه القرن الأول بعد المسيح مسلمون في كيلوان ، على أكثر من ٢٠ من العرض الجنوبي أدنى من زامبازو Zambeze » إلى أن يقول : « في أواخر القرن الحادي عشر ( للمسيح ) طست أكثر الكنائس الارثوذكسية التي كانت ممتدة على ساحل افريقية الشرقية ، ومن مصر الى المغرب الا بعض جماعات لبثت أشبه بحزر صنية مجهولة » في وسط الافريقيوس الاسلامي . ولكن هناك كنيسة بقيت قائمة على صخرة الثانة منصبة بجبالها ، وهي الكنيسة الحبشية التي يركزها وشجاعة أبنائها الجليلين ، صدت جميع غارات الاسلام . وقد كان هؤلاء الاحباش من اتباع الكنيسة المنسقة ، لا يعرفهم الكاثوليك الرومانيون ، ولا الارثوذكس البيزنطيون . »

ثم قال :

« بعد أن وطد دعائم الاسلام دعائم هذا الدين في جميع سواحل افريقية الشمالية ، قصدوا داخل البلاد ضاربين الى الصحراء التي يسكنها البربر ، وقاموا في ذلك اساقفة افريقية اللاتينية الذين في أوج عزهم وسلطانهم ثم يذكروا في عصر الدين المسيحي في تلك الجهات . ففوج السودان تلقوا القرآن من جهتين احدهما البربر المسلمون ، والثانية قوافل العرب ، التي كانت تخترق قرآن والواحات الى تمبوكتو . فسلطين دولة المرابطين وكانوا متحمسين جداً في الاسلام ، خرجوا من مراكش قاصدين أواسط افريقية لجن أهالي بلاد غانة ومالي على الاسلام ، فظهر أبو بكر بن عمر من أعوان الملك سني علي ، وهو بربري الاصل ، وشيد مملكة السونقاي في غانة سنة ١٠٨٧ ميلادية وهؤلاء السونقاي هم من الجنس النوبي ، رحلوا من مصر العليا عند الفتح العربي ، وكانت لهم دولة لم تبدأ بالانحطاط الا في زمن فتح المنصور ( السعدي ) سلطان مراكش السودان . »

قد روي سلطانه الى أبعد من زاوية النيجر ، وجميع البلاد المعروفة الآن بساحل الذهب والداهومى ، وبلاد نيجريا ، الى بحيرة تشاد . وقد كانت هذه السلطنة تنقسم الى أربع ممالك ، وكانت قاعدتها جنة Djenné التي كانت ترى فيها التجار والعلماء من المغرب الأقصى والجزائر

ومصر ، وكانت سفائن هذا السلطان تسري في النيجر ، وقوافل الصحراء تحمل البضائع الى أطراف هذه السلطنة ، تنقل الذهب وال عاج والنحاس والمالك ، ودين محمد . وابتدأ المراهطون في القرى ، يملكون القرآن والكتابة بالعربية . وكان أبناء المشايخ يأتون الى تمبكتو لتحصيل العلم ، فلم تكن تمبكتو سوقا لتجارة أو اسطأ افرقية فقط ، بل كانت دار علم انتشر ذكرها حتى سواحل البحر المتوسط . ولما مات أبو بكر بن عمر في سنة ١١٢٠ ، كانت بلاد النيجر أو نيجيريا الى حدود الكونغو اسلامية .

هذا ما كان من جهة البربر وأما العرب ، فإن احدى فصائل بني هلال تقدمت من نواحي طرابلس الى واحة « وذان » ومن هناك الى « والانه » ثم تقدمت نحو السودان ، فتلاقت مع البربر الآتين من الشمال الغربي واختلطت بهم ، وصارت تمبكتو التي احتلها الطوارق في سنة ١٠٧٧ ، مركزاً للدعوة الاسلامية ثبت منها الى كل الجهات .

وفي الجنوب الغربي وصل الاسلام الى البامبارو Bambaras والمدينغ Madinges والبله Peulls ، الذين في القرن التاسع عشر صاروا اشجعاء واجهد دعاته ، في بلاد النيجر والسفينة الاطلى . وكان في بلاد المدينغ المسماة بلاد المولاي Mollai قد أسلم الرعاء والاشراف والتجار منذ القرن الثاني عشر ، وبقي العامة فتيشين . ووصل الاسلام في الجنوب الشرقي الى بحيرة تشاد في القرن الثالث عشر . وأما في الشمال الشرقي ، فكانت الغالة Gallas والنوبة ، قد دخلوا في الاسلام بين سنة ١٣٠٠ وسنة ١٣٥٠ .

ثم قال تحت عنوان « مساعدة الاسلام على تمدن افرقية » ما يأتي :

« لم ننظر الى الآن نتائج الفتح العربي الا من الوجهة الدينية ، مع انه يجب أن نعرف هل كانت المسلمين في هذه الصفحة الاولى من اسفلانهم ( ٦٣٨ - ١٠٥٠ ) يد في مدينة افرقية الشمالية أم لا ، وهل كان لهم سهم في نشر العلوم والآداب والصناعات ، أم لا . ففي هذا المقام يلزم أن نفرق بين مصر والمغرب ، لأن الفرق بين مدينتي هذين القطرين الذي أولها أخذ عن اليونان ، والثاني عن الرومان ، لم يخل من التأثير في ثقافته الاسلامية .

فلننظر أولاً الى مصر وقول كل شيء يجب أن نصحح خطأ شاع طول القرون الوسطى ، وهو أن العرب أحرقوا مكتبة الاسكندرية بأمر الخليفة عمر . والحال أن العرب في ذلك العصر كانوا أشد إعجاباً بعلوم اليونان وفنونهم ، من أن يقدموا على عمل كهذا . كما انه معلوم أن قبلما من تلك المكتبة ، كان احترق في أثناء ثورة الاسكندرانيين ، التي احترق فيها أسطول قبرص ، وأن قسماً آخر أحرقه المسيحيون في القرن السادس . واختلط العرب الفسطاط وتركوا القبط ممفيس ، ولم يمتعضوا القبط في دينهم ولا عاداتهم ، وأطلقوا لهم الحرية في انتخاب البطريرك ، وبناء الكنائس . وغاية ما أبطل عمرو من العادات القديمة ، هو ما كانوا جارين عليه من زمان الوثنيين ، من رمي فتاة في النيل كل سنة التماساً لفيضانها .

وبعد أن انفصلت مصر عن بغداد ازدهرت المعارف والفنون في مصر ، وتأسست بمصر للدراسة الجامعة الباقية الى اليوم ، وهي الازهر . وكان لها مكتبة فيها ٦٠٠٠ مجلد ، وكرتان تحتلان الارض . وبني مرصد فلكي ، اشتمل فيه علماء من الطبقة الاولى مثل ابن عيين صاحب الزيج المالكى . وصحيح العرب بمعارفهم الفلكية وبتدقيقات باحثهم ، أكثر



نظريات الجغرافيين اليونانيين ، وبكفيتك ذكر المسودي وابن حوقل وابن بطوطة وأبي الحسن لأظهار شأو العرب في علم الجغرافية ، وإن من الأسباب التي دعت إلى احتفال العرب بهذا العلم ، ما فرضه القرآن من الحج ولو مرة واحدة إلى مكة . أما في صنعة البناء فمع كون العرب احتشوا شيئاً على مثال البيزنطيين ، لا ينكر أنهم تركوا فيها آثاراً خالدة مثل قصر الخلافة في القاهرة ، ومثل القبة ، وزيه بقرب بلرمو ( في صقلية ) ، ولا ننس من المساجد جامع الحسن ، وجامع عمرو ، والأزهر . إلى أن قال :

أما اقتدار العلوم والآداب في المغرب ، فقد كان بطيئاً في البداية بسبب مقاومة البربر لها ، والنكت التي وقعت بين أمراء الاسلام . ولكن فيها بعد شيئت المدارس والمساجد في القيروان ، وبجاية ، وتلمسان . وكان في بداية في القرن الثاني عشر علماء توابغ ، وفيها كان المنصوف الكبير أبو مدين ، وفيها تعلم ليونارد بوناكسي الحساب والجبر والهندسة . وكان في تلمسان أيضاً مدرسة شهيرة أقرأ فيها ابن خلدون وغيره . وفي القرن الماضي تخرج فيها عبد السنوسي . وهناك جوامع شهيرة في الحسن مثل جامع سيدي عقبة ، المبني على مرقد الفاتح المذكور ، وجامع سيدي أبي مدين في ضواحي تلمسان ، ثم الجامع الكبير في القيروان . وكل هذه لاتداني في الرنق والبهاء جوامع مراکش . ( وأطال في وصفها )

وختلاصة فصله هذا هو ما يأتي :

« إن حصّة الاسلام في مدينة افريقية كانت أقل من حصّة النصرانية فيها . يثقل بتثقيف الاهالي وتربيتهم ، ولكنها أهم في العلوم الصحيحة وصنعة البناء » .

ثم قال تحت عنوان « قيام النصرانية لآخذ النار » ننقله ملخصاً لطول شرحه :

« في القسم الاول من القرون الوسطى ، اهتمت أوروبا المسيحية افريقية ، الا ما كان من مساهمي بعض الباباوات . ولكن تألفت فيها بعد الزبانيات وجددت الحركة الصليبية ، وكانت سيرة مسلمي المغرب ومصر والشام إلى ذلك الوقت تجاه النصارى ، سيرة تسامح وتساهل ، لا إلى سيرة إلقاء واحسان ، بخلاف الامم المسيحية التي كانت سالكة تجاه الاسلام خطة البغض والمعدوان ، بدون رحمة ولا هوادة . ثم لما وقعت الحرب الصليبية استمد مسالمو المشرق مسلمي المغرب اقتال الصليبيين . فتخلف المغاربة عن هذه النجدة لسببين \* أحدهما كون المغاربة يربوا أكثر مما هم حرب ، فذلك كان اسلامهم قاتراً ، الثاني كون جيرانهم الفرنج ذوي علاقات تجارية معهم ، ولم يكونوا يطالبونهم بممالك وبلدان ، كما كانوا يطالبون مسلمي الشرق وينقضونهم ان يتخلوا لهم عن بيت المقدس . ثم بلغت العلاقات بين ملوك المغاربة والافرنج ، أن كان أمراء تونس ومراكش يستخدمون في جيوشهم جنوداً من الافرنج بأذنون لهم بأقامة شعائر دينهم علناً ، في التكن التي ينزلون بها ( يقال ان المأمون أحد سلاطين الموحدين كان عنده عشرة آلاف جندي افرنجي ) ، وكان قد شيد لهم كنيسة في عاصمة مراكش ) ، وكانت قد انعقدت عدة معاهدات بين الاوربيين والمغاربة في القرن الثاني عشر والثالث عشر ، أشهرها معاهدة بين جمهورية فيزا ، وسلاطان المغرب ، وأمراء تلمسان ، وجزر البليار . - عندما كانت للمغرب ( ٢٥ يونيو ١١٣٣ ) . - ومعاهدة بين جمهورية جنوى ، والسلطان عبد المؤمن ( ١١٣٥ ) . فكانت هذه المعاهدات تضمن للفرنج دماءهم وأموالهم ،

وتبيع لهم ان يتحاكوا عند قناصلهم ، وان يقيموا شمائير دينهم جهرا وكان ملوك الاسلام هم الذين يعطونهم مرسات الارض اللازمة لبناء الكنائس والمناير . ومن الوثائق المشهورة الشاهدة بعظم القسامح الذي كان عليه ملوك الاسلام لتلك العهد ، المعاهدة التي عقدها ابو عبد الله المستنصر صاحب تونس مع فيليب الجريه ملك فرنسا ، وشارل دوق انجو ، وتيبو ملك نافار سنة ١٢٧٠ وذلك بعد وفاة القديس لويس ملك فرنسا ، والتي جاء بها في الشرط السادس « ان الرهبان والقسوس المسيحيين ، يمكنهم ان يقطعوا في ممالك امير المؤمنين ونطلى لهم الارض اللازمة ، لبناء الكنائس والاديرة ، ودفن الموتى . وللهربان اللذكوريين ان يقيموا شمائير دينهم \* ويلقوا المواعظ علناً كما لو كانوا في بلادهم » . فكثير بذلك عدد النصارى في بجاية وسردونية بقرب القيروان ، وكذلك في المغرب الاقصى ، حتى كان لهم مطران يقيم بفاس . ثم تحول الى مراكش ( ١٢٢٣ ) وبقي هناك كرسي المطران الى القرن السادس عشر . ولما استولى جوان الاول ملك البرتغال على سبتة ( ١٤١٨ ) جعل هناك اسقفية ثانية . وكانت كنائس كاثوليكية عديدة في وهران \* وتلمسان \* وعناينة \* وبجاية \* والمدينة ، وتونس ، وطرابلس وكان يخدم فيها الرهبان الفرنسيكان والدومينيكان ، ولكن بث الدعوة المسيحية بين المسلمين كان محظورا .

وكا كان عند بعض سلاطين الموحدين جنود من النصارى فكانوا ايضا عند السلاطين المرينيين اخلاقهم مثل هذا الجنود ، حتى ظموا ان يستأثروا بحراسة بعض الثغور البحرية مثل طنجة \* وسبتة \* وسلا . وكتب البابا اينوشنسوس الرابع ( ١٣٤٦ ) الى السيد ملك المغرب كتابا طويلا ، حارل فيه اقتناعه باعطاء الجنود الافرنجى الذي عنده قلعة من هذه القلاع البحرية تكون في مدينتهم ، وذلك بان ذلك المشار اليه اهداء اقوياء يمكنهم ان يهاجموه ، ويسلبوا ملكه ، وان اصدق انصاره هم الجنود النصارى الذين عنده وما داموا في خدمته ، فالدول النصرانية كلها تنصره ، ولكن قد تطرأ حوادث غير منتظرة وتغلب الكثرة على الشجاعة ، فكان من المصلحة ان يعطى لهؤلاء الاجناد المسيحيين بعض المدن البحرية المسورة \* ليمتصموا بها عند الضرورة فالسلطان السيد لم يسمع كلام البابا ، وجاء مطران مراكش الى رومة ( ١٣٥٠ ) وجدد السعي ، فكتب البابا الى السلطان المرتضى خلف السيد يلح عليه في اجابة ذلك الطالب والا فهو يمنع المسيحيين من الدخول في خدمته فلم يعبأ سلاطين المغرب بهذا الوعد ولا ذلك الوعيد ، ولا رضوا بان يسلموا المرتفعة الافرنجى الذين في جيشهم قلعة على ساحل البحر ، وبقي مع هذا عندهم اجناد كثيرة من الافرنج .

أما سيرة مسلمي الشمال الشرقي من افريقية ، فكانت تختلف في هذا الموضوع سيرة مسلمي الشمال الغربي \* اذ من المعلوم ان الزخفة الصليبية الحامسة التي كان أكثر رجالها من الجار والالمان ، والزخفة السابعة التي قام بها القديس لويس ملك فرنسا كانت وجهتهما مصر ، فأنارت الحفيظة الدينية عند أهلها بعد أن كانوا أولا في غاية التساهل مع المسيحيين . فلما استرد المصريون دمياط ( ١٢٢٨ ) ، هدموا كنيسة مار مرقس في الاسكندرية ، وهدم السلطان قلاون عند توليه عرض مصر جميع المدن البحرية ، من الاسكندرية الى طرابلس الغرب ، وطرد الافرنج من هذه المدينة . بعد ان كان مضى عليها نحو ١٤٠ سنة وهي في حوزة اسراء



الروماندين أصحاب صقلية . وفي ذلك الوقت استقر فرسان ماريون من المطرودون من فلسطين ومن أفرقية ، في جزيرة رودس . وبلغ اليقظ أنصاء بين المسيحيين والمسلمين ، واضطر نصارى النوبة والغالة Gallas أن يدخلوا في الإسلام في القرن الرابع عشر . ولكن الاحباش ازدادوا تمسكاً بالنصرانية ، وأرسل النجاشي زيراً يعقوب وقدما من قبله الى عجم فلورنسه ( ١٤٥٢ ) يندس توحيد الكنيسة الحبشية مع الكنيسة الرومانية . ولما كان التعصب المذهبي شديداً بين الشرقيين والغربيين ، ترصد الاقباط هذا الوفد عند ما هم من ايطاليا وقتلوه .

وكان كثيرون من اسارى الفرنج ارقاء في بلاد الاسلام ، يشتغلون في مزارع كبار المسلمين وهم في أقصى درجة من الفاقة ، حتى كان بعضهم يصبأ من دينه طمعاً في الخلاص من الرق . فانشأ الفرنج جمعيات رهبانية لفداء هؤلاء الاسارى ، اشتهرهم للمصيبة المساة بالفقراء Alfakker من رهبان مار يعقوب الاسبانيولين ، وطائفة الثالوثيين Trinitaires . ورحبان سيدة مرسى Notre-dame de la Merce وحائات الطائفة من الفرنسيين . وقد كان تأسيس نظام الثالوثيين سنة ١١٩٨ ، على يد رجل اسمه يوحنا من البيروغاس في جنوبي فرنسا ، وكان أتباعه يمشون على أقدامهم ولا يؤذن لهم بالركوب الا اذا مسهم الاعيان ، فيركبون الخمر ، ولهذا لقبوا بالاخوان ذوي الخمر . وانتشرت دعوتهم في كل أوروبا ، وكان لهم في فرنسا وحدها ١٥٠ ديراً . وقيل ان عدد من انقذوا من اسرى المسيحيين من سنة ١١٩٨ الى القرن الثامن عشر يبلغ ٩٠٠ الف . وأما النظام الثاني المنسوب الى سيدة مرسى ، فكان غرضه منع الاسرى الفرنج من الدخول في الاسلام وهم في الاسر ، وكان من مبادئ أصحابه استعمال السيف اذا الجأ الامر لاجل الدفاع عن النصرانية ، وقبول الامر والبقاء رهأ عند العدو ، لاجل منع الاسرى من التحول عن دينهم . وكثير منهم التوا بأنفسهم في التهلكة ، وعاشوا سنين في الاقياد والاصقاف عند امراء الاسلام ، لاجل المحافظة على ديانة اسرى قومهم وبلغ عدد اسفارهم الى مدينة الجزائر وحدها من جراء فداء الاسرى ٧٣ رحلة ، وعدد من انقذوه ١٢ الفا وخمسمائة أسير . ولكن بعض الرهبان تجاوزوا حدود الحجة الى النهور وقام في أذهانهم دعوة المسلمين الى النصرانية فلم يقدروا على تنصير مسلم واحد ، ووقعوا من أجل ذلك في البلاد . ومنهم من ذهب قتيلاً خفة عقله ، وهؤلاء مثل انطون ريقولي ، ودانيال بلقيدير ، وريموند لول ، وهو أشهرهم . وكان يعقوب الاول ملك اراغون قد استرد جزيرة ميورقة من أيدي العرب سنة ١٢٦٩ ، فوجد لول هذا الجزيرة مركزاً صالحاً لبث الدعوة المسيحية في المغرب ، وكان هو متضلماً في الجزيرة وجعل الغرض منه تدريس العربية لامكان بث الدعوة ، وكان هو متضلماً في العربية وقصد تنشئة مبشرين في هذا الدبر ، يقذف بهم في بلاد الاسلام للثابة المذكورة . وذهب هو بنفسه الى تونس ، وأخذ يناظر علماء الاسلام ، ويقذف بالرسول امامهم قائلوه في السجن ولولا رافة أمير تونس به ، لاوردوه حنقه . وبعد ذلك خلوا سبيله ، لجاء الى الجزائر مبشراً ، ثم الى بجاية حيث ضاق ذرعهم به فقتلوه ( ٢١ يونيو ١٣١٥ ) . وبالجملة ، فان النصرانية أمكنها بواسطة المعاهدات التجارية وحسن المعاملة ، ان تظأ أرض المغرب ، ولا تحجد

الفترة التي وجدت فيها في مصر وطرابلس الغرب على أثر الحروب الصليبية مما يدل على كون  
الانطاف والمحاسنة ، أوفق بالمقصود من العنف والمحاسنة .

وفي تلك الأيام حصلت حركة دينية عند البربر ، وظهرت عندهم الطرق الدينية المشابهة  
للهيانات عند النصارى ، وتوحد هذه الحركة الى سيبين ، أحدها ، عقيدة التصوف التي  
ترمي الى الفناء في الاله ، والثاني دعوة أهل البدع والاهواء ، وغير المسلمين ، الى الاسلام .  
وأتباع هذه الطرق يشبهون الرهبان في الانقطاع للعبادة ، وكثرة الصلاة ، ومنهم من هم نظير  
الرهبان المسيحيين ، يعتقدون أنهم مكافئون باستعمال السيف لنشر الدعوة ، ولكنهم ينفرون عن  
رهبان النصارى بعدم البتولة ، وعدم فطم النفس عن النساء ( لارهبانية في الاسلام كالأبغنى )  
ويقال لُحل اجتماعهم برباط ، ولرئيس الطريقة مرابط . ولذلك لما قام عبد الله بن ياسين ،  
بالدعوة الدينية لهداية البربر من لئونة وغيرها ، اجتمعت حوله عصاية سموا بالمرايطين ،  
وكانت لهم دولة وصولية بلغت أوجها في زمان يوسف بن تاشفين ( ١٠٥٠ ) . وقام مقام  
المرايطين الموحدون ، وكانت لهم دولة عظيمة ، وكان الشرفاء أعقاب ادريس ، من أتباع  
العقيدة الصوفية ، وكانت هذه العقيدة تقرأ في فاس وتونس . وها أعظم مراكز العلم  
بأفريقية ، وقد أخذ بها خلق كثير . وكان عبد القادر الجيلاني المولود في جيلان من فارس ،  
متصوفا عظيما زكى النشأة كثير التمجيز لسيدنا عيسى ، متفاعلا مع النصارى الذين كان يقول  
أنهم أهل كتاب وإن الله سيغير عقولهم يوماً ، فأخذ بالوعظ والارشاد ومات في بغداد سنة  
١١٦٦ ميلادية ، وله أتباع لا يحصى عددهم ، ووصلت طريقته الى اسبانية ، فلما زالت دولة  
المرب من قرطبة انتقل مركز الطريقة القادرية الى فاس . وبواسطة أتوار هذه الطريقة  
زالت البدع عن بين البربر ، وعسكروا بالسنة والجماعة . كما كان هذه الطريقة هي التي في القرن  
الخامس عشر ، اعتمدت على يدها زواج غربي أفريقية . أما الطريقة الثانية فهي الشاذلية نسبة  
الى أبي الحسن الشاذلي ، أخذ من عبد السلام بن مشيش ، الذي أخذ من أبي مدين ، وكانت  
ولادة أبي مدين في اشبيلية سنة ١١٢٧ ميلادية وقرأ في فاس ، وحج البيت الحرام ، ثم استقر  
بعلم التصوف في بجاية . وتبعه خلق كثير انقسموا بعده الى ثلاث فرق الاولى ، الشاذلية المنتشرة  
في الجزائر ، الثانية الدرقاوية الذين مركزهم في مراکش ، والثالثة المدينية الذين هم كثيرون  
في طرابلس الغرب . ( وبعد أن أفاض في بحث الطرق والروايات وتشكيلاتها وأوضح المشابهة التي  
بينها وبين الرهبانيات في القرون الوسطى ) قال :

إن العرب لم ينتظروا تشكيل الطرق حتى بينوا الدعوة القرآنية في السودان ، بل منذ  
أواخر القرن السابع كانوا اخترقوا خزان ودخلوا السودان ، وكانت في غانة لآوائل القرن  
الثامن للميلاد اثنتا عشرة مدرسة للقرآن ، ولكن الاخوان ( أتباع الطرق ) هم الذين تم على  
يدهم اسلام القوم الاعظم من مسلمي أواسط افريقية ، وهم الذين أوقفوا الحجة الدينية بمد  
أن كادت تفر ، وادخلوا معظم السودان في الاسلام بالارشاد والتعليم ، وبالأخذ والعطاء ،  
وبالمصاهرات مع ملوك الزنج . وقد تقدم ذكر أبي بكر بن عمر القمتوني الذي امتاز بنصر الاسلام  
في السودان ، حتى دانت له جميع الاقطار السيلية والسيلية والنيجرية الى الكوفو . كذلك بنو حسن  
من عرب بني هلال ، توجهوا جهة ودان جنوبي طرابلس واتقدموا منها في الصحراء الى والاته ،



فبلائي هناك العرب مع البربر وأنتج بعضهم بعضاً وجاءت من هذا الاختلاط القبائل المسماة  
بالمشدوف ( هذه القبائل ليست هي المشدوف فقط بل المشدوف والدويش وغيرها وقد ألف  
على هذه القبائل المسيو جورج بوله Georges Poullet كتاباً اسمه « مغاربة أفريقية الغربية  
الفرنسية » يبحث فيه عن تاريخها الماضي والحاضر وعن أحوالها الاجتماعية من كل نوع ، ونظراً  
لكون المؤلف من مأموري المستعمرات فقد أتبع له أن يطلع على وثائق لا بدائع عليها غيره ،  
لجاء كتابه بنهاية التدقيق ، والمغاربة المذكورون منهم من أعقاب بني حسن الهلاليين ومنهم من  
صنهاجة وغيرها من البربر ، وبينهم أشراف يقتنون إلى آل البيت ، وبجبالهم من الساقية الحمراء  
جنوبي السوس الأقصى إلى نهر السينغال ، وهم خمس طبقات الأولى : أهل الحرب وهم  
بنو حسن ، والحراثون وهم أشب بالرعية ، لكنهم أحرار ، والمرابطون أي طبقة السلم ،  
وصنهاجة الذين يدفعون الضرائب ، ثم العبيد . وأشهر القبائل المذكورة الطرارزة وهم نحو  
٨٠ ألف نسمة ، كان أميرهم لعبد تأليف كتاب المسيو بوله سنة ١٩٠٤ ، هو أحمد بن سلوم .  
ثم البراكسة وهم من أولاد عبد الله وعددهم ٤٠ ألفاً ، وأميرهم أحمد ولد سيدي علي .  
ثم الأكاك وعددهم ١٦ ألفاً ، وأميرهم بكاز ولد سيدي أحمد ، ثم القرايط وهم ٢٠ ألفاً ،  
وأميرهم المختار ولد أحمد ، والقبائل الساحلية منها آل سيدي محمود وهم ٤٠ ألفاً ، وأميرهم  
سيدي المختار ولد محمد محمود . ثم أولاد مبارك وهم ١٨ ألفاً ، وهم مع أولاد ناصر من سلال  
بني حسن الهلاليين ، وعدد أولاد ناصر ١٢ ألفاً ، ثم الكونتة وهم خمسة آلاف . ومن قبائل  
الساحل المشدوف وهم أكثرها عدداً ، وينقسمون إلى عدة فرق لكل منها زعيم ، وزعيم  
الزعما محمود مختار وهناك قبائل ساقية الحمراء مثل أولاد دليم ، والرقيبات ، والعروسي ،  
والفيلالي ، والصبايل ، ورئيس هذه القبائل الشيخ ماء العينين المشهور . وقد خن المسيو بوله  
عددهم جميعاً بثلثمائة ألف ، وكانت بين أمراءهم وبين فرنسا مفاوضات لذلك العهد ، أعلن  
أنها صارت الآن في غير مكان لا سيما ما كان مع أمراء القبائل التي في السينغال .

ثم قال المسيو موري تحت عنوان « اكتشافات البرقاليين على سواحل أفريقية واستضاف  
البيئات الكاثوليكية » :

لا يخفى أن العرب ومن معهم من البربر كانوا أغتصبوا إسبانية ، واجتازوا جبال البرانس ،  
واوغلوا في بلاد الغال ( فرنسا ) ولولا انتصار شارل ماونت دبلهم في براتية ، لكانت فرنسا  
إسلامية ، ولا صاب الكنيسة الغالية ما أصاب كنيسة أفريقية وكنيسة إسبانية ، على أنه في  
نفس الإسبانية ، كان البرقاليون ، وأهل نادر ، واستوربة ، لا يزالون يقاومون العرب . ولا سيما  
البرتغال ، فقد كانوا أول من طرد العرب من بلادهم . ولم يكتفوا بذلك بل شنوا الغارات  
على العرب في أرضهم ، فغتنصوا سبتاً ، وطنجة ، وطانون . ثم امتدوا على ساحل أفريقية  
الغربية حتى صرغوه كاه . وأشهر من قام منهم بهذه الأسفار والفتوحات ، هو الأمير هنري  
ابن الملك جوان الأول الذي كانت أمه أميرة الإنكليزية ، فانه ترك أشبونة دار الملك وانتقد  
لنفسه مكاناً في صاغر بقرب رأس سان فاسان ، يحيط به بعض اليهود وبعض علماء المغاربة  
من فاس ومراكش ، الذين كانوا علماء العالم لذلك الوقت وأخذوا يتقبون في جغرافيات  
العرب وغيرها حتى صرغوه المكان الذي وران حول أفريقية . ورسم الأمير هنري ههنا الرجل

العظيم الذي كان له الفضل على جميع أوربة ، خطة سير السفن عليها ، فاجتازت ، رأس بوجادور (١٤٤٢) ، والرأس الأخضر (١٤٤٤) ، على أنوار غابات مادار Madères ، التي استمر بها الحريق سبع سنين الى أن بلغت سيبارم ليون Sierra Léone . وسنة ١٤٧١ ، بعد موت هنري أيضا ، واطب البرتغاليون على الابغال في الافيانوس حتى قطعوا خط الاستواء وجازوا زاير (الكونغو) ، ثم رأس الزوايج الى ميناء آلفوا (١٤٨٦) . وفي ٨ يوليو عام ١٤٩٧ وصل فاسكو دوغاما الى موزامبيق ، ومنها الى مالميندي ، وثاني سنة نزل في كاليبوت من الهند الشرقية .

ولما تمت هذه الفتوحات ، شرع البرتغال بفشر الدين المسيحي وتأسيس الاسقفيات ، واختاروا لهذا الأمر الجزر البحرية ، لما فيها من الوفرة . فخلعوا كرسياً أسقفياً في إحدى جزر المالحات ، وآخر في جزيرة مادار ، وآخر في جزيرة امام الرأس الأخضر . وآخر في جزيرة بازاء زاير ، ومنها صعد الدومينيكيون الى بلاد الكونغو وبشوا دعوة الانجيل ، ونجحوا نجاحاً جل البابا على وضع أسقف في صان - الفادور (١٥٩٥) . وبعد ذلك بخمس وعشرين سنة أرسل ملك الكونغو الفارس الثالث ، بعثة الى البابا يطلب بها مبشرين ، فأرسلوا اليه الكبوشيين فكان نجاحهم باهراً . وخلقهم الجزويت ، فأسسوا مدارس في صان بولو ، وصان سافادور (١٦١٩) وصاروا يتقدمون الى داخل البلاد حتى بلغوا كازانفي على ٦٠٠ ميل من الساحل . ولكن هذه البعثات كلها سقطت في أواسط القرن الثامن عشر لا سيما عند الغاء رهبانية الجزويت ، وحاولت جمعية البعثات الخارجية في باريز (١٧٦٠) أن تقوم مقام الجزويت في الكونغو ، فلم تفلح . مع هذا بقيت لذلك التعليم آثار ، وكان ألوف من الزوج يقرأون ويكتبون .

وبعد قرن كامل من انقطاع التبشير هناك جاء « آباء الروح القدس » وأحبوا ما كان درس من آثار الجزويت والدومينيكيين (١٨٦٧) ، وساعدوا على الغاء تجارة الرقيق وعلى الاكتشافات الجغرافية ، وأدخلوا في هاتيك الاصناعات زراعات وصناعات كثيرة . وكان البرتغاليون قد بشروا بالانجيل في افريقية الشرقية ، واتخذوا مركزاً للدومينيكيين في موزامبيق (١٦١٤) : وأقام القديس فرانسيس كساغارس مدة في موزامبيق ، وفي مالميندي ، وفي جزيرة سقطرة . وأسس فاسكو دوغاما ديراً للتبشير في جزيرة زنزيبار ، وامتدت منه البعثات الى مومباسا ، والساحل ، ونمت هناك دعوات مسيحية عديدة في القرن السادس عشر والسابع عشر ، ولكن سنة ١٦٩٨ جاءت غارة عربية من مسقط اخذت على تلك الكنائس ، ووقعت علم الاسلام وحده . سنة ١٧٢٨ ، حاول المبشرون استئناف العمل فقتلوا ، ولم ينتظر القرن التاسع عشر لأجل الرجوع الى بث الدعوة المسيحية في هاتيك الاقطار .

وكان جوان الثاني ملك البرتغال سنة ١٤٨٧ اغتد اثنين من رجاله الفونسوبانيا ، وبيرو كوفيلهام ، من طريق مصر الى الهند فبيعت من رجل هندي مسيحي يزعمون أن اسمه القسيس يوحنا ، فأت أحدهما المسي بأفا بمصر . وذهب كوفيلهام الى الهند ، ثم طاد الى افريقية ووصل الى الحبشة ، فأكرم التجاني موصله ، ولكنه لم يسمح له بالخروج . فأخذ هذا الرجل يرسل بلائه ويخبرهم بما رأى ، فأرسلت حكومة البرتغال وقدأ من الاشراف



والكنيسة ، ومعهم عدد من الخدامين ، والتجارين ، والبنائين ، والأطباء الى بلاد الحبشة ، واستمرت هذه العلاقة بين الملكين دهرًا طويلا ، حتى أن راهباً يسوعياً برتغالياً اسمه ياز حول النجاشي سوسيفيوس الى الكنيسة ( ١٦٢٤ ) . وقيل ان أكثر الأجانب كانوا مستعدين للانضمام الى الكنيسة الرومانية لولا عناد بطرك اللاتين ماندر Mendez الذي لم يأخذهم بالتؤدة ، بل حاول حملهم على جميع المعائد والشعائر اللاتينية دفعة واحدة ، وأراد تأسيس ديوان تفتيش ، لرقابة الذين يأبون الانقياد . بقرت من ذلك ثورة ذهبت فيها حياة المبشرين البرتغاليين ومن تابعهم من الجيش ( ١٦٤٠ ) ، وحاول الفرنسيين التبشير في الحبشة تحت حاية قنصل فرنسا ، فلم يفلحوا ، وقتل المبشرون الذين أرسلوهم الى سواكن ، ومصوع . ولكن الفرنسيين الطليان أسسوا مراكز لهم في بلاد الغالة ( ١٨٣٩ ) ، ثم توجه اخوان فرنسيان اطوائ ، وارثوك آباذي ، ومعهما راهب غازاري اسمه سايتو من قبل مدرسة البروباغندة في رومة ، التي أوردتهم بثلاثة آخرين فأعلم أحدهم جاكوبيس في عدوه بترب النجاشي ، وذهب سايتو الى غندار للتبشير في بلاد الآماره . وكان أحدهم مونتوري قادماً السودان المصري ، فبعد خمس سنوات من وصولهم ، أسسوا عدة كنائس . وفي سنة ١٨٥٣ كان عدد الجيش الكاثوليك خمسة آلاف ، بالرغم من مقاومة ابونا سلامة رئيس الكنيسة النبطية الحبشية . وبقيت هذه البعثة ناجحة حتى تولى النجاشي تيودوروس ، فأراد استئصالها وحمل جاكوبيس على الأدهم ، فمات في الحبش سنة ١٨٦٠ . وبعد وفاته قام مقامه المطران بياشي ومع المطران ماسايه ، ووجهها هزمهما الى التبشير في بلاد الغالة ، وبواسطة الحكومة الفرنسية مع الباب العالي أخذوا فرمائاً بتأسيس مركز في جزيرة مصوع ( ١٨٦١ ) ، واستأنف العمل الديني في الحبشة . ولكن لم يطل الأمر حتى وقعت المنافسة بين فرنسا وإيطاليا في هاتيك الجهات ، وأسست ايطالية مستعمرة الارتره ، وجعلت مركزها مصوع وأقرنتها بالسفينة ، وطردت منها المبشرين الفرنسيين ، ولم يبق لمؤلاء سوى رهويات في تيغري ، وبلاد الآماره . وكانوا شادوا مدارس ، ومستشفيات ، ودوراً للصناعات ، وملاجئ ، والأيتام والمجانين . ونشر الطليان الدعوة المسيحية في بلاد الغالة ، وهم جيل اذكى أشداء يسكنون بين الحبشة وبحيرة فيكتوريا نيازا . وصارت هناك رهويات مسيحية زاهرة وامنت الى بلاد كافا . ثم دخلت الى هرر ، بالرغم من معارضة أمراء الاسلام هناك . ولتنظر الى الدعوة المسيحية في جهات أخرى فنقول ، ان مار فسان دوپول الفرنسي كان وجه مهمته نحو جزيرة ماداغسكر ، التي بسطت يدها عليها فرنسا في أيام الوزير ريشليو ، فانتشر في سواحلها تجار الفرنسيين ، وأرسل الرهبان المازريون اثنين منهم سنة ١٦٤٨ ، فأخذوا بالتبشير وصبروا على المكاره ، ومناخ تلك الجزيرة لم يؤاتهما ، فمات بعد أن نصر ٦٠٠ نسمة من الوطنيين . ثم ذهب بدلاً عنهم أربعة آخرون فماتوا بالحمى ، فماتت كذلك مريم الرهبان ولا سجا حزينة . وارفسان دوپول ، الذي بقي بحر ضهم على السفر للتبشير ، فذهب آخرون وزرعوا هناك الانجيل ، وتحملوا من الانتقام والمذاب ما تحمله ، ولكنهم تغلبوا على الوثنية مع تنادي الأيام . فالآن الجزويت ، والبروفسنتات ، الفرنسيون ، والكويكرس ، والنورويجيون يستغلون ما زرعه المازريون من مائتي سنة في تلك الجزيرة ، العظيمة .

ثم تآلفت رهبانية آباء الروح القدس ، سنة ١٧٧٨ أبحر الابوان بيرو وغليكور الى السنغال ، فأخذوا ينصرون الزنوج في سان لويس وجزيرة غوري Gorée وفي سنة ١٨٤٨ اندمجت هذه البعثة في بعثة قلب مريم الاقدس تحت ادارة يهودي مناصر اسمه ليبرمان ، أحسن التدبير ، وربط الدعوة الكاثوليكية بالحكومة المدنية ، فأنشئت مؤسسات هذه البعثة في افريقية تسريجا ، فتجد لها مراکز في الكونغو البرتغالي ، وفي غامبيا ، وفي مستعمرة سيرا ليونه الانكليزية ، وزنجبار ، ولها في المستعمرات الفرنسية اسقفية ، كرسيها داکار Dakar التي فيها ١ ألف مناصر . ومركز في كيتا Kita في السودان السنغالي ، وآخر في كوناكري من غينية الفرنسية . واسقفية في غابون Gabon من الكونغو الفرنسي . وأخرى في أوبانغي Oubangui من الكونغو الأعلى . ولم يقتصر هؤلاء الرهبان على التبشير بالانجيل بل نشروا العلم ، وأحبوا الزراعة ، وأنشؤا بساتين جديدة ، وادخلوا حيث وجدوا صناعات مفيدة ، وهذبوا الأخلاق وأبطلوا كثيراً من قبيح العادات .

ثم أتى بد رهبانيي المازريين والروحانيين ، بعثة ليون الافريقية وبعثة الالباء البيض . ففي سنة ١٨٥٦ أسس المطران دوماريون برازيلاك أصله من الدعاة في الهند الشرقية ، مدرسة لتخريج المبشرين المراد إرسالهم لتنصير الزنوج . ثم عين هو أسقفاً في سبارا ليون ، فذهب ومعه عدد من الرهبان فملكوا بالحق الصحراء ، فتطوع فيهم للقيام مقامهم ، وما زالوا صابرين ثابتين حتى أفلح عملهم ، فترى لهم اليوم كراسي في ساحل النيجر ، والنيجر الأدنى ، وساحل الذهب ، والداهومي ، وبين . وقد وفقوا توفيقاً كبيراً في ساحل النيجر وفتحوا سبع مدارس منها ، مدرسة دينية في دابو وقد أجدوا طباع أهل تلك البلاد من السكينة وحب العمل ، بخلاف أهالي داهومي ، الفلاظ الشداد ، المنصبين للفتشية ، ثم أسسوا مدرسة زراعية في بوكو ، واسقفية في بين Benin .

وآخر رهبانية تأسست لنشر الدين المسيحي في افريقية هي الالباء البيض ، أسس هذه الجمعية الكردينال لا فيجيري مطران الجزائر سنة ١٨٦٩ ، وحاكه في هذا المشروع المارشال مالهون ، الذي كان رأيه أشبه برأي الشركة الانكليزية في الهند من تجنب الدخول في قضية التنصير ، لئلا يحصل مشكلات للادارة الفرنسية ، فالكردينال كان يرى غير هذا الرأي ، ويقول انه يجب الامتزاج بالاهالي واستجلاهم البناء ، لئلا يابثوا على عقيدة القرآن ، التي تجعل يشا وبينهم فاصلة كبرى . فزال الكردينال مصرعاً على فكره حتى أنشأ هذه الرهبانية ورائي فيها طادات القوم ، وأودعها برهبانية أخرى لنفسه اسمها « الراهبات المبشرات لسيدتنا العذراء في افريقية » ( الحقيقة أن كلا من رهبانيي الالباء البيض والراهبات المذكورات ، ثالث هذه الحكومة الفرنسية في كل شيء وأوقفت منها شكوى الجزائريين ، وغيرهم من سكان المستعمرات الفرنسية بدون غائلة ، وليس هنا مقام تفصيل ذلك ) .

وميادين عمل الرهبان البيض هي أولا الجزائر وتونس . ثانياً الصحراء والسودان . ثالثاً بلاد غط الاستواء من افريقية . رابعاً بلاد نيباسا غربي الونزامبي التي فيها كرسي اسقفية ( لسائل أن يسأل : لماذا يعملون في تونس والجزائر ولا يعملون في المغرب الأقصى ؟



والجواب : دور الآباء البيض وراهبات التبشير ، يأتي في المغرب الأقصى بعد أن يتم إخضاع الثائرين في جبال الأطلس ونزع السلاح من أيدي القبائل ، أما الآن والثورة لا تزال قائمة ، فالمحكومة الفرنسية تجهل في هذا الأمر وإن كانت لا تهمل .

وبلاد خط الاستواء الأفريقية وبلاد نياسا كلتاهما ، من المستعمرات البريطانية والبرتغالية ، فلا تهمنا إلا في الدرجة الثانية . ولكنهما مع ذلك لا تخلوان من العمل ، فيما يتعلق بمقاومة الإسلام ومنع الرق ( إن الرق ليس من الإسلام بل إن الرق عادة قديمة عرفت في النصرانية والإسلامية وغيرهما ، وما حجب الإسلام شيئاً إلى الناس أكثر من تحرير الرقيق الذي هو من أفضل القربات شرعاً . ثم لما منعت أوروبا تجارة الرقيق تارت في وجهها شوب مسيحية كثيرة مثل البوير في جنوبي أفريقيا ، وكل أحد يعلم أن أمريكا انقسمت قسمين في أمر العبيد ، وتارت الحرب بين الفريقين أربع سنوات ، فاجتهاد بعض مؤلفي أوروبا بالصاق الرق بالإسلام خاصة ، هو من جهة التعامل على الإسلام ، كما أنني وإن كنت أحد صانع الدول التي ساعدت على إلغاء الرق ، لا أذكر أن معاملة العبيد السود في بلاد الإسلام ، هي أفضل بكثير من معاملات الأمم المستعمرة لرجالها البيض ، نعم إن هذه الأمم لا تبيع أهالي الجزائر ، وتونس ، وتونكين ، وغيرهم أرقاء في الأسواق ، ولكنها لا تعرف لهم أدنى حق بلزاء الأوربيين ، وهي تضع يدها على ما شاءت من أراضيهم ومعا دن بلادهم ، وتستثمر أرضهم ودمهم وعرق جبينهم قسراً ، بدون أن يكون لهم بذلك أدنى خيال فهل الرق سوى هذا ؟ ) .

فإن قرار مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ بمنع الرق ، قد قاومه تجار العرب بالسلاح ، واضطرت الدول إلى قمع ذلك بالقوة ( يذكر المؤلف هنا مقاومة العرب ويقس مقاومته الجنس الأوربي في الترسانة ) .

أما في الجزائر وتونس ، فلما كان الحكم لفرنسا لم يكن من حاجة إلى استعمال القوة ، فرهبانية الآباء البيض تلجأ إلى الوسائل السلمية لا غير . فهي تؤسس بقرب كل محطة مستوصفاً طبياً ، وعيادية ، الأولى منهما ، يصف العلاجات والثاني يعطيها مجاناً ، ثم مدرسة ودار ابتلاء . وليس إلا بعد وقت طويل وبإذن أهل الأولاد ، يلقن الآباء هؤلاء الأولاد التعليم الديني ( غير معقول أن يسمح المسلمون أهل الأولاد بتلقينهم تعليماً دينياً غير الإسلام بمجرد رضاهم ، بل هنا أحد أمرين ، إما أن يكون أهل الأولاد لا يجسرون على الاعتراض أو يكونون هم أنفسهم تركوا الإسلام ) أما الثاني فيعلمون التعليم الديني فرضاً . وقد تقدم الآباء البيض إلى الداخل فصارت لهم مؤسسات في لاقوات ( ١٨٦٨ ) ، وفي أوارغة ( ١٨٧٣ ) ، وفي توفغورت ( ١٨٧٨ ) ، الخ ولما دخلت الماساكر الفرنسية مدينة تمبكتو سنة ١٨٩٤ في ١٠ يناير تحت قيادة الكولونيل جونيه والفومندان جوفراً ، أسس الآباء البيض مركزاً في تمبكتو وستة أخرى في جوارها .

وبخلاصة ما قامت به الرسائل الكاثوليكية من برتغال ، وطيان ، وفرنسيس ، في النارة السوداء ، هي أنها هاجت هذه النارة من الجانب الغربي ، ومن الصحراء ، ومن الكونغو ، ومن جهات البحيرات الكبيرة ، نعم أنها لم تفكر أن تفرق العصبية الإسلامية ، ولكنها هدبت فيها عظمها من الأمم اللبثية ، وتوفقت إلى إبطال كثير من عاداتهم البربرية .

ثم ذكر المؤلف ، اشتراك السياح والمبشرين في تهذيب افريقية فقال : ان الفستوف في أحد تقريراته يقول : « ان نهاية الاكتشاف الجغرافي هي بداية العدل التبشيري . وهذه حقيقة كلية اذ من الحال ان نكتشف اراضي جديدة بدون ان ينبه ذلك فينا شوق دعوة اهلها الى الانجيل ، هذه البشارة التي اعطتنا السلام والبراء والرجاء » . لقد رأينا المبشرين الكاثوليك ، يتعقبون آثار البحارة البرتغاليين والفرنسيين والطليان ، ويؤسسون أوطاناً مسيحية في سواحل افريقية الغربية والشرقية ، متخذين هذه المراكز في سواحل شرقي افريقية محاطة في طريقهم الى الهند ، ولكن كل هذا ما عدا الذي جرى في الحبشة ، لم يتجاوز مناطق معلومة من سيف البحر . ولكن جاء فيها بعد ذلك السائحون الجولانيون في الربع الاخير من القرن الثامن عشر والاربع الثلاثة من القرن التاسع عشر ، فدخلوا من مصاب الأنهر ، وتوغلوا في البلاد ومنهم من ذهب فقتل جرأته فسكنوا هم ملائمة التبشرين ، وعلى آثارهم صار هؤلاء ، وبالأجمال فدخل افريقية التي تولج منها هؤلاء الجولانيون الى باطن هذه القارة ، هي أربعة أو خمسة ، أولها النيل لامتداد طريقه من مصر الى اقصى مناجه . الثاني نهر النامية ثم نهر السيلغال . الثالث رأس الرجاء المرفوف بالكتاب نظرا لاهية هذا الموقع التجاري . الرابع ، الجزائر منه استولت عليها فرنسا ، ثم طرابلس . الخامس ، جزيرة زنجبار بسبب علاقتها مع السواحل التي نحاذيها .

وأول من توغل في افريقية من جهة النيل هو جيمس بروس James Bruce الاسكوتي المتوفى سنة ١٧٩٤ ، وصل الى مصر سنة ١٧٦٨ ، وصعد الى الأقصر وشاهد آثارها ، ثم الى اسوان ومنها الى القصير ، ومنها أجاز الى جدة وركب البحر من جدة الى مصوع ، ومن هذه سار الى الحبشة مزوداً بتوصية من بطريرك القبط في مصر الى الرأس ميشل ، وأقام مدة . حية فغدار قصد منايع النيل وطن أنه وصل الى الرأس تبع النيل الازرق ، والحبشة أنه لم يصل الا الى الميادي ، وهو ملتقى أنهر من النيل لا أصل ليه . ثم عاد الى مصر من طريق اسوان . وبعد ١٢ سنة من سياحة بروس هذا جاء الى مصر فولاني الكاتب الفرنسي الشهير ، ولفت أنظار قومه الى وادي النيل قائلا : « يجب للاستيلاء على وادي النيل ثلاث حروب : الأولى مع انكسارهم . الثانية مع العثمانية . الثالثة وهي أشدهن مراسا مع الاسلام . لأنهم هو السائد في هذا الوادي . وربما كانت هذه العنبة غير قابلة الجواز » ( كذا ) وكان نابليون بونابرت قد قرأ كتابات فولاني ، فكانت مما استفزه الى غزو مصر . ولم يكن تجسيم فولاني صعوبة هذه الحملة الا ليزيد فيها رغبة بونابرت ، في غرامه بافتحام الصحاب وعشقه للمجد ، فكانت تلك الغزاة الشهيرة التي ظهر فيها من مزايا نابليون العسكرية ما ظهر ، وانما لم يقدر الناس قدر مهارته السياسية ، استغلاله خواطر المسلمين وامتزاجهم بهم في عقائدهم وعاداتهم ، وقد كانت اغراض مصر هذه من سنة ١٧٩٨ الى ١٨٠١ ، مبدأ لاسفار ورحلات صوب منايع النيل استمرت الى ١٨٤١ ، وقد حذا حذو نابليون بونابرت في سبيل الاكتشاف والبحث ، أمير مصر الكبير محمد علي . وفي زمانه ، وصل فريدريك غالير Gailliaud الى طيبة وواحة سيوه ، ثم صعد مجرى النيل الى أن وجد خرب العاصمة القديمة مروي Meroë ( ١٨١٨ الى ١٨٢٠ ) الى ان بلغ الدرجة ١٠ من العرض الشمالي . وبعد هذا يضع سنين



وصل عالم الماني الى النوبة العليا ، وكان أول أوربي دخل كردوفان غربي النيل الأبيض ، ثم انقذ محمد علي بيته وصلت الى دجلة ، من العرض الشمالي في غوندوكورو . وامتد عمل السباح الى الحبشة وبلاد شوا وبلاد الغالا ، فكان ممن اشتهروا بذلك روجيه ديريكور Rochet d'Herioure وتوفيل لوفايير Théophile Lefebvre ( ١٨٢٩ الى ١٨٤٣ ) ، وابناه آدادي D'Abadie ( ١٨٣٣ الى ١٨٤٨ ) وهؤلاء من الفرنسيين ثم الانكليزي شارل بيك Beke والامانيان كرايف وايزنمان ثم ان الالمانيين أرهاردت وريمان ، هما اللذان توغلا في اصقاع البحيرات الكبرى ، ووصلا الى فم النيل من بلاد كينيا Kenia والكيلمانجارو Kilimandjaro ( ١١ مايو ١٨٤٨ ) ومن هناك انفتحت الطريق التي انطلق منها سموئيل باكر ( ١٨٦٤ الى ١٨٧٣ ) والكلود لور غوردون ، وأمين باشا ، ولينان بك وغيرهم ، وكان هؤلاء السباح اثر جيد الصيت في تهذيب الزنوج ، واجتهد سموئيل باكر واصحابه بالغاء الرق ، مستظهرا على ذلك بأمر الخديوي ، وهناك غوردون في الخرطوم يد المهدى ، بعد ان أقام بضع عشرة سنة يرقى من اخلاق السودانيين .

ولم يكن شيء يشابه هذه هؤلاء السباح الاطفال في شرقي افريقية ، سوى هذه اعضاء تلك الجمعية الانكليزية المسماة African Association التي تأسست سنة ١٧٨٨ في لندن وكانت الاطالس الجغرافية الى ذلك الحين لا تمثل أواسط افريقية الا برقعة بيضاء مقعقة ، لان الجغرافيين لم يكونوا يعرفون عنها شيئا . وكان السباح الذين ساروا من مصر غربهم منابع النيل ، كان السباح الذين سمعوا من نهري السنغال والنيغابيه ، يقصدون تمبكتو ، تلك المدينة الشهيرة عند العرب . فلما جرد دانيال هوغتون Houghton وكتب نهر السنغامييه ، ووصل الى مدينة Médina ، ومنها الى عاصمة بامبوك Bambouek ( ١٧٩١ ) ، ولكنه لم يلق نهر النيجر ، وانقطع خبره . أما مونتقوبارك Mungopark الاكوسي ، فصعد من بلاد غامبيه ، فوصل الى النيجر عند سيفو Segon وعاد من حيث أتى ، ثم بعد تسع سنوات ، عاد فصعد النيجر ووصل الى تمبكتو ، ثم أوغل الى بوسانغ ، وهناك قضى سنة ١٨٠٦ . وكان رفيقه الفرنسي موليان Mollien قد اكتشف منبع نهر السنغال ، ومانبع نهر الغامبيه ، وروبوغرانده سنة ١٨١٨ .

ثم ان رفيقه كاليه Beno Caillié الفرنسي ، لم يزل يحبب تلك الاقطار حتى وصل الى تمبكتو بعد مشاق لا توصف ، وذلك في فبراير سنة ١٨٢٨ ، وبعد ان اقام بها مدة حتى بقاظة مغربية حائدة الى فاس ، فرسل الى هذه العاصمة في ١٢ أغسطس ، ومنها ذهب الى الرباط والبحر الى فرنسا ، وأكرمته الحكومة والجمعية الجغرافية ، لكونه أول أوربي وصف تمبكتو وصفا عن عيان ، ( أما العرب فكانوا يعرفون تمبكتو عند قرون ، وبقيت هذه المدينة والممالك التي تجاورها أعصرا طويلا جزءا من سلطنة المغرب الأقصى ، ووصول السائح العربي الى تمبكتو ، لم يكن له من الشأن أكثر من وصوله الى إحدى مدن المغرب ) . وسائر الضابط لتغ Laing الاكوسي من طرابلس الغرب ، قاصدا تمبكتو في ١٦ يوليو ١٨٢٥ ، فبانها في ١٨ أغسطس ١٨٢٦ ، ولكنه قتل أثناء اياحه . وأما الاكوسي كلاپرتون Claperton فاكشف بحيرة تشاد ، وملكها الفلاحة ، وزار مدن كانوا ، وكازينال ،

وسوكوتو ، ومات في سوكوتو سنة ١٨٢٧ وكان معه رفيق اسمه ريتارد لاندر فاكشف  
مصعب النيجر ثم اكمل اكتشاف مجرى النيجر الدكتور بابكي الاكوسي ومعه جماعة ، وذلك  
من سنة ١٨٥٤ الى سنة ١٨٦٤ .

فهؤلاء السباح وأمثالهم هم الذين بنصص اسفارهم هاجوا شوق مبشري الكنيسة  
الانكليكانية والميثودية الانكليزية ، وكان الانكليكانيون منذ سنة ١٨٠٤ اسسوا مراكز  
لهم في سيراليون Sierra Leone واقتدى بهم الميثوديون بعد ١٠ سنوات من ذلك  
للتاريخ ، وفي سنة ١٨٦١ ، كانت لنصارى الزنج في تلك الانظار كنيسة مستقلة بذاتها .  
وأما طريق السكاب فهي الطريق الثالثة التي دخل منها المبشرون الى باطن افريقية ،  
والمبشرون هم لم يسبقهم السباح بل كانوا هم السابقين ، بدأ بذلك جورج شبيد سنة ١٧٣٧ ،  
ويأتين سنة ١٨٠٠ ، فوصلا الى بلاد الهوتنتوت ، ثم ان الدكتور ثودور فان دير كيب  
الهولاندي ، ذهب الى بلاد الكافر من ناحية بور النابات . ثم الدكتور فيليب الانكليزي  
وصل الى بلاد البوشمن Bushmen ، الذين هم أحد أولئك الاقوام نوحشا ، وقد شكك  
هؤلاء المبشرون من قسوة طائفة البوير نحو السود ، ولا سيما الدكتور فيليب هذا ، الذي  
كانت له اليد الطولى في الغاء الرق بتلك الديار ، وكان هو السبب في اعطاء الهوتنتوت حقوق  
رحايا المستعمرات .

ومن ذهب لتبشير في بلاد السكاب يسو Bissau الفرنسي ادم دماء البعثة الانجيلية  
الباريزية ، وصل الى وادي شارون Charron فوجد هناك اربعة آلاف مستعمر فرنسي من  
اعقاب الهوغنوط ( برونسنتات الفرنسيين ) ، جلوا الى هناك عند طردهم من فرنسا ، واسكنهم  
كانوا قسوا اللغة الفرنسية تماما ، ولم يبق عندهم من آباءهم الا بعض نسخ فرنسية من  
التوراة . ثم ان اثنين من برونسنتات باريز لير Lemire ودولان Roland وصلا سنة  
١٨٤٣ الى ليمونتو Lessouto . وصار هذا القطر من ذلك الوقت مركزا للدعاة  
البرونسنتاتية الفرنسية . وبعد هذا التاريخ بخمسين سنة ، تقدم اوجين كويليار Eugene  
Coillard الفرنسي الى بلاد زيمبارا العليا ، ونصر كثيرا من ذنوج الماروتزي Marotse .  
ولكن الاكوسيين امرزوا قصب السبق في تهذيب اهالي تلك الاقطار ، اشتهر منهم

مؤلف Maffat الذي قضى زهاء نصف قرن ، يجتهد في تصدير امة البيتشوانا Betchouana  
وترجم التوراة الى لغة البيتشوانا Sitschouana ، فوجد في لغة أولئك المتوحشين ادبا  
لم يكن معروفا ، وازوج مؤلفاته ، من ليفنسبون الشهير المولود سنة ١٨١٥ ، وكان هذا  
رحالة ومبشرا معا ، بدأ سياحته بين نهر الاورانج وزيمبارا ، ثم دخل واسط الغارة  
الاغريقية ، ومنها خرج في لواندا Louanda بساحل الكونغو ، ومنها ذهب الى كاليان  
Quelimane بساحل الموزامبيق ، وهو أول أوربي اطلع على مجرى نهر زيمبارا ، وهذه  
رحلته الاولى من سنة ١٨٥٣ الى ١٨٥٦ ثم باشر رحلته الثانية ( ١٨٥٨ الى ١٨٦١ )  
فعرف بها مجرى النهر الادنى ، ودخل بلاد الشيري Chiri ، واكتشف نياسا Nyassa  
من البحيرات الكبرى في واسط افريقية . وأما في رحلته الثالثة ، فجاب الاقليم الواقع بين  
بحيرة نياسا وبحيرة تانانكا ، وعرف طرف التانانكا الجنوبي ، وسنة ١٨٦٨ اكتشف



بحيرة بانغولو Bangwulu ، وفي هذه السنة انطلقت أخبار لفنستون المذكور ، فالتقى بال  
الاساس عليه نظرا لباهر اقدمه وجرأته ، فأرسل مدير جريدة النيويورك هيرالد أحد  
الاخباريين المدهو هنري ستانلي للعثوب آثار لفنستون ، فساغر ستانلي من يولي سنة ١٨٧١ ،  
فالتقى لفنستون بعد ١٠ سنوات في محل يقال له أوجيجي على ضفة بحيرة النغابينا ، ومات  
لفنستون بعد ذلك بستين أي عام ١٨٨٣ على ضفة بحيرة بانغولو . وكانت لفنستون هذا  
هالة ، وعزومة واسعة ، استخدمهما في الفاء الزق ومنع تجارة الرقيق ، وتعرض من أجل  
ذلك مرارا للاخطار .

أما للطريقان الباقيان الى داخل افريقية فهما ( الجزائر وطرابلس ) اللذان كانت تذهب منهما  
القوافل الى بطن القارة السوداء ، وكانت هذه القوافل تتحدث عن بحيرة عظيمة في الداخل  
يقال لها وانغوا ، وكانت جمعية الشركة الافريقية في لندرة أوسات الماجور يدعي Poddio  
والضابط ابون بين سنة ١٩١٦ سنة ١٩١٩ فهذه الاول ، وعجز الثاني عن تجاوز فزان  
ولكن فصل أنشأته في طرابلس كان يؤكد ذلك الشركة ان الطريق من طرابلس الى برنو  
هي مفتوحة نظير الطريق من لندرة الى ادمبرغ . ( الحقيقة ان هذه الرحلات التي قام بها السباح  
الاوربيون في بطن افريقية ، وعددا أهل أوروبا ما ترعفيرة ، ووضع أصحابها في صف أطفام  
الدهر ، كان العرب من سباح وتجار ودرابيش ، قاموا بأضاف أضافها منذ قرون ، ولكن  
بدون بأر ولا فخر ولا ضوضاء عظيمة بل بكل بساطة لا يرى الواحد منهم في الذهاب الى  
بحيرة تشاد او الى الكنف من النراية ، أكثر مما يرى في الذهاب من تونس الى غدامس . ولما  
وصل الاوربيون الى تلك الاقطار التي ظنوا انها مجهولة عند كل العالم ، لم يجدوا من يجاملها  
مكنا الا فيه عرب ، أو آثار للعرب ، واللغة العربية . )

فأرسلت الشركة الافريقية بعثة عقدت عليها الماجور دتهام ، فسلطت من طرابلس في  
آخر مارس عام سنة ١٨٢٢ فرت من فزان ووصلت الى كوكا داصية برنو في ١٧ فبراير عام  
١٨٢٣ وتوغل كلا برتون أحد أعضاء هذه البعثة الى بحيرة تشاد وزاركانو ، وسكوتو . ثم  
ارسل الانكليز بعثة ثانية تحت قيادة جيس ريشاردسون ، وكان معه الالمانيان أوفرنيغ  
Owerveg وبارث Barth فساروا من طرابلس في خريف سنة ١٨٥٠ ، واخترقوا فزان الى  
الغابر ووصلوا الى بحيرة تشاد . سنة ١٨٥٢ مات الالماني أوفرنيغ ولكن زميله بارث لم يفت  
عزمه بل أوغل في بلاد الاداموة في الجنوب وعرف ان نهر ينوي Binou هو من شعب  
النيجر . ثم ذهب الى سكوتو في الغرب ، ومنها صعد وادي النيجر الى الشمال الغربي حتى بلغ  
مبكتو فقام بهذه المدينة من سبتمبر سنة ١٨٥٣ الى مايو من السنة التالية وهاد من مبكتو ،  
الى برنو ، ومنها عاد الى أوروبا سنة ١٨٥٥ .

وأما الفرنسيين فبعد فتح الجزائر ، بدأ يجهزون الصحراء ، فكانت اسما عيل بودويه ترجان  
القلم العربي في « الاقوات » أول من أتى بالمعلومات الحقيقية عن الصحراء ، وعن التوارق الذين  
بين واحة وارغة ، وغلات وذلك في نحو سنة ١٨٥٠ وعقبه في سنة ١٨٥٩ هاتري دوغانيه  
فجاء بمعلومات كثيرة عن التوارق . وبعد ذلك بسنين أرسل الكنديان لافيجري رها ،  
الاباء البيض الى أقاصي الصحراء ، حيث أسسوا مراكز لتبشير ونحوها مدارس لتعليم .

ومن المداخل المهمة التي كانت للاكتشاف والتبشير جزيرة ممباسا Mombasa وتوابعها ، وقد كانت مستعمرة برتغالية او برتغالية ، فاستول عليها امام مسقط ، ثم سلطان زنجبار . ولما كانت منفذاً للتواصل الواردة من المداخل رأيت فيها جمعية التبشير الانكليكانية ، محلاً مناسباً لبث الدعوة . سنة ١٨٤٤ جاء رجل الماني من ورتمبرغ اسمه كرايف ، فكنى في رابلي بقرب ممباسا ، ثم انضم اليه جواب آخر الماني اسمه ديمان ، فأزما للسبر والنظر في داخل البلاد ، وكان أهم ما اكتشفاه ، جيلان مغلطة قنهما بالنلج الابدي جنوبي خط الاستواء ، وهما كينيا وكيليا نجارو ( ١١ مايو عام ١٨٤٨ ) وتقدم هذان الرحالتان في بلاد جافا Djagga وكان أهلها من أشد الزوج توحشاً يأكلون لحوم البشر فأخذ كرايف وديمان يرشدانهم وبهذه بان من اخلافهم ، وفي احدى المرات أراد أحد ملوك تلك الناحية ان يكافئ كرايف على هدايا قدمه له فوهبه عاجاً ومواشي وعدداً من العبيد فقال له كرايف : اما العبيد فلا أقبلهم لان العبودية هي خلاف القانون الالهي ، واما المواشي والماج ، فمأبئت الى بلاد اوزامبارة لاجل عظام الدنيا ، فاذا شاء الملك يعطيني بعض اولاد غير ارقاء آخذهم معي الى ربابي وأريهم . ولما علمت جمعية لندن الجغرافية باكتشافات هذين الجوابين أرسلت بعثة عندها ملها لضابطين من الجيش الانكليزي الهندي وهما ريشاود بورتون ، وسيك ، فسافروا من زنجبار سنة ١٨٥٨ واكتشفوا بحيرة تانغانিকা ( ١٣ فبراير ١٨٥٨ ) ثم بحيرة تياسا التي لم يروا الاقسام منها واطلقوا عليها اسم بحيرة فيكتوريا ثم توغل سيك ورفيق آخر معه في شمالي خط الاستواء الى الغرب ، فصادفاهم غلطان من أصول النيل ، ثم سارا في نحو الشمال فوصلوا الى غوندوكورو في بحر الجبل ، وتلاقيا مع صموئيل باكر وأمراته اللذين كانا يبحثان عن منابع النيل آتئين من الخرطوم . وبعد عشر سنين من هذا التاريخ تلاقى هاتري ستانلي مع ليفينغستون في اوجيجي على شاطئ التانغانিকা . والضابط كامرون خرج من زنجبار سنة ١ٸ٧٣ فلقى في الطريق قلعة الزوج الامناء ، التي كانت آتية بحثة ليفينغستون وأوراقه الثمينة ، وسار من الشرق الى الغرب مخترقاً جميع قارة افريقية واكتشف مجرى لوكايا Loukaya ولوالابه Louakaha ونفذ الى ساحل بنغويله Benguela على سيف الاطلاتيك ( ١٨٧٨ ) . ثم ان هاتري ستانلي تمكن من غل مركب بخاري الى بحيرة فيكتوريا نيازا ، فجال في جميع اقسام هذا البحر الداخلي وأقام مدة بلاد اوغاندا Uganda ثم ضرب الى الغرب ، فوصل الى أعلى نهر الكونغو وعرف الشلالات التي سميت منذ ذاك الوقت باسمه . وأما الضابط البرتغالي سربا بينو Serpa-Pinto فأخترق هذه القارة من الغرب الى الشرق ، إذ سار من بنغويله في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٧٧ ، واوغل في مجاهل نانو ، وهيرامبو ، ويسي ، ووصل الى الزامبيز الاعلى ومنها الى بلاد الماتامبيو Matambez والفرانسفال .

فاستغار هؤلاء السياح هابت شرق جميعا تبشير الى بت الدعوة الدينية ، لا سيما كتاب ستانلي الى مسيحي انكلتره الذي حرره من مقر منيسه Missa ملك الاوغانده ( ١٨٧٨ ) فتد احدث هباباً عظيماً ، ورأيت جميعا كنيات اكسفورد ، وكامبريدج ، ودبلن ، وجمعية الكتيبة الانكليكانية ، والاباء البيض ، والمبشرين الالمان ، يشاققون الى رود هانك الارحاء والدعاة فيها .



وهذه الاسفار ايضا كان لها التأثير الاكبر في اعينهم الدول الاوروبية بمنع تجارة الرقيق المحظلة ( اوافق على انها محظلة ) ، وكانت انكثرة هي السابقة في هذه الحلية ، ولما كانت جزيرة زنجبار هي أعظم مركز لهذه التجارة فقد اجبر الانكليز سلطان زنجبار عام ١٨٧٣ على اضاء عهد بمنع تجارة العبيد ، واخذت مراكب انكثرة تضبط جميع مراكب العرب التي تجر فيها عبيداً ، وكثر عدد هؤلاء المستعدين ، فعمروا لهم مكانا يستغلون فيه قصاد جزيرة ممباسه . سنة ١٨٧٦ انعقد مؤتمر افريقي في بروكسل ، انتخب فيه ليوبولد ملك البلجيك رئيسا للشركة الشيعية لتحضير افريقية ، وهذه الشركة ، هي التي اوجدت حكومة الكونغو الحرة .

سنة ١٨٨٥ ، انعقد في برلين مؤتمر لتقسيم افريقية بدعوة البرنس بيسمارك ، وخرج في نصيب المانية حصص سالحة مثل مستعمرات الكامرون ، وتوفو ، وزنجبار ، وتقرر بين الدول للتشديد في إلغاء الرق ، والتعهد بحماية رسالات التبشير الساعية في تهذيب السود بدون تفرق بين المذاهب والاعناس ، كما ان حرية الاهالي الدينية بقيت مضمونة . وقد ايدت قرارات مؤتمر برلين هذا ، مؤتمر انعقد في بروكسل عام ١٨٨٨ ، تساعت اليه جميع الدول النصرانية وارسلت اليه بعض الدول الاسلامية مثل تركية ، وايران ، وزنجبار معتمدين ، وتقرر إنشاء دائرة دولية في زنجبار لمراقبة ابطال الرق .

### الرسالات البروتستانتية في افريقية

لم تصل البعثات التبشيرية الى افريقية الا بعد البعثات الكاثوليكية بارتين ونصف قرن ، وهو امر طبيعي لان البروتستانتية قبل ان تفكر في نشر دعوتها في خارج اوروبا ، كان عليها ان توطئ قدمها في داخل اوروبا . ولكن البروتستانتين بعد ان بدأوا في التبشير ، سبقوا اقرانهم الكاثوليك في الاجتهاد والنجاح . وكانت الدول المسيحية ياديء ذي بدء ، أرادت حل الزواج على التنصر بفحوة الحكومات ، وسارت زمنا على هذه الحطة ، ولكن دول انكثرة ، وهولانده ، والدينمارك ، رفضت في التالي هذه الطريقة خشية حدوث الثورات في مستعمراتها ، وتركوا ابقاء مهمة التنصير للجمعيات غير الرسمية .

وان أكثر الامم رسالات دينية في افريقية هي الامة الانكليزية ، فانها تنفق بقدر تلتقي نفقات الرسالات البروتستانتية باجمعها . ولكن الذين بدأوا بالتبشير لم يكونوا الانكليز ، بل الالمان والدينماركيين . وقد كان أول من اقتحم هذه الاخطار من الالمان هم المورافيون ، حاولوا الدخول من اربعة أبواب مآ : الجزائر ، والناغرة ، وساحل غينية والكام . فشلوا في الثلاثة الابواب الاولى بسبب تمسك أهل الاسلام بدينهم ، وبما فشكت بهم الحى في غينية ، فقد كانوا يرسلون الفوج بعد الفوج ، فتعصدهم الحى تباعا حتى عدلوا عن رسالة غينية ، ولم يستأنف العمل هناك الا بعد سنين سنة بواسطة جمعية ( بال ) من سويسرة الالمانية . أما في بلاد الكام ، فقد كانت لهم اليد الطولى في تهذيب الهونتوت والكافر Kafres ، وتخفيف آلام المجذومين . ولما توطن البشر الالمانى جورج شميد في بايانس كلوف على ٥٠ ميلا شرقي الكام ، كان الفلاحون الهولنديون « البوير » يحتشرون الهونتوت

الى حد انه هو اقرا امام عدة كنائس الاصلان الاثني « ممنوع دخول الهوتنتوت والكلاب الى هنا » . سنة ١٧٩٢ اسس المورافيون في تلك البلاد مركزاً أطلقوا عليه اسم وادي الرحمة Gradental ، وفي سنة ١٨٠٠ صار هذا المركز قرية ذات ١٢٠٠ نسمة ، فيها صناعات واشغال مفيدة ، واليوم هي من ازهر بلاد السكاب ، وفيها ثلاثة آلاف هوتنتوتي مسيحي . ثم اوقل المورافيون في بلاد السكاف الى مسافة ٦٠٠ ميل شرقي السكاب ، وعانت أعمالهم بحروب الانكيز مع امة السكاف ، لكنهم ثبتوا في موقفهم وصبروا على الشدائد من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٨٥ ، اذ وقفوا الى تأسيس مركز في شمالي بحيرة نياسه Nyassa في الجنوب الغربي من المستعمرة الالمانية الشرقية . وكان لبنة المورافية عام ١٩٠٢ نحو ١٢ مركزاً ، و ٢٢ مدرسة ، و ٢٠٠٠ تلميذ ، ونحو ١٠ آلاف منتصر وعلموا الاهالي البناء والحرف . ولكن أهم عمل قاموا به هو معالجة المجازيم ، فان الانكيز منذ سنة ١٨٦٨ بنوا مستشفى لجندومي الهوتنتوت وسلموا خدمته الى المورافيين ، وكان مستشفى واسعاً ذا جدران عالية وباب واحد ، فلبثوا يخدمون هذا المستشفى ٤٤ سنة ، وكان الدكتور لايتز مدير المستشفى متزجراً عند وفاته ، بانه وجد من المجازيم ٩٥ رجلاً قبلوا الدين المسيحي . ولما أودت الحكومة الانكليزية استبدال قسوس انكيز بهم ، خرجوا من ذلك للمهد الصحي باكين ، ومن الغريب انه لم يصب ولا واحد من المورافيين بالجذام مع شدة عدوى هذا المرض .

وبأني بعد المورافيين دعاة جمية بال ( أو بأزل بالالمانية ) فقد لطعوا افريقية سنة ١٨٢٨ بطلب ملك الدانمرك ، فذهبوا الى ساحل الذهب وكانوا سبعة ، فاث منهم خمسة بالطي ، والتجأ أحد الاثنين الباقيين الى أحد الجبال حيث الهواة نقي ، لجعل هناك مركز رسالة وصحة ماء ، وسنة ١٨٢٥ اسس في اكرويتش كنيسة لتصارى السود ، وكانت مبادئ العمل في غاية المشقة اذ مضت ٣٤ سنة ولم يقتصر سوى ٨٠٠ شخص ، ولكن منذ سنة ١٨٥٧ اخذت الرسالة تنجح وعدد المنصرين ينمو ، حتى كان مجموعهم سنة ١٩٠٢ نحو ١٨ الفا . وهذه الرسالة اليوم ممتدة الى بلاد الاشاني التي قاعدتها كوماني ، والى حدود مستعمرة طوغو الالمانية . ولها أيضاً ثمة مراكز في مستعمرة الكامرون الالمانية ، حيث يلف حولها نحو ثلاثة آلاف نصراني كامروني ، وعندها في الكامرون ١٣٧ من الكنائس ، يختلف اليها نحو ٣٢٠٠ ولد . وقد ترجم رجال هذه البعثة النوراة الى اللغة السهارة دوالاً Doudla .

ثم جمعية برلين الافريقية وهي احدى جمعيات برلين الانجيلية ، اسسها ديستلكامب Diestelkamp سنة ١٨٨٦ للتبشير في شرقي افريقية ، فارسلت دعايتها الى الجنوب الغربي من مملكة الاورانج ، والى غربي غربكا ، والى بلاد الباسوت في الترانسفال ، والى شمالي بحيرة نياسه ، فيوجد لها في هذه الايام ٢٧ مركز دعاية و ٢١ ألف منتصر ، وازهر مؤسساتها مدينة بوتشاييلو ، التي عدد سكانها ٤ آلاف كلهم نصارى ، وفيها صناعات ومهن في غاية الفائدة .

ثم جمعية الكنائس الانجيلية في بلاد الرين اوسلت دعايتها للتبشير في بلاد الهوتنتوت ، ثم تطعت بلاد الناما Namas ، والهيريرو Hereros الذين هم من اشد القبائل عنواً ،



والاوطامبو الذين بين نهر الاورانج والكوتيين ، ثم ان أحد البيونات التجارية الالمانية من برآم أسس محلاً تجارياً في اونجيمبنج Otjimbingbe ، فامتد هناك الالمان وجعلوا لانفسهم مستعمرة سموها مستعمرة الجنوب الغربي الافريقي ، فالرسالة الانجيلية الرينية عندها في هذه الايام في مستعمرة الكاب ٢٥ مركز دعاية ونحو ١٦ ألف منتصر ، وفي مستعمرة الجنوب الغربي المذكورة ٢٤ مركزاً ونحو ١٢٥٠٠ منتصر .

ثم جمعية شمالي المانية التي مركزها برام ، وجمعية هرمانسبورغ التي مركزها هانوفر ، هما أيضاً تشتغلان في الدعاية بافريقية ، فالأولى تخدم هذا المقصد في ساحل البييد وعندها نحو ٣ آلاف مريد ، والثانية تشتغل في بلاد الباسوتو شمالي الترانسفال ، والباسوتو قوم كان البوير ياملونهم بمعاملة ارقاء . ثم تقدم دعاة هذه الجمعية الى بلاد الزولو ، وشرعوا في التعليم والتبشير ، فمن نصف قرن الى اليوم صار عندهم نحو ٤٣ ألف منتصر .

ثم تأتي جمعيات السويد والنرويج ، فالسويد جمعية تبشر في مستعمرة ايطالية بالاريتره ، وفي بلاد كوتافه ، ومقاطعة حازه ، شمالي الحبشة الى الغرب ، وكان عندها سنة ١٩٠٢ عشرة مراكز و ٥٠٠ مريد و ١٤ مكتبة للصغار . أما النرويجيون ، فقد أسسوا في ماداغسكار رسالة في غاية العظم ، فانتهزوا مقاطعة تشيادو للعمل بالاتفاق مع جمعية لندن التبشيرية ، ثم تقدموا الى بلاد ساكالا في الساحل الغربي من ماداغسكار ، وإلى الساحل الجنوبي الشرقي . وبعد جهد استمر ٣٠ سنة ، كان عندهم سنة ١٩٠٠ خمسمائة مكتب ، وواحد وخمسون ألف وثلاثمائة مريد ، ولهم أيضاً مدرسة عليية عالية ، ومدرسة لاهوتية ، ومدرسة طبية تابعة لمستشفاهم بتاناناريف .

ثم الجمعيات الهولندية ، وأول من اعنى منها بالتبشير ، جمعية تأسست سنة ١٧٩٧ في روتردام ، اسمها جمعية جنوبي افريقية لتوسيع مملكة المسيح . وكان بطلاها تيودور فان دركامب وكيشنر ، فذهبا الى بلاد الكاب وباشرا العمل في بلاد الهوتنتوت وعند ذلك اشتدت عزيمة الكنيسة الهولندية في الكاب ، فقامت بما يجب عليها من التبشير بين زنج بلاد الاورانج والترانسفال . ولما دخلت بلاد الكاب تحت سيطرة انكلترة سنة ١٨١٥ ، انطلقت أيدي الجمعيات التبشيرية الانكليزية في العمل لاسيما جمعية التبشير بالانجيل المعروفة بهذه الاحرف الثلاثة S.P.G. فقد بنت الدعاية بين الاهالي بهمة المطران غراي ، وسنة ١٨٦٤ دخلت هذه الجمعية ماداغسكار ، وأست كرسى اسقفية في تاناناريف ، وصار عندها ١١ ألف مريد .

ثم برزت الى الميدان جمعية رسالات الكنيسة الانكليزية المؤسسة عام ١٧٩٩ ، وكان معظم همها مصروفاً نحو افريقية ، وكانت كتبها « يقضي رجال ذوق عقل ديني لا كمال حمل روحي » وفي البداية كانت تكتب أ كثر دعايتها في المانية ، فقد أخذت من مجمع مدينة بال وحده ثمانين داعياً كلهم من الطراز الاول . وكان ميدان عملها الكاب ووادي النيجر الاوسط ثم مومباسا ، ثم الاوغانده حيث وقع الخلاف بين المبشرين الكاثوليكين والمبشرين البروتستانتين وجبر الى معارك دموية ، ومع هذا ، فإن هذه الجمعية جمعت حولها ١٦٤ ألف منتصر في الاوغانده وحدها وكان يوجد هناك نحو ٢١٢ ألف زنجي كاثوليكي ، ٤٠ ألف مسلم . ولا

يزال نحو ٣٨٠ ألف زنجي على عبادة الاصنام ( قرأت في بعض الكتب الفرنسية أن الانكليز  
 مرزوا قوة الدعاية الانكليزية بالسلاح في الاوغاندا وضايقوا الكاثوليك والمسلمين ) فالرسالة  
 الانكليزية بواسطة هذه الجمعية تمكنت من تأسيس خمس عشرة اسقفية وهي ما يأتي :  
 اسقفية الكاب ( ١٨٤٧ ) ، سيارالبون ( ١٨٥٢ ) ، تاتال ( ١٨٥٣ ) ، غرامسانون  
 ( ١٨٦٣ ) ، بلومفونتن ( ١٨٦٣ ) ، الزولو ( ١٨٧٠ ) ، سان جان في بلاد الكافر  
 ( ١٨٧٣ ) ، تاناناريف ، مدغشكر ( ١٨٧٥ ) ، برتوريه ( ١٨٧٨ ) ، زونبار وشرفي  
 افريقية ، خط الاستواء ، بلاد النيجر ، نياسه وماشون في روديزيه Rhodesia . وبطاف  
 الى هذه الاسقفيات مدارس العلوم والهنر كالمهارة ، والنجارة ، وجر الاتقال ، وغيرها \*  
 وأشهر هذه المعاهد الذي في غرامامستون ، ثم الذي في بلاد الكافر ، ثم الذي في جوار  
 الكاب ، ثم الذي في كيبوزي .

وانت اعترف بجلالات أعمال هذه الجمعيات أبعد الناس من الدعوة الدينية . فقال البرزه وكلاوس  
 الجنراني الفرنسي الشهير : انه بتأثير دعاية الجمعيات الانكليزية دخل كثير من زنج - سيالابون  
 في النصرانية وصار منهم اكثر الوعاظ والبشرين ، وأقبل الناس على التعلم وتحرر الارقاء ،  
 وتأسست ملكة سوداء حرة .

ثم جمعة رسالات لندن المؤسسة سنة ١٧٩٥ ، أرسلت دعائها الى بلاد البوشمن في  
 الاوراج الاعلى ، والى ما بين بلاد الكاب وبحيرة ناكامي ، والى جزيرة ماداغسكار ، وأسست  
 سنة ١٨٧٧ مراكز بقرب تنزانياكا \* وانورامبو \* واوجيجي . وقد كان يريدو هذه الجمعية  
 بلغ عددهم سنة ١٨٥٠ في بلاد الكاب ٣٥ ألف نسمة ، واما في سنة ١٩٠٢ فكان عددهم  
 ٩٦ ألفا عدا رعية كنيسة تاتال . وتنعصر على يد ليفنستون أحد أولاد ملوك بامانواتو الدمور  
 كما ، فمع استعمال الاثرية السكوية بين الاهالي .

وقد اقتدت بالكنيسة الانكليكانية الكبرى الكنائس التالية ، فالكنيسة المهدانية تفرقت  
 دعوتها في خليج غينية وجمعت نفسها مركزاً في جزيرة فرناندوبو الاسبانية ، ثم بنت دعائها في  
 الكامرون حيث بنت مدينة فكتوريا التي صارت قاعدة مستعمرة الكامرون الالمانية ، وركزت  
 في تلك البلاد ما از عظمته من تركية الاخلاق ، والفناء الرق ، وابطال الشعر واستفاد السحرة  
 الى أن صاروا بنوارون في الغاب وصارت الفتيشية سخرة يهزأ الجميع منها . ولما استولى  
 الالمان على الكامرون لم يرتاحوا الى وجود البشرين الانكليز فيها ، فتغلب هؤلاء عن مؤسساتهم  
 لجمعية الالمانية ( ١٨٨٧ ) ، دابت النصرانيون الوطنيون مستغلين بكنائسهم . وتحولت الجمعية  
 المهدانية من الكامرون الى الكونغو حيث كان البرتالبون قد أدخلوا كثيرين في الكشكشة \*  
 فاجتهد الانكليز المهدانيون في استماله قسم من أهل الكونغو ، ولكن الى اليوم لا يزيد  
 عدد المنصرين على ابيهم على أكثر من ٦٠٠ نسمة ( ١٩٠٦ ) .

ويرجع الى هؤلاء المهدانيين الفضل في تنبيه الانكار \* الى ما كان يحريه عمال البلييك  
 في الكونغو من الظلم والفظائع ، التي أشمئز منها الطاع \* والتي شاع ذكرها فيما بعد \* فصدر  
 أمر ملك البلييك ليديرك حيثنة بالتحقيق من هذه الفظائع ، وتار من أجل ذلك غضب اولئك



المستخدمين الذين اقتضت أعمالهم لكن المبشرين قاموا بإجبارهم تجاه النصرانية والانسانية جميعا .

ثم الكنيسة المسماة بالميتودية Wesleyenne ou Méthodiste (كنيسة بروتستانية أسسها في أكسفورد يوحنا ويلي John Wesley سنة ١٧٢٩) بدأت بالتبشير في سيراليون سنة ١٧٩٦ ، ونجحت نجاحا عظيما حتى يعد مريدوها اليوم بنحو ٧٥٠ ألف نسمة منهم ١٥٠ مبشرا زنجيا وعندها فروع متعددة من غامبيه الى النيجر . والكنيسة الميتودية هذه رعية في بلاد الكاب ، والكافر ، والزولو وبعض مريدوها هناك بنحو ١٠٠ ألف نسمة . وفيما بين الزنوج للتبويدين ظهرت الحركة المسماة بالاثيوبية Ethiopisme ، التي معناها تزوج المسيحيين السود من امة البانتو Bantous في جنوبي افريقية الى ادارة الكنائس الاعلية بدلا عن الاوربيين ، عملا بقاعدة « افريقية لافريقيين » ، وقد برزت هذه الفكرة سنة ١٨٩٦ في الترانسفال . وأخذت اسم الاثيوبية بحجة ان أصحابها يريدون الانتهاء الى الكنيسة الاثيوبية أي الحبشية ، لانها كنيسة مسيحية أصلية في افريقية تأسست منذ أيام الحوارين . وهم يرمون المبشرين الاوربيين بكونهم غالبا يحملون التبشير مصبغة للدنيا ، وغرضنا من أراض السياسة والتجارة ، ولا يفهمون حقيقة احتياج الروح السوداء ، فرماهم تأسيس كنيسة افريقية حرة لا تحت سيطرة المبشرين الاوربيين ، ولكن أصحاب هذا المشروع كان ينقسم العلم التلازم والقوة السكانية لتحقيقه ، فراجعوا الكنائس السوداء باميركا لاجل مساعدتهم ، فلم يقدروا بطائل يذكر ، فانضموا سنة ١٩٠٠ الى كنيسة الكاب الافريكانية ، وانحدوا لقب الجمعية الحبشية وعددهم نحو ١٠ آلاف ، ( يعلم القاري والفكر من هنا ان نزعة الاستقلال تمت جميع الامم حتى السوداء ، وصارت الى المراحل النهائية أيضا فساد قسم من الزنوج ينصرون على أيدي الاوربيين حتى نهضوا يطالبون باستقلالهم الكنسي ، ويحتجون الى الحبشة النصارى ، ملتصقين الانضمام اليهم لانهم افريقيون في الجنس ) .

ثم الكنيسة البرسبيترية L'Église Presbytérienne في بلاد الايكوس لها مراكز دعابة في بلاد نائال ، وعندها مدرسة في بلنيسفود . وكذلك الكنيسة الابكوسية الحرة لها مراكز في بلاد الكافر ، والزولو ، وعندها مدرسة صناعية في لوفيدال ، فيها نحو ٥٠٠ طالب ، ويذهبها مزرعة انموزينية ، تبلغ ثلثها كل سنة ألف قطار من الحبوب .

وبالاجمال فالرسالات الالمانية امتازت بالتدقيق في اللغات الافريقية ، وبالثبات وحفظ النظام ، ولكن الرسالات الانكليزية والابكوسية امتازت بالجراءة وبمدا الهمة ، وبالصدق في تحرير الزنوج ، ومنع المظالم الواقعة عليهم من المستعمرين ، على ان كلا الفريقين ادخل في افريقية الشغل اليدوي ، والصناعة والزراعة ، مبرورة بالتعليم الديني والتدريب ، فصرحت ترى من هؤلاء السود ذراعا وعددا ( جمع عشيق أو عشوق وهو الذي يسوي رباحين المداين ) وممرضين وميكانيكيين وفنّانيين على التلذراف .

أما البروتستانتيون الفرنسيون فقد أرادوا الاقتداء بشيخهم من ابناء سائر الكنائس الانجيلية ، وتأسست لهم جمعية تبشير في باريس سنة ١٨٢٨ ، وأرادت بث دعائها في العالم الوثني مبثثة في ذلك بالمستعمرات الفرنسية مثل جزر الانيل ، والبونديشيري ، ولكن

الكاثوليكين أبوا ذلك ، فلم يسمح كارلوس العاشر ملك فرنسا للبروتستانت الفرنسيين بالتبشير في تلك الاستعانة ، فاعمل هؤلاء همهم في بلاد الكاب لا سيما عند جبل يقال لهم الباسونتو Bassontos وقد مضى على دخولهم تلك البلاد سبعون سنة هذبوا فيها أخلاق هذا الجبل ، وأوجدوا بينهم العلوم والمهن ، وأسسوا مدارس وكنائس ومطابع ، وعندهم الآن ٣٠ ألف مسيحي من الاهالي و ١٢ ألف ولد في كنائس الجبلية ، وقد جمع المبشرون لغة هؤلاء القوم في معجم ، والفوا لها نحواً وعرفاً وآداباً ، وترجموا لها التوراة .

ولما تأسست في فرنسا الحكومة الحرة اذنت لهم بالتبشير في المستعمرات الفرنسية ، فذهبوا الى السنغال سنة ١٨٦٢ ، والى الكونغو الفرنسي ، والى زمبيزية الملباء ، والى ماداغاسكر . فأما الرسالة السنغالية فكان عليها ان تجادل خصمين عتيدين . المناخ الوبي ، والتعصب الاسلامي . وبالرغم من ذلك ، تمكنت من تأسيس مركزين أحدهما في سان لويس والاخر في بونديكور . أما في الكونغو الفرنسي فكان أولا المبشرون الامريكيون من الكنيسة البرسيترية ، فلما قضت الحكومة الفرنسية بتعظيم اللغة الفرنسية بصورة اجبارية دعا المبشرون الامريكيون جمعية التبشير البروتستانتية الفرنسية لاختد مراكزهم ( ١٨٩٢ ) ، وأسسوا أربعة مراكز جديدة ، وشرعوا في التوسع بين قبيلتين أحدهما يقال له الغيلوه Galois والثاني الباهون Palouins . وأما في زمبيزية العليا فانهم جعلوا ميدان حمام بلاد الباروتزي Barotsis ، فنجحوا نجاحاً عظيماً ، ومن لم يتضر من هؤلاء القوم ، فقد تهذب اخلاقه بالاحشكاك مع المبشرين ونشر التاييم المسيحي ، ومنهم لثانيكا ملك البلاد الذي أمر بمنع الاشربة الكحولية في مملكته ، فالبعت الفرنسية الانجليزية عندها هناك سنة مراكزة مع مدارس وكنائس عديدة . ولكن بدأت تراجعها منذ سنوات في ذلك القطر الجبلية الحبشية لما ذكرها ، والتي مبدأها « افريقية الافريقيين » .

ولما استولت فرنسا على ماداغاسكر بتمامها سنة ١٨٩٥ ، كان التبشير في هذه الجزيرة الكبرى في يد الجبلية النورويجية ، ورسالتين انكليزيتين احدهما « رسالة لندن » والثانية رسالة الكويكرس . فلما زحفت العساكر الفرنسية ، آتهم بعض دطاء رسالة لندن بشعرىش امة الهوفا Hovas على المقاومة ، فطلبت الحكومة الفرنسية تحلي رسالة لندن عن قسم من مؤسساتها لرسالة فرنسا الانجليزية ، وكان لرسالة لندن حينئذ خمسمائة كنيسة ، وثلاثمائة وخمسة وسبعون كتاباً الاولاد . ولم يخل هذا الامر من أحداث شكوك وشبهات في افكار الماداغاسكرين المنصرين حديثاً فاهتبل الجزويت هذه الفترة لتجذير الحكومة من البروتستانتية ، وزعموا ان بروتستانتى هو مرادف انكليزي ، وان كاثوليكي مرادف لفرنسي أو عيب لفرنسا ، فبمساعدة بعض ضباط الرئيس التوا في السجون عدداً كبيراً من القسوس الانجليبيين من الوطايين ، وانتزعوا منهم نحو مائة كيسة ومدرسة ، وسلموها الى الرسالة الكاثوليكية . وما زال هذا الاعتداء واقفاً حتى تولى الجزيرة الجنرال غالياني ، فابطله . والآن تحت يد البعثة الفرنسية الانجليزية في ماداغاسكر في مقاطعة إيميريه Iméria ٣٤٢ كنيسة يختلف اليها ٧٧٧٥٨ مؤمناً وفي مقاطعة إستيليو Estileo ١٨٧ كنيسة يختلف اليها ٣٢٩ ٣٣ مؤمناً ، هذا عما المدارس الابتدائية والعالية ، ودور المطالين



والمدن ، ومستشفى المجازيم :

ولا ننسى مساهمي الكنيسة الانجيلية اليهودية الفرنسية في بلاد البربر Kabylie من جزائر الغرب ، فقد ذهب الى هناك مبشر اسمه جالبرت عظيم الثبات والمهارة فجعل مركزاً في Mathen ، وآخر في النصور ، وآخر في بجاية ، ونصر عدداً من المسلمين اكثرهم من البربر ، فظهر ان تصدير المسلمين لا سيما من امة البربر ، ليس من الصعوبة بالدرجة التي كانوا يظنونها .

ثم ان الامريكيين قد تاملوا أيضا التبشير في افريقية وذلك ، ان سود اميركا اعتدوا باخوانهم سود افريقية من قبيل تزامن الجلود ، وان البيض تذكروا انهم هم الذين كانوا قد اتوا هؤلاء السود واستخدموهم واستعبدوهم ، وأذاقوهم العذاب الوانا ، فرسلتهم للتبشير الى افريقية ، هي تكفير جنابة الاعتداء على الانسانية مما ارتكبه آباؤهم بحق الافريقيين .

فلامريكيين في افريقية ثلاث رسالات : الرسالة اليهودية ، والرسالة الممدانة ، والرسالة البرسيخية . فلما تأسست مستعمرة ليبيرية في ساحل غربي افريقية وجاءها الزئوج من اميركا ( ١٨٢٠ ) أرادت الكنيسة اليهودية ان تؤسس في ليبيرية مركزاً فلم تتمكن من ذلك ، ولكن سنة ١٨٥٨ استت اسقفية وجد فيها وعاظ مشهورون مثل بورنس وثاير . ( سنة ١٩٢٢ كان محرر هذه السطور من جلة الوفد السوري ، المطالب باستقلال سورية في جنيف لدى جمعية الامم ، فحسب الدادة كننا نطلب من جميع الوفود الدولية بدون استثناء ، الملائكة منهم لوسط القضية السورية لهم ، فكانوا في الغالب يحيون سؤالنا ولما كانت جمهورية ليبيرية هي من جلة أعضاء عصبة الامم ورد لنا الجواب من مندوبيها أيضاً بتعبين موعده الملائكة ، فذهبت أنا وزميلي احسان بك الجابري . وتذكرنا ساعة ذهابنا ، كيف ان حكومة امة سوداء زنجية تكون حرة مستقلة وعضواً في 'جمعية الامم' ، وان قطراً مثل سورية وفلسطين هما من أقدم وأشرف أقطار العالم ، وأمة كلامة العربية تكون محرومة استقلالها ، ولا يكون لها حق ان تشاري هذه الامة الزنجية الصغيرة ، في المجلس على كرسي في عصبة الامم . ولما وصلنا الى المحل الذي فيه مندوبو ليبيرية للتقانا اثنان اوروبيان . تكلمنا معنا بالفرنسية ، وعرفنا منهما انهما مندوبا تلك الجمهورية ، فشرحنا لهما قصتنا والتسنا منهما كالمادة ضم أصواتهما الى أصوات الذين يطالبون باستقلال الامم ، فاعتفرا بأنهما يخافان الضرر من غرمائنا الفرنسيين والانتكيلين فيما لو رفعنا أصواتهما باسمائنا في مطالبنا ، اذ قالوا ان جمهورية ليبيرية صغيرة ومجاورة لمستعمراتهم ، فيمكنهم الانتقام من الليجيين ، ونحن في الباطن عذوناها ، ولكنهما قالوا ، انهما يتمنيان نجاح قضيتنا ونجاح كل البلاد الاملاكية فسالاهما وهل في جمهورية ليبيرية مسلمون ؟ فالتفت أحدهما وقال مؤكداً : « ان جمهورية ليبيرية سكانها مليون وخمسمائة الف نسمة » منهم ثلاثمائة الف نصارى ، ومليون ومائتا الف مسلمون . فسالناه وكم عدد الاوربيين في ليبيرية ؟ فقال : الاوروبيون التابعون لليبيرية هم ٥٠٠ نسمة لا غير . فلم نزد في السؤال على ذلك ، ونظن ان ازدياد عدد المسلمين هناك أمر حديث العهد » .

أما الرسالة الممدانية الاميركية فلها مراكز في مونرويه ، وسيرايلون ، ولي ليبيريا ، وفي بلاد بورو ، وقاعدتهم في هذه لاغوس على ساحل غيانية . وقد عضدهم في مساعيهم كلها مبشرو الحجة الممدانية السوداء .

وأما الكنيسة البرسيترية الاميركية ، فقد وجهت نظرها من الاول الى مصر ( ١٨٥٤ ) ، وساعدها الخديوي سعيد باشا في مشروعاتها ، فشادت مدارس في القاهرة والاسكندرية وسنة ١٨٦٣ ، استت الكنيسة القبطية الانجيلية وصارت لها شعب في أسيوط ، والاقصر ، والمنصورة ، وسنة ١٨٩٥ ادخلت النصرانية في اسوان بعد ان كانت انقرضت من هناك منذ ١٢ قرنا ، فالانباط الانجيليون اليوم ( ١٩٠٦ ) يبلغ عددهم ٢٥ ألفا .

وانسى المسبو بونه موري كلامه المنحس هنا بقوله ، ان نجاح هذه البعثات الانجيلية كلها في افريقية ، دليل على كون قوة الدعاية النصرانية لانقلاب فيها لو تجردت من الاغراض السياسية ، فانه لا يوجد آفة على التبشير أعظم من المآرب الاستعمارية ، اذ بذلك الاهالي يحلون التبشير لجميع الآثام والوثوقات ، التي تصدر من عمال الحكومات المستعمرة .

## نهضة الاسلام في افريقية وأسبابها

### ووسائل دعوتها

( ١٧٩٠ - ١٩٠٠ )

قال : ذكرنا مجاهدات الرسائل الكاثوليكية والبرونستانية في افريقية ، سواء ، لاجل اعادة الاقباط والاحباش الى حظيرة الكنيسة الرومانية ، أو لاجل تنصير الزنوج ، وفي علينا استئناف الكلام على امتداد الاسلام في افريقية .

فقد رأينا كيف ان الاسلام بين سنة ٦٣٨ و ١٠٥٠ مسيحية في دوره الاول فتح سريريا شمالي افريقية وأدخلها في دينه ، وامتد من ساحل البحر المتوسط الى السودان امتدادا كان بطيئا ، ولكنه كان أمينا . وقد توقف سير الاسلام قليلا في القرن العاشر بسبب ثورات البربر ، وحروب الروم ، وفي ملوك المغرب بعضهم مع بعض ، ولكنه استأنف همة وادخل في حظيرته نصارى النوبة ، وامم القالة ، والسواحليين ( سواحل زنجبار ) ، وقبائل الصحراء . ثم اسس في السودان ممالك مزينة ، ومراكز عظيمة لبث الدعوة ، وهذا في دوره الثاني .

أما في الدور الثالث من سنة ١٧٥٠ الى ١٩٠١ فقد نهض نهضة ثالثة ، على أيدي مشايخ الطرق أو الاخوان ، وذلك انه في أواخر القرن الثامن عشر ، لما دخلت الدعوة البرونستانية من كل نوع الى افريقية ، وضافت الكنيسة الكاثوليكية فيها مجاهديها بسائق المنافسة ، كان لابد من أن يتجه الاسلام لمقاومة النصرانية ، وان يشتد الصراع بين هاتين الفئتين المتقابلتين ، مفرونا ذلك بالاهواء السياسية ، التي تزيد شدة وحدة .

وأكثر أسباب هذه النهضة الاخيرة ، راجعة الى التصوف ، والاعتقاد بالاولياء ، وبظهور المهدي .



ثم ذكر المؤلف كيفية دخول النصوص في الاسلام مما لم تأثره ، لان مؤلفي الاسلام أدري بهذا الموضوع ، وأشار الى عقيدة الاولياء قائلا ، انها مخالفة أشد المخالفة لروح القرآن ، وان نبي الاسلام (ص) كان نظره غالبا جدا الى السماء ، ومجهدا أن يعلو الى آفاق بعيدة بانظار المؤمنين ويصلونهم ، ولكن المؤمنين لم يلبثوا أن شعروا بالاحتياج الى الوسيلة عند الله ، واتخاذ متوسطين لديه تعالى ، يكونون أقرب متاولا . فلم يأت القرن الثالث من الهجرة حتى ظهرت في الاسلام العقيدة بالاولياء ، وابتدعت زيارة قوردهم ، وصاروا يستحبون لهم خصائص ، ويرون اليهم الكرامات والخوارق وأصبح لكل منهم اتباع ومریدون ، واشتهت التغطية العقيدة الكاثوليكية من هذا الوجه ، قالوا الفلاني بشي من الرياح كما كان القديس فياكر بشي مرض الباسور . والشيخ محمد أبو طالب ، يقصد الناس لاجل لقبان الخواص الضائعة ، كما كانوا في النصرانية يقصدون القديس انطوان بادو . والامام الشافعي ، يستثبت به طلاب الازهر ، نجاح في دروسهم والولي الفلاني هو شفيع الخدامين مثل القديس ايف Yves . والاخر مستغاث السباح ، يقيم من النصوص في الطريق .

وأفاض المؤلف في ذكر الاولياء والقبور ، والقبب المشيدة للزيارات واداء النذور مما لا يحتاج القاري الى معرفته ، ثم وصل الى عقيدة المهدي فقال :

ملوم الدور الذي اخذته عقيدة المسيح المنتظر في اليهودية وظهر فيما بعد انها مستعارة من الفرس . كذلك المسلمون ينتقدون ظهور رجل في آخر الزمان يقال له المهدي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ويستندون على ذلك بأحاديث غني (ص) .

ثم ذكر المهديين الذين ظهوروا في الاسلام أو ادعوا المهدوية فحدث منهم ابن تومرت ، الذي ظهر بدولة الموحدين في القرن الثاني عشر للمسيح . ثم قال ان كثيرين من مسلمي الهند اعتقدوا في أكبر خان المغولي سلطان سلاطين الهند في القرن السادس عشر انه المهدي المنتظر : ثم قال انه سنة ١٨٦٢ ظهر واحد من أمة البله Pault من بلاد ماسينه في أواسط افريقية كان درويشا من اتباع الطريقة النيجانية ، فزعم انه المهدي وأسس في السودان مملكة مستقلة ، الا وهو الحاج عمر الذي سبأني ذكره ( هو الحاج عمر القوتي قال لي سيدي احمد الشريف انه كانت له حدة مع السنوسية وأنه زار الجندوب ) .

قال وأشهر المهديين في عصرنا محمد احمد الذي ظهر في السودان سنة ١٨٨٦ فحدث حسين الف مقاتل من المؤمنين المتحمسين ، وهزم المعسكر المصرية المرسلة لقتاله في عدة وقائع ، واستولى على الأبيض قاعدة كردوفان وعلى بربر متناح بلاد النوبة ، ثم حصر الخرطوم عاصمة السودان المصري الواقعة في الزاوية المشككة من فرعي النيل الأبيض والأزرق ، وكان فيها قائد أجنبي اسمه غوردون فدافع عنها دفاع الأبطال ، ولكنه لم يقدّر على المهدي ، فدخل هذا الخرطوم وقتل غوردون وأطاع له جميع السودان ( ١٨٨٥ ) لكنه لم تطل حياته بعد هذا الفتح فأت في ٢٨ يونيو سنة ١٨٨٥ تاركا ساطنة عظيمة ممتدة من أسوان الى النوبة الى دنقة الى كردفان الى واحات دارفور ، وخلفه عبد الله النعاشي فوسع الفتح التي كان فتحها المهدي وما زال حتى تقاب عليه الجنرال كينغز في ٣ أغسطس سنة ١٨٩٩ في واقعة أم درمان ، وبقيت المهدي اشباع قتاتل في الاطراف ، الا انهم انقرضوا شيئا فشيئا .

ولم يعترف جميع مسلمي افريقية بمهدوية محمد احمد وكان من جملة المعارضين له رئيس الفرقة السنوسية ، ( هذا صحيح قال المهدي السوداني محمد احمد دعا سيدي محمد المهدي السنوسي للاتحاد معه ووعده بأن يجعله قائداً لرجال له ، فرفض دعوته واحتج على دعواه ، وبينهما مراسلات في هذا الشأن انتهت بسيدي احمد الشريف في تاريخ جده وصحه الذي سيشره ، وقد اصابني السيد المشار اليه عليه في هذه الايام الاخيرة ) ، ثم قال الميوسيون موري مصنف الكتاب الذي قلنا عنه كل هذا القتل ما يأتي ملخصاً :

انه في القرن الثاني عشر والثالث عشر للمسيح تأسست طرق الدراويش كلها من نوع المقاومة للرهائنات المصرية في القرون الوسطى ، والحروب الصليبية ، وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر حصلت نهضة جديدة عند اتباع الطريقتين القادرية والشاذلية ووجدت طريقتان هما التيجانية والسنوسية .

### القادرية

فالقادرية مؤسسها الشيخ محمد القادر الجيلاني الملقب في بغداد ( ١١٦٦ ) ، وكان له حرمة حقيقية لدى المسيح وكان يقول : « يلزم أن تدعو لا لأنفسنا فقط ، بل لكل من خلقه الله مثلاً » . فذلك امتاز أتباعه بروح التسامح مع النصارى واليهود ، والقادرية كثيرون جداً في المغرب وزاويهم الكبرى في « مراوات » أسماها الشيخ مختار الكبير . وبعد وفاته انقسم القادرية الى ثلاث فرق : الاولى القادرية البكاية الذين مركزهم الزاوية المذكورة ، وقد انتشروا الى تمبوكتو ، الثانية القادرية الذين في آدرار ( آدرار واحدة من الصحراء الغربية شرقي الرأس الأبيض على مسافة ٤٠٠ كيلو متر شمالي السيفال أهلها بربر وعرب وأهم قرأها ، شنبط ، ووادان ، وانار ، عرفها الاوربيون منذ سنة ١٨٥٠ بواسطة ليوبولد باث ) ، الثالثة القادرية الذين في والاته وقد انتشروا الى السودان الغربي فلهم مراكز في كانكان وتيمبو ، من بلاد فونجالون ( أحد أقسام السودان الفرنسي واقع بين غيبة الفرنسية والسودان المعروف بهذا الاسم والسيفال وغيبة البرتغالية وهو بلاد جبلية لكن ارتفاع أعلى قديماً عن سطح البحر لا يزيد على ١٣٠٠ متر . ومنها تدفق أنهر النيجر والسيفال والنالي والغامبية . ومناخها لا بأس به . وفيها معادن ومن حاصلاتها الزيت والقطن والمنط أي الكاوتشوك ، وأهلها سبائة ألف نسمة من جنس الجالونقه والبله والتريفولور ، وكلهم مسلمون وامراؤهم يقال لهم السامي من جنس البله . وعاصمة البلاد تيمبو وهي تحت حماية فرنسا ، يشرف عليها والي غيبة الفرنسية . عن معجم موري قال Maurice Wahil مفتش المعارف في المستعمرات الفرنسية ) وفي موساردو من بلاد الماندنقي ( جبل من الزنج في غربي افريقية ينسب اليهم قبائل البامباره والمالينكة والسويتنكة ) ومن هذه النقطة امتدوا الى الجهات المجاورة فعمروا ديار بلال الله ، وذكر الله ، ومدينه . ومازوا حتى وصلوا الى مقاطعة سيراليون ( مستعمرة انكليزية على ساحل غيبة بجدها غيبة الفرنسية شمالاً والسودان الفرنسي من الشمال الشرقي والشرق ، وجمهورية ليبيريا من الجنوب ، والايبانوس الاطلانتكي من الغرب ، عدد سكانها ١٢٦ ألف نسمة ، ومناخها دافئ لكثرة



مستعمراتها ) وبالأجمال القادونية هم أحسن مبشري الدين الاسلامي في غربي افريقية من  
القبائل الى بنين ، التي بقرب مصب النيجر : وهم يثرون الاسلام بطريقة سلمية أي  
بالاستعمار والتجارة والتعليم ، ونجدهم التجار الذين من السونينكة والماندجولة المنتشرين على  
مدن النيجر وفي بلاد كارتا Kaarta وماسينا Macina \* كلهم من مريدي الطريقة القادونية  
ومن مريديهم من يخدمون في مهنة الكتابة والتعليم ويغنحون كسائيب ليس في زوايا الطريقة  
فقط ، بل في كل القرى فيلقنون سفار الزنج الدين الاسلامي أثناء التعليم ، ويرسلون النجباء  
من تلاميذهم على نفقة الزوايا الى مدارس طرابلس والقيروان ، وجامع القرويين بفاس ،  
والجامع الازهر بمصر فيخرجون من هناك طلبة مجازين أي اساتذة ، ويمودون الى تلك  
البلاد لأجل مداومة التبشير المسيحي في السودان .

### الشاذلية

أما الطريقة الشاذلية فقد تأسست في النصف الاول من القرن الثالث عشر لتبليد ، وهي  
من أوليات الطرق التي أدخلت التصوف في المغرب ، ومركزها بوزيت في مراکش . وكان  
من أشيائها سيدي العربي الدرقاوي ( المتوفى سنة ١٨٢٣ ) ، الذي أوجد عند مريديه  
حاسة دينية شديدة امتدت الى المغرب الاوسط ، وكان للدرقاوية دور فعال في مقاومة الفتح  
الفرنسي . وبما امتاز به الدرقاوية هو شدة الطاعة لمشايعهم ، فان الدرقاوي المار الذكر كان  
يوصيهم ساعة موته قائلا : « يجب على الانوان أن يكونوا في يد المرشد كالجنة بين يدي  
الغسل » . فاشبه هذه المبادئ حتى في صيغة التعبير نفسها بمبدأ رهبانية اغناطيوس  
دولوبولا .

### التيجانية

١٨١٥

وهناك الطريقة التيجانية ، مؤسسها احمد بن محمد التيجاني المتوفى في فاس سنة ١٨٨٣ ،  
وكان ينظر بالتسامح مع غير المسلمين ، ومع هذا بقي النصف الثاني من القرن التاسع عشر  
لم يقف التيجانية عن استعمال التوف في محاسبة أفراسهم ، ونشر العقيدة الاسلامية ( إذا لحظ  
للتاريخ ) ان تغيير طور التسامح الذي كان عليه التيجانية لم يقع ، الا في النصف الثاني من القرن  
الناصري ، علم انه لم يكن الا من أثر نكاب الآباء البيض جماعة لا فيجري وأمثالهم ، فمع  
لامشاحة فيه أن التسامح بولد التسامح ، والنكاب يبيع النكاب . وأهم مراكز التيجانية  
عين ماضي على ٧٠ كيلو مترا في الجنوب الشرقي من الدشوات ، وفي تيجانين . وهم كثيرون  
في مراکش ، ولقد تبع الطريقة التيجانية عدد كبير من أهالي ماسينا في السودان وأهالي  
فونتانورو Fouta - Toro وفونتانلون واما البله ، وصاروا من أشد أنصار الاسلام  
واضد واحول راية الحاج عمر ، فكانوا طيلة اربعين سنة هم سادة السودان من تمبكتو الى  
الافنيانوس الاطلانديكي .

وكان الحاج عمر هذا ابن شيخ مرابط ولد سنة ١٧٩٧ في قرية الفار من بلاد ديار ( ناحية

من قطر السنغال على الضفة اليسرى من النهر بين والو من الغرب وتورو من الشرق ( قرباء أبوه وعلمه ) ثم حج البيت الحرام وزار المدينة ، وفراً مدة في الازهر وعاد الى يورتو سنة ١٨٢٣ ، ثم ذهب الى بلاد الهاموس وأخذ يحض الناس بالرجوع الى عقيدة السلف ويظمن في تساهل القادرية . وفي أثناء ذلك جاء أخوه احمدو ومضى به الى بلاد فوتا من السنغال ، فخرج على بلاد البامبارة وحصلت معه هناك حوادث وعواض كثيرة ، لكنه قلب عليها ، وانضم اليه في بلد كينكان ( مدينة من السودان الفرنسي جنوبي النيجر الاعلى اهلها خمسة آلاف نس ) رجل يقال له محمدو سار على طريقته وادخل في الاسلام فرقة من البله يقال لهم الواسولونكة Ouassoulonké .

ولما علت كلمة الحاج عمر ونظر اليه الناس نظرهم الى المهدي ، حشد جيشاً صغيراً وانار جميع مسلمي بلاد غالون ( ناحية من بلاد الكونو الفرنسي أشهر مدنها أيرفيل وغلاس Lièreville et Glass وبلاد اولي Oulli وبلاد الريب Rip ، ووطد فيها دعائم الطريقة النيجانية . وسنة ١٨٤٧ عاد الى نواحي فوتا جالون ، وبقي قامة حصينه في ديفيراى Dinguiray ( ناحية من السودان الفرنسي شمالي النيجر اهلها من التوكولور والزنج المليك ) وهزم البامبارة الوثنيين شرهزيمة في تومبا ، واستولى بعدها على كوتيا كاري ( من بلاد غينية الفرنسية ) سنة ١٨٥٤ جيل مقره البام في نيورو Niou ( من السودان الفرنسي شمالي السنغال الاعلى عاصمة احمدو الاول اهلها من البله ، افتتحها الفرنسيون سنة ١٨٩٠ ) ثم استولى على مملكة سيفو ( من السودان الفرنسي على الضفة اليمنى من متوسط النيجر قاعدة ملك احمدو افتتحها الفرنسيون سنة ١٨٩٠ ) وعلى بلاد ماسينه . وكانت وفاة الحاج عمر سنة ١٨٦٥ ) وهو في حرب مع زنج ماسينه ، وقد خلف للطريقة النيجانية سلطنة اسلامية عظيمة في وسط بلاد الزنج الغنشين .

ثم خلف الحاج عمر ابن اخيه ومريد آخر له اسمه احمدو شيخو بن عمر ، وحاولا توسيع دوحات الحاج عمر ، وأتارا اهلاني فوتاتورو والسولونكة الذين في بلاد كآرتة Kaarta والتوكولور الذين في السنغال على فرنسا ( لا يخفى أن كل قوم يحافظون على استقلالهم فهم يترددون مصاة في نظر المستعمرين ) ، فصار وجود هذه السلطنة النيجانية في وسط السودان خطراً عظيماً على سيادتنا .

وكان تحرير الخلافة هو هذا : هل يتم تحرير السودان الغربي الى يد فرنسا وضباطها والمبشرين المسيحيين ، أم الى يد النيجانية ورسد الاسلام ؟

فالكولونل ارشبنارد يأخذ جنه Djenné ( بلدة من السودان الفرنسي الى الجنوب الغربي من تمبوكتو عدد اهلها سنة آلاف نسمة احتلها الفرنسيون سنة ١٨٩٣ ) وبشديقار ( من السودان الفرنسي في بلاد ماسينه لا تبعد كثيراً عن ضفة النيجر اليمنى ) أوقف غارة النيجانية في هذا القسم من افريقية ويسر فتح السودان بين يدي المدينة الاوربية . ثم عقب ذلك فتح الكولونل دورغنيس ديورد Dorgnis Deshordes بالدهاما كور Bammakou و استلحق القومندان غاليني Galieni لبلاد فوتا جالون ، وافتتاح الكولونل ارشبنارد ابلاد ماسينه ، وتوالت جميع هذه الفتوحات باحتلال تمبوكتو ( ١٠ يناير ١٨٩٤ ) مما خلده



اعظم الشرف للمساكر الفرنسية ، وأعاد ذكرى ظفر شارل مارتل في بواتيه Poitiers ،  
بسبب ما كان يترتب من النتائج العظام لمستقبل افريقية ، فيها لو لم يتم هذا الظفر ( يشير الى أن  
افريقية كانت تكون كلها اسلامية لولا انقضاء فرنسا على سلطنة النيجانية هذه ، وكان أوروبا  
كانت تكون اسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب في بواتيه وهي الكلمة التي ينطق  
عليها مؤرخو الافرنج ) .

### السنوسية

ثم السنوسية وهم أشد عداء الاروريين من جميع طرق الدراويش ، وغايتهم الجهاد في  
الكفار وجمع كلمة المسلمين أجمعين على العدو العام ، وكان مع هذا ، مؤسس هذه الطريقة سيدي  
محمد بن علي السنوسي مستقلاً في رأيه غير متقيد بالمذاهب .

( سأل محرو هذه السلطان سيدي احمد الشريف خليفة سيدي محمد بن علي السنوسي ،  
وحقيقه ، عن حقيقة هذه الرواية ، فذكر ذلك ، ونما قال ان جده كان متيقناً للحساب . وقد  
لاحظت ان الاستاذ المشار اليه ينسب في الصلاة مثل الحقية وغيرهم ولا يرسل يديه مثل  
المالكية ، فسأله عن سبب مخالفته في ذلك للمالكية مع أنه مالكي فأجاب : أن جده كان  
يفترض على السادة المالكية في ذلك ، ويقول ان الذي ثبت عن الرسول (ص) هو القبض ،  
وان الذين نزلوا اسباب البعدين عن الامام مالك اخطأوا ) .

ولد محمد بن علي السنوسي بغرب مستقام ( بمحلة يقال لها الواسطة ) سنة ١٧٩٦ هـ ، وقرأ  
العلوم في قاس ( سيدي احمد الشريف ، يقول ان ولادة جده كانت سنة ١٣٠٢ هـ )  
الترجمة التي ألقاها لجده ذكر ما تلقاه من العلوم وقرأ من الكتب ، وانبأه من أخيه منهم من  
الاشياخ ، وهو شيء عاقل بالرة فل أن يوفق أحد مثله ، ومما يجدر بالذكر أنه أخذ من  
السيد احمد بن ادريس دفين صبياً في صغر ، والسيد احمد بن ادريس المشهور بالولاية أحد  
من سيدي عبد الوهاب الناري المعمر الذي عاش ١٣٠ سنة ، وأدرك الولي الكبير سيدي  
عبد العزيز الدباغ وأخذ عنه ، ويظهر أن أبناء البيت السنوسي كلهم منتسبون الى العلم ، فان  
ولد السيد محمد السنوسي وجده وامامه وأبناء ، وعلمه ، وكثيراً من نسايتهم مثل جدته لآية  
السيدة زهراء وصحة السيدة فاطمة كانوا علماء ، وأكثر تربية السيد السنوسي كانت على يد  
السيدة فاطمة المشار اليها ، وكانت من فضليات أهل زمانها ، متبحرة في العلوم ، منقطعة للتدريس  
وتوعظ ، بحضور دروسها ومواعظها الرجال ، وقد اعتلت كثيراً هذه السيدة بترية ابن أخيها  
مستأتمه فيه من باهر النجابة ، أما والده السيد علي فكان قد توفي شاباً في سن الخامسة  
والعشرين ، وكان يجمع الى العلم والصلاح ، الفروسية والرواية الى المدرسة القصوى ، لذلك  
نجد السنوسية يتبعونهم عرق الى السيد كبايعهم عرق الى النظم ) .

ثم حج السيد محمد السنوسي بيت مكة ( ١٨٢٩ ) وفي أثناء طريقه حتى اجازات كثيرة ،  
ودخل في عدة طرق ، وعاد الى المغرب وقرأ في لاقوات . سنة ١٨٢٩ هـ عاد الى الشرق ،  
وأخذ يقرأ في الأزهر ولكن أحد الشياخ راعه ما هو فيه من استئصال الفكر ، والزرع

الى الاجتهاد ، فافق بمخالفته للشرع ( لعله يشير الى الشيخ مابش الذي بلغته اقباه لم يقف فيها على حقيقتها ، فأصدر فتوى بحق الشيخ السنوسي ، وقيل انه لما فهم حجة الأمر رجع عنها ) .

وكذلك حصلت رغبة في أمره بمكة ، ليست الى بعض المبادئ الوهابية ( هلما ما ينكره السنوسية ) ، ولكنه وجد في اتفاقه مع السيد احمد بن ادريس القاضي شيخ القادرية ، وعند وفاة هذا الاساتذ أسس طريقة جديدة ونهب الى افريقية ، وجال في برقة ، وبني الزاوية البيضاء ، أول زاوية له ( ان بعض معبري الجيل الاخضر يقولون ، انهم سموه يقول وهو يعني البيضاء هذه ان الافرنج سيأتون يوماً الى هناك ، ويهدمون قبة الصعالي سيدي رافع رضي الله عنه ، ويربطون خيلهم في مسجد الزاوية البيضاء ، ويأخذون حجراً من بيتان البيضاء قديماً منحوتاً مكتوباً عليه عبارات لاتينية . وان هؤلاء المعبرين الذين سمعوا منه هذا الكلام رأوا مصداقه كله في آخر حياتهم ، لأن الطليان جاءوا وهدموا قبة سيدي رافع . وان كانوا جددوا بناءها بعد ذلك . وربطوا خيلهم في مسجد البيضاء ، وأخذوا الحجر الذي عليه اللاتيني من الجدار ) . وكثر اتباعه في واحة الفرافرة ، وفي النظر الطرابلسي ، وفي الزوات ( غربي الجزائر ) وفي السودان حيث له عشرون زاوية ( مجموع زوايا السنوسية اليوم ثلاثمائة زاوية ) . ثم سنة ١٨٥٥ أسس مركز طريقته في جنوب وهي سواحل القديشة ، على مسافة ثلاثة أيام من سيوة ، وصارت أعظم مدرسة ليشعري الاسلام في أواسط افريقية . وكان المؤدي الى بحيرة تشاد طريقان أحدهما ، شرقي من سوكته الى مرزوق ، والثاني غربي من غدامس والبار ، فالسنوسية نشرها طريقتهم في وادي والباتية ووبركو وتبعوا نشرها في ان بلغوا ناليجر الأدنى حيث نجدهم يهدون تلك القبائل الى الاسلام بواسطة السنوسية صارت نواحي بحيرة تشاد هي مركز الاسلام العام في أواسط افريقية . ويتوسم عدد مريدي الطريقة السنوسية بأربعة ملاين ، وطريقة هؤلاء الجماعة في التشيع ، هي أن يشعروا الارقاء صفاراً من السودان وبربوهم في جنوب ، وغدامس ، وغيرهما ، ثم متى بلغوا أشدهم وأكثروا تحصيل العلم اعتنقوهم ، وسرحوهم الى أطراف السودان ، يهدون أبناء جلدتهم البانين على القديشة ، وهكذا يرسل كل سنة مئات من معبري السنوسية ليست دعاية الاسلام في ارجح افريقية الداخلية من سواحل الصومالي شرقاً الى سواحل السينغالي غرباً ، وانت هذا سيدي محمد المهدي وأخوه سيدي محمد الشريف حذو والدهما في السعي الى الغرض الذي نوهوا ، الا وهو تخليص الاسلام من القوذ الاجنبي ، وإعادة الامامة المدة كما كانت في عصر الخلفاء .

وبالاجل ، قال مريدي هذه الطرق هم الذين سموا في نشر الاسلام ووقفوا اليه في افريقية ، قال كوپولاني Copland أن هؤلاء ثارة بهيئة تجار وطوراً بهيئة مبشرين ، يهدون الى الاسلام الانعام القديشين ، ونجدهم يبنون زوايا جديدة في هذه الاقطار الواسعة للتاسعة الممتدة من شمالي افريقية الى انقضي أقصى السودان ، واحياناً يؤسسون ممالك مثل سلطنة راج ، واجدو ، وساموري . انتهى ماخصاً  
ثم انتقل المسير بونه موري الى ذكر تشكيلات الزوايا والمدارس والجوامع ،



والجامعات ، مثل الأزهر في مصر والقرويين في فاس ، والربطية في تونس ، وغيرها ، وبرامج التعليم فيها . وقال « إن العلوم التي فيها تنقسم إلى قسمين الأول : العلوم العددية ( مايسمونه بالآلات ) كالنحو والصرف والبيان والمنطق والفراغة والبرهان والحساب والجبر والثاني : المقامات وأدب الدين وأسباب التنزيل والحديث والفقه . ( قال ) : ويفرأون في بعض مدارس فاس ، الكيمياء والطب والهندسة والاشياء والنصوف والموسيقى ( قال ) : ولم أجد ذكر الفلك في العلوم التي يداونونها هناك ولا في عمل مع أن علم الفلك كانت به عناية عظيمة في المغرب . »

فلما امل هذا خطأ بمن أمناه على برامج التعليم أو سهو ، أو أن علم الفلك اهل في هذه السنين الأخيرة ، فإنه من العلوم التي كانت تعلم في فاس وغيرها من مدارس الاسلام بالاعتناء الزائد ، واليك مثالا على ذلك ما قرأته في سيرة سيدي محمد بن علي السنوسي نفسه ، وهي مخطوط ألفه حفيده سيدي احمد الشريف ، يذكر الشيوخ الذين اخذ عنهم في فاس فيقول : « ومنهم العلامة المصنف سيدي محمد بن الصاهر الفيلالي الشريف العلوي قرأت عليه مختصر السند ، وجميع الجوامع ، والسلم ، ووجهة سالحة من مختصر الشيخ خليل ، وهو يروي عن الحافظ ابن كبريان ، والعلامة الزروالي ، وشيخهم العلامة ابن شفران ، بإسنادهم السابقة ، وغيرهم من ائمة علماء فاس . ومنهم العلامة المفتي الصاهر الشافعي أبو المواهب سيدي أبو بكر بن زيان الادريسي ، حضرته في علوم كثيرة ، وقرأت عليه الفرائض والحساب ، والاربعين وصناعاتهما ، والاسطرلابين وصناعاتهما ، والعلوم الاربعة الرياضية والهندسة والمهنة والطبقة والارغاطيقية ، وأصول قواعد الموسيقى ، والمساحة ، والتمثيل ، والنجوم ، وعلم الاحكام والنسب ( بكسر الهمزة ) والوقوف والنواعيد الجهرية ، والاصول القرآنية ، والبسط والتكسير ، والجبر ، والمقابلة وغيرها الخ . »

فانت ترى ان الفقه كان يدرس في فاس في القرن الماضي والخبرني السيد احمد الشريف أن أساتذته سيدي احمد الريغي كان يقرأ بهذه العلوم ، وان الفقه والاسطرلاب ، وكان تتناها عن السيد العلامة ابن السنوسي ، وكانت عندهم الآلات المذمومة بهذا العلم ، والسكرات والازياج وغير ذلك .

ثم ذكر المصنف بونه موري برنامج الأزهر وأشار الى أن أول مصطلح لتعليم الأزهر ، هو الشيخ المهدي الديبسي وذكر ما أدخله فيه من الاصلاحات لمهد الخديوي اسماعيل ، وان المصالح الثاني ، هو الشيخ محمد عبده الذي أدخل في برنامج الأزهر الجبراجية ، والاربعين ، والفرائض ، والرياضيات ، والفلسفة ، وغير ذلك ففتح في الأزهر روحا جديدة . ( قال ) وقاربه بعض العلماء الجامدين وغيروا نايه قلب الخديوي ، فأثرت هذه الحوادث في صحته وتوفي في رمل الاسكندرية سنة ١٩٠٥ .

لما كان قد تقدم ذكر الزوايا السنوسية في عدة مواضع وكان عندنا

اسماء القسم الاشهر منها آثرنا الحاق هذا الجدول

بما تقدم من خبر هذه الطريقة

زاوية الحاج ، في واحة الكفرة ، مقر السادة السنوسية ، قرية سيدي محمد بن السنوسي .  
 الجنوب ، في واحة الجنبوب المقر الثاني للسادة المشار اليهم وفيها المدرسة الكبرى  
 لتخريج تلاميذهم

طرابلس الغرب ، وشيخها سيدي عبد الوهاب العيساوي .

الريبات ، في جبل ينزل من جبل طرابلس ، وشيخها سيدي محمد العيساوي .

مزده ، فوق قصبة غريان ، شيخها سيدي عبد الله الذي .

طيفة ، بقرب زنتان ، اشياعها اولاد سيدي محمد الازهري .

الحرية ، بين ثلوث ومساطو بالجبل الغربي .

سيناون فوق ثلوث .

دوج فوق سيناون .

غدامس ، على حدود ايلة تونس ، شيخها سيدي احمد الحبيب .

مصراطه ، شيخها السنوسي بن عبد المال .

زاوية ثانية ، في مصراطه ، شيخها عبد الله بن شفيش .

مسلاية .

مراده ، بين جنوب وفزان في الصحراء ، شيخها سيدي محمد الرومي .

مرزوق ، قاعدة فزان شيخها سيدي عبد الطيف بن عبيد .

هون ، في البلاد التي على اجواب السودان ، شيخها سيدي مصطفى الهوني .

سوكنة ، في البلاد الواقعة بين طرابلس وفزان ، شيخها سيدي الشريف حامد بن بركات .

الانظرون .

داو في جنوبي طرابلس نحو السودان ، شيخها سيدي محمد الاشهب .

غات شيخها الحاج احمد الثاني .

الثوات جنوبي عمالة الجزائر .

المواربي في داحة الكفرة على مسافة خمس ساعات شمالي مقر السادة ، وشيخ زاوية

المواربي سيدي الفضيل السوسي .

الجوف في نفس واحة الكفرة ، شيخها سيدي عبد الهادي الفضيل .

تزدرو من زاوية الحاج على مسيرة ستة ايام ، شيخها القطب الصالح السيد المدني من

تلاميذ سيدي ابن السنوسي الكبير .



- زاوية ديباته على ثلاثة ايام من الكفرة ، شيخها سيدي حسين بزامه .
- » الوجبة الكبرى في أوائل الودان على خط دارفور على مسيرة ١٧ يوما الى الجنوب من الكفرة ، شيخها سيدي عبد ربه البردصي .
- » الوجبة السفرى ، شيخها سيدي عبد الرزاق الاخيرى .
- » قرو عن الوجبة الكبرى على مسيرة ثلاثة ايام الى الغرب ، شيخها الفاضل الاديب سيدي محمد بن عبد الله السني أحد دعاة الاسلام في أواسط افريقية . أصله من بلاد سنار في الحيدة عباسي النسب .
- » البرقوات .
- » زندر في السودان .
- » يرضى على أبواب السودان ، شيخها ابراهيم الغزني .
- » كانوا في بلاد النيجر .
- » كانت بالقرب من غات ، شيخها السنوسي الفاتحي الانصاري .
- » عين كلك التي جرت الحرب دالها بين السنوسية والفرنيس على مسيرة ستة أيام غربي قرو ، شيخها الفاضل سيدي عبد الله الفضيل الزوي . وبين كلك هذه فيها اثار جارية ومن أخصب بقاع البسيطة .
- » ون قبلي زاوية عين كلك على مسافة يوم ونصف يوم مائلة الى الشرق وهي على مسافة نحو ٢٠ يوما من مرزوق قران ، وشيخ هذه الزاوية سيدي المهدي السني ولد سيدي محمد السني .
- » بني غازي شيخها الأستاذ العلامة سيدي أحمد البساوي .
- » أم شخب على مسيرة ٧ ساعات الى الجنوب من بني غازي كان شيخها الاديب سيدي محمد علي بن عبد المولى .
- » الطيلون على مسيرة ١٠ ساعات من بنغازي الى الغرب شيخها سيدي محمد علي المحبوب .
- » مسوس قبلي الطيلون وشيخ هذه الزاوية سيدي سنوسي الاشهب .
- » اجداية غربي بنغازي شيخها سيدي عبد اللطيف الزوي .
- » اللطافية على مسيرة ٤ أيام الى الغرب من بنغازي شيخها الزووالي بن عبد اللطيف .
- » النواية غربي اللطافية بمسافة ٦ أيام شيخها سيدي أحمد بن ادريس .
- » الزعفران غربي النواية على مسافة يوم ونصف يوم بحوار قصر سرت شيخها ابن شنيح .
- » زليطن في محل اسمه زوو شيخها سيدي محمد بن عثمان بن بركة .
- » زوبله من قران .
- » زله شرقي زاوية سوكنه شيخها سيدي الخريعي .
- » اوجله شيخها سيدي عبد الله الفضيل .
- » جالواوندسي زاوية البرقي وشيخها سيدي عبد الله التواتي .
- » اللة في أوجله أيضا وشيخها الحاج محمد غريطيس .

مكتبة

زاوية شجره في بلاد جالو وأولها شيخها سيدي محمد صالح .  
 سيوه وهي الزاوية الاولى تخمس السادة رأسا والوكيل عليها سيدي يوسف بن عبد الله  
 ابن احمد .

سيوه المنسوبة الى آل معرف شيخها سيدي محمد بن عبد الله الزوي رفيق سيدي احمد  
 الشريف الاستاذ الأكبر في سياحته الى الاسنانة والاناطول .

سيوه الثالثة تخمس السادة رأسا والوكيل عليها احمد الجبيري .

سيوه الرابعة شيخها الشيخ احمد ابو ظلي .

حطية الزيتون على مسافة ٦ ساعات الى الشرق من زاوية بني معرف وهي تخمس السادة  
 رأسا والوكيل عليها سيدي محمد بن الشريف .

الفاره على مسافة ١٣ ساعة الى الفارس الى الشرق من حطية الزيتون وهي تخمس  
 السادة رأسا والوكيل عليها صالح ولد سيدي يوسف .

الفراقره على مسافة ستة أيام الى الشرق شيخها سيدي السنوسي بن خالد .

النصر الى الشرق من الفراقره في الواحات شيخها ابن سيدي محمد الوهوب .

الواحات البحرية شيخها سيدي صالح السعدي .

الواحات البحرية الثانية شيخها سيدي المبروك القطامي .

مديشة الى جهة صحراء القيوم شيخها سيدي عبد الملك الوهوب .

القلمون في الواحات أيضا . وكل هذه الزوايا في سيوه والواحات في عربون ونخيل  
 وكروم .

القيوم وشيخها سيدي عبد المال السنوسي .

الزينة بالصعيد المصري فيما أولاد الولي الكبير سيدي احمد بن ادريس .

سيدي ابراهيم الرئيس الفاسي في الصعيد .

حوش ابن عيسى بحجة الاسكندرية شيخها سيدي محمد بن مالك .

القيط عند العامرية في مديرية البحيرة شيخها سيدي مرتضى الفرباني .

بهبج وشيخها سيدي موسى الففاري .

سيدي يادم الابرش على مسافة ساعتين من بهبج .

سيدي عبد الماطي بن محيطة على مسيرة نصف يوم من زاوية سيدي يادم .

الضبعة ويقال لها زاوية شنية وشيخها سيدي عبد المنعم ابو شلينة وهي على مسيرة  
 يومين من زاوية سيدي عبد الماطي .

قربوة على مسافة يوم من شلينة وشيخها سيدي عبد الرحيم الففاري .

فوكه على مسافة ثلاث ساعات من قربوة شيخها سيدي عبد الرحيم النمامي .

محطة فوكه وشيخها سيدي موسى بن موسى .

بقوش وشيخها سيدي مروان بن بدر الففاري وهي على مساعتين من فوكه .



- زاوية سيدي علي بن مورد الى الغرب من زاوية بنوش بساعتين  
 » أم الرخم غربي مرسى مطروح وشيخها أبو الفاسم الطيب  
 » نجيلة الى الغرب بيوم من أم الرخم وشيخها سيدي عبد القادر بن عمر  
 » شناس على ٣ ساعات من نجيلة الى الغرب وشيخها سيدي عمر الاوحلي  
 » عليم الجلول على مسافة ثلاث ساعات الى الغرب من زاوية شناس وشيخها سيدي  
 محمد الشريف  
 » براني على مسافة يوم الى الغرب من هذه وشيخها سيدي الشريف بن ميلود  
 » سيدي عمران بن ابراهيم على مسافة يوم من زاوية براني ومن زاوية سيدي عمران بن  
 ابراهيم الى السلم مسيرة يوم . وهذه الزوايا من الاسكندرية الى السلم كلها في بلاد  
 أولاد علي  
 » جبيل على مسافة ثلاث ساعات الى الغرب من السلم شيخها سيدي محمد الشارف من  
 أولاد عم السادة  
 » أم ركب في موقع دفنة على ٣ ساعات من زاوية جبيل وهي زاوية سيدي علي بن هبة الله  
 » سيدي حسين الغرياني في دفنة أيضا على ثلاث ساعات من أم ركب  
 » الرصص في غربي مرسى طبرق على مسافة يومين من التي قبلها وشيخها سيدي  
 صالح الشريف  
 » أم الرزم أو أم الرزم ( أم الرزم معناها الرمح ) على مسيرة يومين من الرصص وشيخها  
 سيدي مرتضى فركاش وعندها عين نضاعة وبساتين بليل  
 » سيدي محمد بن فارس على ساعتين من أم الرزم الى البحر  
 » مرطوية على مسافة ساعتين الى الغرب من التي قبلها وشيخها سيدي عبد الله فركاش  
 وفيها عيون عذبة جارية من الجبل الذي فوقها وبساتين  
 » درنة في نفس المدينة شيخها السنوسي الغرياني  
 » العزبات من درنة الى الجنوب على مسافة يوم شيخها سيدي السنوسي الجبالي  
 » الخبية على مسافة يوم من العزبات شيخها محمد بن الحسين  
 » بشاره على بضع ساعات الى الجنوب الغربي من درنة وشيخها سيدي عبد القادر فركاش  
 وعندها عين جارية وبساتين  
 » ماره الى الشرق من بشاره وشيخها سيدي عبد الله أبو سيف وهي على رأس نبع ماره  
 من الرزم وأعذب بتاييع الدنيا وعليه البساتين والعاواجن  
 » ثرت الى الغرب من بشاره وشيخها كان سيدي محمد التزالي . وكل هذه الزوايا في بلاد  
 قبيلة العبيدات الكبيرة  
 » نقا شرقي ثرت شيخها سيدي الحبيب بن جلجل  
 » العوينة بهاتيك الجهات أيضا  
 » القائدية المقنوعة الى قبيلة فائد وشيخها سيدي صالح بن اسماعيل

زاوية شعاع أي مدينة سيرنا التمدية وهي بلدة عالية في رأس جبل مشرف على البحر تلعب المياه من مغارة باعلام وتندفع في شلالات يديعة ولها منظر من اجل مناظر الدنيا وشيخ زاوية شعاع سيدي محمد الدردلي . والزاوية هي زاوية قبيلة الحاميه

» ماله وهي الزاوية البيضاء التي كانت أول ما أسسه السنوسي الكبير تبعه عن شعاع نحو ساعتين إلى الغرب وهي على بضع دقائق من مقام سيدي ربيع الانصاري ( رحمه ) وشيخ الزاوية البيضاء الآن سيدي محمد الغماري . والزاوية زاوية البرامصة الخامة غربي الزاوية البيضاء على ساحل البحر وشيخها سيدي السنوسي الغماري

» الحنية غربي الخامة وشيخها سيدي احمد بن الديساوي

» النهرين قبلي زاوية الخامة وشيخها سيدي محمد العربي

» المرقوب شرقي زاوية النصور وشيخها سيدي جاد الله الجبالي

» النصور شرقي قصبة المرج وشيخها البطل المشهور القائد للمجاهدين في حرب الطليان سيدي عمر المختار وهي زاوية قبلي العرفا والعبيد

» اسقفه غربي دريانة وشيخها سيدي الامين الغماري

» دريانة غربي طلميته وشيخها الشريف الغماري

» المرج على أربع ساعات قبلي طلميته وهي زاوية سيدي عمران السكوري

» كرسا عن زاوية ماره السابقة الذكر بمسافة ساعتين صوب البحر وجانبتها التراكي وشيخها سيدي يوسف المعجال

» الاثرون على ٤٠ دقيقة من زاوية التراكي وشيخها سيدي الحبيب الجلول

» كنفطه على ساعتين ونصف ساعة إلى الجنوب من زاوية الحنية السابقة الذكر وشيخها سيدي حميد بن عمور

» مبراد مسعود بحري زاوية النهرين وشيخها سيدي محمد بن حوا

» الحامدية غربي مبراد مسعود وشيخها سيدي عبد الله الككلي

» طانة دغار على مسافة نصف ساعة من الحامدية إلى الغرب وشيخها سيدي محمد الغالي

» نيان شيخها سيدي العربي الغماري

» طلميته على أربع ساعات بحري قصبة المرج وشيخها النواني الككلي

» نوكره غربي طلميته وشيخها سيدي عبد الله الجبلاني

» بريس غربي نوكره وشيخها ابن سيدي عبد الله الجبلاني . واكثر هذه الزوايا في بلاد قبيلة الدرسا

» مستغانم في القنطرة الجزائرية وشيخها سيدي احمد بن توكوك

» سيدي محمد بن صادق في بلاد الجريد من مملكة تونس وفي تلك البلاد خمس زوايا

أخرى تحت نظارة الشيخ المذكور

» جندة في الجيزان تحت نظارة شيخ زاوية ابن قبيس بمكة

» ابن قبيس بمكة الزنقة شيخها سيدي حامد

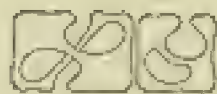


زاوية الطائف وهي تحت نظر النسيج المذكور

- » الجديدة في طريق المدينة
- » بدر الشهداء وشيخها سيدي عمر التماري
- » المدينة المنورة وشيخها سيدي مصطفى الفماري
- » ينبع البحر
- » ينبع الوجه
- » الحراء
- » الصفراء
- » رابغ
- » صبح

» اليمس . وهذه كلها في الحجاز وجلة مائة متباعد عندنا من هذه الزوايا ١٣٠ زاوية ولا تزال زوايا كثيرة في المغرب والسودان والحبشة والصومال مجهولة عندنا . (ش)

$$\begin{array}{r} 24 \\ 36 \\ 15 \\ \hline 75 \end{array}$$



Libya	75
Tunisia	6
Hayat	13
Algeria	2
Libya	10
Tunisia	22
	<hr/>
	138

24

36

75

36

13

59

# مجاري الدعوة الاسلامية

## في افريقية

قال السيّد موري : فلتنظر الآن الى مجاري الدعاة الاسلامية في غارة افريقية :  
فالمجرى الاول هو التيار المراكشي ، الذي يتكون من زوايا المغرب العديدة ، ومدارس  
فاس ومراكش ، ويخترق بلاد الأندلس ( بجهة السيفال ) فينشر دعوة الاسلام في كآرته ،  
وفوتاجلون ، والسودان .

والمجرى الثاني هو الذي يخرج من مدارس الادوية في غبكتو ، ومن بعض زوايا  
التيجانية ، ويتبع مجرى النيجر الى بلاد صافا ( من الكونغو الفرنسي ) ، فيتلاقى مع  
مراكز البشير المسيحي في مانتى نهرى البجير والبقوي .

والمجرى الثالث هو الذي يصدر عن زوايا السنوسية في الجنوب وغدامس متتبعها جهات  
بحيرة تشاد ، وبه أصبحت وادي ديورنو ، مراكز تنأجج فيها حرارة الاسلام .

والمجرى الرابع يخرج من الازهر بمصر فيتبع النيل الى كردوفان ، الى الاوغاندة حيث  
ينازع مبشري البروتستانت والكاثوليك على قيادة ارواح .

وأهم مجاري الدعاة الاسلامية هو ما يقوم به تجار المسلمين ، الذين يقصدون دارفور  
والسودان ثروة من مصر وطورا عن طرابلس ، و أفعل من هؤلاء رعاة التجار الذي يقوم  
من زريبانو قاصدا بلاد البحيرات الكبرى الى الكونغو ، تابعا بمجرى هذا النهر الى بلاد البانتو  
( شعب زنجي كبير ينال منه سكان الكونغو ، وأهالي بلدان البحيرات الكبرى ، وأقاليم  
افريقية الجنوبية كالزولو ، والبتشوانة الخ ) حيث يساق البعثات المسيحية على ارواح هذا  
الشعب .

والحق يقال ان الاسلام في هذه الصفحة الاخيرة من تاريخه قد دل على انه يملك حيوية  
عظيمة ، وقابلية شديدة للانتشار ، فليذكر الناس حركات امة البله ( امة سودانية تسكن  
هذه السيفال الشمالية ، ومنها أهالي فوتاجلون ، وبلاد البجير العليا والوسطى . وسيرة  
الوان هذه الامة مشربة بحمرة ، وشعورهم مائلة الى الساطة ، وسعيتهم تنكاد تكون  
اوربية ، ويقال لهم أيضا التولاء والفولب وكاهم مسدون ) وتشاط الدراويش اذاع الطرق ،  
وتسكار الزوايا ، وتوردة الحاج عمر الغزني وخلقائه والمهدي السوداني ، وتجارة الرقبي .  
ولا يشكر ان الرق ألقي بين احمدو وساموري وعبد احمد انكسروا ، وان الغارة الاسلامية  
توقفت في السودان الفرنسي وفي السودان المصري ، ولكن التصبب الاسلامي لم ينطفئ ،  
وانما هو يتوقد تحت الرماد ، وتجد الدعوة الاسلامية ماثبة بالرغم من كل المحاول في  
الاوغاندة ، ووادي الكونغو ، ووادي النيجر ، ووادي الفامبية ، وساحل غينية ، وسنري  
في الفصل الآتي مواقف الدياقين بعضهم بأزله بعض .



## الصراع بين الاسلام والنصرانية وأيهما الغالب في أمر المدنية

قال : ان الديانتين الاسلامية والنصرانية ، ولقد كان كل منهما في مقابلة الاخرى على خطين طويلين ، اذا خططنا خطأ يمتد من مصب السفيل الدرجة ١٦ من العرض الشمالي ، قطعا الى شرقي افريقية الدرجة ٢ والدقيقة ٣٠ من العرض الجنوبي ، وخطا ثانيا ، يمتد من الدرجة ٥ من العرض الشمالي مع الدرجة ١٠ من الطول الغربي الى الدرجة ١٥ من العرض الجنوبي مع الدرجة ٤٠ من الاول الشرقي في قرب موزامبيق ، تتكون لنا منطقة واسعة جدا ، يضطرب ضمنها مائة مليون نسمة هم متروك النزاع بين الاسلام والنصرانية .

وقد تقدم كون مراكز دعوة الاسلام هي فارس ، وطرابلس ، وجنوب ، والازهر ، وزنبار ، وان خلاصتها في بحيرة تشاد ومينكو . وأما النصرانية فمدنها من فرانسيس ، وطابان ، والماني ، وسكندريتين ، وانكيز ، وامريكين ، قد احترقوا السكينة الفتيحة من ثلاث أو أربع نقاط وهي : وادي غاميه وأعلى السفيل ، وسيراليون وساحل غينية ، ومئات النيجر ، وأعلى الزامبي ، وبلاد البحيرات الكبرى . وأحد مراكز النصرانية اليوم هي السودان الغربي ، والسكوتو ، وبلاد السكاف ، والاوغانده ، والزامبي الاعلى .

(السكوتو سر عظيم في اواسط افريقية يخرج من غربي بحيرة تشاد وينتهي في الاوقيانوس الاطلانتيكي ، طوله ٦٠٠ كيلو متر وحجم مائه من ٤٠ الف الى ٧٠ الف متر مكعب ، والبلاد التي يجاوره تسمى بلاد السكوتو وهي اربعة اقسام السكوتو الالمان في الشمال وهو السكارون ، والسكوتو البرتغالي وهو انغوله في الجنوب ، والسكوتو الفرنسي ، ثم السكوتو الباجيكي ، وأقصىها الباجيكي الذي عدد سكانه ١٤ مليوناً .

وأما الاوغانده فتحدها ان تكون من السودان المصري ، وهي شمالي بحيرة فيكتوريا فياخره الى الغرب ، أهلها مليون نسمة حصلت فيها حق بعد وفاة ملكها ميترًا بسبب الدعوات الدينية بين المسلمين والبروتستانت والكاثوليك ، ويقول موريس قال الفرنسي في قاموسه ان الغلبة كانت للبروتستانت ، بسبب ضغط الانكليز لهم . والاوغانده كالا ينجفى ادخلتها السكوتو في مستعمراتها .

وأما بلاد السكاف فهي في افريقية الجنوبية قد مر ذكرها ، وأما الزامبي فهو نهر عظيم يتكون من مائتي ليا وكامبوبو ، اللذين يمتدان في نحو الدرجة ١٢ من العرض الجنوبي ، تنساب الى هذا النهر مستنقعة الزامبيز البريطانية وأهلها مليون وثلاثمائة الف ) .

أما من جهة الشرق فالنصارون من السود لا يزيدون على مائة ملايين وخمسمائة الف ، حال كون المسلمين ٣٦ مليوناً أكثرهم مستعمرات فرنسا منهم في السفيل الى شرقي بانغولا ، ومنهم أكثر اعالى نيجر ، وغومو ، وسوكوتو وجميع منطقة قافيين ، ومينكو ، وادي النيجر ، وبلاد فونالون ، وبلاد كينا ، وبامباكو ، ونداونو الخ .

ثم أخذ يسرد المسبو بونه موري الاسباب التي جعلت للاسلام الفوز في افرقية بين السود ،  
 وأهم هذه الاسباب بساطة العقيدة الاسلامية ، التي تنحصر في كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ،  
 مما يذله عقل الزنحي بدون عناء كبير ، كذلك الجهة التي عند المسلمين تطابق مبول الزوج ،  
 أكثر من فردوس الصاوي ، كذلك الاسلام ليس فيه طبقات ودراجات ، فالزنحي لا يرى  
 نفسه محنقرا في الجماعة الاسلامية . قال ومع كون الفقير والفقير متساويين عند كل المل فليس  
 عند أغنياء المسلمين هذه العظمة والمثونة التي عند اغنياء ، بل اغنياء الاسلام أكثر  
 تذكرا ازوال النعم وبحول الاحوال من اغنياء الصاوي ، والفقير المسلم لا يمر عليه أن يدخل  
 بيت أي واحد من أغنياء الاسلام وان يجد هناك مضافا .

ثم ان العرب والمغاربة والبربر يتزوجون بالسودانيات ، فتحصل بينهم وبين الزوج وشائج  
 انساب وارحام تزيد نفوذ اولئك عليهم ، حال كونه من النادر الاندر ان يتزوج أوربي  
 بامرأة أوربي في صحرة رجل اسود . ثم ان تعدد الأزواج ، وجواز الرق (كذا) ، ومنع  
 الفرآن للسكرات ، كلها أسباب تجعل الرجل في كفة الاسلام .

وأكثر الذين صنفوا على افرقية حتى الذين منهم اشتهروا بمدعاة الاسلام ، اعتقدوا بحسن  
 طاعة اسلام السود من الوجهة الدينية والادبية . لانهم تخلصوا من عبادة الاوثان والحيوانات  
 وأقبلوا على عبادة الذبائح البشرية ، وتركوا السحر والسحرة ، وانصرفوا الى عبادة الله واحد  
 عدل ، يبدونه عبادة روحية منزهة . ثم ان دعاة الاسلام يعلمون المهتمين مبادئ ائمة  
 المدينة ، التي هي في الاسلام بمثابة الثلاثيني في امم النصرانية . ومما لا شك فيه ، ان الاسلام  
 يزيد النفس عزة ، ويمنح بوجدان الزنحي كما قال آترودي Attorney وهو قوله :  
 « بمجرد ما يدخل الزنحي في الاسلام يشعر بكرامة نفسه ، وبعد ان كان يعتقد ذاته عبدا ،  
 يصبح في نظره حرا . »

وان جميع وصايا جمعيات المبشرين بتترك السكرات ، لم تبلغ شيئا من درجة تأثير الاسلام  
 في حظر هذه الرذيلة . وربما قيل ان ، كما كان الامساك من شرب الخمر يرفع درجة الانسان ،  
 فالزوج باكثر من واحدة يعمل عكس ذلك . والجواب على هذا ان أكثر المسلمين يقتصرون  
 على الزوجة الواحدة أولا لان الفرآن شرط لشدة الزوجات شروطا قتيلا ، ثانيا ، لان الفوز  
 الاوربي ازداد في العالم الاسلامي ، وصار كثير من المسلمين يتفرون من تعدد الزوجات .  
 وأتى بونه موري على ذلك بشواهد كثيرة ، وخاص في بحث المرأة الجديدة في الاسلام ،  
 وتكلم على كتاب الرحوم قاسم أمين ، وعلى مدارس الاناث المحدث في الاسلام الى أن قال :  
 « أما مواطن ضيف الاسلام بأزاء النصرانية فهي تعدد الزوجات . »

لأن تعدد الزوجات بذاته يستلزم مكانة المرأة التي هي في نظر السواد الاعظم من  
 المسلمين واسطة شهوة ، وسيلة لتسل لاغير . فهذا من مواطن ضيف للاسلام بأزاء النصرانية  
 ثم هناك ضيف آخر وهو فساد النضاء الاسلامي وفقد العدل فيه ، اذ كل ما هو مشهور عن  
 فساد الحكومات السابقة في فرنسا من الرشوة والرشوة والظلم ، لا يحسب شيئا في جنب  
 مساوي فساد الاسلام في افرقية . فانه يكاد يكون مستحيلا نجاح فقير في دعوى مع غني ، أو  
 انصاف أرملة وقاصرين في نزاع مع وصي .



فإن ذكر جيداً المسلمون في هذه السكدة ، وإيادوا أنه إذا كان الله تعالى أياح تعدد الزوجات تحت شروط ، فلم يقع الظلم بوجه من الوجوه . بل الإسلام وضع العدل فوق العبادة . ومع هذا فقد صار الأمر إلى أن فساد النساء وفقد العدل في محاكم الإسلام ، أصبحت حاجية على الإسلام ، ونقطة بهاجم بها . ولا شك أن أمثال هؤلاء الفضلاء من المسلمين ، هم بأعمالهم أغنى نسكاً بالإسلام من جميع أعدائه . أملاً بسلام هؤلاء أن مثل هذه الأحوال ، هي التي رفعت ثقة الأوروبيين ، لا بل الشرقيين من المحاكم الشرعية ، وحلت الكثيرين على طالب النجاسة أو وضعا تحت السيطرة الأوروبية ، بأي طار على الإسلام أكبر من هذا ؟ وأي جنابة على الإسلام أظلم من أن يصوروه رجال الشرع بغير صورته بسوء أعمالهم ، فبدلاً من أن يرغب فيه الناس تراهم يرغبون عنه بسببهم .

ثم جعل المسيو بونه موري استعمال الرق من جهة تقاضى الإسلام ، واعترف بأن السيد أبناء السيد الذين يتخذون في البيوت ويديون بالإسلام ، لأنساء معاملتهم ، ولكن أفاض في وصف سوء المعاملة التي يلحقها أسرى الحرب ، وطعن كثيراً في تجار الرقيق لا سيما من العرب ، ووصف القسوة التي تظهر منهم في معاملة من يصطادونهم من الزنوج . وجعل أصل التهمة في ذلك على الإسلام . ونسي أن الرق وجد في جميع الأزمان ، وأنه وجد في النصرانية أيضاً . وأن البوير الأوروبيين في جنوبي افريقية نقل عليهم تحرير الرقيق ، أكثر من تجار العرب . وأن الحرب في أميركا استمرت عدة سنوات ، بسبب أن غنما عظيماً من أهالي أميركا أبوا الخضوع لقانون أبطال الرق . ونسي أيضاً صاحبتا أن أكثر الأمة الروسية ، وهم الفلاحون كانوا أرقاء للأمراء والاشراف ، ولم يتحرروا إلا منذ نحو ١٥٠ سنة وهم من الجنس الأوروبي لا من النجس . كذلك غفل أو تغافل عما أوصى به الإسلام بشأن الرقيق ، وما عظم من فضيلة تحرير الرقاب ، وكيف أن آخر كلام النبي ( ص ) وهو على فراش احتضاره كان ، التوصية بالارقاء . فنظر المؤلف من جهة واحدة ، وذكر السيئات وغفل الحسنات .

ثم غاض المسيو بونه موري في تمرات الدعوة المسيحية فقال ، إن عدد المشركين من المسلمين لا يكاد يذكر ، ولكن لا يخرج من ذلك أن الدعوة المسيحية لم تكن ذات تأثير على المسلمين بل إن الميل المأخوذ عندهم إلى الاكتفاء بالزوجة الواحدة ، والاعتناء برفقة سوي المرأة ، وإصلاح المحاكم ، كل هذا كان من نتائج الدعوة المسيحية . فاما بين الوثنيين فإن دماء الانجيل ، قاموا عبادة الفتيش ( لفظة برتغالية الأصل معناها الوثن أو المعبود من الحيوانات ) والاعتقاد بالسحر والتماويذ ، والذبايح البشرية ، والرق ، وأصلعوا حال المرأة ، واجتهدوا في تدعيم الرجم ، الاقتصار على الزوجة الواحدة ، وأنهموا السود أن على المرأة واجبات غير الولادة ، وهي تهذيب الاولاد ، وتعميش المرضى والفقير ، بخلاف المسلمين الذين يرون في المرأة واسطة لنسل لا غير . ( كذا ) .

وعلموا السود النظافة وفوائدها حفظ الصحة ، ومروهم على الاشتغال اليدوية والزراعة ، وأما من جهة المستشفيات ولا سيما ملاحيه المجنومين ، فحدث في هذا الباب ولا حرج . ثم أن النيسر بن هم الذين نشروا في أوروبا قطعاً من صيد البشر حتى اعتنت الدول بذلك ، وعقدت المؤتمرات التي قررت فيها منع بيع الرقيق . ولم يتوقف المبدعون عن التشهير بمساويء تجار

الرفيق بل شهروا بيئات المستعمرين الاوربيين انفسهم فيما لو خبطوا الامالي بعضا النصف وذلك كما فعل المبشرون الاسكيز ، عند ما رأوا أعمال بعض البليغيكين في الكونغو . وما لا يمكن السكوت عنه أن بعض الاوربيين اوتكبوا جريمة بيع المسكرات بين الزنوج ، ومنهم ضباط وحكام استعملوا القسوة في معاملتهم ، فكانوا متلاسيثاً وان بعض المبشرين انفسهم ، اوتزفوا من حرف غير لائقة بالعمل الذي هموا من أجله ، واني كثيراً من المبشرين تشاجروا بعضهم مع بعض ، لاسيما الكاثوليك والبروتستانت ، وحصلت في الاوغانده وقائع دعوية بسبب نشر الدين ، فلهذا مما يندح الشكوك في فلوب الذين ذهب المبشرون لحدايتهم . وماذا تقول في حرب الترانسفال التي دارت بين امتين مسيحيين تحت أعين الزنوج ، فقامت بتكذيب دعوى البيض بكون الجبلهم هو واسطة السلام .

قال : وبالجملة فإذا كان الاسلام قد ربح من جهة عدد الذين اتبعوه من السود ، فالنصرانية كانت المرجحى في أهمية النتائج الادبية والاقتصادية ، ثم لا يوجد وجه للمقابلة بين المدارس النصرانية وبين كتابات الزوايا ، فضلاً عن كون مبشري الانجيل أسسوا مدارس صناعية مثل مدرسة باقمو بوبو Baganoyo ومدرسة لوفيدال L'Évêché أو مدارس زراعية مع أغودجيتشا نظير مؤسسة الآباء البيض في كيتا Kita ، وأين نجد عند دعاة الاسلام من دور الانعام ، ولاحي . المعجزة والزمني ومستشفيات المجازيم ، ما نجد عند دعاة النصرانية ، وأين في العالم الاسلامي القسوة الأني مثل راهبات الرجة الكاثوليكيات والاخوات الانجيليات ، ونساء المبشرين . لا جرم أن النصرانية في هذا الوطن هي العليا وان كان الاسلام هو الغاشق في قضية منع الكحول .

فحين لا تنكر ماقاله السبوتوت مودي من أنه لا وجه للمقابلة بين مؤسسات الاسلام والنصرانية في افريقية وغيرها من جهة الانثان والنفث ، وتنوع العلوم ، والصناعات ، واشتراك النساء مع الرجال في هذه المشروعات الخيرية ، وماتاني به هذه الراهبات من الحوارق في خدمة الانسانية . كلا والله لا تنكر ذلك ، والحق من ربك لا تنكروني من المدحرين . ولكن بما لا ينكر أيضاً ان الخطاطم المؤسسات الخيرية الاسلامية ، انما وقع بالخطاطم القوة السياسية الاسلامية في العصر الاخيرة ، أما قبل ذلك فلم تكن مدينة تذكر في الاسلام الا فيها البيمارستانات ، ودور المجازيم ، والمجاذيب ، والملاجي ، الزمني ، وملاحي ، والعيان وكل هذه المؤسسات كانت لها أوقاف دائمة ، ومتابع رزق يتفق منها عليها عن سعة .

لا بل الذي خطر ببال المساميين من جهة اسداء الخير ، واماطة الأذى ، وتخليف آلام البشر قد وصل نحن النباهي الى درجات ، لم تبلغها أوربا في عصر مدنيها هذه ، ودل على أن في الاسلام من رقة الشعور ، ودقة النعظ ، وتوقع النادر من النوازل ، ما ليس في غيره . واليك هذا المثال :

كانت في دمشق اشام عدا دور المجانين والمجاذيب ، وأوقف على الحيوانات ، ويزال ان مرحلة دمشق هذه التي هي اليوم منزلة أهل الحضرة ، كانت وقفاً على الخيل التي نبتت في الجهاد وأسست ، يطول لها فيها دون غيرها .

وسمعت رواية من أفواه بعض الأثباء لم أجد عليها نصاً ، ولمسكتها قرية الى التصديق



وهي أنهم وجدوا في الوثائق المتروكة عن المستشفى الثوري الشهير ( محل المحكمة الشرعية الآن ) وهو منسوب الى الملك النادر نور الدين زنكي رحمه الله ( وظيفة من جلة وظائف المعالجة لم يخطر ببال الاوربيين ) مع تاهيهم في الترف والعناية بالصحة أن يجعلوها وظيفة ، ولا أن يرتبوا لها جملاً معلوماً ، وهي تكليف الذين بأن يتفقا بمسمع من المريض ، ويدون أن يلحظ ان ذلك جار منها عمداً يسأل احدهما الآخر عن حقيقة حالة ذلك المريض ، فيجابه رفيقه بأنه لا يوجد في علته ما يشغل البال ، وان الطبيب رتب له كذا وكذا من الدواء ، ولا يظن انه يحتاج الى أكثر من كذا من الوقت حتى ينقذ ، وغير ذلك من الحديث ، الذي اذا تراسس به انسان على مسمع طبل ثقل الحال وظنه صحيحاً ، زاد في تشاؤمه ، ونهض من قوته المعنوية بما يعمل فعل الجمع الادوية لا سيما عند ذوي الأمزجة العصبية . ثم قد تكتفى ، لم يتنبه الاوربيون الى أن يدخلوها في جلة وظائف المستشفيات الى هذه الساعة ، مع أنها في مثبتي درجات الرفعة والفائدة .

ومن أرق وألطف ما وجد في الاسلام من هذا المعنى وقف الزباني ، الذي كان في دمشق ، وقد حدث عنه ابن بطوطة وهو مكان توحيد فيه صحف من الحزف الصيني الجليل النادر ، وقفها أصحابها لأجل انه اذا كان غلام كسر آنية لسيده وتعرض بذلك لعنابه ، يذهب الى هذا المكان ويضع الآنية المكسورة ، ويأتي بأية صحيح بدلا عنه . فكل لحظ أرباب المبرات من الأفرنج معروف ، بلغ هذا المبلغ من الكياسة ، ولطف الشعور ، ووجد في الشام وقف لتزويج الفتيات الفقيرات .

ووقف لبنيا الماء المثلج في الصيف لما يري السيل ، وقد يستقوه بماء الحروب أو غيره من الأثرية .

ووقف لمستشفى الجوزيم ، من جلة أراضية القرى التي كانت للمرحوم أحمد باشا الشامة في حوران .

أما أوقاف البيهارستانات فهذه لا نحصى في الاسلام .

وفي مكة المكرمة وقف ، مخصص ريعه لمع السكلاب من دخول مكة .

ووقف لأعارة الحلي والزينة في الأعراس والأفراح ، بحيث أن العامة والفقراء لا يلبس الطبقة الوسطى يرتدون بهذا المهد الخيري ، فيستعبدون منه ما يلزمهم من الحلي لأجل التزين به في الحفلات ، ويبيدونه الى مكانه بعد انتهائها فيبسر الفقير أن يبرز يوم عرسه بحلة لائقة ، والمروسة أن تجنى بحيلة رائحة مما يجبر خاطرهما ، وكذلك يستغني المتوسط في الثروة عن أن يشتري ما لا حاجة له به .

وفي مكة وقف آخر تشياد منه ، أدوات السفر والمفروشات لقولاتهم والوضائم .

والغني أنه يوجد بمصر وقف لسكنى الأيتام . ووقف آخر لسكوة أولاد الفقراء . ووقف لأطعام السكلاب .

ويوجد بتونس المفراء وقف ، مرسد ريعه لتزويج بنات الفقراء واليتيمات ، ووقف للصبيان ، لهم يوم مخصوص هو يوم الخميس يسألونهم فيه عن جميع ما قرأوه في الاسبوع ، ويعدونهم بعد ذلك دواهم بمدا لهم ، وتقرىحاً لقلوبهم . ووقف للاستحمام مجاناً ، توضع

فيه سرور من الدراهم كل صرة فيها مقدار أجرة الحمام ، فيدخل المحتاج الى الاستحمام أو إزالة الجنابة ، ويتناول إحدى هذه الصرر ويذهب الى الحمام ، فيدفعها بعينها ويستحم ، ويوجد في تونس وقف غير الوقف الاول : لتوزيع البنات الابكار اللاتي يجعل الزواج ، وفي تونس وقف لدار المجازيم . ووقف آخر للمعاقمين .

وفي تونس وقف لثلاث أولاد الفقراء ، يحتف الولد ويعطى كسوة ودراهم . وهناك وقف توزع منه الحلوى في رمضان مجانيا .

وقيل لي ان في تونس كما في دمشق وقفا لمن انكسر يده اثناء ، فيذهب ويأخذ منه بدل الاناء الذي انكسر .

ويأتي الى تونس في بعض أيام السنة نوع من السمك تفيض به شواطئها ، فيوجد في تونس وقف يشتري من ربه جانب كبير من هذا السمك ، ويوزع على الفقراء .

ويوجد في قاس وقف أشبه بالوقف الذي في دمشق ، والآخر الذي في تونس ، لمن ينكسر يده اثناء .

وفيها وقف لاحتياط آخر ، وهو أن من وقع عليه زيت مصباح ، أو تلوث ثوبه بشيء آخر ، يذهب الى هذا الوقف ويأخذ منه ما يشتري به ثوبا آخر .

وهناك وقف سيدي أبي اليباس السبتي للميان والرمن ، يأخذون كل يوم من ربه ما يمشون به ذكورا وإناثا على كثرة عددهم .

ويوجد وقف اسمه وقف سيدي علي أبي غالب ، ينفق منه على ذوي العاهات . ووقف في قاس ، ينفق منه لرفع الحجارة من الطرقات .

ووقف المؤذنين الذين يحبون الليل بالنوبة ، وكل منهم يسمح انة نحو ساعة بصوته الرخيم ، ويسمى هذا المؤذن « مؤنس الغرباء » أو « مؤنس المرضى » لان المريض لا يقدر أن ينام ولا يوجد في كل الاحيان من يحكي الليل لاجله ، فليس له انيس احسن من هذا المؤذن الذي يشجيه بصوته الرخيم في تسبيح الباري تعالى في ساعات الليل الاخيرة .

وفي مدينة مراکش ، وقف لسقي الماء المنلوج في أيام التيفك كما في دمشق ، وفيها مؤسسة اسمها « دار الدقة » وهي ملجأ تقدم اليه النساء اللاتي يتبع لغير

بينهن وبين بعوانهن فلهن ان يقمن به آكلات شاربات ، الى ان يزول ما يلهن وبين أزواجهن من النفور . وعلى دار الدقة هذه ، أوقاف عديدة دارة .

ويوجد في مراکش مكان اسمه « سيدي فرج » فيه أوقاف كثيرة دارة فائمة ، وذلك لايواء المجازيب والمعاقمين ، وانجيز الموتي من الضعفاء والساكين . ويؤخذ من ربح أوقاف سيدي فرج هذا ، لشراء ملابس توزع على الفقراء في أول الشتاء .

ودوي جان وجيروم تارو الاخوان ، السكاتبان الفرنسيان في رحلتهم الى مراکش ، ان في مدينة مراکش ملجأ لا يوجد مثله في الدنيا باسمها ، وهو بناء يكاد يكون بلدة ، وله ساحة يكاد الطرف لا يأتي على آخرها ، وفي هذا الملجأ سنة آلاف أعشى نامون ، ويأكلون ويشربون ، ويقرأون ، ولهم أنظمة ، وفواين ، وهيئة ادارة ، وصندوق الخ . فهذا مثال مما في العالم الاسلامي من المشروعات الخيرية والمآثر الانسانية ، مما لم يشقن لكثرته العالم



الأوربي بعد أن وصل إلى ما وصل إليه من الغاية القصوى في العمران ، والدخول العليل في الاحتياط لأزاحة عن الإنسان . وربما كان كثير من هذه الأوقاف والملاحم . قد انحط أو درس ، أو استأثر نظاره برببه لسوء الحظ ، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون هذه المؤسسات الجارية ، وهذه الحواضر الخيرية الدقيقة قد وجدت في الإسلام أيام عزه \* ولا يزال قسم كبير منها موجودا . فاختار المسويرون موزي على الإسلام بوفرة الملاحم \* ودور الأيتام ، وكثرة معاملته الخيرية في العمرانية ، دون الإسلام ليس في محله . ولو اطّلع على هذه المعلومات ، التي هي قليل من كثير مما في الإسلام من الميزات العامة لرجع عن كلامه .

### الخلاصة

استخلص صاحب كتاب الإسلام والعمرانية في أفريقيا من أبحاث كتابه هذا ، التي لمصاحبا أكثرها تخصصا مطابقا للأصل ، أن الأديان التي جاءت أفريقية بأفضل وأسلم مبادئها المدنية هي الأديان الثلاثة : الموسوية ، والعبرانية ، والإسلامية . وأن الوثنية التي كانت عليها قرطاجنة والإسكندرية في العصر القديمة لم تعد أفريقية شيئا ، كما أن الفيتشية الحاضرة بين الزنوج ، هي مصدر لانقطع الأعمال والسخط البهائم .

وقد كان لليهودية دور عظيم بمصر امهدة الحضارة وفي أفريقيا لرومانية ، قبل مولد السيد المسيح بقرن وبعده بقرنين . ولسكنها الآن انحطت كثيرا في هذه القارة ، ليس في شمالي أفريقيا أكثر من ٢٦٠ ألف نسمة من اليهود ، أغلبهم انحطوا بيهود الجزائر ومصر ، يرى جمعية الاتحاد الإسلامي عاملة لاعلاء سويهم بهمة عظيمة .

أما العبرانية فازدهرت كثيرا في القرن الثاني إلى السابع الميلاد وعمت شمالي أفريقيا من مصر إلى أقصى المغرب . فلما جاء الفتح العربي الأول في القرن السابع ثم الثاني في القرن الحادي عشر جرد كل آثار النصرانية هناك إلا ما كان لتبسط بمصر والمهنة .

وأما الإسلام فبعد أن أشرقت به أنوار العلوم والمصانيع بمصر والمغرب توقف على مستوى واحد ، ثم شرع بالندهور بعد سقوط الاندلس .

ثم عادت النصرانية بواسطة جميات التبشير المسيحي إلى العمل بين الزنوج الفيتشيين ، ولكنك ترى دعائهم في سواحل زنجبار ، ونواحي البحيرات الكبرى وفي وادي ، وبحول بحيرة تشاد ، وفي البلاد الواقعة بين منحدر النيجر ومناجم السنغال ، يتصادمون مع رجال الطرق الإسلامية ، وطبقة فاس ، والأزهر الذين يأبون النصرانية بأي وجه كان . فبدأت بداية القرن التاسع عشر اشتدت المواجهة بين هاتين الديانتين ، وقسمتنا على السيادة الدينية بل على السيادة السياسية ، بما لا يخلل حرارة عن مساجدهما أيام الفرون الوسطى .

فإذا ينبغي لنا أن ننمي من جهة تربية هذه المصارعة بين هاتين الديانتين ؟ وأية خطة يجب أن يتبعها مبشرو النصرانية لا كمال عملهم ؟

الجواب على السؤال الأول : لا ينبغي لنا أن ننمي لا فشل الإسلام ولا غيره . لا ينبغي أن ننمي فشل الإسلام لأنه مما لا مشاحة فيه أن دين محمد قد أهلى مستوى القبائل الفيتشية التي دانت به ، وخدم بذلك الإنسانية . فإن غالب هذا الدين من بعض تلك المراكزة ، سادت

فيها البربرية وهم شرب الخمر . ولا ينبغي لنا أن نشتهي فوزه لأنه إذا فاز ، حاج التعصب الاسلامي وعنت ذلك حروب دموية ، وربما مذابح يهلك فيها الالاوروبيون . هذا فضلاً عن كون الاسلام اذا رفع مستوى الرقي فانه يقف به فيما بعد على درجة ، لا يتقدم عنها ولا يتأخر . ( يشير الى الجلود المأخوذة ) .

وعندي ان الاولى بقاء الديانتين في مراكزهما المأخوذة ، فسمى كل منهما سعيها مع التسامع والتسامح . فلما في البلاد التي دخلت في الاسلام فيجب المدول عن سياسة التصير والاكتفاء بادخال مبادئ مدينتها بواسطة المدارس الفرنسية العربية ، أو الانجليزية العربية والمكتشفات والملاحية . ومدارس تعليم اللغات الخ . وكذلك يحسن بالاوربيين أن يقتصدوا بالمسلمين في الامتناع عن السكرات وفي استقراءهم الفاني ، الذي يطلع عن عقيدته الاولى ، وعده مساوياً لا يرضى ، وفي الآلة بين النبي والفقر .

واكن حيث أباح الاسلام التذبيب في النساء ، أو تجارة الرقيق ، أو التمر ذات البحر ، فيجب على عملي الاسرائيلية أن يأخذوا بذلك حكمهم ، حتى تظل هذه الامور بالفرقة . وعلى دعاة الاسرائيلية أن يسرعوا في عملهم ، ويضاعفوا جهتهم ونشاطهم بحيث يسبقون دعاة الاسلام ، ويرفقا المادة مليون ربحي الباقين على القنصلية بالبحر المسبح ، قبل أن يسمع هؤلاء بذكر القرآن . وعليهم ان يتوخوا البساطة في التعليم المسيحي ، وينهجوا الطريق الذي تتبعه حواريو المسيح في وقتهم عند ما كانوا يهودون الوثنيين . وأما الفضل فيجب على المبشرين ان يكونوا هم القدوة بها ، فبحجوا سياج غيرهم من النصارى البيض . أم هذه خلاصة كتاب الاسلام والنصرانية في افريقية عولنا عليه ، لأنه اجمع ما رأينا في هذا الموضوع . وكان منو دارد قد نقل عنه . وأخذت على كتاب عنوانه « مصر في افريقية والاقيانوس » للجنة التبشير الانجيلية البرازيلية مطبوع في السنة ١٩٢٣ الماضية فوجدت فيه بعض نيات تتنافى بالاسلام في واسط افريقية .

فذكر ان في السيفال خمسة أو ستة أجيال : مجموعهم مليون ونصف مليون نسمة ، وان أحصاهم عدداً جيل يقال لهم الاولوف (Goths) فقال ان هؤلاء غاطية كانوا مسلمين ولا يزالون مسلمين ، ولكنهم جميعاً شبهتهم أثناء الحرب الكبرى الى فرنسا ، حصلت ثورة في أمكارهم ونساعوا في الدين . قال : ولا نقدر ان نقول ان هذا الثورة العسكرية أهدتهم من الوجهة الادبية . كلا . بل صاروا مدمنين للسكر ، بعد أن كانوا لا يدورون الا شريرة المنخفضة أصلاً . ولم تقصر هذه القصة في صور العالم القرآنية على شرب الخمر بل تجاوزت الى عدم الصوم في رمضان وترك الصلاة .

قال وحصل منذ نحو عشر سنوات أن شاباً مسلماً ابن عائلة وحيية في سور سور ، تردد كثيراً على المدرسة الانجيلية في هذه البلدة ، الى أن التمس من المسيو أنغري درانكور تابعه الدين المسيحي ، ولحظ أنه ذلك فلم يارضوه في أول الامر ظناً بأنه لا يصبأ عن دينه ، ولكنهم لم يذهبوا أن عرفوا أن الشاب ترك صلاة المسلمين وصيام رمضان ، وأنه مرفق من الاسلام ، فأرسلوه الى جهة بعيدة لم يرجع منها .

قال فلما في هذه الأيام فحوادث كهذه لا تمنع لا تكون الاعالي تركوا الاسلام ، بل يكون



النفس الجارية خمس من القبول العينة . فصار بعض الشبان يقتلون محلات البيادة عند الصاري سواء في سان لويس ، أو في دافار ، ويشتكون في الانشيد الروحية ، مما يدل على حالة عنيفة لم تكن من قبل . غلب القديسين أن يستغلوا هذه الحالة الجارية بتوجيهها إلى جهة المسيح . وقد آن لنا أن نضيف عبراً من الماضي ، فالتأخر منذ مدة طويلة مسئولون على السفن ، وعند ما جاء أول بندر إلى السفن منذ ٦٠ سنة ، كانت مقاطعات كثيرة من السفن لم يقبل أهلها دين الإسلام ، ولكن تقصداً للثروة وأموالاً الثابتة مع أن الأرض إذا كانت خصبة تحتمل ولائها وزرعها ولو تأخر الوقت . ثم إن السفن بلاد إسلامية ، ولكن فيها طوائف لا يزالون في شبهة مثل المريرين Serones ، الذين يبلغ عددهم ٣ إلى ٤ مائة ألف ، وكذلك أهالي كازامانس الذين معظمهم وثنيون .

في السفن مليون ونصف مليون نفس كانوا حلقاً لله ، وكما في حابة إلى الخلق . وأنه كانت تربتها إلى هذا اليوم إسلامية بحتة ، ولكن جرى تحول في الأفكار بهذه المدة الأخيرة ، فالدعاة إذاً قد أوفت للعمل . اهـ

وغالب هذا الفصل المبشر البرت دوراكورت يحرض قومه على البذل والاهتمام بوث الدعاة في السفن .

ثم أخطأت في هذا الكتاب نفسه على فصل آخر ، لم يذكر يقال له المنيو فور Ponce إنكم على البنية الانجيلية في بلاد الغابون أو الكونغو الفرنسي ، ويحول فيه إن هذه البلاد بعد أن ضمت إليها مستعمرة الكامرون الألمانية ، صارت بقدر قرناً أربعاً أو خمس مرات ، وإن سكانها أقوام مختلفة من سود إفريقية منهم مسلمون وأكثرهم وثنيون . ومن جملة ما ورد في هذا الفصل قوله :

إن الأوربيين ، قد جنوا على السلافة السوداء جنائيات كثيرة لا مندوحة لهم من التكفير عنها . فإذا كانت أمم البوانتوي ، Myongwa ، والبالو ، Galoa ، والنكومي ، Nkomi وغيرها رقدت انقضت أكثرها فما ذلك إلا لسكون النجسين البيض كانوا يصطادون أبناء هذه الأقوام ، ويستعبدهم ويبيعونهم ، ويكون أكثر أرباح التجار البيض ، هي من تجارة السلاح والبرود والمسكرات ، وبالأحرار مقل الحقيقة وهي أن الزنا مع ما يحرمه من الأمراض التي كادت تنفي هؤلاء الزنوج ، أعسا مشا فيهم بواسطة الأوربيين . ولأنكم من جرم جرم الأوربيين بين هؤلاء السود البؤساء ، وما لا تقدر أن تكافؤ فيه هو أن الاستعمار البحري إن هو إلا استغلال المستعمرات وأهلها ، أي وجه كان . فالدولة أوطاناً من هذه الجهة بأعظها ولا سبيل لانكارها ( فليقل القاري في شهادة هذا المبشر الانجيلي على قومه ) من الواجب إذا دلنا نحن البروتستانت أن نعرض الضرر الذي ألحقه أبناء جنسنا بأهل إفريقيا ، وأن نحول كلمة الحياة والبرود والثروة إلى حيث الانحطاط والظلمات ولنتذكر أن مئات ألوف من هؤلاء الأهالي أبوه نداء بلاد في الحرب الكبرى ، وقتلوا في سبيلنا ، فإن ثلثي هؤلاء الذين سقناهم إلى الحرب لم يعودوا إلى أوطانهم . لأن منهم من قتل ومنهم من مات بالأمراض الخ .

ومما يستجلب النظر في هذا الكتاب فصل مبشر اسمه فريدريك فرييه Frédelic Verrier من البشير الانجيلي في ماداغاسكار أشار فيه إلى نجاح الدعوة في تلك الجزيرة السكبري ، ولكنه

لم يخل كلامه من شكوى مرة من أعمال الجربوت ، الذين لبثوا مدة طويلة مستخدمين قوة الحكومة الفرنسية لاعتات البرونسات ، ولم يتمكن هؤلاء من رفع الظلم والانتقام عنهم الا بوسائل اموال - زينة ودماء زكية . وكذلك شكوا من حلة الملاحة من الاروبيين الذين كانوا ينالون الدعوة الدينية من اصحابها ، ثم من فساد الاخلاق وفنور الزرائم المسئولين على سكان ماداغسكر ، مما يجعل وصاية البعثات الانجيلية على الكنائس الوطنية صعباً .

ثم ذكر ان نسبة المسيحيين الى الوثنيين في مقاطعات إيمرييه Imérie ، ويتايلو Betsileo ، وتاماتاف Tamatave ، وبلاد السكلاف Sakalaves هي نسبة ادين الى ثلاثة . وشكوا من كون الوثنية في المدة الاخيرة اخذت تتقدم الى الامام ، وان مبشرا انجلباً قديماً ٦٠٠ ونحوي مجتهدين لعبادتهم . قال : « وان جميع الاهالي في ماداغسكر يعتقدون بالله واحد يسمونه « اندريا مانيرا » او « اندريا مانهاراري » أي ايدي وخالق . وكما يستدل عليه من امثالهم وعباراتهم ، لا تخلو ديانهم من مبادئ ادسية سامية . مثلاً يقولون : اندريا ميترا تمي تباراني . ومعناها : الله لا يخطئ . ويقولون عبارات معناه : انه يوجد عدل لا يد ان يقتصر يوما . والله لا يخطئ . والله لا يخطئ . ولكن الناس هم الذين في الضلال وغير ذلك . ومع هذا فلهذه العقيدة بقية عازلة من اعطاء المادغسكريين ديانة قيمة قادرة على تزكية النفوس . فاتهم يوجهون صلاتهم الى مجاييم الوثني ، ويظنون ان ارواح الاهالي الاصليين الذين طردتهم امة الهوا Hova من ديارهم ، عادت فالتحلت مساكن في بعض الحجارة والنباتات ، فلهذا يتدعون لها القرائن لتسكين غضبها . وهم يعتقدون بالسر والسحرة ، وبالشعوذة والرفي ، والذاهبات ، وبالأجسام فديهم دين الخوف ، ولا يعرفون شيئاً عن الاله الكريم المغفر الغفار قائل التوب . الى آخر ما قال .

ثم ان في هذا الكتاب فصلاً مهماً عن الكامرون نخبر منه ببعض معلومات مفيدة وهو من قلم المذبح السيو البغره Allouart . قال :

### الكامرون

ان الكامرون قار واقع في داخل خليج غينية ، مساحتها اربع مائة وتسعون الف كيلو متر مربع أي شبر مساحة فرنسا ، وهو من بحيرة تشاد الى الاوفايوس من الشرق الى الغرب ، ومن النيجر الى الغابون من الشمال الى الجنوب . واما اهالي الكامرون فعددهم اربعة ملايين أي نصف اهالي ماداغسكر ، وهذا عدد القبائل النامية المنحصلة بالجل ، والظنون ان نحو ثلثي الاهالي لا يزالون وثنيين . ويسكن في الاجسام الجنوبية جبل متوحش اسمهم البيغم Pygmee ، والبقون من الاهالي ثلاثة أقسام :

الاول البانتو ، في السواحل والوسط والجنوب وكلام فتيشون ، وهم فرق الدوالء والباسة والتوري والتولوا الخ . وبين هؤلاء تأسست مراكز التبشير بالانجيل .

الثاني السودانيون الباقي اكثرهم على التدينية ، واصحاب مهاجرون من الشرق وهم سكان شمالي الكامرون ، ولهم امارات وحكومات وطنية .

الثالث السلون وهم الخاوسة ، والفولية ، والرب الذين في سواحل بحيرة تشاد . فلما



الحاوسة ، قال بأيديهم جميع التجارة من شمالي الكامرون الى جنوبها وهم يهود هاتيك البلاد وتراهم في كل مكان لا تخلو منهم بقعة ، وفي كل قرية من قرى الجنوب حارة للحاوسة . كما أنه على أبواب المدن الكبيرة توجد قرى للحاوسة والآباء لا يحبون الحاوسة ولكنهم يحتاجون الى البضائع التي يأتيون بها . ويظهر ان هذه الفرقة منهم ستزول شيئاً فشيئاً ، وسينتهي الامر بسيادة الملاي ( أي الاسلام ) على كل محل ان لم يبادر المسيحيون بانقضاء الخطر . وفي الحالة الحاضرة لا نجدهم مقرطين في التصب ، فلا يزال عند المبشرين المسيحيين الوقت الكافي لمباينة دعاتهم .

واتد كان استقلال أمة الغولية بلاد الآداموا ، منذ عهد غير بعيد . جاءوا من بلاد السنغال والنيجر ، ويورنو واتجسوا ، وكان أصل انتجاعهم لها لتزويد المرامي لمواشيهم ، ولتقوا حقبة يؤدون ثلثة ثلثي الوثنيين ، كما أنه لا يزال طائفة منهم اسمهم اليورورو (Yororo) بقرب مدينة فوم ان يؤدونها الى اليوم . ولكن لما تكاثرت الغولية انضموا حول زعيم لهم يقال له آداما وهو الذي انشبت الى اسمه بلاد الآداموا فاستولى على المملكة ، وصار الوثنيون هم الذين يؤدون الجزية للمسلمين وصار هؤلاء يأمنونهم أرقاء ، وانهم هم من الوثنيين الى الجبال حرصاً على استقلالهم . ومع هذا فقد بقي طوائف من المسلمين تحت سيادة الوثنيين . ويوجد أقوام مثل النيكار والامون والوث . يتكون منهم مناطق حائلة بين المسلمين والوثنيين .

ثم قال وان الكامرون هي أرض مختارة للتبشير ولها مستقبل عظيم ، كأن تتمكن من تصدير الوثنيين الذين فيها ونقف حائراً بينهم وبين الدعوة الاسلامية ، وأخيراً نقدر النصرية بين المسلمين أنفسهم . انتهى كلامه بحرفه

ثم في محل آخر تكلم هذا المبشر عن آفات الدعوة الدينية من تراحم الاوروبيين على التجارة والربح المالي . وزعم ان الالمان اغتصبوا الاعالي اراضيهم ، وانهم في أغسطس سنة ١٩١٤ شنقوا ملك دولة ، بحجة أنه تمرد على السلطة الألمانية . ثم انقل الى ذكر الحرب العامة فقال انها جاءت كعصر عاتية لم يبق ولم تدر . فغلب الناس ان عمل المبشرين حبط تماماً بزوال الحكومة الألمانية من الكامرون . اذ انه لما سبق المبشرون الى الساحل اسارى هجعت الماسكر السود من الفريقين ، وثار الاعالي وخربوا المؤسسات والراكر التي كانت للتبشير . وأناس كثيرين هجروا القرى ولاذوا بالجبال فراراً من الماسكر وان ١٥ ألفاً من الالمان واحوانهم قضى دليهم وسيقوا الى دولة حيث كان منهم الى سنة ١٩٢٠ يملكون في الارض . فلا حاجة الى ذكر ما حل بالضائات ونزل بالمقام من جراء هذه الحوادث ، فقد مات التبشير ودرست مماله ، وحصل رد فعل استثنائي به قوة الوثنية ، ورفضت رؤوسها دماء الكنيسة الكبرانية الاهلية ، وصاروا ينادون علناً : لا يبد أن نكون تحت سيطرة البيض ولا أن نكون مسيحيين ، اذ هذه افعال البيض قد ظهرت قبيحة ، فاندب الى عقائد آبائنا . وهكذا عادت الوثنية الى سطوتها الاولى . وانفرد بعض تلاميذ البعثات الاوربية بمذابح مزجوا بها بين المذاهب المسيحية والتبشيرية ، وعاد كثير من الزنوج الى تسديد الزوجات ، ولقنت هذه التمرصة الكنيسة الافريقية التي قامتها « افريقية الافريقية » وأخذت تفر الالهالي من المبشرين الاوربيين ، والاهل لا يابها ندد الزوجات . فان هذه الكنيسة الاهلية لم تكن في

الحقيقة ثمة نهضة روحية ، بل هي نتيجة دخول روح الوثنية في الحضارة . فانتمت الكنائس الى ثلاث كل منها تقابل الاخرى . والنهضة الكاثوليكية هذه الغرة يقولوا للزواج البروتستانتين : « أما وقد صرتم من جهة فرنسا الآن فلا نستطيعون أن نكونوا بروستانتاً . »

وبينا الوثنية تهاجم النصرانية من هذه الجهة اذ هاجمها الاسلام من الجهة الاخرى فان سلطان بامون الذي كان من قبل دعا المبشرين من نفسه الى وجهه شطر الاسلام وبني جامعاً ودعا جميع تيمته أن يتخذوا الاسلام ديناً .

ثم ذكر هذا المبشر كيف أن الحكومة الفرنسية اوسلت بمئة لاصلاح هذه احوال ، وما طأوه من المصائب حتى اعادوا النبي كما كان أو قريباً مما كان ، وكيف وحدوا بين الكنائس واقاموا جبهة واحدة بآراء الاسلام من جانب ، والوثنية من جانب آخر . ثم ختم فصله بقوله :

أما موضوع الاسلام فهو من الطول بحيث لا اقدر أن افحصه ، فقد سبق لي أن يتنا كيف أن نجويا Njoya - سلطان البامون ولي وجهه شطر الاسلام ، ولكن اسلامه كان مزرباً بعقائد وثنية وأخرى مسيحية . وقد صنف كتاباً يعان فيه مذهبه وسماه « طريق الحياة » وفي الحقيقة انه قديمي ، لم يعلم الا ليكون القائد المطلق لشعبه . ولولم تكن البيئة الانجيلية قد دخلت في البلاد ، لربما كان الاسلام قد عمها . وقد خلطت بنفسه امه البهية الذين في بامون فوجدتهم مساكين غير متعصبين وهم على جانب من الوداعة ، فظهر لي انه يمكن ان يذرع الانجيل بين هذه الامم التي تغفل فيها الاسلام ، وان نفق تقدمه بل نهاجه رأساً في اماكنه فيزوم أن يفيد الى الكنائس الالهية الصيغة التبشيرية ، ونجمها دائماً تحت سيطرة رسالات الدعاية ، ولا تنفك عن الدعوة ، ونذكر كنائس سواحل الكامرون بأن الاسلام الذي اخني على جميع كنائس شمالي افريقية ، يمكنه أن يخفي عليها هي ان لم تتدارك هذا الخطر طاعلاً . انتهى .

وقد اطلعت على كتاب عن المستعمرات الألمانية للاستاذ رودباخ Rohrbach الألماني ذكر فيه بلاد الآداموا من شمالي الكامرون قال : « ان هذه البلاد هي مركبة من القسم الذي كان يخص الألمانية من قبل ، وأضيف اليه القسم الذي تحتلته عند فرنسا لألمانية بموجب اتفاق ١٩١١ . فالآداموا من الجنوب تتصل بالقسم الاعلى من الكامرون ، وتشتمل على احوال بلاد قنو مع الواحي التي بين قنو واراخي لونغو ، التي هي حدود الألمان من جهة الاملاك الفرنسية المتاخمة لبحيرة تشاد . قال ، وفي هذه الجهات أقوام وطائون كثيرون لهم سلاطين من أنفسهم ، ويقال للسلطان عندهم لاميدوس Lamidus ، والاهالي منذ عهد طويل هنا هم تحت نفوذ التبليغ الرباني ، واكثرهم مسلمون . وبوجد مدن مهمة مثل غارو Garu ، ومارو Mawru ، الى الشمال من قنو . وأعظم امارات بلاد القلايين أي المسلمين هي رايبويه Raibau ، ثم من الآداموا المقطعة من الاملاك الفرنسية بموجب اتفاق سنة ١٩١١ مدينة ليرة Lere ، وبيدر Binder ، وعلى الحدود الألمانية من جهة لونغو مدينة كوسري Kossori ، وفي الشمال على بحيرة تشاد بلدة المونغو Mongo . قال : والاهالي في الآداموا همسنو القيام على الزراعة ، وعندهم مواسم حبوب عظيمة ، ويستخرجون زيت الزيتون والسمن



والقطان بكثرة ، وعتدهم صناعة النسيج مشرقية ، وهم يفتنون بها ويكتسبون منها ، ولا شك أن تلامذتهم مسئلاً عظيماً من جهة زراعة النطن .

ثم ذكر بلاد الطوغو من مستعمرات الثانية في غط الاستواء ، وقال أن الإسلام فيها هو في تقدم مستمر ، ونشر صورة مسجد إسلامي في مدينة ساوانه مانغو Sausane Mango في شمالي الطوغو .

وقد ورد في كتاب يسمى « المملكة الاستعمارية الألمانية » كلام طويل ، على مساعي الكامرون وأواسط أفريقيا لألمن منه ما يأتي :

« أنه في القرون الوسطى ، كانوا في شمالي أفريقيا يعتقدون بوجود شعوب ونجبة سمراء في بلاد النوارق الدنيا والنيبي من جهة وادي دراعة وقران ، ويظن الرحالة الألماني الخفيف Nachteil ، أن هؤلاء هم الذين يقال لهم Karamant قرامانت ، وكان قد ذكرهم هيرودوتس المؤرخ . ولما فتح العرب شمالي أفريقيا جاءهم من البربر وأجفروا الغويبر Ghibe الذين هم من أطراف أمة الحارسة الحاضرين إلى السودان فاستبدوا هناك وأسسوا الإمارات السبع التي يروون أنها كانت قديمة ، فلما الإمارات الخارجة منها فيظن أنها ممالك للأمم التي غلب الحارسة عليها ورجع كرن مملكة كانت أقدم من تلك الحارسة . وفي القرن الثاني عشر للمسيح ، جاء الإسلام ودخل بقوة عظيمة ، وانتشر في جنوبي بحيرة تشاد وفي غربيها ، وبعد حروب عديدة مع أمة تسمى الأيزو Ezo ، انتهى الأمر بشباب الإسلام . وفي القرن الرابع عشر والخامس عشر استولى الولالا Balala ، الذين هم من أصل عربي سوداني مخطط على السكان . وزارهم اليوم يسكنون في الجنوب الشرقي من بحيرة تشاد ، وقد تمكنوا من يورنو إلى الغرب من البحيرة ، وبالإضافة هؤلاء مع الأيزو المار ذكرهم تولد الجبل المسمى بالسكانوري Kanuri . ثم عظمت سلطة يورنو في القرن السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر إلى أن سقطت حديثاً ( على أيدي المستعمرين الأوروبيين ) . وقد حقق المؤرخ دسبلاغوس Desplages أنه في سنة ١٢٠٠ ، جاء شعب من أصل بربري ، وأجلب بحيلة على شرقي السودان ، وكان اسمه السوسو ، وكان شعارهم على أسلحتهم الأفي . ويظن أنهم أنفس الهيكوس خرجوا من وادي النيل إلى شرقي السودان ثم هؤلاء السوسو يحتمل أن يكونوا هم أنفس الأيزو الذين في سنة أربع سنوات قتلوا أربعة من ملوك يورنو ، والحال أن بارت واختبأه لظنان وقوع هذا الحادث في القرن الرابع عشر . وعلى كل حال فإن عدداً من القبائل العربية جاءوا من شرقي السودان ، وانتجروا البلاد الواقعة جنوبي بحيرة تشاد ، واستقروا في دارفور ووادي وختاطوا بأهلياً ، وهم أصحاب البلاد لهذا العهد . ثم جاء شعب آخر من الغرب من بلاد السينغال ، وهو الشعب الذي يقال له اللوليه واشتهر باسم اللالان ، ثم هؤلاء أسسوا بلاد الكامرون ، ويظن بارت أن أصلهم من جنوبي مراکش ، ويقول دسبلاغوس أنهم بدو من القبائل الرحل في الصحراء ، فبعض عدة قرون جاء هؤلاء من السينغال وأوطنوا بلاد تشاري وطاة لمواشيهم .

وسنة ١٨٠٦ حصل انقلاب في مملكة سوكوتو ، أسسه حركة زعيم ديني اسمه الشيخ عثمان يودبو ، وظهر من التولية هؤلاء تنصب شيوخ في الإسلام ، وناسبت حكومة أمراء

ممنعة من التيجر الى البلاد المالية ، الى جنوبي بلاد الاداموا . وصارت سكوتو هي العاصمة وصارت تحت حكم سكوتو عدة ممالك ، من جناتها الاداموا التي كانت عاصمتها يولا Jola . وكان من توابعها مدينتا تيباني Tibani وناغومندره Nagamndere ، وخضع لملك الاسلام جانب من الوثنيين . وجرت حروب كثيرة بين أمة النولبة وملكها يورنو ، فخر بعض وقائما الرحالة الانجليزي منهم Denham ، وثبت أعالي مدينتي لره Lore ، ولاما lama الوثنيون أمام النولبة ، ولكن النولبة استوفوا على ناغومندره ، وبانقو ، والاتحاد الجنوبية . ولما سقطت الحكومة المصرية مدة في السودان الشرقي ظهر الاسود المسمى رايح ، ونجح دارفور ، ودار بنده ، ودار بونقه ، وملكها الباسقري ويورنو وبلاد بحيرة تشاد ، وأسس سلطنة عظيمة . ( وسيأتي خبر رايح ) .

وجاء في كتاب ( الملكة الاستعمارية الألمانية ) بمناسبة ذكر السكاهرون ، انه يوجد الآن في جنوبي بحيرة تشاد ، مائة ألف عربي يقبل لهم شوا Selma ، جاءوا من أوائل أعصر الاسلام وقد حافظوا على دينهم طاهرة نقية الى يومنا هذا ، حال كون قبائل عربية أخرى ، جاءت الى ادناموا واندمجت في الاهالي ، ففقدت انتها . على انه مما لا ينكر ، ان لغة العربية تمثل دوراً مهماً في جميع العالم السوداني الاسلامي ، لكونها لغة مكتوبة ، وهي لغة القرآن .





## السودان

نقل عن المسيو موريس ماك Maurice Wahl معلم التاريخ والجغرافيا في مدرسة كوندورس Condorcet ومفتش المعارف في المستعمرات الفرنسية ، تحت عنوان كلمة « السودان » الفصل الآتي ، ملخصاً :

« بلاد من افريقية تمتد من الصحراء شمالاً الى خط الاستواء جنوباً ، ( البحيرات الكبرى والكوتو ) ومن الاقواس الاطلسية غرباً الى الحاشية والبحر الاحمر شرقاً ، وهو السودان المطاني في الغرب والوسط ، والسودان المصري في الشرق . فالسودان المطاني اذ دخل فيه ساحل الاطلس من السنغال وغينيا البيا ، فساحته ثلاثة ملايين كيلومتر مربع واكثره يفاع من الارض قليل الارتفاع من ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر ، فيه بعض سلاسل من الجبال مثل سلسلة فوتاجالون في الغرب تعلو من ١٣٠٠ الى ١٥٠٠ متر ، وسلسلة نياوري في الجنوب الغربي طولها ١٨٠٠ متر ، وسلاسل جبال الاداموا وسوكوتو في الوسط وهي تعلو ٢٦٠٠ متر ، وجبال دارفور في الشرق ارتفاعها ١٨٣٠ متر . وتهدل الامطار في هذه البلاد من حزيران ( يونيو ) الى اكتوبر ، وهي تفس كما اخذت شمالاً ، وهذه الامطار تملأ الانهار المسماة بالسيفل والغامبية والكارامانس وديوغراندي ومالاكوري ، في الجانب الغربي ، وكافلي اوبانداه وكوموي وفولتا ووجي ، في الجنوب . وأهم الخليج النيجر ، وهناك الشاري والدومادوغو في نواحي بحيرة تشاد . وأما الساحل الاطلسي فهو شواطئ رماية من الرأس الأبيض الى الرأس الاخضر ، وجبال منقطعة مفرقة على البحر من الرأس الاخضر الى جزيرة شرير . والمراسي الجيدة فيه قليلة ، وللناخ وبي . وهواء السودان حار مع برودة صوب الشمال ، ومع رطوبة نحو الجنوب ، والمزاج الكبار لا توجد الا في الجنوب الغربي . وأهم المحاصيل القمح ، والارز ، والقطن ، والبنج ، وهناك من الحيوانات الخيل والبقر والمزى والغنم والجمال ، ومن المعادن الرصاص والفضة والذهب والفضة ، ويمكن تقسيم السودان الى أربع مناطق ، الاولى في الشمال الغربي وهي السنغال والبلاد الواقعة شمالي النيجر ، وأرضها ليست خصبة . والثانية ، بلاد النيجر ونيال كوتو وفوتاجالون ، وهي ذات ارضين مريوة وهواء مقبول . والثالثة ، بلاد الغابات للناخ خط الاستواء وسواحل غينية . والرابعة ، البلاد التي في الوسط سوكوتو والاداموا وغيرها وهي خصبة ممتدة .

أما الاهالي فثمة من ١٥ الى ٢٠ مليوناً ، منهم سود يقال لهم الاولوف Onlofs والسير Sénières واليامبارو Bambara والمانج Mangings والسكر Krou والقاني Fanti والاشانتي Achantis والهاومي التي في الغرب والجنوب . ومنهم الحكوسه والسولغاي والكانوري في الوسط . ومنهم البهل Penhls والتوكولور Touloulours والبربر والنوارق والعرب في الوسط والشمال . والاكثرية الساحقة في هذه البلدان كلها للإسلام ، والديانة الاسلامية تكسب دائماً من اعم النش . وأكثر السودان أصبح الآن مستعمرات لاوربيين ، فالسيفل وغينية الفرنسية والسودان الفرنسي وساحل العاج والهاومي فرنسا . والغامبية وسيراليون وساحل الذهب ولاغوس وأرانيي شركة النيجر

لاكتثرة ، وبين السيفال وغينية الفرنسية لغينية البرتغالية لبرتغال . ولألمانية بلاد توغو على ساحل غينية . وأما الممالك الاعلى المستقلة بعض الاستقلال ، فهي جمهورية ليبيريا ( هذه مستقلة تماماً ) على الساحل الجنوبي الغربي ، ومملكة كونغ ، وأملاك ساموري على النيجر ، ومملكة سوكوتو بين البنيوي والنيجر والاندماوا جنوبي النيجر ، وبورتو الى الغرب والجنوب من بحيرة تشاد ، والكاتم في الشمال الشرقي ، والباقي في الجنوب الشرقي ممدا الى الشرق بواسطة وادي .

وأما السودان الشرقي فهو الواقع شرقي البلاد التي ذكرناها ، يشتمل على جميع وادي النيل من غوندوكورو الى وادي حقا ما خلا الحبشة ، متوسط ارتفاعه عن سطح البحر ٥٠٠ متر ، والنيل يحترقه من الجنوب الى الشمال ، منغصة اليه من الشمال انهر بحر القزالي ، ومن الجنوب السوبات وأنهر الحبشة وبحر الازرق والمطيرة . والاهالي نحو عشرة ملايين نسمة وهم سود في ناحية الجنوب يقال لهم دينكا ويونوس ونوير وشيلوق ، وحرب ويهل في دارفور ، وأما في بلاد النوبة فاجاس مختلفة ، برايرة وبجة ويشاري ينتجون بالعرب . ويقال للناحية الجنوبية الشرقية من السودان المصري بلاد سنار ، والبلاد التي شمالي النيل كردوفان والتي الى الغرب منه دارفور ، والتي في الشمال بلاد النوبة . اه

### سوكوتو

وقال الجنرال المذكور عن مملكة سوكوتو :

« مملكة في السودان بين النيجر الادنى والبنيوي ، مستوية في الشمال ، مخرسة في الجنوب ، يرويهما نهرا سوكوتو وكومادوقو الصادران من بحيرة تشاد ، هوازها تشق في الشمال كثير الرطوبة في الجنوب ، زراعتها الارز والقمح وقصب السكر والقمر ، مساحتها ٤٠٠ ألف كيلو متر ، وعدد الاهالي ١٠ ملايين سود ، من الحامسة والهل والتوكولور والسونفاني . سكانهم مساقون ، الا البليل . أعظم مدتهم كانوا واورنو وسوكوتو وكفي ابدبانتة Kelli-Aides-songa وياقوبا وعومي . وقد كانت تأسست سلطنة سوكوتو على يد عثمان داغ فوديه سنة ١٨٠٢ ، ومدت روافها على جميع الاقطار الواقعة بين تمبكتو وبحيرة تشاد ، فانصلت منها فيما بعد ممالك بورتو والاندماوا وحامو ونوي ، ولكنها لا تزال تحترف بسيادة سلطان سوكوتو الدينية . »

### بورتو

ثم قال عن مملكة بورتو ما يأتي :

« مملكة في السودان الى الجنوب والغرب من بحيرة تشاد ، بين هذه البحيرة والصحراء وسوكوتو والاندماوا والباقي في ، مساحتها ١٥٠ ألف كيلو متر مربع ، وأهلها خمسة ملايين من جنس السكائوري الذين هم منولدون من اختلاط السود والبربر والعرب . والبلاد خصبة تجود فيها زراعة القطن ، وفيها الغنم والبقر والحبل والنحل بكثرة ، وأهلها يتسجون الثياب والسجادات ، وهما صهما كوكا . »



### الباقيرمي

وقال عن مملكة الباقيرمي ما يأتي :

« مملكة من السودان الاوسط الى الجنوب الشرقي من بحيرة تشاد ، يسقيها نهر شاري ، وافتة اليوم ضمن منطقة النفوذ الفرنسي ، وأهلها مليون نسمة ، وعاصمتها ماسينيه Massouya ، ويقع السلطان بلدة بونغومان على الضفة اليسرى من الشاري » .

### السنيغال

وذكر عن بلاد السنيغال : « أنها ١٥٠ ألف كيلو متر مربع » وأن أهلها مليون وثلاثة ألف من الاولوف والديور والبايمبار والمالينكة الخ . وقال ان الفرنسيين دخلوا الى السنيغال في القرن السادس عشر ، ولكنهم لم يبقوا احداً لا يملكون غير سان لويس وأرغين وفوري ، ثم أخذوا يوسعون فتوابعهم شيئاً فشيئاً ، ولم تضر السنيغال مستعمرة حقيقية إلا سنة ١٨٧٨ ومن السنيغال تبسط الفرنسيين في اواسط افريقية » .

### واداي

وقال عند ذكر واداي :

« بلاد في السودان الاوسط بين دارفور من الشرق ، والبرقوات من الشمال ، والسكانم والباقيرمي من الغرب ، والكوتفو افرنساوي من الجنوب ، مساحتها ٤٥٠ ألف كيلومتر مربع ، وأهلها مليونان ونصف مليون سودانيون مختلطون برب ، كلهم مسلمون والطريقة السنوسية سائدة هناك ، وأرض واداي خصبة في اوسط والجانب الشرقي منها » .

### كانم

وذكر عن كانم أنها الى الشمال الشرقي من بحيرة تشاد ، وأن أهلها عرب ونيبو ، وعددهم مائة ألف وهي اليوم تابعة وادي . ا .

والفاضل الاديب الشيخ محمد بن عمر التونسي « رحلة الى دارفور وواداي مترجمة الى اللغة الفرنسية ، بقلم الدكتور برون Perroux مدير المدرسة الطبية في مصر أيام محمد علي وأحد أعضاء الجمعية الآسيوية » وقد تضمنت هذه الرحلة فوائد عظيمة عن تاريخ دارفور وواداي والباقيرمي وما جاورها ، وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية وعروبها الداخلية ، تأثر منها ثلثة عمال بشاق يسكن واداي ، الذين بينهم قبائل كثيرة من العرب ، وقد اضطررنا لنقل ذلك من الترجمة الفرنسية لعدم وصول يدنا الى الاصل العربي ، قال في الصفحة ٢٤٥ : « ان سكان دار صابح ( اسم واداي ) هم المصاليات والمبنة والدايو والكاشمرة والقرهان والكوتو والجنادرة والبرقيد ، وكل من هذه الشعوب يسكن في ناحية ، فالمصاليات يسكنون في دار الصباح أي بلاد الشرق وهم لسياء لمصاليات دارفور ، وعددهم كثير سواء في دارفور أو في واداي ، وهم مرايع القادات شديداً السمرة ، وأكثر بلادهم سهول ،

وأما أهل واداي الاصليون فيسكنون في وسط البلاد ، ومنهم ينتخب وزراء السلطان وأجناده ، وبلادهم جالية وأعظمها جبل آتوسون ، وهم يزعمون أنهم أصل أهل واداي وأن سائر أقوام واداي منتسبة منهم ، وهم طرزال القمامات أشداء كالعمالقة . وأما الكشامرة ، فيسكنون على مسافة أربعة أيام من « واره » عاصمة واداي ، في واد لطيف تجري فيه المياه وتنتهي أراضيهم ، وهم كثيرون العدد ، وقراهم معمورة جداً ، وإذا قرع طبل الحرب خرج من أصغر قراهم ٥٠٠ رجل شاكلي السلاح ، وهم إذا اجتمعوا يشكون وحدهم جيشاً عظيماً مع أنهم أطوع من غيرهم للسلطان ، وعندهم وداعة بدون ضمة ، ولونهم بين الأبيض والأسود ، ولغتهم تختلف عن سائر لغات أهل واداي . وأما الكوكا قائم كثير العدد ، وسائرهم موصوفة بالجمال يضاهين أهل النساء الحبشيات ، وهم طوال ، ورشيقة النود ، أقوياء ، مقتولوا السواعد ، وقراهم معمورة وأراضيهم مروية ، والسلاحين تزوج منهم لجمال نسائهم .

وأما القرطان فانهم في شمالي واداي ، ونسائهم أيضا موصوفات بالجمال ، وعندهم كثير من المواني ( ذكر لي الأستاذ السنوسي الكبير سيدي احمد الشريف أن بلاد القرطان هؤلاء تنفذ الى أطراف الصحراء ، والى الواح التي هي بلاد السنوسية جنوبي الكفرة ) . وأما الجادر فانهم في جنوبي دار صالح حيران للكوكا ، ولكنهم غلاظ الطباع قريبون للنوحش . ويجاورهم الميمة وهؤلاء في الجنوب . والجناكرة هم عبيد السلطان ، وعددهم وافر وساكنتهم الى الجنوب الشرقي من واداي . والبيرقيد هم شرار أهل واداي ، ليس عندهم عهد ولا صدق ، يقطعون الطرق وينهبون السابلة ، تصار القمامات ، وهم سقاط في نظر أهل واداي . وحول واداي تسكن قبائل عربية صريحة ، فمن الشرق ، الزبيدية وعرب البحر والبرقيات ، ثلاث قبائل غنية قوية . وقد سقى لي الفقيه موسى زعيم الزبيدية أخو بدر الدين الامام الذي يصلي بالساعات صابون صاحب واداي ان الزبيدية هم من زبيد في اليمن أصلهم من حمير . أما البرقيات ، فقال لي الفقيه محمد أحمدهم وهو ترجان السائق ان أصلهم من الرائق ، من سلالة لحم وجندام . وأما عرب البحر فانهم كثير العدد ، ينقسمون الى عدة بطون وبلي أمرهم زعيم واحد . والى الشمال من واداي الحاميد وهم بطون وأفظاظ عديدة ، وعندهم أموال لا تحصى من الابل والحيل وغيرها ، وفي الجنوب يوجد عرب السيرة والفلان ، وهم كثيرون جداً . انتهى بتصرف .

وجاء ذكر العرب في محل آخر من هذه الرحلة في صفحة ٢٦ : « ان قبائل الكوكا والكودكو والبيقو والداجو والماوييه والبيرقيد والحيمات والبنداله والبرقي في الجنوب والغرب والبرقي والميمة والغيمير والمسجة والنادافو والبلاله والحيللات في الشمال ، والصاليت في الشمال ، وغيرهم ، كل قبيلة منها لها ملك والقبائل العربية التي كلها تسكن أرض واداي أو بعضها مثل السلامة والجماعة وبني راشد ، عليهم أيضا مشايخ ، وكلهم تحت نظر ولاية السلطان ، كل زعيم أو ملك تابع لوكيل السلطان الذي يليه » . اهـ .

وكنيت سمعت ان سلاطين واداي ينسبون الى بني النباس ، وأخبرني سيدي احمد الشريف السنوسي أن هذا هو المشهور عند أهل السودان ، وأن أهل واداي لا يدهون على منابرهم



الاسلطانهم ولا يعرفون خليفة ولا اماماً غيره . فلما كنت أطالع رجلة الشيخ محمد بن عمر التومني وجدته يشير الى انساب سلاطين دارفور وكردوفان واداي ، فقال ما لي يا اخي . « عند ما جئت الى واداي وكنت اصلي الجمعة كنت اسمع الخطيب يدعو دائماً بنصر السلطان محمد عبد الكريم ابن السلطان محمد صالح بن السلطان محمد جوده ابن السلطان صايح ، فخطرت لي أن أسأل شيوخ البلاد عن نسب السلطان صايح ومحمد ، فكانت الاجوبة مختلفة ، فبعضهم قال لي انه سناوي أي من أهل واداي الاصليين سكان جبل آيوسنون . ثم لحظت ان ختم السلطان مكتوبة عليه هذه الكلمات « السلطان محمد عبد الكريم ابن السلطان صالح اليباني » فسألت عن كيفية اتصال نسبه ببني العباس ، فبعضهم ذهب الى انها نسبة غير حقيقية ، وآخرون وثقوا هذه النسبة ، فسألت العتيق احمد من أكابر رجال الدولة وكان متوقفاً الفهم واسع المعرفة ، فقال انه عند استيلاء التتار على بغداد انهمز العباسيون الى مصر ، ولما غلبت دولة المماليك على مصر تفرقوا أيضاً في الاطراف ، فذهب منهم واحد الى الحجاز وولد له ولد سماه صالحاً ، فلما كبر صالح صادف في مكة حجاجاً من سائر وكان يقيمها مالاً حكماً ورعاً ، مواظباً على القروض الدينية ، يحبه العلماء والعلماء ، فاحب السانديون ورغبوه في زيارة بلدهم ، فجاء الى سائر ، فرأى فيها من التقى والفجور ما اشدأرت منه نفسه فترطل المقام عندهم ، وما زال يضرب في البلاد حتى وصل الى جبل آيوسنون في واداي . وكان أهل هذا الجبل وثنيين ، فأسلموا على يده لما رأوا من دينه وصلاته وارادته ، وأقاموه رئيساً عليهم وكانوا في كثرة عظيمة ففرض الزكاة على الأغنياء لاعانة الفقراء . ثم دعا الى الجهاد في المشركين ، فأطاعه الذين شرح الله صدورهم للإسلام وقروا الكفار . الا ان صالحاً قدم بين يدي السيف الدعوة بالقطف ، فأجابه الى الاسلام أربع قبائل كبيرة ، قبيلة آيوسنون ثم المالاتقة والماداب والمادله ، وهم أصل مملكة واداي . ولا يمكن أن يكون سلطان الا اذا كانت امة من احدى هذه القبائل . ثم بلهم قبيلة آيودارغ ، ولا تساوي اولئك في الشرف لأن اسلامها وقع متأخراً . ثم شرع صالح في الجهاد وأخذ الناس يستولون في دين الله أفواجا ، فلما انسح نطاق الاسلام في تلك البلاد ، بويع صالح سلطاناً وصار الملك في أعقابهم .

قال : وسعت من جهة أخرى من الشريف صايح ان ملوك واداي ودارفور وكردوفان ، كانوا ثلاثة أخوة من فزاره . وذكر تفاصيل هذه الرواية ولكنه قال : انه لا يوجد دليل من خط أو من تلويع مكتوب على شيء من هذه الروايات ، وكلها مسدوعات واختبار شقوية غير موثوقة . ولكن قال ان الذي اشتهر من سجال السلطان صايح أشبه بمناب الرشيدي والمأمون ، في العقل والحزم والكرم وشدة اليأس . وعلى كل حال فسواء صحت هذه الرواية أو لم تصح ، فان عهد تأسيس هذه الممالك الثلاث ، واداي ودارفور وكردوفان ليس بقديم ولا يزيد على مائتي سنة . انتهى

أقول ان صح كون أهل واداي لم يدينوا بالاسلام الا منذ مائتي سنة كما يذهب اليه الفاضل الشريف الشيخ محمد بن عمر التومني ، فمن المنزلة ان الاسلام دخل السودان قبل ذلك بكثير . فهذا صاحب صايح الاثنى الذي عاش قبل هذا العهد بنحو خمسمائة سنة ، يقول من أهل برنو انهم مسالمون ، ويذكر أنه وصل كتاب من ملك البرنو في اواخر الدولة

الظاهرية ( برقوق ) يذكر فيه انه من ذرية سيف بن ذي يزن ، الا انه لم يحقق النسب ، فقد ذكر انه من قرينش وهو غلط منهم فان سيف بن ذي يزن من اعيان تبابعة النين من حمير . قال : وقاعدتهم مدينة « كالة » بكافين بعد كل منهما الف ، فيها ذكر لي رسول ساطانهم ، الواصل الى الديار المصرية صحبة الحجيج في الدولة الظاهرية برقوق .  
واليك ما قال عن السكائن : والسكائن بكاف بعدها الف ثم نون مكسورة ، ويم في الآخر ، وهم مسلمون أيضاً ، والغالب على اقوالهم السواد . قال في « مسالك الابصار » : ولادهم بين افريقية وريقة ، ممتدة في الجنوب الى سمت الغرب الاوسط . ثم نقل عن « مسالك الابصار » ان احوال كاتم و احوال اهلها حسنة وربما كان فيهم من اخذ في التعليم ، ثم قال نقلنا عن « مسالك الابصار » وسلمان هذه البلاد رجل مسلم ، قال في « تقويم البلدان » وهو من ولد سيف بن ذي يزن . وقال في « مسالك الابصار » : « وأول من بث فيهم الاسلام ، الهادي الشامي ، ادعى انه من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه وملكها ثم صارت بعده البرنيين . وذكر في « التعريف » ان ساطان السكائن من بيت قديم في الاسلام ، وقد جاء منهم من ادمى النسب البلوي في بني الحسن . قال في « مسالك الابصار » : وملكهم على حقارة ساطانه وسوء بقية مكانه ، في غاية لا تدرك من الكبرياء يسبح برأيه ، ان السماء مع ضعف اجناد وقلة متحصل بلاد ، لا يراه أحد الا في العيدين بكرة وعند العصر ، أما في سائر أيام السنة ، فلا يكمه أحد ولو كان أميراً ، الا من وراء حجاب . قال : والعدل قائم في بلادهم ، ويتذهبون بمذهب الامام مالك رضي الله عنه ، وهم ذوو اختصار في اللباس يلبسون في الدين ، ومكرهم يتشون ، وقد بنوا مدرسة لجامعة الكية بالمسقط ينزل بها وفودهم » . اه . ثلث من كان العدل به قائماً فلا يمد ملكه حقيراً .

### مملكة مالي

تم ذكر في صبح الاعشى مملكة مالي في السودان قال : « ومالي ينتج الميم وأنف بعدها لام مشددة مفتحة وباء مشنة تحت في الآخر وهي المعروفة عند النامة ببلاد الشكروور ، قال في « مسالك الابصار » وهذه المملكة في جنوبي الغرب متصلة بالبحر المحيط . قال في « التعريف » وحدها في الغرب البحر المحيط ( أي الاوقيانوس الاطلانتيكي ) والظاهر ان بلاد مالي هي السنيغال ومضافاتها ، فقد مر بك أن الاوربيين يذكرون من اعظم شعوب السنيغال المالبينكة ، وينها رابين كلمة مالي من المشابهة لا ينفق ) ، وفي الشرق بلاد البرنو ، وفي الشمال جبل البربر ، وفي الجنوب الهنج » ونقل عن الشيخ سعيد الدكالي : « انها تقع في جنوب مراکش ودواخل بر العدة ، جنوباً يفرق الى البحر المحيط . قال : وهذه المملكة هي اعظم ممالك السودان السائين » : وذكر صاحب « البر » انها تشمل على خمسة اقليم كل اقليم منها مملكة بذاتها . الاقليم الأول اقليم مالي ، وتقع بين انباه صوصو والنيام كوكو . صوصو من غربيه وكوكو من شرقيه . ثم ذكر اقليم صوصو ( تقدم ذكر امة السوسو نقلاً عن بعض مؤرخي الافرنجة وذهب بعضهم الى انهم من الهكسوس ، وقال ربما ابتدوا الصاد سيناء مهمة ) ثم ذكر اقليم غانة ( هي التي تدول للافرنجة غينية ) فقال : « يفتح النين المعجمة



ثم نون مثنوعة وهاء في الآخر وهي غربي اقليم صوصو المقدم ذكره ، تجاور البحر المحيط الغربي . قال : وقد حكى ابن سعيد : « ان لغاتة نيلاً شقيق نيل مصر ( هو النيجر ) ، يصب في البحر المحيط الغربي عند طول عشر درج ونصف و عرض أربع عشرة ، وأهلها تسمي التجار المغاربة من سجلاسة في بر مقفر ومقارز عظيمة في جنوب الغرب نحو خمسين يوماً ، فيكون بين غانة وبين مصبه نحو أربع درج ، وهي مبنية على ضفتي نيلها هذا . قال في البحر : « وكان أهلها قد أسلموا في أول الفتح الإسلامي ، وقد ذكر في « تقويم البلدان » أنها مدينتان على ضفتي نيلها أحدهما ، يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار » .

ثم ذكر إقليم كوكو وقال ان ملكها قائم بنفسه ، له حشم وأجناد وقواد وزي قائل . قال : وقاعدته مدينة كوكو بفتح الكاف وسكون الواو وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها ، وموقعها في الجنوب من الإقليم الأول . قال ابن سعيد حيث الطول أربع وأربعون درجة وال عرض عشر درج قال : وهي مقر صاحب تلك البلاد ، قال : وهو قافريقاتل من غربية من مسلمي غانة ومن شرقه من مسلمي الكانم . وذكر المهدي في الغريزي أنهم مسلمون وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهر ونصف .

وذكر بلاد التكرور وهي الإقليم الخامس . قال في « الروض المطار » وهي مدينة على النيل على الغرب من صفاته . قال : « وبينها وبين سجلاسة من بلاد المغرب أربعون يوماً سير القوافل . وأقرب البلاد إليها من بلاد لغتونة بالصحراء ( آسقي ) بينهما خمس وعشرون مرحلة . قال في « مسالك الأبحار » ان هذه الممالك تشمل على أربعة عشر إقليماً وهي : غانة وزافون ورنكا وتكرور وسنغانه ولبانغو وزونغانا وبيبرا ودمورا وزافا وكابرا وبراغودي وكوكو وماني . قال : وفي شمالي بلاد ماني قبائل من البربر ينض تحت حكم سلطانها وهم : بنصر وبنبراس ومدوسة ولتونة . وبعد شروح طويلة ذكر ما قاله صاحب « البحر » وهو : ان هذه الممالك كانت بيد ملوك متفرقة ، وكان من أعظمها مملكة غانة ، فلما أسلم المسلمون من البربر تساطروا عليهم بالغزو ، حتى مات كثير منهم بالإسلام ، وأعطى الجزية آخرون . وضمف بذلك ملك غانة وأضجع ، فتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم وملكوا غانة من أيدي أهلها . وكان ملوك ماني قد دخلوا في الإسلام من زمن قديم . قال : ويقال ان أول من أسلم منهم ملك اسمه « بومنداته » ثم حج بعد إسلامه ، فأقننى سقته في الحج ملوكهم من بعده . ثم جاء منهم ملك اسمه « ماري جافه » ومعنى ماري الأمير الذي يكون من نسل الساطان ، ومعنى جافه الأسد ، فتوي ملكه وغلب على صوصو وانزع ما كان بأيديهم من ملكهم القديم ، وملك غانة التي يابيه إلى البحر المحيط ، ثم ملك بعده ابنه « مناولي » ومعنى مناولي بالفتح الساطان ، ومعنى ولي علي . وكان من أعظم ملوكهم . وحج أيام الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر . ثم ملك بعده أخوه « والي » ثم ملك بعده أخوه « خليفة » وكان أحق ، فوثب عليه أهل مملكته وقتلوه . ثم ولي عليهم سبط من أسباط ماري جافه المقدم ذكره ، اسمه أبو بكر . ثم تغلب على الملك مولي من مواليتهم اسمه « ساكبوره » ويقال « سيكره » فاقسم نطاق مملكته وغلب على البلاد المجاورة له ، وفتح بلاد كوكو واستضافها إلى مملكته ، واتصل ملكه من البحر المحيط الغربي إلى بلاد التكرور ،

وحج أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ورجع فقتل في أثر عوده .

وملك بعده « قو » بن السلطان ماري جافه . ثم ملك بعده محمد بن قو . ثم انتقل الملك من ولد ماري جافه الى ولد أخيه أبي بكر ، فولي منهم « منسى موسى » بن أبي بكر قال في « المعبر » وكان رجلا صالحا وملكاً عظيماً ، له أخبار في العدل تؤثر عنه وعظمت المملكة في أيامه الى الغاية ، وانتفع الكثير من البلاد . قال في « ممالك الابصار » حكى ابن أمير حاجب والي مصر عنه ، انه فتح بسيفه أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال ونرى وضباع . قال في « ممالك الابصار » قال ابن أمير حاجب : سألته عن سبب انتقال الملك اليه فقال : « ان الذي كان قبلي كان يظن ان البحر المحيط له غاية تترك فيه جزيرتين سفن وشعبها بالرجال والازواد التي تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ان لا يرجعوا حتى يشعروا نهاية أو تنفذ أزوادهم ، فقاموا مدة طويلة ثم عاث منهم سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم . فقال : سارت السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جربة عظيمة ، فالتصق تلك المراكب وكنت آخر النوم فرجعت بسفينة ، فلم يصدقه ، فجزر التي سفينة الف الرجال والفا للازواد ، واستغلطني وسار بنفسه ليملم حقيقة ذلك . فكان آخر العهد به وبمن معه » .

قلت : ان صحت هذه الرواية ولا يوجد دليل على كذبها ، فيكون السامعون قد حاولوا اكتشاف النارة الجديدة مرتين ، أولاًها ، عندما أبحر الاخوة المغرورون من اثبونة عاصمة البرتغال موغلين في بحر الاطلانتك ، والثانية ، على يد هذا الملك الذي حاول هذا الامر مرتين وذهب في سبيله شهيداً .

قال في « المعبر » وكان حج الملك منسى موسى سنة أربع وعشرين وسبعمائة في الايام الناصرية ( محمد بن قلاوون ) .

قال في « ممالك الابصار » قال لي المهندار خرجت للفتاة من جربة السلطان ، فأكرموني اكراماً عظيماً وعادني باجل الآداب ، ولكنه كان لا يتحدثني الا بترجمان ، مع اجادته اللسان العربي . قال : ولما قدم ، قدم للجزالة السلطانية حلاً من القبر ، ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة ساداتية الا وبت اليه بالذهب ، وكنت تشاره في طلوع النامة للاجتماع بالسلطان حسب الاوامر السلطانية . فبأني خشية تفصيل الارض السلطان ويقول : « حيث الحج لا لغيره » . ولم أزل بعرجتي واتي على ذلك . فلما صار الى الحفرة السدانية قيل له : قبل الارض ، فتوقف وأبى ابله ظاهراً . وقال : « كيف يجوز هذا » فاسر اليه رجل كان الى جانبه كلاماً . فقال : « أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد » وتقدم الى السلطان . فقام له بعض القيام وأجلسه الى جانبه وتحدثا طويلاً . ثم قام السلطان موسى ، فبعث اليه السلطان بالخام الكاملة له ولاصحابه ( واغاض في وصف الخلع ) ولما آن أوان الخلع بعث اليه بمبلغ كبير من الدراهم ، وبعين حذابة قلعة الاكوار والعدة لركبه ، وبعين اثني عشر لاصحابه وازواد جة ، وركز له العابق في الطرق ، وأمر أمير الركب باكرامه واسترامه . ولما عاد بعث الى السلطان من هدية الحجاز تبرعاً ، فبعث اليه بالخلع الكاملة له ولاصحابه . وذكر عن ابن أمير حاجب والي مصر انه كان معه مائة رجل ذهبوا انفسها في سفره ، تلك على من بطريقه الى مصر من القبائل ، ثم مصر ، ثم من مصر



الى الحجاز توجهم وعوداً حتى احتاج الى القرش ، فاحضروا على ذمته من تجار مصر بما لهم عليه فيه المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لاحدهم في كل ثمانية دينار سبعة مائة دينار ربحاً ، وبعث اليهم بذلك بعد توجهه الى بلاده . قال في « الدرر » ودام ملكه خساً وعشرين سنة ومات ذلك بعده ابنه « منساخا » ومعنى منساخ من يذوق السلطان عمداً ، ومات لاربع سنين من ولايته . وملك بعده اخوه « منساخا بن أبي بكر » . قال في « مسالك الابصار » واجتمع له ما كان اخوه اقتضه من بلاد السودان واثامه الى يد الاسلام ، وبنى به المساجد والجامع والمنارات ، واقام به الجمع والجماعات والاذان ، وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك رضي الله عنه ، وتنفذ في الدين . قال في « الدرر » : ودام ملكه أربعاً وعشرين سنة ، ثم مات وولي بعده ابنه « فبتا بن سليمان » ومات تسعة أشهر من ملكه . وملك بعده « ماري جافه » بن منساخا بن منسى ، فاقام أربع عشرة سنة أساء فيها السيرة ، واقتصد ملكهم ، وأتلف ذخائرهم بسرفه وتبذيره ، حتى انتهى به الحال في السرف ، انه كان يخرأتهم حجر ذهب زينة حشرون قطاراً متفولاً من المدن من غير سبك ولا علاج بالنار وكانوا يروونه من أنفس ذخائرهم لتدور وجرد مثله في المدن ، فبانه على تجار مصر القرددين اليه بأجنس من وصرف ذلك كله في الترف ، وكان آخر أمره أن أصابته حلة النوم وهو مرض كثيراً ما يصيب أهل تلك البلاد ، لاسيما الرضاء منهم ، يأخذ أحدهم النوم حتى لا يكاد يبقى ، فاقام به سنتين حتى مات سنة خمس وسبعين وسبعمائة .

وملك بعده ابنه موسى ، فنكب عن طريق أبيه وأقبل على العدل وحسن السيرة . ونظب على دولته وزبره « ماري جافه » شجره وقام بتدبير الدولة ، وكان له فيها أحسن تدبير . وبنى « منساخا موسى » حتى مات سنة تسع وثمانين وسبعمائة . وملك بعده اخوه « منساخا منسا » وقتل بعده بسنة أو نحوها . وملك بعده « صندكي » زوج أم موسى المقدم ذكره ومعنى صندكي الوزير ووتب عليه بعد أشهر رجل من بيت ماري جافه . ثم خرج من ورانهم من بلاد الكفرة رجل اسمه عمرد ، ينسب الى « منساخا بن منساخا ولي بن ماري جافه » ولقبه منساخا معاً ، ونظب على الملك في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة قال في « التمرين » وصاحب التكرور هذا يدعى نسباً الى عبد الله بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجوههم . قلت : هو صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجوني ابن عبد الله بن حسن المني بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد ذكر في تنويم الوردان ان سلطان غانة يدعى القسب الى الحسن بن علي عليهما السلام ، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة ، لأن من جلة من في طاعته ، غانة . اهـ . بعض تصرف .

فأنت ترى ما للاسلام في تلك الديار من الزخم ورسوخ القدم . وجاء في « الاستغناء لأخبار دول المغرب الأقصى » تحت عنوان « تأخيس القول في سودان المغرب والاشارة الى ممالكهم ودولهم من لدن الفتح الاسلامي الى هذا التاريخ » ما يأتي :

« اعلم أن هؤلاء السودان هم من نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق النسابين والمؤرخين ، ويحاور البربر بأرض المغرب منهم أمم كثيرة من أعظمها أهل مملكة غانة ، وهم

اتصلون بالبحر المحيط من جهة الغرب على مصب النيل السوداني فيه . وتصل بهم من جهة الشرق أمة أخرى تعرف بصوصو بصادين أو سدين مهمذين مضومتين ، ثم بعدها أمة أخرى يقال لها مالي ، ثم بعدها أمة أخرى تسمى كوكو ويقال كانوا ثم بعدها أمة أخرى تعرف بتكرور ويقال لها أيضا سفاي ( مر بك ذكر السودان في ما نقلناه من كتب الاوربيين ) ثم بعدها أمة أخرى تدعى كاتم ، وهم أهل مملكة بنو الجاورة لافريقية من جهة قبيلتها ثم بعدها أرض النوبة الجاورة لبلاد مصر . فأما أهل غانة فقد كانوا في صدر الاسلام من أعظم أمم السودان ، أسلموا قديما وكان لهم ملك ضخم ، وكانت حاضرة ملكهم هي غانة ، وهي مدينتان على ضفتي النيل السوداني من أعظم مدين العالم وأكثرها عمرا ، ذكرها صاحب نزعة المشتاق ( الشريف الادريسي ) وصاحب المسالك والممالك وغيرهما . وقال الفقيه الاديب أبو القاسم أحمد بن عبد المؤمن النيسابوري في شرح القامات الحربية ما نصه : غانة بلد من بلاد السودان واليهما ينتمي التجار بيني من المغرب ، والمدخل اليها من سجلماسة ومن سجلماسة اليها ذهابا مسيرة ثلاثة أشهر ، ومن غانة الى سجلماسة اياما مسيرة شهر ونصف ، وسبب ذلك ان الرماح تنجز اليها من سجلماسة بالامسة والانتقال فتياع في غانة بالبر ، فمن سامريها بثلاثين جلا يجمع منها ثلاثة احوال أو بحملية واحدة ركوبه ، وذلك الماء بسبب المغارة التي في طريقها الخ . الى ان قال : والامم فيها قد جعل الله قبهن من الحاصلات السكرية في خلقهن وحائهن فوق المراد ، من مملكة الابدان وتماق السواد وحسن العيون واعتدال الانوف وياض الاسنان وطيب الروائح . اهـ . وقال ابن خلدون كان في غانة بها يقال ملك ودولة اوم من الملوك ، يعرفون باني صالح ، قال صاحب الاستبصار الشيخ احمد الناصري الملاوي : ثم ان أهل غانة ضمت ملكهم وثلاثي افرهم في المائة الخامسة ، واستعمل امر الملقين الجاورين لهم من جهة الشمال مما يلي قهر ، وزحف اليهم الامير أبو بكر بن عمر القموني فتح المغرب ومن خلف يوسف بن تاشفين عليه ، فلما دجع الامير أبو بكر الى الصحراء فزا بلاد السودان وفتح منها مسيرة ثلاثة أشهر ، واقتضى منهم الاغنائ ، وحمل الكثير منهم من لم يكن أسلم قبل ذلك على الاسلام ، فدانوا به . ثم اضطلع ملك أهل غانة بالسكينة ، ونصب عليهم أهل مملكة صوصو الجاورين لهم ثم ان أهل مالي كثروا لهم السودان في توابعهم تلك واستطاعوا على الامم الجاورين لهم ففتلوا على صوصو ، وملكوا ما كان بأيديهم وبأيدي أهل غانة ، ثم المنتحوا بلاد كوكو وأضافوها الى ملكهم ، وصارت دولة مالي متحدة فيما بين غانا في الغرب وأرض التكرور في الشرق ، واعتز ساداتهم وعاجتهم أمم السودان ، ومن بعده الدولة كان السلطان منسا موسى بن أبي بكر وأخوه منسا سليمان اللذان كان بينهما وبين السلطان أبي الحسن المريني ( صاحب المغرب ) من الجهاد والرواثة ما تقدم ذكره ، ومنسى موسى هو الذي حج ومرت بمصر في أيام الناصر ابن فلاون حسبا تنعم ) وكان مع السلطان منسا موسى المذكور ، الاديب الشاعر أبو اسحاق الطنجي الاندلسي الذي بنى له النية المرينة ، العجيبة الصنعة ، البديعة النش والتخريم ، التي تبارزه عليها باني عصره الف مفضل من التبر ، وغير ذلك مما مر في أخبار الدولة المرينية . وكان منها أيضا السلطان ماري زاعة ( ولي صبح الاعشى بنول ماري جازله ) ، الذي هادى السلطان



أبا سالم الربيعي وأغرب عليه بالزرافة حصيا تقدم ، قالوا وكان هذا السلطان مسرعا فبدوا بحث  
أفند ملكهم وأكلف فغيرتهم ( ونقل الحسكايات التي نقلها من صبح الاعشى ) ، ثم مات  
بمرض اليوم . ثم توارث بنوه الملك من بعده ، فسكنوا في تراجيع وانتقلوا إلى ال انقراض  
أمرهم شأن غيرهم من الدول ، وظهرت دولة آل سكية من أهل مملكة كوكو ، وذلك لغزو .  
قال الامام التكروري في كتابه : نصيحة أهل السودان : : ان آل سكية أصلهم من صنهاجة  
وملوكوا كثيرا من بلاد السودان ، وأول ملوكهم الحاج محمد سكية ، ضم الدين وسكون الكاف  
بعدها ياء ، فتوحه ثم جاء ثابت . وكان الحاج محمد المذكور وحل في أوامر المائة الخامسة إلى  
مصر والحجاز ، بقصد حج بيت الله الحرام وزيارته فبرأ على الله عليه وسلم ، فلقني بمصر  
الخليفة العباسي ، إذ كان رسم الخلافة العباسية لا يزال قائما بها يومئذ ، حتى محمد السلطان  
سليم العثماني أيام تنالته على مصر سنة ثلاث وعشرين وأسماعلة ، فاجتمع الحاج محمد سكية  
بالخليفة المذكور طلب منه أن يأذن له في إمارة بلاد السودان ، وإن يكون خليفة هناك ،  
فقرض إليه الخليفة العباسي النظر في أمر ذلك الأمر وجهه إليه على من ورثه من المسلمين ،  
فرجع الحاج محمد سكية إلى بلاده وقد بنى أمر رياسته على قواعد الشريعة ، وجري على  
منهاج أهل السنة ، ولقي بمصر أيضا الامام شيخ الاسلام حافظ الجلال الدين السيوطي  
والخذ عنه عقائده ، وشمل منه الحلال والحرام ، وسع عليه جلال من آداب الشريعة وأحكامها  
وانتفع بوصاياه ومواعظه . فرجع إلى السودان ونصر السنة ، وأجى طريق العدل ، وجري  
على منهاج الخليفة العباسي في مقدمه رتبته وسائر اموره ، وحل إلى السيرة العربية وعمل  
من سيرة النجيم ، فصارت الاجوال ، وكان الحاج محمد المذكور سهل الخجاب ، ورفيق القلب ،  
خافض الجناح ، شديد التنظيم لأئمة الدين ، محبا للعلاء مكرما لهم ، ولم يكن في أيامه كلها  
يؤس ولا بأس ، بل كانت رعيته في غفص عيش وأمن سرب ، وفرض عليهم شدة لطفاً  
من المغازم وخفف عليهم ، وزعم انه ما حل ذلك حتى استشار الامام السيوطي برفقه ، ولم  
يزل على سيرته المذكورة إلى ان اختارته المنية . فقام بالأمر بعده ولده داود بن محمد ، فاحسن  
ما شاء وتبع سيرة أبيه إلى ان لحق بربه . فقام بالأمر بعده ولده اسحاق بن داود فعدل عن  
بعض سيرة أبيه واستمر حله إلى ان غزاه جيوش المنصور ( السدي صاحب الغرب ) ، فنهضت  
ملكه وشرت ملكه ، وانقرض آل سكية بعد ان كان تحت طاعتهم مسيرة سنة أشهر من بلاد  
السودان . وأما مملكة تكرور وقام هناك ابن حليكان ، ان كان يحكم النون جنس من  
السودان وهم بنو عم تكرور ، وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب إلى أب ولا أم ،  
وأما كان اسم بلدة بنواحي غابة ، وتكرور اسم الأرض التي هم فيها . قال في الاستقصا انه  
كان لاهل كانت مع الدولة الحفصية ( بنو ) في المائة السابعة وما بعدها ، مهاداة ومواصة  
كما كان لاهل مالي مع بني مرين . ونقل عن الشيخ احمد بابا السوداني من تلميذه المسمى  
بمراج الصعود ، أن أهل السودان اسدوا طوبى بلا استيلاء أحد عليهم ، كما كانوا وكنتي  
وبرنو وسنغاي ، لا سمنا قط ان أعدا استولى عليهم قبل الاسلام ومنهم من هم قدماء  
الاسلام كاهل مالي اسدوا في القرن الخامس أو قرنه ، واهل برنو وسنغاي . اه . قال وقد  
علمت ان أهل غابة تقدم اسلامهم على هذا التاريخ

وقال المسير اندري آرسين André Arsin مدير القلم المحصرس بوالي غينية في كتابه لاسي غينية الفرنسية La Guinée Française المطبوع سنة ١٩٠٧ ، ان احمد بابا المذكور \* يزعم انه سنة ٦٠ للهجرة ، كان في مدينة غانة العظيمة لا أقل من ١٢ جامعاً ولكن في هذا القول مهالة عظيمة ، والاربع ان مملكة الدولاني لم تدخل في الاسلام الا في القرن الحادي عشر ( أي القرن الخامس للهجرة ) .

أما ياقوت الخوي في معجم البلدان من أهل كاتم انهم سودان مشركون ، وقد كان ياقوت في أواخر القرن السادس الى أوائل السابع فيظهر أن اسلام أهل كاتم أحدث عهداً من اسلام أهل مالي وغلة \* لأن خبر اسلامهم لم يبلغ ياقوت في وقته . وذكر ياقوت شاعراً بمراكشي اسمه السكاني ، كما أن صاحب الاستبصار ذكر شاعراً هو ابو اسحق ابراهيم بن يعقوب السكاني الذي اتشد المصور الموحد في قوله :-

أزال حجابي عني وديني نرام من المهابة لي حجاب

وقربي تفضل ولكن بعدت مهابة عند اقترابي

فان اطلق الشاعر السكاني الذي ذكره ياقوت هو هذا الذي ذكره صاحب الاستبصار لان عهد ياقوت هو عهد الموحدين ، وأما هذا المني الذي نظمه فقد اخطر بالي من شعر الحداثة قصيدة نظمها وأنا ابن ست عشرة سنة ومنها :

لقد أناك بالقدر الثنائي وقد أدراك بالحب الثنائي

توقد شدة وتذوب لطفاً كطبخ السيف من نار وماه

وذكر صاحب الاستبصار من علماء برنو ، الشيخ العارف بالله أبا محمد عبد الله البرنوي شيخ الولي الكبير أبي فارس عبد العزيز الدباغ قال \* وكان فيهم العلماء والصلحاء والادباء والشعراء .

وذكر صاحب الاستبصار دخول ملك برنو في طاعة السلطان المنصور السعدي ، صاحب المغرب في خير طريق نفا من « ماعل الصفا » خلاصته انه في سنة ثمانين وتسعمائة ، ورد على المنصور الخبر وهو بمدينة فاس يقدم رسول ملك برنو ، ومعه هدايا مما جرت عادتهم بان يجايروا من فتيان الميرد والامراء وكشي السودان وطرقه . وكان من ذلك عدد كثير يتأهل المئين ، فوافى المنصور بمسكاه على رأس الماء من ساحة فاس ، وكان يوم ملاقاته يوماً مشهوداً حسناً وأبهة وجلالة ، جلس بالقبين التوأمنين المصروبين لعام الساج المحيط بقبابه ، واستوقف المواليد المدايك بما طعن من التوأمنين الى الزينة المربية ، ثم منها الى فسطاط الجلوس المأهول بالديوان \* ثم منه الى باب المسكر القبلي وأني بالرسول يخترق السهامين حتى نزل بالديوان \* وكان اللا من أتابر الدولة وصندوق المملاكة جلوساً ، وكروسي المملاكة وسرير الخلافة منصوباً به ، والمهابة قد اغرست الاسن وأخضعت القلوب والابصار ، فجلس الرسول هناك ملياً ، ثم توجه به على سبيل التفرق الى الزينة المربية فجلس بها ، ثم جاء الاذن الكريم بإيصاله الى « قراء المؤمنين بالتوأمنين » فوقف بين يديه وتشرف بالنظر الى طلعة السعيدة ، فأدى الرسالة وقضى غرض النهضة وسنة الهدية ، وأعرب عن متاعده مرسله \* واحترق للمملاكة المنظمة بحققها ، وظهر من الخضوع والاستكانة والطواعية ما أوصاه به مرسله ثم توجه به



الى معسكر وفي اليوم تاج الاسلام ، وكامل الآفة بعد والده المولى الامير ابي عبد الله محمد  
الشيخ المأمون بالله \* وكان لصق معسكر أمير المؤمنين برأس الماء ، فأشرف الرسول على  
دنياه اخرى ، وأية مدهشة ، ومحلة هائلة ، فوقف موقف الخيرة واستدريج الى أن وصل  
اذاب ولي العهد ومباريه ، وكان قد قدم له بفسطاط جلوسه اعظم فعود \* ولما استؤذن  
عليه ووقف بين يديه ، حي وتقدمي وانصرف عنه الى محل نزوله بالنسبة من قاس ، وأدر  
عليه من الانعام والاکرام ما لم يكن له في حساب . وكاذ من أغراض الرسالة التي انقذه بها  
سلطاناه طلب المدد من أمير المؤمنين بالساكر والاحياء وعقد الإنتق ومدايح النار ،  
لمجاهدة من يلهم بناسية السودان من الكفار . وكان هذا الرسول قد وفد من قبل على  
سلطان الترك بالاصطبول السلطان مراد المملوكي ، يطالب منه للمد بجهاد كفار السودان ،  
واخلف سعيه ولم يحصل على طائل ، فوجه في هذه التربة الى ملك المغرب يطالب منه المدد ،  
فكان الذي دل عليه الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول ، جر اليهم ذلك توغلبهم في  
الجهل ، وعدم من يحسن الاعراب من مقاصدهم من قساق الانشاء ، لظلموس معالم العلوم  
هندهم على الجلة . وفازن ذلك ما كان من توجيه أمير المؤمنين عساكره لتدويج قطري توات  
ونيكورارين وامل ان يجامها رفايا لبلاد السودان ، والاسيلاء على ممالكها التي وجبه اليها  
عساكره بعد ذلك . فافتت مملكة مالي الى ان وردت من يلمها على مائة مرحلة من شعور  
المغرب . فالتفت المنصور لذلك اخلاف الرسول والرسالة ، وبني عليه ما اعتد به على صاحب  
برنو ، ورجع الرسول الى مرسله بعد مكافأته ، وتوجيه هدية من عتاق الخيل بكسي من ملايس  
الخلافة ، واسباب اخر . ولما بلغ الرسول ، والقي المندرة الى سلطانه ، استأنف الهدية  
واصرح اذ ذاك عن مراده ، ورد الرسول ثانية الى باب أمير المؤمنين فواظم بحضرتة ودار  
خلافته من مراکش ، قال اليبس وبين المرض ، فلما تحقق المنصور بقصده ، صدى له بالحق  
والدعاء الى التي هي أفقر ، وطالبهم بالبيعة له والدخول في دعوتة النبوة ، التي اوجب الله  
عليهم وعلى جميع النباه الاقياد اليها ، وقرر لهم بذلك السنة النافق والكتاب المنزل على جده  
المصدق ، ان الجهاد الذي يتخلونه ويظهرون اليه لا يتم لهم فرضه ، ولا يكتب لهم عمله  
ما لم يشعروا في أمرهم الى اذن من امام الجمة الذي اختص الله أمير المؤمنين بوصفه ، انه هو  
الكاظم لهذه الامة ووارث ثراث النبوة ، وفيضه الله خلافة بيضة الاسلام ، وعنه بالشرف  
القرشي ، الذي هو شرط في الخلافة باجماع من علماء الاسلام ، واثمة السنة الاسلام ، والزهم  
النيام في اقطارهم بدعوتهم ، ومجاهدة اصنامهم الكفار بكلمته ، وعاقب لهم ايده الله ( صاحب  
مناهل الصفا بحرر هذا الكلام معاصر المنصور ) الامداد على البيعة واوفاء بهذا الشرط ،  
فالتزمه الرسول وزعم أيضا عن سلطانه بالتبول والاجابة ، وطلب من السلطان نسخة يتوجه  
بها من صورة البيعة ان ليس يلهم من يحسن الانشاء ، فالتأها كاتب الدولة ابو فارس  
عبد العزيز القشتالي ونصها : د الحمد لله الذي أعلى الكلمة الحق منارا ، سامي في مطالبها  
النجوم ، وزاح بها عن شمس الهداية المنيرة ، غيايب القباوة المظلمة ، وسحاب القواية  
المرکوم ، الخ وارسلوا نس البيعة الى السلطان أبي العلاء صاحب مملكة برنو ، وانتخب  
المنصور رسولا عارفا مجربا ممن لهم بصيرة باحوال السودان فبعته معهم فيما يأتية بخار البلاد

حتى كآته يشاهدها ، وبث معه رسالة الى السلطان اسحق بن داود من آل سكيه صاحب  
 مملكة كافور من أرض السودان يأمره فيها ، بأن يرتب على معدن الملح الذي في قفازي بين  
 الغرب والسودان وظيفا ، بأن يجعل على كل من يحمل منه شيئا من الواردين عليه مثقالا من  
 الذهب العين تستعين بذلك الحراج ساكر المسلمين على جهاد الكفار ، لأن ذلك يجر  
 لا ساحل له . وكان المنصور لم يكتبه في ذلك حتى استغنى عنه اياته واشياخ القضا بها ، فأتوه  
 بما هو المنصور من أن النظر في المبادن مطلقا إنما هو للإمام ، وأنه ليس لأحد أن يصرف في  
 ذلك الا عن إذن السلطان أو نائبه . وبث إليه المنصور بذلك التنزي مع الرسالة الموجه بها  
 مع الرسول ، من إنشاء الثلاثة الاديب مفتي الحضرة المراكشية ، المولى أبي مالك عبد الواحد  
 ابن احمد الشريفة السجلاني . ولما باتت رسالة المنصور الى السلطان اسحق سكيه وأطلع  
 عليها ، شق عليه ذلك وماطل في الجواب ، وحيث أخطأ الرسول ، فطن المنصور لما انطوى  
 عليه سكيه من عدم اجابته لما طالب من الوظيف على الملاحة ، فاشتد غضبه وعزم على توجيه  
 للمساكر الى السودان . قال الفشتالي لما رجعت ارسالة المنصور اليه من عند اسحق سكيه  
 وأعلموه بمفاته وامتناعه واحتجاجه بأنه أمير ناحية والمنصور أمير ناحية ، وأنه لا يجب  
 طاعته عليه ، شاور المنصور أصحابه وأهل الرأي والنق في يوم مشهود . قال لهم « أنى  
 هزمت على منازلة أمير السودان صاحب كافور لتجتمع كلمة المسلمين ولأن بلاد السودان كثيرة  
 الحراج يتقوى بها جيش الاسلام » ألغ فلما فرغ المنصور من كلامه سكث الحاضرون ، فقال  
 لهم اسكنكم استصوابا ( رأي ) ، أو ظهر لكم خلاف ما ظهر لي ، فاجاب كلهم بالان واحد  
 أن ذلك رأي من الصواب متعرف ، وذلك لأن بيننا وبين السودان مهامه فبعده ، تقصر  
 فيها الخطى وتكثر فيها الخطا ، وليس فيها ماء ولا سكل ، ولا يتأقنى السفر فيها ، وأيضا فإن  
 دولة المرابطين على ضفافها ، ودولة الموحدين على عطفها ودولة المرينيين على قوتها ، لم تقطع  
 همة واحد منهم شيء من ذلك ، وحسبنا أن غنني أثر تلك الدول ، قال المأخر لا يكون اقل  
 من الاول . فلما قضى أولئك الاقوام كلامهم قال لهم « ان كان هذا غاية ما استغنتم به لأمري  
 وفيتكم به رأي ، فليس فيه حجة ولا ما يجذب فيها عيني ، فلما قواكم بيننا وبينها اصحاب عزيمة فافوز  
 مملكة لجند وشواو عطفها ، فمن ترى التجار على ضفتهم وقلة استمدادهم يشقون تلك المهمة في كل  
 وقت ، وبخوضون احشاهما مشاة وركبنا وجماعة ووعدا ، ولم تنقطع قط ركاب التجار عنها ، وانا  
 اقوى امة منهم ، ولجيش همة ليست للفواقل . ولما قولكم ان من كان قدامنا من الدول الطنانة لم  
 تطمع ايصارهم لذلك ، فاعلموا أن المرابطين صرفوا اعيانهم لفران الاندلس ومناقب الاربع ، والمرابطين  
 اقتفوا سبيلهم في ذلك وزادوا بحرب ابن طاية ، والمرينيون كانت غالب وقتهم مع بني عبد الواد  
 بتلمسان ، ونحن اليوم قد اتعدنا باب الاندلس باستيلاء الممدود عليها حجة ، واقطعت هنا  
 حروب تلمسان باستيلاء الترك عليها ، ثم ان أهل تلك الدول لو أرادوا ما أردنا لصب عليهم  
 لأن جيوشهم كانت فرسانا راجحة ورملة ناشية ، ولم يكن عندهم هذا البارود وما ذكر النار  
 المريبة للصواعق ، وأهل السودان ليس عندهم الا الرماح والسيوف ، وهي لا تقاوم  
 هذه المدافع المستحدثة . فقاتلهم سهلة وحريمهم أسير من كل شيء » ( قد در المنصور السدي  
 كان دولة استعمارية تكلم ) وأيضا فإن السودان أنفع من إفريقية ، فلا شغل بها أولى من



منازلة الترك ، لانه تمب كثير في نفع قابل ، فهذا جواب ما عرض لكم ، ولا بحدانكم ترك  
 المنوك الاول ذلك على استبعاد القريب ، فانه كم ترك الاول للآخر ، فاما فرغ المنصور من  
 خطابه ، انفصل الجمع على البعث الى السودان ومعاينة المنصور في رأيه عليه ، قال صاحب  
 الاستقصا : وفي كلام المنصور امر ان يحتاجان الى مزيد بيان الاول ، ماقاله من ان المسلمين لم  
 تمكن لهم سيطرة على السودان ، يعني بهم الذين أقاموا بأرض المغرب مثل يوسف بن تاشفين  
 وبنييه ، ولا يرد عليه ان الأمير أبا بكر بن صرغتمش السودان وفتح منه مائة ثلاثة أشهر ،  
 لأن ذلك بعد رجوعه الى الصحراء واستقراره بها ، وأمراته عن ملك المغرب ، الثاني ،  
 ما قال من أن البارود لم يكن في تلك الدول الفارطة ، يعني به لم يكن موجوداً فيها بكثرة ، فلا  
 يرد عليه ان ظهوره كان في أوائل المائة السابعة لاول دولة بني مرين ، ثم انه في سنة سبع  
 وتسعين وتسعمائة ، اخذ بأعداد آلة السفر ومهمات ، وشربة المدايق والمجالات التي تحملها ،  
 والبارود والرصاص ، وبقي في الاستعداد مدة طويلة . وفي اليوم السادس عشر من ذي الحجة  
 سنة ٩٩٨ خرجت المساكير ومشتها اثنا عشر ألفاً منهم الفان من المدفعية والبحرية وعقد  
 المنصور على ذلك الجيش لولاه الباشا جوذر ، وشهد اذره بجماعة من اعيان الدولة ، وكتب  
 الى قاضي تكتو العلامة أبي حمزة عمر بن الشيخ محمود بن صرغتمش الصنهاجي ، بأمره  
 بحض الناس على الساعة ولزوم الجفافة . فتمض المسكر من تانسيف الى ثنية الكلاوي الى  
 درعة ودخلوا الفجر فقطعوه مائة مرحلة ، ولم يضر لهم عقاب يميز الى أن وصلوا الى تكتو  
 تهر السودان ، فأراحوا بها أياماً وساروا قاصدين دار اسحق سكية ، فاعترض لهم امم  
 السودان وقبائلها ، والمسلمين المهادنين لهم يقال انه جمع فوق مائة ألف مقاتل . ولما تقارب  
 الجيشان عبي الباشا جوذر صاكره للحرب ، فدارت بهم مساكر السودان من كل جهة ، وعزلوا  
 أرجلهم مع الابل وصبروا من الضحك الى العصر ، وكانت اسلحتهم هي السيوف والرماح ،  
 فلم تقم مع البارود شيئاً . ولما كان آخر النهار ، انهم السودان وحكمت في رءسهم سيوف  
 جوذر وجنده ، حتى قال السودان ينادون نحن مسلمون ، ونحن اخوانكم في الدين ، والسيوف  
 حاملة فيهم ( اذا لم تصديق دعوى المنصور بأنه انما يحارب لاجل الاسلام ) ، وتم النصر  
 لمساكر المنصور في منتصف جمادى الاولى سنة ٩٩٩ ، وراسل ابن سكية جوذرا في الصلح  
 على مال معين يدفعه ، فاجابه الى ذلك على مشورة المنصور وامضته اياه . وكانت المساكير  
 أصابها الحمى فانفق رأي الامراء على الرجوع الى تكتو ، وكتبوا الى المنصور ولبثوا  
 ينتظرون الجواب . وأخذ جوذر في انشاء السفن وتركيبها ، ولما كانت دفعها في النيل ، ولما  
 بلغ المنصور خبر الصلح قام وغمد ، وقوم عسكرا خفية ارسله مع حمله الاخر محمود باشا  
 وهو أخو جوذر ، وقبلة أمر المساكير كلها وهزل جوذر عنها ، وأمر محمود باشا ان يبقيه  
 معه وكتب الى امراء المساكير باتباعهم على الصلح مع ابن سكية ، ويؤكد دايهم في الرجوع الى  
 بلاده ، واتباعه حينما توجه . ونو صبر الليل الى المدوة الاخرى . وخرج محمود باشا في عسكره  
 في زمن الحر ، في وقت لا يقدر على الحركة فيه الا الفظ السكندر . وقطع الفجر في خمسين  
 مرحلة ، ونزل بالمساكر على رأس تكتو على رأس سنة الالام ، ثم شعثوا السفن وساروا  
 باللاحين والجند الى أن نزلوا على مدينة قاغو قاعدة ملك سكية . وكان هذا عشد لهم امم

السودان \* لكنهم لما سمعوا رعد المسافع والمهارييس ورأوا ارتفاع الدمار في الجو ، انزعجوا وسار اسحق سكية في فل من جوعه رجع للبل الى الدولة الاخرى ، فقبضه محمود وعبر النيل خلفه وأوقع به ، ونهب جميع ما احتوى عليه معسكره ، فنهزم الى النفر وهناك قبه . وقام اخو اسحق وجمع جوعا وزحف الى محمود باشا ، فهزمه هزلا وقتله . وعمدت السودان كلها وكتب بخبر الفتح الى المنصور ، فقام مہرجانا عظيما يظهر الحضرة ، وزيات الاسواق واخرج فيه المنصور الصدقات ، وافتق الرقاب ، ووصله من محمود باشا التنازع مما لا يحصى من جهتها اربعون حلا من الثبر الخ وانتظمت الممالك السودانية في ذلك طاعته ما بين البحر المحيط من افقى المغرب الى بلاد برنو المناخة لبلاد الوبية المناخة لصعيد مصر . وكان في تلك سنة ثمان مائة يقال لها آيت \* فمن لهم الوجاعة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودينا بحيث تعددت فيهم العلماء والفاضل ، وتوارثوا رئاسة العلم في السودان مدة تقرب من مائتي سنة وكانوا من اهل اليسار والسؤدد لا يتألقون بالسلطان فن دونه ، فلما فتح جيش المنصور بلاد السودان اقامهم محمود باشا على حالهم الى ان كانت سنة ١٠٠٢ ، فكان اهل السودان ستموا ، المسكة القارية فتخوف المنصور من آل آيت ، فكتب بالقبض عليهم وتغريبهم الى مراکش ، فقبض على جماعة منهم ، فيهم العلامة ابو العباس احمد بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد آيت المدعو احمد بابا صاحب تكميل الديباج وغيره من التآليف والقاضي ابو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد آيت ، وغيرهما ، وجعلوا مصفيين في العديد الى مراکش وجمعهم حريمهم ، وانتهت ذخائرهم وكتبهم ، واستمروا مدة في مراکش في حكم اللثاف الى ان انصرف امد الخنة ، فصرحوا في ٢٦ رمضان سنة ١٠٠٤ وفرحت قلوب المؤمنين لذلك . ولما دخل النقيب ابو العباس على المنصور قال له : اي حابة لك في نهب متاعي وكتبي وتصفيدي من تلكتو الى هنا ، حتى سقطت عن ظهر الجمل وانصدت ساني . قال له المنصور : « اردنا ان نجتمع السكينة ، وانتم في بلادكم من اعيانها ، فان اذعنتم ادعن غيركم » . فقال له الشيخ ابو العباس : فهاجعت السكينة بترك تسمان ، فتم اقراب اليك منا ، فقال المنصور : « قال النبي صلى الله عليه وسلم ، اتركوا الترك ما تركوكم ، فامسكنا الحديث ، فقال ابو العباس : ذاك زمان ، وبعده قال ابن عباس ، لا تتركوا الترك وان تركوكم . فسكت المنصور وانقض الحباس ، وفي آل آيت بمراكش الى ان مات المنصور ، فاذن لهم ابنه بالرجوع الى تلكتو . » انتهى بعض تصرف . وكتب على ذلك صاحب الاستقصا بفصل في

### مسئلة الرقيق والشرع

آثرنا نأخيه قال : قد تبين لك في اقصينا عليك من اخبار السودان ، ما كان عليه اهل تلك البلاد من الاخذ بعين الاسلام من قديم ، وانهم من احسن الامم اسلاما واقومهم دينا ، وهذا يظهر لك شناعة ما عنت به الهوى المنرب ( والمشرق ) من استرقاق اهل السودان مطلقا ، وجلب الذمالة السكتية منهم في كل سنة ، وبيعها في اسواق المنرب ، يصدرونها كالبهائم الى الدواب ، الى اقباش ، فداءا للناس على ذلك ، وبذلك هذه اعيالهم حتى صار كثير من العامة يفترون ان موجب الاسترقاق شرعاهر اسوداء اللون ، وكونه مجلوبا من تلك الناحية . وهذا



لعمرى من أعظم المناكر في الدين ، إذ أهل السودان قوم مسلمون ، فلم يأتنا ، وعلينا ما علينا . ولو فرضنا أن فيهم من هو مشرك أو متدين بدين آخر ، فغالب ما بهم اليوم وقبل اليوم هو الاسلام ، والحكم الغالب . ولو فرضنا أن لا غالب ، وأن الكفر والاسلام هالك متساويان ، فن لنا بأن المجلوب منهم هو من صنف الكفار . والاصل في نوع الانسان هو الحرية والخلو من موجب الاسترقاق ، ومدعي خلاف الحرية مدعي خلاف الاصل . ولا ثقة بنهر الجالين لهم والذين ، لما ترو في الباعة من الكذب مطلقا عند بيع سلمهم ، وفي باعة الرقيق خصوصا ، ولا يمتد أيضا على قول ذلك العبد نفسه أو الامة نفسها كما نص عليه الفقهاء . لاختلاف الاعراض والاحوال في ذلك ، فان البائع قد يضرهم حتى لا يقرؤ الا بمالا يتدح في صحة بيعهم ، وقد يكون للعبد أو الامة غرض في الخروج عن ملك من هو يبيعه بأي وجه كان ، فيكون عليه أن يقر على نفسه كي يتخذ بيعة عاجلا . وقد استفاض من أهل العدل أن أهل السودان اليوم وقبل اليوم ، يضر بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ، ويسرقونهم من الاماكن النائية عن مدائنهم وعمرانهم ، وأن فعلهم ذلك كفعل أمراء الغرب ( والمشرق ) في اغارة بعضهم على بعض ، واختطاف واشيهم ، والكل مسلمون ، وانما الحامل لهم على ذلك قلة الدابة وعدم التوازع ، فكيف يسوغ للمجتمعات ان يقتصر على شراء ما هو من هذا القبيل . ( الى أن يقول ) أما وضع يد الجالين لهم عليهم ، فلا شك في شرعا في جواز الاقدام على شرائهم . لضعف هذه العلامة بما اعتد بها من الفرائض الكيفية لها ، وليست المنة فله فقد قال ( ص ) استفت قلبك وإن أفنوك . فانه إذا رجع الى قلبه في هذه القضية لا يتردد أن يحوم حول هذا الحى بحال . ونقول لو لم يكن في ذلك الا الشبهة القوية وفساد الزمان ، ورقة ديانة أهل ، لكان في هذه الامور الثلاثة مع ملاحظة حسد الذريعة الذي هو أحد أصول الذريعة لا سيما عند الامام مالك ( رض ) ، ما يوجب التخلي عن ملازمة هذه القضية بالمرض والدين . نسأل الله ان يوفق من ولاء أمر التباد لحسم مادة هذا الفساد ، فان سبب الاسترقاق الشرعي الذي كان على عهد النبي ( ص ) والسلف الصالح مفقود اليوم ، وهو السبي النشئ من الجهاد المنصود به اعلاء كلمة الله ، وسوق الناس الى دينه الذي اصطفاه لعباده . هذا هو ديننا الذي شرعنا تبينا ( ص ) وخلافه خلاف الدين ، وغيره غير المشروع . انتهى بيضاء نصرف . والحمد لله على كون الحكومات الاسلامية المصرية ، انتهت اسم الذريعة ووافقت على ابطال الرق .

### تممة ذكر السودان

وذكر المسيو أندوي راسين صاحب كتاب « غيبة الفرنسية » ما يحصله ان البربر هم الذين من الشمال زحفوا على اعم القتيش ونفروا بينها الاسلام ، فصارت في الجنوب مراكز عظيمة لحماية الاسلامة مثل « ديينه » Dienné المدينة التي يقطنها السونفاي ، وقد اجتمع فيها بعد اسلامها بقليل سنة ١٥٥٠ مسيحية ، من جميع اصناف مسلمي الشمال ، لا سيما المانده ، وصارت أعظم مئذنى قننجار في غربي افريقية بل من أعظم مراكز الاسلام التجارية . وبني فيها كومبورو مسجدا جامعا مذهبا البناء ، ثم تأسست مدينة تيبكتو في الشمال ، فصارت

مركزا آخر يشرب منها دماء الاسلام الى الجنوب . ودخلوا الى بلاد ساراكوله Sarakholé على ضفاف السينغال ، وبلاد مناج النيجر ( النيل السوداني ) وغينية وبوري Bouré وقسم من سانكاران Sankaran ومن واؤلو Ouasoulou ، مع المدينة الدينية كاسكان Kankan . وما زال الاسلام يشق على النيجر حتى اسلم أكثر أهالي وادي النيجر وسواحل السينغال وسيراليون ، وبنت كورة واحدة أكثرها قبيشية لجهة البحر . وأكثر هذا القوم الاسلامي ، كان سببه أمة القولة والحاج عمر وساموري وإنما كان الذين اتوا بالاسلام من الاصل ، قبائل من البربر المتعدين ، مثل القبيبة المسماة أهل سيدي علي وأولاد قاضل وأولاد بري والشبوش والجيلوبة والكوتنة وغيرهم . ومن هؤلاء الكوتنة البكامون الذين اشتهروا في جهات نيكنو . وأصل الكوتنة من زناتة من بلاد النوات هاجروا الى الجنوب في القرن الثالث عشر للمسيح ، وبثوا في نيكنو المدارس والرباطات مما لمعت به تلك المدينة طويلا ، وتراهم الآن متفرقين في السودان ، لكن أهم مراكزهم تاغان Tagan وارينده Arindé . والبكامون يزعمون أنهم من سلالة عتبة ( بن نافع بن عبد القيس الفهري ) الفاتح العربي ، ثم انقسم الى ذلك تأثير الطرق الصوفية ، لأن هذه الطرق هي من أحسن الاجهزة لانتقال . وأحدثها عهدا وأشدّها عزما هي السنوسية ، والشيعانية . وهذه الثانية هي في السودان الغربي والسواحل أعظم انتشارا . وأما الطريقة القادرية فهي أعظم من الجميع ، وقد اشتهرت بالتسامح والتساهل ، وإن كان المهدي السوداني وكثير من حاربوا نحن ، هم من أتباعها . وتجد القادرية في السودان أقساما منها القادرية البكاكية ، والقادرية المختلطة ، والقادرية اتباع زين العابدين ابن سيدي احمد ، والقادرية اتباع الشيخ سيديا ، والقادرية الناضية جماعة الشيخ سعدو . فالسوداء الأعظم من مسلمي السينغال وغامبيه وغينية والنيجر الأعلى هم قادرية من اتباع هؤلاء ، ثم في بلاد أولاته Ouakata القادرية الرقانية اتباع الشيخ احمد الرقاني ، وهم ثلاث فرق . أما الليجانية فهي حديثة العهد تأسست في سنة ١١٨٦ للهجرة ، وأشهر من شهرها في السودان الحاج عمر ، ومن الغريب أنها في الجزائر تنصع بالموالاة للفرنسيين ، وفي السودان ترفع راية الجهاد . وأما السنوسية فموصوفون بالشدة وعداوة الاجانب أكثر من الجميع ، واتباعهم في السودان الغربي ليسوا كثيرين ، ولكن مملكة واناي أكثرها لهم .

ولا يوجد في غينية مرابطون على النحو الذي في المغرب ، بل يوجد بمقام المرابطين رؤساء سياسيون حولهم اتباع وأخوان ، وعرفّة أخرى هم معلمو المدارس والفتهاء في الدين ، ويسمى الواحد من هؤلاء « كراموكو » Karamoko . وعندهم لقب آخر للمجاهدين والذين فتحوا البلدان وهو « الممي » منحوتا من « أمير المؤمنين » ( أو نسبة الى الامام ) .

وليس عند أهل غينية رغبة عظيمة في الحج ، بل الذين يحجّون الى مكة كل سنة هم عدد قليل بالرغم من كون نورودو الحاج موسى بن لهم في مكة رباطا . ولكن لا ينبغي ان ننسى بعض ظواهر الفتور التي تلوح على اسلام غينية ، بأن فتقد عدم رسوخ الاسلام فيهم وعدم امكان تحفيظهم للقيام علينا : فانك لتجدهم شديدي الرغبة بتعليم عقائدهم وفيهم علماء كثيرون لا يكتفون بالقرآن ، بل يقرأون السنة وكتاب خليل في الفقه المالكي ، وعندهم



مكتاب شرعية مهمة . أخبر الدكتور بلندن Halyden انه عرف منهم اثنا عشر وثلاثون النسخة الواحدة من المصحف بخمس ليرات انكليزية ، ولا يجدون ذلك كثيرا . ومحمد منهم كثيرين مؤلفين وأكثر تأليفهم مخطوطة ، ولكن القرآن صار يطبع في سيراليون وكونا كرى . وان القرية الدينية في تلك البلاد ، هي أوسع مما يظن لاسيما في جهات فوته وكسكان ، غالبنا يدرسون سنتين والدكتور أربع سنوات وأحيانا ثمان سنوات . ومدة الدرس كل يوم تبلغ أربع ساعات . ومن التلاميذ من يرغب في زيادة ثقافته ، فيذهب الى الشمال مثل بلد دينته وتورو أو يقصد المغرب . ولدينا احصاء اداري عن مدارس الاسلام في بعض الواحي . ففي الدينيتين Ditinn ٣٤٦ مدرسة فيها ٢٩٦٢ تلميذا ، وفي كاسكان ٦٠ مدرسة فيها ٨٠٠ تلميذ ، وفي كوين Koin ٤١ مدرسة فيها ٥٧٤ تلميذا ، وفي سيفوري Sauri ٢٨ مدرسة فيها ١٦٠ طالبا . وكان في فوكومبه Poukoumba مركز بلاد فوته الديني سنة ١٨٩٦ ثلاثون مدرسة للذكور واللات . وكان في دينغراي Dingiray سنة ١٩٠٠ نحو ٢٠٠ مسجد و ١٨٠ مدرسة فيها ٨٠٠ طالب . وهذا العدد في دينغراي على ٣٢ ألف نسمة لا زيادة . ووظيفة المعلم محترمة وموقرة ، وكثيرون من الزعماء هم يملكون أولادهم بأنفسهم . ويأخذ المعلم طاعة ٢٠ فرانكا على كل سورة يحفظها التلميذ . وعند ما يحفظ نصف القرآن يقدمون له ثورا ، ومعنى حفظ القرآن كله يعطونه فرسا . وللمعلم يملأ الأولاد السكانية بواسطة ألواح في أيديهم ، وهذا هو التعليم الابتدائي . ولكن الذين يريدون اكمل التحصيل يملكون التفسير . وانما قد تبين من تقرير رسمي فرنسي على حالة التعليم في إحدى كور وادي النيجر ، انه من بين ألف ولد يخرج ٧٠٠ لا يملكون شيئا ، و ٢٥٠ يعرفون الزراعة والسكينة و ٤٠ يحفظون القرآن كله بدون ان يحسنوا تفسيره بلغتهم ، و ١٠ يمكنهم أن يفسروه بلغتهم . أما الصلاة وأحكام العبادة فمخطوطة جيدا ، واسم الصلاة « سالي » أو « دالي » وساعة الصلاة « ساليغان » وفي بعض السواحل « سولوقا » ، وصلاة الفجر في السواحل « سونوفو » وصلاة العصر « لانسارا » ، ويقال لها عند المالكي « لاناسا » وصلاة المغرب « سونوماني » وأما امم الديولا والسونينكي والماندي فيطلقون عليها اسماءها العربية . وهناك الجمعة يجتمع المسلمون في المسجد الجامع ، ولكن مما يذكر أن هذه العادة قد خفت كثيرا بعد استقلالها لاسيما في فوتا ديالو Fouta Dialo ، وقل ازدهام الصالحين في صلاة الجمعة . ويصومون رمضان لكن لا بالشدة الذي عليه المغاربة ، وعند ما يلوح الهلال يكون العيد الصغير ، فيطلقون البواريد . ويصومون عيد الفطر « سونفوسالي » أو « كالوسالي » وهذا بلغة الماندي ، أما في لغة الفولة فاسم « كوريبورو سوماني » وفي العيد الكبير يضعون كل واحد كبشا . ويسمى هذا العيد « تاباسكي » بلغة الاولوف و « ساليبا كالو » أو « دونكي سالي » بلغة المالكي و « باناسالي » لغة السانينكي .

( ثم ذكر اندري اوسين بعض الحروب التي وقعت بين المسلمين والفتيشيين ، وقال ) ان هؤلاء ظلما قاوموا الاسلام بشدة بلغة الحمد ، وقد استولى الفيتشيون مرة على كاسكان هزمه المدينة الاسلامية المقدسة ، ولكن امة السونينكي الاسلامية كانت تواصل التقدم من الشمال ، وصارت بوري وموسادوغو وموساردو مدنا اسلامية ، وهي أحسن المدن وأعمرها وأنظمتها

هناك ، ولكن القيثيين لبثوا قيثيين . وكانت غيبة العليا اسلمت بنهما في ايام المامي ساموري ، ولكن بعد موته رجع الكورما ، والوازولو ، والتورون ، والسانكران ، والسكرانكو ، والكيبي الى اولئهم ، وعادوا الى شرب المسكر . وأما بلاد التوما فن البداية لم تطلع ساموري .

أما في الاوان الحاضر فثبت الاسلام في غيبة الدنيا بمدة على طول الانهر ، وفيما كثير من الغرياء الذين يتواردون اليها منذ قرنين . وبالأجاء ففي مقاطعة يوري من غيبة أشهر مدن الاسلام . كيرواته Kérouané ، والاهينا Alahina ، ومدينة Médina ، وكاتومبو Kakatoumbo ، وفي مقاطعة سييكه Sioké لهم بيرامفيرا Biramfira ، وسيندوغو Sindougou ، وتوفين Tegin ، وفي مقاطعة كولوكالان Koulikalan لهم دوقوره Dougouira ، وكوباني Kobani ، وكينيكرو Kinkéroua ، وفي المدينه Mading أهم مدنها بالانكوما كونا Balankoumakana ، وأما في سائر المدن لاسما في مقاطعتي ديونا Diouna ونوغا Nougou ، فالكثيرة ليست للاسلام . وأما كانكان فهي من أعظم كرامى الاسلام في السودان الفرنسي ، أكثر أهلها سونينكة . وكذلك كونغ وديته . وقد أسس اشباخ الطريقة التبجانية مدارس في كانكان ومكاتب ، ونشأ فيها مرابطون كثيرون كانت لهم اليد الطولى في نشر الاسلام في افريقية الغربية والجنوبية . والى هذا اليوم هي مركز جاذبة لبلاد سينغري وكوروسه . وفيها آل سريغو الذين يدعون انهم اشرف من آل البيت ، وان اسمهم مشتق من سريغ . ومن المدن الاسلامية العظيمة مدينة طوبا Touba في ساحل الناج ، وبيلا Bayla وذاكر الله ، وبلال الله ، ونبالا وديا كوليدوغو الخ . وأما بلاد القوة دبالو فان لها تاريخا مهما في الاسلام هناك ، فقد جاءت الدعوة من الشمال بواسطة التوكولور ، ومن الشرق بواسطة السونينكة ، ولذلك تألف بها حزبان أحدهما يقال له « آلفيا » Alfain والثاني « صوريا » Soria ، فالصوريا هم الشرقيون اتخذوا الطريقة القادرية حال كون الآلفيا بحسب قول المسيو لوشاتليه Le Chatelier « تمسكوا بالسنة ولم يرفخوا الطرق » وقد كان مبدأ الاسلام في قوته على أيدي أهل والسونينكة ، ولكن لما اسلم على أيديهم الديالونكة صار هؤلاء من أشد الدعاة حية . ولبست بلاد قوته منقسمة الى كور اسلامية وأخرى وثنية كما هو الحال في غيبة الدنيا ، بل جميعها دار اسلام . والمدينة المقدسة فيها هي فوكومبا ، وفي جامعتها جرت المادة بمائة المامي ، وهذا الامتياز لها ، من أجل كون أمير هذه البلدة هو أقدم أمراء تلك البلاد اسلاما . ومن البلدان الاسلامية العظيمة « فوناطورو » وهي أقرب البلاد الى دبالو . وبلاد الساراكولي وهم من الانواع الشديدة الاعتقاد ، وفيها مدارس للعلوم الدينية . ومن المراكز المشهورة في تعليم الدين « نغي » و « لاني » و « دونبول ملاح » و « فوكومبا » و « بارفلا » و « دنتاري » و « كولانفي » وغيرها وفيها الجوامع العظيمة .

والاسلام تمتد أيضا في الجهات الجنوبية الغربية من غيبة ، والسبب في امتداده الى هناك هي فتوحات الزناتل الشمالية مثل السونينكة والنورودو والديولا والديالانكة . ومن هذه الانواع جند الحاج عمر أحمدن هساكره ، وخالفه مريدين قوموا الفرنسيين ضد المقاومة ،



مثل الم رابط محمد ، ولا مينا درامي . وقد كان اختلاط السونينك والديولا بأهالي الجنوب سببا في زيادة نشر الدعوة المحمدية ، حتى لا يكاد يخلو منها مكان في سواحل غينية . واشتهر بشدة التمسك بالاسلام أمة النالوماندي . حتى أن ملك النالو لقب بأمر المؤمنين . كذلك زعيم الساراكولي في بلاد ميلاكوري لقب بمامي موريا أي امام موريا . فوديا وموريابا وكالوم وسوموبو وبراميا ويونفو ونونز الملبا ، الاكثرية فيها هي الاسلام والاهالي من جنس الصوصو . وكان الميكيفوري Mikifori يافين على الغنيشية ، لكن الضابط بروكارد Brocard قرر بعد فحص اجراء ان الاسلام غلب عليهم اليوم ، حتى قال انهم يعتقدون ان الرجل المار له وحده الحق بالناء السلام . وكذلك قبيلة البانغفور Banga Foor التي هي من أشد قبائل السواحل تنوعا . دخلها الاسلام وبدأ كثير من رؤسائها بهجر الحرمة . وفي بعض الاماكن نجد الزعماء قد صاروا مسلمين وان كان طامة شعبهم يافين على الوثنية . واتسدت مع أحد حكام غينية السفلى وهو الميسو نوأرو Nourou في اطراف هذه البلاد ، وكانت مضت عليه سنون طوال في جنوبي غينية ، فادعش مما رآه من آثار العقيدة الاسلامية مما لم يكن رآه قبلا ، ان في كل قرية حتى في صغريات القرى نجد مصليات الاسلام . نعم ان مسامي جنوبي غينية ليس عندهم تعصب مسلمي الشمال . ومن المدن الاسلامية المشهورة في الجنوب « بنا » و « كيسي كيسي » و « كونا كري » و « الهوبو » وأما بلاد « كادي » و « كونسونمي » و « يومباليا » فهي اسلامية بحتة ، ومسددة من أقدام « فوته » الضارية في بحر الاوقيانوس . ومن دلمات تقدم الاسلام في الجنوب شيوع لقب « المامي » في ملوكهم مما ينضب أهل فوته ديالو ، الذين يقولون : ما من مامي في كل قبيلة سوى أميرهم . وقد يترفعون بهذا اللقب المامي موريا ، ولكن يصيب عليهم الاقارب له الملوك « ريبونمو » و « كانيا » و « ثاميسو » و « نالو » و « كالوم » .

وجميع الم رابطين الدعاة في كورة « واسو » هم في الاصل من السونينك ، ويقال لهم « الميسي » و « الدارامي » والنوري والي الشرق من ميلاكوري يوجد قوم اسمهم « البولا » متسكون جدا بالاسلام ، وكان لهم يد في نشره بين الامم المجاورة . كذلك في دية « فارانا » يوجد قوم اسمهم « القيريا » مقيمون لثمار الاسلام بكل دقة لا سيما في « داندو » و « أولادا » .

والشرف الاعظم في نظر مسلمي السودان هو الانتساب الى العرب ، فالحرب عندهم هم النموذج الشعوب كما قال الميسو فاشون Fashon ، لا سيما الانتهاء الى آل البيت . وأنسى الميسر اندري آرسين كلامه على غينية أو خاة بقوله : ان الاسلام انتشر بسرعة عظيمة في بلاد الزوج نعم ان تدمه اليوم أصبح أبطأ من ذي قبل ، لكنه صار أسرع من ذي قبل بسبب السكون والامان . واذا اعتبر الان ان منذ مائة وخمسين سنة لم يكن مسلمون في غينية السفلى ، وانهم الآن صاروا نحو النصف من الاهالي عرف مقدار سير الاسلام في هذه الاقطار . كذلك الم رابط منذ ثلاثين سنة فقط ، لم يكن يجرأ ان يتوغل في هاتيك الاستفاة ، فصار اليوم يسير بين يديه جاعات وله ائراج . ثم علل مؤلف « غينية الفرنسية » نمو الاسلام بين السود ببساطة قواعده ، وما أشبه ذلك من الاسباب التي أشرف اليها مؤلف

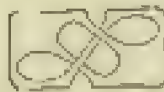
كتاب « الاسلام والنصرانية في افريقية » .

وقد عرفت الرحالة الشيخ عبد الكريم مراد ، نزيل كاتو من بلاد النيجر ، أصله من طرابلس الشام زارني في لوزان سويسرة في العام الماضي ١٩٢٣ ، فسألته عن بلاد النيجر والسودان فقال لي : « ان بلاد النيجر تشمل على ٢٠ مليون نسمة ، مقسومة بين الانكيز والفرنسيين ، وان عاصمة النيجر الانكليزي مدينة لاغوس Lagos ، وان سلطان سوكوتو كان كبير سلاطين السودان كلهم قبل دخول الانكيز ، فلما دخل الانكيز اخرجوا كل اولئك السلاطين من طاعتهم فبقيت له سيادة اسمية . وأما السلاطين المستكوروون ، فبنهم سلطان كشيديا حج في العام الماضي . و سلطان كاتو . و سلطان برنو . و سلطان زاربا . و سلطان بديا . و سلطان آبدان . و سلطان لوري وغيرهم . وأما سلطان لاغوس و سلطان أبي كتا ، فمشركان ، ولكن الاسلام قوة في بلادهما وفي جميع بلاد الفتيحيين . و سلطان مولاي يحنفل بعيد الاسلام ، ولبس فيه الملابس الرسمية وعند سلطان أبي كتا وزير مسلم ، والجواري مع كثيرة في بلاد الكفار تقام فيها الجمع والاذان مسروح . وسألته عن مدينة كاتو التي كان فيها ، فأجابني ان أهلها نحو ثلاثين ألف نسمة وهم مسلمون .

وأختم هذا الفصل بنكتة سمعتها من الرحوم الشيخ عبد الجليل براده من علماء المدينة المنورة ، وأدياء عصره ، قال : سألت واحدا من أهل الادب وهو في موسم الحج حاجا أسير من بلاد في السودان ، فأجابني : غانة . فأنته السائل على الفور هذا البيت :

كذا كذا فليزر مولاه من حرفه من غانة غاية الدنيا الى حرفه

(ش)





## العرب في الكونغو

اطلعت على رحلة لاحد ادباء البلجيكي المسمى فريتز فان در ليندن Fritz van der Linden استوفى فيها الشرح على الكونغو ، فذكرت فيها على بعض جل تتماق بالعرب في الكونغو ، وعلمت ان الاسلام قد دخل في هذه المنطقة العظيمة التي هي الكونغو البلجيكي . قال في الصفحة ٢٦١ ، في بحث عن تداول الاهالي المسكوكات : « ان أكثر الاهالي المستعربين Arabisés يعرفون النقود ، وان تجار العرب من الكاسونانو وأكبر التجار الذين لهم علاقات مع زنجبار ، يؤثرون الذهب لاسيما اقلية السنغالية ، لأن علاقاتهم متصلة مع عرب الاوغاندا ، والمستعمرات الالمانية في شرقي أفريقيا . و تراهم مع شدة مراقبة الحكومة ، يتمكنون من أخفاء الحاج وادخال البارد الى مستعمرتنا سرأ . وأما تجارة الرقيق فاهم لا يتعاطونها الا في داخل البلاد من قرية الى قرية ومنع ذلك يكاد يكون مستحيلا ، اذ ليس الاسترقاق هو اليوم بالقوة المساعدة كما كان قديماً ، بل فظائع الاستعباد التي كان يصنها ليغسلون وستورم وهو يستتر هذه كلها دخت في خبر كان . ولكن العربي أو المستعرب لا يشتغل بهذه فلا يستغني عن العبد ، لاجل الفراس وخدمة البيت والاشغال والحل ، وليست معاملته بالعبد بسوءة وقد ينقل العبد من سيد الى سيد ، والذي يظهر انه لو تحرر هؤلاء العبيد كثرهم دفعة واحدة ، لكانت ضربة قاضية على سعادة البلاد ، ونحول هؤلاء الى رعايا منشردين .

وان المستعرب العربي لا يزال عظيم في جهات كاسونانو ، لكن مجده الماضي قد زال ، والمراكيز التي كانت لموتى محرم ( يظهر انه اسم زعيم عربي ) وسعيد بن عبدلي قد ذهبت . أما كاسونانو القديمة ، فهي قرية جميلة مبنية بالطين مقطعة بالشوارع وهناك عرب صراح يلبسون جيياً يضاء ، ويتكلمون بكوفيات مطرزة نظرياً بديماً ، سبهم تدل على الكرامة والوقار ، وحرقاتهم وسكناتهم مقرونة بالادب النام ، والكياسة الذاتية ، والرعاية الفائقة ، فلسق حياتهم يختلف كثيراً عن نسق الزنباريين العبيد القدماء ، الذين يظهرون عظيمة تستحق السخرية ، بتقايدهم ساداتهم العرب في كسوتهم ورفاهيتهم .

ومرة دعاني أحد العرب في كاسونانو الى منزله قائلاً : سفاكيري كاريو . ومعناها : صباح الخير تفضل . فدخلت الى بيته فوجدته مفروشا بالحصر ومزيناً بالمتاع اللطيف ، وأبواب البيت والشبابيك كلها منقوشة ، وعلى أحد الابواب كتابة عربية أعلنها آية من القرآن . فدعاني العربي طاساً لذيذاً من القهوة ، وبعني بعض الحصر ، وهو يظهر انه انما أسدى الي مكرمة .

وترى اني على الطريق المزدية من كاسونانو القديمة الى كاسونانو كلها جيدة نظيفة ، والمسعة العربية بادية عليها ، ولكن مرض التوم فاض في هذه الانحاء ، وقد نقص كثيراً في عدد الاهالي في جوار كاسونانو . ولا نجد في جوار كاسونانو أكثر من ألف مستعرب من الرجال البالغين ، وثلاثة أو أربعة عرب صراح ، وأربعة أو خمسة زنجباريين . وليس بين الاهالي جامعة يمتحن من عواقبها ، فتندر أن ننظر الى المستقبل باطمئنان .

ثم ذكر مدينة نيانغوا Niangwe ، فقل عن قائم المقام السويدي غابروب Gleerub قوله في سنة ١٨٨٦ :

« ان نباته هي مقر العرب الاصلي وهي مقسومة الى قسمين يفصل بينهما وادعيق تكثر فيه مزارع الارز » فاذا بلغ ارتفاع نهر الكونغو معظمه طلت المياه على هذا الوادي . وقد ازدادت هذه المدينة من عهد سنالي ازديادا عظيما ، فاعلمها اليوم بالغون نحو عشرة آلاف . وتوى على جانبي الوادي أخضر المزارع والمزارس وجميع الاشجار المثمرة المحلوبة من افريقية الشرقية ، كذلك العرب أدخلوا فيها الواشي والخير الفارغة لركوبه اه . قال فريتز فان دوليدن : « أما اليوم فقد تولت نباته عن دوريتها هذه » بسبب ثورة سنة ١٨٩٣ ، وبمرض النوم أيضا ، ولم يبق فيها الا ألفا رجل . وتحولت تلك المحلوف اليدوية التي كانت مصطفة بها الاشجار على ضفتي النهر ، الى شعاب سطا عليها المومع والشوك ، ولم يبق في نباته منزل يستحق الذكر ، سوى بيت ياتيسنغا Pianisounga هذا الزعيم العربي الذي بقي أميناً للحكومة البلجيكية ، وحظي بمنابة الملك في قصر بروكسل . »

ثم في الصفحة ٢٧٤ من الكتاب ذكر المؤلف نهرا يتشعب من الكونغو ، ويمتد نحو ٣١٥ كيلو متر يمرض يتفاوت من ٢٠٠٠ الى ٦٠٠ متر ، وقال ان على جانبيه النري ، وان الاهالي هم من العرب والمستمرين ، والطريق من أماكن بعيدة . ووصف العرب بالنظافة والاتقان في العمل ، وقال ان المستمرين والسيد الذين يتخذونهم يشكون قري نظيفة تحيط بها مزارع ارز واسعة . ثم اطرى هؤلاء الاهالي في شدة انهماكهم بالنجارة .

وفي الصفحة ٢٩٠ ذكر قرية مستعمرة مدحها بنظافتها ، وبين الفرق العظيم بينها وبين القرى الاخرى التي يسكنها غير المستمرين ، وشاهد فيها سوقا مهمة تقام كل يوم من الصبح الى نحو الظهر في ساحة القرية ، ووصف الدكاكين التي فيها ، معروضة امامها اصناف البضائع ، وحوائث الخياطين وباعة الخزف والخوص وغير ذلك ، وقال ان المستمرين وجبوا بهم ترجيبا ودعواهم الى منازلهم ، فاجابوا على معلم كتاب امامه جماعة من الصبيان يلهمم النراكن .

وذكر ان سكان هذه القرية المستعمرة يبلغ عددهم الي رجل . وقال انه سأل المسيو دومولستر المندوب العام في الكونغو ، عن عدد المستمرين في الولاية الشرقية من الكونغو فقال له : لا أقدر أن اجزم بشيء ، ولكنني أظن انهم نحو مائتي الف . قال له : أفلا تراهم خطراً دائماً على المستعمرة ؟ فأجاب : كلا . لأنهم متفرقون ، ولأننا نحن نملك القوة اللازمة لنضع كل ثورة . ثم قال له :

« طائفا انهم هؤلاء العرب والمستعمرون تمها باطلة ، فلا أنكر انهم يحب علينا مراقبتهم واجبارهم على طاعة القوانين ، ولكن بما لا أنكره أيضا انهم عنصر جيد في البلاد ، لأنهم قوامون على الزراعة ، مدينون بطبيعتهم ، وعندهم ميل الى الجلس الابيض ، ونحن كل سنة نشترى منهم في جهات سناليفيل وبونتيارفيل وتوفاندو وكيروندو مقداراً مهما من الارز » اه .

(ش)



## سلطنة راج

معلوم انه كان رجل يقال له الزبير باشا حاكما من قبل الالة المصرية على بلاد بحر النزال من السودان ، فصرفته الحكومة المصرية من هناك رجل ايطالي الاصل ، اسمه فسي باشا ، واعتقل الزبير باشا بمصر . فثار ابنه سليمان انتقاما لابيّه ، فتمزق وقتل ، وتفرق الجماعة الذين كانوا حوله وحول أبيه ، ومنهم عبد الزبير اسمه راج ، انفرد بنفسه وتبعه كثير من الضباط الذين كانوا مع الزبير ، فعقد ثمانية ياروق كل يريق ١٢٠ رجلا الى ١٢٠ رجلا مسلحا . ووقع ذلك سنة ١٨٧٩ فباشر راج بهذه القوة غزواته الشهيرة ، ولفقه رهطة السلطان راج وهذا كان مبدء أمره .

وقد كتب كثير من الاوربيين على راج هذا ، من جمله صديقنا البارون ماكس أوبنهايم الألماني الذي هو من أشهر الرحلات الذين عرفوا الشرق وأعله ، فانه ألف كتابا اسمه Rabel und Tehadgebiete أي ، « راج وبلاد تشاد » ، جاء فيه بجزء هذا الرجل الاتفاق على وجهه ( ١٩٠٢ ) وكذلك كتاب جيتيل Gentil المسمى « سقوط سلطنة راج » ، المطبوع سنة ١٩٠٢ أيضا . وقد جاء ذكر راج في كتاب الدكتور دكورس Decorse طبيب الجلود في المستعمرات الفرنسية ، والمسيو دمومين Démonhynes أحد أساتذة مدرسة الشعيرات ، وأسم هذا الكتاب « راج وشرق الشاري » وألف المسيو دوجاري Dujarrie كتابا اسمه « حياة السلطان راج » وغير ذلك .

وأول ما بدأ راج بالعمل كان في « دارمانا » اذ منها غزا غزوة في دارفور ، ثم في وادي ، ثم وأصل غزواته في باطن السودان ، وجعل مركزه في بلاد شاري . ثم صعد في نهر شاري الى حفته الشمالية ، ثم نزل الى حفته الجنوبية وأقام مدة ببلد « كوني » وغزا بلاد « سومراي » وما زال من غزاة الى غزاة الى سنة ١٨٩٢ فأقام ببلدة « بوسو » على الشاري وجهز حلة على « الباقيرمي » ، فاستولى عليها . والتجأ سلطان الباقيرمي الى بلاد الشاري الاسفل ، ثم الى وادي ( ١٨٩٤ ) فوجه راج حينئذ عزمه الى بورنو واستولى على « كرتاك لوعيون » فأرسل اليه سلطان بورنو قوة يقودها محمد طاهر وملاكرهم ، فهزمهما راج وزحف راج فاصدا « كوكا » طاعة بورنو بطريق « نالة » فخرج هاشم سلطان بورنو لقتاله ، والتقى في أم « حبيس » فانكسر هاشم ودخل راج « كوكا » وجعل طالبها ساقط ثم اعتصم ببلدة اسمها « ديكوا » فقام بسلطنة بورنو أبوخاري عم السلطان هاشم ، وناوش راجا القتال . ثم انهى مقاومة راج زعيم ديني اسمه الشيخ أبو فتطورة ، فصار بينهما واقعة في « فاجيبو » الى الشرق من ديكوا ، ومع هذا فبقي راج سائدا ، وكان سلطان زيندر يدفع أتباعه لسلطان بورنو ، فلما استولى راج على بورنو ابى دنمها له ، فزحف فضل الله بن راج الى سلطان زيندر المذكور وقتله ولم يظفر منه بطائر .

وبينا الامور متسعة لراج وهو يفكر في تأسيس سلطنة عظيمة اذ زحف اليه الفرنسيون الذين هالهم مستقبل أمره ، فصدوا خضد شوكتهم قبل ان يستفعل شأنه ، فمضي ١٥ يونيو

( حزيران ) سنة ١٨٩٩ وصل الضابط بريثون Bretonnet الى كونو ، فهد اليه رايح بقوة صاعدا نحو شاري ، وما زال من بلد الى بلد حتى وصل الى كونو ، فلما علم الضابط الفرنسي بوصوله أخذ كونو واعتصر بهضاب عالية موافقة للدفاع من بلاد « نياليم » ، ولكن رايح استأصل تلك القوة الفرنسية بأسرها مع قوة « غارانت » سلطان البافيري ، الذي كان حليفاً للفرنسيين ، وذلك في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٩ .

وعاد رايح الى كونو فهاجمه الفرنسيين بقيادة جنرال في ٢٧ أكتوبر من السنة المذكورة ، فلم يقدروا على أخذ المدينة ، ولكنهم اضطروا بالبحا الى اخلائها من نفسه ، فالحاز رايح الى بلدة « ميانو » ثم قصد « لوغون » من جهة بحر الرقيق وعاد الى ديكوا ، فلم يبق بها الا شهرا ودفع بحشد جنوده في « كوسري » .

فرحفت اليه معا جنود البعثة الصحراوية ، وبعثة افريقية الوسطى ، وبعثة شاري ، تحت قيادة جولاند Jolland ومانييه Maynier وذلك في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ثم في السنة التالية أودع قائدين آخرين ، فورو Fourreau ولامي Lamy فجهاد فضل الله بن رايح ونلوش مانييه القتال ، وكانت قوة فضل الله متناهية بندقية . ثم بلغه ان لامي استولى على كوسري ، فرحف الى كوسري من الجنوب ثم اضطر ان يرجع الى لوغون . وجاء رايح بنفسه فخيم في « لحنة » وداوت وحشي الحرب فالتكسر رايح وقتل في ٢٢ ابريل ، ولكن وجاله قتلوا من الفرنسيين عددا كبيرا ، منهم القائد لامي نفسه ، وقائد آخر اسمه « كواته » ، وبلغ فضل الله خبر مقتل أبيه ، وهو في لوغون ، فأخلى هذه المدينة قاصدا ديكوا التي كان فيها اخوه « نياني » ، فقصدته الفرنسيين الى ديكوا فخرج منها بدون قتال ، فتمتقه الفرنسيين بقوة أدركته في ٢٠ ابريل سنة ١٩٠٠ في مكان يقال له « دغيبه » فسحرت الى الجنوب فصاروا وراءه الى محل يقال له « ايشبوية » فلم يغزوا منه بطائل ، ثم وقف فضل الله في بلدة تسمى « برغامه » وأخذ يحشد جنوده مراقبا حوادث بورنو .

وكان سلطان بورنو « عمر سائدا » يكره الفرنسيين فمزله هؤلاء ولولوا مكانه اخاه « غراي » فقصد فضل الله وناب عليه في واقعة « غاله » ففر الى جهة كانم ، فاشتد حزم فضل الله وكثر من ناب العداوة للفرنسيين وبعث الى قائد منهم اسمه « روييلو » بطالبه بالاسلاب اليه التي أخذوها من كوسري ، فأرسل روييلو الى فضل الله ثلاثة رسل يمرض عليه الملائكة فأمر فضل الله بقطع رقابهم ، فقصد روييلو بجيشه وهزمه ، فالتجأ فضل الله الى مستعمرة النيجر الانكليزية ثم رجع الى معسكره الاصلي في « برغامه » وهناك دخل في مفاوضات مع الانكليز وزاره الميجور « ماك كايبتونك » ، ثم بلغ فضل الله ان غراي عاد الى بورنو واستوى على مرشها ، فقصده وهزمه ودخل ديكوا . فرحف السكوتونال الفرنسي دستاقا الى ديكوا فوجد فضل الله قد برحها فأرسل في أثره قوة دمهت في « فوجيه » من أراضي المستعمرة الانكليزية فقتل فضل الله في المعركة ونشقت الذين معه ، ودخلوا الى بلاد « كيردي » التي أهلها وثنيون فقاتلهم بالسهم فاضطر نياني بن رايح أن يستسلم الى الفرنسيين . وهكذا انتهت سلطنة رايح وأولاده بعد أن لمعت سيوفهم لمعاناً هائلا في باطن افريقية . (ش)



## ﴿ تابع للسلام على مملكة واداي ودارفور وباقيري ﴾

### وبورنو وغيرها من ممالك اواسط افريقية

تقدم ماقلناه من تأسيس سلطنة واداي من رحلة الشريف ابن عمر النونسي ، وقد اطلعنا على رحلة لرجل انكليزي محفوظة عند السادة السنوسية ولم يصرح فيها باسم المؤلف فيها رواية ثانية وهي هذه ملخصة :

في السنة العشرين بعد الالف سقط عبد الكريم بن يامي حكومة « تينجر » الكافرة ، واسس حكومة واداي . وابنه خاروط الذي خلفه اسس مدينة « وارا » وجعلها عاصمة للمملكة المذكورة . وخلفه ابنه خريف الذي قتلته قبيلة « تاما » ثلاث سنين من ملكه . وخلف هذا اخوه الاصغر يعقوب مروس . وهذا هو الذي كان قاتل سلطان دارفور موسى بن سليمان وسليمان هذا هو أول سلطان مسلم على دارفور . وقد دارت الدائرة على يعقوب سلطان واداي وخلفه ابنه خاروط الثاني الذي استمر ملكه اربعين سنة بالراحة والسعادة . ثم خلفه ابنه جوده الملقب بخريف النيجان ، واللقب أيضاً بمحمد صولاي الذي معناه محمد المنجي ، لأنه نجى واداي من نير دارفور في عدة السلطان أبي القاسم سلطان دارفور وهذا هو السلطان السادس من سلاطين هذه المملكة . ثم ان محمد صولاي هذا استولى على كاتم ، انتزعها من يد سلطان بورنو ، وتولى اربعين سنة . وخلفه ابنه صالح الملقب « بدرية » ولم يكن محمود السيرة . وفي السنة الثامنة من حكمه ثار عليه ابنه عبد الكريم الملقب بصاوي ، فقتل الوالد وتولى الولد وكانت حكومته أكثر حكمة من جميع الحكومات التي مر بها واداي . فنشأت في أيامه واداي وطوتت الباقري وأراد أن يفتح طرقاً إلى الشمال إلى البحر الأبيض ، لكنه توفي سنة ١٢٣٠ تاركاً ستة أولاد من الذكور لعشر سنوات من ملكه . ووقع اختلاف بين أولاد صاوي وحروب ، انتهت بظفر حزب ولد يوسف . ثم في سنة ١٢٤٥ سنة بالظلم والقهر ثم قتل سنة ١٢٤٥ وخلفه ابنه واكب ، ذات تلك السنة . وجلس على كرسي الملك أحد أفراد البيت الثالث واسمه عبد العزيز بن راداما ، فتولى نحو خمس سنوات ونصف سنة وتوفي ، فتولى ولده الصغير آدم ثم في سنة واحدة ثم أخذ أسيراً إلى دارفور بطلب محمد صالح أخى السلطان عبد الكريم صاوي الذي استمد محمد فضل سلطان دارفور لاسترجاع ملكه . فجلس محمد صالح على كرسي واداي سنة ١٢٥٠ واحسن السياسة ، وفي سنة ١٢٦١ هاجم مملكة بورنو فلم يفر بطلان ثم ثار محمد بن محمد صالح بابه ونشبت حرب داخلية .

قال الرحالة الانكليزي نولما برح الناقل باقري ، قال سمع ان الابن غلب اياه وجلس مكانه فليس في هذه الرواية شيء من خبر انتساب سلاطين واداي الي بني العباس . وذكر هذا الرحالة فوائد كثيرة عن اواسط افريقية ، فلما كان في سياحته هناك أي منذ ثمانين سنة ، كان جيش دارفور عشرة آلاف فارس ، وكان في وسع واداي أن تجهز خمسة أو ستة آلاف من الجبال ، وكانت مملكة الباقري تقدر ان تجهز ثلاثة آلاف فارس ، هذا مع العرب الذين يقال لهم « شوا » ويقولون لهم « شيوا » .

قال : وعرب شيوا الذين في باقيرمي ، ينتسبون الى أولاد سلامه وبني حسن وأولاد موسى وأولاد علي وديناغره .

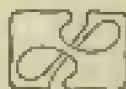
وذكر معلومات أخرى عن تأسيس مملكة دارفور والباقيرمي أو الإساجيرمي مآلها : أنه من السنة الثمانيئة الى الألف هجرة ، كانت أمة التيمنجر من الكفرة تلك جيم دارفور وواداي والباقيرمي ، ففي نحو السنة الألف غلب على دارفور الأمير المسمى كورد وأسس سلطنة دارفور وكان خلفه الثالث سليمان وهو أول من أسلم من ملوك دارفور ، ثم فاز عبد الكريم ابن يامي بسلطنة واداي . وأسست سلطنة الباقيرمي بعد واداي بمئتي سنة . وأول من ملكها من المسلمين السلطان عبد الله ، وخلفه ولده « وانجا » وخلفه وانجا « لاوني » وفي مدة لاوني اضطرت الباقيرمي ان تدفع اثاوة لسلطنة بورنو . ثم ملك السلطان بوغومانداني الباقيرمي ، ثم الحاج محمد الأمين ، وكان ملكه حليفاً للقبائل والمجيد . وخلفه ابنه عبد الرحمن فخلعه عبد الكريم صابون سلطان واداي ، وقهره وقبض عليه بطلب محمد الكافري شيخ بورنو من عبد الكريم ( الرحلة النوندي يذكر ان سبب غزو عبد الكريم صابون للباقيرمي هو سوء سيرة سلطان هذه البلاد وتعمديه في اتباع شرواته حتى انه تزوج بلخته مع نهي علماء الدين له باجمهم ) ووضع عبد الكريم على تخت الباقيرمي ابن السلطان المقتول وهو عبد الرحمن وكان صغيراً . فجاء أخوه الأكبر عثمان وسد عليه وجلس مكانه فبدأ سلطان واداي الى الباقيرمي وحارب عثمان وهرمه وأعاد الى السلطنة اسم الإصم . ولما حاد عبد الكريم الى بلاده ، ظهر عثمان وغلب أخاه وأغرقه في النهر وجلس على عرشه ثانية . ثم ثار به الأهالي فعضوه ، ونصبوا أخاً آخر له يسمى الحاج فالتجأ عثمان الى عدوه القديم سلطان واداي . فأطاعه عبد الكريم الى ملكه ولكنه ضرب عليه اثاوة أعظم مما كانت تؤدى الباقيرمي الى بورنو . فلما رأى التبع سلطان بورنو ان الباقيرمي لا تريد أن تكون تحت سلطة بورنو ، استعد يوسف باشا والي طرابلس لقتال الباقيرمي فأرسل اليه أمير فرسان مصطفي الأحمرو مع قوة سنة ١٢٢٣ ، ثم في سنة ١٢٤٠ كانت حرب انقلا الثانية ، ولم يوفق سلطان بورنو لتدوين الباقيرمي . ومات عثمان سنة ١٢٦٠ وخلفه ابنه عبد القادر الذي كان هو المجلس على عرش باقيرمي يوم حرر ذلك السائح رحلته وقال ان سكان باقيرمي يومئذ كانوا مليوناً ونصف مليون نسمة .

وذكر سياحته الى مملكة « لونغون » ومقايته لسلطانها ، ولكن بدون أن يشاهده وجهاً لوجه بل كان السلطان قاعداً وراء ستر من الخضر ، وكان يترجم بينهما ضابط بورنوي ، اسمه « كاشلامدي » كان ذهب الى هناك لقبض الاثاوة السنوية التي تدفعها لونغون الى بورنو . وبقي السلطان لونغون « مبار » ( بتشديد الباء ) قرض السائح الانكليزي السلطان المذكور ان الدولة الانكليزية كانت أرسلت ضابطاً مستمداً من قبلها وهو المسمى بالرئيس خليل ، لاجل تقديم النجدة لوالده « مبار صالح » ، وهي الآن سرشته هو لاجل تقديم النجدة لسلطانه السلطانية . فسر السلطان بذلك وكان اسم هذا السلطان مبار يوسف . وكانت مملكته تدفع اثاوة لبورنو والباقيرمي معاً . ويقول السائح الانكليزي ان مملكة لونغون كانت جديدة ولم يكن مضي على دخولها في الاسلام أكثر من ستين سنة ، يوم جاءها السائح . وقال ان فيها قبائل من العرب وذكر انه قاضي مدينة قارناني لونغون حاصدة لونغون قاصداً الباقيرمي ، ويبدو أن ذكر تفصيل



كثيرة من أحوال تلك البلدان، وصنائعها وزراعتها وغاباتها وأثمارها ومن عرف من رجالها، ذكر وجلا اسمه الحاج أبو بكر صادق من أهل الباقيرمي كان يحسن العربية، أنه سهل له أموره وساعده في شوائه كثيرة عرضت له، وفي دخول دماضه، طامسة الباقيرمي. وكان سلطان الباقيرمي يوم وصول السائح غالباً فتعرف فيها بثلاثة رجال أحدهم الحاج أحمد، أصله من الباقيرمي على ساحل البحر المحيط، كان يتجسس بين تليكنو والتوات ثم قصد المدينة المنورة، ومنها جاء إلى بر الشام وحضر حصار إبراهيم بننا ابن محمد على لكنا، ثم ذهب إلى بغداد والبصرة وأخيراً عاد إلى المدينة المنورة، وكان يجتهد في اللغة الفارسية لاجل أخذ عبيد الخدمة الحرم البيوي. والثاني هو المسمى بالفقيه سامبو من الفلانة، كان مكثوفاً، لكنه في غاية النباهة، قرأ في الأزهر وتبحر في الأدب والفلسفة، وكان قصد مدينة زيد في اليمن لدرس الحساب والجبر لاشتهار زيد بهذه العلوم، فحال دون وصوله إلى زيد ما كان من حروب الوهاية، فجاء إلى دارفور ومنها إلى وادي، واتصل بسلطانها عبد العزيز، ثم بعد موت هذا السلطان تحول إلى الباقيرمي. قال السائح الانكليزي ان فقيه سامبو كان يروي تاريخ الخلافة، ويحدث عن فظائعها من بغداد إلى الاندلس، ويعرف ذلك حق المعرفة. وأما الثالث، فكان رجلاً مصرياً اسمه سامان هو في غاية التهذيب، وقد عرف استانبول ومكة وغيرها من البلدان. قال، وأثناء إقامته بمأخضة احتبس المطر طويلاً، فتطير به الاهالي وقالوا ان قدوم هذا السائح الانكليزي هو السبب في امتناع النبت فقال لهم: ان هذا عيب عليكم لانكم مسلمون ولا يجوز ان تكون لكم افكار عبدة الاصنام. فقال له أحد رجال تلك الدولة: نعلم انه لا يحتبس المطر بسبب احد، ولكن نرغب اليك أن تشترك أنت مع الاهالي في الدعاء ب نزول النبت. ثم وردت إلى السائح كتب من الحكومة الانكليزية تشكره فيه على عمله، ومن سلطان بورنو يتمس منه الرجوع إليه. فوكت هذه الكتب في أيدي رجال الحكومة الباقيرية، فحصلت لهم فيه شبهة وأرادوا أن ينقلوه، وطلبوا منه كتاب الرحلة الذي كان بحوزته، وأحيات هذه الكتب والمنة إلى جماعة العلماء الذين هناك ومنهم للفقيه سامبو، فبعد البحث فيها قالوا للحكومة ليس في هذه المكاتبات شيء يوجب المذنب، وهذا الرجل إنما غاية العلم والاطلاع. وبعد ذلك أمكنت السائح مقابلة السلطان عبيد القادر صاحب الباقيرمي، فقال السلطان: ان الدولة الانكليزية هي متفقة مع سلطان استانبول، ومن هنا يظهر انه طالما تقرب الانكليز إلى ملوك الاسلام، حتى في السودان، يدعو الاتفاق مع سلطان استانبول . . . .

(ش)



## شرقي افريقية

من البلاد الاسلامية الممدودة في افريقية ، بلاد سواحل زنجبار والصومال والغال Gallas والقدم الاسلامي من الحبشة ، ولما كان هذا الذي يرمي اليه في هذه التعليقات ليس التعريف بجميع بلدان الاسلام وشؤون الاسلام ، بل التعريف بما نأى من البلاد ونمض من الشؤون ونغني من الاخبار ، مع ترك الحقائق المشهورة والنوارج التي يعرفها الخاص والعام ، رأينا ان نقول كلمة عن هذه البلاد .

لا يخفى ان سياسة « المناطق » هي الصنعة الاولى من الاستعمار ، ولا يوجد شيء أشد خطرا على الممالك المستقلة من تعيين الدول العظمى « المناطق » ، التي يتفقن على إعطائهم لكل منهن ، فقد تكون إحدى من الجوامع ، وقد تخرج الى الحروب العظمى . وما أخذت فرنسا مراكش الا قابلة لاخذ انكسار مصر ، وما دخلت ايطالية طرابلس الا مقابلة لاخذ تونك الدولتين مراكش ومصر . وما شبت حرب البلقان الا على أثر الفارطة الايطالية على طرابلس وذلك ان دول البلقان الصغيرة لما رأيت ايطالية قد استباححت حتى الدولة العثمانية بدون أدنى مخرج ، وخلافا للمعاهدات الدولية ، أباحت هي لنفسها ما أباحت غيرها لنفسه ، فكانت الحرب البلقانية التي هي بلا مراد أم الحرب العامة . فانت ترى ما ولده جشع الدول الكبرى وما نشأ من تفسيات فرنسا وانكسار في افريقية بموجب عقد سنة ١٩٠٢ ، ولندكر لك الآن خلاصة استيلاء الالماني على مستعمرة شرقي افريقية ، وفضاءهم على سلطنة تلك البلاد التي كانت لأرب فتقول :

كان يشارك يكره الاستعمار ويندب الى كون المانية يجب ان تكفي باستثمار داخل بلادها ، وتغني في طريق ترقيا الصناعي الذي فاقته فيه جميع الأمم ، وكان يتجنب مشكلات الاستعمار التي هي مفاتيح للحروب والمصائب ، ولكن جميع الالماني الذين كانوا يسبحون في البلدان الشرقية ، ويردون أعلام فرنسا وانكسار وهولاندة خافقة على بلاد السود والخر والعفر ، لم يكونوا يرون رأي يشارك ، بل كانت تأخذهم الفيرة من تسلط هانيك الدول وراء البحار مع انكماش المانية في داخل بلادها . مع انه كما قال الشاعر :

فلا كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في جمع

ثم لما انشمت تجارة المانية وارتفعت صناعتها هذا الارتقاء المائل ، لم نشأ الشركات الالمانية أن تبقى في استغلال المواد الخام عالة على تجار الممالك الاخر ، بل احبت أن تكون لها مستعمرات هي أيضا تأخذ منها ما يحتاج اليه رأسا ، وما زال الالماني يشارك حتى ازلوه الى ميدان الاستعمار .

وأول شركة تجارية المانية حاولت التملك في افريقية هي شركة فرمن Wörmann النيلية ، كانت لها مصانع عظيمة في سواحل افريقية الغربية ، فزادت عام ١٨٨٢ أن تملك لنفسها مرسى على تلك السواحل ، وسنة ١٨٨٣ ابلغ سفير المانية في لندن حكومة بريطانيا العظمى ، ان الاراضي التي لا يكون عليها دعوى من انكسار أو دولة أخرى ، تحفظ المانية



نفسها حتى وضع اليد عليها ، وفي ٢٤ أبريل سنة ١٨٨٤ ابليت المانية انكثرة أن الاراضي التي تملكها الالمان داخل مرسى « انفرايكينا » وشمالي نهر الاورالنج بموجب صكوك بينهم وبين بعض زعماء الهونتتوه هذه ، قد صارت تحت الحماية الالمانية . وأبدت حكومة مستعمرة الكاب معارضة لهذا التملك الالمانى في تلك الناحية ، فأرسل بشارك بارجيتين حرييتين سلطنا الالمان هاتيك الاراضي بالقرعة .

وفي تلك الاثناء كانت فرنسا قد اتفقت مع انكثرة على اقتسام البلدان الواقعة شمالي سيرالون ، وانكثرة اتفقت مع البرتغال على اقتسام مستعمرات جنوبي افريقية ، فاشتدت حركة الثيرة في المانية ، وسنة ١٨٨٣ اشترت شركة فرمن السالفة الذكر أرض مالبا Malimba في الكامرون ، وسنة ١٨٨٤ اتفقت بعض زعماء بلاد توفو بأغراء تجار الالمان حماية الامبراطورية الالمانية ، ومنذ ذلك الوقت تأسست مستعمرة الكامرون واضطرت انكثرة وفرنسا ان يحددا حدود مستعمراتهما بينهما وبين المانية ، التي صارت مالكة الكامرون والتوغو ، وتم ذلك سنة ١٨٨٥ و ١٨٨٦ .

ولم يقتصر الالمان على منافسة الانكليز والفرنسيين في غربي افريقية بل تباعوا في شرقي هذه القارة ، فاشترت « شركة الاستعمار الالمانى » سنة ١٨٨٤ اراضى واسعة في بلاد فيتو Witu ، واتفقت مع سلطان فيتو على ان يعترف بحمايتها الاراضي المذكورة . فاحتج سلطان زنجبار على عمل سلطان فيتو وزعم أنه لا يملك حق النزول للالمان عن شىء ، وسرح جنودا الى هاتيك الارواح لحفظ حقوق سيادته عليها . وكان سلطان زنجبار يدهمى حق السلطنة على جميع البلاد المستدة من راس دلتادو Cap Delgado جنوبا ، الى قارشيج Warscheich شمالا ، والتي تمتد من البحر الى البحيرات الكبرى في داخل القارة .

فالالمان غاثوا من الانكليز الاعتراف بمسعة عملهم ، في اتفاق مؤرخ في ٣٠ مايو سنة ١٨٨٥ ، وفي ٧ أغسطس من تلك السنة جاءت خمس بوارج حرية المانية ، وهددت سلطان زنجبار في طاعته بجزيرة زنجبار . فانهى الخلاف بمقد معاهدة بين السلطان والالمان ، على ان تنق من المكوس جميع البضائع والتاجر المشحونة الى بلاد الالمان ، وجعلت فرضة دار السلام على الساحل الافريقى في يد المانية . وتأسست مستعمرة شرق افريقية الالمانية ، وتبذلت لجنة المانية مختلطة بانكليز وفرنسيين لتحديد حدود هذه المستعمرة .

وسنة ١٨٨٦ تم تعيين الحدود ، فخرج في نصيب سلطان زنجبار جزر زنجبار ومبا ولامهه Lamee ومافيا Mafia ، وعشرة أميال بحرية من المرض على طول سيف البحر الممتد من مصب نهر اليففاني في جون زوانشي Zuanhi الى كيبيني Kipini ، مع بلاد كيساناجو Kismaju وبأرافا Barawa ومركا Merka ومقديشو Makulischu وقارشيج . وتعين لسلطان فيتو البلاد التي تمتد من كيبيني الى شمالي جون ماندا Manda .

وكان حد المستعمرة الالمانية من الجنوب نهر روفوما Rovuma ومن الشمال خط يمتد من مصب نهر اللانغا wanga الى بحيرة جيب Jipe ومن هناك في وسط اراضى زانزا Zavara ودشفا Dechagga الى المصب الشرقى من « الكاهانجارو » حتى بحيرة فكتور رانياثرا وتمددت المانية بان لا تمتد شمالي هذا الخط ، وانكثرة بان لا تمتد جنوبيه . وأما البلاد التي في

الشمال الى زانا Zana ومنها الى معارضة الدرجة ١ من العرض الشمالي مع الدرجة ٣٧ من الطول الشرقي ، فجعلت منطقة نفوذ انكليزية ، وانضقت دولاً انكليزية والمانيه على اقطاع سلطان زنجبار بقول معاهدة الكونغو ، كما ان المانية وضبت بالامضاء الاتفاق الانكليزي الفرنسي ، المتعلق بتأم استقلال زنجبار . وفي ٤ ديسمبر سنة ١٨٨٦ امضى سلطان زنجبار هذا الاتفاق الذي اقصته فرنسا أيضاً . وفي ١٠ ديسمبر وضبت البرتغال أن يكون نهر روغو ماحداً بينها وبين المستعمرة الالمانية واسكن الالمان اتبعوا خطة غيرهم في التوسيع ، فاضطرت انكليز ان تذكر المانية بكون معاهدة سنة ١٨٦٢ الانكليزية الفرنسية تضمن استقلال سلطنة زنجبار ليس الجزر فقط ، بل السواحل التي تنالها . فادعت المانية أن كلام من سلطان زنجبار وسلطان فينو طائر من توطيد الامن والنظام في أرضه ، وأرادت ارسال حملة عسكرية بحجة الغاء الرقيق وتنظيم البلاد . ولما كان يساءل بكدهاته لا يريد ان يجد مصلحة سياسية بينه وبين دولة عظيمة كالانكليز لا اجل مستعمرة ، فقد اختار طريقة اخرى وهو ان يشتري سكوت انكليز بعض المباحات ، فاعترف في ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٩ بان المانيا تعتبر الاوغانده ووادلاي والاراضي الواقعة شمالي الدرجة الواحدة من العرض الجنوبي خارجة عن دائرة المل الالمان .

وفي هذه كبريفي حدثت المانية مع انكليز اتفاقاً تنزل فيه هذه عن جزيرة هليجولاند التي في البحر الشمالي ، بمقابل تخلي المانية لانكليز عن حماية سلطنة فينو وساحل الصومالي ، وصار لانكليز بموجب هذا الاتفاق حق السيطرة على سلطنة زنجبار . مع جزر عبا والاراضي التابعة لفينو ، وأزل سلطان زنجبار لالمانية من جزيرة مافيا ومايقايلها . وذهبت سلطنة فينو باستيلاء انكليز عليها ، وهكذا تمزقت هذه السلطنة العربية كل ممزق بانفاق انكليز مع المانية ، وهو الذي نقصت بموجبه جيش هانيك العمود السالف . وكان ينبغي للعرب الذين اغتروا بمواعيد انكليز لهم في أثناء الحرب العامة ، أن يظفروا على ما جريات هذه الدولة ومعاهداتها مع حرب آخرين مثلهم ، فربما كان لهم بذلك عبرة يتنبهون بها . . .

ولم تقبل فرنسا ان تصدق هذه المواقفات الانكليزية الالمانية الا ببذل ، هو اعتراف انكليز بحماية فرنسا لماداغسكار .

وببلغ مساحة للمستعمرة الالمانية المسماة بمستعمرة شرقي افريقية ٩٩٥٠٠٠ كيلومتر وعدد سكانها سبعة ملايين وخمسمائة واحد عشر الف نسمة ، من أصلها ثلاثة ملايين من امم البانتو والوامبي والمانيقي والفاوما والماساي . وهم سكان البلاد الاصليون ، ومن بقي فهم جنس اسمه السواحلي ، متولد من اختلاط العرب والزنج . ثم ولأول مرة ثلاثون مليون ونصف مليون هذا بحسب تقويم السيو براديه Pradier ناموس مجلس الامة الفرنسي في كتابه المسمى « بالمستعمرات الالمانية وقيمته » المطبوع في سنة ١٩١٩ ، ويقول المؤلف المذكور ان في هذه المستعمرة خمسة آلاف عربي ، ونحو عشرة آلاف هندي ، ونحو ٣٠٠ اوري أكثرهم مالاي . وهذه البلاد من أوفر بلاد الله محاصيل وغلات ، وفيها مبادن كثيرة ، وقبل الحرب بقليل صدر منها الى المانية ١٢ الف بالة فطن ، ونصف مليون كيلومتر من اطن ، وأطال الكتاب .

وقد ورد في كتاب « السلطنة الاستعمارية الالمانية » ما يأتي ملخصاً :

« ان البرتغاليين لما جاءوا الى هذه البلاد في أواخر القرن الخامس عشر ، وجدوا فيها كثيراً



من التجار الهنود والصينيين ، ولكن هؤلاء لم يتركوا أدنى أثر من مدنياتهم بين الاعالي السود حتى ان ما يوجد من الحرف الصيني بهذه البلاد انما وجد بواسطة العرب والفرس .

يقول المؤرخ بطولميوس ان العرب في النصف الثاني من القرن الاول للمسيح ، كانوا يداؤوا يتجرون مع شرقي افريقية بالمح واللبان والعبيد ويصلون الى حدود النوبة اميتي . اما بعد ظهور الاسلام فازدادت هذه التجارة في شرقي افريقية ازدياداً عظيماً حتى انقلت في نحو القرن الثامن للمسيح استعماراً حقيقياً . وتأسست في أوائل القرن الماشر « مقدشو » و « باراكا » وفي السنة ٩٧٥ جاء فرس من شيراز واسسوا « كينفا » وتوغلوا في السواحل الى « مونييا » طالبين الذهب ، وانتشروا على طول الساحل الشرقي ووصلوا الى « مقدشو » و « باراكا » و « مونييا » وتوغلوا في زنجبار وعمما عند دار السلام الحالية و « مانيا » وغيرها . ووجدت امارات فارسية صغيرة بين الامارات العربية . ولما ورد البرتغاليون تلك البلاد ، وجدوا فيها المدينة الاسلامية مؤسسة مؤثرة . ولم يقتصر هؤلاء العرب والفرس على التجارة في أعمالهم هناك ، بل اشتغلوا بالزراعة وعلموا غيرهم ، وقرسوا شجر الكوكو وعدداً لا يحصى من أشجار جزيرة العرب و « فارس » مثل المانجو والمان والارج وقصب السكر وادخلوا زراعة القطن والسمسم الهندي والبهارات الهندية والارز واتوا بكثير من حيوانات بلدانهم . وبنيت المدينة الاسلامية قروناً طويلة في هذه السواحل ، لكنها في القرن التاسع عشر ادخلها العرب الى الداخل . على ان البرتغال ، كانوا قد حضروا حداثاً للدور الاول من مدينة العرب عندما احتلوا زنجبار سنة ١٥٠٣ ، و « باراكا » سنة ١٥٠٤ وكينفا سنة ١٥٠٥ ، و « مونييا » في السنة نفسها . وكان مقصدهم بهذا الاحتلال تأسيس قواعد تجارية لبلدانهم التي تأتي من الهند ، ووضع اليد على معادن الذهب في « سوغالا » وبقي البرتغال هم السادة في تلك السواحل الى اواسط القرن السابع عشر اذ قاتلهم عرب عمان قتالاً شديداً ، بدأوا به في سواحل عمان نفسها سنة ١٧٥٠ ، فلما جلوهم من هناك هاجوهم في مستعمراتهم بالهند وفي شرقي افريقية ، وفتحوا زنجبار و « مانيا » و « مونييا » في اواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر . ثم ان حروباً داخلية في عمان حلت السلطان سعيداً على كرسيه الى زنجبار ، ثم صار واحد سلطاناً لشرقي افريقية ، وبقي السلطان تونجي على كرسي مسقط . وهذا في نحو سنة ١٨٥٦ ، ثم توفي ماخذ وحلقه أخوه برغش . وفي أيام هذا السلطان بدأت الحوادث ، التي انتهت بتقسيم هذه السلطنة العربية . وبالجملة فالسلطنة العمانية العربية ، التي استمرت من آخر القرن السابع عشر الى آخر القرن التاسع عشر ، قد تمكنت من التوغل في داخل افريقية اكثر من جميع الدول التي قبلها ولم يكن السبب في ذلك هو للتجارة لحطب ، بل الزراعة التي كان العرب يستعملون لها العملة من داخل البلاد . وازدادت تجارة الرقيق بازدياد الفرس ونمو الزراعة في السواحل ، واسس العرب في البلاد الداخلية في قسم النجاشي Unjamwesi المدينة المسماة « طابور » و « اودجيدشي » وغيرها ، ووصلوا الى الكونغو الاعلى واسسوا فيها مدناً وقرى ، وكانت لهم هناك جنود مسلحة لحماية قوافلهم ولا جرم ان العرب بمحضارهم كانوا يبيعون الامم الزنجية للسوداء . ولما لبثت تجارة الرقيق في زمان السلطان برغش سنة ١٨٧٣ ساءت حالة الزراعة في السواحل وتممهرت البلاد الى الوراء بسبب ندرة العملة . اه .

ثم ذكر مؤلف كتاب « الساطنة الاستعمارية الالمانية » تاريخ بسط انكفرت ولمانية  
جانيهما على سلطنة زنجبار وملحقتهما مما لا يخرج عما تقدم ، ولكنهم قالوا : انه في ٨ ابريل  
سنة ١٨٨٨ استأجرت الشركة الالمانية الاستعمارية من سلطان زنجبار مكوس السواحل كلها  
فلما ارادت وضع اليد عليها نار العرب مع من معهم من الزنوج ثورة عظيمة لاسيما مع كراعيهم  
من قبيل لجنس الاوروبي ، وكان مقدم هذه الثورة الشيخ ابو شيري . وسنة ١٨٩٠ في  
الثلاثين من يناير ( كانون الثاني ) أصدر المجلس الالمانى ( الرايخس تاغ ) قراراً بشجيت جيش  
من السود واتحاد نار الثورة ، وعين المرفيزمان قائدا عسكرياً وواليا ، وكانت حرب شديدة  
صعبة للراس ، لانه كان لا بد من ايجاد كل شيء من الدم ، ولكن هذا الجيش بمساعدة  
الاسطول تمكن من فتح البلاد .

ثم جاء في هذا الكتاب ذكر أهالى البلاد ، فقبل انهم حرب وعجم وهنود وكوموروزنوج  
والامة التي يقال لها السواحليون ، وهم من أصل يقال له فانغانا Wangvona اختلطوا مع  
العرب من الف سنة ، واختلطوا مع السود سكان الداخل ومع سائر الاجناس حتى الاجناس  
البيضاء . وهم يزعمون كونهم من أصل شيرازي ، وصورهم جيدة ، وثقافتهم لطيفة ، وهم  
أهل نظافة ينظفون أسنانهم وينظفون دائماً ولا يستعملون الوشم مثل الزنوج ويختفون لأنهم  
مسجون . ومن عاداتهم لبس الأبيض ، ويجعلون على رؤسهم كفة بيضاء أللم يلبسوا الطربوش  
الاخر . ولكنهم الى اليوم لا يلبسون البنطلون . وناؤهم لا يتقون ، ولكنهم يأترون  
بشيء اسمه ( الشنة ) ينظفون به الجسم ويجعلون على الاكتاف شيئاً اسمه ( كسونو ) وهم اجمالاً  
سواء منهم سكان المدن أو القرى ، لا يشبهون في شيء سكان الداخل من الزنوج ، بل عندهم  
ادب وكياسة ، ومن صفاتهم حسن المماشرة ، وقرب الالة ، وسرعة العاطفة والبر والاهل والحنو  
على الاولاد ومحبة السكنى بعضهم يقرب بعض ، ومنازلهم بقاية النظافة بل الشوارع التي بين  
بيوتهم نظيفة ، ويدنون بيوتهم صفراً ويغرسون أمامها صفراً من الاشجار الكبيرة مثل الكوكو  
والناداريد ، وأبنائهم وجد السواحلي اعني غرس الشجر . وأكثرت شغل الما قول يقوم به نساؤهم  
واما الرجال فيصطادون السمك أو ينحرون بالبيضاء أو يحملون الاثقال . وبلا جمل فلا تعد  
هذه الامة بين الامم الموصوفة بالشجاعة ، لكن بين الامم الموصوفة بالوداعة . ويقال ان عندهم  
شيئاً من الكذب والكسل ، وان عندهم ميلا عظيماً الى الطرب ، يحبون الزين والذئابة ، ويمزفون  
بالطبول والطاير ، ويمضون أوقاتهم بالسرد . ولغة السواحليين اكثر لغات تلك البلاد  
انتشاراً يقال لها « كيسواحلي » Kisuaheli واتفق هذه اللغةما بشكلم به في بلد ( لامو ) ويسمى  
( كينغوزي ) وهو مجتمعة لغة تريف أو سعد بن بكر في العربية . وأردأ السواحلي ما يتكلمون به  
في جزيرة زنجبار ، لانه خليط من العربي والفارسي والاوردو والانكليزي والبرتغالي ، وبعد  
الاحتلال الالمانى دخل فيه الالمانى أيضاً . وليس لغة السواحلية كتابة ولا آداب وكانوا يكتبون  
بالحروف العربية ، وصاروا اليوم يكتبون كثيراً بالالمانى والانكليزي ، واللغة المذكورة غنية  
بالكلمات الدالة على العواطف والممانى المجردة . ويوجد في لغتهم خاصة لا توجد في غيرها ،  
وهي ان بعض الكلمات يتغير معناها بتغير كيفية لفظها ، كان تعد الحرف او نقصه او ترفع  
صوتك عند اللفظ أو تخفضه .



أما شعب جزائر الكومور أو السمرقاسمهم ( الفاسينا ) أجسامهم حسنة التركيب وعقولهم جيدة ، ولكن أخلاقهم غير جيدة ، ويسبب لبقوتهم وفكائهم يستخدمهم الاوربيون في البيوت حشما وفي السفن نواتية .

أما السوماليون فكانوا يأتون الى هذه السواحل للتجارة ثم استغفروا بها ، وهم طوال الزمانات مع دقة في المضلات .

وأما العربي العماني الذليل ، فقد بدأ يقل وجوده هناك ( وبالأسف ) ! وكانت له هيئة جميلة جدا في زخيمار وتلك السواحل ، وكانت على العربي سماء الشرف والسرادة ، حتى الى ما بعد سقوط سلطنة العرب هناك وانقضاء دورهم السياسي والتجاري . فلم يزل الباقر منهم يعيشون معيشة لا تلبس بحفوفين بالحشم والبييد ولا يعملون بأيديهم . وهم ينظرون الهنود في التجارة . وكانت منهم بيوتات غنية كثيرة ، هوت في الفقر بسقوط دولة العرب السياسية ولكنها بقيت حافظا لقرها وكرامتها ، لأن العرب في تلك البلاد هم اشراف البلاد ، لا يشتغلون بأيديهم أبنا وجدوا . ويرتدون ملابس هينة منها ما يسدونه النفطان ، جوخ أسود مطرز مفتوح من الامام تحته قيمس أبيض مطويل يسدى كازو ثم نطاق واسع يحملون من فوقه خنجرا محلى بالفضة ، وهم طوال القامات ، رشاق الندود ، سدر الألوان ظاهرو الرصانة تجد حركاتهم كلها موزونة بدون تلقى بل بشيء من الانقباض ، ويوجد صنف آخر من العرب اسمه « شجري » نسبة الى الشعر من جهات حضرموت ، فهذا الصنف ليس من النظم الاول لانهم فقراء يتجرون بالسجاد والزيت ، وليسوا ممن يتدرون على مزاجحة الهنود في التجارة .

وفي سواحل زنجبار اناس من البلوج ، وهم فقراء ، قليلو العدد . واناس من الفرس الباقين على حداثة النار ، يعرف الانسان بمجرد رؤيتهم انهم من الجنس الآري ، ويلبسون مثل الاوربيين تقريبا ، ويحملون على رؤوسهم قبعات مخروطية الشكل وهم تجار ، ومنهم حمامون صفار لدى الحاكم .

وأكثر الغريباء في تلك السواحل هم الهنود ، وهم قسما المسلمون والوثنيون ، فالمسلمون اكثرهم من طائفة « الخوجه » ( قسم من الاسماعيلية ) وهم تجار وصناع ، منهم صاغة ، ومنهم خياطون وحذامون وقصارون ، ومنى ترى الخوجه عاد الى وطنه . وأما الوثنيون فغراممة وبوذيون ، وكانهم يعممون كالعرب لكن بعمائم مطرزة بالذهب ، ويستحضرون نسائهم الى تلك البلاد ، ومن جيلات يتعاقب بالجواهر الكريمة ، ولكن داخل منازلهم قدر لا يعرفون النظافة ، حتى ان الشوارع التي امام منازلهم تغلب عليها القذارة . ومن الهنود صنف اسمهم البنجان ، ضفء لا يأكلون لحوم الحيوانات ، ولا طعام لهم الا من النباتات ، ولا يقدرون ان يقرجوا سائر الامم ، ولا يأتون بلالاتهم من الهند . وبالاختصار فانهم مثقلون تحت الشكالف الدينية ، ومنذ مدة بدأ الهنود يدخلون الى الداخل ويوغلون في البلاد ، فازداد عددهم في « مورونغورو » و « كيلوسا » و « ايريندا » و « طايرة » و « مواز » و « يوكويا » واجتمع منهم طرء كثيرين .

وهناك صنف اسمهم « النواز » نسبة الى « غوا » بلدة من الهند تولاهما البرتغاليون مدة طويلة ، فاختلطوا بالاهاالي وناسلوا وجاء منهم هذا الصنف ، ويسدون انفسهم باسماء

برتقالية مثل « دوسيلفا » و « دوسوزا » وما أشبه ذلك ، وهم يشتغلون بالتجارة والحياطة والطبخ وخدمة الفنادق .

وفي تلك السواحل عدة آلاف من الآفي ، ثم عدة مئات من الانكليز ، ثم جامعات من الهولانديين والفرنسيين والسويسريين واليطاليين ، وهناك أروام وسوريون ويقال لهم « الاوريون المتوحشون » وهؤلاء يشتغلون بالزراعة والتجارة والصناعة ، وبأيديهم الفنادق ، وهم في غاية الجود والنشاط وقد تملكوا الاملاك ، فتي الثلاثمائة رجل منهم ، ١٠ رجلا متسلكون ، اهل ملخصا وقد آلت مستعمرة شرقي افريقية الالمانية الي مستعمرات انكلترة بموجب معاهدة فرساي .

( ش )

## مسلمو الحبشة

أما الحبشة بلاد من شرقي افريقية يحدها من الشمال النوبة والبحر الاحمر ومن الشرق بلاد النجايل والصومال ومن الجنوب بلاد الناله ومن الغرب السودان المصري وهي بلاد جبلية مرتفعة متوسط ارتفاعها ٢٠٠٠ متر وفيها قن يبلغ طولها نحو ٤٦٠٠ متر كاتي في جبل « ابا » في الشمال واخرى يبلغ طولها ٤١٢٠ كاتي في جبل « غونة » في الجنوب ويوجد التاج على قن الجبال المتناهية في الارتفاع شتاء . وأما الهواء فهو حار في النسم الأدنى الذي هو دون ارتفاع ١٥٠٠ متر ومعتدل في الاماكن التي ارتفاعها يقع بين ١٥٠٠ متر و ٢٧٠٠ متر وبارد فيما هو أعلى من ذلك . وفي أراضيها الحديد والذهب والصخر وفيها زراعات متنوعة ولكن اعتماد أهلها على الموائج . وفي جنوبي الحبشة بحيرة « تانا » التي يخرج منها بحر الازرق والى الشمال من هناك يخرج نهر العظيمة الذي مصبه في النيل وارب الذي لا ينفذ من صحاري بلاد النوبة . والاحباش اجناس مختلفة منها من السلالة السامية ومنها من الهل ومنها من الرنج وهم يفرقون عن الجنس الزنجي بالرسم من شدة سوادهم . وبين اقلية العربية والقلية الحبشية تشابه بقى تكون لغة الحبشية هي من اللغات السامية . وبلاد الحبشة ثلاثة اقسام قى الشمال بلاد « التيناري أو التيجري » ومدينتها عدوة واكسوم . وفي الوسط « الآبار » وحاصمتها غندار وفي الجنوب « الشوا » ومدينتها آنكوبر . والى ولاية الشوا هذه اصبحت بلاد حرر التي أخذها الاحباش من يد امراءها المسلمين سنة ١٨٨٧ .

وبلا الحبشة من قديم الزمان هي في منازعات وحروب دائمة منها ما هو بين الاحباش النصارى والاحباش المسلمين ومنها ما هو بين رؤوس الاحباش بعضهم مع بعض . وفي سنة ١٨٥٥ تفرغ على عرش الحبشة قائد اسمه كاساي بعد ان قهر جميع أفران وتزوج ملكا للملك الحبشة باسم تيودوروس الثالث الا ان خاشن في معاملته دولة انكلترة فسأقت عليه حلة قهرته فانتحرت سنة ١٨٦٨ فعلقه في السلاطة أمير النيجري وتلقب يوحنا . وحصلت بينه وبين المصريين حرب كانت الطائفة له فيها آخر مرة مكث الحديوي اسماعيل عن قتاله . ثم خلفه نجاشي آخر اصيه يوحنا في أيامه دبت دولة ايطالية الي هناك تبني الاستعمار فصادمها بقوة



الا ان السودانيين جماعة المهدي تفادوا عليه وقتلوه . فخلقه منليك ملك شوا وصالح الطليان وامتد هؤلاء في الاريترة واطراف التيفري لولا ان الحلاف وقع بينهم سنة ١٨٩٥ فانتهى بواقعة « عدوه » الشهيرة التي انتهزم فيها الطليان هزيمة شنيعة عدلوا من بعدها عن استعمار الحبشة واكتفوا بالاريترة .

أما عدد أهالي الحبشة بجزائيات الاوربيين بحصيه خمسة ملايين . وهو من باب التامة والتغاييد لاقوال قديمة العهد إذ مما لا شك فيه أن امة الحبشة اليوم فيها أكثر من ثمانية ملايين وقد ورد في جريدة الطن عددها المؤرخ في ١٧ مايو سنة ١٩٢٤ فصل عقده بمناخبة الرأس تغاري كافل ملك الحبشة لهذا العهد وزيارته لباريز جاء فيه ما يأتي :

« ان الحبشة مساحتها نحو ٦٠٠ ألف كيلو متر مربع وأهلها نحو ٧ ملايين الى ٨ ملايين منهم ثلاثة ملايين ونصف مليون نصاري ( على مذبح الكنيسة البسيطة ) وثلاثة ملايين مسلمون داخلا في هذا العدد البلاد الإسلامية التي اطاعت مؤخرًا . ومايون ونصف مليون وثييون ونصف مليون يهود وبعض قنوليك وبرونسانت .

« ان البلاد الواقعة في شرقي افريقية المسماة بالحبشة هي أشبه بقارة طبيعية كبرى شواطئها مطلة على سبغ البحر الاحمر وبلاد الصومال الفرنسي والصومال الانكليزي والاريترة الابيطالية وارض النوبة والسودان المصري ، ولا يدخل الى هذه القارة الا من منافذ ضيقة تحميها قبائل طائفة .

« أما ملك الحبشة الحديثة فينتهي الى زعيم وصل بتزواته وحروبه الى ان أخذ تاج الحبشة وتلقب ببيدودروس الثالث ثم قلبه الانكليز سنة ١٨٦٨ فانتصر في مقدله وخلعه أمير آخر نذى على الملك وتلقب بالنجاشي الاكبر أي ملك ملوك الحبشة . واسمه يوهانس وكان في زمانه حاكم ولاية شوا واسمه ( ساها لا ماريم ) قد حارب يوهانس هذا وهائده ثم صاعده وانتهى الامر بأنه خلفه على العرش باسم منليك الثاني وذلك لانه ادعى كونه من ذرية سابان بن داود الذي عشق الملك سبا وجاء منها ولد اسمه منليك فان هو النجاشي الاول . ولابيل توطيد وشابنج الملك أصطلي منليك ابنته ( زاوديتو ) الى ابن يوهانس فأت هذا بدون ذرية ولم يكن لمليك أولاد ذكور وانما كانت له ابنة ثاية ( شوارفاد ) زوجها من أمير مسلم كان حاربه وتلقب عليه ثم تنصر على يده . وهو المسمى بالراس ميكائيل . وولد له من ابنته هذه ولد اسمه ( لييج ياسو ) فجعله ولي هذه فلم يرق ذلك الامبراطورة ( تايتو ) ولا الامالي ولكن توج بالرغم من ذلك ياسو امبراطورا سنة ١٩١٤ وتسمى أبوه الراس ميكائيل ملكا على ( مولو ) و ( التيفري ) والنايب العام للمملكة . وكان مولد الامبراطور الفتى سنة ١٨٩٧ فظهرت منه أفعال شاذة اغضبت الاهالي واشتد الغضب عند ما أظهر الاسلام راجعا الى دين أهله فاجتمع الاساقفة والامراء وعظماء الملكة وعقدوا مجمعا خلافا فيه ياسو وبايعوا زاوديتو ابنة منليك امبراطورة وجعلوا الراس تاملاري قائما للمملكة ووليا للعهد ( ٢٧ سبتمبر ١٩١٦ ) وكان الراس تغاري متزوجا بابنة الراس ميكائيل اخت ياسو فعزله ياسو من ولاية هرر فزحف على رأس العساكر الحبشية لقتاله حية وابن حية فكانت حربا ضروسا طالت واشتدت ولكنها انتهت بتغلب تغاري على حية وجي يهدا مصفدا بالمهدي الى ادبي بابا

بعد ان دارت عليه الدائرة في وقعة « ديرة برعام » ( ٢٧ أكتوبر ١٩١٦ ) وفي ٢ نوفمبر استمرضت الاميرة اوردو الجيوش وحجى بالراس ميكائيل أيضا مقيدا بالسلاسل امام العرش الامبراطوري فقال ان صهره وغالبه الراس تافاري رقى لحاله وتذكر ما بينهما من الرحم فقام وأجلس مكانه . أما ياسو فبعد مقاتلات شديدة أيضا اخذ أسيرا وحبس في قلعة واستوفت الامور للراس تافاري انتهى .

فقد ظهر لك ان الحبشة هم مسلمون ونصارى وان المركز الاول في هذه المملكة للنصارى وجريدة الطان تنقل ان عدد النصارى ثلاثة ملايين ونصف مليون وعدد المسلمين ثلاثة . ولكن الملاحظ ان عدد المسلمين في مملكة الحبشة بعد ان توسع ملك الحبش الى جهات هرر والصومال والغاله أصبح أكثر من عدد النصارى حتى تقل عن كافل ملك الحبشة يوم كانت الحرب واقعة مع تركية على أثر الحرب العامة انه لا يريد زوال تركية لانها مملكة اسلامية ولان المسلمين من رعاياه أكثر من النصارى . وقد اطلنا على حديث أقاش به رجل من علماء الترك أقام بالحبشة مدة طويلة وجاء الى الاسكندرية في العام الماضي فسأله أصحاب مجلة سيدل لرشاد ان يفيدهم ما عرفه من أحوال الحبشة فذكر لهم فوائد جمة وقدور عدد مسلمي الحبشة بسبعة ملايين .

وقد يظن بعض القراء ان في هذا العدد مبالغة وليس هذا الظن بصحيح . فعليك بان تقرأ ما ذكره السيو موريس قال في معجمه الجغرافي تحت اسم غاله Gallas : « شعب من اريقية منتشر في جنوبي الحبشة وفي البلدان النارية الى الجنوب أيضا مما يجاور اقليم البحيرات الكبير المنفصل من البحر ببلاد الصومال . وهم أقوام جبلة الخلفة لونهم نحاسي يخافون في الشكل عن الاقوام المجاورين لهم من جنوبيهم كما انهم يختلفون عن الاحباش والصومال ويقدر عددهم من ٦ الى ثمانية ملايين وأكثرهم سكان مدر والغالب عليهم الزراعة ومعظمهم مسلمون . وقد كانوا أكثر الاحباش في حروب مع الاحباش واخيرا تطلب هؤلاء عليهم قسم من قبائل الغاله يؤدون اثابة لك شوا من الحبشة »

فانت ترى انه ليس في كلام الدائع التركي ادنى مبالغة لانه عدا هذا القسم الخاضع من الغاله لمملكة شوا الحبشية يوجد مملكة هرر التي استلحقها الاحباش بمساعدة بعض الدول الاوربية فوجود مسلمو نفس الحبشة الذين هم كثيرون في وسط تلك المملكة منذ وجد الاسلام .

وقد ذكر جغرافيو العرب بلاد المسلمين التي في اطراف الحبشة فقال ياقوت : زيلج ينتشر أولا وسكون ثانيا وفتح اللام وآخرون عين مملكة جبل من السودان في طرف أرض الحبشة وهم مسلمون . ثم ذكر غرائب من عاداتهم في أمر الزواج وغيره .

ونقل صاحب صبح الاعشى جملا كثيرة عن الحبشة القدم المسيحية والقدم الاسلامي منها فتأخذ نقفا مما قاله : مملكة عظيمة جبلة المقدار متسعة الارحاء فسيحة الجوانب . قال في مسالك الابصار : وأرضها صعبة المسالك لكثرة جبالها الشاخنة وعظم أشجارها واشتباك بعضها ببعض حتى ان ملكها اذا أراد الخروج الى جهة من جهاتها تقدمه قوم مرصدون لاصلاح الطرق بالآلات لقطع الاشجار واحراقها بالبار . قال : وهم قوم كثير عددهم ولم يملك بلادهم غيرهم من النوع الانساني لانهم اجير بني حام واخير بالتوغل في القتال والاقتحام طول زمينهم في



الاسفار وصيد الوحوش وقتلهم إنما يكون عرباً من غير لامة تسفح عنهم ولا عن خيابهم .  
ثم وصفهم بعد ذلك بأوصاف لولا ما هم عليه من الشرك لكانوا في الرتبة العليا من مراتب  
بني آدم فتذكر ان المشهور عنهم مع ما هم عليه من المجاعة انهم يقبلون الحسب ويصفحون عن  
الجرائم ومن عاداتهم ان من رمى سلاحه في القتال حرم قتاله ويكرمون الضيف ولا ينتقض  
الصديق منهم عهد صديق وإذا أحبوا أظهروا المحبة وإذا أبغضوا أظهر والبغض والغالب عليهم  
الذكاء والقفظة وصدق الحدس . ولهم لغة يكتسبون به من الجبل الى الشمال كما في العربي  
حروفه ستة عشر حرفاً لكل حرف منها سبعة فروع فيكون عدتها مائة واثنين وخمسين حرفاً  
سوى حروف أخر مستقلة بذاتها لا تقتصر الى حرف من الحروف المذكورة مضبوطة بحركات  
نحوية متصلة بالخط لا منفصلة عنه . ومع كونهم جنساً واحداً فقلتهم تزيد على خمسين لساناً الخ  
ثم ذكر في صبح الاعشى القسم الاول من الحبشة وهو بلاد النصرانية قال وهو القسم الاوفر  
عدداً الاوسع مجالاً . وهو الذي يملكه ملك « امحرا » يفتح الاثاب وسكون اليه وفتح الحاء  
والراء المبهتين والباء في الآخر وهم يفس من الحبشة . ثم ذكر تناسيم مملكة امحرا وصفات  
تلك البلدان بلداً بلداً الى ان قال ان ملكهم في الزمن المتقدم كان يلقب النجاشي وقد ذكر القر  
الشهابي ابن فضل الله في مسالك الابصار ان الملك الاكبر الحاكم على جميع أقطارهم يسمى بلغتهم  
« الحطاي » يفتح الحاء المهملة وتشديد الطاء المهملة المكسورة وياء مثناة تحت في الآخر ومعناه السلطان  
اسماً موضوعاً اسكل من قام عليهم ملكاً كبيراً . الى ان قال : ومع ما هم عليه من سعة البلاد  
وكثرة الخلق والاجناد مفتقرون الى العناية والملاحظة من صاحب مصر لأن المطران الذي هو  
حاكم شريعتهم في جميع من أهل النصرانية لا يقام الا من الاقايص اليماقية بالديار المصرية بحيث  
تخرج الاوامر السلطانية من مصر بالطرك المذكور بأرسال مطران اليهم وذلك بعد تدبيرهم وذلك  
ملك الحبشة الذي هو الحطاي وارسال رسله وهداياهم قال : وهم يدعون انهم يحفظون بحجاري  
النيل للنجد الى مصر ويساعدون على اصلاح سلوكة تزيماً لصاحب مصر . وقد ذكر ابن العديم  
مؤرخ المصريين في تاريخه انه لما توقف النيل في زمن المستنصر بالله الفاطمي كان ذلك بسبب  
فساد بحاريه من بلادهم وان المستنصر ارسل البطرك الذي كان في زمانه الى الحبشة حتى  
اصحوه واستقامت بحاريه .

ثم ذكر القسم الاسلامي من بلاد الحبشة وقال انه البلاد المغالبة لبرامجين على اعالي بحر القلزم  
( البحر الاحمر ) وما يتصل به من بحر الهند ويمر عنها بالطراز الاسلامي لا نها على جانب البحر  
كالطراز له ( قرأت في تاريخ نور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي ان ساحل فلسطين يقال له  
أيض الطراز الاخضر ) قال في مسالك الابصار وهي البلاد التي يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع  
قال : والزيلع إنما هي قرية من قرأها قال الشيخ عبد المؤمن الزيلعي الفقيه : وطولها برأ وبمحراً  
خاصةً بها نحو شهرين وعرضها يمتد أكثر من ذلك لكن الغالب في عرضها انه متفرقا مقدار  
العمارة فهو ثلاثة وأربعون يوماً طولا وأربعون يوماً عرضاً . الى ان قال : ان بلادهم ليست بذات  
اسوار ولا لها نخامة بناء ومع ذلك فلها الجوامع والمساجد وتقام بها الخطب والجمع والجناسات  
وعند أهلها محافظة على الدين الا أنه لا تعرف عندهم مدرسة ولا خانقاه ولا رباط ولا زاوية  
وهي بلاد شديدة الحر والوان أهلها الى الصفاء وليست شعورهم في غاية التفلل كما في أهل مالي

وما يليها من جنوب المغرب . وفظنهم أنه من غيرهم من السودان وفظنهم اذكي وفظنهم الزهاد والايثار والفقهاء والصلحاء ويتمذهبون بمذهب أبي حنيفة خلا « وفات » فان ملكها وغالب أهلها شامية .

وقال ان هذه البلاد تشتمل على سبع قواعد : الاولى « وفات » والعامية تقول أوقات ويقال لها أيضا « جيرة » والنسبة اليها جيري وموقعها بين الاقاليم الاول وخط الاستواء . وقال الشيخ عبد الله الزيلعي : وطول مملكتها خمسة عشر يوما وعرضها عشرون يوما بالسير المعتاد وكلها طامة أهلة بقرى متصلة وهي أقرب اخواتها الى الديار المصرية والى السواحل الماسية اليمن وهي أوسع الممالك السبع عرضا وعسكرها خمسة عشر ألفا من الممران ويتبعهم عشرون ألفا فاكثر من الرجال . والقاعدة الثانية « دولرو » وطولها خمسة ايام وعرضها يومان وهي على هذا الضيق ذات عسكر جم نظير عسكر اوقات في الفارس والراجل . والثالثة « أرايني » وطولها اربعة ايام وعرضها كذلك وعسكرها يقارب عشرة آلاف فارس . أما الرجال فمكتيرة للغاية . والرابعة « هدية » بالهاء والذال المهمة والياء المشاة النخبة ثم جاء في الآخر وموقعها بين الاقاليم الاول من الاقاليم السبعة وبين خط الاستواء وطول مملكتها ثمانية ايام وعرضها تسعة ايام وصاحبها أقوى اخوانه من ملوك هذه الممالك السبع وأكثر غيلا ورجالا واشد بأسا على ضيق بلاده من مقدار اوقات ولما كان من العسكر نحو أربعين ألف فارس سوى الرجال فانهم خافي كثير مثل الفرسان مرتين أو أكثر . والخامسة « شرحا » وطولها ثلاثة ايام وعرضها اربعة ايام وعسكرها ثلاثة آلاف فارس ورجالة مثل ذلك مرتين فاكثر . والسادسة « بالي » وهي تلي شرحا المتقدمة ولكنها أكثر خصبا وأطيب سكنا وأبرد هوا . والسابعة « داره » وهي تلي بالي المتقدمة الذكر وطولها ثلاثة وعرضها كذلك وهي أشرف اخواتها حالا وأهلها غيلا ورجالا وعسكرها لا يزيد على ألفي فارس ورجالة كذلك . انتهى ملخصا .

ثم ذكر ان هذه الممالك السبع هي كلها خاضعة للخطي « او النجاشي » سلطان احمر . وان الملك فيها في يسوت محفوظة الا بالي اليسوم قال الملك فيها صار الى رجل ليس من بيت الملك تقرب الى سلطان احمر حتى ولاء مملكة فاستقل ملكا بها . قال فلما عين ملكه الابصار : وجب على ملوك هذه الممالك وان توارثوها لا يستقل منهم بملك الا من أقره سلطان احمر واذا مات منهم ملك ومن أهله رجال فمسدوا جميعهم سلطان احمر وتقربوا اليه بجهد الطاقة فيختار منهم رجلا يوليه فاذا ولاء سمع البقية له واطاعوا غم له كالابواب وامرهم راجع اليه ثم كلهم متفقون على تعظيم صاحب اوقات متقادون اليه . ثم قال : وهم مع ذلك كلتهم متفرقة وذات بينهم قاسدة ثم حكى عن الشيخ عبد الله الزيلعي وغيره انه لو انفتحت هذه الملوك السبعة واجتمعت ذات بينهم قدروا على مدافعة الخطي او التماسك معه ولبيكتهم مع ما هم عليه من الضعف وامتناع الكلمة بينهم تماس . ثم قال : وقد كان الفقيه عبد الله الزيلعي قد سعى في الابواب السلطانية بمصر عند وصول رسول سلطان احمر الى مصر في تخرج كتاب البطريرك اليه بكف اذنيه عن في بلاده من المسلمين وأخذ حرمهم وبرزت المراسيم السلطانية للبطريرك بكتابة ذلك فكتب اليه عن نفسه كتابا يلينا شاكيا فيه معنى الانكار لهذه الافعال وانه حرم هذا على من يفعله بعبارات أجند فيها . قال : وفي هذا دلالة على الحال . قال :



الفاشندي صاحب صبح الامنى . قلت وقد كتب في أوائل الدولة الظاهرية « يرفوق » كتاب من السلطان في معنى ذلك وقرينه كتاب من البطريك متى بطريك الاسكندرية يومئذ توجه به الى الحطاي سلطان الحبشة برهان الدين الديماطي الخ ملخصاً .

ثم قال : واهمل المتر الشامي بن فضل الله في مسالك الابصار والتعريف عدة بلاد من ممالك الحبشة المسلمين منها جزيرة « دهلك » وهي جزيرة مشهورة على طريق المسافرين في بحر عذاب الى اليمن وبينها وبين بر اليمن نحو ثلاثين ميلاً . وملك دهلك من الحبش المسلمين . ومنها مدينة « عوان » على ساحل بحر القارم مقابل نهامة اليمن وإذا كان وقت الضحى ظهر منها « الجناح » وهو جبل عال في البحر . ومنها مدينة مقدشو قال في « مزيل الازتياب » وهي مدينة كبيرة بين الزنج والحبشة وهي على بحر الهند ولها نهر عظيم شبه النيل مصر في زبادته بالسيف وقد ذكر انه شقيق لنيل مصر في مخرجه من بحيرة كورا ومصبه ببحر الهند على القرب من مقدشو . ثم قال الفاشندي : وقد أتى الحطاي ملك الحبشة على معظم هذه الممالك بعد التناحاة وخرها وقتل أهلها وحرق ما بها من المصاحف واكرم الكثيرين منهم على الدخول في دين النصرانية ولم يبق من ملوكهم سوى ابن مسمار المقاتلة ببلاد الجزيرة دهلك تحت طاعة الحطاي ملك الحبشة وله عليه اثاثة مقررة . والسلطان سعد الدين صاحب زيلج وما معها وهو حاصر له خارج عن طاعته وبينه وبينه الحروب لا تنقطع والسلطان سعد الدين في كثير من الاوقات النصر عليه والدابة والله يؤيد بنصره من يشاء . انتهى ملخصاً .

وقد حذر كثير من مؤرخي الالمنج ودخلانهم كتباً عن الحبشة ملأى بوقائع الحروب بين مملكة الحبشة النصرانية وملوك الحبشة المسلمين كاصحاب هرر وبلاد الزيلج وكما انه وجد في ملوك الحبشة النصارى من قهر الاسلام وانحن في المسلمين وقتل وسي واحرق ودمر كذلك وجد في امراء الاسلام هناك من كآل لملوك الحبشة بكيهم وازيد ومن اشتهرهم السلطان سعد الدين هذا واشهر منه الامام احمد بن ابراهيم الذي ألف على غزواته وفتوحاته شهاب الدين احمد بن عبد القادر المنقب بمررب فقيه كتاباً مجتماً اسمه فتوح الحبشة فصر الجزء الاول منه بنصه العربي المستشرق الفرنسي « رينه باسه » René Basset مع فذلكا للكتاب باللغة الفرنسية فهذا الامام الغازي احمد بن ابراهيم يصح أن يقال انه صلاح الدين يوسف الحبشة فقد والى الهزائم على الحبشة النصاري مع شدة باسهم وصعوبة مراسهم ووهودة جياهم وكون بلادهم بقيت بكراً لم تظلمها قدم فاتح ولا نوقت اليها حمة غاز فكان هو الذي أوغل في قلب بلادهم وملوكهم من نواصبيهم واستنزلهم من صياصبيهم حتى قال المستشرق « باسه » ان اشهر دور من ادوار تاريخ الحبشة التي بقيت اخبارها محفوظة في اذهان الغربيين هو دور احمد جران ( لقب الفاتح المذكور ) الذي قاد أن يسحق نصرانية الحبشة ويبيدها كبلاد النوبة . وقد كان دخول البرتغاليين في هذه المسعة هو الذي استجلب الانظار الى هذه النقطة من تاريخ المشرق وجاءت كتابات البرتغاليين والاطليان موضحة لها غاية نقول : ان هذا الدور هو أصح ادوار تلك البلاد اخبارا لنضاظر الروايات على وقائمه من كل جهة فقد انضمت الى المناهج الغربية المناهج الشرقية مثل الكتاب العربي الذي نحن ناشره الآن ( تأليف حرب فقيه ) وكتبه

مؤرخي الحبشة أنفسهم فيكون لدينا شهادات من جميع الامم التي اشتركت في هذه الحرب ونجد الغالب والمنلوب مديين بالوثائق والبيانات التي يكمل بعضها بعضاً ويؤيد واحدها الآخر على انني اذهب الى كون الموقع الاول في غزاة التفاصيل هو التأليف العربي الذي حرره شهاب الدين احمد حرب فقيه لا من جهة كونه اقل ميلاً من غيره الى قومه بل من جهة كونه شهد بنفسه أكثر وقائع الامام غران فهذا نجد في مؤلفه تفاصيل دقيقة موضحة لا نجد في كتاب آخر من كتب المسيحيين على ان هؤلاء متفقون معه في الروايات عن الحوادث الواردة في كتابه .

ولقد روى حرب فقيه من خبر الامام احمد بن ابراهيم ما ملخصه :  
كان لسلطان سعد الدين من الاولاد ابو بكر وبدلاي وبدلاي له ولدان أحدهما محمد بن بدلاي جد السلطان عثمان بن سايان .

ولاني بكر ولدان أحدهما علي وهو جد السلطان بركات وحبيب . فبني له اولاد منهم أظهر الدين وهذا محمد ومحمد له عمر دين . والولد الثاني لاني بكر اسمه آزر وهو جد السلطان محمد ابن ابي بكر بن محمد بن آزر بن أبي بكر بن سعد الدين .

والولد الثاني الذي لبداي بن سعد الدين اسمه شمس الدين وقد انقضت ذريته وتولي البلاد السلطان محمد بن آزر بن أبي بكر بن سعد الدين ثلاثين سنة من القرن التاسع . وخرج السلطان محمد للجهاد فالتقى المسلمون والجهشان فكانت الدائرة للثولاء على المسلمين وقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً . وفاد السلطان محمد الى بلاد قتله صهره محمد بن أبي بكر بن محفوظ وملاك البلاد بمده سنة فقتله ابراهيم بن أحمد صاحب بلاد هوبت وملاك بمده ثلاثة أشهر فقتله «دوستي» مملوك الجراد محفوظ وملاك البلاد ثلاثة أشهر واسر بمده ذلك اسره منصور بن محمد وقيده وارسله الى زليخ وقتل في زليخ . وملاك البلاد بمده الامير منصور بن محفوظ بن محمد ابن الجراد آتش ومحارب الامير منصور مع الجراد ابون سبع سنين واقام الحق وامر بالعروف ونهى عن المنكر واستأصل قطاع الطرق وابطل الخمر واللب والرقص وضمرت في زمانه للبلاد وصلحت الاحوال . وكان احمد بن ابراهيم ( مترجم حرب فقيه ) يومئذ فارساً من فرسان الجراد ابون وكان ذا عقل ورأي وشور في صفراء وكبره الهاماً من الله تعالى للامر الذي اراده الله على يديه وكان الجراد ابون يحبه حباً شديداً لما رأى من شجاعته وبراهمه وكان السلطان أبو بكر ابن السلطان محمد بن آزر من ذرية سعد الدين قد جمع جوعاً من الصومال وغيرهم وقاتل الجراد ابون فقتل الجراد ابون بن آتش وتولى السلطان أبو بكر البلاد ولكنه أساء السيرة في الرعية وظهر قطاع الطرق وحدثت امور أوجبت انكار العلماء والفقهاء من المظالم وشرب الخمر وكان الامام احمد ( النازي ) في عسكر الجراد ابون كما تقدم فخرج هو وجاعة من رفاقه واجتمعوا في محل يسمى هوبت وكانوا نحو مائة فارس وامروا عليهم الجراد هم دين فينما هم كذلك اذ سمعوا بأن بطريقاً من بطارقة الحطبي ملك الحبشة من النصارى يسمى قاتيل من أهل دواوا ومعه جاعة من البطارقة قصدوا بلاد المسلمين واسروهم وسبوا عيالهم ونهبوا مواشيهم . فسمع احمد بن ابراهيم بذلك فعصده جيش النصارى في مكان يسمى عتم وهو نهر عظيم كثير الماء فاشتبك الفريقان في قتال شديد انتهى بالنصرة على النصارى وقتل جاعة



من البطارقة وغنم المسلمون غنائم كثيرة ورجعوا فرحين مستبشرين الى محل اسمه زبغة بقرب  
 بلد السلطان أبي بكر بن محمد . فلما سمع السلطان بخبرهم وما فعلوه من الجهاد وحازوه من  
 الغنائم انهم هو ومن معه من الصومال الى بلد يسمى كداد من بلاد الصومال فتصدعهم احد  
 ابن ابراهيم الى هناك فتلاقى الفريقان عند نهر يقال له قرن فاقتتلوا وانهمز السلطان ومن معه  
 وقتل منهم جماعة . فاثني احد واصحابه ابراهيم الى بلادهم هربوا من بر سعد الدين فلم يستقروا  
 بالجلوس حتى جمع السلطان ابو بكر جوعا من الصومال وغيرهم وجاء بخيول وجيوش لا يحسبها  
 حاسب فالتقى احد بن ابراهيم هربا وسار الى بلد اسمه هربت زيرت واعتصم بجبل عظيم فيه  
 فتصدعهم السلطان بمجموعه وحصرهم وضيق عليهم فزلوا من الجبل وناجزوا السلطان القتال  
 فانهزموا وقتل اميرهم حمدين ورجع احمد بن ابراهيم واصحابه الى بيوتهم ودخل الناس  
 واصحابوا بينهم . وما طال الصلح حتى غدر السلطان أبو بكر باحد وجرده من خيله ورجله  
 وقتل اميرا كبيرا اسمه عثمان بن يس ففر احد من وجهه لاحقا ببلده زعكة وليس معه الا  
 ثلاثة من الخيل فتلاقى مع غلام للسلطان اسمه حمدوش بن محفوظ معه أربعة من الخيل فاخذها  
 منه وخرج الى مكان اسمه شبيح ومعه سبعة من الخيل فانضم اليه امير يسمى جراد ابو بكر  
 ابن اسماعيل ثم وصل اليه الامير حسين الجائري فتصدعهم السلطان بمساكره فلم يزلوا من بلد  
 الى بلد يغرب السلطان عليهم ويغيرون عليه فحدثت بين الفريقين وقائع عديدة انتهت بظفر احد  
 ابن ابراهيم ودخوله هربا قاع الحق وأزال المنكر وصاح النادى كل أحد يلزم بيته وكل على  
 عاداته ولا تخافوا ولا تحزنوا . ولكن السلطان عاد فجمع الجوع من الصومال وغيرهم وتصد  
 احد فتتال قرب هذا عساكره وزحف اليه فاعتصم السلطان بجبل اسمه حون فدخل الناس  
 من الاشراف والفقهاء بينهم بالصلح على ان السلطان يكون سلطانا على حاله واحد بن ابراهيم  
 يكون من تحته ويلقب بالامام والبلد بينهم بالسوية فارضى احد بذلك حقا فهدموا واقام ببلده  
 سيم واقام السلطان بهرب . وأما وبه تسمية احد بالامام فاشهر رواية فيها ان رجلا اسمه سعد  
 ابن يونس العرجي رأى النبي ( ص ) وعزيمته ابو بكر الصديق وعن يساره حمزة المظطب  
 وبين يديه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وبين يدي علي بن أبي طالب احمد بن ابراهيم  
 فقال الراي لهذه الرؤيا يا رسول الله من هذا الرجل الذي بين يدي علي بن أبي طالب فقال  
 صلى الله عليه وسلم هذا رجل يصلح الله به بلاد الحبشة . وكانت هذه الرؤيا والامام حينئذ جندى  
 ولم يكن الراي يعرفه من قبل . فوصل هذا الراي الى هرب في زمان الجراد ابون قصص رؤياه  
 على اهل البلد فقالوا له هذا الذي رأيته في منامك فقال لا فلي يزل يتولى البلاد امير بعد امير الى  
 ان جاء الراي في زمن احمد بن ابراهيم فلما رآه عرفه وقال لاهل البلد هذا الذي رأيته في  
 الرؤيا بين يدي علي بن أبي طالب فسماء الناس الامام . وقيل ان بعض المشايخ رأى في المنام  
 الولي الصالح احمد بن محمد بن عبد الواحد القرشي التونسي والشريف الولي ابا بكر بن العيدروس  
 وهما يقولان لا تسموه السلطان ولا الامير ولكن سموه امام المسلمين .

وبدا من ذلك الوقت الامام احمد بن ابراهيم يفرز الحبشة النصارى لانهم كانوا في زمان  
 سعد الدين وفي زمان من تولى بعده وفي زمان الجراد ابون يفرزون بلاد المسادين وقد خربوها  
 مرارا كثيرة وكان بعض المسلمين يؤذون لهم الحجاج فلما ظهر الامام احمد منهم من ذلك وكان

يجلس لاقامة العدل ويرفق بالمساكين ويرحم الصغير ويوفر الكبير ويهطف على الارملة واليتيم وينصف المظلوم من الظالم ولا تأخذه في الله لومة لائم .

ثم اختلف الامام مع السلطان أبي بكر وتجددت الحرب فقتل السلطان وانفرد الامام بالامر وأقام صردين أخا السلطان محل أخيه . وغزا النصارى بلاد المسلمين وكان عليهم بطريق كبير من الجبابرة اسمه دجلجان صهر الملك وحمته بطارقة كثيرة فوصل الى اطراف بلاد المسلمين وخرّبها ونهب أموالهم وسي حرّمهم وسبى أم أمير من امراء المسلمين اسمه الامير أبو بكر فطين . فسار الامام اليهم بمسكركه فالتقى الجمعان في موضع يقال له الدير ( بكسر الدال ) وكانت واقعة شديدة انتصر فيها المسلمون وأمروا نحو خمسمائة أسير وعاد الامام الى بلده منصورا محبورا . وكان عمره مع كل ذلك يومئذ احدى وعشرين سنة لا غير . ثم توالى غزواته منها غزاة الفاطميّين وغزاة قبيجي وغزاة وانيارية في داوارو وغزاة اغت التي كانت فيها امرأة الامام مع زوجها . وكانت واقعة هائلة ظم فيها المسلمون ما لا يحصى وسبوا نساء كثيرة منهم بنت خالة الملك فوهبها الامام الى وزيره عدلي ففداها ملك الحبشة بخمسين أوقية من الذهب الاحمر . واستولى الامام بعد هذه الواقعة على انطاكية ودخل كنيسة العظيمة ومعه زوجته دلونيرة بنت الامير محفوظ وجم فقير من الامراء مثل الامير حسين الجائري صاحب دوارو بعد الفتح والامير علي صاحب عنقوت بعد الفتح والجراد احمرش وكوثم ابو بكر والشيخ الزاهد حامد ابن الزاهد الفاضل شيخ دأشره ثم غرب الكنيسة وأحرقها . وقصد الامام بلدة جندبله وهي بلدة بملكها ملك الحبشة ولكن أهلها مسلمون فقتلوا الامام بالفرح والسرور وأعلنوه بشرين أوقية من الذهب وقالوا له نحن نعطي هذا الذهب لزوجتك دلونيرة فرفض الامام ذلك وتوسط الامير حسين الجائري والوزير عدلي والجراد دين والامير علي صاحب عنقوت في أن يقبل الامام هذه الهدية لزوجته فاصر الامام على الرفض وقال لا يحل هذا وأتفقها على الجهاد واشترى بها ١٠٠ سيف وشهدوا بها رقعة شبر كوره ( أول رجب سنة ٩٣٥ هجرية ) .

وسار الامام من جندبله في طريق حار دليلا فنادى هو وجيشه الا وهم وسط شجر مشبك أصبحوا لا يتدرون منه ان يتقدموا فأمروهم الامام بقطع الاشجار فزالوا يقطعون منها حتى خرجوا الى الطريق الواضحة ووصلوا الى الدير فدم فيها الفئام وعاد الى هرو مؤيدا منصورا . ثم استقر قبائل الصومال للجهاد فكانت أول قبيلة ليت نداه « هيرمدي » مع مقدمهم احمد جري بن حسين الصومالي فوصلوا الى هرو بعدتهم وخرولهم وسربهم الامام سرورا عظيما . ووصل بعدهم قبيلة جري ومقدمهم مثنان بن عثمان بن خالد الصومالي فظهروا آلائهم وسلاحهم وتكبدوا قسبهم وركبوا جيادهم وكانت معهم أمّ الامام فردوسة وهي امرأة كبيرهم . ثم طلعت قبيلة ذرية ومقدمهم السلطان محمد بن عمه الامام ومعه من الرجال الصناديد الف وستون رجلا وتخلّفت قبيلة مريجان بعدم استئفاة مقدمها حرايو فزله الامام وأمر عليها ابن أخيه فجاء منهم نحو ثمانمائة مجاهد بين فارس وراجل . وبعد ذلك تهيأ الامام لتحصن بلاد الحبشة وجمع الجيوش واتفق الاموال وباع حتى حلي نساءه واثاث بيته وخرج بجيوشه ومعه امرأته دلونيرة وكانت حاملا ووصلوا الى زيفه فتلقاهم الجرادي دين



ابن آدم وكان رجلاً صالحاً فاضافهم واكرمهم وكذلك الجراد شمعون والجراد كامل صهر  
الامام والامير مجاهد فاکرموا الامام اكراما زائدا . ووضعت امرأة الامام في زينة غلاما  
منها محمدا وتاخرت بسبب الوضع عن السير وبقيت في زينة عند مؤنة اخت الامام . وسار  
الامام قاصدا ملك الحبشة « وتاج سجد » وهو في أرض بادقي فاخذ ملك الحبشة يجمع جوده  
قبائل النيجري أو التينري وقبائل آقوا وقبائل فجام وأهل المنقوت وأهل جن وأهل قدم  
وقبيرهم وانتقلت الحبشة بأسرها وكان بطارقة النيجري أربعة وعشرين بطريقا كل منهم تحت  
جيش عظيم . وكان من جملة البطاريق بطريق اسمه عثمان بن داو علي كان مسلما وكان أبوه  
منها اسره الاحباش في زمان للسلطان محمد فارمد وصار بطريقا وولد له أولاد كثيرون  
نصارى ثم في آخر عمره عاد الى الاسلام وجاهد واستشهد . ثم ان ملك الحبشة ما زال يحشد  
الجيوش ويستفز القبائل لللاقة الامام وبقي ينتظره في اعمره كما ان جيوشا اخرى كانت مبعاة  
في بادقي . وكان الامام قاصدا كنيسة بادقي ثاوبا اعرافها والاحباش يقولون لا يصل الى  
الكنيسة حتى تقتل من آخرنا . وقبل ان يغيب الحبشة كانت ١٦ الفا والرجالة كانت نحو مائتي ألف  
لذلك طالت الوقائع في شبركوره وكانت أيام المسلمين وأيام النصارى وصلى الامام احمد جوده  
هكذا : السلطان محمد بن السلطان علي ابن خالته والشيخ أنس ابن للشيخ شهاب بن عبد الوهاب  
وقبيلة « زمن بره » وقبيلة « برزرة » وقبيلة « يقه » وقبيلة « باسار » وقبيلة « عرب نخا »  
وقبيلة « النني » وغيرهم من قبائل الحمره في الميمنة . وقبيلة « جري » وقبيلة « مريخان »  
وقبيلة « ييري » وقبيلة « عرتي » وقبيلة « جران » وقبيلة « مزر » وقبيلة « برسوب »  
وكلهم صومال في الميسرة وكل قبيلة بأمرها . وكان الامام في القلب ومعه أعيان الفرسان مثل  
الامير محمد بن الجائري والامير زحروي محمد . وفرشهم علي والوزير نور بن ابراهيم والامير مجاهد  
وفرشهم السلطان وعبد الناصر والشيخ داود وأبو بكر قطين وفرشهم دين والجراد احمد وش  
وصبر الدين وجاسا عمر والجراد عثمان بن جوهر الخ وجمع خدماة من الابطال ممن حضروا  
الحروب والنزوات وأمرهم ان يلازموه . وضر اليوم ثلاثمائة من قبيلة عرتي من الصومال  
واربعمائة من قبيلة ييري لشدة صلابتهم وكان الثلاثمائة من أهل السيوف والاربعمائة من أهل  
القصي . ثم التفتي الجمعان وكان المسلمون كالنجم البيضاء في جلد النور الاسود . وقام الامام  
يخطب في المسلمين ويحرضهم على الجهاد وقرا : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وهذا عليه حقا في التوراة  
والانجيل والفرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا بيمينكم الذي بآبائكم به وذلك هو الفوز  
العظيم » . فحينئذ قال له المسلمون دعنا نحمل عليهم . فنهض الامام من الحلة وقال لهم اثبتوا  
مكائلكم ولا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم به واشرعوا الرماح واستقروا بالدرق ولا تخطوا  
بارجالكم خطوة واحدة الا وانتم تله كرون الله . ثم حل الحبشة على المسلمين من جهة الميمنة  
وحلت رجل واحد نصير المسلمون لهم وحلت ميمنة الحبشة على ميسرة المسلمين من الصوماليين  
وحلت قبائل النيجري والبطارقة على القلب الذي فيه الامام والخلط الجمعان واستمر القتال  
فانكشفت ميسرة المسلمين التي فيها الصومال وقتل الحبشة منهم ثلاثة آلاف واسروا كثيرا  
واخذوا من ثياب منهم الى القلب . وأما ميمنة المسلمين من الحمره فتسكاثروا عليها الحبشة ايضا

وزلزلوها فانكحازت ايضا الى القلب فدخل الحبشة بأجمعهم على القلب ودامت الحرب من الضحى الى العصر الاخير فرد الامام الحبشة على أعقابهم وقتل منهم الوف وامتلأت الارض من جثث القتلى وضح المسلمون بالنهابل والتكبير والصلاة على البشير النذير وولى الحبشة الادبار والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون فقتل من بطارقتهم البطريق دويل من بطارقة التيجري قتله أرعدي من خدمة الامام . وقتل البطريق عبدا أخوه وكان من أبطالهم قتله الامام بنفسه طعنه بالرمح في صدره فخرج السنان يلمع من ورائه وقتل بطريق سيدي شوم قتله الجراد دين . وقتل البطريق زمنجان ابن عم البطريق وسنجد قتله الوزير عدلي . وقتل بطريق محنطي وماء رجل من الصومال مقدم الرماة فقتله . وقتل بطريق زونجيل قتله عبد الرازق بن سوجه أخو الامير مجاهد . وقتل بطريق شوم عجمية . وقتل بطريق النبتين وقتل بطريق عمدو قتله رجل اسمه آدموا . وكان حلة من قتل من الحبشة عشرة آلاف ومن البطارقة مائة وأربعة هتم . وكل بطريق تحته الف فارس أو خمسمائة أو مائتان وعرب المسلمون من خيل الحبشة في المركبة ستمائة فارس . وكانت حلة من قتل من المسلمين من الصومال ومن الحرلة ومن المساي ومن العرب خمسة آلاف فتم الله لهم بالشهادة . وغنم المسلمون غنائم لا تحصى وأسروا بطريقا كان صهرا لذلك اسمه تحلي مدمن ففدا نفسه بخمسمائة أوقية من الذهب الاخر .

وبعد هذه العسرة الطائلة أراد الامام ان يسير المسلمين الى قلب بلاد الحبشة ويجهز على الباقي من جيشها فشكاه المسلمون ما حل بهم من الجهد وطلبوا الجأء فباد الامام الى بلده واستراح شعبان ورمضان ونصفا من شوال ثم نهش غازيا الى جهة دواوو فدخلها من جهة نهر الوبى وهو نهر كبير يكثر فيه القحاح وطوامش كثيرة يسكب في البحر المالح من ناحية متدشو وقسم الجيش الى فرقتين فرقة عليها الوزير نور بن ابراهيم والفرقة الثانية قادها الامام بنفسه فوصلوا الى الجواتر وقتلهم بطريق ادل مبرق فهزموه وأسروه ويقال ان الذي اسره كان رجلا اسمه تكية قد قطع الامام يده اليمنى ورجله اليسرى في حق الله تعالى فبلغ من شجاعته ان اسر البطريق وهو مقطوع اليد والرجل . وغزا الامام بلد واس بقيات فالتقى مع بطريقها على ان يقدم له الضيافة ويضع هدايا والامام لا يتبرص له . ثم تقدموا الى بلد اسمه مصيحب فحربوها وغلزوها رمادا وساروا الى بلد اسمها « مي فليح » وشبهوها وكان رجل اسمه راجع اصله مسلم تنصر وأعطاه ملك الحبشة أرضا وصار يغير على أطراف بلاد المسلمين فلما قرب الامام من أرضه أرسل اليه الامام قائلا : أنت مسلم وابن مسلم ومجاهد بن مجاهد من أول الزمان وقدر الله بالذي كان كتب وارجع الى الاسلام وككن أخانا ولا تقتط من رحمة الله . فلما وصل اليه الرسول . قال له : كم فعلت وقتلت ونهبت من المسلمين وأخذت اذا رجعت ان تأخذوني بما فعلته . فراجع الامام قائلا قد عفونا عنك فارجم فارسل راجع يقول : أرسلوا لي أعيرا بجيوش كثيرة حتى أدلكم على أموال المدو فذهب اليه الوزير عدلي ومعه جيش فقتلوا وأسروا ونهبوا وحادوا وراجع معهم . وحصلت بعد ذلك عدة غزوات والغريبان يبديان من شروب الصبر وصدق المقام ما يندر مثله في التواريخ . وعاد الامام الى حرر ثم جمع جوعه وتصد بلاد الحبشة وجمع هؤلاء جوعهم وتلافوا في محل اسمه انطاكية وكان المسلمون خمسمائة فارس وعشرة آلاف ورجل فاجتمع عليهم من الحبشة ستة آلاف فارس ومائة الف ورجل



وكانت مع الامام مدافع وأمر الامام عشرة من شجعان رجاله وهم الامير زحر بوي واحد  
 حوينا والامير علي والجراد احمد بن لاد عثمان والامير ابو بكر قطين وثكية السابح الذكر  
 مقطوع اليد والرجل بان يسيروا معه الى جهة « بلي » وكان عسكرهم قد آذى المسلمين كثيرا  
 وأمر بان ياتوا له بمدفع وأمر مقدم المهر من العرب بان يضرب عليهم بالمدفع فضرب فجاج  
 بعضهم في بعض فحمل عليهم المهر والمساوي فمزموهم ودفعوا في طريق أخرى ولم يرجعوا الى  
 بطريقهم . وكان ثكية منقطع اليد والرجل قال للامام في بلده : ان شاء الله هذا السوط الذي  
 في يدي اضرب به فارسا من الكفرة واتزله عن فرسه وأخذ فرسه . وكان الامر كما قال ففى ذلك  
 اليوم ضرب فارسا حبشيا بسوطه ورماه عن فرسه وغنم فرسه . ثم ان الحرب دارت وحلها وانتهت  
 بفوز المسلمين واشبهت وقعة صمبر كوري في كثرة من قتل فيها من الاحباش . واحرق المسلمون  
 كنيسة انطاكية وغنموا غنائم لا تحصى وكان ذلك في الخامس من رجب سنة ٩٣٧ هجرية .  
 واوغل بعدها الوزير عدلي في بلاد الحبشة وانفق فيها . وكان من اسره اثنان من كبار الحبشة  
 مرضا فدى انفسهما الواحد بمائتي اوقية ذهب والاخر بمائة اوقية فرفض الوزير الفداء وقتلها  
 وأقام أياماً بارض جنه ثم سار الى ارض شرعه وتلاقى فيها مع الوزير نور واسروا وسبوا .  
 وكان من جملة السبي امرأة البطريق ازماج واولاده . فلما علم هذا بأسرهم دخل وأسلم  
 فردوا عليه امرأته واولاده واسلم كثير غيره . وبعد ذلك وصل الامام ومعه وزيره الى  
 هندورة وفيها كنيسة لوسن من أعظم كنائسهم واغتناها فاحرقوها ونهبوا ما وصلت  
 اليه أيديهم .

الجمع ملك الحبشة جوعاً أخرى وأمر عليهم بطريقنا اسمه نخلي سوس وكان معه ثلاثون  
 بطريقاً من التجري فجاء اثنان من المنتصرة أحدهما اسمه عمر والاخر اسمه سكوكانا اوتدا  
 من الاسلام واقطعها ملك الحبشة لبدأ بالكلان خراجها فلما وصل الامام بمحيوشه الى قرب  
 بلدها دخلا على الامام وطلبا المغو ودلاء على عورات النصارى فقصدهم الامام وتلاقوا وواد  
 فحمل المسلمون على النصارى وكان اول من حمل منهم صدير الدين صاحب وشقة بعد الفتح  
 ودخل وسطهم ومن بعده علي الوردادي وعبد الله بن ناصر الدين الحوي وآدش بن ماضي  
 وانتفى هذا سيفه وضرب به رأس البطريق نخلي سوس ضربة البانت رأسه من جسده  
 وحمل سائر المسلمين فانهم الاحابش وقتل منهم البطريق اسلامو قتله أبو بكر بن جراد بمناج  
 واسر بطريق مرجاي والبطريق شوتلاي أسرها فرسهم علي ثم اسلم شوتلاي وحسن اسلامه  
 وقتل في الجهاد وكذلك اسلم بطريق مرجاي وجاهد في صفوف المسلمين . واسرى ذلك اليوم  
 البطريق كفتي والبطريق اسير واسر البطريق جرجيس صاحب فجاء وكان جملة من قتل من  
 البطارقة الكبار مائة وثلاثون واما فرسانهم ورجالهم فقتل منهم الوف وغنم المسلمون خمسائة  
 فرس وكثيراً من الانفال . ثم سار الامام في أثر المهزومين الى عواش ومنها الى دل مبيد ثم الى  
 حيت وقسم الامام الغنائم وفرق الخيل والبنال على المجاهدين ثم سار الامام من حيت الى قنبورة  
 وسوق دوارو وكان أهل سوق دوارو مسلمين يدفعون الخراج لطريق دوارو . وفي تلك  
 الانثناء تشاور أهل دوارو بعضهم مع بعض وفر رأيهم على مهادة الامام وكف الحرب ولو  
 نديهم النجاشي لم يطيبوه وان يبقى كل منهم على ملكه ودينه ومن أراد منهم الاسلام فذلك

فكف عنهم الامام وتبيل هدايتهم وسار الى الامام فوصل الى ارض الماية ودخلوا المرزير من ارض الماية . وكان فيها كنيسة عظيمة فاحرقوها وكان نجاشي الحبشة على مسافة يومين من هناك فعلم ان الامام يقصده فرحف الامام الى ارض بادقي طائفا ان ملك الحبشة يخرج لصدده فيقاتله . فلما وصل الامام الى نهر دوخم نظروا نارا تشتعل في وسط بادقي فاستدعى الامام بطريق حبيب الذي كان اسلم وصار معه ناله عن موضع هذه النار فقال له هذه قرى الملك فقاتل له هل تعرف سبب هذا الحريق فقال له نيت هنا ولا ثابت ان ياتي الخمر واذا يتجار مسلمين يسكنون بادقي اخبروا ان الملك كان في ارض جبرحي فلما علم يقرب وصول المسلمين ارسل بطريقا من بطارقه وقال له : سر الى بادقي وحرق بيوتي وبيوت اخواني قبل ان يسبك المسلمون اليها فيحرقوها ويقولوا حرقنا بيت الملك اما الكنيسة فلا تحرقها اذ لا يحل لنا تحريقها في كنيستنا . فلما كان القد ارسل الامام سرية عليها فرسحهم على فاحرقوا كنيسة بادقي وكان في شراريها ذهب ومن فوقها صليب من الذهب الاحمر . وسار الامام وجيشه الى « اندوته » وهي قرية الملك نفسه وكان له فيها بيت فيه تصاوير كصورة الاسد وصورة الآدمي والطيور فدخل المسلمون البيت وحرقوه وعين الملك تنظر وكان بينه وبين البيت مرحلة واحدة فاصابه من الحزن اشد مما اصابه لتحريق بيوته في بادقي وبكى وجمع الجوع وعصى الجيوش وسار الى قتال المسلمين وكان نهر عواش فاصلا بين الفريقين وكان قياضا لا يقدر أحد ان يقطعه فاختبرت طلائع المسلمين الامام بان النصاري وصلوا الى نهر عواش فارسل الامام عبد الناصر صاحب جتر وبشاره وشمعون وصبر الدين وعلي ورادي ومعهم ثلاثون فارسا يستقضي اخبار الحبشة فوصلوا الى النهر فوجدوهم على شاطئه من الجانب الآخر ومعهم الملك بنفسه فقتلوا بالكلام ولم يصل أحد الى الآخر . ثم رجع النصاري الى ارض « وارب » وجلسوا فيها وانبت المسلمون في الاطراف ينهبون الكنائس وكان فيها من الذهب والفضة والتفائس مالا يتسع عليه احصاء فوقعت كلها في ايدي المسلمين واحرقوا الكنائس . ثم تجاوز المسلمون عواش بعد ان قتل ماؤه ووصلوا الى جبرحي وحرقوا بيت الملك فيها فانجاز الملك الى « نزارجيج » من ارض الداموت ووافاء بطريق كبير اسمه « وسن سجد » كان مظلما عندهم يسمونه ابا الماسكين وبخافونه أكثر مما يخافون الملك فقال للبطارقة كيف ترضون ان يعمل بكم المسلمون هذه النمايل وقد مات آباؤكم وأجدادكم وما فعل بهم أحد من المسلمين مثل ما فعل هذا الرجل يعني الامام وما هذا الا من ظلمكم وجوركم فسلط الله عليكم هؤلاء المسلمين اخبروا عليكم بلاد دواروا وغطجار وبادقي وبرارة وحرقوا الكنيسة التي فيها بطرككم والثابوت الذي فيه جسد البطرك النخ فلما سمعوا كلام وسن سجد هذا قالوا له مرعبا شئت فنعن نقاتل المسلمين ونموت بين يديك فقال لهم مضي ماضي فكونوا بعد الآن رجالا ثم كتب الى الامام كتابا يقول له فيه : اما بعد اسم للمسلمون ونحن النصاري وقد كنا نسير الى بلادكم ونحرقها ونحرقها والآن فقد ادا لكم الله علينا والآن لا يدوم كل يوم والآل يكفك ما فعلت وارجع الى بلادك وأنت تقول في نفسك انك هزمت الملك في صبر كوري وتقول فعلت في انطاكية وفعلت في ازدي فلا تنتر بنفسك فان الملك صارت عنده جيوش كثيرة ما رأيتها ولا سمعت بها فارجع الى بلدك بنيتك وفهلك والا فليباد بيننا وبينك يوم السبت فانا الذي قتل أخاك الجرادابون ابن الجراد ابراهيم



وهو اكبر منك وهزمت جيشه وقطعت ذلك حرارا ولا تظن اني مثل من اقيمت من البطارقة  
فلما وصل هذا الكتاب الى الامام كان الامام مريضا فقال الامراء الذين بين يديه لرسول  
البطريق ومن سجد : اما ما خوفنا به من اثنائنا يوم السبت فند اعلمنا مشايخنا ان ذلك يكون  
يوم السبت وان الاثنا هو بيتنا ومرادنا هذه البلاد لئلا يتاركها حتى تأخذ الحبشة بأشهرها  
ان شاء الله . فرجع الرسول وأخبر البطريق بما سمع فداخله الخوف والخزع وارسل الى الامام  
مرة اخرى يقول : اني ما تكلمت بكلامي الاول الا خوفا من الملك والبطارقة ولقد اعلمني  
الرهبان اني ساقع في يدك فاذا وقمت فارحني . فلما جاء رسوله وأخبر الامام بذلك ضحك  
الامام وقال له : قل له : اذا صرت في ابيدينا رحمتك .

وفي الثالث والعشرين من رمضان سنة ٩٣٧ تفاق الامام من مرضه ونوى أن يقصد ملك  
الحبشة في أرض الداموت فرأوه من معه من ذلك فلم يسمع لاحد كلاما وزحف وارسل مائة  
في بلدة زوارة وهي بلدة كبيرة يسكنها التجار من نصارى مصر ونصارى الشام ومن تولد  
منهم بارض الحبشة يسكنها لطيب هوائها . ثم تقدم منها الى ويز وهي أيضاً مدينة عظيمة فيها  
سوق ليس في الحبشة مثلها وجاءت جواسيس للامام تخبره ان الملك دخل أرض الداموت وان  
البطريق ومن سجد رجع الى وراء في أرض وج كانه يتدد بلاد المسلمين . فغضب الامام  
بغضب الملك فاعتصم الملك بحبل مانع له طريق واحدة لاغير وعين جوده في الجبل ووكل بمدخل  
الطريق الواحد رجلا اسمه اوردعي عثمان بن دار علي وكان مرنداً لجناء المسلمين وهاجروهم  
وتساق فريق منهم الجبل فاصدق الملك في مكان ظن ان لن يصلوا اليه ففر الملك وجيشه  
فاصدق بلاد وج والمسلمون في أثرهم ثم قصدوا بلادشوا لاختد خزائن الملك واحرقوا كنيسة  
اند فطن وكنيسة داردين . ونقض الامام أهل شوى وأهل وادوا الجزيرة وصالحوا  
على بلادهم ووصل الامام الى برارة تقدم له أهلها الطاعة والضيافة . وهلك في هاتيك المدة  
الامطار الغزيرة واشتدت المواصل وكل هذا لم يش الامام من هزيمته في متابعة الجهاد وارسل  
من احرق كنيسة دير اباتوس على شاطئ نهر اوردعي وهي من أعظم وأقدس كنائسهم .  
وما زال طول هاتيك المدة يضيق على الملك وهو يفر من وجه الامام من مكان الى مكان ومعه  
اربعمون رجلا من الأقربح . واسكن البطريق ومن سجد تلاق مع المسلمين واشتدت الحرب  
وجرت عدة وقائع وتبارز البطريق ومن سجد مع فارس من أمراء المسلمين اسمه الجراد  
عابد نطن البطريق الجراد عابدا بالرمح طامة نافذة في يده فابصرى وكان عليه عدة مائة  
فخرج السنان من يده ومن السعدة واراد البطريق ان يترع رعيه فالتكسر في يد الجراد عابد  
فاراد ان يسل سبعة ويضرب الجراد عابدا فكان هذا قد ضرب في رأسه ثم نى فاسقطه من  
جواده فقال له لا تقتلني أنا ومن سجد فنادى الجراد عابد اصحابه ان ومن سجد قد سقط فنادى  
المسلمون الاحباش ان رئيسكم ومن سجد قد مات فقتلوا وأخذ البطريق يصيح وهو في  
الأرض صريخ : الخ بلا الخ بلا . اي اناعي . ولكن الحبشة كانوا انهموا وبهمهم المسلمون  
بقتلون ويأسرون واجبر الجراد عابد على ومن سجد فمات به الامام فيها بعد قتاله . لم قتله قبل  
ان أنظره فاعياه : قلت له أريد ان اوصدك الى سيدي فاضطجع الى شجرة هناك واني وقل  
اثنائي في مكاني هذا وشمعني فقتله . وبعد هذه الواقعة امر الامام بالأسارى من البطارقة

فكانوا ثلاثين بطريقاً يقتلهم منهم البطريق جان نهد الذي أسره الوزير هدي والبطريق قاسم وكان مسلماً مرتدّاً ولاء الملك جان أموره بين الثنجري والعتوث ، وكان من أشد البطارقة اذى للإسلام أسره رجل من الصومال من قبيلة منان . ومنهم بطريق هنة . ومنهم بطريق اسمه جبر اندرياس صهره تسمون سنة ما في ارض الحبشة من زمان الملك ادعاس الى اسكندر الى ثاود الى ايام الملك وناج سجد الامتولاها .

قال شهاب الدين احمد الملقب بمرغ فقيه : فلما قتل حسن سجد امتنحت البلاد وذات جيوش الكفرة واسلم اكثرهم كما سباني ذكره . ثم وصل الامام الى جان زلق فحرب اهالي البلد الى بلد شجرة فارسل الامام بعض من أسلم من الاجباش فاصحوهم فجعوا الى الامام واسلموا . وأرسل الوزير هدي الى « زقلة » واني « لال بلا » فسبقه الامير مجاهد ونهيم فاسلموا . فلما وصل الوزير وجدهم مسلمين . فسار الوزير هدي الى « عواش طبرا » فاسلم أهلها . وسار الامام الى ارض انطيط وكان هناك كنيسة للملك اسكندر مملوءة ذهاباً فخط المسلمون عندها وأخذوا ما فيها من الذهب ثم احرقوها . وفر اهالي جان زلق الى الجبال ولم يسلموا فارسل اليهم الامام خالد الواردي وكان يعرف مسالك بلادهم فقال لهم : تعرفون اني اعرف جميع بلادكم فاسلموا قبل أن نقا تلحكم . فقاود بعضهم مع بعض وقالوا ان لم نسلّم نحن وقد أسلم أكثر الحبشة يرسل الينا الامام جيشاً يأخذنا كلنا ولا يقات منا أحد . فقدموا على الامام هم وأهل قوت وأسلموا جميعاً . وأسلم من البطارقة بطريق دنو وبطريق ديلي وبطريق اسمه حيزو وحسن اسلامهم وشهدوا المشاهدة التي كانت بعد . ولما أسلم أهل قوت كانوا ألف فارس وأربعة آلاف راجل كان معهم بطريق اسمه ايبس لخطي ابي أن يسلم وقال انما ما جئت لهذا ولا أغرق ديني الذي مات عليه آباي وأجدادي فقال له الامام : أنت أحسن من هؤلاء الذين أسلموا ؟ . قال البطريق : هؤلاء يملأون دينهم ولا دينكم فاذا أسلموا لا امار عليهم اما انا فاذا أسلمت يغيرني الناس عند الملك والرهبان . فقال له الامام : لا تفعل فانت كبير النصاري وبيننا وبينك مصاهرة . وذلك لأن جاروة الامام هاجرة كانت ابنة عمه فبقي أسيراً ولك على دينه فقام البطارقة الذين أسلموا وقالوا له أسلم والا فذلك انانت أحسن منا فأسلم وجلس مع الامام ثلاثة أشهر فلما غزا الامام اعرا حرب وخلق بذلك ورجع الى النصرانية ثم أمر الامام على جان زلق الجراد صمان بن جوهر وعلى أهل قوت خالد الواردي فسار اليهم وأسلم فسارهم وأولادهم وحسن اسلامهم . ثم سار الامام الى بلد شجرة فنزله الجراد نصر وقال له : بلادنا كلها أسلمت ببركة الله تعالى وببركتك . فقال له الامام : امرتك على الدين أسلموا وأما الذين لم يسلموا فسر اليهم وانفي بهم فسار اليهم وقتلهم واني بطريقين اسيرين فقال فلما الامام : كل البلاد أسلمت فافكها لا تسلمان . قايا الاسلام . فقال الامام : حكمنا بضرب اذانكهما . فقالا : مرحبا . فموجب الامام من كلامهما وأمر بقتلها .

وامر الامام أميراً اسمه شمسوان يسير الى افان وفتحها فسار اليهم وفهرهم وحصرهم في الجبال فاسلموا واحرق المسلمون كنيسة الملك المنعم اسكندر كان فيها ذهب كثير وانجبل ورقه من الذهب لا يحمله الا رجلان . وسار الامام الى ابوته فاسلم أهلها ومنهم بطريقهم اسلموا . فلما سار الامام الى اعرا ارتد البطريق وخلق بالملك أما أسكره فقد يسلموا على



الإسلام وقاتلوا مع شمسو طاعة فتوح الحبشة . وكان أورعي ضيق المرتد في أوقات قلبا رأى جيوش الإمام أقباط وأيقن أن قد أحيط به قال لصاكر : أنا أقاتل المسلمين ولا يدخلون بلادى . ولكنه من جهة ثانية أرسل إلى الإمام سرا يقول : أنا مسلم وابن مسلم أسرتي المشركون ونصروني وظلي مطبق بالأيمن والآن أنا جارك الله وجار رسوله وحارك أن تغل توني ولا تؤاخذني بما عملت وهذه الجيوش التي معي أعتال عليهم حتى يدعولوا عليك ويسلموا . فأجاب الإمام : إذا فعلت هذا فقد قال الله تعالى : قل للذين كفروا إن يقتلوا ينظر الله لهم ما قد سلف . لا تخف ولا تحزن . ويكون الميعاد بيتنا وبينك أرض طوية فاني سائر إليها . وأرسل إليه الإمام مسيحه للامان وطيبة لنفسه . وبعد أيام جاء أورعي عتيان ومعه مرتدان آخران من صبيان الإمام يريدان الرجوع إلى الإسلام ومعهن نحو عشرين ألف نسمة من الحبشة من رجال ونساء وأولاد فدخل أورعي عتيان على الإمام وقبل يده وطلب المغفر فغفر له الإمام فبالحسن وقال له : لا تخف ولا تحزن وقل للمسكر اسلموا . فاسلموا جميعهم من الظفر إلى المغرب ومعهن نسائهم وأولادهم وكان فرسهم على في دير يرهان فأرسل إليه الإمام أن يسير إلى أرض « تلت » وإلى وقدة وإلى بحر وياثل أهل هذه البلاد أن أو يسلموا فقبل فرسهم على ما أمره به وسار الإمام إلى « جدم » فاسلم أهلها باجمعهم .

أما ملك الحبشة فتطاع الأمل من استرجاع البلاد التي ذهبت من يده وانهمز إلى بيت الحجرة أصل الملكة وجمع حوله ما بقي من قوته . وكان هناك كنيسة أسس بنائها الملك نود أبو الملك وناج سجد استغل بيتها ثلاث عشرة سنة ثم خلفه ابنه فقام بمحمد في عملها أحسن مما جده أبوهم وبقي ينعم بنائها خمس وعشرين سنة . وكان طولها مائة ذراع وعرضها مائة ذراع وعلوها مائة وخمسين ذراعا وكلها بالذهب مرصعا بالنصوص الجواهر والأقزاق والرجان وكان قبر الملك نود ابن ادناس بن زرقوب فيها . فلما قرى الملك جيوشه إلى أبواب المدينة دخل هذه الكنيسة فظفر إليها بيتا وشيلا وقال : هؤلاء المسلمون يريدون أن يحرقوا هذه الكنيسة وهي دار ملكي ودار الملوك المتقدمة . فقال له من معه : المسلمون لا يصلون إلى هنا أبدا ونحن نقاتل دونها حتى نموت .

أما الإمام فأرسل أحد أمراء جيشه « جويته نور » إلى بلد كسابه من أرض جدم وكان بها كنيسة عظيمة فيها ألف راهب فذهبهم وأحرقها . وأرسل أناسا إلى بلد جن يدعوهم إلى الإسلام فاسلم بعضهم . ثم وصل إلى الإمام رجل من الصاوي اسمه « وسن جان » ومعه خمسمائة من أهل لدرق الأبيض فاسلموا . وما زال الإمام يجمع في أثر ملك الحبشة حتى أدركه ودارت بينهما الوقفة المشاة بوقفة وأصل قائمزم الملك ومن معه وقتل من رجاله خلق كثير وبلغ الأمر به أن فر بنفسه شريدا ماشيا على رجلية ومعه خمس جنائب ثلاث أمامه بألحظها وهدتها وذلك من وعورة الطريق . وذهب الإمام من طريق أخرى هو وأصحابه وقد ترجلوا من صعوبة الطريق أيضا . ومر الجراد عتيان بن جوهر وأورعي عتيان من على مقربة من الملك وهم لا يملكون به وهو قد اختفى في شجرة في تلك الاوطار إلى أن مر المسلمون ففر قاصدا بلد النبا واحتوى المسلمون على غنائم لا تحصى ووصلوا إلى خيمة الملك وهي منصوبة كما هي وفيها سريره وسلاحه وفرحوا فرحا عظيما وكانت هذه الواقعة في ١٦ ربيع الأول سنة ٩٣٨

ودخل الامام بعدها بيت ابحره في أيام برد شديد مات فيه بعض عسكره من شدة البرد  
وكان العسكر يطعمون الماء المتجمد بالحديد حتى يكسروه . ولما وصل الى كنيسة ابحرا العظيمة  
التي سبق الكلام عليها دخل اليها هو والسلاطون فاعتزتهم الذهبية مما شاهدوا فيها من بدائع  
الصناعة وروائع العظمة ووفرة الكنوز ونهبوها وبات الامام بجانيها واستدعى من كان معه  
من العرب وسألهم هل يكون في الروم أو في الهند أو غيرها مثل هذه الكنيسة ؟ فأجابوه  
لا نظن في الدنيا مثلاً . وكانت بجانب الكنيسة ثلاثة بيوت للملك يسكنها وكانت فيها عجائب  
لمن نظرها فجلس الامام في أحدها وأعطى بنتاً الى الأمير اجوشه والأمير ابي بكر بن قطين  
وجعل البيت الثالث مسجداً . وأما الوزير نور فوصل الى كنيسة انروس مريم ووصل آخرون  
الى كنيسة بيت سبائات التي بنتها أم الملك وآخرون الى كنيسة دير تقداد وكان الملك ادناس  
قد بناها وهو مدفون فيها كما ان أم الملك مدفونة في كنيسة بيت سبائات فأتى به السلاطون جميع  
هذه الكنائس وأخرجوا منها من أحسن الذهب والفضة والدياج والحرير ما يعجز وصف  
الوارثين وأحرقوا الكنائس ووجدوا في كنيسة بيت سبائات أربعة رهائن لما ثبت النار بها  
دخلوا اليها وأحرقوا معها . ووصل عبد الصمد الى كنيسة يقال لها جنت جرجس من بناء الملك  
اسكندر فلم يجد فيها شيئاً لأن أهلها كانوا أخذوها معهم فحرقها . وأرسل الامام الفين من  
أصحابه الى بلد « داله » فوجدوا فيها أربع كنائس منها كنيسة من مصنوعات بصدائع الذهب  
فجعلوا بنائون الذهب بالقدائم . وأرسل الامام سرية الى جبل الدنيا وهو جبل يسكن فيه  
أولاد الترك ومن عادتهم انه اذا ولد له ملك ولد ذكر أصعدوه الى هذا الجبل وبقي فيه حتى  
لا يكون خلاف في الدولة فاذا مات الملك انزلوا من يريدون توليته من أبناء الترك من هذا  
الجبل ولوله الملك . وهو جبل لا يصعد اليه الا بالسلام فوقت هناك مئة ثلاث الهزم في آخرها  
المسلمون وقتل اورعي عثمان وعلي ورادي والجراد . كان الصومالي وعبد الله بن ناصر الدين  
الجزري وأسر الجراد اجوشه . وكانت هذه الجزيرة لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة  
٩٢٨ ورجع المهزموں الى الامام واخبروه بما جرى فعزّن لاسبابها على صهره منان واعتزم  
وبكى واسكنه أراد ان يماقب المهزومين فربط أكارهم قرشهم على والجراد اجوشه ومائة  
فارس معهم وأراد قتالهم فشفع فيهم الفتياء والامراء فعملوا كتابهم ولكنه قال لا بد ان تسيروا  
الى جبل الدنيا وتقاتلوا فقال الامراء الامام انريد ان نخلس الجميع في ذلك المكان الضيق فان  
كنت تريد ان تهلك الجميع فسر أنت بنفسك على انه ان أعطاك الله النصر فقتلنا لم نجد  
الا أولاد الملوك اذ ليس فيها شيء غير ذلك ونحن والحمد لله صار عندنا مال مثل الثراب  
والاولى ان ترجع الى الوراء ونجتهم مع الوزير عدلي والجيوش التي خلفنا في قطبحار .  
فأفقد الامام لتصبيعتهم ورجع وسار يريد صقوت فخط في بحر حيق وهو عذب الماء في وسطه  
جزيرة وفي وسط الجزيرة كنيسة وبيتان فيها آلة الفواكه وكان الامام أرسل الأمير  
زحريوي محمد ابن عمه والوزير مجاهداً وعبد الصمد والجراد صديقاً وأورعي احمد  
وضم اليهم ثلاثمائة فارس فتقاتلوا مع الحبشة عند كنيسة دير ازهر ونهبوها وأخذوا منها من  
الكنوز ما لا يحصى مدده . وكان هذا من التاريخ يوم أحرقوها سبعمائة وعشرون سنة .



أرسل الامام الى أهل جزيرة بحر حيق يدعوهن الى الطاعة وبأمرهم بتسليم الاسير المسلم الذي عندهن .

وكان من قصة هذا الاسير انه غزا مع السلطان محمد فلما انهزم المسلمون في « دل ميده » وقع أسيرا فلما علم الملك انه من خدم السلطان محمد أرسل الى تلك الجزيرة وأمرهم أن ينصروه فتصبر وبقي عندهم ١٦ سنة وقلبه مطمئن بالإيمان . فمعه المرة أرسل الامام رسولا يبعث في البحر حتى وصل الى الجزيرة فرماه أهلها بالحجارة فقال لهم : لا ترموني أنا رسول . فقالوا له : انت رسول هذا الساحر أي الامام فكلمنا من بعيد . فبلغهم الرسالة فاجابوه : قل لبيدك لا تعطى الجزيرة ولا الطاعة ولا تفك الاسير بفعل الذي يقدر عليه عرفنا انه يظلم الجبال بالحيل والرجال أما هذا فبحر . فرجع الرسول وأخبر الامام بما وقع فجمع الاشراف والعرب والمناوبة والمهرة وقال لهم : نحن ما نعرف أيها العرب الا البر والجبال وأما البحر فهو وشأنكم نعرفون اموره فطالب منه العرب الاخشاب والجبال فجمعوا لهم أخشابا كثيرة ونحو عشرة آلاف حبل فشدوا بها شيا يذال له الرمس ( ارمس في الماء تنفس فيه ) وأزله قمار سيرا بطيئا فقال لهم الامام لا تصلون بهذا السير الى قرب الجزيرة حتى يكونوا اهلكوكم بالحجارة والاشباب . فاحتلوا السرعة بشيء آخر وهو انهم وضعوا تحت المشب قروا فسات من السهم ففزع الامام وقال هذا ما كنت أريد . وأمر مقدم المهرة احمد بن سليمان الهري أن يركب البحر هو وأصحابه وأردنهم بغيرهم من الجيش وكان أهل الجزيرة قد نظروا تحيرة الارماس وعلوا أن المسلمين واسلمون اليهم وقالوا هذا من شمل العرب ومعهم المدافع واذا حالنا أمرهم أحسنونا عنوة فعدولوا على طلب الامان وأرسلوا الاسير في سفينة ليلا فارسله رجلا منهم وعادا في الليل فلما أصبح الصباح شاهدوا الاسير ابيجانور عند حلة الصبح فقال له من أنت فقال : أنا حرب ارعد بن اودهي حيد الدين الاسير في الجزيرة . فأخبر الامام بخبره فأمر بدخوله فلما رآه الامام بكى شفقة عليه لما رآه من تغير حاله بالأسر وبكى الاسير ثم أبلغه ان أهل الجزيرة خانوا من شمل العرب وهم يطلبون الصلح على شرط انك لا تقتلهم ولا تحرق كنيسهم فقبل الامام ذلك وقال له : ارجع اليهم وقل لهم يكون ذلك . فرجع الاسير وأخبرهم وأشار عليهم بأن يرسلوا الأبون الذي عندهم ( الرئيس الديني ) ويقتل لهم الامان . فركب الابون سفينة وجاء الى الامام وأراد ان يقبل الارض فنهض الامام وقال له : يا خبيث لا تسجد لاس . ثم قال له : تكلم مايتك . فقال : جميع الزهبان يريدون أن تعطوهم الامان على أنفسهم وكنيسهم . فقال الامام بضرط ان لا تحفوا المال فقال : السمع والطاعة اما اذهب الى الجزيرة والحي بالمال . فقال الامام : لا تأمن لكم ولا بد ان يذهب اصحابي الى الجزيرة ويأتوا بالمال . فقال الابون : اذا كان لا بد من دخول اصحابك فارصم بال لا يدبروا على كنيسنا ولا ينقضوا عهدك . فقال له الامام : اذا اعطيتك الامان اما فلا أحد ينقض عهدك ان ينقض مهدي : فأمر الامام بحربوي محمدا بأن يذهب ومعه رجال من العرب والمهرة والمناوبة وأوصاه بأن لا يقبل شيئا سوى قتل المساكين . فكان من الذهب والفضة حل مائة رجل وأصاب كل رجل من المسلمين ثلاثمائة أوقية ذهب وفضة وأرسلوا الى الامام الارمسة ثلاث مرات مشحونات وليس في الواحد منها أكثر من خمسة رجال مع

انها بسع الواحد منها ١٥٠ رجلا . قرأى الامام أموالا مائة وقسمها فسيم اعطاء للمرب وسيم اعطاء لحر بوي ولعسكر بحر والسهمان البنغيان فرقمها على جيوش المسلمين . ثم سار الامام الى بيت احمر وذلك لانه كان يتي فيها كنيستان غراد ان يحرقهما احدهما مكان مريم والاخرى دينه مريم فوصل الى احمر وأحرقهما . وذهب منها الى خيورة حيث جلس لمرض الشريف أحمد القديمي الذي كان معه فبقي معه الى ان مات رحمه الله وصلى الامام عليه . وارسل الامام الوزير عدلي الى دوارو فوصلوا الى نهر عواش فوجدوه ملائكة وفي جانبه جيش الجيش فبعملوا يرمون المسلمين بالسهام في الليل فقام من أبطال المسلمين الجراد شمعون وقال نحمل في الماء وخيوانا نسبح فيه وحمل هو وخيله في الماء وحمل السلدون من وراءه والحيشة يرمونهم بالكشاشيب الى ان خرجوا الى الجانب الآخر . فدخل الجراد شمعون وسط صفوفهم وهو يجهل أبطالهم وحمل منه أصحابه فانهزم الاحباش وقتل منهم ثلاثمائة وخمسون . ثم جاءهم من الاحباش كفة اخرى فقاتلوا قتالا شديدا وانهزم هؤلاء وقتل منهم نحو ١٥٠ رجلا ثم اعدوا الكرك ثلاثة فانهزموا وقتل منهم نحو ٥٠٠ رجلا .

ثم سار الجراد شمعون الى « دير برهان » فصادقه البطريق جرجيس فقاتلوا قتالا شديدا وقتل من الحيشة الوف . أما الامام فكان سار الى بلد ملك الحبيشة وهزمه هو وبطارقته وسبي نساءهم وفر الملك برأسه . وعاد الامام بالفتن إلى معسكر الوزير عدلي . وكان هذا سار الى دير برهان فلما وصل الامام احب الوزير عدلي ان يعرض امامه الجيوش لانهم كانوا في وسط بلاد الحيشة وعليهم جواسيس ليدون فاستحسن الامام رأيه وجاء الوزير عدلي بخمسين راية وكل راية يندمها من الجرادات والامراء فكان عدد خيل الوزير يومئذ ثلاثة آلاف فارس لايس وثلاثة آلاف فارس غير لايس وكان عدد اصحاب التروس البيض مئتين الف تراس وكان عدد أهل القسي منهم وكان مع الامام خمسة آلاف فارس كلهم لايسون بتجانيق التماسيح والقطيعة الثقيلة بالذهب لا تظهر منهم الا احداق هيونهم من الدروع . ودخل اصحاب عدلي في الصف الاول من الصومال مع مقدميهم وانقوا مع الامام وسلموا عليه وداروا ناحية الى جنب المدة . ودخل الصف الثاني من أهل الغنطعار والمائة وأهل شوا ومن دخل في الاسلام وسلموا على الامام وداروا ناحية جنب الصف الاول . وجاء الصف الثالث وفيه الوزير عدلي والامير حسين والامير شمعون وأورعي نور وقاتلوا خمسين اميرا في عدد عديد وزرد نصيب فجهلهم سقا يمد صف لكثرة جيوشهم فتواجهوا مع الامام وسلموا عليه وجلسوا ومحمدوا قبكي الامام بكاء السرور . وكان من يوم فارقم الامام الى اليوم الذي وانهم فيه سبعة اشهر والخرج الامام الثامن من الذهب والفضة والحرير وقرقها وكثر الذهب بين أيدي الناس حتى صار البقل يباع بأربعين اوقية من الذهب لكثرة الذهب واشداله وكان الرجل يعطي صاحبه مائة اوقية الى مائتي اوقية من المضة فلا يرضى بها .

ولما رجع الامام الى دير برهان ارسل ملك الحبيشة البطريق راس بنيات وكان من اطام البطارقة وامره بكيس اغات والبيض على اورعي ابون الذي كان فيها . وكان الامام ارسل الى اغات الوزير عباس مع نجدة فتلقى القريش في كساية وانهزم البطريق ومن معه . ثم شاور الامام اصحابه فيها يصنع فقال بعضهم ان البلاد لا اصلحت من نهر عواش الى نهر دني



وكذلك أرض باني والجيز والوج فلأني أن نسير إليها . فقال لهم الامام : ان اهل اقات  
وجدم وشجره اسلموا فلذا سرتا ههنا وتركناهم بلا عسكر فقد يرشدون . فقالوا له :  
المهم هو البلاد التي نقتصد بها لا التي نحن فيها . فوافقهم الامام وساروا الى أرض الماية وبعد  
قتال شديد في الجبال والاوغار قتل فيه الحيشة بالسهم السمومة فلم تنفعهم وتنازل عليهم  
السلدون فاسلموا وارسل فرسهم علي الذي كان قائم الحلة في حبة الماية بكتاب الى الامام يقول  
فيه ان اهل « مابه » اسلموا وكذلك أرض « زقاله » وبلاد « جتوا » و « ارخلو »  
و « شجن » اسلموا جميعهم ففرح الامام فرحا شديدا . وكذلك كان ارسل عبد الناصر الى  
« جيز » وقال له فاناسم او يسلموا او يسلطوا الجزية . وارسل الوزير بجاهدا الى أرض  
« وج » والي « جيجي » وقال له : قاتل وانا سائر من ورائك . فاهل وج وجيجي اعطوا  
الطاعة وادوا الجزية واما بطريقهم « اسلام دهر » والبطريق الآخر « يشداب »  
صهر الملك فأبى ان يسلم . فاما ويشداب فسار بجائته وخدين فارسا لاحنا ببلاد الداموت واما  
اسلام دهر فارسل الى الامام ولده و بطريقا اسمه صبو لينكاهما مع الامام في الصلح وكان  
صبو نصيبا لهما فقال للامام : هذا ولد البطريق اسلام دهر وانا صهره يشاك علي ان  
لا تخرب بلادنا ولا تحرق كنائسنا ونؤدي الجزية ونبقى علي ديننا . فرضي الامام بهذا  
منها فاطهرا ورغبتهما في الاسلام بعد ذلك فقال لهما الامام : قولوا نشهد ان لا اله الا الله  
وان محمدا رسول الله . فاما البطريق فاطها وحسن اسلامه . واما ولد البطريق اسلام دهر  
فقال انا لا اسلم حتي تخلف في انك تدخلني ولدا فصحك الامام من قوله وقال له : اسلم انا  
اقبل لك ما اردت كله . فقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم انه كان  
معهما ثلاثون فارسا فاسلموا جميعا . واما « تسفو » مقدم بلاد الماية فارسل الى الامام قائلا :  
لا تخرب بلادني فاني اسلمت علي يد فرسهم دين . فأمنه الامام وقدم عليه هو والفي راجل  
من الرماة فأكرمهم الامام واقر تسفو علي امرته . وجاء الوزير بجاهد من اهل وج  
الذين اسلموا ووصل فرسهم دين بعبد الوزير بجاهد ومنه من اسلم علي يده وهم اهل ستة  
بلدان بفرسانها وبطارقتها وكانوا الوثا فسجد الامام لله شكرا ودعا لفرسهم دين . واما  
عبد الناصر فاقر الجزية علي الذين نفع بلادهم وبعضهم تحصنوا بالجبال فسار الي « كنبات »  
وقتلهم وقتل منهم خافا كثيرا الي ان اقر الجزية ورجع الي « جيطو » من اطراف بلاد هديه  
فقاتلوه فقاتلهم الي ان اقر الجزية .

اما الامام فكان في أرض وج صام فيها رمضان وانظر في « جبراحي » وارسل جيشا  
به عدة أمراء تحت قيادة الامير حسين الي دوارو فدخلوا أرض زوي ثم أرض وطبات وكان  
هناك سافو ابن البطريق ومن سجد وغيره من البطارقة فالتزموا من وجه المسلمين . ودخل  
سافو أرض « جان زجرة » فتمتع بهم اليها فالتزم الي عدوت لاحنا بالملك وأعبره بما فعل  
المسلمون فخرق بها . اما الامير أبو بكر فانه دخل جان زجرة وغربها وأحرق كنائسها  
ثم سار الي أرض « جراوراري » وحط فوق نهر « بور » فدخل عليه بطريق جراوراري  
والبطريق « رويل » والبطريق « وسن شش » والبطريق « تيدروس » واسلموا جميعا  
وحسن اسلامهم . وكذلك اسلم الجراد هنو ونحصن خمسة من البطارقة في الجبال فقاتلهم الامير

أبو بكر وأسرهم هم ونساءهم وأولادهم .  
وأما الأمير حسين والوزير عدلي فدخلوا أرض جزائر فجاء أهل « ادل ميري » اليها  
وأسلموا جميعا . وكذلك أهل « أولاد » و « وتن » و « آبيت » و « ارقوي » كل  
هذه من أرض دوار فأسلموا جميعا .

أما الإمام فسار من جرجي مسيرة يومين وحط فوق بحر زواي وهو بحر مائة صنب  
تسير فيه سناباتهم مسيرة ثلاثة أيام وفيه ثلاث جزائر كل جزيرة فيها ثلاث كنائس فأراد الإمام  
غزو هذه الجزر فقال له المسلمون دع البحر لأن وسر إلى أرض هدية فجاء صاحب هدية وهو  
مسلم من الأصل وكان يؤدي جزية تلك الجزيرة وكان يقدم كل سنة بنتا من أبكارهم جيلة  
للك ملك يأخذها وينصرها . فلما دخل صاحب هدية إلى الإمام مع جنته قال أنا مسلم وأنتم  
مسلمون . فأكرمه الإمام وخلع عليه وهو وأهل بيته فأتوا المسلمين فأسلمهم الإمام يصنعهم  
الذي كانوا يصنعونه وهو أن يصطفوا كل سنة بنتا لحسنها وجملها ويقدموها لملك النصارى .  
فقالوا له : إنه حكم على آبائنا الأولين وحكم علينا أن لا نأبس هذه الحرب ولا نملك السيف  
ولا نركب الخيل بالسروج وحكم أن نعطيه البث فكاننا نعطيه بخانة أن يتخذنا ويحرب مساجدنا  
وكنا متى جاءنا الذي يريد أخذ البث غلبنا وكفناها بثوب وحبنا أنها ميتة وأعطيناه أياها  
فأنا وجدنا آباءنا يفعلون ذلك فعلمنا فلا أنانا الله بكم وقد هزمتم الذي يحكم علينا وقتكم  
جيوشه فتعجبنا منكم . فسار الإمام إلى أرض « أي فرس » ومنه صاحب هدية وأرسل  
« احمد جويتا » إلى « شرخه » فأسلم أهلها . وسار الإمام إلى جازر فأسلم أهل جازر . وأهل  
« جان جي » وهم خلق كثير . وأسلم منها بن تحلي وكان أبوه مسلما قارم في أيام السلطان  
محمد فداد هذه المرة إلى الاسلام هو وأخوه خالد ومعهما عدد عديد جدا من الفرسان والرجال  
فولى الإمام أرض جازر شهابا وولى الأمير عمر أرض « استرجات » وقرى خسين أميرا على البلاد  
التي فتحها . وجلس الإمام في « عندورة » وأرسل عبد الناصر إلى « جيت » وقال له : لا يملك  
غيرها لأن ملك جيوشا كثيرة . ويناها الإمام في عندورة أرسل إلى البطريرك « سيمو »  
و « صيرو » انهما معه لا مع أهلها ويطلبان منه جيوشا حتى يقاتلا فيها فأرسل الإمام إلى  
الوزير عدلي والأمير حسين بالجيوش فأتية فحضرا إليه فبلغه ان الاحباش غلبوا بلاد  
هدية وبلاد جازر فأتاه عبد الناصر إلى جازر وجعل صهره في هدية وأسلم البطريرك صبرو على يد  
الإمام وأرسل الإمام وزيره عدلي إلى بالي وولاه عليها فسار إليها ومنه من أبطال المسلمين  
الوزير عباس ابن أخي الإمام والجراح احمد جويتا وأورعي قاطع عمر والجراح احمد وش بن  
محفوظ وفرشعهم سطوت وفرشعهم علي وأورعي احمد بن هرجاي محمد وحامد بن سوجه . ثم  
لما بلغ الإمام ان صاحب بالي في قوة عظيمة أرسل عبد الناصر صاحب الجازر والجراح صديق صاحب  
شرخه وصاحب هدية مددا للوزير عدلي وكان دليلهم البطريرك صيمو الذي أسلم وكان فارسا  
مشهورا ووافاهم البطريرك صيمو وسلم أيضا . فأرسلوا إلى بطريق بالي ينصحونه أن يخضع اثلا  
يندم ويخونونه بكثرة جيوش الاسلام فاجاب بأنه لا يسلم ولا يؤدي الجزية وأنه حاضر لقتال  
وأمر صاحب بالي جوجه أن يخرجوا للحرب ومعهم نسائهم وأولادهم وتلافى الجماع في بلدة  
زلة وأما المسلمون فكان على ميعتتهم الوزير عباس والجراح عثمان وعلى المسيرة عبد الناصر



واسعا به وفي القاب الوزير عدلي واصحابه وفي المقدمة ابيها نور وصبر الدين البطل المشهور .  
 واما صاحب باني نصف القوس قدام الخيول وركب فرسه وقام في وسط القاب كأنه برج من  
 حديد وجعل نساء ورائه وعلمين زينهم وفيل سائر البطارق مثل فله . ولما اختلط الجلمان  
 حمل فرسهم علي في بطريق باني حتى اقتلعه من برج فرسه وضرب به الارض وسقطا معا  
 فنهض فرسهم علي واستل خنجره كان معه وقطع رأس البطريرق فلما رأى الحبشة ذميتهم قد  
 قتل ولوا الاذيبار وتبهم المسلمون يقتلون ويأسرون فمئل من الحبشة عدة الوف وكانت نساء  
 المسلمين حمان ايضا وراء رجائهم ومن علي يدهم فكانت المرأة منهم تقول بعد الوفاة اسرت اربع  
 نسوة وتلك تقول خسا وتلك تقول ستاوا سبعا . وكان جملة البطارقة الذين قتلوا مائة بطريق  
 منهم البطريرق اسحق فله ايسها نور . وايض بطريق جابر وكان شيطانا شجاعا فله البطريرق  
 سيمو الذي اسلم . وبطريق ليمو صاحب شرقة فله الجراد احمد وش بن محفوظ . والبطريرق  
 غفاني فله حبيبي اسام . وقتل زمكر ابن بطريق باني فله تماش ايون . والبطريرق عجن فله  
 البطريرق صبرو الذي اسلم مع سيمو . واسر نحو مائتي بطريق منهم « اراج زخره » وكان  
 من خواص الملك . ومنهم البطريرق قعدية وكان مسلما مرثيا . ومنهم البطريرق جرجيس ومنهم  
 ابن دحرجونية . وقتل من الرجلة والفرسان ممن لم تعرف اسمائهم ثلاثة آلاف . وذلك الله  
 المسلمين خيولهم ومناصمهم ونساءهم وأولادهم وما ملكوا جيادا . وحط الوزير عدلي في بيت  
 البطريرق عدلو في زله وسأل هل بقي من البطارقة أحد فقالوا نعم وعدوا له خمسة بطارقة .  
 قال الآن اين يكونون . قال البطريرق سيمو : ما بقصدون الا ارضي « قاعة » عند البطريرق  
 ايديس فارسل الوزير البطريرق سيمو معه اربعمائة فارسا فلقبهم بخنقين في الاشجار فأسروهم  
 وأخذوا معهم خمسين فارسا . وكان الوزير عدلي لما سار الى باني ارسل الامام الجراد « جوشو »  
 ابا بشاره الى باب دارة وقال له الذي يخرج من باني لا يقاتل ملك لانه لا طريق الا من هذا  
 الباب فكان ما توقع وهو ان خمسة بطارقة ومنهم ستون فارسا فصدوا البيور وهم منهزمون  
 فما شعروا الا والمسلمون عند الباب فأسروهم وخربوا اعتاقهم وقطع الجراد جوشو رأس  
 البطريرق « حجة » وأرسل به الى الامام لان الامام كان يتعرق عليه غضبا اذ كان ارسل الى الامام  
 يقول له اريد ان اسلم فارسا اليه الامام رسولا فقتله ولحق بارض باني فلما وقع هذه الفرة في يد  
 الجراد جوشو فله وارسل برأسه الى الامام ففرح به . ولم يكن وصل اليه خيرا انتصار الوزير  
 عدلي في باني فلما رأى الامام الراس قال لرسول : من اين اتيت صاحب هذا الرأس . فقال  
 الرسول : اما جاءكم الخير من الوزير عدلي بما جرى . فقال الامام : وماذا جرى . فاجاب الرسول  
 بالنصر العظيم الذي من الله به . فسلمي الامام ركنتين شكرا وخلع على البشير خلة ثامة وجلس  
 في القلاعة وأمر بضرب النغارات والطبول . ثم وصل بشير الوزير عدلي بتفصيل خبر المعركة وهو  
 يذأله كيف يقتل بالأسارى ونساء البطارقة وأولادهم فاجابه : اما البطارقة وناؤهم وأولادهم  
 والخيول التي غنمتموها فاخرج خمسة وافرقي للباقي على المجاهدين . واما امرأة البطريرق عدلو  
 فخذها لك . ومن أسلم من البطارقة يكون معك ومن لم يسلم فاقته . واما قعدية المرتد فاشقته  
 بواب البلد زله . واما اراج زخره وجرجيس وابن دحرجونية فأسلمهم الي . ثم ارسل  
 الامام الى البطريرق سيمو سيفا من الذهب الاخر فيه ٢٠ اوقية على مقبضه وذلك لما قتل

من الجبل وكونه لم يقدر . فانفذ الوزير امر مولاة وفرق الاموال ونساء البطارقة واخذ امرأة الطريق عدلو نفسه . وارسل الى الامام الاسارى الذين طلبهم فلم يضرب أعناقهم . وأما خارج المرتد فشفع به المسلمون وقالوا للامام : هذا قد تربى في بيتك وهو صغير وقد تاب ، فعفا الامام عنه . اما اهل بلي فاسلوا باجسهم بعد هذه الواقعة . وكانت واقعة بلي يوم الجمعة يوم الحج الاكبر سنة ٩٣٨ .

ثم ارسل الامام الوزير بجاهدا الى أرض وج فقاتله بطريقها « اسلام دهر » صم الملك اسكندر ومعه ثلاثون بطريقا بجندهم فمزهمهم . وقتل اسلام دهر ومن معه من البطارقة واطاعت وج سبلها وجبلها وارسل الوزير بجاهد بخير الفتح الى الامام وهو في جراجي . وكان ملك الحبشة أرسل بطريقا اسمه « أكر » ومعه جيش الى بلاد جز فقصده عبد الناصر من أرض هدي وعرمه وأسر مكرمه ولم يفلت الا البطريق وحده واسلم المسكر الذين وقعوا في يد عبد الناصر وحسن اسلامهم وشهدوا فيها بعد طاعة الوقائع . وارسل الامام قائدا اسمه يعقوب الى أرض وروب فاجتمع الحبشة تحت قيادة بطريق اسمه اكليل وقالوا يعقوب فمزهمهم وقتل منهم الف رجل وكسب الى الامام بالفتح وسأله ماذا يفعل فاجابه بأن يأخذ من أهل وروب جزيرة سنوية مقدارها ١٥ ألف حل من الحنطة واللف اوقية ذهب واللف كسوية من السل والسمن . فاطاعوا على ذلك وجلس يعقوب في بلادهم .

بعد فتم الامام لبلاد دوارو وبلي وهدي وبنز ووج وروب وقليجار والفت وما حولها لم يبق خارجا من طاعته الا قدر ثلث الحبشة فأرسل الامام الى بر سعد الدين يطلب امرأته وأمر القهقريين بأن يطلبوا نساءهم ويسكنوا بلاد الحبشة ففعلوا وبنت الوزير عدلي الى بلاد الداموت ففتحها وعرم بطارقها وفتح بلاد جانت وغنم غنائم لا تحصى . ثم جمع الامام الامراء في دير برهان وقال لهم : قد انتفعت بلاد الحبشة ولم يبق الا بلاد النيجري ومدور والتوجام فلما أن نذر اليها واما أن تجلس في هذه البلاد سنة حتى تنزرها . فاشار بعضهم بالجلاس سنة واحدة حتى تنقرر الاحوال وقال الآخرون مثل الوزير عدلي وعبد الناصر والوزير بجاهد وخرنوب محمد لابل الاحزم أن تقصد ملك الحبشة من الآن لانا في قوة ومنعة . فقبل الامام رأيهم وسار بجيوشه من عدة طرق وعررت معه وقعة بقرب بيت اعمره أخذ فيها أربعة آلاف مع بطريقهم ابن دجلان فمرض عليهم الاسلام فساموا ولبنوا مع الامام الا ان ابن دجلان فر فيها بعد .

ثم سار الامام الى جبل النبا الذي تدم ذكره وهو الذي يحفظون فيه اولاد الملوك ولا يمكن الصعود اليه الا بالسلام وكان المسلمون عجزوا عنه أول مرة فعط الامام على هذا الجبل وأمر ملك الحبشة جميع جيوش النيجري ان تقاتل الامام دون هذا الجبل فقاتلهم الامام نحو شهرين وما زال حتى فتح الحصن الاول والصخور والحجارة من فوق المسلمين مثل البرد تقع عليهم . وكان مع الاسارى واهل النيجري مدافع وبنادق وكان يضرب لهم بالمدافع وجبلان من المسلمين أحدهما عربي اسمه حسن البصري والآخري عبد أصغر تركي كان عند الامام ثم تضرع وخلق بالحبشة . والسكن الامام كان أرسل الى زيلع فاشترى مدفا كبيرا من نحاس ومدفيعين صغيرين من حديد وجيء بها الى الجبل الى جندله ثم حانها الرجال الى محلة الامام لان الجبل



كانت لا تقدر على السير في تلك الاوطار وكان مع المدافع مهتاران من الخنود فضربا بالمدافع واشتد القتال وكان حسن البصري يخرب بالمدافع على المسلمين فلما رأى الامام أن لا جدوى الى أخذ الحصن الثاني امر بالرحيل وقصد بلاد النيجري وممر بكنيسة اسمها « لا ابله » وهي كاهن متفورة في الصخر وأعمدها من الصخر وفيها صهيح ماء منقور في الصخر وليس في هذه الكنيسة خشب سوى القنابل والنوايت فاحرق الامام ما فيها من القنابل . وسارت طلائع المسلمين مع مقدمها شمسو مسيرة يومين حتى بلغت نهر حرار وكان الاحباش عبود وتركوا أنفاهم ومنها بنت أخت ملك الحبشة فوصل المسلمون وأخذوا الاطفال وقتلت أخت الملك وطأوا بها الى الامام فقصرى الامام بنت أخت الملك وولدت له . ثم قدم الامام القائله شمسو فدار يومين فالتقى مع الاحباش وهم في عدة عظيمة ومن جملة ما مهمم خيال كثيرة هيأوها لربط المسلمين فهزمهم شمسو وقتل منهم ثلاثة آلاف وربط كثيرا منهم بحبالهم . ووظف الامام الى الامام واستشهد معه زحريوي محمد بحربة مسمومة فعزى عليه حزنا شديدا وعزم الدور وحط عند كنيسة مارية . وولدت له زوجته هناك ولما سمى احد النجاشي وكان أول ولد له في النيجري ثم سار فحط في « فرقاره » وهي كثيرة البر والاصل فقام الامام بها . وسرح جيوشه فغزو البلاد فالتقى المسلمون مع الدور في أرض النينين فهزمهم وقتل منهم ثلاثة آلاف وسار يريد مدينة اكسوم فحط في أرض « ارعدة » ودخل عليه اناس من مسلمي بلاد النيجري من قبيلة بلو وقالوا له : ان الاحباش اجتمعوا بجبل هناك . فسم جيشه فسيبهم وقصدهم وأبقى منهم اكثر من عشرة آلاف حتى امتلأ السهل والوهر بحيف القتلى ونهبوا من مواشيهم ما لا يقع تحت حصر . ووصل الخبر الى ملك الحبشة ان المسلمين دخلوا الى النيجري وأخربوها فبكى وحزن حزنا شديدا وجمع جميع بطارقه وجيوشه وسار الى اكسوم وأخرج الصنم الكبير من كنيسة اكسوم وهو حجر أبيض مرصع بالذهب ومن كبره لم يمكن اخراجه من الباب بل تقبوا من الكنيسة على قدمه وأخرجوه وحمل اربعمائة رجل وذهبوا به الى حصن اسمه ثار . وسار الامام قاصدا اكسوم فمر بثلاثة حصون صالحه على الجزيرة أهل حصنين منها فغلاهم . وقتله أهل الحصن الثالث فنهزم وقتلهم عن آخرهم . وفر ملك الحبشة الى « مزجة » وسلطانها سار اسمه مكتر . فأرسل هذا الى الامام يستعرضه قائلا : ادركني قبل ان يقتلوني فبعد الامام في السير حتى بلغ مسلمي مزجة وممر بكنيسة المساميل وكان فيها خمسمائة راهب فقتلهم جميعا وصادف جدا من الحبشة مقابلين لنجدة الملك فالتأصاهم . ووصل اليه من السلطان مكتر رسول يخبره بان النصرارى ضيقوا عليه وقتلوا كثيرا من رجاله وثلاثة من اولاد اخته وهو ينتظر وصول الامام فأرسل اليه الامام انه قادم اليه ففرح فرحا لا مزيد عليه وخرج وهو مريض وركب فرسه ولبس درعه وسار يلاقي الامام ومعه خمسة عشر ألف مقاتل من النوبة . فزل الامام بجيشه عند السلطان مكتر فاضاهم عشرة ايام . وبلغ ملك الحبشة ان الامام صار الى هناك فانهزم بجيشه الى أرض فجاء . وسار الامام وراءه فبعد مسيرة ثلاثة ايام مات السلطان مكتر فاضفت اخته « بيموة » خبر موته عن العساكر وأرسلت تخبر الامام بموته فولى الامام ابنه نافع مكانه وهو صغير بكفالة عمته وكانت تدبر الامور في حياته أخيرا . ثم تقدم الامام الى أرض الدية وسأل عن ملك

الحبيشة فقالوا له ذلك من ثمانية ايام . فدار الامام وحط عند كنيسة انفراد وأحرقها وقام  
يقبع الملك في الطريق أدركوا فارسا من النصارى قسروا . فإذا هو أيون أخو الوزير  
مجاهد وكان قد ارتد ولقى ملك الحبيشة فساله الامام عن الملك قائلا : اما تلحقه إذا سرنا  
وراءه . فقال لا لانه قطع بلدانا كثيرة . ثم امر الامام بقرب أيون المرتد هذا وهذا عنه  
فلم يقتله . وبنى الامام مجدا في السير فصادف غلام الملك وطلبه قد وموها في ارضها ثم لقي  
صناديقهم مرمية قد تركوها حتى لا يتأخروا بسببها . وأدرك الامام ساقه جيش النصارى  
وذلك بهم ولم يدرك الملك وهذا نزل على نهر « الجادين » الذي ينصل بقيل مصر وكان الامام  
في طائفة جيشه المختلط بسكر النصارى ولم يشمر الا وهو في وسطهم فكانوا يشككون بكلام  
النصارى حتى لا يعرفوهم . ولما لم يدرك الملك وقف حتى وصل اليه جيشه . وأسرى في تلك  
النوبة أحد صبيان واسمه انس كان ارتد ولقى بابن البطريق فجعلان قام الامام بقطر يديه  
وأسرروا البطريق اقباسات الذي هو قاضي الحبيشة وهو عندهم ثاني البطرك فقتل الامير اسماعيل  
وأسرروا أخت ملك الحبيشة وكان اسمها « انبي فتى » . ودخل الامام بلاد النجدي وقد  
اشتد بها الفلاء والجوع فبلغ من كل ثلاثة أصع مثقالين من الذهب وصارت الاحباش تشرق بنال  
المسلمين . وكانوا لما دخلوا أرض النجدي كل واحد منهم معه خسون يتلافوا خرج منها  
الواحد الا بئيل أو بئلين . وكان الوزير عباس ذهب الى أرض السراوي ثم تبعه الوزير عدلي  
وأخاهما مسلمون ومنهم نصارى فأسلموا . وقاتل البطريق « تسفولولو » في مكان خرج  
مشتبك الاشجار وهناك طريق ضيقة لا يقدر ان يمر بها الفارس الا وحده يتبعه الفارس .  
فلما دنا الوزير عدلي أن يتقدم الجميع في هذه الطريق فلما توسط الطريق رماه النصارى بالحراش  
والمراربي فتخننوه بالحراش فسقط فتقدم من المسلمين رجل اسمه بربري فقتله على ظهره  
وبه حشاشة على ان يهرب به والسماء عليهما مثل المطر فقال الوزير عدلي لبربري ارمني هن  
ظاهر كما بقيت بي روح . فتقدم فارس من صبيان الوزير عدلي يسمى كبير محمد فقتلوه فتقدم  
آخر اسمه الجراد هيجو من أهل باني فاستشهد . فلما رأى المسلمون ان لا سبيل للمروء  
رجعوا الى الوداء وحطوا في مكان فيسبح . وقطع النصارى رأس الوزير عدلي وأرسلوا به  
الى ملك الحبيشة . ولما وصل خبر موت الوزير الى الامام جمع الجيوش وكان أكثرهم من الذين  
أسلموا جديدا فامر مناديا ينادي ان عبدا من عبيد الامام مات ويقوم واحد مكانه وهو الوزير  
عدلي فخرجت الحفلة بالبكاء والتعجب وحزن المسامحة حزنا شديدا . أما النصارى فلما  
وصل رأس الوزير عدلي الى الملك جالسوا ثمانية ايام يضربون طرولهم وتترهم ويظهرون  
زيتهم ويضربون خورهم .

وجعل الامام الوزير عباسا مكان الوزير عدلي وأرسله الى أرض السراوي فنصده البطريق  
« تسفولولو » وأسرع بالمسير آتلا الظفر وراء أم حبيشة راهب على حمار يتول الحبيشة اليوم  
اسكنهم للصبر على الوزير عباس فلاحم الثريخان وحمل رجل من المسلمين على البطريق  
تسفولولو فجندله حريفا فلما رأى الاحباش بطريقهم قتبلا ولوا الادبار فتهبهم المسلمون فلم  
يقات منهم أحد رقتل الرابع وهو على حماره . وقتل أولاد البطريق وأخذت الوزير



عباس بنار الوزير عدلي وأرسل برأس البطريق ورؤوس أولاده الى الامام ففرح بالهزم وأخذ النار .

وجلس المسلمون في بلاد القيقي سنة واحدة حتى فرغ زادهم واضر بهم المجلس ذات منهم اناس كثيرون في أرض المراوي بالطاهون مات اودعي ابو بكر ومات احد النجاشي وله الامام وماتت طارسي امرأة الوزير عدلي ومات الجراد عبد الناصر وامرأته باقيسة وارتد بعض المسلمين ومنهم آخر فرشحهم سلطان مع كثير ممن كانوا اسلموا وذلك من الجهد الذي جرى للمسلمين . ولم يبق لهم ظهر ولا حار يحملون عليه فكان كثير منهم يحمل دية على ظهره . فلما رأى الامام ما حل بالمسلمين في أرض بغيري سار بهم قاصداً أرض « بقي مدر » لكثرة خيراتها روى ولاية من قبله على بلاد المراوي وبحر نجاش والحسين ومزل الشريف بورا من ذخير روى مكانه السلطان احمد بن اسماعيل الدهليسي . ومرا الامام بأرض مزجة التي اهلها مسلمون وصام عندهم رمضان سنة ٩٤٩ ثم سار الى بقي مدر فتمكن له الاحباش في الطريق وكان عليهم بطريق بقي مدر ومعه ثلاثا بطريق فزهمهم واسرهم . وفر منهم بطريق ساول الى بلاد سين ، وهي جبال لا يوجد اعشى منها في جبال الحبشة واهلها من يهود الحبشة ويقال لهم بانهم ثلاثة يثرون بوحدة الله ولا يثرون غير ذلك من الايمان . وكان اهل « بحر عتبا » استبدواهم اربعين سنة بحرقون لهم ويستخذمونهم فلما انتصر الامام على الحبشة جاءوا اليه من كهوف جبالهم وخدعوه وصاروا خرائين للمسلمين ثم استفتح الامام بقي مدر وصار اهلها ثلاثين للمسلمين واستفتح « وقرة » وبنى فيها مساجد وولى عليها الجراد صير الدين واستولى على بلاد « دربه » من بقي مدر وولى عليها فرشحهم عليها وبنى فيها المساجد وصار اهلها ثلاثين للمسلمين . وأخذ بلاد التومة وكثرت الى أرض واق وجعل فيها الامير ابا بكر قطين مع جيشه وبنى فيها القلعة والمساجد . ودخل بلاد الدينيه وهي كثيرة الخيرات ويندر الذهب فانخذها مكنها وأصلحها وبنى فيها المساجد وصار اهلها ثلاثين للمسلمين . وأعطى بلاد « تاكمه » وهي ثمر بلاد المصح الى الوزير عباس واستقرا المسلمون وصار الامام الى بلاد قجام عاخرها وتلاقى فيها مع الامير شمعون وكان لما تركه الامام في جدم قصده ملك الحبشة بمجموعه فزمه شمعون وأخذ كل ما معه . وكان في الدينيه بحر عذب مسيرة أربعة ايام في وسطه ثلاثون جزيرة ملحومة فواكه ورباعين وكان كل من لم يطعم المسلمين من الاحباش النجاء الى هذه الجزائر ففزعهم الامام بالسيف الى جزائرهم . انتهى

هذه خلاصة الجزء الاول من كتاب حرب فتيه ولم يمتد المستشرقون على الجزء الثاني وانما يجل الاخبار التي في هذا الكتاب مؤيد بكتاب الحبشة وتواريخ الافرنج . وقد ظهر هذا ان بلاد كثيرة مما عده صاحب المسالك الاصل من ممالك المسلمين في الحبشة وقته عنه صاحب صبح الافقي كانت في أيام الامام احمد بن ابراهيم من بعض ولايات الحبشة عنى أوقات دوارو وعديه وشرخه وبالي وان الامام المازي احمد لما فتح البلدان التي كان أسلمها للمسلمين . وأقرب من هذا وذلك المبالغة التي حصلت في احصاء اجناد تلك الممالك الاسلامية وان هذه فرسانها اربعون الفا وهذه عشرون الفا الى غير ذلك مما لا يمكن ان يكون بدليل ان جميع فرسان الامام الذي هو اكبر غازي في الحبشة عند ما عرض الجيش الوزير عدلي كانوا

أحد عشر ألف فارس وأربعين ألف رجل وهو الجيش الذي يمثل قوة مسلمي الحبشة باجمعها ثم إن صاحب « هدية » الذي قال منه أنه أقوى اغوانه وأكثرهم خيلاً ورجلاً وإن عنده أربعين ألف فارس سوى الرجال فأنهم مثل الفرسان مرتين وأكثر هو هو الذي ذكر صاحب « فتوح الحبشة » أنه كان يقدم كل سنة لملك الحبشة بنفاً مسالمة بقرانها وينصرها وأنه لما وجههم الامام الفارسي احمد بن ابراهيم على قبول ذلك قالوا له : كان هذا الملك مقبداً بنا ضارباً علينا الذلة والمسكنة محظوراً علينا مسك السيوف وركوب الخيل بالسروج فكنا نقدم له الطاعة والمال والبرق معه فداء عن انفسنا ومساكننا . فكيف تحاط هذه القصة التي تاريخها في القرن العاشر للهجرة ( ٩٣٠ ) مع قصة الاربعين ألف فارس والثلثين ألف رجل التي يجب ان يكون تاريخها قبل ذلك بقرنين أو قرنين ونصف قرن ولا يظهر من حال هاتيك البلاد بحسب وصف حرب فيه انها تحتل هذه القوي الغالبة كلها لا سيما ما كان منها مثل مملكة هدية ضيق الرقعة قليل المساحة . ولا شك ان حرب فيه الذي كان في البلاد نفسها ادري من الشهابي بن فضل الله ومن الفخشيدي ومن القريري الذين نال بعضهم من بعض .

أما لحضنا فتوحات الامام احمد جران وشكك بالحريشان النصارى وحله اياهم على الاسلام وليس ذلك الا جزئاً مما كان يقوله الحبشة النصارى بالحبشة المسلمين والصومال والتوبة قبل ظهور السلطان سعد الدين والامام احمد وبهدهما وما كانوا لا يزالون يعملونه الى عهد قريب وهناك ملخصاً تعريب ما جاء في الانبكيكوبيدية الاسلامية الفرنسية تحت اسم الحبشة . فبعد ان ذكر فيها ان جغرافي العرب الاولين والثوسطين مثل ابن خردادبه والفندي والسعودي والادريسي وأبا الفدا والدمشقي وابن الوردي والحراي لم يذكروا شيئاً طائلاً عن الحبشة جاء فيها ان المؤلف الوحيد الذي تتكلم بالتفصيل عن تاريخ الحبشة في العصر الاخيرة وأخبار ممالك الاسلام فيها هو القريري في رسالته « الاملاط بلخبار من بارض الحبشة من ملوك الاسلام » .

القريري يتكلم عن اقليم من الحبشة يسمى قيلم يشتمل على سبع امارات : لوفات ودواو واراياي وشرخه وباني وداره ومملكة هدية التوبة . فكل من هذه الممالك كان عليها أمير مستقل بها لكنهم جميعاً كانوا تحت سيادة الحظي سلطان اعمره وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر دخل مسلمون كثيرون في أرض شوا ووصلوا الى بتي مدر ( تقدم ذكرها في فتوحات الامم ) وأول من أساء معاملة المسلمين من ملوك الحبشة يقال انه الذي يقونو املاك ( ١٢٧٠-١٢٨٥ ) فجر هذا الاضطهاد الحروب ووقائع مستمرة اشتهرت كثيراً لاسيما في أيام الملك محمدسيون الذي انتصر على ملوك عدال صير الدين وجمال الدين الخ ( ١٣١٤-١٣٤٤ ) واستمرت هذه الحروب في أيام شافاه محمدسيون مثل نوليا كريستوس ( ١٣٤٤-١٣٧٣ ) ودافيت ( ١٣٨٢-١٤١١ ) ويسحق ( ١٤١١-١٤٢٩ ) وزارا بقوب ( ١٤٣٤-١٤٦٨ ) وبيد امريم ( ١٤٦٨-١٤٧٨ ) ولسكندر ( ١٤٧٨-١٤٩٤ ) الخ وقد انضغ بيد امريم ملك الدنا قبل أيضاً وهم امة مسلمة لا تزال ساكنة الاقليم بين جبال الحبشة والبحر الاحمر ففي أوائل القرن السادس عشر ( أي منذ نصف وثمانية ) كان الاسلام في هاتيك الاصقاع في دل عظيم .



وكانت تلك الحروب كلها مدة قرنين كاملين خارج الحيشة الاصابة ولكن سنة ١٥٢١ نقل سلطان « عدال » أبو بكر بن محمد كرسية الى هرر فأزداد الاحتكاك بينه وبين شوا والحيشة ثم لم يلبث ان ظهر احمد بن محمد جران الفائد الصومالي ( الذي نعرفه انه احمد بن ابراهيم ) الذي طارقه الترك بالمدافع والجنود ( على كل حال في الواقع التي لحصنها من صاحب تلخ فزوح الحيشة لا يوجد أثر ترك ) فشن الغارات على الحيشة حتى بلغ أقصى شمالها ونهبها مراراً وأحرق كنيسة اكسوم . وكذاب هذه الفتوحات الذي الفه حرب فقيه ( ١٥٤٣ ) هو التأليف العربي الوحيد الذي يذكر كثيراً اقاييم الحيشة . وسنة ١٥٤٤ انصر الملك غلاديروس على جران هذا وقتله ولكن نور الدين خلف جران أخذ بتأمره فغلب غلاديروس وقتلته سنة ١٥٥٩ وكان الاثراك قبل ذلك يستعينون بملوك مصر ومساعدة أمير البلاد الساحلية استولوا عدة مدن من جنابها « دياروه » وثار هذا الأمير واسمه يسحق على الملك « سارسا دنتل » وظاهره الترك فانكسروا جميعاً في واقعة « عبا جري » سنة ١٥٨٩ هزم سارسا دنتل البشا التركي « قداورت » بفرب اركيكو وقتله .

وبسبب هذه اللواش وغيرها مما أحرزه الملك سارسا دنتل على محمد الرابع سلطان عدال وبمساعدة البرتغاليين للحيشة ضعف المسلمون في الجنوب والشمال ولم يبق منهم خطر . ثم فتح الملك سوسنيوس مملكة سار ( ١٦٠٧ - ١٦٣٢ ) سنة ١٦٣٢ استقر المسلمون للعصاة سلطانهم طلبة لمقاتلة الحيشة لجوارهم بأن هذا لم يعد ممكناً . ثم ان البيجة الذين كانوا أسسوا سنة ١٦٥٠ مملكة سنجار لم يقدروا على ملوك الحيشة مع اعتدائهم أحياناً على الحدود واضطر الشعب موسى بسبب نهب أمتعة نخس الملك ياسو الاول أن يذهب الى اكسوم ويطلب المغور . سنة ١٦٩٧ غلب الحبشان على أمير البيجة سنة ١٧٦٩ تار البيجة على ملك الحيشة فدوخ الراس ميكائيل بلادهم على ان غزوات الاسلام لاسيما فوجوات جران فتحت أبواب الحيشة للاسلام وقد قدمنا من كتاب حرب فيه ان منازي جران حملت كثيرين في نفس بلاد الحيشة مثل قافو ودينبيغ التي على الدخول في دين الاسلام وشيدت فيها مساجد مما يجعل على الاعتقاد بان الدخول في الاسلام لم يقع على حدود الحيشة فقط . وفي سنة ١٦٤٨ وصلت رسل اسمايل الشوكل امام صماء الى الحيشة فوجدوا يقرب غندار مدينة أهلها كلهم مسلمون وشاهدوا في بلاد اندوت ( سبق ذكرها ) مسلمين شافعية ، وكان في نفس غندار حارات للمسلمين . وسنة ١٦٦٨ عقد الملك يوهانس مجامعاً قرر منع المسلمين من السكنى مع النصارى ثم تجدد هذا الامر سنة ١٦٧٨ مما رسل على كثرة المسلمين الذين كانوا بين النصارى .

وفي القرن الثامن عشر انتشر الاسلام في امة الغالة الذين الى الجنوب الشرقي من الحيشة والى الشمال من شوا ويقال ان امة الغالو هداهم الى الاسلام عربي اسمه ديلو . وقد حقق رويل Rüppel انه سنة ١٨٣٠ كان الاسلام يشوي الحيشة والجبال ظهر ان امة من التيجري كانوا في أوائل القرن التاسع عشر نصارى هم اليسوم جيماً مسلمون مثل الحباب والناماريان والباكل البير وان امة اسلم بعضهم من المدا وغيرهم .

ولا يجوز أن ننقل ان التجارة قد أعادت الاسلام في الحيشة كثيراً فان التجار لاجل الوصول الى هناك كان عليهم أن يمروا ببلاد المسلمين فالمحصنة التجارية في ايدي هؤلاء ازداد

صدهم ونفوذهم . وكان الراس ملي من الغالة الذي نفذت كلمته كثيراً من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٥٥ مع تظاهرة بالصرانية يساعد المسلمين كثيراً مما أوجب حصول رد فعل في أيام الملك تيودوروس ضد الاسلام الاكبر . وازدادت هذه العداوة عند احتلال المصريين بعض أقاليم الشمال من الحبشة ( ١٨٣٠ - ١٨٤٠ ) فأرسل الحديوي جيشا الى مصوع فاستأصله يوهانس ( ١٧ نوفمبر ١٨٧٥ ) سنة ١٨٨٠ أصدر هذا الملك أمراً بموجبه بقي في المسلمين أن يتصرفوا أو يهاجروا من الحبشة . فهاجر كثير منهم الى النلايات وغلت غنماهم تماماً . واما مسلمو سراك وهازن وغيرها فزالوا الاذن بأن يسكنوا في بلدن خاصين بهم لكن هذه الامور لم يطل بها العمل . وكان المسلمون قبل تيودوروس ويوهانس متفرقين بدون نسبة في العدد فكانوا قلائل في فوجام ( تقدم ذكرها ) وكانوا نصف أعالي القولو واجبو والى اليوم نجد المسلمين كثيرين جدا في بلاد كرايالا كون المسيحيين كثيرين في الداكا . أما في السوا فالمسلمون كثيرون جداً ولكنهم ليسوا كثيرين في ديفيه مثلاً . أما مستعمرة الاريترة الايطالية فبها ماثلنا ألف مسلم أي ثلث أهل المستعمرة ولهم أربعة قضاة في المدن الأربع مصوع وكون وافوردا واسبارو وهناك امانة لحجاب متوارثة في بيت امارة من قبيلة التركي .

وما عدا أهل مصوع فمسلمو الاريترة اربع فرق : الاولى السوجو واتباعهم الى الجنوب الشرقي من الاريترة وكان قسم منهم قد أسلم في القرن التاسع عشر . والثانية مسلمو الساحل والانسبا الاوسط واسلامهم حديث العهد ولكنهم عديدو النمساكية . الثالثة البجة والحباشان الذين أسلموا من قديم ونشروا الدين الحمدي بن فيان الدين والباريا فهؤلاء منذ ٥٠ سنة فقط دخلوا في الاسلام . الرابعة مسلمو البلاد التجارية من الاريترة .

على ان اسلام الحبشة المنتشر بين الغلة والسوجو والبجة ليس له من القوة والقدرة ماله في البلاد الاخرى فليس نجد مدارس دينية مربوطة بالمساجد وان وجد بعض افراد من مصوع يحبون أن يتفقوا في الدين ذهبوا الى الازهر بمصر وفي الغالب لا يرجعون الى أوطانهم كما ان الطرق الصوفية التي هي من أعظم أسباب قوة الاسلام في هذا العصر مجهولة في الحبشة . انتهى .

وذكرت الانبكاويدي الاسلامية الفرنسية هرر فقال ما محصلة :

ان هرر مركز تجاري عظيم في شرقي افريقية هي الآن داخله في ٥٠ لك الحبشة وقاعدة ولاية اسبابا ولاية هرر . موقعها بين ٤٢ و ٣٦ و ٢٤ من الطول الشرقي و ٩ و ٢٣ من العرض الشمالي وعدد سكانها ٥٠ ألفاً منهم الثلث فقط هرريون في الاصل والباقيون صومال وخاله وحباشان ومنود وسوريون وارمن واررام واوريون وأشهر مساجدها مسجد الشيخ أبي ذر ومسجد صر الدين . ويقال ان الاول هو الذي أدخل الاسلام في هرر ونشره في تلك الاساقع أما الثاني فكان سلطانا على هرر في أيام أحمد جبران ( تقدم ان جبران جعل سلطانا بعد قتل أخيه ) وهرر هي مركز الدعاية الاسلامية في شرقي افريقية ومنها يتدعب دعاة الاسلام الى بلاد الوثنيين من الدلة وحلاقاتها كثيرة بلاد العرب ومصر . وقد سقطت هذه الامة وغنت هذه الحركة الدينية بعد استيلاء الحبشة المصرية عليها ولكن أهالي هرر لا يزالون متصبيين للدين . والوان أعالي هرر شديدة السواد لكن ما مال منها الى الصومالي كان أميل الى الصفاء ولما كان الحبشان في القديم استولوا على هرر فالتانة الانحرية معروفة فيها وان كان دخلها كثير من الصومالي



والإمالي ولا سيما من العربي . ولا يوجد وثائق تاريخية عن فتح الحبشة الأول لهرر والظنون أنه كان في القرن العاشر عشر والذي يليه ثم الذي يليه . أما في القرن الرابع عشر فتتدفق السيل الإسلامي إلى الغرب حتى وصل إلى الحبشة نفسها وطبق عليها في القرن السادس عشر . وأول ما ذكرت هرر في تاريخ الحبشة هو في زمان الملك محمد سيون لأن أمراء هرر تابعوا عليه مع غيرهم فكانت يومئذ هرر قاعدة بلاد الزايغ . وأول أمير عرف من أمراء هرر هو صر ولا شيا الذي بطل أنه تولاها سنة ١١٥٠ ثم إن الأمير أبا بكر جعل كرسية فيها سنة ١٥٢٦ ولا شك أن السبب في ذلك هو قدوم الترك في زمان سايه الأول إذ استولوا على اليمن وجميع سواحل أفريقية الشرقية إلى رأس غواردافي فاشتبكوا في الحرب مع البرتغال . ثم ظهر أحمد يران وسمى جيران الأعصر وكانت ولادته سنة ١٥٠٥ وعظم قارسا في عسكر الأمير ثم دبر مكيمة وعصى سيده وما زال حتى استقل وأجبر الصومال أن ينضموا إلى عسكره ولا يزال إلى يومنا هذا اسمه عظيما في الحبشة ولم يتخذ لقب سلطان ولا أمير بل اتخذ لقب امام . ومنذ عام ١٥٢٦ لم يزل يوالي الفارات على مملكة الحبشة حتى دوجها كلها واحرق الكنائس والأديرة والكتب ونهبها وسبي النساء والأولاد واسترقهم فدخل كثير من النصارى في الإسلام بحيث أنهم فيما بعد ألزموا في الكنييسة الحبشية أن يوجدوا هيئة خاصة لاعادة الذين أسلموا إلى النصارية . وقيل جيران سنة ١٥٤٣ في حربه مع الحبشان والبرتغال وقد كان الملك غلوديوس من أشهروا في قتال أمراء الإسلام ولكنه قتل هو في حرب مع الأمير نور صاحب هرر . ثم تزلت هرر عن مملكتها الأول وقبعت تخضع إلى سنة ١٨٧٥ إذ افتتحتها القائد المصري رؤوف باشا بينما كان الأمير حسن باشا ابن الخديوي اسماعيل يقاتل الحبشة من الشمال . فلما حلات حسن باشا فقد فشك ولما رؤوف باشا فقد تمكن في هرر وزيار . سنة ١٨٧٨ عزل رؤوف باشا وتوالى على هرر عدة ولادة مصريين إلى أن قررروا الخلاعة سنة ١٨٨٤ وسلموها إلى الأمير عبد الله فزحف إليها من ذلك الثاني من شوا واستولى عليها في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٧ فحازها الحبشة النصارى بعد ٦٠٠ أو ٧٠٠ سنة من فتحهم الأول . انتهى .

أما بلاد الصومال فهي الممتدة من مرسى ناجورة إلى رأس غواردافي ومن رأس غواردافي إلى البحر الهندي إلى نهر جوبا . وفيها سلسلة جبال تملو إلى نحو ٢٠٠٠ متر عند مرتبة وهواؤها حار والأمطار فيها قليلة لاسيما في السواحل وزياراتهم قليلة وأكثر اعتمادهم إنما هو على الماشي والحبل والجمال . وعند الصوماليين ، الذين نسبة أصلهم تخاط من النوبة والسودان والعرب وكلهم مسلمون وهم أشداء البأس اعزة . وشبابي بلادهم داخل في مستعمرة أوبوك الفرنسية وبقي هذا الساحل مع زيلاج وبربرة يخص أنكامة وإدارته في عدن وأما الساحل الشرقي من رأس الحبل إلى نهر جوبا مع مراشي أوبا ومقدشو ومراكفو تحت الحماية الإيطالية .

( ش )

# الاسلام في مادنغسكو

## وجزائر القومود

أثيرا في غير هذا المكان المذكور الذي توجد فيه في هذه الفروع ، وهو التعريف  
بما ذكره الاسلام الثانية ، ومطابقا للجمعية ، والواضع التي تحتاج منه الى اصلاح ، دون التعديل  
المعروف ، والواضع المعروف . ولما كان من جهة هذه الفروع حيث الاسلام في مادنغسكو  
وجزائر القومود ، فقد تمسكنا منه ، بالتي تتضمن في ذكره على كتابه ، والسياسة في  
مادنغسكو وجزائر القومود ، فيسير سيرها الى ان الفرنسي (H. J. P. Durand) أحسن  
مستندي الزمر المذهب من قبل فرنسا في مادنغسكو ومن أحسن الجيوب الآسيوية ياريز .  
قال في مقدمة كتابه هذا ما يؤيد :

ان تاريخ الاسلام ونوره في بلاد خط الاستواء الاخرى ، والجزر المجاورة لها ، لا يوجد  
لنا الاكتشافات غلات في الاشخاص والاشياء في بحر الهند . فمادنغسكو وجزائر القومود  
الاربع ، وسائر الجزر التي في الشمال الغربي من مادنغسكو ، لا تسكن تذكر في جزر الهند  
الغرب ولا رحلاتهم الا اننا لا نقترب في معجم البلدان لياقوت قزوين ، والسير فيهم ثم  
السيكون جيم آخر ، وهو الايام القديمة التي في وقت سعي الفرنسي من الطير ، وقد  
بلد بحر الى ان عاينا وللشرا أيضا جزيرة في وسط بحر لارج ليس في تلك البحر جزيرة اكبر  
منها ، وبها عدة مدن وبلدات كل واحد بجانب الآخر ، يوجد في سواحلها البحر ورواق  
القناري التي ، واكثر ما ذكره في الغرب هذه الجزر ، حكمت نصرا كندا ، وقد اثبتنا  
قدمان معلومات الشرق من هذه الاماكن في نشر تذكرنا على القومود ، ونحو هذه  
البريدانية سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٦ . ولم يعرف سائر الوثيقة الشرق الا اننا سبقت  
في حدود ، ومن عرف الشعوب التي شاعها فيهم ، وقدر حالهم لاجتبابية على ما اذا استلهم  
لم يلبوا دورا عظيم في التطعيم السياسي والديني فيها حتى من الانصار ، لان اقواما تفرقت  
بجنت من الكون ، وتكون من كل الناس بقلعة من الناس ، وتحتل بمكان من الناس  
في الاصبع ، لم تكن النشاط فيها الحركة التي في السكون ، فيها تحدها معتلة بقية الناس  
حالة فيها الى جامعة نفسها ، ولينة في ان يلقى بهم له . وهذا هو اكثر السبب في سكوت  
والتي الغرب عن الكلام عليها ، أما من مادنغسكو فان معلوماتهم كانت عددا ، وان اكبر شعب  
فيها وهو ، الهرة ، لم يعرف السكان الا من زمن قصير ، وقد كانت قرية ، الا القومود ،  
استسلمت الخط الذي في طوقه كبير ، وسائر عددهم يدرج في الخطوط في الاسلام شيء من  
الادب القوي ، درجة يمتد منهم ثمة الى معرفة اصوله التي تسكن مادنغسكو  
ان لم يكن كتابا .

وأما جزر القومود الثلاث ، بحرينة ، و ، البحرين ، و ، موني ، والى جنوب منها  
زوجها ، حرر ، المستكشف ، بين معلومات عن هذه السكان هذه الجزر ، وقد اثنى  
البحري ، جون ، في كتابه حررها على القومود من كتاب عربي خاطرها في طابوت





الف إلى متسكة بها ويحمد الانسان آثارها حتى بين المنهزين من الاعالي .  
ثم شكك المسيو فران على قبة الاناآموروتا الاسلامية ، فقال انها تسكن في الساحل  
الجنوبي الشرقي من ماداغاسكر بين مصب نهر « المانججراه » ومدينة « مازيندرانو » أي على  
طول ٢٢٥ كيلومتراً . ويسكن الى الشمال من هذه القبيلة قبيلة البسيسيز أراكا \* وإلى الشمال  
الشرقي قبيلة البسيسيلو ، وإلى الجنوب الغربي قبيلة ثانالا ، وإلى الجنوب أقوام متفرقة . وخاصة  
الاناآموروتا في مدينة « مانينانانا » على الضفة النهر الذي يسمى باسمها . ويوجد فروع كثيرة من  
الاناآموروتا منتشرة بعضها من بعض لكنها خاصة من الوجهة الدينية والحكومية لئيلة الاناكارا  
والاناكارا هؤلاء فيهم يث الثلك وهم القدم على الجميع ولا يتزوج بعضهم الا من بعض  
عشائهم فريش الاناآموروتا ، ومنهم ملوك القبيلة كلها . وهم أبناء القبايلة وفي أيديهم ادارة  
المواضع التي يرضون لاجل نفقاتها ضريبة غير زهيدة على أبناء ملوكهم . ويؤمن الاناآموروتا  
ان أصلهم من مكة ويحفظون كتباً خطية عربية متناقلة في القدم ، والواهم بحماية ، وأيضاً هم  
صادق ، وشعورهم جيدة وهم أشد المادافسكين اعتقاداً بالمراقات ، ولكنهم هم وحدهم الذين  
سبقوا سائر المادافسكين الى تداب أولادهم ، كما قرر ذلك المسيو دسكلمب والدليل على  
ذلك كثرة الكتابات التي عندهم والقانون الذي هم ملتزمون من أن كل انسان منهم يجب  
عليه أن يقرأ ويكتب العربي ليكون أملاً لثقله منصب أولادهم . وإلى الزمن الذي أدخل فيه  
مبشرو الانكبيز استعمال الحروف اللاتينية في تاناناريف ( خاصة ماداغاسكر ) كانت جميع  
الكتابات الرسمية في قصور ملوك الهواغا يكتبها أبناء المر من الاناآموروتا بلغة العربية .  
والاناآموروتا مشهورون بالاعتناء بأولادهم فو عندهم عادة أن يحتفوا شعوراً بأولادهم اداأوا  
في حجور آبائهم ، فلا يؤذن لملك أو سائر شرفه الا بعد الزواج .

وهم رجالاً ونساء لا يختفون في ازيائهم من سائر أهالي ماداغاسكر وبالرغم من دعوهم  
شدة التحذير بالاسلام يشربون المسكرات ، ويصنعون هم بأنفسهم المسكرات التي « الروم » من  
عصير نضب السكر مع اضافة قشر شجر يسمى آمبولوا يجعل في تخدير نضب السكر .  
والخصومات والامور الباعة يفصل فيها محتدب معين من قبل الملك . وعندهم مجموعة قواعد  
في العقوبات أشبه بقانون جزاء . فالسرقة مثلاً يعاقب عليها بالغيبس والتكبييل بالحديد من  
سنتين الى عشر سنوات بحسب درجة الجريمة . وأما سرقة المواشي فيعاقب عليها بالقتل لأن  
القتل المواشي ذات النرون هو عندهم في غاية الاهمية . وأما القتل فيجزي بمثله ولا يشتركون  
من التعذيب في القتل . ولا ينفذ حكم القتل الا بإرادة الملك الذي عنده أدوان يتولون أمر  
القتل ، وهؤلاء الجلاذون يقومون بإرسال البرد الملوكة وهم عند ملوك الاناآموروتا أشبه  
بطبقة يغزل لها « تسجاتسو » لدى ملوك الهواغا . وإذا قتل الرجل ابنه وكان الولد في سن الخشب  
عشرة سنة فما فوق ، عوقب الوالد بالقتل . وإن كان الولد دون تلك السن حصرروا الوالد في  
غلاف من نضب « البامبو » يمنعه من كل حركة ، وبقي محصوراً هكذا الى أن يموت .  
ويقال ان مثل هذا العقاب معروف عند الحبشة وأمة الناله الذين يظن بعض المؤرخين ان  
أصل الامة المادافسكية منهم . وإذا أنكر الذنم الجرم امتنعوا بعدة أمور ليثبت برأيه فيسقونه  
كأس ماء بارد وضوا فيها قطعة ذهب ، وقرأوا على هذه النظمه نصيباً من الذنم ، قال لم



بصبه بعد شربها شيء بعد بريثا . وقد يكفونه أن يقطع نهر المائيتا سباحة ، قال وصل الى الضفة الاخرى سالما من أذى القاصح الكثرية التي في ذلك النهر فهو يرى أو يشعرون اليه بأجياز حقل من الارض ، قال لم تنرض في طريقة اغني ، ولا طار فوق رأسه طائر ، ولا حصل حادث غير معتاد أثناء اجتيازه هذا ، كان أيضا بريثا .

وإذا أراد الانتماء وفي الزواج ، تنكب قومه وحمل ترسه على ذراعه ، وذهب مساء الى من يكون خطب ابنته فيقول له : ادخل . فدخل ، ففاجته بضربة حربة بحب عليه أن يتقبلها بلهفة ، ويدون أن يحدث الضارب أذى ، فإذا وفق لذلك جلس بين الباقية وأخذ الفتاة ، والا قال أصيب أو لم يحسن انتقاء الضربة خرج مشعرا بأذى الحياة . والانتاموروتا بحسب قول الاب لافسيار La Vaisiere أصعاب أخلاق قاضية ومطهرة وآداب ، يبالمون في مراعاتها ، وهم يزوجون بأكثر من واحدة ، وتسمى المرأة الاولى « فانيب » وممناه الزوجة الكبرى .

وكان الانتاموروتا في جاهليتهم « قبل أن دانوا بالاسلام في أدنى درجات الجبل . وكان عندهم كهنة يحفظون بعض مبادئ أصالية ، ويقدمون قراين ديدة ، وبحججنون ذلك لانفسهم دون أن يطعموا عليه البامة ، ويسمون الحاق « زانهارى » وليس في مادامسكر ترونج من أصل الامالي ، وما كانوا عليه في القدم تتجاوز القرن السادس عشر ، فناريخ تلك الجزيرة مظلم جدا إلا ما كان عند الانتاموروتا يدب وجود الكتابة العربية عندهم . والذي قدروا أن يقيموا من هذه الكتابات ان القليلة اللادانسكرية ، التي باخلاطها بالعرب نشأ منها الانتاموروتا ، كانت قبل دخولها في الاسلام تنفذ باله واحد ، أدلي « أيدي » خلق الكون كله يدم كل شيء ، لكن كانوا يتصورون لهذا الاله جبها وصورة على منتهى الجمال والتكامل بحيث لا يمكن تشبيه تلك الصورة بصور آدميين ، وكانوا يقولون بوجود آلهة صغار حول ذلك الاله الاعظم ، هم الشفعاء لديه وكل منهم له وظيفة خاصة به ، واليوم نجأ الناس في حاجاتهم ، لان الاله الاكبر هو أعلى من أن تصل اليه مطالب العباد ، فكان لا بد من الوسطاء ( حارة ما كان عليه العرب في جاهليتهم بعينها جعلوا لانفسهم آلهة صانرا لمحتوا لهم اصناما ، وقالوا ما نعبدهم إلا ابقيرونا الى الله رلقى ) فكان أصل تلك العقيدة توحيدا انقلاب سبب هؤلاء الشفعاء والوسطاء شركا . وافات البامة على عبادة اولئك الآلهة الصغار وجالدوا في الامر حتى انقسمت تلك الامة الى قسمين أحدهما الرؤساء والدعاة والارقاء ، وهم حزب الوسطاء الذين جعلوهم لله امتدادا ، وانتهى الامر بان رضوا الاعتراف بالاله الاعظم . والثاني الكهنة ، وأنبيائهم الذين اشرا على الاعتراف بالاله الواحد ، ورفض اشراك غيره في القدرة ، وانصرف فوقت بين الحزبين مازعات تناب فيها المشركون على الموحدين والقرن هؤلاء أن يظلموا بعبادة الامداد الا أنهم كانوا يبدون الاله الواحد سرأ .

وفي تلك الانام جاء العرب بتوحيدهم قائمهم حزب الكهنة الموحدين ، لان العقيدة العربية جاءت مؤيدة لما بين أيديهم فلما أسلم الجميع عاد هؤلاء الى مذاهبهم الاول بل ازدادوا سناء ورفعة . أما الزمان الذي وقع فيه اعتناء الانتاموروتا . ويقال الانتامورو والانتامور - الى الاسلام فغيره . ولم ، وانما يرجح كون هذا التحول لم يصادف معارضة شديدة ، بل تافى هؤلاء القوم الذين الجديدين بالفرح والنشاط ، ثم لم يعال الامر حتى عادوا الى كثير من

ة تدهم الاولى فصار اسلامهم مختلفا بالوثنية ( كذا ) وهم مثل العرب يستعملون ثانيا جلا  
عربية ، هي دافا على شفاء المسلمين من : ان شاء الله . مكتوب الله . ويضرون جميع كتاباتهم  
بجملة : الحمد لله وحده . ويكتوبون : الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله محمد رسول الله .  
ولا يبدلون بعد الا بعد ثلاثة هذه الجملة .

وهم يحافظون على الصلوات ، ويمتنعون عن كل الحيوانات الجسة ، ويحفظون أقداحهم .  
ومن المادات الاسلامية عند الانكرا الذين فيهم بيت الملك \* اتهم يقرأون أمام كل عمل صلاة  
تسبحة مثلا اذا أرادوا ذبح حيوان قالوا اللهم اجعل لحمه صالحا ، اللهم اجعل ألبانها ناعم ،  
وما أشه ذلك . واذا مات الانسان جعلوا على عينه وظهره وشفاه أوراها كتبوا عليها أدعية  
وقال أحدهم : هذه طاعة فديعة جدا حسنا جاءتنا من مكة بالمدينة . ويقولون قد بددت  
أحيانا « مدينازي » وأحيانا « مديني » ويقولون لمكة والمدينة « المدينتين » وبعض  
الانكرا اتهم من فدية علي .

وبالاختصار فالاتهامات اجازوا عدة أدوار دقيقة . الاول في الجامعة قبل الاسلام ،  
وهو فئتان : دور توحيد ، ودور شرك . والثاني بعد الاسلام وهو أيضا فئتان : اسلام صرف  
واسلام مشوب بوثنية . فآلهة الصغار الذين يعتقدون بهم بعد الاسلام خمسة : « جوبوريليا »  
و « مينكولو » و « سيرابيلو » و « زارزولو » و « يزيلو » و « شيرا كيريلو » وبالغات  
السامية بدل جبريل ، وميكائيل ، واسرائيل ، وهيراثيل . فجيراثيل هو المكاف بالوحي الى  
الانبياء . وميكائيل هو المكاف بالطواع والقيم والمطر . وهيراثيل هو ملك الموت واسرائيل  
هو الذي يتقنع بانصوري في آخر الزمان . فلما للمساويق المادافسكريون ويجدون هؤلاء مقامات  
بالله عن الباري تعالى ، وهي سبع طبقات منفصلة بعضها عن بعض بحجرات المظلة فيها أبواب  
من حديد فاطمة الاولى منها هي مكان المزارع الاطفي من الناس من تكون آتاه فطيرة يخلط  
في عذاب النار . ومنهم من تكون آتاه خفية \* فيذهب الى أصل مسمى ثم بعد ان يظهر  
يسخل الى السهم الله فمساكين . وهذه عقيدة تشابه تماما ما عند النصارى . والطبقة الثانية  
هي التي فيها « شيرا كيريلو » المراكل بالزرع والاشجار وهو الذي ينشئ منه تركيبة الزروع  
والطاقة الثالثة « يزيلو » وهو المراكل بالموتى . وفي شهر يناير يسمون له الفرائض من  
السماع . ثم ان « زارزولو » هو اله الانهار والبحيرات و « سيرايلو » هو اله الحصادات  
الحيوية والارضية ، ومينكولو هو اله الكواكب والشمس والقمر . وأكبرهم هو يوزيليا ،  
وهو ذو المنام الاول . ولكنه دون الله ، وهو المبلغ ارادة الباري تعالى الى البشر سواء عرأسا  
أو بواسطة سائر الآلهة ( الذي رجعته ان الذي سيعلم المؤلف هنا آلهة ، وذهب أن ينادي  
مادافسكرا اتخذهم آلهة ، ان هم الاملاكة لكل منهم وظيفة ) هو سائر الاديان السامية  
ولكن قد تكون غيالات المادافسكريين أوسعت هذه الوظائف وزادت عليها .

ويشبه الاتهامات بخلفد النفس ، ولكن ( كذا ) يخاف اعتناء الخوف . فان الهوا يقولون ان  
النفس يمكنها أن تترك الجسد مدة بدون أن تنفد بذلك شخصية الانسان . أما الانكرا فيقولون  
انه بمجرد انقطاع نفس الانسان تصعد نفسه الى السماء وتتمش أمام جو وريثنا الذي يكون



هذا متروك بحسب استحفظها . وان القس عند تقبلها في الملكوت تتخذ فلا شربها بالجسد الذي  
تكون حارته في هذه الدنيا . وهذا القالب يضطر تلك النفس اقمارها كلها من لذائذ أو ألم في  
الدار الآخرة . هذه النظرية تختلف من مشكل بمشاكل يوم الحساب . بعد أن نكون بيت  
ودعنا أمراؤنا في تركيب أجسام أخرى . ولا شك أن الآلات . وور . بسبب معرفتهم للخط  
الذي تسوقوا على سائر سكان - قرية مائة عسكر ، وهذا لا يجرهم اعتقادوا أن هذا النوع من  
ترجمها الضمير بلا اشارات على الورق لا يمكن أن يكون إلا سحرا ، وهذا عديم الرأي بأن  
الآلات . وور . بايديهم أفند القريب وانهم مطمئنون على كل شيء .

وخاصة الممنوع أو المحجس اسم « فدي » رقيقة السلاسل تقول « علي » لقب عرف  
عن المال الغربي كما أن المذنب يقال له « اوتي » - ومن اشهر النحوي من المذنبين  
ولم يمشوا عليه فاول حياته سوءاً يصير بهم موضوع فديس حتى في حال حياته يذهبون  
الى تأخير علامات فدي الماري تعالى « يدقشونه في المضلات » بأخضون رقاعاً مكتوبة يده  
يشقون بها المسام.

والكتاب المنسب عند الاستعماريين إلى اسمهم «سوراب» ومعناه الكتلة الكبرى وروى  
المبشر الاسكتلندي هوكت انهم استلوا في تلك القطر «فوارا تشرا» قال : ضربوا الى النبل  
على طول الساحل فوجدوا هناك «تيسكي» و «البرونامي» و «آموغاب» و «آموهينيو»  
وسموا بهم قوم بقال لحم «تيمورو» أو «تيمورو» بطن انهم جالية عربية . واما لاشك  
فيه ان سلاف هؤلاء الناس من جهة المذكور عرب : فقد بهم البحر الى هذه الساحل  
وعندهم «السوراب» أي الكتلة المظلمة : وهي نسخة من التراك مع الفسيفساء وترجم  
مقتطع من اسمهم وتمسكوا بها ككتابهم . ففي المصائب والاحزان والامراض يرجعون الى  
هذا الكتاب ويستدلون منه ما هو في الموضوع ويخطونه على ورقة من شجر «الرافيا»  
ثم يسمون الورقة في الماء فيرشب المصائب هذا الماء «أما المصوب» فإن فيقول ان السوراب  
هو كتاب غير القرآن انهم به اسفلهم للعرب . وليس في فصول ولا أبواب وقد زيد عليه  
تداول أبيه المذبح له . وفيه ترويح الفرفة ووقاتها المهمة وتجد فيه آيات كريمة من القرآن  
وقالما على الميراث والعرفاء وحلاهم : مما يستعمل في دفع السواائب ومعالجة الاوصاب الى  
غير ذلك .

وكان هذا الدور العربي على ما يظهر بجلاء من جزيرة صانداغسك من جهة مفاخر القمر ويرونها  
كبرى هذه الجزائر كما ان الانوربين يسكنها بجزيرة القمر الكبرى في حال  
كون المسلمين الذين يأخذون ويسطرون على الساحل الغربي من هذه الجزيرة لا يسكنها الانجزيه  
والحكومة الفرنسية قد عارضت الازدواج لسان جزيرة القمر الكبرى كثقت  
عليها هذه العبارة في عهد علي بن سيد عمر سلطان انجزيه حفظه الله تعالى .

أما لماذا غلبت كلمة أهل على العرب فتسمى جزيرة القمر \* سكا كان الجرافيون الأولون يطلقون . وأما بلاد السواحلية فيقال لها « بوركيني » وهي مركبة من « بوركى » التي معناها « غريب » و « نى » وهي حرف بمعنى « قى » أي « قى بلاد الغرب » .

وقد ذكر الفيلسوف العربي ابن سينا تلميذ الكندي على حروفه (الامر) كتابي حاله ما ذكر

مثل كونها طويلة عريضة طولها مسيرة أربعة أشهر وعرضها مسيرة ٢٠ يوما ومن مدنها مدينة  
ابران زارما ابن فاطمة . وقال انها هي وماغداشو تحت حكم المسلمين ولكن أهلها أوشاب من  
جميع الاجناس وهي مرسى برقا إليه ويغلق عنه البحر . وقد ذكر شمس الدين أبو عبد الله محمد  
الدمشقي في فصل على بحر الزنج جزائر عديدة يظن أن منها ماداغسكركر وهي جزيرة قبيل  
التي فيها الابوس ومعادن الذهب والبيجرات . وجزيرة طابسان التي فيها جبال تار تنقف  
بالحم فلا يستطيع أحد أن يسكنها بسبب حرارة البراكين وجزيرة بريرة وجزيرة النظرية  
فيها مدينتان للزنج . وجزيرة زانجه . وجزيرة المخترقة . وجزيرة العور .

وكان البرتغاليون يعرفون أيضا ماداغسكركر باسم جزيرة النمر . وآخرون من البرتغاليين  
والطبايان كانوا يطلقون على ماداغسكركر اسم جزيرة سان لورانت St. Laurent انظر الى ما قاله  
السائح «اندريه كورساله» الذي كان في خليج موزامبيق سنة ١٥١٤ : «عند ما كنا في موزامبيق  
وجنا سفينتين برتغاليين قادمين من جزيرة سان لورانت الواقعة في عرض البحر بأزاء  
موزامبيق» وهي من أعظم الجزائر التي اكتشفت في أيامنا هذه» وبعد ان وصف ما فهم من  
المبانيات والحاصلات والمعادن قال : «ان أهلها لا يكادون يفقهون حديثا وانهم يشككون في  
لغة الموزامبيق» وانهم ليسوا بشعبي الدوا» ولكنهم في جملة شعوب كذاثر أهل تلك  
السواحل» وان المورو (أي السائين) هم الذين يلبسهم مرابي هذه الجزيرة يشقون  
مخاضيل البلاد بما يأتون به من الفطن ومتاجر الهند» .

وقال «ادوارد وباربوزا» في نحو سنة ١٥١٦ ما يأتي : «بأزاء هذه الأرض على مسافة  
٦٠ مرحلة من رأس «كورديان» توجد جزيرة عظيمة جدا اسمها سان لورانت» يسكنها  
الوثليون وفيها بعض مدن المورو . وفيها ملك كثير من الوثليين والمورو معا الخ» وسنة  
١٥٢٩ كان اسم ماداغسكركر قد صار معروفا» وقد أشار «بارمانيه» Parmentier الى  
وجود مورو بعض في هذه الجزيرة . وذكر «جان دوس سانتوس» في تاريخ اتروية الشرقية :  
«ان مورو جزيرة سان لورانت ثروا على البرتغال» وان هذه الجزيرة قد اكتشفت في سنة  
١٥٠٦» وصل إليها القبطان «تريستان دا كونا» أثناء سفره الى الهند وسيت سان  
لورانت لسكونهم وحشوا أرضها في عهد سان لورانت مع ان اسمها الاصلي ماداغسكركر» . الى  
ان قال : «وفي أيام ولاية «جورج دوميس» في موزامبيق تار المورو على البرتغاليين»  
وحاربوا منهم من دخول المراسي» زاعمين انهم يمارسونهم في جمع الحبوب . والحقيقة انه  
كانت تملا مقصدهم به اخراج المسيحيين الذين كانوا يضربون لهم أشد العداوة . فارتل جورج  
دوميس بأربعة حربية معاناة الحرب على المورو فيها لو استمدروا على المأوى» فلما وصلت البارجة  
مال المورو الى السلم وادعوا انهم لا يتوون شرا» ولكن للبرتغاليين لم يأمنوا شرهم» ولم  
يتولوا الى البحر الا راعيا منهم اسمه الاب «دوسان توما» ورجعت البارجة الى موزامبيق بمن  
فيها . ولكن وردت اذ ذاك بارجة من مكة (كندا) فيها مورو فلما علموا بما وقع ارادوا  
الانتقام وسموا الرابع المذكور» ذات» فالتهم البرتغال من ذلك في السنة التالية» وخبروا  
البلاد ورجعوا الى موزامبيق وصادف ان مركبا آخر للمورو جاء من مكة فترقبهم وهم  
بذلك الفوز» .



ومن نكبات الأوربيين في معلومتهم عن المسلمين لا سيما في العصر الماضية ما ذكره رجل اسمه « جواو دو أروس » قال :

أول من سكن زنجبار عصابة من بلاد العرب دخلت في الإسلام يقال لها « أموزيدي » بحسب تاريخ وجد عن مملكة « كيلوا » كانوا نفوهم إلى هناك لأنهم أتوا مذهب رجل مورو اسمه زيد هو ابن أخي الحسين بن علي ، الذي هو ابن عم محمد ، وزوج ابنته عائشة ، فزيد هذا كانت له آراء مخالفة للقرآن . ومن تبعه يقال لهم أموزيدي .

يريد أن يقول أن أول من سكن بلاد زنجبار هم أناس من الزيدية ، نفوا إلى هناك بحسب اختلاف مذهبهم ، وأنهم ينتسبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن عم الرسول (س) وزوج ابنته فاطمة الزهراء وليس في مذهب الزيدية شيء بخلاف القرآن ولكن معلومات الأوربيين عن الإسلام لا سيما بذلك العصر كانت ملاءم بمثل هذا الخطأ وإلى هذا اليوم مع قناب روح التدقيق عليهم لا تخلو من الخطأ والخطب أيضا .

اتفق المؤرخون على جعل مدينة « مانانان » أو « مانيتانانا » هي البلدة الأولى التي نزلتها الجالية العربية . وهي التي صارت عاصمة لقبائل الماداغسكارية التي أتت الإسلام ولا تزال إلى هذه الساعة المركز السياسي والادبي للمسلمين الماداغسكاريين في الساحل الشرقي من الجزيرة ، وبها يقبر أشهر العلماء والمثابدين من الائتمامور .

ومن أشار إلى وجود الإسلام بماداغسكار ، السائح الشهير ماركوبولو الإيطالي البندقي وفي أواسط القرن السابع عشر ذكر الائتمامور المسلمين هؤلاء رجل فرنسي اسمه « فرانسوا غوش » خلط في أخباره عنهم على طريقة قومه في ذلك الوقت ومما قال : « أن الديانة المحمدية التي يدين بها أهالي السواحل المغاربة لماداغسكار لا شك أنها وصلت إلى أهالي ماداغسكار » قائمهم بختنوتون ولا يشتملون يوم الجمعة ( لا يخرج في الشغل يوم الجمعة الا وقت الصلاة ) ولا يأكلون لحم الخنزير وكذلك أهالي جزر التومور العربية منهم ، أكثرهم عرب وفرنس تابعون للدين محمد (س) ، ويكتبون بالعربية ، ولا يأكلون الحيوان الا اذا كان مذبوحا ، فلا يأكلون الخنزيرة ، ولا يجلسون الا متربين على السجاد أو على الحصير على عادة الترك ، ولا يملكون شيئا من الشعائر بدون أن يغسلوا ، انتهى .

وفي نحو سنة ١٦٥٨ ذكر المؤرخ « فلاكور » Placourt أن أهالي مقاطعة مانيتانانا يستعملون الحروف العربية التي كانت معروفة عندهم منذ قرنين ، ولكن الماداغسكاريين يملوا بعض صور اللفظ فيجملون الياء زاياء والهاء تاء .

وقال السكونت « دومانداف » De Mandave الذي عرف ماداغسكار سنة ١٧٦٨ أن جالية عربية وصلت إلى ماداغسكار في أوائل القرن السادس . ومما قاله : أن الرومانديان حكام بلاد « آنوسي » هم غرباء ملأ أصلهم حرب جاءوا إلى الجزيرة منذ مائتين وخمسين سنة ، وعندهم معرفة بالسكنانية يستعملون الحروف العربية والورق يصنعونه في وادي امبول وبدا من النظم يستعملون البامبو . على أن العربية غير منتشرة في الجزيرة ما عدا الشمال الغربي . ثم قال : معلوم أن العرب أسسوا مملكة عظيمة على ساحل افريقية المقابل لماداغسكار ثم استولوا على جزائر التومور ويشجرون في مسقط وعدن وسواحل اليمن ، ولكن أكثر

تردد مراكيهم الى ماداغسكار ثم ذكر دو مانتاف وجود كتب عربية ماداغسكارية ، وقال هو وغيره أنه يرجى بواسطة الخطوط العربية الاطلاع على تاريخ تلك الجزيرة .

ثم ذكر السيوطي أن نفسه أنه حصل على بعض مخطوطات عربية بواسطة رجل اسمه دامارينورو ( رمضان ) هو ابن ملك الاناكرا وشرح مضمونها وانكم من الكتب العربية المداغسكارية التي في المكتبة الوطنية في باريس وفي غيرها ثم ذكر عبارة المداغسكاريين بعلم الفلك والنجوم والحروف ومعرفة النيبات واطال في ذلك وتكلم على لغة ماداغسكار وامتزاجها بالعربية ثم قال :

« ان قبائل الاسلام في الجنوب الشرقي من ماداغسكار تزعم انها سلال اناس هاجروا الى ماداغسكار من مكة » الى ان يقول « وهذه القصص التي نجدها عند كثير من الامم التي دخلت في الاسلام مؤداها أن الانا مورونا قد اسلموا في زمان النبي ( ص ) نفسه . قال السيوطي رتبة باسمه René Basset بحسب الخبر من تصديق هذه الاقاويل فمن هذا القبيل أن أسرة مالكة كانت تلي هرد في الحبشة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فكانت تزعم ان اول من قدم هرد هو عقيل بن علي ( الذي ندرته أن عقيلاً هو أخو علي ) مع ان عقيلاً ماوطي . تلك الارض . وان مسلمي كانتون في الصين يزعمون ان الذي بنى مسجد كانتون هو وهب ابن أبي كبشة خال الرسول ( ص ) ، مع ان مؤرخي سيرة الرسول مع احاطتهم بكل ما يخصه لم يذكروا شيئاً من هذا .

قال السيوطي ان دعوى الانساب الى آل البيت فاشية عند مسلمي السواحل الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية من ماداغسكار ، ولكنه مما لا ينبغي أن يوثق به كثيراً . ثم ذكر باللغة المداغسكارية وبالحروف العربية كتابات على سبيل المثال ، اخترنا منها القصة الآتية لئلا يحرفها بحروفها وحركاتها ونردفها بترجمتها :-

### طاهر طمين اعلى محمد

طاهر طمين اعلى محمد . نيفي ركي امين أنكرني بواهي . امك امدينا  
امدينا نبي دي طمين ابي روني روي اعلى محمد بوني طني بو اطوور .  
انكر . اطي واري كي واهوكي . نبي ارك طمين عي الهاطي ع مك  
امدينا امدينا . طووي طي مهورو ابي ابوي اطو الا وري انقري كي طو  
انكر ناي هاني عتي مو طو امطي طنا . طي مهنر . ناي طي ع اطي  
ني مي طبو . طو طمين طاو الوها اطي ني امبو . نبي شي طي كي . طع  
بطو ناي طيكي . اطي ابي ميطبو . الك هي رني يواو مشي انكر ابي ابي



لِيَأْتِي طَرَفَكَ أَعْلَى مُحَمَّدٌ نَبِي طَيْبٍ طَاهِرٍ نَبِي . قَدْ دَأَى فِي لَحْرِ نَبِيِّ اللَّهِ كَبَرُ  
اللَّهُ كَبَرُ اللَّهِ كَبَرُ .

### الترجمة

طرح علي ومحمد الى أن جاءا الى الانكارا . جاءا من مكة والمدينة . وثقلاهما الاثنان مع  
قاراوني ( فرعون ) واهجرا مع الاتاتوتورا ، والاناكارا . والاتاتوتوريكي ، شعوب كانت  
تصعبها من مكة والمدينة . فوصلوا الى ماعوري ، وميازومي . أما الاتاتوتورا فابوا هناك  
وأما الانكارا فارغوا في الجيوب الى مايتانانا . ففي ماعازارا طردهم الاتاتاتويانو . لأن  
هؤلاء كانوا أصحاب الارض قبل انذهبوا الى آميانو . فطردهم الاتاتاتويانو ثانية . فاعلموا  
أخيراً بقولنا ربنا حيث هم الى الآن . فحين ذرية علي ومحمد هذه ليست بلادنا إنما جئنا من  
وراء البحر . الله أكبر الله أكبر الله أكبر .

ثم ذكر المسيو فران في الجزء الثاني من تأليفه قبائل سبعا من « الزايندرا امينا »  
و « الاتامبا هواكا » و « الاونجاسي » و « الاتاتويوني » و « الزاينكارا اميو » و « الاتاتوتوريكا »  
و « الساماني » وقال انهم يسكنون بين قري « مانانجاري » و « فارافانانا » بين ٢٢ و ٢٣  
من المرض الجنوبي . ف هؤلاء عقائدهم وأحاديثهم تشبه عقائد الاتاتوتورا وأطوارهم .  
فالزوينيون انهم يرجعون الى أصلين أحدهما : غني رامييا . وهم الزايندرا اميني والالاتامبا هواكا  
والثاني : أبناء الذين هاجروا من مكة الى مادانسكر وهم القبائل الخمس الباقية . وذكر  
المؤلف المحيط بهذه المهاجرة من الحكايات والخرافات التي فيها من الخلط ما تقدمت له أمثلة .  
ولكن القوم يعتقدون بها . ويظهر أن رامييا محرف من رحمن أو عبد الرحمن . ويقولون من  
جدة خرافتهم ان هذا الرجل كان صهرا للرسول ( ص ) وأنه هاجر مع امرأته الى مادانسكر  
على أثر الظلم التي وقعت على آل البيت .

وقد اشتهر الاونجاسي ، والاناكارا ، والزاينكارا بميلهم ، والزايندراوات ، بالسحر والظلمات  
واجراء الخوارق . ويقول بعضهم ان أجدانهم رافقوا رامييا جد الاتامبا هواكا في هجرته  
من مكة وهؤلاء جلودهم مائلة الى الحمرة وشعورهم سميكة . وذكر الاب روشون ، انهم أهل  
شجاعة وصائر بالحرب . على انه لم يبق من نسبة عند قبيلة الاتامبا هواكا الى الاسلام سوى  
ما يدعون به . من كونهم من قرية رامييا الذي قدم من مكة . فانهم تركوا حتى بقية العبادات  
الاسلامية التي لا تزال عند الاتاتوتورا ، وكذلك هم يجهلون الخط العربي ، ولما يحترمون  
النواوين والرقى .

وعلى بعض الروايات ، أصل الذين هاجروا من مكة خمسة امراء « راماكاراو »  
« راجوزرغا » و « آندرياماروما » و « رايغوازييري » و « آندريانموا زيريبي » جلوا  
من هناك بسبب ثورة أسقطت الاول منهم عن عرشه . وثلاثة من هذه الاسماء أصلها عربي  
ظاهر وهي راجوزرغا محرف عن يوسف ، ورايغوازييري يظن أنها محرفة عن علي الوزير .

واندريانو وزير يمحالونها بأنها من اندريانا وهي بلاد العسكري الامير ، ثم الوزير ، ثم البه  
وعنه الكبير أي الامير الصدر الاعظم .

وذكر السيوفران وملة لاحد البرتغاليين الى ماداغسكار سنة ١٦١٢ جاء فيها : « أن  
أهالي هذه الجزيرة يزعمون أن أصلهم من مانفالور ومن مكة ، جاءوا من جهة الهند ووطئوا  
شاطئ الجزيرة الشمالي ثم انتشروا الى الجنوب ، وكانوا يقسمون قبائلهم الى أصناف ، منها ما  
عرفوا منها الى حد ١٧ بطنا ومنها الى حد ١٤ بطنا ، وهم مورو اوسولها ( اليوم مسلمو  
الساحل الغربي من ماداغسكار يقال لهم سولها ويظن انها محرقة من اسلام ) عندهم القرآن  
مكتوب بالعربي ، ولهم مشايخ يملكونهم القراءة والكتابة وهم يختلفون ويصومون رمضان ،  
ولا يأكلون لحم الخنزير ، ومنهم من يتزوج بالكثير من واحدة ، والوانهم كانوا مسلمي الهند  
والجاوي ومن احبب للعجب يحافظونهم على أصل عقيدتهم ونسبتهم مع تقطع ما بينهم وبين  
المسلمين في سائر الانظار . اهـ

وذكر الاب روشون الانكليزي الذي ساج الى ماداغسكار سنة ١٧٩٢ أحوال أهالي  
هذه الجزيرة فقال : « ان السود منهم اربع قبائل : « التواديري » و « اللوغافوتيز »  
« الاوتزوا » و « الاونديفا » وأعلامهم درجة الفواديري الذين يقال انهم سلاسل ملوك  
البلاد ، وعندهم كثير من الببذ والواشي ، وللواحد منهم الحق بأن يملك اكثر من قرية  
واحدة . أما اللوها فوغوتيز ، فليسوا بدرجة اولئك ولا حق لواحد منهم بأن يملك اكثر  
من قرية ، ويجوز لهم الاستئثار من الماشية . ومن الامداد المروعة انهم لا يتقدمون على  
ذبح الحيوان الا بيد واحد من قبيلة الروهانديان ، أو الاناكندريان ( الذين الى العرب )  
أما الفواديري ، فيقدمون ان يذبحوا الحيوان بأيديهم الا اذا وجد واحد من هؤلاء ،  
فيكون الاولوية له في ذلك . ويبد اللوغافوتيز يأتي الاوتزوا وليس لهم شيء من المسكنة .  
أما الاونديفا ، فهم عبيد منذ ولادتهم . وأما البيض ، فليس يسكنون مقاطعة أنوسي ، مقاطعة  
كاراكوسي ، يزعمون انهم أنساب محمد (ص) ويسمون « زافراهييني » وأما البيض الذين  
في « فولبوانت » و « نوسي ابراهيم » وخايج آتونييل ، فيقال ان أصل بعضهم قرصان ،  
وأن الآخرين من أصل يهودي لذلك لقبوهم زافي ابراهيم أي أولاد ابراهيم . وهناك طبقة  
أخرى من البيض يروي انهم أرسلوا من مكة لأجل هداية أهل ماداغسكار الى الاسلام .  
فاستولى هؤلاء على ماتاتانا وبنك لهم زافي كازيمبو ومهنتهم تربية الفيلة العربية ويمتد  
الزافراهييني ان اجدادهم قدموا من مكة وهم ثلاثة أقسام : الروهانديان ، والانكادريان ،  
والاوتزاسي . وأعلامهم درجة الروهانديان ولهم الحق في ذبح الحيوان ، ومنهم من ينجب  
الملوك . وأما الانكادريان ، فاصلهم من الروهانديان من جهة الاب ، ولكن امهم كانت أدلى  
نبا لذلك انحطت درجتهم عن الروهانديان . أما الاوتزاسي ، فليس عسكرا لا مزينة لهم  
سوى الحرب . اهـ

أما مسلمو الساحل الغربي من ماداغسكار فانهم خمس فرق : الاتانكارانا الذين يسكنون  
في أهالي رأس العنبر من شرقيه ومن غربيه . وقبائل الايبوانا الذين حاصمتهم موجانفا  
أو ماجونا . والساقالاغا أصحاب بلاد الآبوننو الذين من أشهر رؤسائهم للملكة د باره



دافوني « صاحبة خليج » مارا بينسي « الملكتان » سافيتامو « و » سافيتامالا « صاحبنا « يالي » و « سوالالا » ثم الساكالا الذين في « بناب » الشمالية حول مدينة « مانديرانو » وما عدا بعض فصائل من الانتكارات والساكالا الذين هم في علاقات دائمة مع مؤسساتنا في « ديفو سولوس » و « نوسي به » وبعض فرق من ساكالا خليج « بومبيتوك » الذين معاشره الأوربيين هذبهم شيئا « فالاهالي الذين يسكنون بين أطلي رأس النهر ونهر مورونداغا ، كلهم في حالة المحمية . والمملك الذين عندهم سلطتهم اسمية تقريبا ، وإذا شربوا حربا فلا بد لهم من استشارة رعاياهم فيها . وأكثر الساكالا رجل يعيشون في وسط الغابات ، والمضمر منهم الذين في السواحل على جون « نازيندي » و « ماعاجاما » وجنوبي مويانغا يزعمون الارز والبطاطا ، وعندهم بعض المواشي ولكن أراضيهم المزروعة عالية دائما عن البحر ، ولا يفتنون قراهم البحرية الا من شهر ديسمبر الى شهر مايو حينها تبدأ سفن الهند ، ومقطعة وزنزيبار بالتردد على سواحلهم . ولم يكن الاثر من هذه القبائل خاضعا لمملك الانامبارينا الذين في ثاناناريف ، حتى انه لما دخل الفرنسي ثاناناريف ، وخضعت لهم الملكة رانانالونا ، الثالثة ، وأبلغ الفرنسي الملكة باره دافوني انه لم يبق امامها الا الخضوع آيات بكل اياه : « انني أنا لم أكن خاضعة لهؤلاء » « الامبوالامبو » ( لفظه تحذير منها ما الكتب الخنزير ) حتى بمجرد خضوعهم أخضع لكم ، وأن مساكرهم لم تدخل بلادني الا نسرى ، فانتصارك عليهم لايمسني أنا ، فانا بقية على استقلالني » وباره دافوني هذه ملكة مسلمة كسائر رؤساء الساحل الهند من رأس النهر الى مورونداغا .

ويقول السيو قران : « ان الجغرافي العربي السويدي أشار الى كون العرب فتحوا جزيرة قبيلة التي يرجع اليها هي النجوان الحاضرة ، من أرخبيل القمر في أواخر أيام بني أمية أي في نحو ٧٥٠ سنة قبلاد ، فلا يبعد أن يكون فتحوا النهر أو القومور قد وصلوا الى ماداغسكار لمساكنها القمر ، فيكون مضي على العرب أحد عشر قرنا وهم ينشرون عقيدتهم ونجوانهم في هذه الارض . ومن هنا يفهم الانسان الموقع الرفيع الذي تلوه في جزيرة ماداغسكار لا سيما بين الساكالا .

وهؤلاء نظير الاندومورون لم يتلمذوا من الاسلام الا ما وافق هدايتهم وأذواقهم ، وثراهم يكتفون بحفظ الشهادتين : « لا اله الا الله محمد رسول الله » . ويحمل مثل بسم الله الرحمن الرحيم . وإن شاء الله . وعندهم يقرأ القرآن ، ولكنهم يجهلون العربية وبعضهم لا يأكل الخنزير ، لكنهم يجنون الاشربة المنظرة ويصنعونها بأيديهم .

ويوجد في مدينة مويانغا سوامع ومدارس اسلامية ، والاذان مسدوع عندهم في الاوقات الحرة ، وأقبة البلدة الحضرية التي على شاطئ البحر تحظر في البال المدن الرئيسية التي على ساحل الاوقيانوس الهندي أو البحر الاحمر . ولكن المسلمين الهنود يصلون في مسجد الشيمة ، والمسلمين المالديين والزنيزباريين والاندوموريين يصلون في مسجد أهل السنة . وأما الاولاد الذين يقرأون في المدارس ، فجميعهم أبناء المسلمين النزيه أو أبناء الذين هم متزوجون بنات ماداغسكريات . ولم يهد أن أحدا من الساكالا أرسل ابنه الى هذه المدارس . وقد زرت بعض قرى هؤلاء مثل انداموتي ، وسوالالا ، وبالي ، وهي القرى التي يزورها العرب

والنباة والمسلمون في أشاهد فيها مسجدا ولا مدرسة ، ولا رأيهم في يومون الصلاة . ومن الغريب أنهم يحتفلون برمضان بدون أن يصوموه ، بل تراه في هذا الشهر يقومون قبل طلوع الشمس ويحتمون في ساحات قرأهم ويشربون ويرقصون وهم على شكل حلقات ، ويمسكون بأيديهم وأرجلهم عرقا موائمة لأغاني النساء اللاتي يجالينهم يفتنن ويصفقن بالأيدي ، ويدورن في وسط الحلقة السجرة يتولون إدارة الحلقة وتسمع الراقصين يهتفون معا بكلمة « قة أكبر » وإذا غنوا أولادهم تفرحوا في وقت واحد إلى الله والرسول محمد ( ص ) ، وإلى زاناهاوي اله الحبر وإلى أنفارا اله الشر . والناب على الأمة المادافسكية أنها ولودغات في دين جديد لا تترك عقائدها الأولى ، وتجد أعظم رجالهم مثل « رآيلياوفوني » الصدر الأعظم الذي كان عند المذكة رانافاونا الثالثة ، يستنبهون المرانين ويستمعون لهم ، وفي ثورة ١٨٩٥ ثبت أن السجرة والمرانين ، هم الذين دفعوا الشعب إلى الرجوع إلى عبادة « الصافي » أي الصنم وإلى قتل الأوروبيين . وفي غربي مقاطعة آمبوديرانو غاروا ونهبوا بيوت المنصرين والبشرى ، وقتلوا امرأة مبشر السكيزي ، خسفت السلطة الفرنسية عليهم نابورا من الجند ، بقاوموه أشد مقاومة ، لأن السجرة كانوا وزعوا عليهم تعاونوا اعتقدوا أنها دافيتهم من النار ، فزالوا يقاثلون حتى ماتوا من آخرهم .

وقد وصف بعضهم قبائل الساحل الغربي بالعصب الاسلامي وليس ذلك بصحيح ، وإنما السالكافا هم لم يزالوا في المحمية ، أما القبائل الاسلامية الاخرى مثل الانتقامور الانتامهاواكا ، فقد تطلعت طباعهم كثيرا وصار الابيض يسافر بين قرأهم بدون وجل ، بل يكون له قبول حسن بخلاف القبائل الوثنية مثل « الانتازاكا » ( كلمة انتا معناها جماعة فاذا قبل الانتازاكا قاضي جماعة زانا ) وجماعة « مانامبوندرو » وجماعة « آنيولا » وجماعة « ماناغينا » الخ ، فإن الغريب بينهم لا يأمن على نفسه وهم لا يحبون الضيف . وكانت البشة النورفجية أرسلت إلى ملك « الاندرياباكارا » تأسس منه رخصا في قنع مدرسة لتعليم أولادهم ، فاجابها الملك : « ان الاندرياباكارا لا حاجة لهم بمدرسة لتعليم زراعة الارض والبطاطة واجتناء الكاوشوك ونحن لا نحتاج الا إلى هذه الاشياء الثلاثة » . فقبلوا كل ما يمكن وقدموا له هدايا لبيع لهم بتأسيس المدرسة ، فاصر على المنع وسرف البشرين من بلاده . وكذا السالكافا السلم منهم والوثني بكرهون الغريب وكل ابيض صادفونه بينهم يظنون جاسوسا مذككة فاناناريف ، التي تكره استغلال قبائل الساحل الغربي . وحصل اعتداء في « ماتيرانو » طاعة ميناب على بعض الأوروبيين . فتمتد البلدة هي من أهم المراكز الاسلامية وأهلها يرفضون قبول الاجانب . وليس هذا الامر بحديث العهد ، بل منذ القرن السابع عشر وقت الحرب بين قبيلة السالكافا هتمة والبرتغاليين الذين كانوا يغزونها من موزامبيق ، والسكن كانت الطائفة أكثر الاسبان للمادافسكيزيين الذين كان يقدحهم العرب من القمر أو زونيبار ، مما يدل على ان عدد العرب كان يومئذ كثيرا في تلك الديار .

وبالاجمال فإن مسلمي الساحل الجنوبي الشرقي انتفروا مع الأوروبيين وأصبحت الايتريون منهم بخلاف أهالي الساحل الغربي الذين منهم السالكافا ، والانتايوانا المسلمون المستقلون ، واليناب والماديكورو ، والمهاغالي الوثنيون المستقلون منهم بكرهون الأوروبيين ولا يهابون وجودهم بينهم .



ومن هنا يدور الانسان ان يقول ان دخول بعض هذه الاقوام في الاسلام لم يزدهم بنصا للاوربيين . قال السيوطي : « ولا أريد هنا الدفاع عن الاسلام » بل المسلمون خلقوا أعداء لكل من ليس بمسلم وما ليس من القرآن « وأن عدم تسامحهم لا حد له . ولكن اسلام الوثنيين في اريقية كان مرحلة لهم في طريق المدنية . نعم هذه المرحلة يتفوق عنها ولا يتفوق عنها . وأغاض المؤلف هنا في شرح هذه النظرية التي كثيرا ما نقرأها في كتب الاوربيين وهو كون الاسود يتقدم بدون شك متى اسلم مما كان عليه وهو وثني . ولكن ترقيا محدودا بخلاف مالودان بدین الافرنج فان رقيه لا حد له . والجواب على هذا ان ليس هناك رقي محدود ورقي غير محدود ، بل الرقي كله غير محدود وان كانوا يرون رقي الذين اسلموا من افرنج محدودا ، فالسبب فيه ليس طبيعة الاسلام بل التأخر والجهل اللذان يليهما الاسلام في الازمنة المتأخرة مما ليس هنا محل شرحه ، والاشبه ان يكون السبب فيه قلة العدل بمبادئ الاسلام الحقيقية من ان يكون العمل بها .

ثم قال ما يأتي بحرفه : يكون محذرا للسياسة أن تضعف الدفاعية الاسلامية في مستعمرتنا الجديدة ( ماداغسكار ) أو أن تترك في ساحلها الغربي أقل نفوذ لبيبي ( البيبي هو المسلم النوموري أو الزنباري الذي يزوج بملكة من السالكافا ) . نعم ان مسلمي الساحل الجنوبي الشرقي لا يحتاجون الى هذه المرافقة الشديدة ويمكن أن يتمتعوا بحقوق « البتسيبازاكا » . ولكن التدابير الاستثنائية الشديدة لابد منها في معاملة الجماعات الاسلامية في الساحل الغربي « ا هـ »

ثم قال : « أما المسلمون الغربياء في الساحل الغربي الذين أصابهم من زنبار والجزائر النور الادبع نجرينجه ، ومجلي ، وانجوان ، ومايوت ، ومن عمان ، ومن صور ( غربي مسقط ) ، ومن المسكلا وحضرموت ، فان عددهم قليل ، وهم يعيشون ويرجعون . وأكثروا من يهاجروا الى ماداغسكار النور المسمون بالباتو من زنبار والقومور ، هؤلاء يظهرون بمظهر عظيم من الصلاح ويلتزمون بالساح ، ويحملون السلاح ، ويكفون أعينهم ، ويخضعون أديبهم وأوجلهم بالهداء ويلتزمون الجب الواسعة ويظهرون في الاسواق ، ويحتنون الناس على التبادلات ، ويندكرون بالثواب والعتاب ، وأخيرا تصبح لهم الكلمة الدنيا عند السالكافا الذين يأخذون منهم التماويل والتهائم ، ويسبب مرفقهم الكتابة يتفوقون بالبداعة على السحرة الماداغسكاريين وقد يصلون الى أن يزوجهوا بنات زعماء البلاد وأحياناً بالمسكات . فتصير لهم الكلمة النافذة يأخذون من الموائد والأكوس ، وأحياناً يصيرون هم الوزراء عند ملوك السالكافا ، وأهل الحن والند . »

ولكن مع كون الاسلام معروفا منذ عشرة قرون من تلك الديار ولا يزال القوموريون والزنباريون « يظهرون اليه ويملكون عقائدهم » فلا يرجح في ماداغسكار تأثيره سلبيا ، فان السالكافا والاتنامور والانتامباهاوا قد قبلوا الاسلام بدون أن يتركوا عقائدهم الاولى ، ولا نجد جوامع الا في موجاندا وماتيرانو ، والذين يتوهم العرب والمهاجرون .

والحقيقة ان الماداغسكاري لا يقدّر أن ينير عقيدته ، فلهذا ان الماداغسكاريين كلهم ، التي هي الانتاميرانا والبتيبلو في وسط الجزيرة ، والبتيبيلوارا والساياناكا في الشرق ،

والانتامورونا والانتاماهواكا في الجنوب الشرقي ، والانتاموانا والسافانا في الغرب والشمال الغربي ، واليارا في الجنوب ، والمازيكورو والماهانالي والانتاموري والانتاموسي والانتازاكا في الجنوب والجنوب الغربي والجنوب الشرقي ، كلهم غير قابلين للاعتدال .

فالمسلمون يملكونهم الاسلام منذ قرون . ومن سنة ١٨٢٠ وصات اليهم جماعات المبشرين من جبهة لندن ، ثم وصل الجزويت واخران العقيدة المسيحية ، وراهبات مار يوسف وراهبات التبشير بالانجيل ، والمبشرون الوردنجيون والاميركيون والغازديون الفرنسيون ، واخيراً مبشرو البروتستانت الفرنسيين . وكل هذه الجماعات حصلت على اتباع ، ورؤساء الانتامارينا يهذبون اولادهم فيها ، وحركة التنصير ماشية بدون انقطاع منذ ثلاثة اربع فرس وبمحاسة فائقة . وقد تعلم كثير من الماداغسكاريين القراءة والكتابة ، وتعلموا كثيراً من الحرف ، ومن اللغات كالانجليزي ، والفرنسوي ، ولكن الايمان لم يدخل في قلوبهم . واذا ذهبوا الى الكنائس وأبطلوا العمل يوم الاحد ، فذلك اطاعة لاوامر الحكومة وخوفاً من العقاب الصارم لأن المبشرين جعلوا الحكومة على سن قانون يجبرهم على الصلاة وغشيان الكنائس ، ومن لم يفعل يعاقب بشدة . واما سريرة الماداغسكاريين ، فهي الاعتقاد بزاناهازي وانقاراه والاشباح والرافين والسحرة لاغير . والآداب المسيحية لم يحصل لهم نصيب منها بل هي عندهم كالاسلام مما لا يطيعون حل تكاليفه . فانهم شعب عائش تحت قانون الطبيعة . وأما الفضائل الاخلاقية ونقاء المروءة والظاهرة ، فامور لا يفرقونها ، فالمرأة في ماداغسكار ، من الملوك الى الامة ، لا تمتنع نفسها من شهوة ولا تجرد النساء في ذلك سوى استعمال وظيفة طرية . فالرجل والمرأة عندهم وجد كل منهما الآخر . ولذلك لا يقدرون أن يتصوروا التبتل والرهبانة ، بل يجدونها محذوفين للظاهرة . وهم لا يجهلون انما كبريا في السكذب والسرقة والسكر وسائر الرذائل ، وفي هذا لا يختلفون من سائر الامم الماليزية والبولينية ، التي هم وايها من أصل واحد . ويسمون الذعاب الى الكنائس « فانومبوانا » أي سخرة قهرية ، لانهم يذهبون اليها بالرغم من انوفهم . وهم يتساءلون : « أيها هي الديانة الحقيقية من جميع هذه الديانات التي جاءتنا من وراء البحر ؟ اهي الكاثوليكية أم البروتستانتية ؟ وأيها من النحل البروتستانتية هي أصح من قولنا ؟ أخرى هي الانجليكانية أم الميثودية ، أم الكويكرس ، أم النورفيلية ؟ أم الوثنية الاميركية ، أم البروتستانتية الفرنسية ؟ أم الاسلام ؟

وكان واعظ كاثوليكي في كنيسة « فيانوانتسوا » يتكلم يوم الاحد على جهاد سيمون دومونتنورو في أصحاب البذعة الايبيجية Alligouis وكيف ان هذا الجهاد الكاثوليكي صدق بامر البابا اينوشنسوس الثالث واستأنصل تلك الفئة الخارجة . وفي الاحد الذي يليه ، قام المبشر الانكليزي وتكلم في المسئلة نفسها وقال : ان سيمون المذكور لم يكن الا سفاهاً ، قام يستأنصل الايبيجيين لكونهم تمسكوا بالحق وتركوا الضلال . ففهم الماداغسكاريون من ذلك ان الفرنسيين الكاثوليك كانوا قاتلوا الانكليز البروتستانت ، وان تذكر هذه المذمومات لا يزال حيا . وكذلك سمع الماداغسكاريون مبشري الكاثوليك والبروتستانت يطعنون أخشى الطعن في المسلمين ، وهؤلاء يسبون اولئك كفانرا . فتجد الماداغسكاريين يذهبون الى كهنتهم ويسألونهم عما يرون . فيجوابهم هؤلاء : « لا تصدقوا شيئاً من غرائف هؤلاء الاجانب أخرى لانسان



قادرا أن ينزل الله في قطعة من الخبز أو قطرات من الحُر ! أ يكون شخص واحد ثلاثة ! أ يكون الابن مساويا لآبيه ! هذه أمثالك . والحقيقة ان زانا عاري ( اله الخبز ) وانفادنا ( اله الشر ) هما الحركان لهذا الكون قد مررهما آباؤنا فافتدوا بهم وباحترامهم ، تكتونون احترمت آباءكم . »

نعم ان الاصنام الرسمية قد أحرقت سنة ١٨٦٨ عند ما دخلت الفلسكة واناطولونا الثانية في البروتستانتية ، ولكن العقيدة الاصلية لم تنغير .

وكذلك العمل بأوامر القرآن ونواهيه شاق عليهم ، لا سيما منع الخمر والميسر والانصاف والسحر فهي امور يحبونها حيا جا . وأما الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والنفقة ، فلا يعملون منها شيئا ، ويجدون آلهة ماداغسكرا اقل تكاليف من اله النصارى واله المسلمين . قلنا ان الاتانكارانا ، والانيقوانا ، والانتانيونفو ، والبناب يسعون انفسهم « سيلامو » اي مسلمين وليس فيهم من الاسلام سوى الاسم .

والخلاصة التي استخلصها السيوفران من المباحث التي اجراها بنفسه ومن الكتب والرحلات التي قرأها من ماداغسكرا ، والكتابات العربية الاداغسكرية التي اطلع عليها ، ان الاسلام دخل الى السواحل الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية من ماداغسكرا بواسطة العرب او المسلمين المتكلمين بالعربية \* مما يستدل عليه من السمكات العربية الكثيرة التي يجدها الانسان في لغة ماداغسكرا . فلا شك ان العرب الذين كانوا في الساحل الشرقي من افريقية منذ القرن السابع لليلاد ، نشروا دعوة الاسلام في بحر الزنج منذ القرن الثامن . جزيرة قبالو التي ذكر المسعودي ان العرب فتحوها سنة ٧٥٠ ليست الا على مسيرة ٦٠ ميلا من مايبوت و ٢٥٠ ميلا من خليج بومبانوك في ماداغسكرا ، وهي هي النجوان الحالية . ثم ان العرب نزلوا موزامبيق ، ووصلوا الى ماتيناناما ، ومن هناك أحاط بعضهم ببعض مجيئهم الى هناك من الغارات والغزالات ومن غلظة قصة باخري ما تقدم لك مثاله . انتهى .

ونحن نرى ان العرب نزلوا بتلك الجزيرة منذ القرن الثاني والثالث للهجرة ، وان تلك الحكايات التي بروونها دائما من كون مسلمي ماداغسكرا اصلهم من مكة هي من جملة الانتظار بالاصل العربي ولم يكن لهم ان يكونوا هربا حتى جعلوا انفسهم قرشيين ، بل من آل البيت - على انه لا يوجد مانع من أن يكون أناس من قرش ، أو من الطالبين وصلوا الى هناك . فاما بغاء المسلمين في ماداغسكرا على ما هم عليه من الجهل ، لا يتنازولون من سائر أبناء وطنهم الانبيلا فله سببان أحدهما ، شدة تمسك أهالي ماداغسكرا بمعتقدهم القديمة ، بحيث انه لا الاسلام ولا النصرانية أمكنهما قطع تلك الدائد من رؤوسهم فاما \* الثاني فتصور المسلمين في ماداغسكرا في سائر الاقطار من جهة التشكيلات اللازمة للدعاية ، ولو كانت لهم هناك مدارس ومكاتب وطرق منتشرة ، لكان الاسلام أرسخ وأغنى مما هو الآن في ماداغسكرا بدون شبهة .

### جزائر القومور أو القمر

العرب الاولون يسمون هذه الجزائر بالقمر بضم اللام وسكون الميم وقد تحرك الميم فتلقظت قر بضمين ، ومنها قول الافرنج « قومور » ، وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب ان

قيلوا أو النجوان فتحت سنة ٨٢٤ ( بالحساب السبعي ) على أيدي الأزد الاباضيين -  
وبحسب قول كارتني Carthay في كتابه « جزر افريقية في بحر الهند والجزر العربية » المطبوع  
في باريس سنة ١٨٨٥ ليس تاريخ هذا الفتح معلوما ، وإنما ثبت أن رجلا عربيا امتاز بالبدالة  
والاقدام جعل نفسه سلطانا على جزيرة القمر الكبرى ولكن بسطة محدودة . ولا شك أن  
أعقاب هذا الرجل ، هم الذين اشتبكوا في الحرب مع البرتغاليين عندما طرأوا على هاتيك  
البحار . ثم انه بعد ذلك طرأت جالية عديدة من شيراز العجم ، فنزلت بساحل الرجح . وكان  
لهم زعيم اسمه محمد بن عيسى ، فاستولى على جزيرة القمر الكبرى ، وعلى جزيرتي هنجوان  
ومجلي ، وجعل فيهما إبنتيه ملكيتين ، ثم جاء نزار جزيرة مايوت فاحتسوا استقباله ، فاستجبا  
على هنجوان ، وتزوج بيث سلطان مايوت .

ثم نقل السيد كارتني « رسالة مررها كاتب عربي ، اسمه الشيخ يوسف ابن المعلم موسى ،  
لسائح فرنسوي » اسمه فيكتور نويل وهي هذه :

« أن جزيرة مايوت كانت تابعة لامراء جزيرة النجوان بحسب قول هؤلاء ، ولكن المايوتيين  
لم يكونوا يذكرون اسم أمير النجوان في خطبة الجمعة الا في بعض فقرات . ولما آل الامر في  
النجوان الى السلطان احمد الذي ملك من سنة ١٧٦٠ الى ١٧٨٥ ، جرت حوادث من غارات  
السالكاء ومن الثمن الالهية زعمت ملك الانجوانيين ، فاضطرب جبل الامن فيها ، وكانت  
اسرة عربية أصلا من عمان أقامت ببلدة « تشينغوني » حاضرة جزيرة النجوان الندية ، وكانت  
ذات ثروة طائلة من تجارتها ، وقد أحسست استعمال المال في وجوه الخير والبر ، وتزوج واحد  
من هذه العائلة واسمه صالح بن محمد بن بشير بن المتظاري العماني ، وكان شابا ماضيا في الامور  
عظيم الجاه بآبئة سلطان مايوت . وسنة ١٧٩٠ مات سلطان مايوت ، فخلفه صهره صالح بن محمد  
ابن بشير وتحول عن مذهب الاباضية الذي عليه أهل عمان ، الى مذهب الشافعية أهل السنة  
والجماعة الذي عليه أهل جزائر القمر الخ . وقال السيد غاراي : Gervay أن أصل سكان  
النومور يهود أو أيديويون ، جاءوا من البحر الأحمر بعد عهد سايان ، وجاء اليها في الوقت  
نفسه زوج من زنجبار ، وكانت تختاف اليها كثيرا سفن العرب ، ولكن هؤلاء لم يتوطنوا فيها  
الا في القرن الخامس للهجرة . ثم في القرن السادس هجر للبلاد جاء البرتغاليون وفتحوها ،  
ولكنهم مروا عليها كمايري سبيل ، وبعده انصرفهم من هناك جاءت طائفة من الشيرازيين ،  
فنزلت بها تحت قيادة محمد بن عيسى أما تاريخ جزيرة « مجلي » فلا يعلم عنه شيء كثير ،  
وخاية مايل أنه أول من سكنها أزواج جاءوا من افريقية ، ثم جاءها العرب والمادغاسكريون ،  
وفي سنة ١٥٠٦ جاءها طائفة من الشيرازيين تحت قيادة أحد أولاد محمد بن عيسى . وأما  
جزيرة النجوان أو أزوان فقد عمرت نظير ما عمرت مجلي ، وفي العهد نفسه فقد جاءها أولا  
الزنج ثم العرب ثم المادغاسكريون ولما وصل محمد بن عيسى الى جزيرة القمر الكبرى أرسل ابنه  
حسن بن محمد ، فاحتل النجوان بشرذمة من الشيرازيين . »

### نجيحية أو جزيرة القمر الكبرى

تأخذ زيادة معلوماتنا عنها من رسالة للدكتور نيقولا دوبلانتيه Du Plantier رئيس



الاطباء في جيش المستعمرات الفرنسي ، مطبوعة بباريس سنة ١٩٠٤ اسمها : الزومور الكبرى ، La Grande Comore

قال : ان أرخبيل الزومور مؤلف من أربع جزائر : مايوت ، وأنجوان وعلي الجزيرة الكبرى ، كلها واقعة في مضيق موازمبيق طولها نحو ٢٤٥ كيلومترا ، مع انحراف من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي . فالزومور الكبرى هي بين ١٠٥٠ و ١٢٤١ من الطول الشرقي و ١٣١١ من العرض الجنوبي ، وبينها وبين شاطئ افريقية ١٦٠ ميلا ، ومنها الى علي ٢٨ ميلا ، وإلى أنجوان ٥٠ ميلا ، وإلى مايوت ١٦٩ ميلا . وطول هذه الجزيرة ٦٦ كيلومترا في عرض ٢٤ ، وأكبر مراسيها « مرونني » في الغرب ، و « ميتسامبولي » في الشمال الغربي ، « وشينديني » في الجنوب الشرقي ، و « سالتاني » في الجنوب الغربي . وهي جزيرة مرتفعة فيها جبل يقال له « السكراتالا » طوله ٢٥٠٠ متر وفي رأسه حطمة نار . وتكثر في الشاء العواصف والزواج ، ويغزر المطر ، ومع هذا فليس في هذه الجزيرة مياه جارية كما في أخواتها الجزر الأخرى . وكل ما فيها من الديون فينبان تضاحتان احدهما ، في مقاطعة بادغيني والأخرى ، في مقاطعة ميتسامبولي . واعتماد الناس إنما هو على الجبابس التي تجتمع فيها مياه المطر ، وأهل سيف البحر يحفرون على الشاطئ ، فيسقطون ما يشربون . وبالرغم من قلة المياه فراضي الجزيرة خصبة جدا ، ومتاخمها من أجود ما يكون بناسب الغرب ، والحببات الملارية غير معروفة فيها ، والصحة العمومية فيها جيدة جدا . ومن قصد الفرار من الحر يجد في الاماكن المرتفعة غير بعيدة عن الشاطئ ما يرضيه ، واجسام أهالي هذه الجزيرة في غاية القوة والنشاط وهم يحبون النظافة كثيرا .

وعند أهالي الزومور الكبرى خدود الف نسمة ، لكن الشاء أكثر جدا من الرجال حتى أنهم حسبوا بإزاء كل رجل ثلاث نسوة . وسبب نقصان عدد الرجال من النساء ، هو الحروب التي كانت قد وقعت فيها بين سلاطينها ، مع كثرة المهاجرة الى زوزيلار . إذ انتقل منهم سنة ١٨٩٩ ، نحو ١٥ ألف رجل الى تلك الجزيرة . ويقال ان العرب نزلوا في القرن العاشر بهذه الجزيرة قادمين من مسقط وغيرها ، ومعهم عبيد كثيرون ، ووجدوا فيها زنوجا من امة « الكانز » لم يعلم عهد مجيئهم . فاختلط هذه الاجناس من السلالة السامية الخالصة الى المادافسكية ، الى البانتو ، تكون الجنس الزوموري الحالي . وكذلك جاء فيما بعد هنود و عرب . والزوموري طويل القامة ، غليظ الشفتين بدون برطمة ، طلي الجبهة ، أفني الانف ، اسود العينين ، خليل شعر العنية . أما المرأة الزومورية فهي صغيرة ، حسنة التقاطع ، طويلة الذوائب ، لكن اذا تزوجت خلقت شعرها . وكبار القوم يخضبون اظفارهم بالحاء والنساء يستعملن الوشم والرجال الاعتناء باللسون القصير الطويل من الجوع الاسود أو الحرير الزرديش وعلى رؤوسهم الكوفية المطرزة بالنصب ، ويحملون في أوساطهم خناجر معقوفة بقمشات من ذهب أو فضة . وأما النساء فيلبسن الحرير ضائعا ، ويحمان على أكتافهن ورؤوسهن منديلا من الحرير ، ويرخين أحيانا اقبا مزرعشا مفتوحا عند العينين ، ويتخلين بأنواع الخلي من عقود الاؤلؤ ، والاساور والخلائق ، الذهب منها والفضة ، ويتخلين بأنواع الطيوب ، وفي النهار

تجلس المرأة من هؤلاء في منزلها محاطة بجواربها ، أو تنزه على سطح البيت ، فإذا غابت الشمس كان لها ان تخرج من منزلها وتنزه في الشوارع منتبهة جيدا . فلما التفتت فيظهرن في الاسواق ويشفقن ويلبسن ثوبا واحدا من القطن وينطقن عليه .

أما الساكن قبيبة بالحجر والجير ، و أكثرها ذات طينة واحدة وسطوحها مشوبة ، وسقوفها ودورها بالخشب ، والابواب والنوافذ مصنوعة بالخشب الثقوب المحرق . وعندهم مقاعد من خشب ذوات أرجل أربع مغطاة بالطنافس والمساتد . ويشربون بالناريلة ويحبون الراحة ، ويقضون حياتهم من أوقاتهم إما في الجرامع أو في ساحات البلدة مستأنسين للاحاديث ، وكل واحد سبعة في يده . وهم قوم متوكلون ، لكنهم كسالى لا يشتغلون للعمل الا قليلا ، ويميلون الى اللهو والرقص والقتال ، والى الاسراف في النفقة ، فقد وجد منهم من يرمي عقاراته ببلع من المال ويشتري عدة رؤوس من البقر ويتصدق بلحمها على فقراء بلده ، أو يشتري ثيابا مزركشة بالذهب ، أو يتزوج امرأة جديدة . وقروا عندهم ازواج طوبقة مريضة تستمر أياما ، وقد يكون ذلك شهرا ، وتقدم الهدايا النفيسة الى المروس ، وتذبح الذبائح العديدة ، وتولم الولاثم طول مدة النرح لحبهم الاهالي بين الزين والثناء والطال والزهر . والعلاق معروف في النومور ، ولكن الولد في هذه الحالة يبقى عند امه ، ويقع حالته في فهو أمير اذا كانت اميرة وفير اذا كانت فقيرة ، والمرأة حتى التصرف المطلق باملاكها .

ويحتفلون أيضا بالختان ، فإذا ختن أحد الاكابر ولده ، حصل عيداً اشتركت فيه جميع أهالي المدينة . والمآتم عندهم لها شأن كبير أيضا .

وجميع النومورين ، أهل الطيفة العالية ، شديدو التحسك بدينهم الاسلامي ، وأهل الطبقات الدنيا يميلون الى الخرافات . والجوامع كثيرة في المدن والقرى ففي « مروني » مئتين الفرمسي ١٢ مسجدا ، مع أن أهل هذه البلدة لا يزيدون على ٢٥٠٠ نسمة . ولشاربهم يعلمون الاولاد القراءة والكتابة ، والجميع يرعون الحرية أتم مراعاة ويوجد مدارس في كل المدن والقرى ، أما لغتهم ، فهي نوع من اللغة السواحلية الزنبارية وتكتب بالاحرف العربية ، أما لغة حوارين السلطان ، فهي العربية الفصحى .

ولما جاءت فرنسا وبسطت يد حايثها على النومور الكبرى كان فيها ١٢ مقاطعة ، لكل منها سلطان وأكبرهم اسمه « سلطان تيه » يخضع له جميعهم . وقد كان السلطان السيد علي ابن السلطان السيد عمر صاحب هذا المقام ، وأبوه السيد عمر كان ساطانا على جزيرة أنجوان ، وقد قام بخدمات جزيرة فرنسا ، وذهب علي في سفره الى مابوت وقدم الفرنسية ، وكان السلطان تيه في النومور الكبرى ضد السلطان احمد ، فقبلا توفي أوصى بأن يكون هو خلفه ، فلما مات احمد وجاء علي بسلام الملك ، افترض بقبلة السلاطين وقالوا انه غريب ، واعتصموا حول الامير موسى فومو ، سلطان مقاطعة ايتساندرا ، الذي طرد أن يكون السلطان تيه . فوقعت الحرب ودارت الدائرة على الامير موسى بسبب معاونة سلاطين أنجوان ومعلي ، وسكان مقاطعة بادغيني الكبيرة للسلطان علي . وبعد ذلك جاء مركب من قبل سلطان زنبار ، عليه فتصل انكثرة يمرض على السلطان علي حاية الانكابة فرضى علي حاية انكثرة ، وأرسل الى قائد مابوت يمرض دخوله تحت حاية فرنسا ( هذه رواية المؤلف



الفرنسوي ( فلم يحصل يومئذ على جواب ، لكن بعد ذلك بثلاثة أشهر ، جاء المسيو هبلو Hamblot العالم الطبائعي الفرنسي بمهمة علمية الى القومور الكبرى ، فأعظم السلطان علي موصله ، وشاهد المسيو هبلو خصب الاراضي ، غول مأموريته من علمية الى سياسية ، وكان الامير موسى قومو قد رضي بحماية انتكازة ، وأرسل له الانتكاز ذخيرة وأسلحة ، انتهات السلطان علي على طلب حاية فرنسا ثانية ، فرجع المسيو هبلو الى فرنسا وأدى الرسالة . وفي ٦ يناير ( ٢٤ ) سنة ١٨٨٦ ، عقدت فرنسا مع سلطان القومور الكبرى معاهدة تتضمن أن يكون لفرنسا الموقع الاول دون سائر الاجانب في جزيرة القومور الكبرى ، وان السلطان لا يزل عن شئ من الاراضي لدولة اجنبية ، ولا يعقد مع دولة من الدول معاهدة الا برضى فرنسا . ورضي السلطان بإبقاء خمس مقاطعات وهي : بامباو ، وارتساندوا ، وميتسامبولي ، وبودي ، بادغيني ، كل مقاطعة منها يليها سلطان تابع للسلطان علي الذي يلي مقاطعة بامباو وأسا ، جاعلا مركزها بلدة مروني . وان السلطان لا يعزل أحدا من أولئك السلاطين ، ولا يعلن حربا الا برضى الحكومة الفرنسية . وعند موت السلطان يكون لفرنسا وحدها الحق في تعيين الخلف ، أو تعيين شكل ادارة البلاد . وقد تعهد السلطان علي بإقرار الاعطيات التي اعطاها الفرنسيين من اراضي الجزيرة ، وبسهيل اعطائه غيرها لهم . وفي السنة المذكورة جاء المسيو وير معتمدا من قبل الدولة الفرنسية مقبلا بالجزيرة . فالتوت هذه المعاهدة ثائر القوموريين الذين اتهموا السلطان علي بأنه ، أتى لهم بالفرنسيين الى الجزيرة وباعها من المسيو هبلو ، وخرب ديارهم وصيرهم عبيدا . وكانت الثورة بدأت سنة ١٨٨٩ في مقاطعة بادغيني ، وتولاها امير اسمه آشيون ، فارسلت فرنسا قوة واخذت نارها ، وقتل آشيون في اثنائها ، ولكن أهالي الجزيرة باجمهم بقوا ناقلين ( ولا تراهم محطتين ) بحيث اضطر السيد علي ان يفر لئلا يلقى ( ٢٣ فبراير ١٨٩١ ) فجاء القائم الفرنسي من مايوت الى محلي ، وأخذ السيد علي معه على ظهر بارجة حرية الى القومور الكبرى ، وحاول اغتاع الاهالي يكون السيد علي لا يزال سلطانا وان فرنسا لا تزال معتزة بساخرة القومور ، فلم يلبوا كلامه فاعادته معه الى مايوت وازدادت الثورة ، فارسلت فرنسا قوة مثقلة قمت الثورة . وفي ٦ يناير سنة ١٨٩٢ ، عقدت مع السيد علي اتفاقا لنت بموجبه السلطات الخمس وقسمت الجزيرة الى ١٢ مقاطعة ، وجهات الحكم في كل مقاطعة لفاض وعلى رأس كل قرية شيخا ، وصارت السيادة التي كانت للسلطان الى مجالس القضاء الذي يعتمد بحضور معتمد فرنسا المقيم ، وفرض على كل مكلف من الاهالي من سن ١٢ الى سن ٦٠ سنة دفع روييتين ونصف روية سنويا .

ولكن بعد ذلك جرى اعتداء على بعض الفرنسيين ، وقصد اناس من الاهالي اغتيال المسيو هبلو ، فخرج وخرج صهره المسيو لوفرو ، فاتهم السلطان علي انه هو مدير هذه المؤامرات ، فنفى الى دياغو سوارس ثم الى بوربون ، وخلفته فرنسا ( كما خلت عبد الحفيظ سلطان العرب مع انه هو الذي ادخلها الى مملكته وكل منهما لقي جزاءه ) وصار الامر الى المعتمد للقيم وهو المسيو هبلو ، فبقى الى سنة ١٨٩٦ ، ثم خلفه المسيو دوكلز De Cazes ثم المسيو بويغوين Pobequin ، ثم خلفه المسيو بلانقيه ( الذي نقل عنه هذا التاريخ )

وتوالى من بعده المقيمون الى اليوم .

وليس لجزائر التومور حتى في ارسال مبعوثين في البرلمان الفرنسي ( كما ليس لجزائر الغرب ) ، وانما يوجد لها ممثل خاص في مجلس المستعمرات الاعلى ، ويكون فرنسيا من اصحاب الاملاك المستعمرين في تلك الجزائر .

واما الادارة الوطنية في الجزيرة ، فهي في ايدي ثمانية قضاة ، ١ شيخ قرية . فالقاضي يوصل الدعاوي وينفذها ويصدق العقود ، وفي حال استئناف الدعاوي يوجد مجلس مركب من كل القضاة . واما شيخ القرية فيجبي الاموال ، ويقوم بالضبط والربط في القرية ، وله أعوان في مهمته . واذا وقعت دعاوي مدنية بين الاهالي والفرنسيين ، فالقاضي فيها المتمدن للقيم . اما في الدعاوي الجزائية فالرجع هو ، بحكمة مختلطة يرأسها القيم ، ويكون فيها اثنان من القضاة الوطنيين واثنان من الفرنسيين . وفي قصبة مروني مدرسة فرنسية يشتمل فيها الاحداث ، ويحضر دروسها كثير من الرجال الباكين ، وفي التوموري ذكاء مفرط واستعداد عظيم للعلم والتدق .

وميزانية الجزيرة المالية هي ١٥٠ الف فرنك ، يؤدي منها سنويا خمسة آلاف الى السيد هلي في منفاه ، و ٤٥ الف الى شركة السيو ميملو من فئض الدين الذي كان لها عند السيد المشار اليه ، فلا يبقى لادارة الجزيرة كلها سوى مائة الف فرنك .

### جزيرة انجوان

هذه الجزيرة هي أيضا من أرخبيل التومور ، وكان لها سلطان مستقل بها تلخص أخبارها من كتاب اسمه « ساحة انجوان » تأليف السيو جول ريليك Repliquet من كبار مأموري المستعمرات الفرنسية قال : « انها بين ٤١ و ٥٢ و ٤٢ و ١١ و ١٥ من الطول الشرقي و ١٢ و ٣٥ و ١٢ و ٢٢ و ٣٠ من العرض الجنوبي على ٢٠ مرحلة شمالي مايوت الى الغرب و ٩٠ مرحلة من بحري الى الشرق و ١٥ مرحلة من التومور الكبرى . ومساحة انجوان ٣٧٨ كيلو مترا مربعا ، وأعلى قمة فيها ارتفاعها ١٥٧٨ مترا . وهي جزيرة بدئية كثيرة الاشجار ، غنية بالنباتات ، لاسيما المقاطعة السمكة منها يوموتي : والنسم العاصل منها هو اللحم الغربي ، والى الشمال الغربي منها جزيرة صغيرة مطاطة بالشجر ، اسمها جزيرة السرج . وفي أكثر جزيرة انجوان تجد مياهها جارية تفيض من بين الاودية ، وتسقي الاراضي الى الساحل سائبة من شلال الى شلال ، وكان الاهالي لجهاهم يسرقون في قطع الاشجار ، فاصبر السلطان عبدالله برأي المتمدن الفرنسي المقيم السيو اورميير أمرا يمنع فيه استئصال الشجر .

ومن جداول انجوان التي تسيل صيفا وشتاء اكياني ، وبوزيني ، وشيكوتي ، والباحي الذي له مصب في جون نرفا اليه السفن ، ومورويايجيني ، وبانتي هواني ، وهذه الجداول تجدها من الغرب الى الشرق . واما في الشرق فجدول يقال له التانغنا مجرودة مباحه الى مزارع النصب والجيجي . ثم الى الجنوب يوماني . وأنهار وسدواي اخرى أقل بالا من تلك تلك كلها على غزارة المياه الجارية في هذه الجزيرة الصغيرة البدئية . وفي جهتها الشرقية ، بحيرة



مستغبرة مساحتها عشرة آلاف متر متناهية في المدى وصفاء الماء وبرودته يظن أنها خزان الجداول الشرقية .

وفي انجوان مراس جيلة السفن مثل فرسة انجوان ، ومرسى فومباني ، ومرقا بوزيني وباجي وباتسي ، وهي في الشمال . ومراسي آيو ، ويومبار ، وغديرها في الشرق . وعينبي وسيلامسا ثغاني في الغرب . ومرقا بوموني في الغرب . يصالح لا يواء البوارج السكبار .

وهواء انجوان معتدل الحرارة ، ففي الصيف متوسط درجة ميزان الحرارة هو ٢٢ في الظل ، والمناخ في الجزيرة جيد ، والحياة قليلة مع وفرة المياه والاصطياف في أعالي الجزيرة يفيد الصحة جداً .

وتنسب الجزيرة الى نواح ، ففيها في الشمال الشرقي مونتسامودو ، وعواني ، وبانداني . وفي الغرب شيزيواني . وفي الشرق دوموني . وفي الجنوب بوموني وتيوماكيلي . وفي الوسط يوجد بامباو متوني وكوتي . والباصمة هي مونتسامودو ، تنسب الى رجل زنجي كان اسمه موسى مودو أي موسى الأسود ، كان يرعى مواشيه حول جوف انجوان ثم استقر هناك ، وكان أول من بنى هناك بيتاً ، ثم جاء الآخرون وبنوا بجانبه . وكانت لمدينة مونتسامودو أيام سعيدة امهد سلاطين الجزيرة الذين سورها بحدود عالية وحصنها بقناة . أما الآن فكل هذه الاسوار متداع الى الخراب . وفي الحارة المسماة د آومبو ( ان الغرب من طائفتهم أن لا ينظروا الياء بعد لهم أبداً بل لا يسبق اليهم عندهم الا النون مثل تمبكتو مثلاً ، ولكن الافرنج يجعلون أبداً على هذه النون . بما فيقولون تمبكتو Tombuctou ولما كنا نقتل من كتب الافرنج حافظنا في الاسماء على كيفية نطقهم بها مع علمنا بأن الاصطلاح العربي هو لنفظ مثل هذه الكلمات بدون بعدها ياء كما حتى ذلك العلامة اللغوي ، الاب السناس الكرملي ) التي هي محلة الاشراف نجد قصر سمو السلاطين والمحكمة المختلطة ، ودار الخزنة القديمة ، وبعض الدور القديمة الباقية على جبالها . وبالغرب من هناك « موكيه جيموي » أي الجامع الأعظم بشارع السوداء ذات المصاييح في الخارج من السود على طول نهر موروجا بميني الضواحي المسماة بانداماجي . فيها أكواخ الدفراء .

أما القلعة ، فهي شاهقة مبنية على صخرة سبيجو ، لها برجان عالين مربعان وبرج آخر يرتفع عليه العلم السلطاني الأبيض والاحمر في الاعياد . ومن القلعة الى المدينة سلم عدة درجه ٢٨٠ ولكن هذه القلعة تنهار يوماً فبدا بانهار السلطنة العربية التي كانت شديتها . وقد كان آخر مهدها بالقوة سنة ١٨٩٦ يوم أطلقت مدافعها النار على البوارج الفرنسية . والى اليوم في هذه القلعة ١٠ مدافع قديمة بالية .

وعلى مسافة أربعة كيلومترات من مونتسامودو ، تظهر بلدة عوانني بشارتها وسورها ومنازلها . وهناك عاصمة ثانية للجزيرة اسمها دوموني واقعة في شبه جزيرة . وهي نظير أختها مونتسامودو متداعية الى الخراب . وكانت قبلا كرمي السلاطين . ونظرا لضعف موقعها ، كان أهلها اذا هاجمهم الماداغسكاريون من البحر قرعوا طاول الحرب ، فخرج الاهالي من الجوار ودخل رعاة المواشي وآدوا الى جدرانها بقطاعاتهم . فلم يبق اليوم من سابق عظمة دوموني سوى بعض جوامع ، وبعض منازل للاشراف . وفي أحد هذه الجوامع صومعة منحوتة في

الحجر ، داخلها مزخرف بالفضة والبرونز . وهو أمر معماري يستحق الذكر . وإلى جنوبي الجزيرة في نيوما كيلي مدينة صغيرة اسمها « موي » وفي الجزيرة كلها ٨٠ قرية أكثر أهلها من جنس الماكوا الزنوج . وأما مباني الإدارة الفرنسية فهي على ارتفاع ٢٠٠ متر بمحل يقال له « هومبو » يشرف على مونتساودو وقلعتها . وتجدهم جميع الدوائر الرسمية والمستشفى والسجن مخفية تحت أشجار المانغا وغيرها من الأدواح الكبيرة ونحت أكمة هومبو مقبرة الجنود الفرنسيين ، الذين قتلوا في حوادث سنة ١٨٩٦ ( يوم استولوا على الجزيرة ) .

وجميع سكان هذه الجزيرة ١٥ ألف نسمة ، يرجعون إلى ثلاثة أجناس ، من العرب والبوزمن والماكوا . ويقال إن أول من صر هذه الجزيرة هم البوزمن ، ثم جاء العرب ومنهم الماكوا . والبوزمن هم من أصل مالي بوليتيزي كاهل ماداغسكار . وهم أقوياء شجعان يحبون الحرية أسلموا في القرن السادس عشر ، ولكنهم لم يقبلوا الرق وذهبوا من وجه العرب إلى الجبال أما من جهة الشمال بالاسلام ، فقام في الدرجة القصوى يعملون بالأوامر والنواهي الفرنسية بحرفها ، ولا يؤولونها بحسب أهوائهم مثل العرب ( كذا ) .

أما العرب ، فاصلهم من سواحل خليج فارس أو سواحل البحر الأحمر ، وعليهم سحنة أهل اليمن ، وفي نسائهم جال بدقة الناطع ، وتدوير الوجه ، وملامسة الشعر ، وسواد العينين وتقوؤ الأنف . وأكثر العرب كالي أهل مكر ودعوى ( كذا ) وكلهم تقريباً يذهبون الشرف وكونهم من قرية الرسول ( س ) وأكثر أوقانهم يقضونها مضطجعين في داخل بيوتهم بين نسائهم ، حتى إذا أظف الغروب ذهبوا إلى الجامع للصلاة ، ومن هناك يفيضون بالأحداث التي فيها يكفر لمن السكان الأبيض ( الذي لا يقدرون أن يحبوه لأنه استولى على الجزيرة وسلبهم ملكهم ) وهم شديدو البغضاء لنا لأننا نصارى ، ولأننا نحب الشغل وبحركتنا ونشاطنا صار لنا التفوق عليهم . وقد فهموا أنهم كانوا هم المغلوبين ، لكنهم لا يريدون أن يجعلوا كلهم هو المسؤول عن ذلك وهم مهما تفرقوا البنا يكذبون ولا يوثق بظاهر محبتهم ( كذا ) . أما الماكوا فاصلهم بعيد من الموزامبيق ومن سواحل شرقي أفريقية ، أتى بهم العرب ليعملوا في أراضيهم فكانوا هم الحرائين لهم وصاروا الآن الحرائين في أراضي المستعمرين الأوروبيين ، وهم أهل مودة ومعرفة للجدل . ولا تخلو البحوان من الجنود البانتان ومن الماداغسكاريين . أما لسان انجوان مع صغر حجمها فهي أربع ، العربية ، ثم السواحلية ، ثم الانجوانية ، ثم الماكوية فالعربية « لانيانية الشرق » هي لغة البهوان والدين ، وبها تصدر الأوامر السلطانية ومضابط القضاء إلى هذا اليوم . وأما السواحلية فهي لغة التجارة ، وكثيراً ما تكتب بها أوراق رسمية . وأما الانجوانية فهي خليط ، من العربي والسواحلي والماكوي والبرتغالي والفرنساوي والانكليزي ويتكلمون بها في كل الجزيرة . وأما الماكوية فهي لغة الزنوج ، وهي تتلصق أمام اللسان الأخرى . وذكر المؤلف عن ملابس أهل انجوان ما يقرب مما تقدم عن ملابس القومور الكبرى وهي في الحقيقة ملابس العرب النائية مع الكوفية على الرأس ، والخنجر في الوسط ، وذكر أن الشبان يحملون بأيديهم عصياً يسمى واحداً « البانكور » من الخشب الصلب ( يقال له في جبل لبنان الباكور أو البعكور ) ، وقال إن العرب رجالاً ونساءً يتطيئون ، ويرشون على ثيابهم ماء الورد والمسك ، ويكحلون عيونهم ، ويخضبون أظفارهم بالحناء .



والانجوانيون يقدون الشريعة الإسلامية بحميم وأمرها ونواهيها ، ولكن عندهم حادثات غابت عليهم ولولم توافق الشرع ، مثلا : المرأة هي دائما صاحبة البيت الذي تسكن فيه مع زوجها فإذا وقع الطلاق ، وجب على الرجل أن يفرق البيت .

وكذلك الانجوانيون لا يعتبرون رتبة الملك للسلطان ، بل يرون ان تمسكهم للأراضي هو من الله تعالى . وحكم القضاء هو بمذهب الامام الشافعي ، والكتب التي يسمعون عليها من المذهب هي منهاج الطالبين ، والفتنم القريب . ولم يبق في الجزيرة سوى قاض واحد في مونتسمودو . وكان السلطان في الماضي يطلع اليكم بمجلس مشهود من الاعيان والقضاة ، أما الآن فلم يبق للسلطان الا اعطاء بعض النصائح لا غير .

ثم تسلك المؤلف عن العادات المألوفة في انجوان : في الولادة والحضانة والزواج والجنابة مما لا يخرج عما تقدم في الكلام على القومود الكبرى ، وما هو معهود في البلاد العربية مع بعض الزيادات . ولكنه قال ان الخاطب اذا خطب البنت من أهلها وارتضاء والداه ، زوجها بدون معرفة المرأة ، اذ الشريعة المحمدية لا تشترط رضى المخطوبة في الزواج ، وهذا خطأ فظيع هو من جملة خلط الاوربيين ، الذين يلقون كل ما يسمعون واحيانا ما لا يسمعون ، بل ما يتصورون بمجرد خيالهم ، فيقررون وقائع ثابتة . فانه مما لا يترك كون الوالدين في كثير من الاحيان يستبدان بالبنت ، ويعقدان عليها بدون استشارتها وهي نظيرهما حرمة وتأديبا منهما . ولكن القول أن هذا هو من الشريعة الإسلامية خطأ قاسح ، فان البنت البالغة لا بد من رضاها في الزواج ، واذا عقد العقد قبل البلوغ وبانت العقود عليها ، كان لها الحق أن تنسحق .

ثم ذكر ما عند الانجوانيين من حب الرفق ، والنساء ، والغرب بالمعارف وآلات الطرب وما عندهم من سرعة الخاطر في ارتجال الازجال العامة الرقيقة ، التي يطرب لها كل من يسمعا . وقال انهم يضربون بالطماطم ( نوع من الدرنكة ) ، والنايوسي ( نوع من العود ) وقال انهم منرمون أيضا بلب الورق والشرنج ، ويحبون المصارعة ولعب السيف والفرس ، وغير ذلك مما هو من أوضاع العرب .

وفي السادسة من العمر يرسلون أولادهم الى الكتاب ذكورا وإناثا ولا يفصلون بعضهم عن بعض الا في سن البلوغ ، والعلم يملهم القراءة والكتابة والحساب والتقويم والمفاتيح ، ويكتب لهم على الواح بيضاء بقلم من نصيب الكماو ، وحبر يقال له تيونانو ( مركب من البخار المتبخر محلول بالماء ) آيات من القرآن لا بد للأولاد أن يحفظوها . ويواظب أهالي انجوان على الصلوات الخمس ، ويوم الجمعة يخرج السلطان الى صلاة الجمعة وامامه اثنان يحملان العلم السلطاني والمظلة السلطانية ذات المقبات الخضراء ، ومن العادات القديمة أن أهالي قرية ميرونسي يؤلفون مركب السلطان في ذهابه الى صلاة الجمعة . وجميع الاهالي يصومون رمضان حتى الذين ليسوا مسلمين من الزوج يصومون . وتتل في انجوان الاوقاف لكن يوجد منها ما هو مربوط بالجوامع ، ومنها ما ينفقه الانسان على جهة بر ويحفل بظارته في ذريته حفظا لقوة البيت بعدم امكان بيع الوقف . وأما حجاب النساء فهو شديد في انجوان حتى الذين ليسوا بمروءين بشدة التقية ، ومن يشرب الخمر سراً ، لا يتسامحون في

أمر الحجاب ، وأسود الحرافات عند البيوت والزوج في النجوان حتى أن العرب قلدوهم فيها ، فلم يمتنعون السارق ، مثلاً بأن يجبروه على مضغ حبة من الارز غير الملقوق وهم يقرأون عليه سورة يس ، فمن لم يمكنه أسكلها ثبت أنه سارق . ( الغالب على الاوربيين أنهم إذا اطلوا على حادثة أو حادثتين جعلوا ذلك قاعدة لذلك تقل اللثة في مرويائهم . أما الصناعات في النجوان فهي قليلة ، يعملون المخار البسيط ، ويستخرجون الخمر والزبيب ، وعندهم مطاحن على الهواء ، ويستخرجون عصير السكر ، وكان السلطان عبد الله قد أسس معمل سكر في بامباو ، وغيره من الاعالي صنعوا السكر واجرأ فيه . وأما الزراعة فهي في حال التآخر ، والفضل في المحاصيل إنما هو لحطب الاراضي . ولأرب في الادوية مزارع لطيفة من غصب السكر والكوكو ، وكان عندهم كثير من شجر البن . أما التجارة فلم تكن عظيمة ، فقد ولدوا من ينفون امهاتهم نواتية وتجارا . ومنذ القرن السابع عشر ، كان الانجوانيون ينقلون بضائع ماداغسكار وساحل شرقي افريقية الى خليج فارس ومسنط . أما تجارة الرقيق فقد بطلت منذ سنة ١٨٤١ ، عند ما استولت فرنسا على جزيرة مايوت . وبعد إنشاء هذه التجارة سقطت تجارة النجوان من دوحتها الاولى ، أما سفنهم فهي قوارب ذات قاع واحد ، وهم في غاية المهارة في البحر سواء في ادارة السفن الشراعية أو ذات المظلف .

أما تاريخ النجوان فهو تابع لتاريخ سائر القومور ، وكان استولى البرتغاليون مدة على عاتيك الجزيرة ، ثم تار الاهالي بهم فخلوها ، وجاء محمد بن عيسى من شيراز مع جماعة ونشر فيها الاسلام واستقر ابنه حسن بن محمد في النجوان ، فأنشأ الاهالي برأ وترجيها . وفي جوامع في جميع القرى ، وأسس هو سلطنة النجوان اذ كان زعيم بلدة موتسامودو المسماة غاني علي قد أعضاه ابنته ، وتزوجها وتاب بالسلطان ثم خلفه ابنه محمد ، فتزوج بابنته ماسيلاحا ، رئيس جزيرة مايوت ، فالحق بهذه الوسطة مايوت بالنجوان ، ثم استضاف محلي واطاعته ملك افومور الكبرى . ولكن هذه الطاعة لم تطل كثيرا حتى انقلب الى طاعة اسدية في أيام عيسى ابن محمد . ثم مات عيسى وعهد بالامور الى امرأته مولاته ، فانتقض أهالي مايوت عليها ولولا حزم موانيه غاني ، زعيم موتسامودو لكانت تجرحت ثورتهم . الا أن موانيه غاني هذا استأثر بالامر وفرت الملكة مولاته الى مدينة دوموني ، وهناك زارها وبان البارحة الهولندية د ناسو ، وتكلم أحمد شهابها فان دن بروك في رحلة كثيرها عن اكرام هذه الملكة لهم . ثم مات موانيه غاني وخلفته امرأته فائمة في الملك فصار ملك في دوموني وملك في موتسامودو . وبقيت الاحوال مختلفة الى زمان « طالذ » التي بنت الجامع الكبير في موتسامودو ( ١٩٧٠ ) وبعد ذلك شن الماداغسكارون الغارة على النجوان واكتسحوها ، وأحرقوا قراها واستباحوا حرما ، واسروا رجالها ، وقتلوا اسراها فقام في وجوههم أحدي عقيد طالذ وفتح غارات الماداغسكارين ثم خلفه الشيخ سليم وملك الى سنة ١٧٩٧ ، فأت ويوم ابنه أحمد وهو دون البلوغ ، فقام محه طوي وأحدث ثورة ليستأمر هو بذلك ، فقتل أول مرة والتجأ الى زنجبار ، ثم عاد بعد سنتين وخلق أحمد وتولى مكانه ، وبقي في الملك الى سنة ١٨٢٠ وبعد موته خلفه عبد الله الاول ، وقضى معظم ملكه في قتال الزعيم الماداغسكاري « رامانايتكا » وهذا الرجل كان ابن عم « راداما » ملك الهوا ، فبعد موت الملك بقي مع جماعته من ماداغسكار

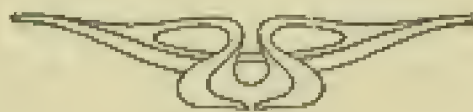


فالتجأ إلى أنجوان لما كان أشهر به عبد الله من حسن الوفادة ونجدة للمهوف فتقامع عبد الله بالاكرام واتزلم أحسن منزل . والسكن رماناتيكاً كان كودا للخدمة كسائر الحرفاء ، فلم يلبث أن أخذ بحرك الثورة على مضيقه ، وأخيرا طاله الحرب ، فدارت الدوائر على الباغي ، وفر هذا من أنجوان إلى محلي واستولى عليها . فأخذ عبد الله بمهز قوة لاسترداد محلي . وكان في هذه الجزيرة أمير من السالكافا ، اسمه سولي ، أبى أن يتقدم إلى رماناتيكاً ، ولم يلبث عبد الله أن هاجم الضيف الحثين في مايوت . وطرده منها ، فنصب سولي السالكافا أميراً كان وجاء بخارده المدوق محلي ( ١٨٣٦ ) فصادقه اصحاب شديد فرق مراكيه وقذف بالسيف التي كان فيها إلى الشاطئ ، فوقع في يد رماناتيكاً ، فذل جسامته صبرا ، وأمر بوضعه في السجن ، ومنع عنه الطعام إلى أن مات . فجمع الأمير سولي كل الجند الذي كان لعبد الله وجاء بهم إلى أنجوان وبأبوا علوي بن عبد الله مكان أبيه بالرغم من دسائس عمه سالم الذي طبع في الإمارة . ثم اشتدت الفتنة بين العم وابن أخيه ، فزحف سالم برجله ، وحضر علوي في موقعاودو . فكان سولي أمير مايوت ينجد علوي برجله ، فثبت هذا في وجه عمه نحو أربع سنوات . والسكن سالم أثار ثورة في نفس مايوت حالت دون إرسال الجند إلى علوي ، ثم تصاعد مع رماناتيكاً الذي كان متوليا أمر محلي وهاجم جنودهما موقعاودو ، فقتلوا جدران قلعها ليلاً وانزل علوي خفية إلى البلدة وركب قارباً أخذته إلى القومود الكبير ومنها ذهب إلى موزامبيق ، ثم أخذته الانكاي إلى كالكتا ، ثم جعلوا إقامته بجزيرة موديس حيث مات سنة ١٨٤٢ فانفرد سالم بالإمارة ودفع الانكاي لمقاومة اختلال فرنسا لمايوت باعتبار أنها تابعة لسلطنة أنجوان ، فلما نزل الأمير سولي عن مايوت لفرنسا احتج على ذلك بشدة ، فلم تبال وزارة غيزو باحتجاجه واستضافت فرنسا هذه الجزيرة إلى مستعمراتها . وبعد موت سالم خلفه ابنه عبد الله الملقب في بلده بالكبير . وكان صديقا للانكاي وقد أمضى مهمهم معاهدة رضي فيها بإبطال الرق ، وكان يحب تنظيم إدارة بلاده على الطريقة المصرية الاوربية واتخذ نفسه مستشارا طبيا أميركا اسمه ويلسون . وفي سنة ١٨٥٤ حاول علوي حسيبي اغتياله ليمك مكانه ، فدخل عليه في القصر فجأة بشرقة من رجله ، والسكن جماعة عبد الله استأثروا من دونه وقبضوا على القندي وصاب . وسنة ١٨٨٢ عند ما أمضى عبد الله معاهدة ابطال الرق ، ثار عليه أخوه الأمير محمد واصطوب حوله جماعة وهاجم أخاه مرتين ، فهزمه السلطان في كل منهما ، وعقاعته فيها بعد . والسكن تلك الحرب الاعابية مع هلوسن عبد الله أوهمت قواه وفنت في مضده ، فطالب حاية فرنسا . وفي ١٥ أكتوبر سنة ١٨٨٧ أصدر أمرا يقبل نظام الحاية ، وأرسل الفرنسيين معتمدا مقبها هذه اسمه المسو ترويل . فكانت منذ ذلك الوقت سياسة الفرنسيين في أنجوان اقامة النفوذ الفرنسي في مكان النفوذ العربي باستطاع سلطة السلطان تدريجا . والسكن لم تكن هذه الطريقة لتتم بدون صعوبة إذ قدم المقيم للسلطان مرة صورة أمر طلب منه امضاءه ، وهو ينفي بأن تكون الإدارة الداخلية في يد معتمد فرنسا ، فابى السلطان امضاءه ، وثار العرب وهجموا على مقام المقيم ، وأهانوا الدلم الفرنسي وأنزلوه ، فأنزل المقيم المسو اودمير إلى مايوت ليأتي بسفينة حربية وفي هذه الاثناء مات السلطان عبد الله قيل مسموما وقيل مخنوقا . فبايم الكويون (الزوج)

السيد عثمان أخا عبد الله ، وبيع أهل موتسامودو السيد سالما بن عبد الله ، فجهم الزنوج على البلدة واضطروا سالما والمرب الذين معه أن ينهزموا إلى دوموني فسار عثمان خلفهم إلى دوموني ونهبها ، وقتل كثيرا من أهليها ، وقبض على سالم ورهطه وجاء بهم إلى موتسامودو . وكان الفرنسيين في تلك الأثناء أتوا بسطولهم وأنزلوا عساكرهم إلى البر ، وسلم سالم الأمر إليهم ، أما عثمان فبقي يقاومهم نحو شهرين إلى أن فرغ كل ما عنده فاستسلم إليهم أيضا . فسلمي عثمان ونفي سالم معا إلى كابدونية الجديدة ( جزيرة في البحر المحيط من الجزر البوليزية نفي إليها فرنسا المجرمين السياسيين ) وأخذت الأسلحة من أيدي الأهالي وحي . بالسيد عمر ، وهو أمير من أمراء انجوان خدم سياسة فرنسا كثيرا في النومور ، وجعل سلطانا في يوم مشهود سنة ١٨٩١ ، واتخذ العلم المثلث الألوان مع علم الهلال والنجمة الانجواني ، وسنة ١٨٩٢ أمضى قبول الجاية تأكيد لما كان سبق من السلطان عبد الله ، ومات في تلك السنة وخلفه ابنه السيد محمد ، وفي مدة جعل السلطنة ( ١ ) انجوان وسام اسمه « نجمة انجوان » وجمعت طوابع بريدية خاصة بانجوان . اهـ .

وأما جزيرة علي فهي مع انجوان أخصب النومور ، وأما ماہوت فأرضها بركانية وقد سبق الكلام عليها .

وربما يقال لماذا أطلقا البحث عن جزر صغيرة كهذه ، سكان أكبرها ٥٠ ألفا ، وسكان الأخرى ١٥ ألفا . وما هي الفائدة من ذلك ؟ والجواب ، أن الذي حدا بنا إلى إطلاق البحث عنها إنما هو صيرها مع الأدوار التي مرت بها والحكومات التي تأسست فيها ، والسلاطين الذين لم يجمع سبق بلادهم وقلة عدد رعاياهم من أن يكونوا مستغنيين ذوي شأن وإن تكون لهم جنود وقلاع ومدافع ، مما يدلك على ما تبلغه هذه الأمة العربية ، من النفاذ والقضاء ومغالي الهمم في الصنير من البلدان فضلا عن كبيرها . هذا إذا سلمت من الشقاق والتفاق الذين هما آفة عزها وسماواتها . (ش)





## الامير محمد بن عبد الكريم زعيم الريف

لا نبالغ اذا قلنا ان الامير محمد بن عبد الكريم ، متولي كبر الثورة في الاسبان بول في شمالي سلطنة المغرب ، هو في القوة الحاضرة ، بطل الاسلام ، واسده للفرعان ، والعلم المفرد الذي صار يذكره القاضي والداني والحاس والعام ، لا بل اذا نظر الناس بين الانصاف ، يجدونه بطل العصر الحاضر بين جميع الامم لا بين المسلمين وحدهم .

وذلك ان المبقرية لا يجب ان تحدد على نسبة الاممال التي يقوم بها الانسان من حيث الاهمية بل على نسبة الاممال من حيث الوسائل التي يتكلمها عند العمل . فاذا نظرنا الى رجل عظيم قام في دولة عظيمة ، وبسط يده الى ما حوله ، فامتلات بالوسائل والاسباب الكثافة بمحصول المرام ، الوافقة على طرف التمام فجاز بالنية على العدو ، او بانعام مقصد من المقاصد العلية ، فليس في ذلك من دواعي الامعجاب ، ما في من رجل عظيم ، اذا بسط يده وجدها خلا من كل شيء ، سوى بعض الواهب القطرية ، واذا نظر فيما حوله ، لم يجد من جميع اسباب القوة سوى قوة الارادة . لهذا لا نجد في شخصية «الارشال فوش» قائد جيوش دول الحلفاء ، الذي حاز العلية العظيمة في أعظم حرب عرفها التاريخ ، ولا في شخصية «الارشال هندنبورغ» ، الذي وقف في وجه قوى تفوق قواه عدة مرات مدة تزيد على أربع سنوات ، ولا في شخصية الغازي مصطفى كمال ، الذي أحيا الدولة التركية بعد ان أرادت ان تكثرة ان تطويها على السجل للكتاب ، ولا في شخصية لين ، الذي مثل عرش أعظم بصرية في العالم وحل محلهما بحكومة صاليك مغاليس لم يسبق لها مثيل على وجه الكرة ، ما نجده من حفة الرجولية ، والبطولة ، وجد الفضل ، والحصل ، التي في شخصية محمد بن عبد الكريم الريفي ، الذي تلب على دولة اسبانية وأجبرها على الجلاء عن الريف .

فان « فوش » عند ما انتصر على جيوش الالف ، كانت تحت قيادته نحو خمسة عشر مليون جندي ثمة العدد والاعتاد ، ورامها سبعة وعشرون دولة من أكثر سكان المعمور وأوفرهم ثروة . وان هندنبورغ عند ما عواقب مع هذه السبع والعشرين دولة بمجموعة ظاهرة واحدة على دول أربع لا يساوين ربعها ولا خمسها ، انما كان على رأس الجيش الألماني الشهير احسن جيوش العالم ذرية ونظاما واتقان عدة . وان مصطفى كمال نهض بامة قدسية للهد بالاستقلال ، حديثة العهد بالتساع السلطنة واليسطة ، منطوية على حب النزو والقتال ، مالكة لكثير من أسباب الدفاع ، قد أراد لويد جورج ان يجرمها كيانها السياسي دفعة واحدة ، وان يزلها من التمام الامجد الى الحاضن الاوهده ، ورامها بدولة صغيرة كالدولة اليونانية ليست بكفؤ لترك في قوة ولا منعة ولا عدد ولا نخوة ، فتمكن مصطفى كمال ورقائه بحسن قيادتهم واستبسال امنهم التي عرض عليها الموت صالحا ، فآثرت الموت حربا ، وترأخي ميادين القتال على جيوش نظير الجيش اليوناني مدة سنوات متوالية أنقضت ظهره ، وأوعت صبره ، فقهر مصطفى كمال العدو وأخرجيه من الاناضول ، وأخذته أخذا عزيزا ، وأعاد تركية وجودها السياسي الذي لم يكن من السهل نزعها منها . وان لين كان يمثل الرضا ومثبات الوف من الصاليك الذين كانت لهم جميعات واشجة العروق في جميع البلاد ، على حين قد ضرسست الروسية الحرب الكبرى

تضربنا اني فيها على الحرث والنسل ، وأنشأ فيها أبواب الجوع ، غشيات فيها القرصنة اثل  
أعظم عرض بليت قواته على الظل والنهر ، وامتهان الشورى ، وتقديس ارادة الفرد ،  
والعمل باهواء القدرات والمودات ، والعبث بحقوق الشعب ، فكان أعظم عامل للانقلاب الحداثي  
هو رد الفعل ، وأقوى نصير للنين على تأسيس الحكومة الشيوعية هو ما ينشأ من تجاوز  
الحدم من تحول الامر الى الضد ، سنة الله في الخلق وما لسنة الله من مرد .

أما محمد بن عبد الكريم ، فإنه قد تغلب على اسبانية ، وهزم جيوشها من الريف ، وهو  
بالقياس الى اسبانية بمثابة واحد الى اربعين في العدد ، وأقل من ذلك في العدد . وهذا تقدير  
قد يكون فيه نقص أو زيادة ، ولكنه على كل حال لا يخرج منطقة الريف بجماعتها من هذه  
النسبة . فقد قيل ان عدد سكان الريف الذي تدعي اسبانية « حاربه » هو نصف مليون نسمة ،  
وقيل انه ستمائة ألف ، وقيل انه سبعمائة ألف وقيل بل هو لا يزيد على اربعمائة ألف . وليس  
الريف احصاء محدد ، ولا سلطنة المنزب كلها احصاء وثيق ، وانما الذي نسمعه ان الريف هو  
سبع السلطنة المغربية ، فاذا كان المغرب سبعة ملايين فيكون الريف مليوناً ، اللهم الا اذا قيل ان  
وقعة الريف أقل سكاناً من سائر المغرب بالنسبة الى المساحة . فلماذا لم يكن في الريف مليون  
نسمة . أما من جهة الثروة فلا تروى في هذه المنطقة ، وفي الحقيقة لا ريف في الريف ( الريف  
في اللغة هو ما قرب الماء من الارض ولذلك يطلق احياناً على الساحل وعلى المكان الذي فيه  
المياه والخضرة . والريف هو ايضا الحطب والسمة ) وسقوح جبال الريف لا تجري فيها  
الانهار كما في سفوح الجبال الاخرى كالأطلس مثلاً . وأعظم مدن الريف هي سبتة ،  
وميللا ، وهما من المدن الاسبانية من القديم ، ومنها تطاون ، والرائش ، وكلها لا أهمية لها  
في جانب مدن المنزب . فلهذه الاحوال والنظروف كان بدعاً لا ينظر في التاريخ . وسراً  
تحميت فيه القول ، ان يتمكن ابن عبد الكريم من طرد الاسبانول بعد حرب ضروس  
استمرت عدة سنوات ، وان يخرج من هذه الهبياء ظفراً ، في دهر لم تعود فيه أوروبا ان  
تجد امة اسلامية غالبية على امة مسيحية . ولا ان ترى امة متبعية أو قير متمردة ظاهرة على  
امة متبعدة راقية . لا سيما وهوة الفرق بينهما عميقة جداً في العدد والعدد ، فان تملك اسبانية  
عدد سكانها ٢٢ مليوناً ، وهي مجهزة بجميع أدوات الحضارة العصرية ، وجيشها معدود من  
الجيش المنظمة التي لا تقل عن سائر الجيوش الاوربية دربة ونظاماً ، وجودة سلاح ،  
وتقني ضباط . وقد ساقط اسبانية الى ميدان حرب الريف فيالتي جراحة . كانت تبلغ مائة ألف  
جندي احياناً و ١٥٠ ألفاً الى ٢٠٠ ألف . وقرأت ساعة تحرير هذه السطور في جريدة  
« الجورنال » الباريزية ، رسالة لمكاتب هذه الجريدة في الريف ، يصف بها « الخرابي »  
مركز الامير محمد بن عبد الكريم ، ويذكر فيها ملاقاته معه . وقد ورد فيها في موضع  
الدعشة من أمر هذا الرجل « انه هو الذي قهر جيشاً عسكراً عدده مائة وخمسة وسبعون ألف  
جندي اسبانيولي » . فكيف كانت الحال ، غريب الريف هذه ، وظهور الريفيين فيها ، هما من  
بواهر الآيات وخوارق العادات ، ومحمد بن عبد الكريم رجل أخذ مكانه من التاريخ ، وانجبل  
جميع عظماء الرجال ، بعظمة عمله ، وصغرهم في أعين انفسهم ، حتى اذا ما اخذت أحدهم  
هزة بأو وعجب ، فتذكر عظمة عمل ابن عبد الكريم ، فيمض قدان جميع الوسائل التي لا ينأى



الظفر بدونها ، رأى نفسه غير عظيم بجانب ذلك العفري الكبير . ولا جرم أن حرب الريف و مقاومة السنوسيين في طرابلس ، قد وضعت من شأن الاسلام ، وحدث أوروبا على أن تحسب له حساباً ، ولا تسترسل في الاغترار الى قوتها ، والاحتظار للامم الاسلامية التي كانت تحسبها بتجردها من السلاح الحديث ، اما قد انطوى بساطها . فأوروبا اليوم ، ولا سيما دول الحلفاء « انكلترة وفرنسا وإيطاليا » صارفة جيد اهتمامها الى منع السلاح عن الامم الاسلامية بجميع الطرق ، ومراقبة سواحل افريقية ، وآسية وإغناء المعاهدات والوائيق الدولية بعدم بيع الأسلحة الى الامم التي « مدنيتهما من الدرجة الثانية » تريد أن تغير بذلك عن الامم الاسلامية ولم يشعب قلق هذه الدول بمجرد منع الآلات والاعتداد الحربية عن هذه الامم ، حتى قام رجال سياستها بتشاورون ويدوكون في عمل ما يسمونه « جبهة » بإزاء الاسلام ، على أثر تسحب الجيش الاسبانيولي مدفوراً عن الريف ، وتبوت استئلال الحكومة الريفية تحت إمارة ابن عبدالكريم . ففرنسا قامت وقعدت ولم تكتم جرائدها كونها لا تطبق استقلالاسلاميا بجانب المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وعلى ساحل البحر المتوسط . وانكلترة ، خشيت مقبة خطر الريف في استئساد الاسلام شرقاً وغرباً ، وصيرورة قصة الريف مثالا يحذى عليه ، فتوجه له المواطر في مصر ، وبلاد العرب ، الى الهند . وإيطاليا ، وافقة مع طرابلس في حين يس ، فلا تزيد أخبار الريف عزائم الطرالمسيين الاثباتا .

وقال الكابتن سبنسر برايز على أثر عودته من زيارة الامير ابن عبدالكريم في حديث له مع مكاتب جريدة منشستر غارديان :

« ذهبنا برأ من طنجة منسكركين بملابس عربية فاجتزنا المناطق الجبلية وأول ما أدركناه هو أن بلاد الريف وعرة المسالك ، كثير الاودية والمرتفعات الشاهقة ، وهي شقة من الارض يبلغ طولها نحو ثلاثمائة ميل ، وعرضها نحو سبعين ميلا الى الشرق من طنجة ، وهي أوعر الاقطار التي رأيتها في حياتي . وليس في داخلها طريق معينة ما ، اللهم الا طريقان ينشئهما اسرى الاسبانيين الاكن قرب اجدير ، وقد أنشأ الاسبانيون طريقاً عسكرياً من تطوان الى شنوان ولكن لا يمتد من هذه الطريق فروع الى أماكن اخرى .

« أما نحن فأتنا ذهبنا الى أجدير على ظهور البغال ، وكان يرافقنا خمسون خيالا من العرب وقضينا عشرة أيام في السير من طنجة الى اجدير . وعند عودتنا ، سمعت المسالك في سبيلنا لائن الاقطار هطلت والأودية فاضت بالأشهر ، فصرنا نقرى في السير وبنها يبدأ ثوران الطبيعة .

« ومما لحظناه ، أنه على الرغم من الخلاف الذي كان متأسلاً بين القبائل ، تمكن عبدالكريم من توحيد زعامتها ، وجمع شملها ، وضم أطرافها ، فأصبحت كتلة واحدة تأتمر بأمره وتحارب الاسبانيين الى جواره .

« وقد ذهبنا الى سلاطة ، حيث مركز الاسرة البريقة ، فاستقبلنا سيدي هنيكو الوزاني رئيس هذه الاسرة ، وادب لنا المآدب اللطيفة حسب عادات القوم ، حتى ضحكنا ذرقاً بكرم الوفاة ، وحسن الضيافة . وذرنا أماكن لم يزرها أوروبي بعد ، مع أنها لا تبعد عن جبل طارق سوى ٣٠٠ ميل .

« أما ما قيل عن ان الريفيين يسيئون معاملة اسرى الحرب ، فقد عرفنا بالاخبار انه كذب صراح . فلا اسرى يعاملون معاملة حسنة ، ويستخدمون في اثناء الطرق . ولا صحة أيضاً لما يقال من أن الاسبانين يكثرون من استعمال الغاز الخافق ، فهم رجال قتال ملمونون شهامة . ولا شك أنهم لا يجدون بداً من الذاء القذائف والقنابل على القرى ، لانه لا يمكن التفريق بين جنود الجيش الريفي وأفراد الاهالي ، ويذهب كل فرد من الاهالي الى الانضمام للجيش والمقاتلة تحت لوائه عند ما ياتي الدور .

« وأما ما يقال عن المركز العسكري ، فان الاسبانين قد عملوا بانسحابهم عملاً باهراً ، كان مرسماً لكثير من المصائب والمشقات . فقد انسحبوا من عدد من المراكز المنفرقة انسحاباً منظماً ، وعسكروا على خط تطوان — فندق الحصين . فاذا أراد الريفيون مواصلة القتال فأنهم سيضطرمون بهذا المركز المتبع ، وهم غير مسلحين بنيران البنادق والمدافع التي أخذوها من الجيش الاسباني ، ومعظمها من بنادق موزر ومدافع شايدر التي تجرها البغال .

« والريفيون في حاجة عظيمة الى المساعدة الطبية . نعم انهم لم يصابوا بخسائر جسيمة ، وليس فيما بينهم أمراض وافسدة عمومية ، ولكن جميع رجالهم يدفعون الى الحرب بالدور ، حتى ان البلاد كلها تحارب . وليس في الريف كاه طبيب ماء ولا عتافير صحية ما عدا القليل الذي اخذناه نحن معنا ، مرسلاً من جمعية الهلال الاحمر البريطانية ، فالحاجة عظيمة جداً الى المساعدة الطبية .

« والريفيون شعب من الزراعة والرعاة ، وهم يعيشون في قرى تبني منازلها باغصان الاشجار وبالعنق .

« ويمزى معظم نجاح عبد الكريم الى مقدرته على بسط سلطته على جميع القبائل . فاستطاع بذلك أن يزيل من بينها الضغائن والمصومات . والريفيون يجيدون الرماية . والمخطط التي يسلكونها في مقاتلة الاسبانين هي مهاجمة المراكز المنفرقة ، حتى يمتدح على الاسبانين ان يحتفظوا بها . اما الآن فقد تبدل الموقف امامهم بمد انسحاب الاسبانين التام من تلك المراكز ومرايبتهم على خط واحد . » اهـ .

والحاصل ان المستعمرات هي سلسلة آخذ بعضها برقاب بعض ، فلا نجد قطراً تحت استعمار أمة اوروبية قامت فيه ثورة ، الا وضعت جميع الدول الاستعمارية ايديها على قلوبها الواجفة ، ترجو ان يلهم الخطب بظفر الدولة المستعمرة ، حتى لا تدب الثورة الى المستعمرات الاخرى ويثبم بعضها اثر بعض . والاسلام في نظر اهل أوروبا أمة واحدة ، مهما تفككت اجزاءه ، وتباعدت اقطاره ، وقد شبهه المارشال ليوتي ممتد فرنسا في القرب « بصندوق رنمان » أي اذا ضربت عليه برأسه رن الى كفيه . فسياسة الدول المستعمرة هي سياسة من يحلم شدة ارتباط الاسلام ببعضه بعض ، ومن يأخذ اخذه لنم هذا الارتباط بقدر الامكان ، فان لم يأت منع هذا الارتباط تماماً . وكيف يأتى وهو مع الضغط الاوربي والمنسف الاستعماري لا يزداد الا شدة . فعلى الافضل المعدل على أن لا تظهر له نتائج فعالية . ولقد أصيب المسلمون في هذه السلسلة الاستعمارية بشد مما اصابوا به في كل المواقف ، فانك اذا طلبت باستقلال وطن متمدن راق مستحق للاستقلال ، مثل مصر ، لم تلبث ان تسمع ان



الدول التي ليس لها شيء بمصر ، والتي تدعى بحبة أهل مصر ، لا ترجع الى قيام دولة مصرية  
 عزيزة ، خشية عدوى الاستقلال المصري لسائر المستعمرات ، ومثل ذلك سورية ، ومثل  
 ذلك تونس ، ومثل ذلك العراق . ومن شواهد ان ( الوفد السوري ) الذي حرر هذه  
 السطور من أعضاء كان يرأس البعثة الاسبانيولية في جمعية الأمم بمدينة جنيف ، في أمر  
 استقلال سورية ، فكان جواب الندوب الاسبانيولي لملامتي الذين لم أكن معهم في ذلك  
 اليوم : « ان اسبانية لا تقدر ان تروج هذا المبدأ لانه مخالف لمصالحها ، وعددها من داعية  
 الريف ما يكفيها » . فانت ترى ان السلام والريف حلقستان من سلسلة . لا بل مصر ،  
 وفلسطين ، والعراق ، والهند ، وزنجبار ، والسودان ، والجزائر ، وتونس ، وطرابلس النج  
 كلها . حلقات من نفس السلسلة . وما استهدت دول الحلفاء ارتفعوا على الدولة الألمانية التي كانت  
 تحول الخلافة الإسلامية ، الا على خوف انها قد تكون السبب في ملك هذه السلسلة . فبما  
 الدول المذكورة ان تجعلها من جهة تلك الحلقات ، وتقدمها للسلسلة ، ثوبنا لسلوكها ، حتى  
 كان ذلك هو السبب الاعظم في الغاء الاتراك اسم الدولة الألمانية ، والاكتفاء باسم « تركيا »  
 وبإبطال الخلافة الإسلامية من عندهم ، فرأوا من الوقوع في هذه السلسلة . ولقد بلغ  
 التضامن الاوربي الاستعماري بأزاء الاسلام ، ان صارت حكوماتهم تخطب بعضها بعضا في  
 المسائل الاستعمارية كأنها أمور مشتركة بينها . وعند أيام جنيف التقى أحد رجال الحكومة  
 الاسبانيولية ، فتحدثنا اهداب القضية الريفية ، ولما كنت انصح لهم بالصالح مع زعيم الريف  
 على قاعدة استقلال هذه المنطقة ، أقسم لي أن اسبانية تود من أحقاق قائما بمصالحة هذه الامة  
 والاعتراف باستقلال الريف رسما . ولكن فرنسا وانسكثرة تمنعها من هذا الاعتراف ،  
 وتستهزئ ان عليها بالمعاهدات المشتركة . فترى اسبانية من هذه الجهة متعبدة في أمرها . فهي  
 قد أخذت الريف الى الساحل ، ولست عنها كما لا تقدر على امتداد صلح رسمي مع عبد الكريم  
 لا تقدر أن تستمر على محاربتها . ومما لا مشاحة فيه ، أنه لو لا خشية فرنسا من حرب  
 الريف بأنها تغتم عليها باب ثورة في المغرب ينفذ عليها سده ، وتنتزع من الصفقات الباعقة ما  
 لا قبل لها به مع ما هي عليه من الآراء في أحوالها المالية ، لسكان في هذه الحوزة الحربية مشتملة  
 بينها وبين الريف ، وكانت طيارات الجيش الفرنسي الآن تغطى قرى الريف والبلد من الكرات  
 المحشوة بالذخائر السامة — لان الدول تصاعدت على منع استعمال المواد السامة ، والغاز  
 المحترق في الحروب الاوربية ، واستثنين من هذا للتبديد المستعمرات التي تجهز فيها أوروبا بالمتعددة  
 طري الحرب الوحشية . كما أن الاسبانيولي رموا قرى الريف بالذخائر السامة ، وقتلوا بها  
 كثيراً من الأطفال والنساء والضعفاء — ولكن فرنسا أبتزأت عن اجتياح الريف كله بالقتال  
 بعض أطرافه ، وتخصيص المراكز التي على الحدود بين المنطقتين ، والقرى بعبد الكريم  
 الدوائر ، عامة على اثاره الريفيين بعضهم على بعض ، ونصم عروبة وحدتهم ، مما هو أحدث  
 وأقصى ساحة الاستعمار الاوربي في قتال الأمم الإسلامية .

فقضية الريف حين تحرير هذه الأسطر هي بالمرئي الآتي لك تحديده :

أما فرنسا ، فلها تحصن الحدود التي بين المنطقتين ، وتبني الساحل والعتاق ، حيلة وراء  
 الحرب التي تنوي اصلاها الريفيين في أول فرصة . وهي مع ذلك لانهم لا شيئاً من الوسائل

السياسية لاسقاط سلطة عبد الكريم ، ومن ثم تأسيس استقلال اسلامي في الريف ، يكون بحسب زعمها : بؤرة ، للجامعة الاسلامية في افريقية .

وأما انكسار ، فهي في حيرة عظيمة من امر الريف ، لأنها من جهة ترى اسبانية عاجزة عن المضي في مصارعة أهل الريف ، فلا مندوحة لها من الانكماش في جوار ميللا وسبتة في منطقة ضيقة . ومن جهة اخرى تخشى ان فرنسا تفتك الريف في يوم من الايام فتصير بازاء جبل طارق ، وفي ذلك من الخطر ما فيه ، فتود لو استعصى الريف على فرنسا . ولكنها توجس في قور الريف خيفة نشاط يترتب في العالم الاسلامي من انقضاء الى انقضاء ، وذلك عندها هو الهلاك الاكبر . وقد عولت أخيراً على منع اسبانية من هذا صانع رسمي مع الريف الى ان تكون ازدادت الحوادث جلالة .

وأما اسبانية ، قائما بخطات الريف من أفعال ورفضه من ذعنها ، بعد تجارب استمرت سنوات عديدة ، فلم تعد عليها الا بالمسارعة . وقصارى ما تنويه هو الاحتفاظ بمنطقة ضيقة حول ميللا وسبتة ، ومنع الريفيين من الاتصال بالبحر ، أملاً بان ينفذوا للحكومة الاسبانية تحت تضيق الحصر ، وان تقبب بينهم ايدي الشقاق ، فتتال اسبانية بحوادث الدهر ، ما لم تنله بوسائل الدهر . ولذلك تملن ان منطقة ابن عبد الكريم لم تخرج تحت « حاجتها » ( ١ ) .

وأما ايطالية ، فزعم انه لاحق لفرنسا فيما لو أغلقت الاسبانية الريف ان تجرد زعموها عليه ، وتبت امره بدون مشورة الدول . ومرادها بذلك ليس ان تأخذ حصّة من الريف الذي لو عرضت جرحته على ايطاليا لاعتذرت عن مد يد لها ، وانما هي مساومة تقصده بها الحصول على التعويض في مكان آخر .

وأما العالم الاسلامي ، فقد نحى بأجمعه عن الريف ، ولم يفكر في مساعدته بشيء وذلك للأسباب الآتية : -

الاول : انصراف كل من الاقطار الاسلامية الى هم نفسه ، والاشتغال بقضيته الوطنية الداخلية . فما كان منها مستغلاً تمام الاستقلال مثل تركيا ، وفرنس ، والمجاز ، ونجد ،

( ١ ) انشرت ( مجلة المجلات ) الانكليزية بمديدها الصادر في يناير - فبراير ١٩٢٥ « ترجمة نداء بلع لاحد أحاطم الكتاب الاسبان ، السنيور ايبانيز ، أذاعه هذا في بني قومه في نوفمبر ١٩٢٤ » بين لهم فيه نصائح الملك النواش الثالث عشر والحاكم بامر الجندال برمودي ريفيرا « في سياسة الدولة وفي حرب الريف ، ويدعو هذا الكتاب امته لاسقاط الملكية واستبدال الجمهورية بها . ومما جاء في هذا النداء القيم المقدم الذي كانت طيارات مستاجر تان تجويان آفاق اسبانية وترميان الناس به كراديس ، انه لما قام ملك اسبانية والجندال برمودي ريفيرا ، منذ عدة أشهر ، بزيارة البابا في الوايكان ، ألقى الملك الاسباني خطاباً لدى البابا ، ملؤه الدسيرة الشديدة على الكنيسة خاصة والديارانية عامة . ومما جاء في هذا الخطاب « قول الملك : -

« ان اسبانية أيضا قد تجددت لحرب المسلمين في افريقية حرباً لا تنفك عنها حتى تقوز بفرس الصليب في ديار المسلمين » وجهات اتباع محمد يخضعون له قهراً » وهذا الخطاب لم يرتجله الملك ارتجالاً بل سبق له فاعده في مدريد قبل ان أتى رومية ، وكان الاب نوريس الجزوي الشهير بمدريد هو الذي أنشأ وأعد هذا الخطاب للملك .

« المغرب »



والبحر ، وأفغانستان ، تجده مشغولا لم شئت نفسه ، عن أغارة الريف ولو بما يبل الصدى . وما كان استقلاله لما يتم ، مثل مصر والشام ، والعراق أو كان يفتي رهن الاستعمار مثل الهند تجده مشغولا عن النظر الى الريف بمسئلة استكمال استقلاله أو الحصول على الاستقلال الداخلي .

الثاني : الأزمة الاقتصادية التي ولدتها الحرب العامة ، ولا تزال تقفل مقبولاتها شرعا وقريبا الثالث : نشو الاعتقاد في تركيا ، ومصر ، وغربي من بلاد العرب ، بأن سياسة الاتحاد الإسلامي شيء . مضر بالمسلمين ، حافز لاوروبا على التآلب عليهم ، ومنعها استقلال ما يرجي استقلاله منهم ، حال كون الشعوب الإسلامية لو قامت بصانعة وطنية أو قومية خالية من صفة الدين ، لما وجدت أوروبا بأسا من استقلالها استقلالها . فاما شعور أوروبا بكون الإسلام في وجهها متناكسا بعضه مع بعض ، فانه مما يزيد تصميحا على سد كل طريق فرج في وجه أمانته . وقد زاد هذه العقيدة رواجاً في تركيا ، نشو الدعوة التوراتية التي معناها ان الأتراك ينبغي أن يكونوا تركا في الأول ثم مسلمين في الثاني ، بل يذهب الغلاة من التوراتيين الى محاربة الإسلام بكل الوسائل ، لا بل قلم نفوذهم نحو الصيغة العربية من بين الأتراك . كما زاد ذلك رواجاً بمصر مراعاة جانب القبط الذين رأى بعض كبار الزعماء ان ادماجهم الحقيقي في السكينة الوطنية المصرية متوقف على رفض اليد من الجامعة الإسلامية . فكانت خطة هؤلاء الزعماء مؤثرة في سياسة الشعب ، لا سيما مع غلو الشعب المصري في متابعة ذوي الزخامة فيه . ولا تخفى هذه النزعة من البلاد العربية أيضا ، لا سيما بين الحزب الذي انتفض على الأتراك ايام الحرب العامة ، والذي تحالف مع الانكليز ونمى فوزهم في الحرب ، بحجة ان الذي ينبغي ان يكون نصب نظر العرب هو القومية العربية ، لا الجامعة الإسلامية ، وان هذه الجامعة توجب ثور انكسرة التي كانت عند هذه الفئة مباط آمال العرب . . . بخلاف ما لو كانت النزعة عربية قومية ، فان انكسرة ترحب بها ترحيباً ( ١ ) ولقد خاب ظن هذا الحزب ، ونافس عدده بدا ، ولكنه ما زال يفر من الجامعة الإسلامية مراعاة لانكسرة ، أما في الماضي مثثة واعتناداً ، وأما في الحاضر فتخوفا ورثاً . وقد كان هذا الحزب العربي الماوي . الجامعة الإسلامية ، اليد الطولى في حل الأتراك على نبذها . لان التوراتيين احتجوا بأنه ان كان العرب الذين ظهر الإسلام بهم وظهر رايه ، بدأوا بمذكرة أوامره ونواميه ، وأخذوا بالسياسة الفرعية ، ومالاًوا الانكليز على الترك ، فذلك الذين لم يكن الإسلام الا دخيلاً فيهم ، أولى بترك ما تركه العرب من جهته . والخلاصة أن شيوع هذه المبادئ في الآونة الأخيرة كان مما صرف الانظار عن مساعدة الريف .

الرابع : ان الاعتقاد بكون نجاح الرقيقين موقفاً ، وانه لا بد من ان تكون الطائفة الاخيرة لاسبانية . لان المسلمين ، لا سيما المفكرين أو الذين يقال انهم مفكرون منهم ، قد عهم القشائر . وفقدوا كل ثقة في الإسلام ، وصاروا ينظرون الى كل مقاومة اسلامية اسلطة اوربية من قبيل حركة الفيج تحت السكين . ويقولون ان أوروبا نائلة منهم كل مرادها لا عالة ، الى غير ذلك من العقائد السياسية التي زادت الإسلام وهماً على وهن ، والتي كان هؤلاء المفكرون يتبارون فيها اظهاراً لدرجة تعاقبهم . وبعد انكارهم عن الحيات . . . الا ان

مصطفى كمال وعبد الكريم كذا هذه المياديد التي كانت سائدة بينهم وان التزام الاسبانيول  
عن الريف غير منصفين الكرة عليه آخر مرة ، قد انشأ آمال المسلمين ، وانبت لهم عدم  
استحالة المناوأة الاسلامية للسلطة الاوربية ، بعد ان كان للنول بها دنوان التعتل ودليل بعد  
الظفر ، وان ظفر عبد الكريم الناطم ، فت في عهد التشاؤم ، وجذب بضبع النمازل ،  
وصاروا يذكرون بمقتضى قول شاعر الخاسرة :

قائلي النوم يا خزع ولا يلعقكم من فظلم وهل  
النوم أمثالكم لهم شعر في الحرب لا يمتروا ولا يفتلوا

نعم انهم لا يزالون خائفين على عبد الكريم من قرأوا ولكنهم أيقنوا بأنه يتأق للسلطة  
اذا نزل وقام بالواجب عليه ، أن يصارع الاوربي ويصرعه . فلمجت الانس لا سيما في بلاد  
الغرب والهند ، يدكر محمد بن عبد الكريم وأجمع الناس على أنه أحن انسان بلقب « بطل  
الاسلام » ونشرت أخباره الجرائد الشرقية بالاعجاب ، والجرائد الاوربية بالمعجب العجيب ،  
والجرائد الفرنسية خاصة بالتشاؤم والارتباب . وظهرت عند الحرب النوراني من الترك غير  
وفاة من عظمة عمل محمد بن عبد الكريم مع قلة وسائله ، فسلوا على ذلك برعهم أنه  
يروي غير عربي ، وان أمل الريف هم من نفس البربر . ولكن ناطما أن الامير محمد بن  
عبد الكريم يقال له الخطابي وهذا دليل على نسبة العربية ، ونشرع الآن في ترجمة حاله اذ  
أن كتابا في حاضر العالم الاسلامي ، لا يجوز أن يخلو من ترجمة الامير محمد بن عبد الكريم  
فنقول :-

لا شك أنه ستشرفنا بعد سيرة الامير محمد بن عبد الكريم الرباني وتؤلف كتب على وقائمه ،  
ونشاه . وأصله وفصله ، ويستفيض خبره عند الخاس والنام ، ولا يبقى شيء من أمره  
مجهولا . أما الآن فانا لا نعرف من خبره نسبة شيئا ثبتا ، وبقي أنه قد أخرج أحد  
الفاطحيين في ترجمة الامير انشأ اليه كتابا اطلعت على وصفه في جريدة « الشورى » التي  
ظهرت حديثا بمصر ، ولكنني لم أقرأ فيها قرأته فلاحن هذا الكتاب في « الشورى »  
الانته « بالخطابي » ولم أهلك ما وجد فيجوز أن يكون شريفا قطبيا ، ويجوز أن يكون  
فرشيا ، ولكن لا بد من بعض من الاطلاع . فلما ما عندي من المعلومات عنه ، فهو خلاصة  
أخذتها من قم رجل شريف ادرسي ، يقال له السيد أحمد بن محمد الفذان من أشراف قاس  
وله علاقة بالاد الريف ، وقد وجدت رواية عن وقائع الحرب ناطما أخبار الجرائد الاوربية  
والجوانب الطارئة حاليا من تلك البلاد .

قال لي ان السيد محمد بن عبد الكريم الذي هو أمير الريف اليوم هو من بني ورياقل من  
تاجدوت . وبني ورياقل هؤلاء هم من القبائل الريفية النابتة على الاسبانيول ، ومعهم بنو  
تخامن ، وبني وليشك ، وبني تافركيت ، وبني توزين ، وبني سبيد ، ( وليف هؤلاء  
من الاندلس ) ويضر الهم قسم من بني اللطف ، وبني بويوه ، وبني زرقاط ، وهؤلاء هم  
الذين يجراد الريف ، وأكثرهم بربر ومنهم عرب ، ويوجد بجانبهم قبائل مثل قلبية ،  
والمطالية ، والمبايدة ، وكيدانية ( هؤلاء كانوا في البداية مذهبين ) . قال : وعدد الجيش  
الذي يقاتل الاسبانيول هو ٣٠ ألفا ، وانما المقاتلة فيه تحضر بالمناوأة ، كل ثلاثة



أيام النبوة على قدم . وكثيراً ما قرأت في الجرائد الأوروبية أن الجيش الربي لا يتجاوز ٣٠ ألفاً ، مع أنه يناوي من ١٥٠ إلى ٢٠٠ ألف جندي منظم من الاسبانيول . والامير هو في نحو اثنتي عشرة من العمر ، كان قاضياً عند الاسبانيول في ميلانو ، وكان تحصيله للعلم عادي ، وكان الاسبانيول يحبونه جداً ، ولكن وقت له واقعة في ميلانو تحامل عليه بها الاسبانيول ، فخاصهم ، فالتوا به في السجن ، ففر منه بأن رمي نفسه من السدة ، فانكسرت فخذه واحتمله الاسبانيول الى المستشفى حيث بقي الى أن انجبر كسره ، فلاحظ الاسبانيول وحلوه على البقاء في منصبه ، ولكنه كان في نفسه قد آلى أن يفرقهم ويحقق بقومه . ومما هو متواتر أن سبب خصامه مع الاسبانيول ، يد أن تربى وتشاء وتولى القضاء عندهم ، هو ما كان يراه من عسفهم بأبناء قومه ، واحتقارهم للمسلمين ومعاملتهم اليهم بما يصل به السيد عبده أو بما يصل به سائر المستعمرين الأوروبيين أهلي مستعمراتهم . وقد اطلعت في جريدة « الأومانيه » الاشتراكية الفرنسية ، على فصل لكاتب اشتركي اسبانيولي ، بعث به الى جريدة « السياسة » بمصر فصر به ونشره ، فان صبح جزء من الاخبار الواردة فيه من طغيان الاسبانيول وتهمهم على حقوق المسلمين ، وخطبهم اليهم ، القهر الى تجاوزهم على أمراض النساء ، كان قايلاً لاشمال هذه الثورة عند شعب مثل هذا الشعب الباسل .

قال في التبريف الذي روي في غير محمد بن عبد الكريم : وكان الاسبانيول يومئذ في حرب مع أهالي الريف ، على حسب العادة باستمرار الحروب بين الفريقين . وكان لا يقدر مغربي على الخروج من ميلانو الا بالجازة من الحكومة الاسبانية . وكانت هذه الحكومة قد عهدت بانظام الاجازات ووضع الاشارات على النفاذ الى ابن عبد الكريم نفسه . فاستأذنهم في الخروج من ميلانو ، فلم يأذنه ، ففر من ميلانو خفية الى قاجدوت من طريق البحر ، والمداقة بينهما في البحر أربع ساعات . وقبل فراره كان عنده في البنك ١٧ ألف ريال فسحبها معه ، وقطع علاقته مع ميلانو ووطن نفسه على قتال الاسبان .

وكان هؤلاء قد بنوا ٤٦٠ مملا وثكنة الاجناد ، وشحنوها بالذخائر والعتاد ، وكانت كل قبيلة تقايل في أرضها منفردة بدون نظام يجمع بينها . ولا علم يوحد حركاتها . فبعد وصول ابن عبد الكريم أبرم بينها اتفاقاً كبيراً على الحركة الباء واحداً في وقت واحد فحضرته القبائل جميع هذه الثكنة وهذه الحصون ، وقطعوا عنها الماء فكاد يهلك الجنود الذين فيها عطشاً فصاروا اسبانيا تبت اليهم بالجد والقتال والطائرات لتبلى من ظمائهم . ولكن لم يطل الامر حتى اضطروا الى التنازل بعد ستة ايام من وقوع الحصار . وكان في كل ثكنة ثلاث من الاساكر ، فاحدهم المراقبة وقبضوا منهم عدداً كبيراً ، واستحيوا الضباط وكانوا ٥٧٠ ضابطاً وارسل الاسبان الى ابن عبد الكريم يطلبون منه ارسال الضباط ، ويقولون له ان ارسلت الضباط تحل لك ميلانو . فاجابهم : لا تريد ان تخجلوا ميلانو ، ولكن اوسلوا بمؤونة الضباط والا ماتوا جوعاً . فارسلوا اليه بكرة أرزاقاً ومعهما مبلغ عظيم من المال . وقد هدم الربيون جميع هاتيك الثكنات والنفط العسكرية ، واخذ كل ما فيها من سلاح وكراع ومتاع ، فكانت حلة القتلى ١٦٠ مدفاً و ١٥٠ رشاشاً وبنادق لا تحصى ، وأمتعة لا يقع عليها حصر . وحريق المغاربة على ميلانو ، وأحرقوا قنار السكة الحديدية والمحط ، وفر كثير من

الاسبانيون في البحر الى بلادهم . قال لي الراوي : ورثى الاسبانيون قبيلة « قلمية » و « بويحي » بواسطة رجل يقال له عبد القادر بن شلال ، فالتحقوا الى الاسبانيون ، ولولا خيانة تجارة وبويحي وقلمية والديابنة لم يبق من الاسبانيون احد في تلك الديار . قال : وبعد ان غلب الرقبون هذا الفوز اجتمعوا في محل يقال له « انوال » وانتخبت كل قبيلة قوادحا ، ورتبوا ما يلزم للحرب ، وبدأوا بحفر الخنادق ، وجعلوا جزاء على كل من يتخلف في النوبة من الرباط ، وجزاء على كل من يترك الصلاة ، واتفقوا على قتل القتال ، ودرجهم الزاني ، وقطع السارق . وهذه الحادثة وقعت من نحو ثلاث سنوات . اهـ

وسألت الشريف المذكور عن الرسول وما شأنه ، وما هي نسبته ، وما هي خطته في الريف فقال لي : ان الرسول هو من ذرية سيدنا عبد السلام بن مشيش الولي الكبير الحسين الادريسي شيخ أبي الحسن الشافعي رضي الله عنهما . وله مقام يحيل الملوك ( محركة ) على مسيرة ستة ايام من قاس وثلاثة ايام من الريف . ومسكن الرسول في الريف هو بجوار تجارة ، والحاس ، ووادرس ، وهي قبائل كثيرة يسكنها الرسول بأوال يأخذها من الاسبانيون . اهـ

والظاهر ان الشريف الذي روى لي هذه الاخبار يشير بما تقدم الى الواقعة التي جرت سنة ١٩٢١ في شهر يوليو واستأصل الرقبون فيها ٢٥ الف مقاتل ، وقيل بل أكثر من ذلك جدا ، وغنوا ١٢٠ مدينا على رواية الجرائد الادوية ، و ١٠ طيارات ، و ٧٠ الف بتدقية ، ومقدارا لا يقيم عليه الاحصاء من الارطاس الحشو ، وازراق في غاية السعة . وفي الحقيقة ان الرقبين يحاربون اليوم بأسلحة الاسبانيون وعددهم وعتادهم . وقد جمع الاسبان بعد هذه الواقعة نحو ستة ، ثم جهزوا بعوناً جديدة نحو مائة وستين الف مقاتل ، فصادمها الرقبون بطوب من حديد ، وردوها حتى أعقابها بخسائر فادحة . ثم لما آل الامر الى الجحافل دورغيرا ، الحاكم يأمره اليوم في اسبانية ، وكان مذهب ترك الريف ، أراد ان يطبق برنامجا هذا من التسحب الى ساحل البحر ، فثارت عليه الضباط والقواد ، ورأوا في التفرق الى الورا ايام قبائل بربرية وفرة غير منظمة ، ذلة ومهانة لا يتفقان بدولة اوروبية . فالتزم بجواراة رجال العسكرية ، وذهب بنفسه الى مليلا ، وتولى القيادة ، وظن انه آخذ قريبا بتأصية عبد الكريم ، وصرح بذلك على الملأ . فلما بدأ القتال ، صلي من نار الريف بنار لم يبق على أوارها ، وبعد وقائع متوالية ذهب فيها من الاسبانيون أكثر من ٣٠ الف مقاتل عاد الجنرال المذكور الى رأيه الاول ، وأخرست عظمة الخسائر الاسبانية بالمال والرجال أقوام أولئك الذين كانوا يرددون ويرفون ، بل صاروا راضين من الفدية بالاياب . فذهب الجنرال الجيوش الى الورا ، واختط خطا في جوار سبتة ومليلا ، يدور على منطقة صغيرة لانظم مقدار سكانها ، لكن برجح انه لا يكون أكثر من ٨٠ أو ٩٠ الف نسمة . وقد كان الاسبانيون انباء اخلاهم المراكزة الرقية ، ونكوصهم على الاعقاب ، عرضة لمهاجمات الرقبين الذين كانوا لا يملأونهم خوفا ، فلما دخل الاسبانيون المنطقة التي اختطوها لانفسهم ، عدوا ذلك فوزا عظيما ، أي حسبوا ظفرا كونهم لم يهلكوا جميعا . وعاد الجنرال رينيرا الى مادريد ، بعد ان جاء بالمثل واصيبت جيوشه بالزايما الوحيدة ، ولكنه قبل في طاعة الاسبان مقابلة فتح آب من



الحرب بفروحات هندوا . وتلقى الاسبانبول خبر الانكماش الى سيف البحر والاكتفاء  
عنطاة ضيقة جدا ، كيشري قرحوا وشهقوا بها . هذا بعد ان كانوا ينزلون صواعق النقم بمن  
تحدثه نفسه بترك شبر أرض من الرب أو صانع مع عبد الكريم .

والفس راغبة اذا رغبها . وإذا ترد الى قليل تقنع  
وصدق من قال : السيف وجهه أبيض . وفي هذا المعنى من قصيدة :

فداً لهما كل من يمنع الحى ومن ليس يرضى حوضه متهدما  
فا العيش الا ان تموت أمرة وما الموت الا ان تبش وتسلما  
تأث في صرف الزمان فلم أجده سوى الصارم للبنار السلم سلما  
ولم أر أناي من سلام من الذي تأخر يمتد السلامة منها  
يقولون وجه السيف أبيض دائماً وما أبيض الا وهو احمر بالدم  
قال كان دفع العر بالرأي حازما فا زال دفع الشر بالشر احزما  
تجاهل أهل الرب كل قضية اذا لم يحى فيها الحسام وترجا  
وكابر قوم ينظرون باعين الامة الانسان أعشى من المعى

وقضية الرب هذه هي أيضا من القضايا التي تجاهها أوروبا ، ولم تفهم فيها أدنى تقيّة ،  
حتى جاء فيها الحسام ترجائا فصيحاً فاصنى اليه الجميع . وأتذكر اننا لما كنا في لندن في يوليو  
سنة ١٩٢٢ لاجل الاحتجاج على مجلس عصبة الأمم عند ما قرر ما يسمونه « بالانتداب »  
الفرنسي على سورية و « الانتداب » البريطاني على فلسطين ، تلاقينا في عاصمة انكلترة  
بأثنين من جماعة الامير محمد بن عبد الكريم ، أحدهما السيد عبد الكريم ابن الحاج علي ،  
والثاني السيد محمد بن محمدي صهر الامير ، وكانا موقفين من قبله الى الدولة الانكليزية  
لاجل طالب وساطتها في الصلح ، فدارت بيني وبينهما أحاديث طويلة ، وكانا لم يحصلوا على  
جواب شاف من انكلترة على ما التمس ، فكان لهما : « لا أظن ان انكلترة تنيل هذه الوساطة  
وهذا محافظة منها على رضى دولة اسبانية أولا (١) ، ولما تفقده من كون الاسبانبول لا بد  
من أن تكون النية الاخيرة لهم ثانيا . والذي أشير عليك به هو ان نطلبوا الوساطة »

(١) وهذا هو تصريح مستر تشمبرلين وزير الخارجية يؤكد هذا الرضى والعطف . فقد  
نشرت جريدة « الاهرام » في ١٧ فبراير ١٩٢٥ برقية لمراسلها الخاص في لندن تحت  
عنوان ( موقف انكلترا تجاه حرب الرب ) ما يلي : —  
تسكّم مستر تشمبرلين في مجلس النواب البريطاني اليوم . ومما قاله عن حرب الرب  
ما يأتي :

« يسرني ان أختتم هذه الفرصة لانكر مراعاة جميع الاتباء التي ذاعت في طائفة عن  
حصول الرقيين على صفات الحكومة البريطانية ومساعدتها في حلهم على اسبانيا . فالحكومة  
البريطانية تعطف على الحكومة الاسبانية في المصائب التي امامها في مراكش وقد رفضت في  
كل حين وما زالت ترفض اظهار أي رضى عن علاقات أو محادثات بين بعض الرعايا البريطانيين  
وعبد الكريم » .  
(المغرب)

لكن بدون نهات يشعر بالضعف ، لان انكسار لا تحب ضعيفا . واني على يقين بان الانكسار اذا راؤكم قد تبين في مواقفكم الى الآخر يسودون فيستمعون لكم ، وهكذا حصل فبعد ان كانت الجبهة الانكسارية مثل النعس ونحوها تعرض عن الريف والريفين ، وتصد عن كل كلمة صالح بينهم وبين الاسبان ، صارت تشير على هؤلاء بحسم هذه المدة ، وتتكلم في حق هذه الحرب وضررها بالسياسة ، وحسبك ان من جملة من ذهبوا الى وجوب مصالحة الاسبان للريفين ، أي الوفاق من التغيرات والحالات ، هو لويد جورج ، في مقالة حررها بهذه السنة ولم يكن السبب في ذلك سوى ما شاهدته الانكسار من ثبات الريفين مع النجاح . وهذا لا يمنع من كون انكسار نهوى هذا الصلح بشرط ان لا تنأس في الريف دولة اسلامية مستقلة ، يكون شأنها مثالا لغيرها ، وتغمد شرارتها الى سائر المستعمرات ، لان البلاد الاسلامية مهما ناعت بعضها عن بعض سرية التأثير بامل واحد . على ان الجبهة الانكسارية تشبه سياسة النكوص الاسباني عن الريف بحركة الانكسار في الهند الشمالية الغربية ( افغانستان وما جاورها ) اذ حول الانكسار هناك على النظرة بعد الدخول ، وقد ردت عليها بعض الجرائد الاسبانية بان الفرق عظيم بين السكان ، لان بلدان الهند الشمالية الغربية خارجة عن الطرق الدائمة المالية ، بخلاف الريف و « الجبال » الخوافة على مضى جبل طارق ، وقد حنت هذه الصحف الاسبانية على اتحاد الدول الاوربية في وجه الاسلام واعتبرت تفهم الاسبان الحالي أمراً موقفاً .

وقد اطعنا على بعض مقالات واردة في الصحف الاربوية لشاعدي حيان ذهبوا بانفسهم الى الريف واتحدوا مع الامير ، وسبروا غور الامور الريفية ، فنها رسالة للكتابين سبسر برايز والكتاب غوردون كاتنج ظهر تمريرها في جريدة الاهرام بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٤ نقلا عن جريدة « مانسستر غارديان » وهي التي تقدمت في ص ٣٩٥-٣٩٦ من هذا الكتاب وخبرها فوائده شافية

وجاء في جريدة الجورنال الفرنسية رسالة لكتابها المسيو جاك مارسيلياك ظهرت في الجورنال بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٢٥ أي منذ خمسة أيام ، يصف فيها الكتاب قرية اجدير مقر ابن عبد الكريم ، ثم يصف الامير ، ويروي مادار بينهما من الحديث بحضور من يقول ان اسمه « آزرخان » وهو ناظر الامور الخارجية في دولة الريف ، وسيدى عبد السلام ناظر المالية فيقول ان حاضرة امارة الريف المسندة عارضة قرية صيادي سدك فيها مساكن عبد الكريم وأعيانه ، وكما أبقية بسيطة ، ليس فيها شيء من صنعة الإباء ولا تطاول الثياب . وذكر منها القمم الذي يستعمل فيه الامير ، وليس فيه شيء سوى حيطان بحيرة بالكس البسيط بدون زخرف ولا نقش ، وبعض كراسي من الخشب المأخوذ من الاسبانول . وذكر ان سيد الكريم هو في نحو الاربعين من العمر ، ونفا لما تقدم من كلام الشريف احمد بن محمد الثمان . وكذلك يقول مارسيلياك انه يرجع من إحدى رحلاته ، وهذا أيضا مطابق لما سقى من رواية الشريف ، وانه متوسط الثامة ، أسود العينين ، جاد النظر ، أفنج الاسبان ، ذو لحية سوداء خفيفة ، بسيط اللبس كل ما عليه جلابة من نحتها توب من القطن وهو معتد بابو جأ أصفر ، وليس في أصبعه خاتم ولا عليه شيء من الشارات المعادة للامارة ، وعليه ملامح وجل



ساكن ، رابط الجاش ، راجع العقل ، موافق الطالع وكثيرا ما يتبسم قال المكاتب : « صافني الامير ، ودخلنا في الحديث نارة بالاسبانيولي الذي يحبب الكلام فيه ، وطورا بالعربي الذي يختار المسكلة فيه بواسطة الترجمان » لاجل أن يطلع أصحابه على معنى المحاوره . ولم يطل على الديباجة بل سألتني فوراً عن عرضي من هذه الزيارة فقلت له : لما كنت قد عرفت حركات الجيش الاسباني كنت شديد التوق الى معرفة ذلك الذي تمكن من تلك الطوائف الحربية عليه . ونحن نعلم أن تعرف في فرنسا ما هي غايتك من هذه الحرب ؟ اعني فسر لواء القتال لفرد الاجنبي أيا كان ، أم هي محاولة لاجل الربيف فني تستغل الربيف كفتى آفة المؤمنين القتل ؟

فأصغى عبد الكريم الى الآخر ، شأنه في جميع مفاوضاته ، ثم قال : عرفت ماذا تريد أن تسأل عنه . ان الجزال دوريفيرا وأصحابه أرادوا أن يحددوا شبهة ، بأن يديموا كون مرادنا حربا دينية لاحريا وطنية ، وأن مرادنا هو أن نطرد من المغرب جميع الافرنج ، فهذا كذب ونحن نريد الربيف ولا نريد غير الربيف .

فقلت له : ان بعض الناس ممن لهم خاطلة بك يزعمون ان مرادك الوئوب على المراكز الفرنسية في « ورغا » ، واذا خرقها زحفنا الى فاس حيث يرايك القوم سلطانا على المغرب في جامع سيدي ادريس .

فقال : هذه كلمات مسلوب من الفل ، وأنا والآخر لله أعلن نفسي غافلا .

فقلت : مع ذلك وجد بين القائمة التي صدرت جنودنا على الحدود التي لم تتجاوز فيها على الربيف رجال من ربك . فانت تكون في مقاومتك للسلطان قد هاجت فرنسا .

قال : صحيح انه كان بعض رجال من جماعتي بين الذين قاموا في زحفكم هذه . وذلك انني كنت راجعكم بهذه كتب ، أسألكم فيها ماذا تبتون من هذا التندم ، وما هي المراكز التي هي هدفكم ، فأينم الجواب . ومن جهة اخرى كان رؤساء الناحية يستصرونني ويتدرون من عدم اعتنائني بهم ، وعليه فأنتم تدرون المركز الذي وجدت فيه حينئذ . فانا لست عدوا لفرنسا بل أنا بائع الاتفاق معها . وفي أثناء أزمات عديدة كنتم تعانونها كان كثير من الزعماء يحرصونني على الأفيام والزحف عليكم ، فكنتم أوفض اقتراحهم لا بل أشير عليهم بمصالحكم وطائفا كنيت لكم عن ذلك ولكن ولا مرة حظيت منكم بجواب ، ولا تفرد المجاملة .

فقلت له : وأنت أيضا ينبغي لك أن تعرف مكرنا في مسألة الربيف ، فانت ونحن نريدون يهود تعرف بها لاسبانية بأنها هي وحدها صاحبة الربيف .

فقال الامير : الربيف هو لي ولا سحابي أهل البلاد . ( على قاعدة معمر المصريين وسورية السوريين الربيفيين ) .

فقلت : لماذا لم ترفعوا احتجاجاتكم في وقتها ؟ ولماذا لم تؤيدوا حقوقكم يوم انفصلت قضية المغرب في مؤتمر الجزيرة ؟

فقال : ان عهد الجزيرة كان ضامنا لنا جميع حريانا الاقتصادية والتجارية ، والدينية . فند ابتدأت اسبانيا بنصب حقوقنا ، وفدنا احتجاجنا . وطائفا نهت أنا الحكومة الاسبانية الى الظلم والمخاوم التي كان رجالها يرتكبونها ، وبيئت لها الطريق المفضلة التي تسير عليها في بشأ الاسبان أن يفتنوا الى كلامي . ( سيرة الاستعمار واحدة في جميع البلدان ) .

فقلت له : أريدوا لي في تطاول انك تنوي بحاربة فرنسا ، وان يترك هذه قديمة منذ سنة ١٩١٤ اذ اودت اثاره القبائل علينا وهربت اليهم السلاح .

فثار دم عبد الكريم عند هذا السؤال الحثيث وقال بجملة : لما كنتم في نضال مع عبد الملك كانت صيرتي معكم معروفة . وأما تهريب السلاح فقد كنت عاملا عند الاسبانيول لما حصل وكانت قوافل السلاح تخرج من ميلان تحفرها صباط الاسبانيول وهي التجار المان . ولقد اثبت بعد مصير الريف التي اود الاتفاق مع فرنسا . ولقد جاعني كتب من المغرب ومن جميع بلاد الاسلام تحثني على قيادة الحركة لطرد كل رومي من المغرب ( هذه رواية مارسيليك الفرنسي من عبد الكريم ، ولا ينبغي أن تأنى جميع ما يرويه آية مزلة ، لأن الصحفيين الاوروبيين لا يروون الا ما في اذاعتهم مصلحة لغولهم . واذا لم يجدوا بدا من النقل زادوا ونقصوا ، بحسب مقتضى مصلحة قومهم ) فابيت ذلك حبا للسلام معكم . أما انتم فكنتم دائما تقابلون تنزلي اليكم بالانقباض ، ومنعتم أن تمر في منطقتكم الي أقل الاشياء ، فلم تسمحوا بمرور حتى أدوات الحرب ، والجوارف ، والمناول ، والجير ، والزيت اللازم للاوتوموبيلات .

قلت له : أظن اننا اذا تكلمنا بحرية نجد الفرنسيين في هذا غير مختلين . اذ متى اعتقدنا أنك ستاجتهد في أحد الايام ؟ فلماذا نسمع لك بمرور المناول والجوارف ؟ الا لأجل أن نحفر بها خنادق للقتال ؟ أو لسمع لك بالكس لأجل أن تشيد به مواقي الرشاشات ، وبأداة لتسير السيارات الكهربائية لأجل سرعة حركة أركان حرك ، فهذه المواد ان لم نمنعها نحن وحبا للهود مع الاسبانيول ، منعنا من أجل الشبهات التي عندنا من جهتك . أتري الحرب الدينية مستحيلة الى هذه الدرجة ؟ على أن فرنسا لم تزل تحترم دين البلاد التي تحتلها كما هو في المغرب وسائر مستعمراتها .

فقال : قلت لك اني اذهب فرنسا لوطا من ملكة للاسلام ، ولا أقول انها تضطهد المسلمين وإنما من يرى اطلاق الحرية الدينية للمسيحيين أيضا في بلادنا . فهذه الاديان كلها صالحة ، وديانتكم صالحة لكم وديانتنا صالحة لنا . وبكفي الاتفاق في هذه النقطة وغيرها صدق الشية وحسن الارادة من الجانبين .

قلت له : اذا ان صرت أميرا الريف غدير مدافع ترضى بدخول الاجانب الى ممالكك . فاجاب : هذا بدون شك . ألا ترى كيف نعمل من يندم علينا من الفرنسيين ؟ وكيف قوبلت أنت . اننا لنودو رغبة أكيدة في الاخوة والمطامعكم لتتجروا عندنا وتستفيد من أساليبكم .

قلت له : وفي ورطتنا ألا نرى اننا حقا أن نصل الى حيث وصلنا ؟ أم أنت تمني مهاجرتنا هناك ؟

قال : هذا الحمد هناك لا أمرته جيدا ولا أظن ان قد جرى هناك تحفيظ حدود بين المنطقتين . مع هذا أنا مستعد لمناقشة في هذه المسئلة مع الميل الاكيد للنسوية . اني لست برجل سياسي وارى الاولى الحرية والصراحة في القول ، فانا أرجو منك أن تقول علانا اني اود الاتفاق مع فرنسا وانني أبذل كل ما في طائفي في هذه السبيل .

قلت له : اسع لي أن أراجلك أيضا . في مقابلة اسبانية منك في الصلح ، اشترطت عدا



اداء الغرامة تسليم معدات حربية ، لا سيما من المدافع ذات العيار الكبير . قال من توجه  
هذه المدافع ؟ يعني ليست موجبة نحو الاسبانول لانك ستصلهم . اذا مرادك باخذها  
حرب فرنسا .

فتبس عبد الكريم ساعته . وقال ان المقارضة المذكورة لم يكن هو الذي تولاها ثم قال :  
هذه مساومات فعلى فرض اننا لم نحصل على الذي طلبناه كله فلا ينبغي من ذلك تعطيل  
كل شيء .

وصات عند ذلك الى مركزه بازاء سلطان مراکش وهي أدنى الدائل . وكنت أعمل ان  
الكثيرين رغبوا في اعلان الخروج على السلطان وأن ياخذ هو لقب سلطان لنفسه . ولكن  
عبد الكريم ظهر بمظهر رجل حكيم موزون البخل ، لم تسكره فتوحاته المدهشة ، ولا أضاع في  
ظفره الحزم والروية ، فانه أقنع أصحابه بالأكتفاء بلقب « أمير » ولذلك مغزى كبير ان لورغني  
أن يحمل لقب « سلطان » لصعب عليه فيها بعد أن يطيع سلطان مراکش . وانه تطلعت  
كثيراً معه في المدخل بهذه المسئلة ، ونحو ذلك كثيراً بحيث لا اسوء عند ذكر السلطان مولاي  
يوسف الذي يسميه أعداؤه « سلطان الفرنسي » .

فاجابني : كنت اليه مراراً بأن يضع حداً لهذا الاسبانول بعينه من صفة سلطنة المغرب ،  
فلم يجاوبني ولا مرة . ( لأنه مادام الفرنسي لا يجاوبني فمولاي يوسف لا يقدر أن يجاوب )  
قلت : وهل تأبى أن تعترف به الاكسلاط ؟ لملكك الشريفة كما قد يطلب منك الفرنسي ؟  
فتكر قليلاً ثم قال : ولماذا لا ؟ وان الفرنسي ماهر في إيجاد الصبيح . فليجربوا العمل  
فقد يجدون صيغة يمكن أن أرضعها . انتهى .

من تأمل في هذا الحديث مع كونه من الممكن أن يكون الراوي الفرنسي اخذ من بعض  
مالا يوافقه منه ، بحكم بدماء محمد بن عبد الكريم في السياسة ، وبعد غوره في المفاوضات  
الدولية ، ونحاشيه ما لا يفيد من الكلام ، ويقول انه أهل لما صار له ، وانه أصبح الخوف  
عليه قليلاً ، الا ان ظراً ما ليس في الحساب .

أما فرنسا ، وهل تقنعها تأكيدات ابن عبد الكريم المكررة بحبه لها وخطبته لولاها ؟  
لا تعتقد ذلك أبداً . انما اعتقد انها ما دامت أحوالها المالية غير مساعدة لها فلا تملن عليه  
حرباً ، وتكتفي بمصانته ، كما يريد هوان مصانته . وما يحسنه يكرر من خطبته ولاءها الا لما  
يسلم من ثقل ظفريه على كل اوروبا ، ولا سيما على فرنسا ، ومالا يخفي عليه من تحفها اصدم  
وتوجسها خيفة مجده . فهو يحاول أن يسكن دوعها بالتودد ، ويخدر أصحابها بالقول القين ،  
وكل هذا يدل على عبقريته في ادارة السلم ، كعبقريته في ادارة الحرب .

قدحت في أهل الريف الرزايا ، وعظم تصهم في الانفس والتمرات وفشت فيهم الجراحات  
والنابات ، وعظمهم المسخبة بانيابها ، مما هو كلام بدعي بالنظر الى فقرهم ، وضيق أراضيهم ،  
وبهورة مسالكهم ، وتأخر المدنية في بلادهم ثم تفوق عدوهم عليهم في كل الوسائل . ولقد  
مضت على الريف يضع سنين وهم في أشد بلاء ، وأعظم كرب . وتولوا كبر هذه الحرب ، ولم  
تمتد اليهم يد مسعف ولا منجد من جميع العالم الاسلامي برغيف خبز ، ولا ضمانة جرح ،  
ولا زجاجة حامض فيليكي . وقد كان الامير محمد بن عبد الكريم خاطب العالم الاسلامي

بمنشور بحث به منذ ثلاث سنوات مختصا به مسلمي الهند ، والصين ، والافغان ، والجاوي ، فلم ينج بالترك ، ولا بالعرب ، ولا بالمصريين ، ولا بالفارسية لئلا يلم ان الترك هم في شغل عنه ومن غيره . وان العرب يكتفيهم ما هم فيه من التغافل والتواكل ، فيما هو أدنى اليهم من الريف فاظنك بالريف ، ولا بالمصريين لما هم فيه من الانصراف الى مشقة مصر دون غيرها ، حتى في الامور التي ليست من السياسة . ولا بالفارسية لثقل الضغط الواقع عليهم الحائل دون أدنى مساعدة للريف من جانبهم . وكذلك لم يكتب في منشوره الى اولئك كلمة يستمدحهم فيها الاطاعة بالمال أو القوت ، وأما عرفهم انه مع العدو للعددي في جهاد .

وكنيت فيما أظن ، أول من فيه في ضعف السيارة الى وجوب اقامة الريف بمالجه الجرحى ، ومساك ارماني الاطفال والعيال الذين رحلت بهم هذه الحرب القروس . وحررت في ذلك النداء تلو النداء ، فلم أحس أدنى نجدة . ثم قصدى لهذا الموضوع الاستاذ الفاضل الشيخ فراج النياوي رئيس جمعية تضامن السادة النداء بمصر بمد خطاب ورد من معتمد امانة الريف بطنجة ، ففكر نداء في الجرائد المصرية لم يكن فيه الا كلال في رماذ . ولكن وردت الاخبار الاخيرة انه جدت حركة في الهند لارسال بعثة طبية الى الريف لمعالجة الجرحى والمرضى . وقد بدأ بعض الناس بمصر يشبهون بشيء ، فرأيتنا حاجة الى ، وتأخذ القلوب الرافعة ، فيزداد التبرع ولا يشعصر في مصر والهند . وقد اطلعتنا على رسالة وارده الى الامراء بتاريخ ٨ يناير الحالي ( ١٩٢٥ ) بالضم ، محمد سعد الدين الجياوي ، الذي يقول انه كان هناك فن الاطلاع عليها غني عن التعريف بالمال الحاضرة في الريف وهي هذه :

« عدت من الريف منذ ثلاثة أشهر ، بعد أن مكثت به مدة من الزمن ، وقد تحمكت مشاق وعناظر في سبيل الوصول الى تلك الديار بمنجز قلبي عن سردها . وأهم تلك الموانع كان اجتياز الحدود الفرنسية الريفية تارة ، واختراق المناطق العسكرية الاسبانية لبلاتارة اخرى ، بين الجبال ، وذلك في منطقة الرسولي التي يطلق عليها اسم « الجبال » وقد حبل بين وبين الوصول الى حدود المنطقة المذكورة من قبل الرسولي ، حتى ارغمت على العودة بعد اجتياز مائة وخمسين كيلو مترا في مرتفعات صخرية صعبة المسالك ، الى أن تمكنت من الفخول عن طريق « وجدة » وبلاد « المظلة » ونحنا من المرافقة الفرنسية ، وذلك بواسطة مندوب الامير ورجاله ، الذين يدخلون ويخرجون الى المنطقة المذكورة بقصد شراء مواد اقتصادية .

وقد كنت ضيفا مدة وجيودي كلها بالريف ، في منزل دار جمهورية الريف ومم ووزير الداخلية التاميزيد ، الى أن اقتضى الحال عودتي الى هذه الديار السعيدة لطلب النجدة والمعونة من هذه الامة النبيلة ، وهذا للشعب الكريم ، ولأشك انهم ملبون الدعوة لتكون هيئة صحية ، باقرب ما استطاع ، وارسالها باسم الهلال الاحمر لاسعاف المجاهدين عن اوطانهم والمدافعين عنها بكل ماأوتوا من قوة .

وبهذه المناسبة تنفي على صفحات حريه نكم الزمراء صحة الاشاعات التي أشيعت على لسان الجرائد الأجنبية ، وبلاخص منها الفرنسية من أن بالريف ضباطا من الترك والالمان ، وان هناك أجناب يبيعونهم أسلحة ، وكذلك تنفي ما أشيع منذ مدة من أن الهلال الاحمر التتاني أرسل بعثة صحية .



ويعلن الريف الى العالم انه ليس للمجاهدين بالريف كبيرهم وصغيرهم ما رآب الا الاستقلال  
الذام ، وهم يدافعون عن أنفسهم غير ماجورين من رئيس جمهوريتهم الامير عبد الكريم ، ولا  
مرعحين من حكومتهم على ذلك . وهم وحدهم بشجاعتهم وقوتهم المعنوية ، وأساليبهم الحربية ،  
وذكائهم النظري ، حصلوا على كميات وافرة جدا من أمداتهم الاسبانيين من مدافع ميدان  
مختلفة للبارادات ومدافع مترايوزات تد بالثبات ، عدا بضع طائرات ، وكذلك لديهم جميع  
ما يحتاج اليه هذا العدد الوفير من التذختر الحربية الموزعة .

وقد كان لبعض الجنود الريفيين الذين كانوا يخدمون في الجيش الاسباني قبل هذه الحرب  
تشاط عظيم في تعليم أبنائهم استعمال هذه الادوات الحربية بطريقة فنية ، حتى أصبحوا اليوم  
كما يعلم العالم ، قادرين ان شاء الله على منازمة أكبر عدد يريد الاعتماد على استقلال بلادهم .  
وهم يعتقدون للعالم انهم لا يريدون من هذه الحرب الا استقلال بلادهم ، وهم يحترمون  
المناطق المجاورة لهم اذا اعتزمت مناطق حدودهم ، والريف يفضل الاتحاف مع أقرب جارة  
من الدول اليه ، الاشتراك في استخراج معادنتهم ، ان تكون المدة متبادلة بين الخليفتين ، ان  
لا يمكن لامة على الارض أن تعيش وحدها نقطة عند العالم .

والشعب الريفي يرجو تغلب صوة الشريعة ، ويرجو ذلك من الامة الفرنسية وحكومتها  
في داخل مناطقها للهيئة الصحية المنتظرة ، ان يكون هذا التسهيل املاء للرغبة في توثيق  
صرى الحق والوداد بين الريف وبين فرنسا .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا نظن الا أن العالم الاسلامي بسط أخيرا على الريف ، ويهي استثناء أهله ، لاسيما  
وقد جاء منهم هذا البطل العظيم أحسن الله ثوابه .  
( ش )



## مسلمو الفيليبين

( تابع من ١٩٥ من هذا الجزء )

بناءً في « مجلة العالم الاسلامي » الفرنسية تحت عنوان « السياسة الاسلامية » بقلم الكاتب المظالم على أحوال الشرق السيد شارليه Charlier المجلة الآتية : -  
« أن الحروب التي كان الكاثوليكيون الذين اقتنحوا الفيليبين يصلونها مسلمي « سولو » لم تات بشدة من جهة منهم أولئك القراصان من اجتياح جزر ذلك الارخبيل « الا في أواسط القرن التاسع عشر » بعد وصول السفن الحربية على البحار . ولكن لما استولى الاميركيون على الفيليبين « وكانوا الطائف مسلحة من الاسبانيول » تمحلت حركة تلك القاطنة الاسلامية من الاوقيانوس من الدخلة الى التجارة .

وبينما كان الماليزيون في بروني Brunei وسارافاك Saravak وبورنيو يترقون في درجات المدنية ، ويقتنون بالاوربيين مثل مسلمي ملقا ، ونجد منهم أعضاء الاندية والتجار والسامرة ، كان مسلمو الهند النيولاندي يمرجون أيضا في مراقي الحضارة الا في آنجه Atjeh حيث قوة التدين لا تبرح ظامرة بمظاهر المقاومة الحربية ، أما فيما عدا هذا المكان من الجاوى وسومطرة والجزر القريبة ، فانك ترى الاسلام أبعد عن التفت من الهجمات الاجنبية التي ترجع الى نصاب هندي . ومضى زمن طويل على الماليزيين كانوا فيه تحت ضغط اداري هولاندي من مبادئ الفكر والاحتكار . فكانوا لا يتجاوزون اقل العمل لنهرهم كرها ، فلما في هذه الآونة الاخيرة فقد نالوا شيئا من الحرية ، وبدأوا بالمععود المادي والمعنوي والاجتماعي ، فالتفت أنظارهم الى ما يشمل عالم الفارات الكبرى ولا ينحصر في عالم هنوك الجزائر .

وفيما يتجاوز الجزر التي تملكها هولانده توجد جاليات من المسلمين مبعثرة في جزر الباسيفيك كلها تباعدت من القاعدة الماليزية قل عددها ، ولكنها على كل الاحوال اكثر في هذا الاصقاع البعيدة من الجاليات الاوربية ، وهي تبت الاسلام هناك بالتجارة والاخذ والمطاء عوضا عن الفتح والغزو . وهكذا ففي نفس استرالية من جملة الاندال ونجار الهند وصبارنة الماليزية ، جالية اسلامية لها جامع شهير في برث Perth ، كما انك تجد مسلمين كثيرين من الهند في فانكوفر Vancouver من امريكا ، وتجد مسلمين ومسيحيين من أبناء اللغة العربية من سورية في الولايات المتحدة والارجنتين وذووجا مسلمين من افريقية في البرازيل ، اه ثم قال : ان اسلام الشرق الاقصى نقطته النهائية في ماليزيا وبنمر وبنحو ٤٠ مليوناً وعدد المسلمين في مستعمرات هولانده وبورنيو وسائر الجزر الى « بابوايا » الى « الفلبين »

(ش)



## استدراك

استشهد المؤلف في موضعين في : ( الفصل الاول - البقعة الاسلامية ) من هذا الكتاب ، ببعض أحاديث نبوية ، ترجمناها بمعناها حين الترجمة دون الإشارة الى ذلك . وقد رأينا من الغم الغائبة والحرص على سلامة الايراد ، أن نذكر الآن هذه الاحاديث بنصها الحرفي ، وهي هذه على ما أرشدنا اليه حضرة الاستاذ العلامة الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار :

الصفحة ٤١ السطر ١٣ —

« انما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » . رواه مسلم بهذا اللفظ عن رافع بن خديج .

الصفحة ٤١ السطر ١٥ —

« انكم في زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك ، ثم يأتي زمان من عمل منهم عشر ما أمر به نجا » رواه الترمذي عن أبي هريرة . وروى احمد في مسنده عن أبي ذر مرفوعاً : « انكم في زمان علمائهم كثير وخطباؤهم قليل من ترك فيه عشر ما يعلم هوى - أو قل هلك - وسيأتي على الناس زمان يقل علمائهم ويكثر خطباؤهم ، من نمتك فيه بعشر ما يعلم نجا »

الصفحة ٤٦ السطر ٣٢ —

« اطلبوا العلم ولو في الصين فان طلب العلم فربضه على كل مسلم » . رواه العقيلي في « الضعفاء » ، وابن عدي في « الكامل » والبيهقي وابن عبد البر عن النس (ض) .

الصفحة ٤٦ السطر ٢٣ -

« اطلب العلم من المهد الى اللحد » أفادنا الاستاذ السيد رشيد انه لم يره  
حديثنا نبويًا

الصفحة ٤٦ السطر ٢٤ -

« لأن تغدو فتعلم بابًا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة » . رواه  
ابن عبد البر من حديث أنس ، وفي بعض ألفاظه « مائتا ركعة » ، ورواه آخرون  
بالفاظ أخرى ليس منها « كلمة حكمة الخ . . »

الصفحة ٤٧ السطر ١ -

« بوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » رواه ابن عبد البر عن  
الشيرازي عن أبي الدرداء (ض)

الصفحة ٤٧ السطر ٢ -

« العلماء ورثة الانبياء » رواه احمد وأبو داود والترمذي وغيرهم عن  
أبي الدرداء .

الصفحة ٤٧ السطر ٣ -

« أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ، ثم قل له ادبر فادبر ، ثم  
قال عز وجل : وعزني وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك ، بك آخذ ، وبك  
اعطي وبك ائيب وبك اعاقب » وفي رواية « ما خلقت شيئا احسن منك » .

﴿ تم الجزء الاول ﴾



## فهرس

## الجزء الاول للالام

## الالف

- ابو بكر الصديق ١٤٥، ٣٦، ٥  
 ابراهيم افندي الاقنى ٢٠٠  
 احمد بك المريض ١٠٩  
 احمد الوهابى - السيد فى الهند ٣٨  
 الادريسى - السيد ١١٢  
 اديب اسحق ٢٠٠  
 اذريجان ٨٢  
 ارمانيوس - قمارى ١٥٨  
 اريقات ٨٢  
 السمود - ابن (أنظر الوهابية ونجد)  
 الاسلام - نشوء ١، ٢، ١١ الرد على نافذيه ٤١، ١٥٦، الاضطراب  
 الاسلامى ١٦٣، الاسلام والجنود السوداء ٢١٠ - ٢٤٨  
 فى افريقية ٢٤٩ دعوتة فيها ٢٨٦  
 اسماعيل حامد الجزائري ٥٤، ٤٨  
 اسية - القارة ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨  
 اسية الصغرى ١٥ - ١٩  
 اصيهان ٢٦  
 الآخاخان ١٥٧  
 افريقية ٢٣، ٢٥، ٢٧ الشمالية ٣٠، ٨٨، الاسلام فيها ١٣٢، ١٣٣،

١٥٨ ، ٢٤٩ الطرق الدينية فيها ٢٧٢ الدعوة الاسلامية فيها

٢٨٦ اواسطها ٣٢٧ شرقها ٣٣٠

افغانستان ٣٨ ، ٩٠ علاقاتها مع الانكليز ٩١ ، ٩٢ ، قبائلها ٩٦ ، ٩٧

نورتها على الانكليز ١٥١ ؛ ١٥٥

امان الله خان ١٠٠ ، ١٠١

الامويون - الخلفاء ٩ ، ١٢

الاندلس ٩ ، ٢٠ ؛ ٢٥ ، ٦٨

انقرة ٩٩ ، ١٠٠

انور باشا ١٨ ، مساعية والامير شكيب لاستقلال القوقاس ٨٢ مع السيد

السنوسي ١١٩ هو والبلاشفة ١٥٥

ايران نورتها ١٤٢ هي وتركية ١٤٩ ( انظر فارس والمعجم )

البناء

البابية ٣٩

بخارى ١٥٥

الباقيرمي - بلاد ٣٠٣ ، ٣٢٧

بديع الزمان الهمذاني ٩ ، ٩٠

البربر ٨ ، ٩٤ ، ٨٧

برقة ١١٢

البرهمية ٦٢

بريطانية ١٥١

بطرس الاكبر ٨٠

بغداد ٦ ، ٧ ، ٩ ، ٢٤

البلاشفة ٨٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥



بنو الاحمر ٦٩

البلقان ٢٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤

البوذية ١ ، ٩١

بورنو ٣٠٢ ، ٣٢٧

بورنيو ١٨٩

بيت المقدس ١٩ ، ٢٠

النساء

النثر ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٥

النمايشي ٩٠

الترك ٩ ، ١٤ ، العثمانيون ١٥ عصبيتهم الطورانية ١٥ - ١٧ فتوحهم

٢٧ الدولة العثمانية ، ٣٠ هم والوهابية ٣٧

الترك السلاجقة ١٩

تركية ٥٢ ، ٧٣ ، نورثها ١٤٢ تركية الفتاة ١٥٠ هي والخلقاء ١٥١

١٥٣ ، ١٥٥ .

تركستان ١٠٢

تلسان ٧٤ ، ٧٦

التيجانية — الطريقة ٢٧٥

تيموليك ٢٦

الجيم

الجامعة الاسلامية ٩ ، ١٧ ، ٣٨ ، ٦٠ غايتها ٦١ ، حاضرها ١٥٦

الجامعة الاقتصادية ١٦٤

الجاوي ٦٣ ، ٦٨ التعليق عليها ١٨٥ ، ١٩٥ .

الجزائر — امتيلاء قرنة عليها ٧٣ ، ٨٤ ، مساعلتها لقرنة ٨٥ صفة

الحكم القرني فيها ٨٦ ، التبشير فيها ٨٦

جفوب ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٧

جمال باشا ٧٨

جمال الدين الافغاني ٧٠ ، ١٠٥ ، دعوته ١٣٥ ، هو وعبد الحميد ١٣٦

تعاليمه ١٣٧ ، ١٤٣ استيفاء سيرته ١٩٩ - ٢٠٩

جنكيز خان ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤

الجهاد ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٣

جيوليتي - وزير ايطالي ١٤٤

الحاء

الحاسة - قبيلة سنوسية ١١٢

الحبشة ٣٣٦

حبيب الله خان ٩٩

الحج ٢٤ ، ٦٩

الحجاز ٣٧ ، ١١٢

حداد باشا ١٥٢

الحروب الصليبية ٢٠ ، ٢١

حسن افندي الطاغستاني ٨٣

حسين - الملك ١٥١ ، ١٥٢

حسين داي - والي الجزائر ٧٤

الحضارة العربية ٤ ، ٥ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٩

الحضارة ٦٧

حزة بك الطاغستاني ٨١

حيدر بك عضو الوفد الطاغستاني ٨٣



## الخاء

خالد الجزائري - الامير ٧٨

الخرطوم ٩٠

الخلفاء الراشدون ١٢ ، ٢٢

الخلافة ٥ ، ٩ ، ١٢ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

الخوارج ١٣

خير المضيق ٩٦

خير الدين بروس ٧٣

خيوي ١٥٥

## الدال

دارفور ١٤٩ ، ٣٢٧

الدعوة الاسلامية في افريقية ٢٨٦

دمشق ٦

## الراء - الزاي

رابح - سلطنة ٣٢٥

رشيد باشا ٥٢

رشيد رضا - السيد ٥٣

رمضان السواحي ١١٨ ، ١١٩

روجر لابون ٢١٠

رنان - الفيلسوف ٩ ، ٤٣ هو وجمال الدين الافغانى ٢٠٧ ، ٢٠٩

الروسية ٢٤ ، ٢٨ ، ١٥١ ، ١٥٤ التعليق على مسلمى الروسية

١٩٦ - ١٩٨

الريف - انظر عبد الكريم

زويمر ٤٢ - ٤٥

### السيني

سانباس - سلطنة ١٩٠

سرافاك - سلطنة ١٩٠

سعد باشا زغلول ٢٠٠

سعيد البستاني ٢٠٠

السلفية - العقيدة ١٦٣ ، ١٦٤

سليمان القانوني - السلطان ٢٢ ، ٢٨

سلم النقاش ٢٠٠

السنغال ٣٠٣

السنوسية ٣٨ ، ٧٠ ، ١٠٥ - ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٧٧ عبد الحميد والسنوسي

١١٣ ، ١١٤ السيد احمد الشريف ١٠٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ،

١٢٠ ، ١٢٣ شدة لازر الحكومة التركية ١٢٣ عرض الخلافة

عليه ١٢٣ مفاوضة الطليان له ١٢٤ هو والامير شكيب ١٢٥

سائر سيرته - ١٢٩

سورية ٣٧ ، ٧٥ ، ١٥١ ( انظر عرب )

السودان المصري ٢٣ ، ٨٩ ، ٩٠ التعليق عليه ٣٠١ ، ٣١٧

سوكوتو ٣٠٢

سومطرة ٦٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

السيد احمد الهندي الوهابي ٣٨

سيلاب جزيرة ١٩٠



الشيخ

الشاذلية - الطريقة ٢٧٥

الشام ٦

شامل الطاغستاني - الشيخ ٨٠ ، ٨١ ( انظر طاغستان )

الشرق ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٢

شريف مكة ٧٢

الشورى في الاسلام ٦ ، ١٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٧٢

شير احمد خان - الامير ١٠١

الشيعة ٨

الصاد

الصاحب بن عباد ٨

الصحافة الاسلامية ١٥٩ ، ١٦٠

الصين ٢٣ ، ١٠٢ الاسلام فيها ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨

نهضتها ١٥٤ التعليق عليها ١٦٧ - ١٨٤

الطاء

طاغستان ٧٩ ، ٨٣ ، ١٥٥ ( انظر شامل )

طرابلس الغرب ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٤٣ ثورتها ١٤٩

طلعت باشا ٨٢

طنجة ٧٧

طهران ١٠٠

العين

عالي باشا ٥٢ ، ١٣٩

عباس الشاه ٨٠

العباسيون - الخلفاء ١٤، ٩

عبد الحق حامد ٥٦

عبد الحميد السلطان ٥٢، ٧١، ١٠٩، ١٢٧ معيه للجامعة الاسلامية

١٣٩ - ١٤٢ في اليابان ١٤٦، ١٤٧

عبد الرحمن - السلطان في المغرب ٧٧

عبد الرحمن الداخل ٩

عبد الرحمن بك عزام ١١٨، ١١٩

عبد القادر - الامير ٧٣ ترجمته ٧٥ حروبه مع فرنسا ٧٦

عبد الكريم زعيم الريف ٣٩٣ الريف والدول الاوربية ٣٩٧ والعالم

الاسلامى ٣٩٨

عبد الكريم سلمان - الشيخ ٢٠٠

عبد الرحمن خان - أمير الافغان ٩٨

عبد المجيد بك عضو الوفد الطاغستاني ٨٢، ٨٣

عبد الله الجزائري - الامير ٧٨

عبد المالك الجزائري - الامير ٧٨

عبد الهادي خان ١٠١

عثمان قواد - الامير ١١٩

العجم ٨، ٩، ١٥١، ١٥٥ ( انظر فارس وايران )

العراق ٢٤

العرب ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٤، ١٩، ٣٥ وعود الخلفاء لهم ٨٥ العرب

في الكونغو ٣٢٣ ( انظر سورية )

العصبية ٨، ٩

علي - سيدنا الامام ٢٠



علي - السيد الامير الهندي ٥٠

علي الجزائري - الامير ٧٨

علي بك عضو الوفد الطاغستاني ٨٢

عليكره ٥٠

عمر - الفاروق سيدنا ١٩٤٥، ٣٦٤، ١٤٥

العيساوي - سيدي ابو القاسم ١١٢

العيساوي - سيدي احمد ١١٢

العيساوي - سيدي عبد العزيز ١١٢

### الذين

غازي محمد الطاغستاني ٨١

غرناطة ٣٦

الغزالي ١٢

غلام صديق خان ١٠١

غليوم - الامبراطور ٧٨

غوردون ٩٠

### الفاء

فارس ١٥١، ٣٤٤، ١٤٠٧، ٦٠٣ الفرس ١٤٥٤، ١١٤٨، ٨٤٦ ( انظر ايران والعجم )

فاس ١٠٥

الفاطميون ٨٩، ٩

فرسايل - مؤتمر ١٥١، ١٥٠

فرطانة ١٥٥

فرنسة استيلاؤها على المغرب ٧٤، ٧٣ ( انظر سورية وعبد الكريم )

فلسطين ٢٢ ، ١٥١

فؤاد باشا ٥٢

الفيابين ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٤١٠

### القاف

القادرية - الطريقة ٢٧٤

القبيل ٨٣

القرآن الكريم ١٠ ، ١١ ، ٣٤ ، ٥٠

قرطبة ٩ ، ٢٥

القسطنطينية ١٥ ، ١٩

الاقصى - المسجد ١٤٤

القنقاس ٣ ، ٧٣ ، ٧٩

### الكاف

كابيل ١٠٠ ، ١٠١

كاشغر ٩٣

كامل باشا - حميد الشيخ شامل ( أنظر شامل وطانستان ) ٨٣

الكامرون ٢٩٦

كانم ٣٠٣

كايتاني - أمير ايطالي ١٥٣

كتشنر ٨٩

الكرج ١٥٥

كرجستان ٨٢

كرومر ٤٥

الكونكو - العرب فيها ٣٢٣



## الميم

- مالي - مملكة ٣٠٦  
 المايزي - الارخبيل ١٩١  
 محمد - سيدنا الرسول ( صلعم ) ٢ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ٦١ ، ١٤٥  
 محمد احمد ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٩  
 محمد أديب خان ١٠٠  
 محمد باشا الجزائري - الامير ٧٨  
 محمد بن عبد الوهاب ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٧٠ ( انظر محمد والوهابية )  
 محمد بن القاسم - الفاتح العربي ٩٠  
 محمد التيجاني ٧٦  
 محمد خان ١٠٠  
 محمد عبده - الاستاذ الامام ٥٢ ، ٥٣ ، ٢٠٠  
 محمد علي ٣٧  
 محمد الغوري الافغاني ٩١  
 محمود ولي خان - الجنرال ١٠٠ ، ١٠١  
 محمود بن سبكتكين ٦٢ ، ٩٠  
 محمود ترزي خان ١٠٠ ، ١٠١  
 محمود سامي باشا البارودي ٢٠٦  
 محبي الدين باشا الجزائري - الامير ٧٨  
 مدحت باشا ٥٢  
 المدينة المنورة ٥ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨  
 مراکش ١٤٠  
 مستغانم ٧٥ ، ١٠٥  
 المسلمون - عدد ٣١

مصر ٩ ، ٣٠ ، ١٥١ ثورتها على الانكليز ١٥٣

مصطفى كمال ٢٢ ، ١٢٣

مصطفى الصغير - الجاسوس الهندي ٩٩ ، ١٠٠

معاهدة الحجاز ٦٩

معاهدة الثغنة ٧٦

معاهدة دميشل ٧٥ ، ٧٦

مماوية ١٣

المعتزلة ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ الجديدة ٤١ ، ٥٠

المغرب ٧٣ ، ٧٤ ( انظر فرنسا )

المغول ١٦ : ١٧ ، ٢٤ ، ٢٨

مكة المكرمة ٣٤ ، ٣٨

المهدي ٨٨ ، ٨٩

مهيار الديلمي ٨

مورغنتو - السفير ١٥٢

### النون

ناصر الدين - الشاه ٢٠٣

نجد ٣٥ ، ٣٨ ( انظر الوهابية ومحمد بن عبد الوهاب )

النصارى ١١ ، ٦٢ ، ١٤٥

النقشبندية ٨١ ، ٩٣

نوري باشا ١١٧

### الهاء

هانوتو - وزير فرنسي ١٤٤

هرون الرشيد ٦ ، ٢٤



الهند ٨ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٩ ، تقسيماتها ٦٣ ، احتيلاء بريطانيا عليها ٧٣١

هياجها ١٤٩ ، ثورتها على بريطانيا ١٥٣

الهندويون ١٤٧

هولاكو ١٦

الواو

واداي ٣٠٢ ، ٣٢٧

وجيه الكيلاني - السيد ١٩٥

وفا القوني - السيد ٢٠٠

وهران ٧٥

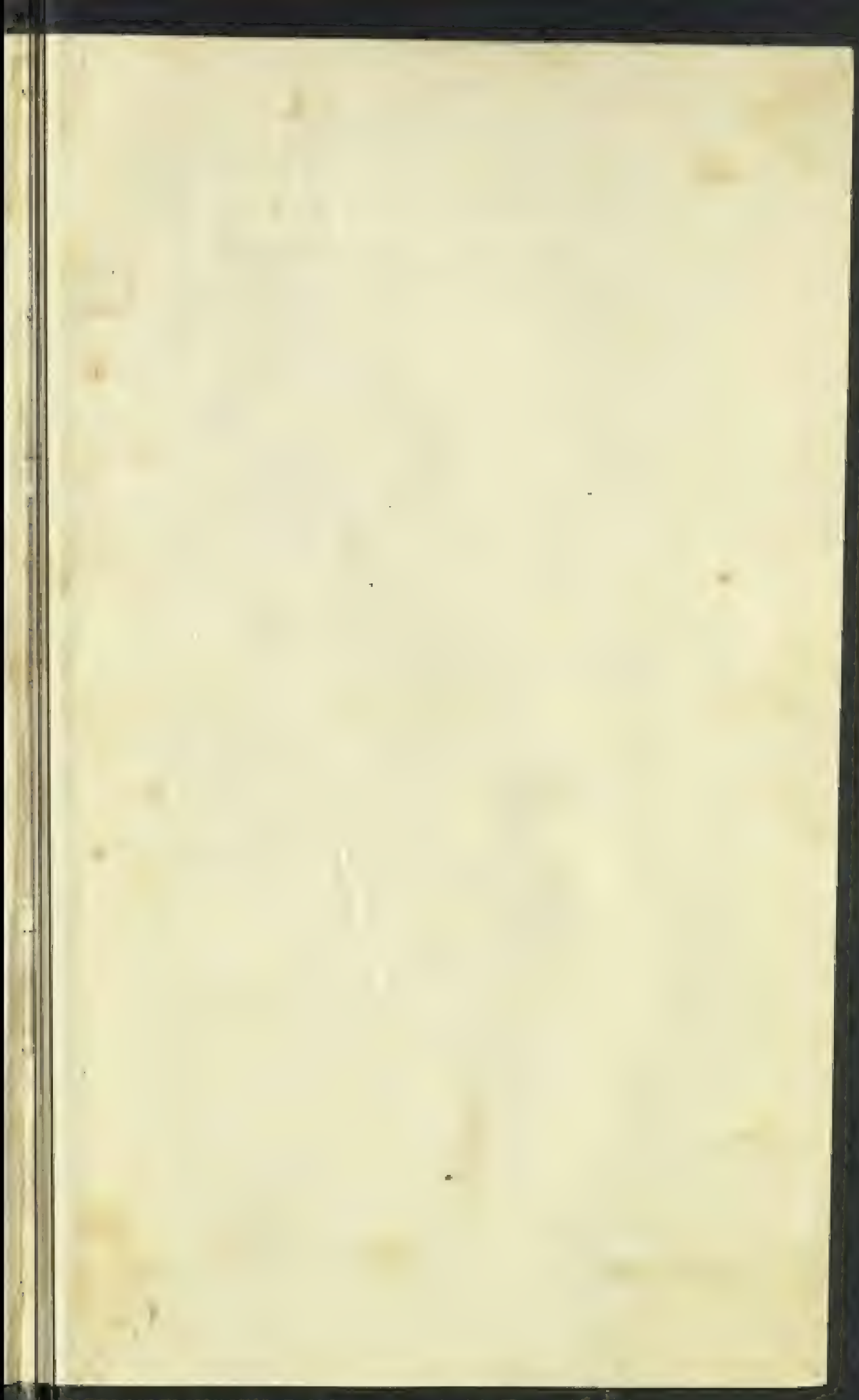
الوهابية ٣١ ، ٣٩ ، ٧٢ ، ١٦٣ ( انظر محمد بن عبد الوهاب ونجد )

الياء

اليابان ١٤٦

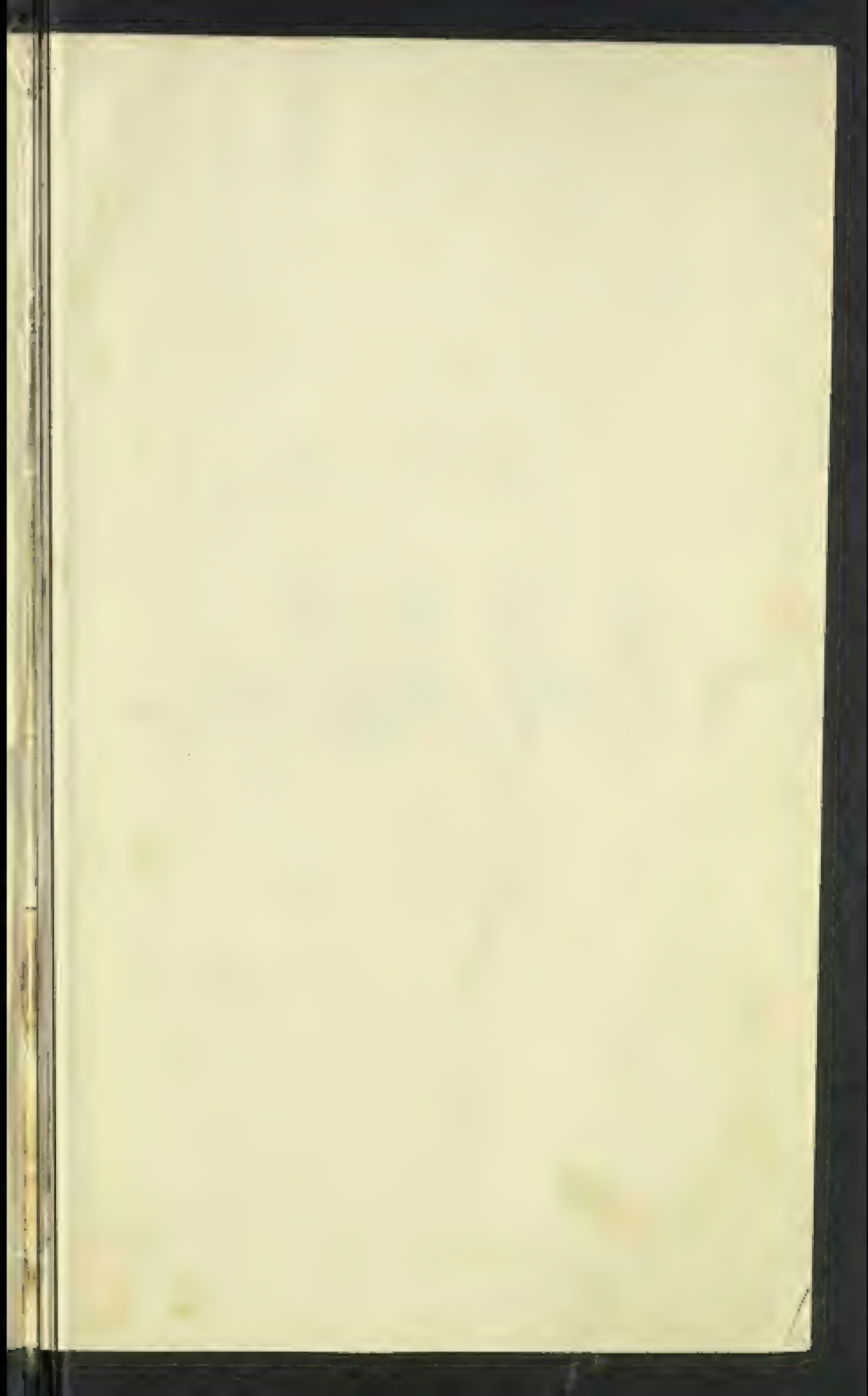
يعقوب بك ١٤٣

اليهود ١١ ، ١٥٠

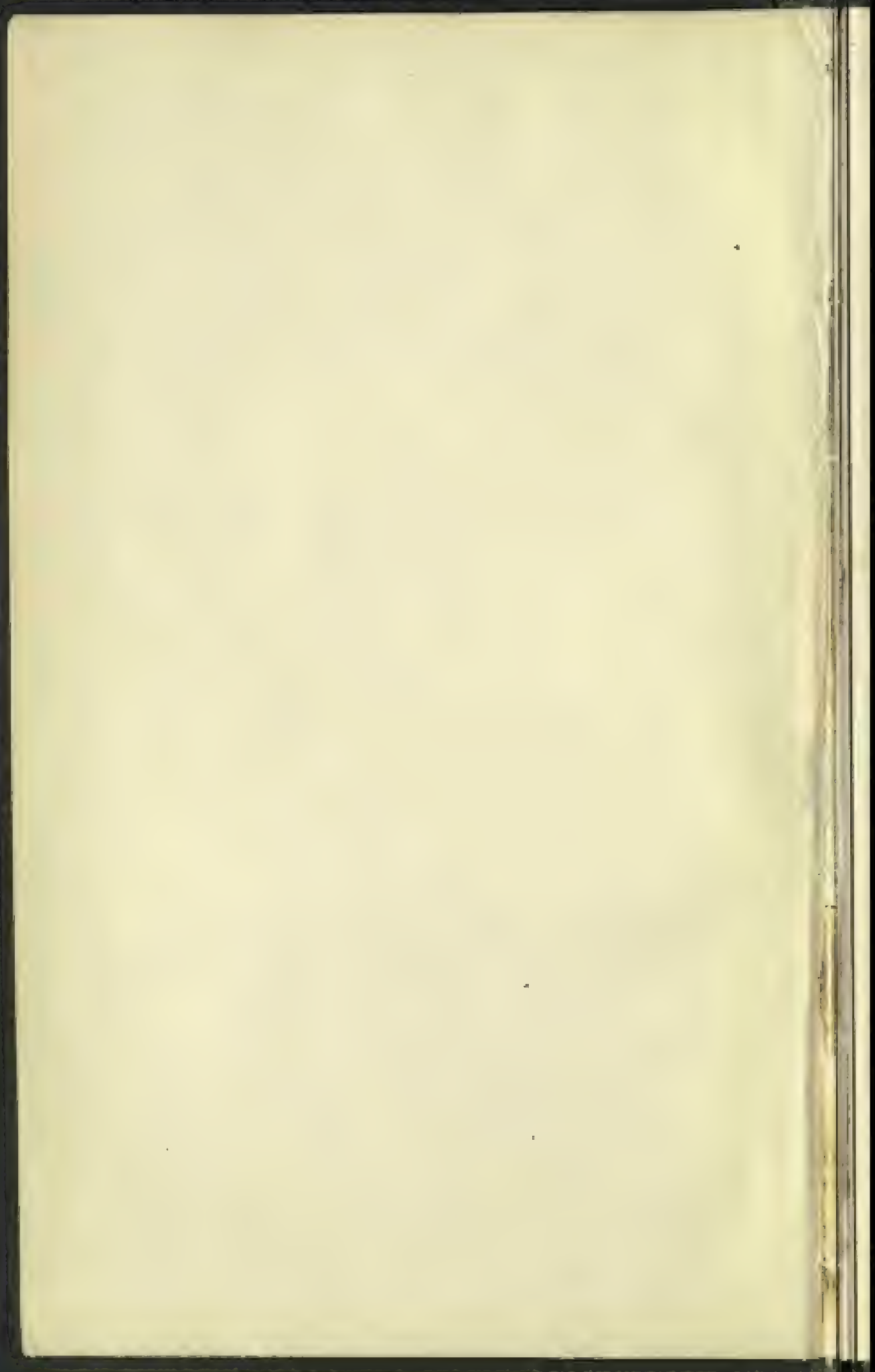


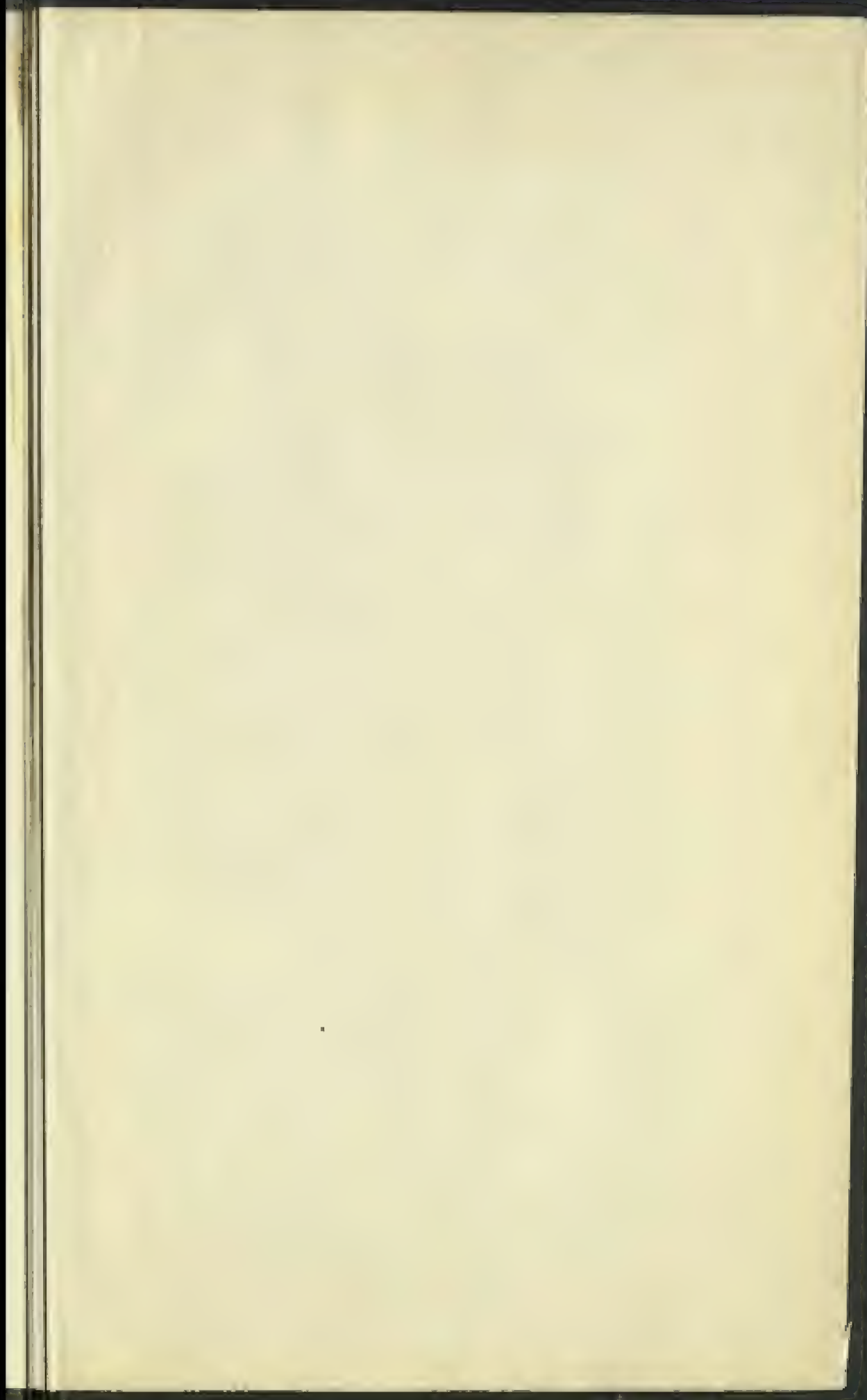


خاتمة السلسلة

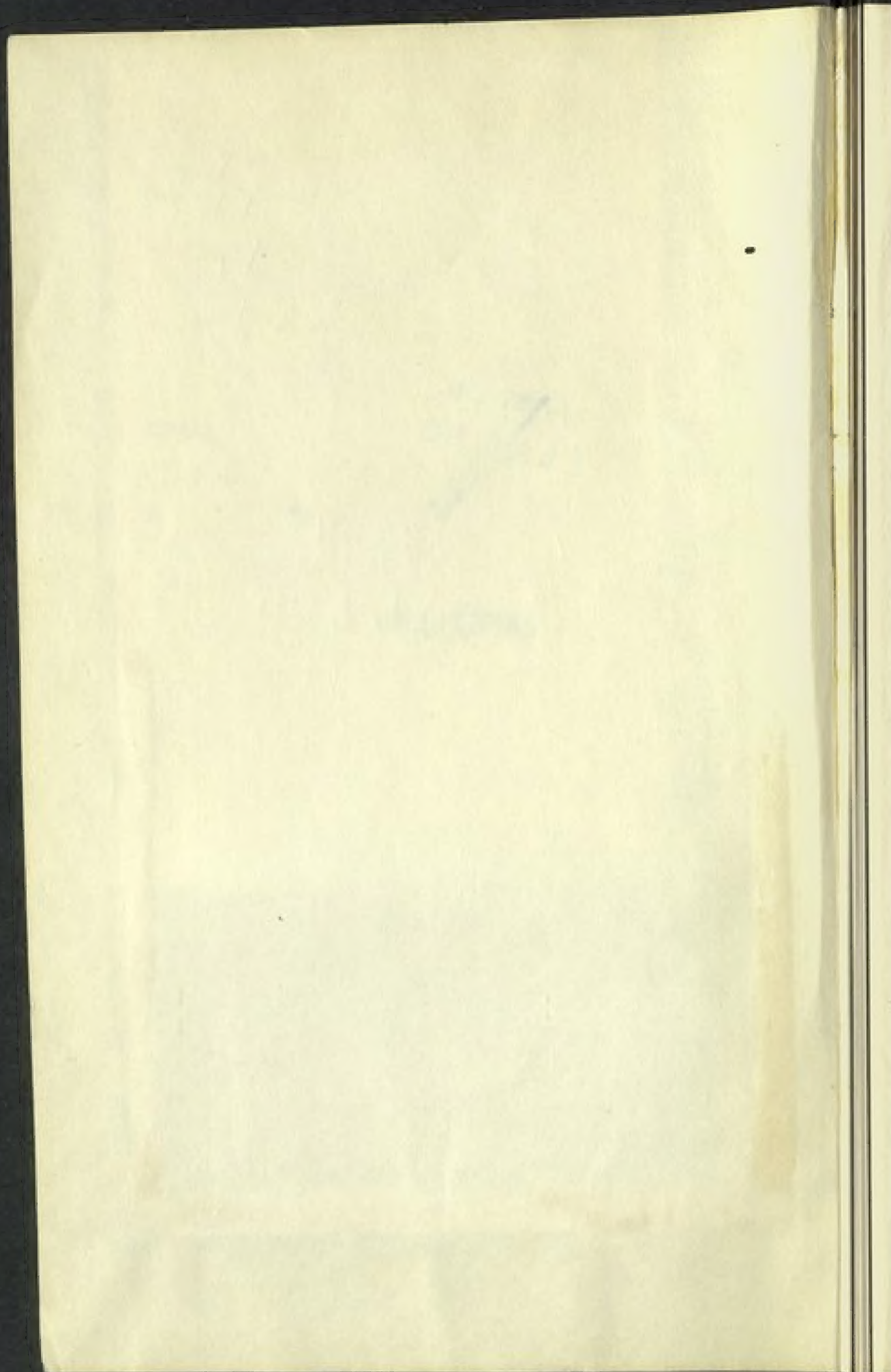




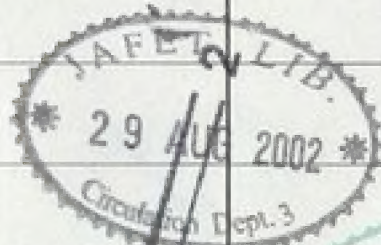
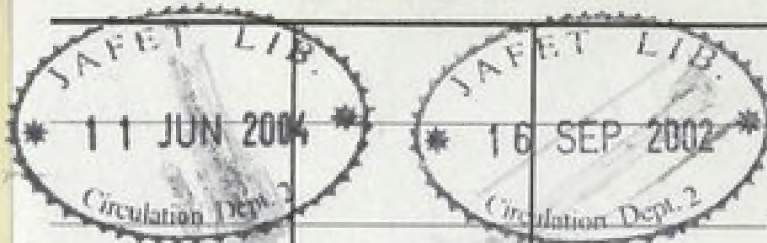








# DATE DUE



IB.

94

70

10 JUL 1992



ستودارد، ثيودور لوثر  
حاضر العالم الاسلامي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



0102266



